

١٥٥

قام الطالب بالتصحيح المطلوب ٩
بإحدى الشرائع



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠١٠٦١

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

قسم الدراسات العليا الشرعية

د محمد سعد داود

وهو قضية الدكتور داود
على ناصريين منها قسمه في
د محمد سعد داود

تدقيق الطالب

ابن الوزير

وأراؤه الإعتقادية

رئاسة تفتيشية لشيخ شافعية الدكتور



إعداد الطالب

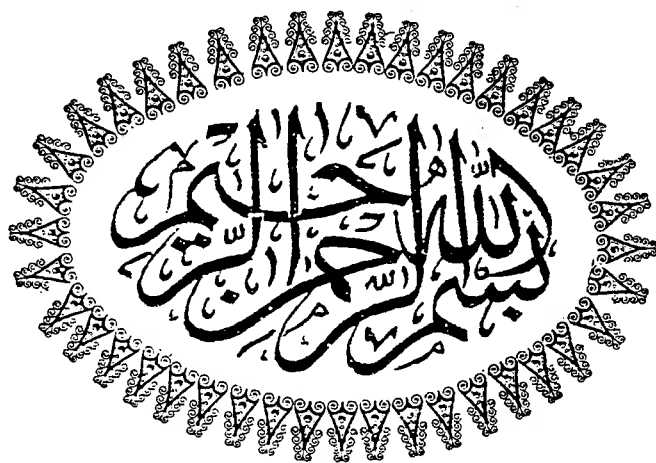
علي بن علي حباب الحربي

إشراف

الأستاذ الدكتور محمد سليمان داود

لعام

١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م



وَبَرِّسْتَعِين

بسم الله الرحمن الرحيم

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور
أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي
له ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله
صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن اهتدى بهديه الى يوم الدين .

وبعد ..

فان من حكمة الله تعالى أن جعل الناس متفاوتين في الأجسام
والحواس والادراك ، والعلوم والعقول والذكاء والبلادة ، والنسيان وقوة
السحافة (يوءت الحكمة من يشاء ومن يوءت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا) (١)
وغير ذلك من الغنى والفاقة ، والضعف والقوة ، والسقم والصحة ، والشجاعة
والجبن (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم
فوق بعض درجات) (٢)

كذلك التفاوت في العلوم المختلفة ، فانك تجد هذا يجيد فنا
معينا ، وهذا نبغ في فن آخر من الفنون ، بل تجد التفاوت بين رواد الفن
الواحد هكذا سنة الله - تعالى - في خلقه (ولن تجد لسنة الله
تبديلا) (٣) .

وقد أنجب لنا التاريخ الاسلامي من أفلاذ أكبادہ رجالا بلغوا القمة
في شتى العلوم ، وفي الطليعة كبار الصحابة والتابعين ، والأئمة
الأربعة ، وسائر علماء الاسلام والمسلمين ، ولا يخلوا زمان - بفضل الله
تعالى - من المجددين والمجتهدين ، والمصلحين .

ومن هؤلاء صاحبنا ، وعالمنا ، بل عالم اليمن ابن الوزير - رحمه
الله تعالى - الا أنه غير مشهور كغيره عند كثير من الناس .

ولقد كان الامام الشوكاني صريحا في قوله : (ولا ريب أن علماء
الطوائف لا يكثررون العناية بأهل هذه الديار - أي اليمنية - لاعتقادهم في
الزيدية مالا مقتضى له ، الا مجرد التقليد لمن لم يطلع على الأحوال ،

(١) سورة البقرة : ٢٦٩ .

(٢) سورة الزخرف : ٣٢ .

(٣) سورة الأحزاب : ٦٢ .

(١) فان في ديار الزيدية من أئمة الكتاب والسنة عدداً يجاوز الوصف . . .

ولا غرابة في ذلك فقد طمس الزيدية آثار ابن الوزير ، ودفنوا محاسنه ،
وإذا كان الأمر كذلك فمن ينقل محاسن الرجل الى الناس غير أهله ؟ !
كيف ومعاصروه قد سعوا جاهدين ، جماعات ووحداً في نصب العداوة
له بكل مافى وسعهم ، ثقافياً واجتماعياً .

وقد حاول بعضهم الرد على ابن الوزير بما أسماه (العضب الصارم في
الرد على صاحب الروض الباسم) لمجهول في أوائل القرن الثالث عشر
الهجري ، وهذا الرد بعد خمسة قرون مضت لوفاة ابن الوزير يذكرني بقول
المتنبي :

(٢) وإذا ما خلا الجبان بأرض هـ هـ طلب الطعن وحده والنزلا .

ومع هذا لم يستطع أن يسمى نفسه وابن الوزير متوسد التراب ، فكيف
لو كان العكس ؟ !

وهذا هو العامل الرئيسي - في نظري - في طمس آثار ابن الوزير
العلمية ، ومفاخره الأدبية ، فالزيدية كما وصفهم الشوكاني بقوله : (لهم
عناية كاملة ورغبة وافرة في دفن محاسن أكابرهم ، وطمس آثار مفاخرهم)
(٣) وكان بعض حساد ابن الوزير وخصومه لا يجهر له بالقول لأنه لا يقوى
على مناظرته ، لما اشتهر به من شدة المعارضة ، وقوة الحجة .
ومعلوم أن الغالب على من فاق علماء عصره أن يحسده الكثير منهم .

فقد فاقهم بكل مافى هذه الكلمة من معان ، وان (العواصم والقواصم) لخير
شاهد على ذلك ، وأنا على ذلك من الشاهدين ، لأنني لم أقف مدة حياتي الماضية
على مثل ما وقفت عليه في (العواصم والقواصم) فلقد أدهشني كثرة ما يسرده في المسألة
الواحدة من الوجوه المختلفة ، والتنبيهات اللاذعة والإشكالات المحيرة ، والإلزامات
المفحمة ، والبراهين الصاعدة ، العقلية منها والنقلية . هذا مع بعده عن الحاضرة
والمراجع ، فكيف الأمر لو كان العكس ؟ !

هـ (١) البدر الطالع للشوكاني ج ٢ ص ٨٣ مطبعة السعادة الطبعة الاولى ١٢٤٨

(٢) العرف الطيب مع شرح ديوان أبي الطيب المتنبي ص ٤٣٤ للشيخ ناصف
اليازجي بيروت ط ثانية .

(٣) البدر الطالع ج ١ ص ٦٠ .

وسأحاول في هذه الدراسة - بعون الله تعالى - قدر الطاقة
أن أضع ^{بعض} المعالم في الطريق ، لآراء ابن الوزير ، ليهتدى بها القاصرون
أمثالي ، وليتعمق فيها الرواد الماهرون للغوص في اخراج آراءه ، على
ما يليق به ، وعزائي أن من فقد الماء تيمم بالتراب ، ولكن أرجو الله - تعالى -
ألا يخرج هذا البحث عن بعض اغراض العلماء من التصنيف وهي :
استخراج شيء لم يسبق اليه ، أو جمع مفترق ، أو تكميل ناقص ، أو
تهذيب مطوّل بدون حذف يخل بغرضه أو ترتيب مخلط ، أو شرح مبهم ،
أو تبين خطأ ، أو تفصيل مجمل . (١) .

هذا وقد تنبه بعض المحبين لنشر التراث الاسلامي ، ومنه تراث ابن
الوزير ، المدفون - معظمه - في مقبرة المخطوطات والمصورات والميكروفيلمات ،
لا يطلع على ذلك الا النادر من الباحثين ، بل المضطرين منهم ، ومن هذا
التراث (العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم صلى الله عليه
وسلم) لابن الوزير ، وهو تحت الطبع والتحقيق وقد ظهر منه الجزء الأول
بعد اكمال هذه الرسالة . (٢) .

وقد حصل طالبان جامعيان على درجة الماجستير في الشريعة
الاسلامية مساهمة منهما في نشر تراث ابن الوزير :
أولاهما بعنوان (ابن الوزير يعني ومنهجه الكلامي) طبع ونشر سنة ١٤٠٤ هـ
بعد أن كتبت معظم هذه الرسالة ، ولم أستغد منه رغم أنني اطلعت عليه
اطلاع من يحب الاستفادة ، الا في بعض العناصر في : (موقف ابن الوزير
من الابتداع) ، فالرجل يحسن الاقتباس ، ويجيد الانشاء ، وكان يكتفي
في غالب البحث بكلام ابن الوزير ، دون أن يرجع الى مصادره الأصلية
التي صرح ابن الوزير أنه أخذ منها ، حتى بعض الأحاديث يكتفي
بالإشارة الى كتب ابن الوزير التي نقل منها الكلام . (٣)

-
- (١) أنظر التقريب لحد المنطق والمدخل اليه لابن حزم سنة ٤٥٦ هـ ص ١٠
وايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٢٣ ط بيروت دار الكتب العلمية .
(٢) بتحقيق شعيب الارناؤوط دار البشير عمان سنة ١٤٠٥ هـ .
(٣) من ذلك على سبيل المثال حديث : (اختصمت الجنة والنار) أشار
الى مصدره : (الابانه ^{للشعر}) و (ايثار الحق على الخلق) لابن الوزير
مع أن الحديث في الصحيحين ، كما سأشير اليه عند الوصول اليه
ان شاء الله تعالى .

وهكذا د واليك ، والرجل متأثر بالتصوف والفلسفة ، كما هو واضح فى كلامه ومراجعته . (١)

وأخراهما : بعنوان : (ايثار الحق على الخلق) لابن الوزير ، الجزء الأول منه تحقيق أحمد مصطفى .

وقد استغدت منه بعض التراجم لشيخ ابن الوزير ، وبعض أسماء تلاميذه ولكن بدون تراجم .

وفيه من الأوهام مانسبه الى ابن الوزير هنى الرد على المعتزلة فى انكار التحسين والتقييح العقلين ومنها رده على صاحب المحصول فى ذلك حيث قال : (وقد رد - ابن الوزير - رحمه الله - على المعتزلة فى مسائل كثيرة ، منها رده على صاحب المحصول فى انكار التحسين والتقييح العقلى ، ردا لم يسبق الى مثله . (٢)

وهذا خلاف الواقع فالمعتزلة لا تنكر التحسين والتقييح العقلين وانما الأشعرية تنكر ذلك ، لأن الشرع هو الذى يحسن ويقبح ، ومعلوم أن : (المحصول) للرازى سنة ٦٠٦ هـ وهو من أئمة الأشعرية ، والخطأ من طبيعة البشر ، وأنا واحد منهم ، وأرحب بكل نصح أو توجيه ، أو ارشاد الى خطأ واضح .

فكثرة الملاحظات والتعليق ، والردود على أى كتاب يدل على مدى مكانته وقيمتة العلمية كما هو المعروف .

== كما ذكر كلام ابن القيم فى (هادى الارواح) نقلا عن ابن الوزير ، ولم يشر الى (الحادى) ، وهكذا تجد الصفحات المتتابعة مرجعه فيها كلام ابن الوزير . أنظر ص ٢٩٨ ، ٢٩٩ - ٣٠٠ - ٣٠١ - ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٤ - ٣٠٥ هـ (ابن الوزير ومنهجه الكلامى) لرنق الحجر ، الدار السعودية للنشر والتوزيع سنة ١٤٠٤ هـ وستعرف ما بذلته من جهد فى اسناد كلام ابن الوزير الى المصادر التى استقى منها عند القراءة والمقارنة .

- (١) أنظر ابن الوزير اليمنى ومنهجه الكلامى لرنق الحجر بكامله .
(٢) ايثار الحق على الخلق تحقيق أحمد مصطفى ص ٤٣ - الناشر الدار اليمنية للنشر والتوزيع سنة ١٤٠٥ هـ . مع ما فيه من الإخطاء المطبعية والموضوعية الكثيرة ومع خلوه عن قائمة المراجع وقد قابل النسخة المطبوعة على مخطوطتين . أولاها : مخطوطة صنعاء ، وثانيتها : مخطوطة برلين .

الصعوبات التي واجهتني أثناء البحث :

من المعلوم أن من أقدم على عمل قبل سيره وغوره ، فإنه يجد من الصعوبات ، ما قد يعوق سيره ، ويكدر أفكاره . وأنا واحد ممن ينطبق عليه هذا الأمر :

الأمر الأول : أني أقدمت على اختيار هذا الموضوع مضطرا ، لأسباب لا حاجة إلى ذكرها الآن ، بل لا علاقة لها بالعلم ، إذ كانت حالتني أثناء البحث كمن يريد أن يلتقط من شواطئ البحر ما يقذفه الموج أشياء مده ، ويتركه وراءه أشياء جزره ، فيقذفه الموج إلى الأعماق ، فهو لا يحسن الغوص فيلتقط بغيته من النفائس ، ولا يحسن السباحة فينجو بنفسه ، ولا سفينة ولا ساحل ، فهو رهين الأمواج المتلاطمة .

ومن كانت هذه حالته ، فهل يبقى له تفكير في غير النجاة ؟! بل التفكير في النجاة ضئيل إلا أن يشاء الله ، إجابة دعوة المضطر إذا دعاه ، فقد نجى الله سبحانه - نبيه يؤنس عليه السلام - من الهلاك وهو في ظلمات البحر وفي بطن الحوت ، لما علم صدقه في دعاه . (لا اله إلا أنت سبحانه اني كنت من الظالمين)

الأمر الثاني : طول الموضوع ، إذ ما عرفت أن كل فصل من فصوله يحتاج إلى رسالة مستقلة إلا في أشياء البحث ، وسيعرف القارى هذا من خلال الرسالة .

الأمر الثالث : صعوبة الموضوع ، فإن ابن الوزير نهج منهج أهل الكلام ، والجدال في مسائل العقيدة وغيرها إذ كان مجيبا على خصمه المعترض بكتابه (العواصم والقواصم) ومختصره (الروض الباسم) .

والمجيب عند أهل الجدال ، إنما يقف آثار من ابتدأه ، ويتكلم على كلامه بمقتضاها ، فلا يصح عندهم إذا سلك المبتدئ المسالك الخطابية أو الجدلية ، أن يجاب بالأدلة القطعية والبراهين القوية ، والغرض عندهم من الجدال إلزام الخصم من معتقده أو قواعد مذهبه ، أو افحامه أو إرباكه إن كان قاصرا ، وهو يبنى - عندهم - على مقدمات مسلمة عند الخصمين أو أحدهما أو عند الناس ، وسواء كانت حقة أو باطلة من غير بيان المختار ، وهذا ما سلكه ابن الوزير - غالبا - في عواصمه وروضه ، وهذا من الغريب على .

ومن كانت هذه طريقته ، فمن الصعب معرفة عقيدته ، وقد لا يصدق هذا من

لم يمارس أساليب القوم وقد يما قيل :
لا يعرف الشوق الا من يكابده ه ه ولا الصبابة الا من يعانيتها (١)
وهذا المنهج كت أنفر وأنفر عنه أثناء دراستي الجامعية للمسائل العقيدية ،
على منهج أهل السلف ، المعتمد على الآيات والأحاديث الصحيحة ، والآثار عن
الصحابة والتابعين ، الواضحة وضوح الصبح الصادق ، البعيدة عن الطرق الملتوية
التي لاتصل الى المطلوب .

الأمر الرابع : ما كنت أتصور ابن الوزير - رحمه الله - بهذه المكانة العلمية ، في شتى
الفنون ، لأننى لم أطلع على هذه الأساليب أثناء اطلاعى على مقدمة (الروض الباسم)
لأنها قراءة سطحية سريعة ، ومقدمة (ايثار الحق على الخلق) وهذا يكاد أن يكون
خاليا من الأساليب الكلامية الجدلية .

الأمر الخامس : عدم حصولى على تراجم تستوفى حياة ابن الوزير ، وخاصة مرحلته
الأولى ، لأن أهل بلده أهملوه ، ولذلك لم تنشر مصنفاته كما نشرت مصنفات الصنعاني
والشوكاني ، وإذا كان كذلك فمن الذى ينقل أحواله الى الآخرين ؟ ، وعليه فلا غرابة
إذا جهل الناس حاله .

ولقد جهلتى بعض أهل العلم لما سألتنى عن مصنفات ابن الوزير ، فأجبت بأن اعظمها ،
وأهمها (العواصم والقواصم) فقال لى عن فوره : أنت أجهل من ... هذا لابن
العربي فانظر كيف فاته ضبط الفرق بين اسمى الكتابين . ومن قال مثل هذا ببعض
كبار العلماء لكن بأخلاق العلماء وأساليبهم .

والغرض من ذكر هذا أن معظم مؤلفات ابن الوزير غير معروفة بين الأوساط
العلمية فتعرف آراؤه منها ، وإن وجد القليل فهو غير مشهور ولا مدرس .

الأمر السادس : عدم حصولى على نسخة كاملة واضحة من مصورات (العواصم والقواصم)
الذى اشتمل على معظم علوم ابن الوزير .

الأمر السابع : عدم حصولى على تصوير ولو بعض المخطوطات من مؤلفات ابن الوزير ،
الموجودة فى مكتبتى جامع صنعاء ، فلقد أنشأت ثلاث سفرات من مكة المكرمة الى صنعاء
للخبر بنفسه ، فلم أحصل على شئ سوى المعاذير من بعض المسئولين ، ومواعيد

(١) الصبابة ، رقة الشوق ، أو رقة الهوى ، كما فى القاموس المحيط للفيروز آبادى ج ١
ص ٩١ - الناشر مؤسسة الحلبي القاهرة .

(١) عرقوب من البعض الآخر .

ولا يسعنى الا أن أحكى بعض ما شكاه الشوكانى - إذ كان صريحا - فى كتابه (البدر الطالع) أثناء ترجمته لبعض علماء اليمن ، لما لم يجد تراجم واقية ، إذ يقول : (إن الزيدية مع كثرة فضلائهم ، ووجود أعيان منهم فى كل مكرمة على تعاقب الأعصار - لهم غاية كاملة ورغبة وافرة فى دفن محاسن أكابرهم ، وطمس آثار مفاخرهم) (٢) والله المستعان .

الأمر الثامن وهو أمرها : وهو أن البياض قد حط بعارضى رحله ، وملك يد الضعف زمام قواى ، وكأننى المعنى بقول الشاعر :

وهت عزماتك غد المشيب * * وما كان من حقها أن تهى (٣)

لهذا أقدم الى القارىء اعتذارى من خلل يراه - ان لم يكن منى كفرسى رهان ، فى هذا الاعتذار ، أو سبقنى فى هذا الميدان - أن يسده بإحكام ، دون عتاباً وملام . أما من كان كذلك ، فلعله أن يعتبر بواقعه وتجاريه ، فيقدر من هذا حاله . بكسر الله خيراته .

ولولا ما بى من الطموح فى طلب العلم - بعد عون الله تعالى وتوفيقه - لما بلغت المنزل . ألا ليت الشباب يعود يوماً * * فأخبره بما فعل المشيب (٤) ولكن هذه بضاعتى مسوقة إليك ، وهذا فهمى معروض عليك ، لك غنمه وعلّى غرمه ، ولك ثمرته وعلّى تبعاته ، فان عدم منك شكراً فأرجو ألا يعدم منك عذراً ، وإن أبيت الا اللوم فبابه واسع مفتوح ، وعزائى أنى من البشر ، فمن ذا الذى ما وصم ، غير سيد البشر .

(١) مثل يضرب به فى خلف الوعد - وهو أن صديقا أتى عرقوبا هذا يسأله فقال له عرقوب : إذ أطلعت هذه النخلة فلك طلعتها ، فلما أطلعت قال : دعها حتى تصير بلحا ، فلما أبلحت قال : دعها حتى تصير زهوا فلما زهت قال : دعها حتى تصير رطباً ، فلما أرطبت قال : دعها حتى تصير تمراً ، فلمّا أتمرت عمد اليها عرقوب من الليل فجدّها ، ولم يعط السائل شيئاً .

(أنظر مجمع الأمثال لابی الفضل أحمد بن محمد الميدانى سنة ١٨٥٥ هـ ج ٢ ص ٣١١ تحقيق محمد محى الدين ، مطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٧٤ هـ .

(٢) البدر الطالع فى محاسن من بعد القرن السابع لمحمد بن على الشوكانى سنة ١٢٥٠ هـ ج ١ ص ٥٩ - ٦٠ مطبعة السعادة طأولى سنة ١٣٤٨ هـ .

(٣) أنظر مجمع الأمثال للميدانى ج ١ ص ٥ تحقيق محمد محى الدين مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٤ هـ .

(٤) البيت لابی العتاهية شاعر شعراء العصر العباسى وهو من شواهد ابن هشام أنظر قطراندى له مع الشرح لمحمد محى الدين ص ١٤٨ مطبعة السعادة بمصر

من حوافز البحث :

- ١ - اطلاعى على (الروض الباسم فى الذب عن سنة أبى القاسم صلى الله عليه وسلم) لابن الوزير ولكن اطلاعا سطحيا . وكان لهذا العنوان الأثر البالغ فى نفسى لأن هوايتى كانت تميل الى التخصص فى الكتاب والسنة .
- ٢ - اطلاعى على (ايثار الحق على الخلق فى رد الخلافات الى المذهب الحق من أصول التوحيد) لابن الوزير منذ زمن ثم جددت الاطلاع السريع تحت ظروف قاسية .
- وبعد اطلاعى عليه جذبنى أسلوبه جذبا شديدا حتى تقدمت باختيار هذا الموضوع ، ولم أدرعا فى (العواصم والقواصم) لابن الوزير .
- ٣ - تشجيع بعض المشائخ بقوله : ألا تكتب عن عالم من علماء اليمن .

أهداف البحث :

- ١- أريد أن أعرف مدى تطابق اسم الكتابين المذكورين على مساهما ، ثم بيان ذلك لغيرى .
- ٢- أريد أن أعرف عقيدة ابن الوزير الذى رشأ بين الزيدية فى صنعاء ثم أبين ذلك للناس فقد قال لبعض العلماء إنه معتزلى ، وبعضهم قال إنه شيعى والحكم بهذا على مثل ابن الوزير ينبغى أن يصدر من خبير .
- ٣ - بيان ما عاناه ابن الوزير فى حياته العلمية ومدى نجاحه من عدمه فى خوضه المعارك الكلامية مع خصومه الزيدية وبيان أسباب تلك المعارك الكلامية ، وأهدافها ، ونتائجها .

أهمية البحث :

هذه الحوافز والأهداف ترشح الموضوع أن يكون ذا أهمية ، تستحق البحث - بغض النظر عن كونى أوفيت المقام حقه أولا ، فان من أفنى معظم حياته العلمية فى الذب عن سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام - ونشرها والدفاع عن أعراض أكابر حملتها ، وأناضل الأمة ، والمناضلة لأهل البدع ، ونشر سائر العلوم الشرعية كما قال الشوكانى (فى أرض لم يألف أهلها ذلك لاسيما فى تلك الأيام)^(١) من كانت هذه حاله فهو جدير بدراسة حياته وآرائه وبعبثرة مقبورها وما اندثر منها .

(١) البدر الطالع للشوكانى ج ٢ ص ٩٢ مطبعة السعادة ط أولى ١٣٤٨ هـ

منهجي في البحث :

- ١ - تتبعت كلام ابن الوزير وأسندته الى مصادره الأصلية ، فكلام المحدثين أسندته الى كتبهم ، وكلام الفقهاء أسندته الى كتبهم ، والكلام الى كتب الكلام وهكذا ، إلا النادر من كلامه الذي يشير الى مصدره ولم أجده فيه .
- ٢ - حاولت قدر الامكان عرض أفكار ابن الوزير بأسلوب خال عن مصطلحات أهل الكلام والجدال ، ماعدا المعارك الكلامية بين ابن الوزير وخصومه - فلم أجد بدا من استخدام لغة القوم ، على مضض من محاسنهم .
- ٣ - حاولت المقارنة - قدر الامكان - بين كلام ابن الوزير وبين سائر أئمة السلف وخاصة شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وابن كثير ، فقلما تجد رأيا لابن الوزير إلا وهو مدعم برأي ابن تيمية وغيره من أئمة أهل السنة والجماعة ، وهذا هو المنهج التاريخي المقارن .
- ٤ - وأحيانا أثبت رأي ابن الوزير في مسألة ما، ثم أدعاه بأقوال من سبقه من أئمة الحديث وأهل السنة والجماعة . كما فعلت في مبحث الأسماء والصفات ، فقد أكثر من ذلك بما يوهم التكرار ، وقد ركزت على هذا المبحث لما يترتب عليه من الأهمية مع التعرض لمعظم آراء ابن الوزير في مسائل العقيدة ، والقواعد العامة ، وضمنت منهجه ومميزاته كثيرا من آرائه المتناثرة .
- ٥ - اذا وجدت حديثا غير محكوم عليه - في غير الصحيحين - لا تطمئن نفسي حتى أجد الحكم عليه من أئمة الحديث الأعلام .
- ٦ - اذا لم أجد ذلك أبحث سند الحديث المطلوب ، حتى أقف على ما قيل في رجاله من مقال لأهل هذا الشأن . وبناء على قواعدهم التي وضعوها أستطيع الحكم على السند ، علما بأن الحكم على صحة السند لا يستلزم صحة المتن كما تقرر/ أما الحكم على المتن فهذا يكاد أن يكون متعسرا أو متعذرا عند بعض أهل هذا الفن - كما سيأتي بيانه - غير أنني تجا سرت أو تطفلت في بعض الحالات - وهذا قليل جدا - على الحكم على المتن ، ولكن بعد جهد شاق وطويل .

- ٧ - إذا لم أقف على شيء من كلام أئمة هذا الشأن ينص على درجة الحديث ، وعجزت عنه نقلته وعزوته الى مصدره ولزمت السكوت ، وبهذا أكون برئت من المهلل ، فقد نهج هذا المنهج فطاحل من العلماء كما هو معروف .
- ٨ - أقتطف الشواهد ، أحيانا - من النصوص للاكتفاء ولا اختصار كما فعل البخارى فى صحيحه ، وغيره .
- ٩ - سلكت - غالبا - عند الاستدلال بالنصوص المذهب القائل : العبرة بعموم اللفظ ، لا بخصوص السبب .
- ١٠ - سلكت أسلوب الأدب واللين - عند اختلاف وجهات النظر بينى وبين ابن الوزير وغيره من علماء الاسلام والمسلمين لأنا بالنسبة لهم كالحثالة ، بل نحن عالة عليهم رحمهم الله وجزاهم عن الاسلام والمسلمين خيرا الجزاء .
- ١١ - تكرار النصوص بأنواعها عند الحاجة والمناسبة اقتداء بأئمة الحديث وغيرهم من علماء الاسلام .
- ١٢ - أكثر من الإحالات فى كثير من المناسبات للأغراض الآتية :
- أ - الربط بين القضايا والمسائل السابقة واللاحقة فى نفس الرسالة .
- ب - تغاديا لكثرة التكرار .
- ج - قصد الاختصار .
- بيان ذلك أن أى نقطة فى البحث - مثلا - قد سبقت مستوفاة ، فأقول : قد سبق هذا فى موضع كذا
- أو أن نقطة من البحث عرضت فى فصل من الفصول والأليق باستيفاء الكلام عليها فيما بعد فأقول : وسيأتى هذا مفصلا فى كذا .
- وهكذا وأرجو الله أنى ونقت فى هذا .
- ١٣ - إذا أطلقت شيخ الاسلام فالمراد به أبو العباس أحمد بن تيمية ٧٢٨ هـ .
- ١٤ - إذا أطلقت الحافظ فالمراد به أحمد بن حجر العسقلانى ٨٥٢ هـ .
- ١٥ - إذا أطلقت القاموس فالمراد به القاموس المحيط للفيروز آبادى .
- ١٦ - إذا أطلقت المصباح فالمراد به المصباح المنير للفيومى .
- ١٧ - أحيانا أذكر المرجع والمؤلف فى الصلب ، ثم أشير الى الجزء والصفحة فى الهامش ، وقد أذكر المؤلف فى الصلب ثم أشير الى المرجع فى الهامش .

- ١٨ - اكتفيت ببيان المعلومات عن المصادر عند أول ذكرها في البحث وإذا ثمة نقص فهو مستوفى في قائمة المصادر .
- ١٩ - حاولت قدر الطاقة ترتيب الأفكار باعتبار الزمن ، مالم تكن نصوصا لغيري فأنقلها كما هي ، وقد تتسجم الأفكار دون ترتيب الزمن .
- ٢٠ - أثبت تاريخ الوفيات لمعظم الأعلام الذين ورد ذكرهم في الرسالة ، لما يترتب على ذلك من الفائدة للباحث .

تقسيم البحث :

وقد قسمت الرسالة الى مقدمة ، و ثلاثة أبواب وخاتمة .

الباب الأول : ترجمة ابن الوزير ، وفيه مباحث :

الأول : ذكرت فيه : مولده - اسمه - نسبه - كنيته - لقبه .

المبحث الثاني : مكانة أسرته العلمية وشهرتها بذلك قديما وحديثا ،

وأن المكتبات الاسلامية وغيرها تزخر بمؤلفاتهم المخطوطة منها والمطبوعة .

ثم أشرت الى مكانة آل الوزير السياسية في الأوساط اليمنية ، منذ عهد الامام العفيف الجد الخامس لابن الوزير .

كما أشرت الى نشأة آل الوزير ، وأنه نبغ منها أئمة مؤلفون .

ومجتهدون وسياسيون ، ولا تزال تحتفظ بمكانتها السياسية داخل اليمن ،
وخارجه الى يوم الناس هذا .

ثم أشرت الى نشأته فى أسرة مرموقة ، لها مكانتها العلمية والسياسية .
وأول ابن الوزير نشأ مع ذلك بين كراسى العلماء ، وتربى بين أعينهم ، ولم
يزل - منذ عرف شماله من يمينه - مشغرا فى طلب العلم ، متنقلا فى رتبة
الشيخوخ .

المبحث الثالث : حياته العلمية وقد قسمتها الى مراحل ثلاث :

الأولى : مرحلة الطلب المبكر ، وهو البحث عن العلوم العقلية ، بعد حفظ
القرآن الكريم ، وبعض المتنون ، وفى هذه المرحلة استغرق حدة
نظره وباكورة عمره فى البحث عن الكلام والجدال ، والنظر فى مقالات
أهل الضلال .

وسبب ذلك أن أول ما قرع سمعه ، ورسخ فى طبعه وجوب النظر
وان من قلد فى الاعتقاد فقد كفر ، وما زال يرى - على حد تعبيره -
كل فرقة من المتكلمين تداوى أقوالا مريضة ، وتقوى أجنحة مهيضة ،
فلم يحصل من ذلك على طائل ، وتمثل فيهم قول القائل :
كل يداوى سقيما من مقالته * * فمن لنا بصحيح ما به سقم

المرحلة الثانية : الرجوع الى دراسة الكتاب والسنة بعد أن قال فى نفسه لا بد
أن تكون فيهما براهين وردود على مخالفى الاسلام ، وارشاد ، وتعليم
لمن اتبع الرسول - عليه الصلاة والسلام - فتدبر ذلك ، فوجد
الشفاء كله ، وانشرح صدره ، وصلاح أمره ، وزال - على حد تعبيره -
ما كان مبتلى بها ، وأنشد ممتثلا :

فألقت عصاها واستقر بها النوى * * كما قرعينا بالارباب المسافر^(١) .

المرحلة الثالثة : مرحلة التأليف ، والمناظرات ، والمراسلات ، بل الجوابات ،
فى الدفاع عن السنة النبوية الصحيحة ، اذ ترسل عليه شيخه ،
وألد خصومه برسالة لم ينصف فيها - حينما أعلن ابن الوزير الاجتهاد
ورفض التقليد ، والتمسك بالسنة النبوية الصحيحة - لما فيها من
الطعن فى السنة الصحيحة ، وفى كثير من قواعد العلماء .

وفى هذه المرحلة اكتملت شخصيته العلمية ، وزاع صيته بين العلماء
(١) البيت لمعقر بن حمار البارقى كذا فى نوادر المخطوطات مجموعة
أولى ج ١ ص ٣٢٠ تحقيق عبد السلام هارون

الأكابر والأصاغر ، الى حد وصفه به الشوكاني اذ قال : (ان الذى يغلب على الثن أن شيوخته لو جمعوا جميعا فى ذات واحدة ، لم يبلغ علمهم (١) الى مقدار علمه . . . ولوقلت : ان اليمن لم ينجب مثله ، لم أبعد عن الصواب) وكانت ثمرة دفاع ابن الوزير تأليف (العواصم والقواصم فى الذب عن سنة أبى القاسم صلى الله عليه وسلم) فى تلك الجبال العوالى والاودية الخوالى .

المبحث الرابع : تحدثت فيه عن الحالة الدينية والثقافية ، والخلافات العقدية بين الطوائف اليمنية الاسلامية وغيرها منذ أواخر القرن الثالث الهجرى لما بثت الدعوة الباطنية سمومها فى معظم المناطق اليمنية ، عن طريق دعائها الملحدين المحرفين للشريعة الاسلامية ، كما أرسى الزيدية دعائمها فى (صعدة) وضواحيها ، مع ما تحمله من الاعتزال ، وكما ظهرت الأشعرية فى بعض المناطق الأخرى .

وقد بلغت النزاعات الطائفية بين أتباع الأئمة الأربعة - فى اليمن - أوجها ، بشتى أنواعها ، وبين الزيدية أنفسهم فى مسألة الإمامة وما يتعلق بها . وكانت العلوم العقلية - فى نظر أصحابها - السلاح الذى لا يكل حده فى معترك الانظار ، أما العلوم السمعية فهى شعار البلداء والمغفلين وهكذا دواليك حتى عصر ابن الوزير ، ولما اشتد الخطب وعظم الهول نهض يدعو الى الرجوع الى كتاب الله وسنة رسوله ، اذ فيهما هداية البشرية ، وكل ما تحتاج اليه فى معاشها ومعادها ولا مانع من استخدام العقل فيما له فيه مجال . كما نهض ابن الوزير يدعو الى ترك الاساليب المنطقية اليونانية ، لما فى القرآن الكريم من الغناء الكامل عن تلك المصطلحات اليونانية ، وأنه أساس لاستباط البراهين العقلية ، وصنف كتابا بعنوان (ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان) .

ثم تحدثت عن حركة التأليف فى عصر ابن الوزير ، وأشارت الى بعض كبار المؤلفين اليمنيين من أوائل القرن الثانى الهجرى الى عصر ابن الوزير من الشافعية والحنفية والزيدية ورتبت المؤلفين الذين عاصروا ابن الوزير فى قائمة حسب وفياتهم ، وذكرت نماذج من مؤلفاتهم مع ذكر أماكن المخطوطات وأرقامها .

ثم تحدثت عن مكانة العلم والعلماء فى عصر ابن الوزير ، ومناقشة الأئمة

(١) البدر الطالع للشوكاني ج ٢ ص ٩٢ .

الزيدية والباطنيين الرسولية وغيرهم في ذلك .
ثم تحدث عن الحالة الخاصة بابن الوزير ، وأنها مكونة من الحالة الثقافية
والنفسية ، والسياسية المشوبة بشيء من المبالاة في الدفاع عن إمام عصره .
المبحث الخامس : الحالة السياسية في عصر ابن الوزير ، أشرت فيها إلى الشرارة
الأولى للصراع الدامي هي الصراعات العقدية ، وذكرت الدويلات التي تعاقبت
في اليمن بالدويلات على أهلها منذ مطلع القرن الثالث الهجري إلى عصر
ابن الوزير بين سلاطين آل اليمن الأسفل وأئمة الزيدية من جهة ، وبين هؤلاء
والباطنية من جهة أخرى بل كانت الحرب تشتعل بين الأخوة ، وأبناء العم ،
بل بين الآباء ، والأبناء من أئمة الزيدية .
ثم ذكرت أهم الأحداث السياسية والدامية في عصر ابن الوزير التي أسفرت
عن نصر الإمام الذي كان يواليه ابن الوزير وهزيمة منافسه على عرش الزيدية
في صنعاء ، وأحد خصوم ابن الوزير .

المبحث السادس من شيوخ ابن الوزير : وقد رتبته في قائمة على حسب الوفيات ، وترجمت
لكل منهم ترجمة موجزة وذكرت بعض من ترجم لابن الوزير مرتبا إياهم على حسب الحروف
الهجائية .

المبحث السابع : تلاميذه : وقد رتبته تلاميذه على حسب الحروف الهجائية
أيضا ، ولم أتمكن من ترجمتهم فاكفيت بالأحالة على (طبقات الزيدية) .

المبحث الثامن مؤلفاته : وقد وضعتها في قائمة على حسب الحروف الهجائية ،
المطبوعة منها والمخطوطة مع الإشارة إلى المكتبة الموجودة فيها ، وأرقامها وذكرت
بعض مميزات قالها بعض العلماء فيها ، واقتطفت من بعضها مقتطفات يسيرة
بعضها من أول المخطوطة ، وبعضها أشرت إلى مضمونها ، وبعضها غير صحيحة .
النسبة إلى ابن الوزير كما بيته .

المبحث التاسع : ثناء العلماء عليه وإبتعادا عن تهمة التعصب ، حكيت كلام العلماء
المعتبرين من المتقدمين والمتأخرين . كالحافظ ابن حجر العسقلاني ، وتلميذه
السخاوي ، والمؤرخ البريقي ، والأمير الصنعاني ، والإمام الشوكاني . وغيرهم من
شيوخ ابن الوزير وتلاميذه ، مرتبا إياهم على حسب الوفيات .

المبحث العاشر : عزلته الأخيرة التي صنف فيها (أنيس الأكياس في الاعتزال عن الناس)
وكتاب (العزله) و (إيثار الحق على الخلق) وهو آخر مصنفاته وذكرت المبررات

التي يراها ابن الوزير للعزلة في بعض الأوقات والأزمات مع الإشارة الى بعض الأدلة من الكتاب والسنة على ذلك ، وأن هذه العزلة ليست من نوع اعتزال أهل التصوف الذين لا يرون النظر ، وطلب العلم ، ثم ذكرت وفاته — رحمه الله — في هذه العزلة عن عمر بلغ أربعاً وستين سنة وسبعة أشهر إثر موجة من الطاعون اجتاحت معظم اليمن .

المبحث الحادى عشر : منهجه العلمى ، تحدثت فيه عن منهجه فى (العواصم)
ومختصره (الروض الباسم) .

وأنه سلك مسلك المناظر الذى يسلك طريقة من ابتدأه ، ويتكلم بلغته واصطلاحه ثم المنهج المتبع فى أساس المناظرة ، والمراسلة ، وهو ايراد كلام الخصم أولاً ، ثم التعرض لنقضه ثانياً .

كما ذكرت طريقة أخرى يسمونها التفرع بالكلام ، على سبيل الموعظة مع ذكر الشروط المتبعة فى هذا .

أما كتابه (ايثار الحق على الخلق) فقد نهج فيه غير هذا المنهج الجدلى ، لأن قسوة طباعه من آثار الكلام والجدال قد هدأت ، وأثار عاطفته الدينية ما رآه من التباعد والتباغض والتفسيق والتكفير بين طوائف المسلمين المختلفين فى أصول الدين ، فقد حاول التوفيق بين الأقوال ، ورد الخلافات الى المذهب الحق .

ثم تحدثت عن عوامل الاختلاف فى نظر ابن الوزير ، كما بينت أن ابن الوزير سلك طريقة السلف فى العقيدة ، اذ جعل الكتاب والسنة المصدر الاساسى لاستنباط العقائد ، والوقوف عند المماثلة ، الذى لا يعلمه الا الله — وخاصة مبحث الاسماء والصفات — ومنه الكلام فى ذات الله عز وجل — على جهة التصور أو الاحاطة والقول بعدم المجاز الا عند وجود احدى القرائن الثلاثة المقررة .

كما بينت أنه سلك فى اثبات وجود الله تعالى طريقة القران طريقة السلف الصالح ، وهى دلالة الفطرة ، دلالة الأنفس — دلالة الآفاق ، دلالة المعجزات ، وقد ضمنت منهج ابن الوزير هذا كثيراً من آرائه المتناثرة فى العقيدة وغيرها ، ومن ذلك منهجه فى التفسير ، والتعريف بمراتب المفسرين ، ومراتب التفسير وما يتعلق بذلك .

المبحث الثانى عشر : مميزات الفكرية ، وقد بينت فيه أنه يذكر كلام خصمه ، ثم ينسفه

نسفا ، لكثرة ما يورد عليه من الاشكالات المحيرة ، والمعارضات الشديدة ، والتبسيهات اللاذعة ، والحجج القوية ، يورد فى المسألة الواحدة ما يبهزل قلب قارئه ، من ذلك مسألة قبول خبر فساق التأويل وكفاره ، أتى فى ذلك بالعجب العجائب .

ثم أشرت الى أنه جمع فى مسألة القدر ووجوب الايمان به سبعة وعشرين حديثا ومائتى حديث ، كما ذكرت أنموذجا من كلامه فى الأفعال والدواعى المتعلقة بمسألة القدر ، وسط الكلام فى اثبات الروئية فى مقدار ثمانين ورقة فى (العواصم) ونقل ٤٩ صفحة عن ابن القيم من (الحادى) ، وأورد فى ذلك سبعة وعشرين حديثا . وأورد فى إثبات حكمة الله تعالى فى أقواله وأفعاله ما يقارب مائة آية فى (العواصم) كما ذكرت أن ابن الوزير اذا تكلم فى المسألة الواحدة أشبعها بحثا ، لا فى علم من العلوم فحسب ، بل فى علوم شتى . وأنه اذا تكلم فى فن من الفنون ظن القارئ أنه لا يجيد غيره حتى اذا انتقل إلى فن آخر يتعلق بالمسألة ذاتها يظن القارئ ما ظنه أولا ، وهكذا كما قال الشوكانى : (وهو - أى ابن الوزير - اذا تكلم فى مسألة لا يحتاج الناظر بعده الى النظر فى غيره فى أى علم كانت) . (١) كما أشرت الى أنه متأثر بكلام شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم لكثرة ما ينقله ويحكيه عنهما . فقد ينقل عن ابن تيمية فى المسألة الواحدة ما يقارب سبعين صفحة .

وأشرت الى أمانته العلمية فى النقل والدقة وعمق التفكير ، والتصنيف من حفظه غالبا ، وثقته بنفسه وتطبيق المبدأ القائل : لا عبرة بمن قال ، وانما العبرة بما قال ، كاشا من كان ، والحق يعرف بالمقال لا بالرجال .

الباب الثانى : الفرق الدينية فى عصر ابن الوزير : وفيه فصول :

الفصل الأول : التفرق وأخطاره المؤدية الى التفسيق والتكفير .

ذكرت فيه لمحة ضمنيتها خطر التفرق وأسبابه - فى نظر ابن الوزير - وأن الذى وسع دائرة الخلاف بين طوائف المسلمين هو :

- ١ - البحث عما لا يعلم ، والسعى وراء ما لا يدرك فى الطريق التى لا توصل الى الغرض
- ٢ - تفسيق وتكفير الطوائف بعضها بعضا ، نتيجة اعتقاد كل طائفة أنها على الحق وأن غيرها على الباطل .

(١) البدر المطالع للشوكانى ج ٢ ص ٩١

٣ — تعلق أهل الزيغ والابتداع بالمتشابه ، وجعله دليلا على ما هم عليه من
ابدع ، مع جدالهم عنه أشد الجدال .

ثم أشرت الى العوامل الرئيسية للابتداع فى نظر ابن الوزير وهى :
١ — تكذب طريقة السلف الصالح ، طريقة القرآن الكريم ، والسنة النبوية الصحيحة ،
والفطرة التى فطر الله الناس عليها .

٢ — الزيادة فى الدين بتجويز المبتدعين خلو كتاب الله عز وجل ، وسنة رسوله
عليه الصلاة والسلام — عن بعض مهمات الدين اكتفاء بدرك العقول لها — كما
يزعمون — ولو بالنظر الدقيق .

٣ — النقص من الدين برد النصوص والظواهر الى المجاز ، بدون موجب قاطع للتأويل .
٤ — التصرف فى عبارات الكتاب والسنة ، بالعبارات المبتدعة وسيأتى هذا مفصلا
فى (موقف ابن الوزير من الابتداع (٠٠٠) .

ثم ذكرت حديث افتراق الأمة بعدة ألفاظ عن جماعة من الصحابة بما فيه
زيادة (كلها فى النار الا واحدة) .
وأشرت الى ما قيل فيها من التصحيح والقدرح بايجاز وأن ابن الوزير قدح فيها
قدحا شديدا ، وتجاوزت المسألة لعدم وقوفى على قدح ابن الوزير ، ثم وقفت
عليه بعد البحث الشديد ، وليتنى لم أقف عليه ، فقد كلفنى وقتا وجهدا — بعد
انتهائى من كتابة الرسالة — لا يعلمه الا الله عز وجل ولولا الأمانة العلمية وأداؤها
لاكتفيت بما سبق ، ولتركت الاستدراك ، ولكى حاولت — قدر الطاقة — تحقيق
الكلام ، فأتسع البحث ، وقادنى الى مالم يكن فى الحسبان وهى مسألة التكفير الخطيرة .

ثم تحدثت عن حكم أصحاب البدع المستتب من زيادة (كلها فى النار
الا واحدة) وهل البدع تخرج أصحابها من الملة أولا؟ ، وهل المراد بالأمة
فى قوله عليه الصلاة والسلام (وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة) هى أمة
الدعوة أو أمة الاجابة ؟ وهل هذا الوعيد للثنتين والسبعين فرقة — على القول
بصححة الزيادة المذكورة — يقتضى التأييد أم لا ؟

وانا أقيل ، إنه غير أبدى هل هو نافذ ، أم فى المشيئة ؟ وقد بينت الأجوبة عن
هذه الأسئلة فى موضعها مع ذكر كلام بعض أهل العلم فيها .

ثم تحدثت عن مسألة التكفير ، وموقف ابن الوزير منها ، وتقسيمه التكفير ،

وأن المشكل عنده كفر التأويل لمن التزم بأركان الاسلام ، وأنه حصل له التوقف ، وعدم التكفير ، وأيد ذلك بعدة وجوه ذكرت البعض منها بإيجاز .

ثم ذكرت الأطراف المتنازعة في المسألة وتفصيلاً لابن تيمية .
ثم حققت الكلام في المسألة ، توصلت الى تصحيح الزيادة التي قدح فيها ابن الوزير ومن معه . والى التوفيق بين الأدلة ، والقواعد التي ذكرها ابن الوزير ، وبين الزيادة المذكورة التي ظاهرها التعارض لعدة وجوه ذكرتها هناك .

ثم أشرت الى من يستحق التكفير ممن لا يستحقه ، بالاطلاق لا بالتعيين كما هو مذهب السلف . ثم ذكرت تنازع الفرق الاسلامية على الفرقة الناجية المشار اليها في حديث افتراق الأمة .

ثم أشرت الى الضوابط التي تميز بين الطوائف الاسلامية ، ثم الى فصل النزاع بين الطوائف المذكورة بالفصل النبوي من هم يارسول الله ؟ (من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي) .

الفصل الثاني السلفية في اليمن — وقد أشرت الى فضائل أهل اليمن ، وبعض أعلام الحديث منهم ، ومن تخرج منهم في علم الحديث على أيدي بعض الصحابة وخلفهم جماعة من التابعين من أهل اليمن ، ولا زال هذا العلم منتشرًا في مدن اليمن وسواحلها وجنوبه حتى ما قبل عصر ابن الوزير فحلت العلوم العقلية مكان السمعية ، وبلغ الخلاف والجدال القمة ومعظم الطوائف تخطى بعضها بعضًا ، وتكفرها لما تنكب معظمهم المنهج السلفي وجنحوا الى التعصب ونبد الاجتهاد ، وكاد أن ينطفئ نور الحق ، ثم تحدثت عن موقف ابن الوزير من الانحراف عن منهج السلف .

ثم تحدثت عما قام به ابن الوزير من التجديد والدعوة الى كتاب الله — تعالى — وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، وترك التعصب والجمود ، وحمل لواء الاجتهاد ، ثم أشرت الى ما حصل له من المشاق في سبيل ذلك وما حصل له من الانتصار بعون الله تعالى .

الفصل الثالث المعتزلة : وموقف ابن الوزير منها تحدثت عن ظهورها في اليمن ، ومتى تسربت اليه وعلى يد من ؟ كما ذكرت أصولهم الخمسة المعروفة ، وأجلت موقف ابن الوزير منهم لفصل (الزيدية) لما بينهما من الارتباط القوي بالاتفاق .

الفصل الرابع : الزيدية في اليمن وموقف ابن الوزير منها : بينت من هم الزيدية ، ومتى اطلق عليهم هذا اللقب ، وهل الزيدية في اليمن هم الاصل ، أم غيرهم ، وإذا كانت الثانية فمتى دخلت اليمن ، ومن الذي أسسها ونشر أفكارها ، وهل كانت لهم دولة ؟ .

ثم تحدثت عن فرق الزيدية في اليمن ورجحت أنها من الشيعة وبينت أصولهم الخمسة وهي أصول المعتزلة ذاتها ما عدا المنزلة بين المنزلتين عند المعتزلة فقد استبدلها معظم الزيدية بمسألة الإمامة ، وبينت موقف ابن الوزير من كل أصل من أصولهم الخمسة وأن موقفه موقف أهل البينة والجماعة ما عدا الاصل الرابع المختلف فيه بين المعتزلة والزيدية وهو الإمامة . فلا ابن الوزير آراءه الخاصة وستأتى في فصل خاص من الباب الثالث ان شاء الله .

وقد عقدت مقارنة بين المعتزلة والزيدية ، كانت نتيجتها أن معتقدات الزيدية خليط من عقائد المعتزلة ، كما في أصولهم الخمسة ، ومن انشيعنة الإمامية القائلين بالنص على إمامة الثلاثة على والحسين ، والمعتزلة تقول طريقه الإمامة الاختيار كما تحدثت عن الارتباط بين المعتزلة والزيدية فوجدت المعتزلة هي الأم الحنون التي تفتت وتغذى الزيدية بأفكارها من مهدا إلى لحدها إلا أن شاء الله منهم فالزيدية في اليمن معتزلة في كل الموارد إلا مسألة الإمامة . أما في الفروع فهم لها نية - غالبا - وفيهم أئمة مجتهدون .

الفصل الخامس : الأشعرية في اليمن وموقف ابن الوزير منها : وقد بينت فيه أطوار الامام أبي الحسن الأشعري الثلاثة وعقيدته في كل منها ، وجزمت بأن الأبانسة لأبي الحسن الأشعري بعد أن ذكرت البراهين على ذلك .

ثم تحدثت عن ظهور المذهب الأشعري في اليمن ، من الناحية التاريخية ، وذكرت الخلاف في ذلك .

ولم أجد لابن الوزير موقفا معينا مع أشعرية اليمن ، لأن معظمهم كانوا في سواحل اليمن وجنوبه ، تحكمهم دويلات خارجة عن حكم أئمة الزيدية في المناطق الجبلية .

أما موقف ابن الوزير العام من الأشعرية ، فله مواقف متنوعة . تارة يقف منهم موقف الحكم ، بينهم وبين خصومهم المعتزلة ، وتارة يقف موقف

المدافع عنهم ، وتارة موقف الخصم ، وتارة موقف المتألم المتحسر على الفرقة التي أدت الى التفسير والتكفير بين طوائف المسلمين .

وقد ذكرت مثالا واحدا من مواقف ابن الوزير من الاشعرية عموما ، وهو الكلام على حكمة الله تعالى مع ذكر معناها عند ابن الوزير وعند أهل الكلام مع مقارنة بين غلاة الاشعرية الذين رجحوا نفى الحكمة ، وغلاة المعتزلة الذين زعموا أنهم يعلمون تفاصيلها ، كما أشرت الى أن القدح في الحكمة عند ابن تيمية واتباعه ، يتطرق الى النقص في الربوبية ، وهذا يحتمل الكفر ويضارعه ، ثم تحدثت عن منهج ابن الوزير في اثبات الحكمة ، بالنصوص القرآنية والاسماء الحسنى وأسئلة وجوابات . من ذلك ماورد في تعليل خلق السموات والأرض ، وما ورد في تعليل العذاب بالأعمال والاستحقاق ذكر ابن الوزير في (العواصم) أكثر من مائة آية كلها تدل على اثبات حكمة الله تعالى ، ومن ذلك الآيات الدالة على أنه لا يكون في مخلوقات الله تعالى شر من جميع الوجوه بل لا بد من خير كامن في ذلك الشر . ثم ذكرت نماذج من السنة النبوية الصحيحة الدالة على ذلك .

كما تحدثت عن مناقشة ابن الوزير لأدلة نفاة الحكمة ورجحت أنه لا وجه لنفاة الحكمة في استدلالاتهم على نفى الحكمة ، مدعما ذلك بقول كبار المفسرين ، ومن حججهم إيلام الاطفال والبهائم ، ودوام العذاب الأخرى ، وهذا معظم ما جرأهم كما في نظر ابن الوزير على القول بأن الله تعالى يريد انشر المحض لا لحكمة ولا غاية .

وهي حجج نفاة الحكمة شبيهة الاطفال الثلاثة ذكرتها على صورة مناظرة بين الأشعري والجبائي ، كان المنقطع فيها الجبائي .

كما ذكرت نقد ابن الوزير لهذه الافتراضات والوساوس ، وذكرت الدواء الذي وصفه ابن الوزير لهذه الأمراض .

ثم ذكرت الحكمة في خلق الأشقياء عند ابن الوزير ، وأنها ترجع الى سبعة أمور تفصيلية وأمر جملی .

ثم ذكرت حاصل المسألة .

الفصل السادس - الباطنية في اليمن وموقف ابن الوزير منها : بدأت بمقدمة تتضمن

فضائحهم ، واتفاق علماء المسلمين على تكفيرهم وكذبهم في انتسابهم لاهل البيت عليهم السلام .

ثم تحدثت عن ابتداء أمر الباطنية في اليمن على يد علي بن الفضل الحميري ومنصور اليمن بتوجيه من ميمون القداح المجوسى منطلقة من عند قبر الحسين بن علي بالعراق •

ثم تحدثت عن آثار علي بن الفضل السيئة ، وذكرت أنموذجا من كلامه ، أو من كلام شاعره ، وفيه إبطال الشريعة ، وتحليل المحرمات • ثم أشرت الى موته مسموما • ثم خلفه في الدعوة الى الباطنية الصليحيون ، وأعلنوها من حرار • ثم ذكرت مجمل تعاليم هذه الباطنية ، وأثرها السيء ، بمقتطفات من كلام الحمادى اليمانى •

ثم بينت مراحل دعوتهم الخبيثة ، وما يخدعون به عوام الناس بأقوالهم المزخرفة ، المحرفة لكتاب الله - عز وجل - على غير وجهه • ثم أشرت الى موقف ائمة الزيدية وغيرهم من الباطنية ، ثقافيا وعسكريا • ثم تحدثت عن موقف ابن الوزير منهم ، وهو موقف كل مسلم غيور على دينه وأمته ، وذكرت نماذج من تأويلهم الباطل لقرار ابن الوزير أثناءها أن كفرهم معلوم عند جميع المسلمين كما ذكرته عن علماء المسلمين في مقدمة هذا الفصل •

الباب الثالث : آراء ابن الوزير الاعتقادية ، وفيه فصول :

الفصل الاول : الالهيات ، وفيه تمهيد ومباحث .

أما التمهيد : فقد بينت فيه أن التدين أمر فطرى فى الانسان ، وأن الشياطين اجتالت الناس عن دينهم مع ذكر الأدلة الصحيحة على ذلك ، كما بينت أن الإقرار بالصانع أمر فطرى ، وأن الجحود أمر طارىء على الفطرة ثم أشرت الى شبهة الملحدين المنكرين وجود الله - عز وجل - ورددت عليهم من نوع ما يؤمنون به .
وأما المبحث الأول : فقد بينت فيه معانى الفطرة بيانا مستفيضا ، كما ذكرت أقوال الكثير من العلماء لمعانى الفطرة الواردة فى الكتاب والسنة ، مع مناقشة الأقوال وأدلتها ، وترجيح الراجح منها .

وبينت ما يتعلق بذلك من الكلام فى أولاد المشركين ، وترجيح ابن الوزير أنهم فى الجنة ، مع ذكر الأدلة الصحيحة الصريحة على ذلك .

كما تحدثت عن مسألة الامتحان يوم القيامة ، لمن مات فى الفترة ، والمجنون والهرم والصغير ، وكثرة الخلاف فى ذلك ، وأن بعض العلماء رجع انكارها ، لعدم صحة الأحاديث الواردة - عندهم - فيها ، ولأن الآخرة دار جزاء لا تكليف فيها ، ورجح بعضهم صحة ذلك ، لصحة الأحاديث الواردة فى ذلك .

ثم حاولت الجمع بين الأقوال لمعانى الفطرة ومتعلقاتها ، وأشرت الى منشأ الخلاف فى ذلك .

وهو أن بعض الأقوال مأخوذة من المعانى اللغوية ، وبعضها من المعانى الشرعية ، وبعضها متعلق بالقدر .

المبحث الثانى : طريقة ابن الوزير فى اثبات الصانع - أشرت فيه الى طرق اثبات

الصانع عند المتكلمين والصوفيين ، ونقد ابن الوزير وغيره لطريقة المتكلمين ، ثم أجبت على ما قد يرد على كلام ابن الوزير هنا من أنه ينكر النظر ، وكتبه مشحونة به ، من أنه إنما ينكر النظر الذى ليس للعقل فيه مجال ، وأنه ممن يستخدم النظر فى فهم النصوص ، وأن الفرق بين النظرين أن المتكلمين أول ما يبدءون به النظر ، وابن الوزير أول واجب عنده على المكلف الايمان بالله ثم يأتى النظر فى مراحل متأخرة ، ثم أشرت الى تأييد بعض العلماء اعتراض ابن الوزير لطريقة المتكلمين .

ثم ذكرت طريقة ابن الوزير فى اثبات الصانع ، وهى طريقة الأنبياء ، حيث وصفها بأنها أصح الطرق وأوضحها وقد صنفها الى أربع طرق وسماها دلالات ، وكلها دل عليها القرآن الكريم .

الاولى الفطرة : وقد سبق الحديث عنها ، وبدأ بها لأنها من أوضح المعارف ولذلك قال كثير من العلماء والعقلاء ، إنه ضرورى لا يحتاج الى نظر .

الطريقة الثانية : دلالة الأنفس لما فى الانسان من لطيف الصنعة وديدع الحكمة ، وذلك يدل على أن هنالك صنعا حكيما وقد ذكرت كثيرا من الأدلة التى ساقها ابن الوزير من القرآن الكريم على ذلك ، ثم أشرت الى أطوار الانسان المسلسلة من الطين الى أن يصير انسانا فى أحسن تقويم ، مع ذكر الأدلة على ذلك ، وأشارت الى خروج الطفل من ذلك المكان الضيق من غير اختيار من المولود والوالدة ، وهو فعل محكم لا بدله من فاعل مختار وغير ذلك من العجائب فى المراحل كما أشرت الى الرد على الطبائعيين القائلين بأن هذه المخلوقات موهبة الطبيعة ولو كان كذلك لجاز أن تكون لنا دور معمورة ، أو مصاحف مكتوبة ، أو ثياب محوكة أو حلى مصوغة بغير بات ولا كاتب ولا حائك ولا صانع ، ثم أشرت الى مميزات الانسان وأفضلها .

الطريقة الثالثة : دلالة الآفاق ، وهى على حد تعبير ابن تيمية وغيره دلالة الاختراع والعناية ، وبعضها فى لغة عصرنا ماتسمى بالطقس والأحوال الجوية وذلك ما يحدث ويتجدد فى العالم من طلوع القمرين والكواكب ، وغروبها ، والرياح والتجوم الثوابت منها والمعالم ، وتغير أحوال الهواء بالغيوم والصواعق والبروق المتتابعة المختلطة بالغيوم الثقال ، الحاملة للماء الكثير ، مع ذكر الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة ، وذكر أقوال بعض المفسرين لبعضها وهذه الأمور وغيرها من نظرفيها نظر عاقل منصف تحتم عليه التصديق بأنه لا صانع لها الا الله سبحانه وتعالى .

الطريقة الرابعة : دلالة المعجزات طريقة القرآن وطريقة الأنبياء ذكرت فيها أن النظر فى المعجزات هو ما اختاره الله تعالى لخليله عليه السلام — حين طلب أن يطمئن قلبه ، — عليه السلام — حين أراد أن يفهم خصمه .

وهى الطريقة التى آمن بها السواد الأعظم فى زمن خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام ، وفى زمن موسى من السحرة وغيرهم .
كما أشرت الى استنكار ابن الوزير طريقة غلاة المتكلمين بالاكوان والأعراض لأنها غير ذوات حقيقية عند المحققين بل غير طريقة القرآن الكريم التى ذكرت المعجزة لأنها تدل على الرسالة والوحدانية .
ثم عقدت مقارنة بين كلام شيخ الاسلام وابن الوزير فوجدت الافكار بعضها من بعض .
كما ذكر ابن الوزير كثيرا من القرائن الدالة على صدق الأنبياء عليهم السلام ، واتفاقهم فيما أخبروا به من أن لهذا العالم صانعا ومديرا حكما وكمل تلك الطرق والدلالات بدلالة الايمان على وجود الله عز وجل — عند الشدائد كإيمان قوم يونس لما رأوا العذاب ، وإيمان فرعون حين شاهد الغرق ، وهذا من طبيعة النفوس عند شدة الخوف .

المبحث الثالث : طريقته فى اثبات الاسماء والصفات . وقد بدأته بمقدمة موجزة أشرت فيها الى خطورته ، فكم من أقدام زلت فيه الى الهاوية ، ولم ينج الا من سلك طريقة السلف الذين يصفون الله عز وجل بما وصف به نفسه ، وما وصفه به رسوله من غير تشبيهه ولا تعطيل ، على ضوء قوله تعالى : (ليس كمثله شئ) وهو السميع البصير ^(١) ففى أول الآية رد على المشبهة ، وفى آخرها رد على المعطلة ، يضاف الى ذلك قوله تعالى : (ولا يحيطون به علما) ^(٢) .

ثم ذكرت تصوير ابن الوزير لقبح الاختلاف والتأويل الذى وصل اليه غلاة المتكلمين ، وكثرة الكلام فى هذه القضية حتى سمى الخوض فيها بعلم الكلام .
ثم تحدثت عن منهج ابن الوزير فى اثبات الاسماء والصفات ، فقد تبين المنهج الجملى ، لأنها من الأمور الخيرية ، المتفق على الاعتقاد الجملى فيها وهو ما أقره ابن تيمية وغيره من السلف .

وقد دعت ماذهب اليه ابن الوزير من المنهج الجملى فى الاسماء والصفات بأقوال أئمة السلف المشهورين ، وهو امرار آيات وأحاديث الصفات ، كما جاءت من غير تكييف ولا تمثيل ^{تعطيل} وقد أشرت الى شئ من التفصيل على هذا الاجمال من كلام أهل السلف . كما أشرت الى أن التفويض المطلق ليس من عقيدة السلف ، وإنما التفويض عندهم فى علم الكيفية والاحاطة . وأن ابن الوزير

(١) سورة المشورى آية (١١)

(٢) سورة طه آية (١١٠)

قد صرح بأن الكلام فى ذات الله على جهة التصور أو الاحاطة ، على حد علم الله تعالى من المتشابه المنوع انذى لا يعلمه الا الله تعالى .
كما ذكرت أن ابن الوزير يستكبر بشدة قول القائلين بأن أسماء الله تعالى وصفاته مجاز ولغيره حقيقة . ثم حققت الكلام فى الجهة والتحيز ، كما حققت الكلام فى القديم ، والقدم .

ثم عقدت مقارنة بين عقيدة ابن الوزير بحروفها وبين عقيدة ابن تيمية بحروفها فى هذه المسألة فوجدتها متفقين فى الأصل ، مع ما لكل منهما من الامتيازات

الفصل الثانى : الغيبيات : أشرت فيه الى أن (الغيبيات) لاجدال فيها بين ابن الوزير وخصومه ، ماعدا مصير مرتكب الكبيرة . والحديث عن الغيبيات هو الحديث عن القيامة الصغرى والكبرى ، وما يشمل ذلك من الأحوال ، والحديث عن الجنة والنار ، فقد أسند ابن الوزير الى ابن تيمية وأسلافه وأتباعه القول بفناء النار ، وأن الغزالي قد أشار الى نصرته قولهم ، وهذه المسألة تحير فيها كثير من أرباب العقول ، وهى عند شيخ الاسلام مسألة عقلية كبيرة كما حكاها ابن القيم وعنده أكبر من الدنيا بأضعاف مضاعفة ، وعند ابن الوزير هى أم المتشابهات ، ومحارة علماء المحقولات والمنقولات ، ولقد عانيت فى البحث عن ذلك معاناته شديدة لا يعلمها الا الله — عز وجل — ثم من عاناها ، ومما زاد الطين بلة استفادة هذا عن شيخ الاسلام كما أشرت الى أنه من المحتمل اطلاع ابن الوزير على حاوى الأرواح فوهم فى أسناده الى ابن تيمية ومعلوم أنه لابن القيم . فقد ذكر المسألة والخلاف فيها مع ذكر الأدلة ، وإن فى أبدية النار قولان للسلف والخلف ، ونصر القول بفنائها ، وأيده بالأدلة الشرعية والعقلية ، ثم ذكر أقوال الذين قطعوا بدوام النار ، وأدلتهم السمعية والعقلية ، من ستة أوجه ، ولم ينصرها كما نصر القول بفنائها ، وأيد القول بفناء النار من خمسة وعشرين وجهًا شرعية وعقلية قوية تحير العقول ، ومع هذا لم يجزم بفنائها بل حصل له التوقف فى آخر الامر ، وهو ما ذهب اليه ابن الوزير ، وألف فيه مؤلفًا خاصًا سماه (الاجادة فى الإرادة) تزيد من ألف بيت كما أشرت الى أن توقف ابن القيم هذا تشتم منه رائحة الرجوع ، وقد رجح بالفعل كما صرح بعدم فناء النار فى الوابل الصيب .

ثم ذكرت ما يستتج من كلام ابن القيم وابن الوزير مع المقارنة بين كلامهما .
كما أشرت الى أنهما وهما في اسناد ذلك الى شيخ الاسلام ابن تيمية ، وان هذا
الوهم لا يحط من مكانتهما العلمية .

ثم ذكرت مقتطفات من (الاجادة) لابن الوزير ، وعلقت على ما يحتاج الى
المتعليق وذكرت فيه مذهب ابن الوزير في المسألة وهو التوقف لأنها أم المتشابهات
عنده ، وهو منهج من مناهج السلف عند المتشابه .

ثم وجدت كلاما لابن القيم بعد هذا العناء الشديد قد يرفع الوهم عن أحد
الشيخين ابن القيم وابن الوزير .

ثم تحدثت عما أشار اليه الصنعاني من أن ابن تيمية حامل لواء القول بفناء
النار ، وحاشد خيل الأدلة ورجلها وبينت أن هذا الكلام غير مسلم لأن مستنده
(الحادي) وهو لابن القيم .

وفي النهاية رجحت ما ذكرته سابقا من عدم قول ابن تيمية بفناء النار
لعدة وجوه بينتها في موضعها .

الفصل الثالث : النبوات : وقد ذكرت فيه أنه ركن من أركان الايمان ، وأن
التكذيب ببعض الأنبياء يستلزم التكذيب بجميعهم وأن الكلام في النبوات من
أوضح العلوم لتطابق دلائل المعجزات ، وليس لمنكري النبوات من الشبه
ما يثير الشبهات وانما قدحت البراهمة في الشرائع بنحو ذبح البهائم ،
وهذا جهل فاحش فالذي خلقها هو الذي أباحها .
كما أشرت الى مؤيدات أمر النبوات وذكرت حكم التفريق بين الأنبياء ، بأنه
كفر بنص القرآن الكريم .

كما تحدثت عن معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وتقسيم ابن الوزير لها الى
حسية ، وعقلية ، وتقسيم الحسية الى ثلاثة أقسام :

١ - الأمور الخارجة عن ذاته .

٢ - الأمور الذاتية .

٣ - الأمور الصفاتية؛ وقد أشرت الى بعض التفاصيل في ذلك .

كما ذكرت تقسيم ابن الوزير للمعجزات العقلية الى ستة أقسام ذكرتها بإيجاز
من ذلك اخباره بالمفنيات الماضية والمستقبلية ، وجعلها قسمين :

القسم الأول : ماورد فى القرآن الكريم وقد ذكرت من ذلك نماذج •

القسم الثانى : ماورد فى السنة ، وذكرت منه نماذج أيضا ، كما أشرت الى نماذج من المؤكدات لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وبعض شهادة الكتب السماوية السابقة ، وأن انكار نبوة محمد عليه الصلاة والسلام يستلزم الطعن فى الربوبية •

الفصل الرابع : الممارك الكلامية فى الدفاع عن أصحاب العقيدة السلفية ، و ذم الاساليب الكلامية • وفيه تمهيد ومسايل •

أشرت فى التمهيد الى اسباب تلك الممارك منها بلوغ ابن الوزير درجة الاجتهاد ، وتمسكه بالسنة النبوية • وقد اقتطفت ما يناسب المقام من الرسالة التى اعترض بها عليه أحد شيوخه حسبما وصفها ابن الوزير • وقد تضمنت القدر فى صحة الرجوع الى الكتاب والسنة ، والآثار الصحابية ، والقواعد الأصولية وفى عدة قضايا ومسايل ، حواها كتاب (العواصم والقواصم) ومختصره (الروض الباسم) وقد ذكرت منها بعض المسائل كأثلة على ذلك وبناء على قواعد الجدلين سأقتطف الاعتراض ثم الاجابة :

المسألة الأولى : اتهم المعتز الزيدى الامام أحمد بالتشبيه ، روى ذلك عن علماء الزيدية وغيرهم ، وقد ذكرت اجابة ابن الوزير عن ذلك بأسلوب جدلى الزامى ومفحم وخلاصة الجواب :

إما أن يقصد المعتز بذلك القدر فى حديث الامام أحمد أو تكفيره ، إن كان الأول فإنه لم يصح لأمر :

١ - الاجماع المنعقد على قبوله فى الحديث ، لاجماع المسلمين على صحة الصحيحين ، والامام أحمد ، امام مصنفيهما ، بل اليه المرجع فى توثيق ثقاتهم •

٢ - الاجماع على الاعتداد بخلافه ، وعدم الانعقاد بدونه وذلك فرع عن ثقته وأمانته ، وكتب الزيدية مشحونة بمذاهبه ، واشتغل علماءهم بحفظ أقواله ، ولو كان مجروحا لم يحسن ذلك منهم •

٣ - إن روايات الزيدية وغيرهم معارضة باجماع أهل الحديث على براءته من التشبيه •

وأما ان أراد المعترض التوصل بذلك الى تكفير الامام أحمد ، فهذا لا يصح لأمر منها :

- ١ — عدم انعقاد الاجماع بدونه كما سبق .
- ٢ — اذا كان التشبيه عند المعترض مستفيضا عن أحمد فما باله يملأ على طلبه العلم مذاهبه ، وهلا أملى عليهم مذاهب الباطنية وقولهم إن للأنثى مثل حظ الذكر ؟ .

- ٣ — معارضة ذلك باستفاضة نزاهته عن ذلك عند أهل السنة ، وهم أخصبه .
- ٤ — ان التكفير من المسائل القطعية ، ويحتاج مدعيه الى التواتر الصحيح .

المسألة الثانية : الكلام في رؤية الله عز وجل — في الآخرة ، وقد ذكرت فيها مانسبه المعترض الى الشافعي من أن القول بالرؤية طريق عليه الاحتفال بكيف أو بلا كيف ، لأن المعترض ينكر الرؤية .

ثم ذكرت اجابة ابن الوزير بالأسلوب الجدلي ذكر عدة اشكالات ، ومقدمات ، وفصلين ، ضمنهما أقوال المثبتين لرؤية الله عز وجل ، في الآخرة من أهل السنة ، وذكر أدلتهم ، كما ذكر أقوال المنكرين لها من الجهمية والمعتزلة ، وأدلتهم وفندها ، وقررا ثبات الرؤية ووقعها في الآخرة ، وخرج على قول الأشعرية بصحة الجمع بين نفي الجهة ، وصحة الرؤية . كما سرد الأحاديث الواردة على الرؤية تسعة وعشرين حديثا عن سبعة وعشرين أو ثلاثين

صحابيا ، وشواهدا عن أكثر من ثلاثين صحابيا في أكثر من ثمانين حديثا ، وهذا ما فعله في (العواصم) كما نقل كلام ابن القيم في (حاشي الأرواح) المتعلق بهذه المسألة كله ، ثم قررت إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة اثباتا لا يقبل الجدل ، الا عند الجهمية والمعتزلة ، ومن سلك طريقهم مع التزامهم ما ألزمهم به ابن الوزير ، وهو التشكيك في عصاة الاسلام ، والتابعين لهم باحسان الذين رووا أحاديث الرؤية وقالوا بصحتها في الآخرة .

المسألة الثالثة : وهم أئمة الحديث بالبله والجود لعدم تأويلهم آيات الصفات وأحاديثها ، ودفاع ابن الوزير عنهم وفيه العجب العجيب . ذكرت فيه وهم المعترض أن الذكاء من خصائص المعتزلة ، وأن أجنحة أهل

الحديث عن النهوض لفضيلة الكلام — كما فى زعمه مقصورة — لما بهم من البله وجمود الفطنة ولعدم ممارستهم الجدل ، والهدف من ذلك القدح فى السنة النبوية الصحيحة •

كما بينت دفاع ابن الوزير الذى يرض فيه وجوه أهل الحديث بل زادها بياضا على بياضها ، وشوه وجوه أهل الكلام ، على ما بها ، بتلك التقريعات الجدلية اللائعة ، وما أدراك ماتلك التقريعات الجدلية اللائعة ، التى توردها المعترض فى مهاوى الارتباك ، وقد توردها اعتراضات إن استلزمها موارد الهلاك ، وهى تقريعات كثيرة مبسطة فى (العواصم والقواصم) ومختصرة (الروض الباسم) تترك أهل الكلام صرعى ، كأنهم أعجاز مغلقة ، وتشيد بأهل الحديث ، حتى ترفعهم إلى أعلى القمة ، ولله الحمد والمنه •

كما بينت أن ابن الوزير أثبت رجوع هؤلاء — وهم فحول أهل الكلام والجدال — من كلامهم أنفسهم كما فى (العواصم) وقد وثقت كلام ابن الوزير هذا من كتب هؤلاء انظار ، ومن كتب غيرهم المعتمدة ضد أهل العلم بحيث لا يبقى شك فى صحة ذلك ، وقد اقتطعت بخضا من تلك النصوص التى ذكرها ابن الوزير فى (عواصمه) و (روضه) ليطلع مدى حيرتهم وحسرتهم وصدق رجوعهم ، وقد ختمت تلك التقريعات بأن اختيار أهل الحديث لتلك الكلام ، والتأويل ليس يلزمه البله وجمود الفطنة ، وإنما يلزمه ذلك ، لو كانوا بذلوا جهدهم فى تفهمه ، وتعلم أساليب الجدال ، فكل منهم الحد ، ولم يساعدهم الحظ ، وليس الأمر كذلك ، فإنما تركوه لما ورد فى القرآن الكريم ، من الأمر بالاقتداء برسول الله — صلى الله عليه وسلم — ولما ورد فى الحديث من النهى عن البدع ، ولحديث : (ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل) ولما فى الصحيحين مرفوعا : (إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم) •

ثم ذكرت أبياتا لابن الوزير منفردة عن المنطق ، وذلك لما طلب منه بعض الطلاب أن يدرس عليه المنطق فقال :

.....

كم من فتى منطقى الذهن ما خطرت بالبال منه اصطلاحات القوانين

وكم فتى منطقي كافر نجس كالكلب بل هو شر منه في الهون
يرى وساوس أهل الكفر منقبة فهما ويسخر من طه ويسوس

ومما قال أيضا في هذا المعنى :

منطق الأولياء والأديان منطق الأنبياء والقـ____رآن
ولأهل اللجاج عند التماوى منطق الأذكىاء واليونـ____ان

الفصل الخامس : آراءه في الإمامة والسياسة :

وفيه تمهيد ومبهمات

ذكرت في التمهيد معنى الإمامة والسياسة .

كما أشرت إلى أهمية الإمامة ، وبينت طريقة اختيار الامام ، والخلاف في ذلك مع ذكر الأدلة منذ يوم المعقيفة المشهور في التاريخ ، كما أشرت إلى حكم الإمامة ، وأنه لا خلاف في وجوبها في الجملة ، وإنما الخلاف هل هو بالشرع أو بالعقل أو بهما ، وهن رجح وجوبها بالعقل ابن الوزير ومن معه . ثم ذكرت شروط الإمامة والخلاف فيها مع ذكر الأدلة ، وأن مسألة الإمامة ذات وجهين : اعتقادية باعتبارات فقهية . اجتهدية باعتبارات

البحث الأول : إمامة الجائر والخروج عليه بين ابن الوزير وخصمه المعترض بأن
فقهاء الاسلام يجوزون إمامة الجائر - وأنهم شيعة يزيد قاتل الحسين ، واجابة ابن الوزير عن ذلك مطولة مقارنة . بأقوال فقهاء الاسلام من أصحاب المذاهب الأربعة وغيرهم ، بل أئمة المذاهب المانع منهم والمجوز . كما ذكرت استشهاد ابن الوزير على جواز الخروج - عند الفقهاء - على من فحش ظلمه كيزيد بخروج الحسين بن علي - على يزيد ، وابن الزبير وأهل المدينة على بنى أمية ، وزيد بن علي على هشام بن عبد الملك ، وأن هؤلاء تأولوا حديث (وآل ننازع الأمر أهله) على أئمة العدل ، وأيد هذا بعدة أوجه .

كما ذكرت تفصيل الكلام في استشهاد الحسين وفي يزيد وموقفه منه من كلام ابن تيمية .

ثم ذكرت أن خصم ابن الوزير جهل موضع الخلاف بين الزيدية والفقهاء ، وهو

النسب العلوى الفاطمى عند الزيدية والقرشى عند الفقهاء ، ثم بينت موضع الخلاف فى ذلك ، وإلزام الزيدية موافقة الفقهاء حسب أصلهم فى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

المبحث الثانى : حكم الولاية لأئمة الجور فى نظر ابن الوزير وهى محل النزاع الحقيقى - ذكرت أدلة الفقهاء على جواز أخذ الولاية من أئمة الجور ، وذكرت ما عارضهم به المحتزلة والزيدية من الأدلة ومناقشتها ، وأشارت الى تفصيل الشوكاتى فى ذلك .
ثم ان الفقهاء وإن قالوا بصحة أخذ الولاية من أئمة الجور فلم يجعلوهم مثل أئمة العدل من جميع الوجوه .

ثم بينت غلط المعترض على الفقهاء حيث ظن أنهم يصوبون أئمة الجور فى قتلهم الذين يأمرهم بالنقض من الناس على حسب رأى ابن الوزير .
ثم أشارت الى ان ابن الوزير تحصل الى جواز أخذ الولاية من أئمة الجور لما فيها من المصالح العامة للمسلمين . وأن ابن الوزير قد صنف مصنفا خاصا فى هذه المسألة سماه (الحسام المشهور فى الذب عن الامام المنصور) فى الدفاع عن وصم المنصور هذا بأنه غير كاف للإمامة لعدم توفر شروطها فيه عند الزيدية ، وأحمها الاجتهاد والنسب .
وأن ابن الوزير أجاب : بأن الاجتهاد ، بل أقله - فى نظره - أمر خفى ، قد اشتد الخلاف بين علماء المسلمين فى تفسيره وتيسيره أو تعسيره ، وأنه لو كان الاجتهاد شرطاً فى الإمامة ، كما لو ضوئ شرط فى الصلاة لقضت العبادة بذكره عند بيعة الخلفاء

وأن المحترق فى الكتاب والسنة - فى نظر ابن الوزير - العدل وترك الجور ، لورود الشاء على العادل ، والذم والوعيد للجائر ولم يرد الشاء على الامام العالم ، والوعيد للجاهل .
كما علق على هذه المسألة تعليقا موسعا محققا ضمنته الخلاصة والنتيجة .

الفصل السادس : موقف ابن الوزير من الابتداع والتقليد ، وقد أشارت فيه الى معنى الابتداع والتقليد .

كما ذكرت فيه أن منشأ معظم البدع - كما فى نظر ابن الوزير - يرجع الى أمرين :

أحدهما : الزيادة في الدين بإثبات ما لم يذكره الله - تعالى - ورسوله عليهم السلام - من مهمات الدين الواجبة •

ثانيهما : النقص منه بنفى بعض ما ذكره الله - تعالى - ورسوله بالتأويل الباطل ، ويلحق بهما التصرف في الدين بالعبادات المبتدعة ، ثم ذكرت أنواع الزيادة في الدين كما قررها ابن الوزير •

ثم ذكرت من أسباب الزيادة في الدين ، تجويز خلق كتاب الله - عز وجل - على زعم أهل البدع - سنة رسوله صلى الله عليه وسلم • عن بيان بعض مهمات الدين اكتفاء بدرك العقول لها ، ولو بالنظر الدقيق ، عند أهل الكلام • وهذا ممنوع عند أهل الاثر لعدة وجوه ذكرت أهمها :

كما تحدثت عن الامر الثاني : وهو النقص من الدين ، وهو رد حقائق النصوص ، والظواهر الى المجاز ، من غير طريق قاطعة تدل على ثبوت الموجب لتأويل ، ثم اقتطعت نماذج من ذلك - حسبما قرره ابن الوزير على سبيل الاختصار •

ثم تحدثت عن الامر الثالث وهو التصرف في عبارات الكتاب والسنة ، بالعبارات المبتدعة ، وأن هذا عند التحقيق يرجع الى الامر الأول وهو الزيادة في الدين • ثم ذكرت أن ابن الوزير يمنع التعبير بغير ما عبر به الكتاب والسنة ، لجواز الخطأ ، على العلماء في فهم المعنى ، أو التعبير عنه أو فيهما معا لوجوه ذكرت بعضها منها :

ثم بينت أن ابن الوزير لم يمنع من ذلك مطلقا ، وإنما يمنع منه حيث يضرب ويستغنى عنه بعبارات الكتاب والسنة التي لا تحتاج الى تفسير مع تفاصيل بينتها في موضعها •

ثم بينت طريقة ابن الوزير في تفسير القرآن الكريم ، مع بيان الفرق بين التفسير والتحريف ، والتأويل والتبديل ، وأن للتفسير عنده مرتبتين :

الأولى : مرتبة الصحابة •

الثانية : مرتبة التابعين •

وأن مراتب التفسير عنده سبعة أنواع كما بينتها •

ثم ذكرت الأصول التي تقوم عليها الزيادة في الدين ، والنقص منه ، والملحق بأولهما .
وأنها تقوم على أصليين :

أحدهما : سمعى وهو اختلاف المتكلمين في معرفة المحكم والمتشابه ، والتمييز بينهما ، حتى يرد المتشابه الى المحكم .

ثانيهما : عقلى وهو اختلافهم ، هل يحلمون تأويل المتشابه ؟ ثم اختلافهم في تأويله على تسليم أنهم عرفوا المتشابه ثم ما سبب وقوع المتشابه على العقول من حيث الحكمة ، كما ذكرت لمحة عن المحكم والمتشابه في القرآن الكريم كما في نظر ابن الوزير ، ثم تحدثت عن تقسيمه التأويل المعروف عن ابن تيمية ، واستدراكه وجها رابعا .

ثم بينت العلاج الذي وصفه ابن الوزير للابتداع والتقليد .

أما الخاتمة : فقد ذكرت فيها ملاحظاتي الطفيفة الضعيفة على عالمنا بلعالم اليمن ابن الوزير التي ان دلت على شيء فانما تدل على علو مكانته العلمية ، كما ذكرت فيها النتائج التي توصلت اليها من خلال البحث .

وبهذا أكون قد أنهيت موضوع الرسالة ، ولى في الله عز وجل - أمل كبير ، أن يوفقني لأعطاء الموضوع حقه في القريب العاجل ان شاء الله تعالى .
أما هذه الرسالة فهي بعض الخطوط العريضة لفتح الباب ، أو كمعالم يهتدى بها الباحثون الى الوصول الى الغرض المنشود ومعلوم أن الخطأ والنسيان من طبيعة الانسان ، فالكمال لله وحده ، وقد بذلت جهدي الضعيف المضي راجيا من الله عز وجل أن يثفني به أولا والمسلمين ثانيا ، إنه ولى ذلك والقادر عليه .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه ، ومن دعى بدعوته الى يوم الدين .

هذا وإن من حق العلم على أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير - بعد اشكر لله تعالى - الى فضيلة الأستاذ الجليل الدكتور محمد سليمان داود - استنادا الى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (من لا يشكر الناس لا يشكر الله) ، وفي لفظ : (لا يشكر الله من لم يشكر الناس .) فقد تفضل

(١) سنن أبي داود مع عون المعبود ج ١٣ ص ١٦٥ ، سنن الترمذي بتحفة الاحوذى ج ٦ ص ٨٢ ، ٨٨ وقال هذا حديث حسن صحيح .

بالإشراف على هذه الرسالة حتى ظهرت على ما هي عليه ولقد فتح لى صدره
الرحب ، وأعطانى من أوقاته الغالية ، وزودنى بتوجيهاته وإرشاداته القيمة
المنهجية منها والعلمية ، داخل الإشراف وخارجه ، أسأل الله - عز وجل -
أن يجزيه عنى كل خير ، وأن يبارك فى حياته ويهبه الصحة والعافية ، وأن
يجعله ذخرا للعلم وطلابه ، كما أسأل الله - عز وجل - أن يمنحه المزيد
من العون والتوفيق لخدمة الإسلام والمسلمين ، حتى يلقي الله رب العالمين
أنه ولى ذلك والقادر عليه .

هذا ولا يفوتنى أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير لفضيلة الأستاذ الدكتور
سليمان دنيا إذ كان المشرف الأول على هذه الرسالة فجزاة الله عنى خير
الجزاء .

كما أننى أشكر جامعة أم القرى على ما تفضلت به على من منحة ثمينة
للدراية فيها وما وفرت لى من وسائل وامكانات حتى تمكنت من اعداد هذا
البحث العلمى المتواضع ، جزا الله القائمين عليها خير الجزاء .

الباب الأول

ترجمة ابن الوزير

=====

مولده .

اسمه ونسبه وكنيته ولقبه .

مكانة أسرته العلمية .

نشأته .

طلبه العلم - حياته العلمية .

الحالة الدينية والثقافية في عصر ابن الوزير .
الحالة السياسية في عصر ابن الوزير
شيوخه - من ترجم له .

تلاميذه ومؤلفاته .

ثناء العلماء عليه - مكانته العلمية .

عزلته الأخيرة .

وفاته .

منهجه العلمي .

مميزاته الفكرية .

=====

مولده :

ولد ابن الوزير في شهر رجب سنة ٧٧٥ هـ بهجرة الظهراويين في شطب ، أحد جبال اليمن الشاهقة في (السود) هكذا اتفق المؤرخون اليمنيون وغيرهم (١) ، ولم يخالف في ذلك إلا السخاوي ، فإنه قال : ولد ابن الوزير تقريبا سنة ٧٦٥ هـ وهذا التقريب بعيد ، والصواب الأول ، وصاحب البيت أدري بما فيه .

ومثل ذلك ما ذكره صاحب هدية العارفين ، حيث قال : إنه ولد سنة ٧٦٥ هـ وأبعد من ذلك ما ذكره صاحب تاريخ اليمن الثقافي حيث قال : أنه ولد سنة ٦٧٥ هـ ولست أدري أهذا خطأ مطبعي أو وهم . (٢) ؟ !

اسمه ونسبه وكنيته :

هو أبو عبد الله أصغر أخوانه سناء . الامام الكبير العلامة ، الأصولي النحوي المتكلم البليغ المحدث الحافظ الحجة المجتهد المطلق محمد ابن ابراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل بن محمد العفيف بن مفضل بن الحجاج بن علي بن يحيى بن الناسم بن الامام الداعي يوسف بن الامام

-
- (١) تاريخ بني الوزير للشهاري الوزير في مكتبة جامع صنعاء الغربية رقم ٤١ ، مجاميع ورقة ٣٥ وما بعدها والبدر الطالع في محاسن من بعد القرن السابع للشوكانى ج ٢ ص ٨١ مطبعة السعادة بالقاهرة ط أولى سنة ١٣٤٨ هـ ، طبقات الزيدية خ في مكتبة جامع صنعاء الغربية رقم ٢٢٦ للشهاري تاريخ ، ورقة ٣٠٠ وما بعدها ، ومقدمة اترجيح لساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير ص ٣ مطبعة المعاهد بمصر دون تاريخ ، والعواصم والقواصم لابن الوزير ج ٢ ورقة ١٧٨ يوجد في مكتبة مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى منه نسخة ميكروفيلم كاملة عن مكتبة أحمد الثالث تركيا رقم ٣٢ عقيدة وبعضها عن جامعة استانبول رقم ٢٤٣ - ٢٤٤ حديث ، والجزء الرابع منه رقم ٢١٠ وهو الآن تحت الطبع والتحقيق وتوجد عدة نسخ منه في صنعاء مكتبة الجامع الغربية رقم ٧٦ وأخرى رقم ٤٣٥ كلام ومكتبة العبيكان بالرياض ، والارشاد الهادي في ترجمة أخيه الهادي ورقة ٥ صورة عن دار الكتب المصرية رقم ٥٨٧ عقائد ييموم والأعلام لنزركلى ج ٥ ص ٣٠٠ ط بيروت ، ومعجم المؤلفين لعمر كحالة ج ٨ ص ٢١٠ - ٢١١ (٢) الضوء الالامع للسخاوي ج ٤ ص ٢٧٢ ط بيروت وتاريخ اليمن الثقافي لأحمد

المنصور بالله يحيى بن الناصر أحمد بن الامام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن ابراهيم بن اسمعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

وهذه السلسلة موضع اتفاق أيضا بين المؤرخين والمترجمين ^(١) لابن الوزير الا ما خالف فيه السخاوي حيث وهم في ترجمته وقال : محمد بن ابراهيم بن علي بن المرتضى بن الهادي بن يحيى بن الحسين بن القاسم ، وذكر النسب الى علي رضي الله عنه فجعل المرتضى بن الهادي وجعل الهادي بن يحيى بن الحسين ، وهذا وهم واضح ، لانه اسقط معظم السلسلة بين المرتضى والهادي - كما ترى - والهادي لقب ليحيى بن الحسين . وتبغه في هذا الوهم صاحب (معجم المؤلفين) (٢) .

لقبه :

واشتهر بلقب ابن الوزير ، وهذا اللقب كما ذكره ابراهيم بن علي الوزير من أحفاد الهادي الوزير المعاصرين - هو أن الامام محمد العفيف - الجد الخامس لصاحبنا ابن الوزير - لما بويغ بالامامة في الوقت الذي بويغ فيه الامام المنصور عبد الله ابن حمزة سنة ٦١٤ هـ في مكان آخر - تخلص عن الامامة كي تتفق الأمة على البيعة لابن حمزة المذكور فأطلقت عليه الأمة العفيف ، واشترط عليه الامام المنصور المؤازرة له فكان وزيراً فأطلق عليه هذا اللقب ، ومن هنا نشأت أسرة آل الوزير أجداد صاحبنا ابن الوزير ، كما يلقب أيضا بعز الدين .

==== شرف الدين ج ٤ ص ٢٧٢ ط الكيلاني ، هدية العارفين لاسماعيل باشا البغدادي ج ٦ ص ١٩٠ - ١٩١ وما ذكره رزق الحجر من أن ابن العماد الحنبلي ترجم لابن الوزير في شذرات الذهب فوهم .

(١) أنظر المراجع السابقة الاجزاء والصفحات ذاتها .
(٢) أنظر الضوء اللامع للسخاوي ج ٦ ص ٢٧٢ ، ومعجم المؤلفين لعمر كحالة ج ٨ ص ٢١٠ .

(٣) هذه المعلومات زودني بها السيد ابراهيم بن علي الوزير ، نقلاً عن السلسلة الذهبية في تاريخ بني الوزير ولم أقف عليها - فعليه المجهود .

مكانة أسرته العلمية :

مما لا شك فيه أن أسرة آل الوزير مشهورة بالعلم قديما وحديثا ، شاهد ذلك أن المكتبات الاسلامية وغيرها تزخر بموءلفاتهم المخطوطة منها والمطبوعة ، لاسيما مكتبتا الجامع الكبير صنعاء وغيرهما من المكتبات العامة كمكتبة دار الكتب في صنعاء ومكتبات جامعة صنعاء ، والخاصة كمكتبات آل الوزير التي تحدثت عنها مجلة الحوادث في مقابلة أجراها مندوبها مع السيد ابراهيم ابن علي الوزير - من أحفاد أخي ابن الوزير - فيقول : (كانت لدى آل الوزير خلال سبعمئة عام مكتبة باسمهم في الجامع الكبير - أي في صنعاء - وقد ظلت هذه المكتبة عامرة بالكتب حتى العقد الأخير في القرن الثاني عشر الهجري ، ولكنها نقلت الى بيت السيد - يعنى نفسه - على بعد عشرين كيلومترا من صنعاء حيث أصابها الضياع .

أما المكتبة الخاصة التي كان يملكها الامام محمد بن عبد الله الوزير سنة ١٣٠٧ هـ والتي أوقفها على ذريته ، واستمرت حتى ثورة سنة ١٣٦٧ هـ فقد صودرت عقب فشل تلك الثورة ، وعبثت بها الأيدي ، وتسرب معظمها الى أيدي ذوى النهب والسلب ، وما بقى منها - وهو الاقل - نقل عن القصور الملكية الى مكتبة الجامع الكبير ، التي تضم خزائنه وخائثر المخطوطات وذلك عقب انقلاب سنة ١٣٢٥ هـ كانت المكتبة تضم مخطوطات بعضها كتب قبل أكثر من ألف عام ، وكثير منها بخطوط الموءلفين ، لا أدري كم كان عدد المخطوطات ولكنها كانت تقدر بنحو خمسة آلاف مخطوطة (١)

فلا غرو إذا برز صاحبنا ابن الوزير ، فانه نشأ في بيت علم ، فذاك والده السيد ابراهيم بن علي بن المرتضى سنة ٧٨٢ هـ بعد أن ترك خلفه أربعة من الأولاد هم الهادي ، صلاح ، ومحمد صاحبنا وفاطمة . كانت له اليد الطولى في فنون العلم ، وكان شاعرا بليغا ، خطيبا مصقعا ، تقيا ورعا ناسكا ، ومع هذا كان يوءثر الفقراء بطعامه ، وطعام أهل بيته ، يلبس شملة من الصوف ، فاذا جن الليل وضعها على أولاده .

(١) مجلة الحوادث عدد ١٣١٤ / ١٣ / ٨ يناير سنة ١٩٨٢ م .

ومن شعره :

وجدنا هذه الأجسام قلبي ٥٥ الأدلة للعقول على الحدوث
يعاودها اجتماع واقتراق ٥٥ ونيطت بالتحرك والمكوث
أتعقل أنها من غير شيء ٥٥ أقيمت في الأماكن والحيث (١)

وهذا أخوه الكبير الهادي بن ابراهيم الوزير سنة ٨٢٢ هـ برع في عدة
علوم وصنف تصانيف سيأتى ذكر بعضها في الحالة الثقافية في عصر ابن الوزير
في حركة التأليف وله نظم ، وصفه الشوكاني بأنه في غاية الحسن ومنه القصيدة
البديعة في الكعبة .

ومن شعره أيضا هذه الأبيات :

رضيت بدين المصطفى ووصيه ٥٥ وأصحابه أهل النهى والفصائل
هم قادة القادات بعد نبينهم ٥٥ إلى مشرع الحق الرهى السلاسل
إلى أن قال :

ولم يعجز الصديق بعد وفاته ٥٥ عن الحرب بل ساد الهدى بجحافل
وتابعه الفاروق فاشتد ركبه ٥٥ وسار بهم في الحق سيرة عادل
وتتم ذو النورين سعيا مباركا ٥٥ وعم جميع المسلمين بنائل
وقام بأعباء الخلافة بعدهم ٥٥ على فأمسى الدين راسي الكلال
عليك بهدى القوم تتج من الردى ٥٥ وتعلو بهم في الفوز أعلى المنازل (٢)

وفي هذا الترتيب للخلفاء الأربعة - رضى الله عنهم - دلالة مخالفة
لمذهب الزيدية الآتى بيانه في موضعه ، وأنه يقول بالوصيه .

وهذا أخوه الذي يلي الهادي في السن - صلاح بن ابراهيم - سنة ٨١٠ هـ
مهر في فنون العلم : البلاغة والأدب واللغة العربية ، وله في الفقه يد قوية ،

(١) ملحق البدر الطالع لمحمد بن محمد زياره ص ٨ ، وتاريخ بنى الوزير
ترجمة ابراهيم بن الوزير .

(٢) مجموع ٣٢٠ ورقة في مكتبة الجامع الغربية بصنعاء ، والبدر الطالع
للشوكاني ج ٢ ص ٣١٦ - ٣١٧ .

وفى آخر عمره انقطع للعبادة والذكر - بعد أن حج حجتين ماشيا - لزوم مسجد الهجرة فى شغلب يقوم فيه بعض الليل ومعظم النهار ، لا يكلم أحدا ، أذن فى ذلك المسجد عشرات السنين وكان من مذهبه تربيح الاذان فى أوله وكان قد طلب من الامام ولاية فرآه مراهاقا فكتب له ولاية قال فيها : (قد جعلنا للولد صلاح الدين ولاية فى المصالح) فقال : يا مولانا أما الفاسد فأنا لا أحتاج فيها الى ولاية ، فتبسم الامام وأعجب بكلامه . (١)

وهذه أختهم فاطمة بنت ابراهيم كانت شريفة فاضلة ، توفر لها مثل ما توفر لاسرتها من السلم والزهادة ، ولما بلغت سن الزواج خطبها جماعة من السادة الى أخيها الهادى ، فاستشار الامام الناصر ، فأشار بزواجها من السيد المرتضى بن أبى الفضائل فزوجها اياه .

كذلك والدتهم الشريفة حورية بنت أحمد بن صالح بن الهادى لها حظ من هذه الخصال .

وكذلك ابن صاحب هذه الدراسة عبد الله بن محمد له حظ وافر من العلم ، فقد برع فى الفروع الفقهية وأصولها وله مؤلفات ذكرها صاحب تاريخ بنى الوزير . (٢)

(١) أنظر تاريخ بنى الوزير فى ترجمة صلاح وملحق البدرا الطالع لزياره ص ١٠٤

(٢) تاريخ بنى الوزير فى صنعاء ترجمة ابن الوزير .

مكانة أسرته السياسية :

مما لا شك فيه أن ابن الوزير ينتمي إلى أسرة عريقة علما وحسبا ونسبا وجاها وسلطانا .

أما السلطان ، فقد سبقت الإشارة إليه في لقبه من تولى الامام محمد العفيف عن الامامة حين يبيع بها لتوفر الشروط فيه فتركها حقنا لدماء المسلمين ، وهكذا الشخصية الاسلامية تؤثر المصالح العامة على الخاصة ، وتؤثر التواضع على التعالي على الناس ، وتؤثر على نفسها لمصلحة الاسلام والمسلمين ، وهو بهذا يستحق اللقب الذي أطلقته عليه الأمة يومها بالعفيف ، يالها من غفة حققت دماء المسلمين ، فكم من أرواح أزهقت ، وكم من دماء سفكت ، وأمموال نهبت ، وأعراض هتكت في سبيل الحصول على مثل هذا المنصب ، وليت الاحفاد تبعوا الاجداد ، ليت ما حصل هنا ، حصل بين الامامين - المتنافسين على عرش الزيدية في صنعاء ، المهدي أحمد بن يحيى المرتضى سنة ٨٤٠ هـ ، والناصر على بن صلاح الدين سنة ٨٤٠ هـ - في عصر ابن الوزير فكم من معارك طاحنة دارت بينهما ، استمرت أعواما عديدة نتيجة المناقصة على السلطة . وسيأتي الكلام على سنانى (الحالة السياسية) ابن نساء الله تعالى :

وممن حكم الديار الزيدية في اليمن من أسرة آل الوزير الامام المنصور محمد بن عبد الله الوزير فقد دعا لنفسه بتكليف من أعيان عصره سنة ١٢٧٠ هـ الى أن توفي سنة ١٣٠٧ هـ وذلك بعد وفاة الامام المنصور أحمد بن هاشم بن محسن سنة ١٢٦٩ هـ وقد وصفه المؤرخ اليمنى الواسعى بأنه بلغ في العلم درجة الاجتهاد ، وأنه أعلم أهل عصره ، وأنه صلح شأن المسلمين على يده ، وذكر كلاما كثيرا في مدحه نظما ونثرا ، ونظمه الحبشى في سلك (حكام اليمن المؤء لفون المجتهدون) وذكر مصنفاته وأرقامها .

(١) أنظر تاريخ اليمن لعبد الواسع الواسعى ص ٢٤٧ - ٢٥٢ هـ الدار اليمنية للنشر والتوزيع ط رابعة ١٤٠٤ هـ وقد ذكر رسالة الامام المنصور الوزير إلى جميع أهل اليمن وهي تدل على علمه وأرادته جمع الأمة حين كثر الناكثون فغلت الأمر من يده ، وأنظر حكام اليمن للحبشى ص ٢٧٢ وما بعدها بيروت ط أولى ١٣٩٩ هـ .

ومنهم السياسى الكبير عبد الله بن أحمد الوزير الذى استولى على عرش اليمن فى صنعاء بضعا وعشرين يوما سنة ١٣٦٧ هـ ثم قتله الامام أحمد بن يحيى حميد الدين سنة ١٣٨٢ هـ قتله مع عدد كبير من أبناء اليمن ثارا لوالده الامام يحيى بن محمد حميد الدين ، المقتول اغتالا فى ٨ من شهر ربيع الثانى سنة ١٣٦٧ هـ .

ولا تزال هذه الأسرة تحتفظ بمكانتها السياسية ، داخل اليمن ، وخارجه الى يوم الناس هذا . (١)

نشأته:
— ابن الوزير نشأ فى أسرة مرموقة لها مكانتها العلمية والسياسية كما سبق شىء من ذلك فى الحديث عن أسرته وان أسرة كهذه الأسورة لجديرة بأن تجعل فى طلب العلم ونشره شغلها الشاغل .
ولن تتبع تاريخ بن الوزير ليبين هذا بوضوح .

وهذا المسلك الذى سلكوه هو امتداد لطريقة رئيس أسرتهم أمير الموءنين على بن أبى طالب رضى الله عنه . ومن هنا فلا غرابة فيما طبع عليه ابن الوزير فى عمره المبكر من حب العلم والعلماء ، وحفظ القرآن الكريم والمثابة على حظه . محاسن العلم والعلماء .

وها هو ذا ابن الوزير يصف لنا هذه النشأة العلمية بين أسرته وشيوخه فيقول : (وانى لما نشأت بين كراسى العلماء الأكابر ، وتربيت بين أعين أهل البصائر ، رتبت رتب الكعب فى مجالسة العلماء السادة ، وثبتت ثبوت القطب فى مجالس العلم والافادة ولم أزل منذ عرفت شمالي من يمينى مشمرا فى طلب معرفة دينى ، أتقل فى رتبة الشيوخ من قدوة الى قدوة ، وأتوقل فى مدارس العلوم من ربوة الى ربوة ، لم يزل يراعى للطائف الفوائد نواطق ، وبنانى للطائف المعارف قواطف ، لم يكن حتما أن يرجع طرف نظرى عن المعارف خاسئا حسييرا

(١) هذه الأحداث وقعت وأنا فى الثامنة عشرة من العمر فأنا مصدر من مصادرها التاريخية ، لأنى من أبناء اليمن أعرفها جيدا ، ولكن انظر للتأكيد على سبيل المثال فرجة الهموم والحنن للواسعى ص ٤٢٧ وما بعدها ، ورياح التغيير فى اليمن لأحمد محمد الشامى ص ٢٣٥ وما بعدها ، والاعلام للزركلى ج ٤ ص ٧٠ .

ولم يجب قطعاً أن يعود جناح طلبى للفوائد مهيباً كسيرا ، ولم يكن بدعاً أن أتسم من أقطارها روائح ، وأتبصر من أنوارها لوائح ، أشربت قلبى محبة الحديث النبوى . . . فكنت ممن يرى الحظ الأسنى فى خدمة علومه ، وتمهيد ما تغنى من رسومه . . . والمحاماة عنه والحث على اتباعه والدعاء اليه (١) .

هذا وما ينبغى التنبيه اليه أن ما تقتضيه العبارة التى وردت فى أواخر هذا النص السابق ذكره ، من أن قلب ابن الوزير أشرب حب الحديث النبوى ، لا تتعارض مع ما سيأتى فى (حياته العلمية) من أنه استغرق باكورة عمره فى فن الكلام والجدال . بيان ذلك أنه كثيراً ما يتحسر على أيام شبابه وقوة نشاطه التى أنماها فى كدورة فن الكلام وكان يتضرع الى الله تعالى تضرع مضطر محتار متمثلاً بقول الشهرستانى :

لقد طغت فى تلك المعاهد كلها هـ هـ وسيرت طرفى بين تلك المعالم فلم أرا الا واضعا كف حائـر هـ هـ على ذقن أوقارعا سن نادم (٢)

قضى معظم شبابه فى تحصيل العلوم العقلية وغيرها من العلوم - ماعدى الحديث النبوى وعلومه - وكان متطلعا بل متعطشاً لهذا العلم النبوى الشريف ، ولم يجد عند شيوخه فى بلاده ما يروى ظمأه اذ هم مكبون على تحصيل العلوم العقلية بل إنهم ليصمون أصحاب الحديث بالبله والبلادة ومن هناك قرر ابن الوزير الرحلة لطبيب الحديث الى أرض الحجاز فاستعرض علماء الحديث بمكة المكرمة فوجد بغيته فى شيخ الحديث وعلومه آنذاك محمد بن ظهيرة سنة ٨١٧ هـ . وسيأتى مزيد بيان فى حياته العلمية ان شاء الله تعالى .

(١) العواصم والقواصم فى الذب عن سنة أبى القاسم صلى الله عليه وسلم ج ١ - المقدمة مرققة ١٠ ومختصره الروض الباسم لابن الوزير

ص ١٥ المطبعة السلفية القاهرة سنة ١٣٨٥ هـ .

(٢) نهاية الأقدام للشهرستانى بعد البسملة والحمد له ص ٣ حرره وصححه الفرد جيوم بدون ذكر الطبع ولا التاريخ .

طلبه العلم - حياته العلمية :

لقد وفق ابن الوزير فى حبه العلم والعلماء ، والاستفادة منهم .
فقد كان كما هو واضح من مؤلفاته ، مشغولا بطلب المعارف ، مؤثرا
لملازمة الأكابر من العلماء والبحث عن حقائق مذاهب المخالفين ،
والفتيش عن أعداء الغالطين ، والدفاع عن سنة سيد المرسلين ، وخاتم
النبيين محمد صلى الله عليه وآله وسلم .
ومن هنا يمكن تقسيم طلبه العلم ، أو حياته العلمية الى مراحل ثلاث :

الأولى : مرحلة الطلب المبكر وهو البحث عن العلوم العقلية - بعد حفظ
القرآن الكريم ، وبعض المتن - كما هو المقرر عند أهل الكلام ، من أن
أول واجب على المكلف النظر أو الشك كما هو معروف عن المعتزلة ،
أو النظر المنبنى على المقدمات والنتائج ، كما هو المقرر عند معظم
الأشعرية .

وسياتى بيان هذا فى الكلام على التفرق وأسبابه فى الفصل الأول من
الباب الثانى ان شاء الله تعالى .

والآن ندع ابن الوزير يصف لنا هذه المرحلة اذ يقول : (قد
رهبت أيام شبابى ، ولذاتى ، وزمان اكتسابى ، ونشاطى لكرد علم
الكلام والجدال ، والنظر فى مقالات أهل الضلال ، حتى عرفت صحة
من قال :

لقد طغت فى تلك المعاهد كلها ه ه ه وسيرت طرفى بين تلك المعالم
فلم أرا الا واضعا كف حائر ه ه ه على ذقن أوقارعا سن ناد م (١)

ويمضى قائلا : وسبب ايثارى لذلك وسلوكى لتلك المسالك أن أول ما قرع
سمعى ، ورسخ فى طبعى وجوب النظر ، والقول بأن من قلد فى
الاعتقاد فقد كهر ، فاستغرقت فى ذلك حدة نظرى ، وبأكورة عمى ،
وما زلت أرى كل فرقة من المتكلمين تداوى أقوالا مريضة ، وتقوى أجنحة

(١) أنظر البيتين للشهرستانى فى نهاية الاقدام فى علم الكلام
بعد البسملة والحمد له ص ٣ .

(١) مهيضة فلم أحصل على طائل ، وتمثلت فيهم بقول القائل :

كل يداوى سقيما من مقالته ٥٥٥ فمن لنا بصحيح مابه سقم (٢)

هذه هي المرحلة الاولى الاستفادة من هذا النص ، مرحلة التحصيل التي جمع فيها ابن الوزير بين أصول الدين وأصول الفقه وفروعه منها : (شرح الأصول الخمسة) للقاضي عبد الجبار بن أحمد ، وهو معتمد الزيدية في الديار اليمنية ، و (الخلاصة) و الفياضة و (تذكرة ابن متوية) المتكلم في علم اللطيف كما يقولون - ومختصر المنتهى لابن الحاجب ، وطالع كتب آبائه الكرام في هذا الفن ، كالمجزي للامام أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني وصفوة الاختيار للامام المنصور عبد الله بن حمزة في أصول الفقه وغير ذلك .

وكذلك مؤلفات جده السيد العلامة يحيى بن منصور الحفيف ، ومصنفات السيد العلامة حميدات بن يحيى حميدات القاسمي ، ومثل كتاب (الجامع الكافي) للسيد عبد الله بن محمد الحسن في فقه الزيدية وكتاب (الجملة والألفة) لقائد علماء الزيدية ، وقدماء الشيعة محمد بن منصور المرادي ، وعرف ماوقع فيه الخلاف بين هؤلاء والمحتزلة ، وعرف قول المتكلمين وضمحه ، في قولهم : إن من لم يعرف الله تعالى بأدلتهم المبنية على المقدمات المنطقية فهو كافر ، ومثل مانص عليه شيخ البهاشمه وتبعه عليه أصحابه ، من قولهم : انما يعلم الله من نفسه ما يعلمونه (٣) ، وهو رد لقوله تعالى : " ولا يحيطون به علما " (٤)

وسياتى رد ابن الوزير على هذا الكلام الشنيع في (المعارك الكلامية) ان شاء الله تعالى .

(١) من هاضم العظم ، أى كسره بعد الجيور فهو مهيض : الصحاح للجوهري ج ٣ ص ١١١٣ تحقيق احمد العطار القاهرة ط ثانية ١٣٩٩ هـ .

(٢) العواصم والقواصم لابن الوزير ج ١ مقدمة ورقة ٦ .

(٣) طبقات الزيدية للشهابي خ ج ٣ وترجمة ابن الوزير في أواخر المجلد الثانى من العواصم - وتاريخ ابن الوزير خ صنمء ورقة ٣٥ وما بعدها .

(٤) سورة طه ١١٠ .

المرحلة الثانية : الرجوع الى دراسة الكتاب والسنة ، وهذا مستفاد من قوله :
(٠٠٠) فرجعت الى كتاب الله - تعالى - وسنة رسوله - صلى الله عليه وآله وسلم . وقلت : لا بد أن تكون فيهما براهين ، وردود على مخالفى الاسلام وتعليم ، وارشاد لمن اتبع الرسول ، عليه أفضل الصلاة والسلام - فتدبرت ذلك ، فوجدت الشفاء كله دقه وجله ، وانشرح صدرى . وصلاح أمرى ، وزال ما كنت به مبتلى ، وأنشدت متمثلاً :

فألقت عصاها واستقر بها النوى (١) كما قرعنا بالاياب المسافر (٢)

قلت : صدق ابن الوزير فكتاب الله - تعالى - فيه الهدى والنور " إن هذا القرآن يهدى للتي هي اقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً " (٣)

عن على مرفوعاً : " ألا انها ستكون فتن فقلت : ما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذى لا تزيغ به الأهواء . . . من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعى اليه هدى الى صراط مستقيم (٤)

وهذه المرحلة هى التى قرأ فيها ابن الوزير التفسير وعلومه ، والحديث وعلومه ، وهى التى رحل فيها الى (تعز) لطلب الحديث عن الشيخ نفيس الدين العلوى ، وأجازته فى الأمهات الست وغيرها من كتب الحديث ، وفى

(١) النوى له عدة معان والمراد به هنا التحول من مكان الى آخر القاموس المحيط

للفيروز آبادى ج ٤ ص ٣٩٧ .

(٢) العواصم والقواصم (لابن الوزير) المقدمة ورقة ٦ والبيت للمعقر بن حمار البارقى

(٣) سورة الاسراء : ٩ .

(٤) سنن الترمذى بتحفة . الاحوذى ج ٨ ص ٢١٨ - ٢٢١ تصحيح عبد الرحمن

محمد عثمان الناشر صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة وقال الترمذى هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات ، وإسناده مجهول وفى حديث الحارث مقال كذبه الشعبى ، ورمى بالرفض وفى حديثه ضعف كذا فى التحفة الجزء والصفحة ذاتها ولكن معناه صحيح

التهديب للحافظ المزى وغيره من كتب الرجال . وفيها رحل الى مكة المكرمة لطلب الحديث وعلومه أيضا فقرأ على الشيخ ابن ظهيره محدث الحرم المكي الشريف بل محدث الحجاز في زمانه ، وأجازه في الرواية عنه وفي كثير من كتب الحديث . (١)

المرحلة الثالثة : وهي التي أكملت فيها شخصيته العلمية ، وذاع صيته بين العلماء الأكابر والأصاغر الى حد قررره الشوكاني قائلا : (ان الذي يغلب على الظن أن شيوخه لوجمعوا جميعا في ذات واحدة ، لم يبلغ علمهم الى مقدار علمه .) ، بل قرر أبليغ وأرفع من هذا التقرير العلمي وهو قوله : (ولو قلت إن اليمن لم ينجب مثله لم أبعد عن الصواب) (٢) .

وهذه هي نتيجة المرحلتين السابقتين ، وهي مرحلة التأليف والمناظرات ، والمراسلات ، بل الجوابات في الدفاع عن الكتاب والسنة ، وأئمة الاسلام ، لما ترسل (٣) عليه العلامة علي بن محمد بن أبي القاسم سنة ٨٣٧ هـ أحد شيوخ ابن الوزير وألد خصومه فقد ترسل عليه برسالة لم ينصف فيها كما سيأتى نحتها في (المعارك الكلامية) ان شاء الله تعالى ، وذلك حينما أعلن ابن الوزير الاجتهاد ورفض التقليد ، وكان من ضمن الاعتراضات في تلك الرسالة الطعن في السنة النبوية الصحيحة تارة ، وفي كثير من قواعد العلماء تارة ، وفي الطعن على ابن الوزير تارة ، ولكنه صرف النظر عما يخصه ، وتصدى للذب عما يختص بالسنة النبوية ، والقواعد الاسلامية ، وكانت ثمرة هذا تأليف (العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم صلى الله عليه وسلم) (٤)

(١) ترجمة ابن الوزير في صنعاء ورقة ٣٥ وما بعدها وترجمة ابن الوزير في أواخر المجلد الثاني من العواصم ورقة ١٩٥ ، وطبقات الزيدية للشهاري ج ٣ ص ٣٤٥ وما بعدها . وقد بحثت عن تأريخ هذه الرحلة الى شيخ الحرم هذا ولم أقف عليه

(٢) البدر الطالع للشوكاني ج ٢ ص ٩٢ .

(٣) ترسل : ألقى الكلام تهاونا أ هـ قاموس للفيروز آبادي ج ٣ ص ٣٨٤

(٤) أنظر مقدمة العواصم والقواصم لابن الوزير ورقة ١٠/٦ ، والروض الباسم له ج ١ ص ١٠/٩ ، وطبقات الزيدية للشهاري ج ٣ ص ٣٤٥ وما بعدها .

وها هو ذا ابن الوزير يصف لنا حالته الخاصة به أثناء تأليفه لهذا الكتاب العظيم ، وهو في تلك الجبال العوالية ، والبوادي الخوالية ، البعيدة ، بل الخالية عن الناس ، ليس له فيها أنيس إلا البوم والقطا ومحبرته ودفتره وقلمه ، وما يحمل — وكم عساه يحمل — من الكتب ، وما يختزنه في حافظته ، كما يصف السبب أيضا لتلك الرسالة فيقول : (لما تمسكت بعروة السنن الوثيقة ، وسلكت سنن الطريقة العتيقة تناولتني الألسنة البذيئة من اعداء السنة النبوية ، ونسبوني الى دعوى في العلم كبيرة ، وأمور غير ذلك كثيرة حرصا على ألا يتبع ما دعوت اليه ، من العمل بسنة سيد المرسلين ، والخلفاء الراشدين ، والسلف الصالحين ، فصبرت على الأذى وعلمت أن الناس ما زالوا هكذا .

ما سلم الله من بريته ولا نبي الهدى فكيف أنا . (١)

ثم شرع ابن الوزير في الرد على شيخه السابق ذكره بكتابه (العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم) ولكنه في أثناء الجواب كان بعيدا عن المصادر العلمية ، فكيف يتأتى له ذلك في العزلة ، يقول ابن الوزير في هذا : (ومن أين يتأتى ذلك أو يتهيؤ لي وأنا في بواد خوالية ، وجبال عوالية) ثم أنشد هذه الأبيات يصف حالته في العزلة عن الناس للتصنيف ؟ :

فحينما بطود تمطر السحب دونه	أشم منيف بالغمام موءزر
وحينما بشعب بطن واد كأنه	حشا قلم تمسى به الطير تصفر
إذا التفت السارى به نحو قلعة	توهمها من طولها تتأخر
أجاور في أرجائه البوم والقطا	فجبرتها للمرء أولى وأجدر
هنالك يصفو لي من العيش ورده	والأفورد العيش رنق مكدر
فإن يبست ثم المراعى وأجدبت	فروض العلا والعلم والدين أخضر
ولا عار أن ينجو كريم بنفسه	ولكن عار اعجزه حين ينصر
فقد هاجر المختار قبلى وصحبه	وفر إلى أرض النجاشي جعفر (٢)

(١) الروض الباسم لابن الوزير ج ١ ص ٩ .

(٢) الروض الباسم لابن الوزير ج ١ ص ١٠ .

ومن هذا النص يتضح أن هذه المرحلة : مرحلة التأليف والمناظرة ، والمراسلة ، قضى معظمها ابن الوزير ، في قم الجبال وكهوفها ، ويطون الأودية ، وشعابها ، يؤيد ذلك ما أخبرني به من له علم بأحواله من أسرته ، أنه صنف (العواصم والقواصم) في جبل من جبال بني مسلم ^(١) ، وبعضهم أخبرني أنه صنفه في كهف في جبل نقم ^(٢) ، ولا مانع في نظري — من أن يكون بعضه هنا وبعضه هناك ، وقد وهم محقق (مقدمة ايثار الحق) في حكاية هذه الأبيات في عزله الأخيرة أشياء تأليفه (ايثار الحق) والصواب أن هذا في أشياء تأليفه (العواصم والقواصم) لأن هذه الأبيات ذكرها في مختصره (الروض الباسم) ولما سياتي في ذكر مؤلفاته أنه ألفه سنة ٨٠٨ هـ وفي عزله الأخيرة صنف (ايثار الحق) سنة ٨٣٧ هـ كما أشار إلى ذلك ابن الوزير في الكتاب نفسه ^(٣) والأم سهل ان شاء الله تعالى . كما تصدر للتدريس في هذه المرحلة برهة من الزمن تتلصق على يديه الكثير من أنحاء اليمن .

(١) من بلاد يريم .

(٢) جبل مطل على صنعاء بل متصل بها من الجهة الشرقية .

(٣) مقدمة ايثار الحق بتحقيق أحمد مصطفى ص ٣٠ ، وأنظر الايثار

لابن الوزير ص ٧٧ .

— الحالة الدينية والثقافية في عصره —

لما يدرس الباحث الحالة الدينية والثقافية في اليمن ابتداءً من أواخر القرن الثالث الهجري الذي كثرت فيه الدعوات التنافسة بل المتعارضة يجد أن اليمن قد بات مشحوناً بالخلافات الدينية العقدية وغيرها .

كما يجد المناطق الجبلية الشمالية والشرقية حصناً ، بل مستودعاً للتشيع — غالباً — الذي هو موالاة على بن أبي طالب وبنه رضى الله عنهم ، ومن ذلك معاداة أعدائه الخارجين عليه ، ومعارضة كل الأفكار المخالفة لأفكارهم ، مهما كان صاحبها .

— وكان رؤساء هذه الدعوة ، أئمة الزيدية ، منذ بدأ تأسيس المذهب الزيدى ودولته على يد الإمام القاسم بن إبراهيم الرسى ٢٤٤ هـ وحفيده الإمام الهادى يحيى بن الحسين بن القاسم سنة ٢٩٨ هـ العلويين فى صعدة ونجران يومها ، وما يليهما . كما سيأتى بيانه فى فصل (المعتزلة والزيدية) ان شاء الله تعالى .

كما يجد أن الدعوة الباطنية بثت سمومها فى معظم المناطق اليمنية عن طريق دعائها الضالين الملحدين المحرفين للشرعة الإسلامية ، كما سيأتى تفصيله فى فصل (الباطنية فى اليمن ٠٠٠) ان شاء الله تعالى .

كما يجد أيضاً شرارة الاعتزال تطايرت وتتطاير من صعدة فصنعاء الى ضواحيهما فتشتعل فى سائر المناطق الجبلية الشمالية والشرقية اشتعال النار فى الهشيم ، ثم توضع عصاها وتستقر بها المقام هناك .

كما تظهر الأشعرية فى بعض المناطق الأخرى ، فتدور فى السواحل والجنوب من البلاد حيث تحط رحالها ومناهجها — الآتى بيانها فى فصلها — هناك .

هذا وما يحسن التنبه إليه أن مادة هذا البحث متداخلة مع مادة فصل (السلفية فى اليمن وموقف ابن الوزير منها) — الآتى ذكرها فى الباب الثانى من هذه الرسالة — متداخلة تداخلاً شديداً أحياناً لفظياً ، وأحياناً معنوياً ، فلا يتهمنى القارىء بالتكرار فقد جرت بذلك عادة العلماء الأخيار ، وان تركت شيئاً — حسب رأى القارىء — مما وعدت به فى الآتى فأرجوا ألا

يتهمنى بمواعيد عرقوب^(١) فانه اذا رجع عند المناسبة يجد صحة هذا ان شاء الله تعالى والله الموفق .

النزاعات بين الطوائف :

مما لا شك فيه أن لوجود الخلافات في الآراء ، وتشعب الأفكار ، وتصادم النظريات ، في أي شعب من الشعوب لاسيما فيما يتعلق بالعقيدة ، وعلوم الشريعة أيضا ، لدليل حي على رسوخ الامة ، في اعتناق المبادئ الاساسية ، وتعلقها بالبحث العلمي ، والاستبطاء العقلي ، والتحرر الفكري .
ومما لا يستطيع أحد إنكاره أن اليمن لها دور هام في بناء الحياة في الجاهلية والاسلام وكان لنشاطها العقلي والعقلي أثر بالغ في تشييد صرح الحضارة وصنع التاريخ من ذلك قصة (سبأ) المشهورة في القرآن الكريم .
وفي اليمن - كما سبق شرحه - عدة مذاهب عقائدية أو عقديّة اسلامية ماعدا الباطنية فهي دخيلة على الاسلام كما يأتي تقرير ذلك في فصل (الباطنية) ان شاء الله تعالى .

وتعتبر هذه المذاهب نقطة البدء بالنسبة لتراث اليمن الاسلامي ، ودراسته من الناحية الفكرية .
الا أنه من المؤسف جدا ما أدت اليه هذه النزاعات الطائفية الآتي بيانها في الحالة السياسية لان للدول في طي العلوم ونشرها أثر كبير كما هو معروف .
وقد كانت صنعاء تضم مجموعة من أتباع المذهب السني ، كالحنفية ، والشافعية ، والحنابلة ، بيد أن الغالبية في صنعاء وما إليها ، هم أتباع المذهب الزيدي ، الذين كان أئمتهم يشترطون على البلاد التي كانوا يستولون

(١) مثل يضرب به في خلف الوعد سبق بها نه في ٧

عليها أن يكون حتى على خير العمل من ألفاظ الأذان وأن الصلاة خير من النوم بدعة في حين قابلهم أهل السنة بالعكس وغير ذلك من المسائل الفرعية وانتشر المذهب المالكي والحنفي والشافعي في سواحل اليمن وجنوبه ، وكانت (زبيد) تحتضن أكثر من مذهب إلا أن الغالب هو المذهب الشافعي . (١) وكانت النزاعات الطائفية في أوجها ، الأمر الذي أدى بالشافعية الى انكار المذهب الحنفي القائل بالرأى وربما تسبب بعض الشافعية في متابعنة ائتلاف كتب الحنفية وكانت مدرسة المذهب الشافعي مستقلة عن مدرسة المذهب الحنفي في زبيد وغيرها في عهد الدولة الرسولية لما وقف أحد فقهاء الحنفية للملك المنصور بن رسول قائلا له ما فعل بك أبو حنيفة حيث لم تبين لاصحابه مدرسة (٢) والشافعية في اليمن وان كانوا الى الحنابلة أميل ، إلا أنهم لم يوافقوهم في جميع معتقداتهم في الصفات وغيرها .

ومع هذا فكان للمذهب الحنبلي مكانته في اليمن السافل ، ومنه لواء (إ ب) ، فقد حصر العلامة أحمد بن محمد البريهي سنة ٨٣٣ هـ (٣) وقف كتبه ، على أتباع عقيدة الامام أحمد بن حنبل ، ووقف الجندی المؤرخ صاحب (السلوك) كتبه - وعدد ها ثمانون كتابا - على أهل السنة ، ولاحق فيها لمبتدع ، بلغ بهم الأمر الى أنه كان يكتب بعض العلماء ، ومنهم الفقيه

-
- (١) أنظر طبقات الفقهاء لابن سمرة الجعدي ص ٧٩ - ٨٠ وما بعدهما . تحقيق فؤاد سيد بيروت ط ثانية سنة ١٤٠١ هـ وحياة الأدب اليمني في عصر بني رسول للمؤرخ عبد الله الحبشي ص ٥٢ - ٥٣ وزارة الاعلام اليمنية ، والعقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية لعلي بن الحسن الخزرجي عني بتصحيحه محمد بسيوني عسل مطبعة الهلال بمصر سنة ١٣٢٩ هـ ، والشوكاني مفسرا لمحمد حسن الغماري ص ٥٣ دار الشروق للنشر والتوزيع ط أولى سنة ١٤٠١ هـ .
- (٢) أنظر طبقات الخواص لأحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الزبيدي الحنفي سنة ٧٩٣ هـ ص ١٧١ - ١٧٢ طبع الميمنية بمصر دون تاريخ وهذا الفقيه هو أبو بكر بن عيسى بن عثمان الأشعري سنة ٦٦٤ هـ .
- (٣) هو أحد معاصري ابن الوزير (أنظر ترجمته في طبقات صلحاء اليمن المعروف بتاريخ البريهي عبد الوهاب بن عبد الرحمن السكسكي اليمني ص ٩٩ وما بعدها تحقيق عبد الله الحبشي مركز الدراسات والبحوث اليمن صنعاء .

محمد بن مضمون سنة ٦٣٣ هـ - على كل كتاب هذه الأبيات :

وقف حرام وحبس دائم الأبد بقاء رجاء ثواب الواحد الصمد
على الحنابلة المشهور مذهبهم من آل بيت أبي عمران ذي الرشد^(١)
لاحظ فيه لبدعي يخالفني أو كان معتقدا ما ليس معتقدي^(٢)

فقد ذهب الحبشي إلى أن غالبية فقهاء اليمن كانوا يأخذون بعقيدة
الامام أحمد بن حنبل سنة ٢٤١ هـ حتى زمن الجندی سنة ٢٩٣ هـ حتى القرن
الثامن الهجري ، الذي ولد فيه ابن الوزير ، وانتقل بعض العلماء إلى اعتقاد
المذهب الأشعري . لكنهم لا يتظاهرون به خوفا من جهال بلادهم .

وأنها قد جرت احتكاكات ومنازعات بين الحنابلة ، والأشاعرة - شديدة ،
أدت ببعض العلماء إلى الهجرة خارج اليمن^(٣) ، إذ كان فقهاء الحنابلة في
أول أمرهم من أكثر الناس محاربة لعقيدة أبي الحسن الأشعري حتى وصل

(١) المراد به السلفي الكبير يحيى بن أبي الخير العمراني سنة ٥٥٦ هـ قال
عنه الجعدي انتشر علمه في البلدان ، وجاوز البحر مع السودان وسارت
بتصانيفه الركبان في اليمن والشام وهو الذي ناظر المعتزلة وأفحمهم
ورد عليهم بكتاب (الانتصار في الرد على القدريّة الاشرار) ضد الكتاب
الذي صنفه القاضي جعفر بن أحمد بن عبد السلام سنة ٥٢٣ هـ المعتزلي
وأسماء (الدامغ للباطل في مذهب الحنابل) طبقات فقهاء اليمن
ص ١٨٠ وما بعدها طبقات الزيدية خ صنعا .

(٢) حياة الأدب اليمني ص ٦٨ .

(٣) صرح الحبشي في حياة الادب اليمني ص ٥٤ بأن أول احتكاك مباشر
بين الحنابلة والأشاعرة في اليمن عندما خرج الفقيه طاهر بن يحيى
العمراني عن مذهب والده السلفي السابق ذكره وهذا وهم لاشك فيه
لأنه أسنده إلى طبقات فقهاء اليمن والذي فيه هو ما جرى من المناظرة
بين الفقيه طاهر السلفي وبين الفقيه الحنفي محمد بن أبي بكر المدحج
بين يدي عبد النبي بن علي بن مهدي فقطعه واستظهر عليه .
أنظر الطبقات ص ١٨٨ وقد فرح والده بذلك فرحا شديدا كما فسى
المصدر نفسه .

الأمريبي عنهم الى أن يحرم إغارة كتبه لفقهاء الأشعرى ، ويوصى بذلك فى وصيته — كما سبق قريباً — ويكتب على ظهر كتابه :

هذا الكتاب لوجه الله موقوف ه ه نبا الى الطالب السنى معروف
ما للاشاعة الضلال فى حسبى ه ه حق ولا للذى فى الربيع معروف (١)
قلت : وهذا الكلام فيه نظر من وجوه :

أولاً : إن هذا صريح فى تضليل الأشعرية الصادر من خصومهم الحنابلة ، وقد سبقت فى الآيات الثلاثة قصر وقف الكتب على الحنابلة ولا حظ فيها لصاحب البدعة لكن من المراد به هل هو الحنفى الماترىدى (٢) أو الأشعرى ؟ وبالرجوع الى القاعدة الأصولية فى رد المجل الى الفصل يتبين الأمر بأن المراد بالبدعى هنا : الأشعرى للتصريح بذكر الأشاعة — والله أعلم •

ثانياً : ان القول بأن فقهاء الحنابلة فى أول أمرهم ، كانوا من أكثر الناس محاربة لعقيدة أبى الحسن الأشعرى يحتاج الى تحرير دليل فان كان المراد من ذلك محاربة عقيدة الأشعرى فى طوره الثانى — كما سيأتى بيانه فى فصل (الأشعرية) فهذا وارد ، لأن الحنابلة أتباع الامام احمد بن حنبل ، وهو من كبار أئمة الحديث ، والسنة ، وحلقة من السلسلة السلفية وعقيدة الأشعرى فى طوره الثانى لا تتفق والعقيدة السلفية ، يعرف ذلك أهل هذا الفن وخاصته •

ثالثاً : إن هذه الخصومة بين الحنابلة والأشاعة فى اليمن — كما قررها الحبشى — تدل دلالة واضحة على أن العقيدة الأشعرية التى انتشرت فى اليمن هى عقيدة الأشعرى فى طوره الثانى ، والا فما فائدة الخصومة ؟

رابعاً : وإن كان المراد بهذه المحاربة لعقيدة الأشعرى فى طوره الثالث ، فالواقع يرفض هذا رفضاً باتاً فقد رجع الأشعرى عن طوره الاول ، وهو الاعتزال

(١) السلوك للجندى ورقة ١٢٦ يوجد بمكتبة مركز البحث العلمى بجامعة أم القرى ميكروفيلم رقم ٣٠٨ تراجم وتاريخ ، وحياة الادب اليمنى للحبشى ص ٥٤ — ٥٥ •

(٢) هو أبو منصور الماترىدى سنة ٣٣٣ هـ نسبة الى محلة بسمرقند •

وعن الثانى ايضا - وهو ما عليه الأشاعرة فى اليمن وغيره - الى الطور الثالث السلفى ، الذى صرح به فى كتابه (الابانة) و (مقالات الاسلاميين) بانه يقول ما يقول به الامام احمد وسائر اهل الحديث ، وسيأتى نص كلامه فى الكلام على أطواره الثلاثة فى فصل (الأشعرية) ان شاء الله تعالى .

كما حصلت مناظرات بين الزيدية أنفسهم معظمها تدور حول أصول الدين ومسألة الإمامة وما يتعلق بها ، وما حكاه ابن الوزير المناظرة التى حصلت بين الامامين المهدي أحمد بن يحيى والمنصور على صلاح الدين شان الإمامة ولم يذكر الحكم ولا النتيجة . (١)

أما المناظرات والمراسلات بين ابن الوزير وخصومه فحدث ولا حرج وسيأتى بعضها فى ثنايا هذه الرسالة .

انهماك المعتزلة الزيدية فى العلوم العقلية :

لما كانت العلوم العقلية كما فى نظر أصحابها - السلاح الذى لا يكل حده فى معترك الانظار ، تزامم عليها طلابها بالركب ، وتنافسوا فيها على قصب السبق ، لما تلقوه من شيوخهم من الحث والتشجيع على الاغتراف من هذا المنهل والاخذ منه بالحظ الاوفر ، لأن النبوغ فيه مئة الذكاء ، والنجابة ، كما أن العجز عن تحصيله علامة البله والبلادة ، ومع هذا فإن الانقسام العنيف بلغ القمة فمعظم الطوائف يخطؤ بعضها بعضا ، وقد تكفروا أو تفسقوا جريا وراء أهل الكلام وتقليداً ، وهذا يكونون قد تنكبوا المنهج العلمى السلفى الصحيح ، بل وتنكبوا منهج الائمة الزيدية من أسلافهم الذين اعتنوا عقلية كاملة ، بالاجتهاد ، والدعوة اليه ، ونبتذ التقليد .

وقد اشتهر فى مؤلفاتهم أنه لا يشرح أحد للإمامة الا اذا توافرت فيه عشرة شروط ، منها الاجتهاد والتحرر من التقليد .

فى خضم هذه التيارات العقلية ، والمعارك الجدلية ، انغمس معظم الزيدية ، اتباعاً لمنهج المعتزلة - الام الحنون - العقلى ، وتقديمه على

(١) ترجيح اساليب القرآن لابن الوزير ص ٦٥ . مطبعة المعاهد بمصر بدون تاريخ .

السمع ، أو تأويله على حسب ما تقتضيه عقولهم ، كما سيأتى فى فصل (المعتزلة)
وفى (الممارك الكلامية) وفى (موقف ابن الوزير من الابتداء ٠٠٠) ان شاء
الله تعالى .

انغمسوا فى خضم هذه التيارات ، وأعرضوا عن العلوم السمعية المنزلة
على خاتم المرسلين — صلى الله عليه وسلم — بل عارضوا ذلك وصنفوا فى
التحذير من الاعتماد على تلك العلوم السمعية السماوية بحجة أنها لا تنفع ،
وليتهم وقفوا عند هذا الحد ، فقد ذكر المشوكانى ما هو افطع من هذا حيث
يقول أثناء ترجمته ليحيى بن الحسين بن القاسم الشهارى (وقد تواطأ هو
وتلامذته على حذف أبواب من " مجموع زيد بن على " وهى ما فيه ذكر الرفع
والضم والتأمين ونحو ذلك ، ثم جعلوا نسخا ونثوها فى الناس وهذا أمر
عظيم وجناية كبيرة ، وفى ذلك دلالة على مزيد الجهل وفرط التعصب) (١)

وقد راجعت نسختين من (مجموع زيد بن على) فوجدت ذكر الرفع
ولم أجده الضم والتأمين وهذه من الاشياء التى نقت على ابن الوزير ان يعمل
بها وخالف مذهب الزيدية ، والله المستعان .

ابن الوزير يدعو الناس الى الكتاب والسنة :

وعندما اشتد الخطب ، وعظم الهول ، نهض ابن الوزير
يدعو الى الرجوع الى كتاب الله — عز وجل — وسنة رسوله — عليه الصلاة
والسلام — ففيهما هداية البشرية ، وكل ما تحتاج اليه فى معاشها ومعادها
أما العقل فلا مانع من استخدامه فيما له فيه مجال ، من فهم تلك النصوص التى
نزلت من عند الله — عز وجل — العليم الخبير بما يصلح عباده ، الحكيم
فى أقواله وأفعاله وسيأتى بيان هذا فى (منهج ابن الوزير العلمى) وفى
مبحث (إثبات الصانع) ان شاء الله تعالى .

(١) البدر الطالع للشوكانى ج ٢ ص ٣٢٩ — ٣٣٠ ، وأنظر مجموع زيد بن على
ص ٩٠ وما بعدها ، ويسمى (مسند الامام زيد) ط بيروت ط أولى سنة
١٤٠١ هـ والنظر فى شرح مجموع الفقه الكبير لأحمد حسين السيافى
ج ١ ص ٦٢٦ ج ٢ ص ٣ وما بعدها ط مكتبة المؤيد بالطائف ط ثالثة
سنة ١٣٨٨ هـ .

كما نهض ابن الوزير يدعو الى ترك الاساليب المنطقية اليونانية لما فى القرآن الكريم من الغناء الكامل عن تلك المصطلحات اليونانية ، وأنه أساس لاستباط البراهين العقلية ، وألف فى ذلك كتابا ردا على من ادعى من المعتزلة وغيرهم قصور القرآن العظيم عن الوفاء بالدلالة على إثبات الربوبية والتوحيد والنبوات ، وعلى زعمهم أن الله - عز وجل - لا يعلم من ذاته الا ما يعلمونه ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، (كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا) (١) .

وسمى هذا الكتاب القيم : (ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان) الذى وصفه الشوكانى بقوله : (وهو كتاب فى غاية الافادة والاجادة ، على أسلوب مخترع ، لا يقدر على مثله الا مثله) (٢) .

كما وصفه الاستاذ خليل هراس بأنه كتاب لم تر العين مثله . (٣)

ابن الوزير يصف التيارات المنحرفة :

والآن ندع ابن الوزير يصف لنا هذه التيارات الفكرية المنحرفة فى عصره فيقول : (إنه نبغ فى هذا الزمان من عادى علوم القرآن ، وفارق فريق القرآن ، وصنف فى التحذير من الاعتماد على ما فيه من التبيينات ، فى معرفة الديان ، وأصول قواعد الأديان ، وحث على الرجوع فى ذلك الى معرفة قوانين المبتدعة واليونان ، منتقضا لمن اكتفى بما فى معجز التنزيل من البرهان ، مقبحا لتلقى كثير من محكماته بالقبول والايمان ، لا جرم أن الله تعالى وإن وصفه لقوم هدى ، فقد وصفه بأنه على قوم عمى ، فحسبوه حين عموا عنه وصموا أنه لأمر يرجع الى ذاته ولخلل يعود على بين آياته ، ولم يعلموا أن ذلك يخصهم ، لما فى قلوبهم من العمى والعمى ، والرداءة والردى ، فكانهم المنافقون ربيا وخبثا وبهتاننا حين قالوا : (أيكم نأمره هذه أيمانا) (٤) .

(١) سورة الكهف : ٥ .

(٢) البدر الطالع للشوكانى ج ٢ ص ٩١ .

(٣) أنظر الشوكانى مفسرا للغمارى ص ٤٧ .

(٤) سورة التوبة جزء من الآية : ١٢٤

ومن يك ذا قم مر مريض يجد مرابه الماء الزلالا (١)

ثم ان ابن الوزير ليتعجب من سخافة عقول هؤلاء الذين يتعاطون العلم بذات الله - جل وعلا - وصفاته وأنهم يعلمونها كما يعلمها علام الغيوب ، ويعلمون تأويل جميع المتشابهات ، مع منعهم غيرهم من الاعتماد فى التوحيد على الآيات المحكمات وأمهاات المتشابهات ، فهل هذا إلا مضادة للمعقول ، ومناقضة للمنقول ؟ (٢) .

وما أحسن قول ابن الوزير فى هذا المعنى بقوله :

منطق الاولياء والاديان	منطق الانبياء والقرآن
ولأهل اللجاج غد التمارى	منطق الأذكيا واليونان

وقوله فى موضع آخر :

كم من فتى منطقى الذهن ماخطرت	بالبال منه اصطلاحات القوانين
وكم فتى منطقى كافر نجس	كالكلب بل هو شر منه فى الهون
يرى وساوس أهل الكفر منقبة	فهما ويسخر من طه و يس

وقد سبقه شيخ الاسلام ابن تيمية سنة ٧٢٨ هـ الى هذا المعنى بأوجز عبارة وأوضح دلالة بقوله : منطق اليونان لا يستفيد منه الفبس ولا يحتاج اليه الذكى . (٣)

حركة التأليف فى عصر ابن الوزير :

ان المجتمع العلمى اليمنى : - كغيره من المجتمعات الاسلامية - قد سجل له التاريخ من العلماء المجتهدين الفوفقين وغير المجتهدين عددا لا يستهان به منذ مطلع القرن الاول الهجرى ، كآبى موسى الاشعرى وأصحابه وغيرهم ، ومن التابعين طاووس بن كيسان الذى ولى القضاء فى صنعاء والجند سنة ١٠٦ هـ ، وهب بن منبه سنة ١١٠ هـ وأخيه همام بن منبه سنة ١٣٤ هـ وحش بن عبد الله الصنعائى سنة ١٣٢ هـ ، ومعمربن راشد ١٥٣ هـ ، وهشام ابن يوسف الصنعائى ، قاضى صنعاء سنة ١٩٧ هـ والامام المرحول اليه

-
- (١) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير ص ٩ - والبيت للمتنبى
 (٢) الترجيح له ص ٩ ، وانظر كلام المؤرخ اليمنى عبد الله الحبشى فى موضوع الاشادة بموقف ابن الوزير هذا فى حياة الادب اليمنى ص ٩٥ - ٩٦ .
 (٣) الرد على المنطقيين لابن تيمية ص ٣ مطبعة معارف لاهور باكستان ١٣٩٦ هـ

من الآفاق ، عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري صاحب المصنف المشهور
سنة ٢١٢ هـ وغيره هو ، لا كثير ، وستأتى الإشارة الى هو ، لا الأعلام فى فصل
(السلفية فى اليمن) ان شاء الله تعالى .

ومن يبحث عن حالة اليمن العلمية يجد أنها فى نهضة مستمرة فى شتى
الفنون ، لكن — مع الأسف — هذه النهضة محصورة فى بعض المدن اليمنية لاحظ
فيها للبوادى والقرى ، إلا من رحل منها لطلب العلم الى أى مدينة واستمرت
هذه النهضة الى عصر ابن الوزير لاسيما فى الديار الهادوية ، من الزيدية ،
فان لهم غاية كبرى بالتأليف وقلما يرشح عندهم أحد للامامة الا اذا بلغ درجة
الاجتهاد والتأليف ، فكان هذا من أعظم الحوافز على التأليف .

وقد اطلعت على عدد هائل من المخطوطات اليمنية فى مكتبتي جامع
صنعا بعضها — وللأسف — تعبت بها الحشرات لايسمح لمن يريد التصوير أو
التحقيق ، فى كثير من فنون العلم فى عصر ابن الوزير وقبله وبعده ، ومن خلال
اطلاعى على كتب الفقه للزيدية ظهر لى أنهم يميلون فى الفروع الى الاحناق
مع اجتهاد فى كثير من القضايا ، وأما الاصول فسيأتى الافصاح عنها فى فصل
(الزيدية) ان شاء الله تعالى وسأذكر نماذج من نوابغ المؤلفين الذين
عاصروهم ابن الوزير من عدة مناطق فى اليمن مرتبين حسب الوفيات .

العلماء المؤلفون فى عصر ابن الوزير :

- ١ — الملك الافضل الرسولى عباس بن على بن داود سنة ٧٨٧ هـ سرد مؤلفاته
تقى الدين الفاسى فى العقد الثمين منها :
- ١ — الالغاز الفقهية . ٠ ٢ — بغية ذوى الهجى فى انساب العرب والعجم
يوجد نسخة منه مخطوطة بمكتبة المجمع العلمى العربى بدمشق ، وأخرى
فى مكتبة برلين برقم (٩٣٨١) ٣ — العطايا السنية والمواهب الهنية
فى المناقب اليمنية فى التراجم مرتب حسب الحروف توجد نسخة منه
بدار الكتب المصرية برقم (٣٥١) تاريخ ، وأخرى مصورة فى نفس السدار
رقم (١٢٩٧٥) ٤ — نزهة الظرفاء وتحفة الخلفاء وهى رسالة فى

سياسة الدولة (١).

٢ — الامام الناصر لدين الله صلاح الدين محمد بن علي سنة ٧٩٣ هـ أحد أئمة الزيدية — ٢ — رسالة كتبها عقب إمامته إلى أهل مكة قال عنها الهادي الوزير أودع فيها من أصول الدين ما يشهد له بالسبق في هذا المضمار — ٣ — شرح نوابغ الكلم للزمخشري (٢).

٣ — أبو بكر بن علي الحداد الزيدى الحنفى سنة ٨٠٠ هـ من مؤلفاته — ١ — شرح مختصر القدورى صغير — ٢ — شرح مختصر القدورى كبير — ٣ — تفسير الحداد (٣).

٤ — المطهر بن محمد المطهر ت سنة ٨٠٣ هـ وقيل سنة ٨٠٢ هـ من مؤلفاته — ١ — الدر المنظوم الملفوف بالعلوم مخطوطة بمكتبة الجامع صنعا رقم (٣١٤) أدب — ٢ — الروض الباسم إلى السيد محمد بن القاسم (ذكر فيها أسباب دعوته وقيامه بالإمامة مخطوطة في مكتبة الجامع الغربية مصادرة رقم (٤٣) مجاميع (٤).

٥ — اسماعيل بن العباس بن علي الرسولى سنة ٨٠٣ هـ من مؤلفاته — ١ — (فاكهة الزمن وفاكهة ذوى الآداب والفطن في أخبار من ملك اليمن) ويسمى أيضا (مرآة الزمن في تخالف أخبار اليمن) — ٢ — (في تاريخ اليمن من ظهور الاسلام إلى نحو سنة ٨٠٢ هـ) توجد منه نسخة

(١) العقد الثمين لتقى الدين الفاسى سنة ٨٣٢ هـ ج ٥ ص ٩٤ — ٩٦ تحقيق فؤاد سيد مطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٨٥ هـ والعقود اللوئية ج ٢ ص ١٥٨.

(٢) حكام اليمن للحبشى ص ١٦٠ بيروت ط اول سنة ١٣٩٩ هـ ، وأئمة اليمن للمؤرخ زيارة الصنعائى ص ٢٦٠ — ٢٢٨ والاعلام للزركلى ج ٦ ص ٢٨٢.

(٣) البدر الطالع للشوكانى ج ١ ص ١٦٦.

(٤) البدر الطالع ج ٢ ص ٣١١ وغاية الامانى ليحيى بن الحسين ج ٢ ص ١٥٥ وحكام اليمن للحبشى ص ١٦٣ — ١٦٨ ، والاعلام للزركلى ج ٢ ص ٢٥٤.

(١) مخطوطة في انجلترا بمكتبة مانشستر .

٦ - السيد صلاح بن جلال بن صلاح الدين بن محمد بن المهدي سنة ٨٠٥ هـ من مؤلفاته : ١ - تنمة شفاء الامير الحسين (في الفقه ، حشاه الشوكاني بـ) ويل الغمام على شفاء الاوام (٢) .

٧ - السيد الهادي الوزير اخو صاحبنا ابن الوزير سنة ٨٢٢ هـ من مؤلفاته :
١ - كفاية القانع في معرفة الصانع - ٢ - (الطرازين المعلمين في فضائل الحرمين المحرمين) - ٣ - (السيوف الموهبات على من اُحد في الصفات) - ٤ - (نهاية التنويه في اذهاق التويه) - ٥ - كاشفة الغمة عن حسن سيرة امام الامة (- ٦ - كريمة العناصر في الذب عن سيرة الامام الناصر) وهي رد على من اعترض على الامام صلاح الدين بقله العلم ، فكان من جملة الجواب ، أنه قد احرز من العلم كتاب الله تعالى ، وتفسيره ، ونظر في الحديث النبوي ومعرفة رجاله وما قيل فيهم من جرح وتعديل . (٣)

٨ - اسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله ابراهيم الشافعي المعروف بالمقرئ الزبيدي سنة ٨٣٧ هـ من مؤلفاته - ١ - الروض (مختصر الروضة - ٢ - (الارشاد) في فروع الشافعية . (٤)

-
- (١) العقود اللؤلؤية للخزرجي ج ٢ ص ١٦٣ وتاريخ حضرموت للبكري ج ٢ ص ٥٥٠ - ٥٥١ وانباء الغمر لابن حجر ج ٣ ص ٤٦٤ ط الهند ، وتاريخ عدن ص ١٠١ - ١٠٤ وتاريخ ثغر عدن لأبي مخرمة ص ٢٠ - ٢١ ط بريل ليدن ١٩٣٦ م وفرجة الهموم والحزن للواسعي ص ١٩٥ .
(٢) البدر الطالع للشوكاني ج ١ ص ٢٩٨ - ٢٩٩ .
(٣) البدر الطالع ج ٢ ص ٣١٦ - ٣١٧ وانباء الغمر لابن حجر ج ٧ ص ٣٧٢ والضوء اللامع للسخاوي ج ١ ص ٢٠٦ غاية الأمانى للشهاري ص ٥٦٠ .
(٤) البدر الطالع ج ١ ص ١٤٢ - ١٤٥ .

٩ - الشريفة دهما بنت يحيى المرتضى أخت الامام المهدي أحمد بن يحيى سنة ٨٣٧ هـ ، من مؤلفاتها - ١ - (شرح الأزهار) في أربعة مجلدات - ٢ - (شرح مختصر المنتهى) لابن الحاجب في أصول الفقه - ٣ - شرح لمظومة الكوفي (في الفقه والفرايض) . (١)

١٠ - السيد علي بن محمد بن أبي المقاسم بن محمد أحد شيوخ ابن الوزير سنة ٨٣٧ هـ أشهر مؤلفاته (تجريد الكشاف) . (٢)

١١ - الامام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى أحد أقران ابن الوزير ومناقبه وكلاهما من أسرة واحدة سنة ٨٤٠ هـ بلغت مصنفاته سبعون مصنفًا ، إلا مصنفًا ، في شتى الفنون منها - ١ - (البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار) خمسة أجزاء في عدة فنون حوت مقدمة كتابي أصول الدين وأصول الفقه ولانطيل الكلام في تعدادها فقد كفانا مؤنتها الحبشي في كتابه (حكام اليمن المؤلفون المجتهدون) المطبوعة منها والمخطوطة في المكتبات الاسلامية وغيرها ، وقد أشار الى ارقامها تسهيلًا للباحث فارجع اليه . (٣)

١٢ - السيد الحسين بن عبد الرحمن بن محمد بن علي الحسين العلوي الشافعي ، المعروف بالأهدل سنة ٨٥٥ هـ من مؤلفاته - ١ - (الرسائل المرضية في نصرة مذهب الأشعرية ، وبيان فساد مذهب الحشوية) (٤)
..... تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن (٥)

-
- (١) البدر الطالع ج ١ ص ٢٤٨ .
(٢) البدر الطالع للشوكاني ج ١ ص ٤٨٥ .
(٣) البدر الطالع ج ١ ص ١٢٢ - ١٢٦ وحكام اليمن للحبشي ص ١٧٣ - ١٩٩ وتاريخ اليمن المسمى فرجة البهموم والحزن للواسعي ص ٢٠٣ - ٢٠٦ وقد سرد البعض من مؤلفاته والاعلام للزركلي ج ١ ص ٢٦٩ ، وغاية الاماني للشهاري ج ٢ ص ٥٣٨ .
(٤) سياقي معنى الحشوية في (المعارك الكلامية) ان شاء الله تعالى .
(٥) البدر الطالع ج ١ ص ٢١٨ .

أما مؤلفات ابن الوزير فسيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى في مبحث خاص.
وبالجملة فقد ازدهر عصر ابن الوزير بالتأليف في شتى الفنون ومنها
الفلك والطب والبيطرة والزراعة وغير ذلك مما شغلت به كتب التراجم والتاريخ
في اليمن .

مكانة العلم والعلماء في عصر ابن الوزير :

في عصر ابن الوزير كان يحكم اليمن دولتان متافستان ثقافياً
وسياسياً هما الدولة الرسولية في الساحل والجنوب عاصمتها (تعز)، والدولة
الزيدية وعاصمتها (صنعاء)، وهذه المنافسة بل المنازعة أحوجتهم - كما
هو معروف - لمن يؤيدهم في المجالات العلمية والثقافية ، ومن ناحية
أخرى يدافع عنهم ما يهاجمهم به خصومهم فكانت للعلماء مكانة قد تساوى
المكانة السياسية بلغ بهم الأمر أن أحدهم كان يخاطب الملك الرسولي :
يا فلان كثر شاكوك وقل شاكروك ، فأما عدلت وأما انفصلت ، فيقبلها الملك
برحابة صدر وتسامح ، لكن هذا التسامح أما أن يكون لأسباب سياسية ،
لما للعلماء من المكانة عند الشعب ، أو لمكانة العلم والعلماء هذا يعلمه
الله ، إلا أن اشتغال ملوك الدولة الرسولية بالتأليف يرجح مكانة العلم
والعلماء لديهم ، وشدة حرصهم على الانتساب إلى العلم والعلماء وهذا
واضح من مؤلفاتهم التي ذكرها المؤرخون اليمنيون ، كما انتشر التعليم
والمدارس وطلب شيوخها من داخل البلاد وخارجها وتقررت لهم المقررات
المادية المشجعة على ذلك ، كما تقلدوا على كثير من علماء زمانهم ، وهذا
يدل على تكريم العلم والعلماء ، والتشجيع على البحث العلمي ، وكان إذا فرغ
المؤلف من تأليف كتاب يحمل الكتاب على الرأس في موكب على المستوى
الشعبي / ^{والرسمي} ملفوفاً بين أثواب الحرير في أطباق الفضة تحفّه العلماء من
بيت مصنفه إلى باب الملك ، ويقتنيه في خزائنه بعد الأمر باستساخه ،
ويعطى الجائزة الثمينة لمصنفه (١) . وكانت للصوفية لدى الدولة الرسولية

(١) انظر التفاصيل في حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول للحبشي
ص ٥٠ - ٦٢ وما بعدها ، والصوفية له ص ٤٧ ، وغاية الأمانى ليحيى
ابن الحسين القاسم ج ٢ ص ٢٥٦ وما بعدها ص ٢٧٥ .

مكانة العلماء بل أرفع بعكس مكانتهم عند أئمة الزيدية فانهم كانوا يخافونهم خوفا شديدا بعد أن قتل الامام صلاح الدين محمد بن على سنة ٧٩٣ هـ الفقيه الصوفي أحمد بن زيد الشاذلي وولده وجماعة من أصحابه ، قيل أنه كان يقبض الامام صلاح ، فهجاه الفقيه اسمعيل بن أبي بكر المقرئ ، سنة ٨٣٧ هـ بقصيدة مطلعها :

أراني الله رأسك يا صلاح ٥٥٥ تداولها الأئمة والرماح (١)

أما معاصروا ابن الوزير في الديار الزيدية ، ودولتها ، التي عاش في ظلها ، فقد توفرت لها الأسباب المشجعة على البحث العلمي والنشاط العقلي ما يكسبها التفوق على الدولة الرسولية وعلمائها ، لان من طبيعة المذهب الزيدي الاشتغال بالعلوم واجادتها ، وبلوغ درجة الاجتهاد هي المرشح لمنصب الإمامة مما يجعلهم يسعون جادين في التحصيل والبحث العلمي ، ولكن ليس هذا هو الحافز الوحيد ، فكما كان ملوك الدولة الرسولية - كما أشرت قريبا - يقربون العلماء ويشجعونهم ويغدقون عليهم الاموال ، ويستعينون بهم فكذلك أئمة الزيدية ، وهذا ابن الوزير يصف الامام المنصور امام زمانه بقوله :

(ان الامام المنصور نشر محاسن كتب الحديث ، وجمع نفائسها ، وعرف غرائبها ، ولم يشتهر التدريس في الديار الزيدية اليمنية مثل ما اشتهر في زمانه) . (٢)

وذلك مما ساعد على النهضة العلمية الحقيقية حتى امتلأت الخزائن والمكبات من مصنفات الزيدية . (٣)

-
- (١) أنظر الصوفية والفقهاء في اليمن للحبشي ص ٥٥ - ٥٦ . توزيع مكتبة الجيل الجديد بصنعاء سنة ١٣٩٦ هـ ، وطبقات الخواص أهل الصدق والاخلاص لاحمد بن احمد بن عبد اللطيف الزيدى الحنفى ٧٩٣ هـ ص ٢٤ ، ٢٥ .
- (٢) العواصم والقواصم لابن الوزير ج ١ - المقدمة ورقة ١٩ .
- (٣) راجع على سبيل المثال التحفة العنبرية خ لابي علامة ، وطبقات الزيدية للشهاري خ ، والبدر الطالع للشوكاني تجد تراجم كثير هني الزيدية .

الا أنه من المؤسف ظلت كتبهم محصورة بينهم الى عصرنا الحاضر مطلع القرن الخامس عشر الهجرى ، ولم ينتشر منها الا النزر اليسير من مؤلفات ابن الوزير والمقيلى والصنعائى والشوكانى الذى لازال من مؤلفاته ١٨٩ مخطوطة فى مكتبة جامع صنعاء الغربية التابعة للآثار ، والشرقية التابعة للأوقاف ، ولوزاد البحث عنها لا ارتفاع العدد (١) .

وينطبق على الزيدية ما وصفهم به الشوكانى من هذه الخصيصة التى امتازوا بها على سائر الفرق الاسلامية وهى قوله يصف الزيدية : (... لهم غاية كاملة ورغبة واقرة فى دفن محاسن أكابرهم ، وطمس آثار مفاخرهم ... واندى لاكثر التعجب من اختصاص المذكورين بهذه الخصلة التى كانت سببا لدفن سابقهم ولاحقهم ، وغبط رفيع قدر عالهم وفاضلهم ، وشاعرهم ، وسائر أكابرهم ... (٢)) .

وأنا بدورى شخصا أوكد ما قاله الشوكانى ، وأنه الواقع المرير المستمر فلقد كابدت المشاق فى الحصول ولو على نسخة واحدة لم يسمح المسئولون بتصويرها ، أنشأت السفر ثلاث مرات من مكة الى صنعاء لنفس الغرض لم أرجع - وأنا ابن اليمن - الا بخفى حنين^(٣) ، ولم أجِد لهم مبررا سوى كتمان العلم ، فعليهم أن يتحملوا تبعات الوعيد على كتمانهم عن طلابه ، والله المستعان .

الحالة الخاصة بابن الوزير :

أما الحالة الخاصة بابن الوزير فانك تجدها - بعد البحث مكثرة من أمرين رئيسين :

أحدهما : ثقافى علمى مشوب أحيانا بحالة نفسية ، والآخر سياسى ، مشوب بالولاء والدفاع ، وشىء من التعصب الشخصى بل الموالة الشخصية .

(١) أنظر هذه الأرقام فى الشوكانى مفسرا رسالة دكتوراه للغمارى ص ٨٢ - ٩٥

(٢) البدر الطالع للشوكانى ج ١ ص ٦٠ .

(٣) مثل يضرب عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخيبة مجمع الامثال للميدانى

ج ١ ص ٢٩٦ .

أما الثقافي ، فانه كان يعيش — كما سبق — في جو مشحون بالنزاعات الطائفية ، وانهماك معظم العلماء في العلوم العقلية ، والأعراض عن العلوم السمعية السماوية ، وتنافس النابغين في التأليف ، ولما كانت جلل الطوائف بل كلها يخطئ بعضها بعضا ، وقد تكفرها نتيجة سعيها وراء أهل الكلام أهل الأهواء والبدع كان يتحصر على هذه الفرقة والتقاطع .

ولما رأى ابن الوزير هذا الجو المحيط به قرر أنه لم يكن بسد من المقاومة لهذه التيارات الفكرية ، فشرع عن ساق — بعد توفيق الله إياه — واتجه يناظر ويراسل ويدعو إلى الرجوع إلى كتاب الله — عز وجل — وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام .

وقد كان هوداته قد أفنى شبابه ، في المصطلحات الكلامية اليونانية ، ثم تداركه اللطاف الإلهية فرجع عن ذلك إلى العكوف على علوم الشريعة ، فكان أول ما تبين له وجه الحق في بعض المسائل الفرعية كالتأمين ، والضم ، والتورك ، أما أصول الدين فلا اجتهد فيها فقد اكتفى بمنهج السلف المنبثق عن الكتاب والسنة — كما سيأتي في ثنايا هذه الرسالة أن شاء الله تعالى — وما زال يترقى في العلوم الشرعية حتى بلغ درجة الاجتهاد ، فقام عليه علماء الزيدية ، وعلى رأسهم العلامة على بن محمد بن أبي القاسم سنة ٨٣٧ هـ أحد شيوخه في التفسير وأصول الفقه ، فترسل عليه برسالة اعترض عليه واجتهاده لتعذره في نظره — أو تحسره ، فوجد ابن الوزير في نفسه من ذلك الاعتراض القاسي — فان المعترض لم يكن منصفاً — وهذا يهيج طبيعة ابن الوزير التي كان يشكو منها كثيراً ويتضرع إلى الله عز وجل — أن يداوى قاسي طباعه ، وسيأتي بيان هذا في (المعارك الكلامية) أن شاء الله تعالى . والاجتهاد ما تذهب إليه الزيدية ، وقد سبقه أئمة منهم عدهم في مقدمة (العواصم والقواصم) ولم ينكر عليهم أحد حتى جاء ابن الوزير فبلغ درجة الاجتهاد ، فقامت قيامتهم فتوالت المراسلات والمناظرات والجوابات حتى بلغت نتائجها أن رد ابن الوزير على شيخه المذكور ، بكتابه الموسوم بـ (العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم صلى الله عليه وآله وسلم) .

وستأتى نماذج منه فى (منهج ابن الوزير العلمى) و (مميزات الفكرية)
ان شاء الله تعالى .

وجالت المناظرات والمراسلات بين ابن الوزير وشيخه فى عدة فنون من العلم^(١) سنذكر ما يتعلق بموضوع بحثنا هذا وأمل الأمر الثانى السياسى الخاص بابن الوزير ، فقد ظهر لى من خلال البحث أنه قضى حياته السياسية فى تأييد الامام المنصور ، على بن الامام الناصر صلاح الدين ، أحيانا مهاجما خصومه ومنافسيه - وعلى رأسهم الامام المهدى - على عرش الزيدية فى اليمن ، اذ هو المستحق أن يتربع على عرش صنعاء يومها - فقد توفرت فيه شروط الامامة على مذهب الزيدية ، ولم تتوفر للامام على بن صلاح الدين ، كما سيأتى بيان ذلك فى الحالة السياسية - ان شاء الله تعالى - وأحيانا يقف ابن الوزير موقف المدافع عن امامة على بن صلاح ، من العلماء القاجرين فى امامته .

وموقف ابن الوزير هذا لا يكاد يظهر ليلكه ، بل مولاته لصاحبه ولشدة مناظرته وجداله المتمثل فى كتابه (الحسام المشهور فى الذب عن الامام المنصور) الآتى ذكر شىء منه فى فصل (الامامة والسياسة) ان شاء الله تعالى - لا يكاد يظهر ذلك الا بالمقارنة العلمية بين مكانة كل من الإمامين المتنافسين ، فتجد كفة المنصور تطيش ازاء كفة المهدى^{المتفلة} بالعلم والمصنفات البالغ عددها ٦٩ مصنفا ، ومع هذا فلا زال ابن الوزير

(١) انظر العواصم والقواصم ج ١ - المقدمة ، وتاريخ بنى الوزير ل احمد ابن الوزير - ترجمة محمد بن ابراهيم الوزير ، والعواصم آخر المجلد الثانى ترجمة ابن الوزير لمحمد بن عبد الله الوزير ورقة ١٢٩ ، وتاريخ بنى الوزير للمهادى الوزير الصغير خ ترجمة محمد بن ابراهيم الوزير وترجيح اساليب القراء على اساليب اليونان ص ٥٦ والبدر الطالع ج ١ ص ٤٨٥ ج ٢ ص ٩١ - ٩٣ رقم تاريخ بنى الوزير ٤١ ورقة ٣٥ .

مستمرا في دفاعه ومناظرته عنه ، فكم جرت بينه وبين الامام المهدي من مناظرات واسئلة وجوابات تتعلق بالامامة ، وفي النهاية لم يجب الامام المهدي على خمسة وعشرين سوءا وجهها ابن الوزير اليه . يوم كان الامام المهدي مقيما بثلأ ، (١) فقال ابن الوزير فيها :

أعالنا هل للسوء ال جواب —	وهل يروى العطشان منك عباب ؟
وهل تجلى الظلماء منك بصائر	تدل عليها سنة وكتاب ؟
وهل حسن مني اذا كت سائلا	أم البحث يا بحر العلوم يعاب ؟
وهل جاءني شرع التناصف أنه	يكرر من صافي الوداد شراب ؟
وهل غركم مني الخمول فانما	أنا السيف خيرا والخمول قراب ؟
وهل يزدري بالسيف من أجل غمده	ويحقر من وهى المحل عقاب ؟

(٢)

وهذا ان البيتان الأخيران يدلان — كما ذكرت — على قسوة طباع ابن الوزير ، وسيأتي أكثر من هذا في الاسلوب الجدلي في (الممارك الكلامية) وفي منهجه أيضا ، فقد صرح بنفسه في عدة مواضع من مؤلفاته وتضرع الى الله أن يداوى قاسى طباعه وزاد هذا موالاة ابن الوزير لصاحبه الامام علي بن صلاح الدين مع أنهم من أسرة واحدة .

وفي آخر الأمر وصفه ابن الوزير والشوكانى بأوصاف تدل على أن الله تعالى جعل فيه وفي إمامته خيرا وبركة على الاسلام والمسلمين ، كما سيأتي بيانه في (الحالة السياسية) ان شاء الله تعالى .

وفي النهاية ذابت هذه الخصومة بينه وبين المهدي أحمد وبين السيد علي بن محمد بن أبي القاسم أحمد شيوخ ابن الوزير أولا ، وأحد خصومه بل أشدهم أخيرا ، وسائر خصوم (٣) ابن الوزير وزالت الوحشة على يد القاضي

(١) قرية تبعد عن صنعاء ٤٠ كيلو تقريبا من الجهة الشمالية الغربية .

(٢) أنظر المصادر السابقة ذاتها والتحفة العنبرية خ لمحمد بن عبد الله أبو علامة ورقة ١٤٢ في مكتبة جامع صنعاء الغربية رقم ٥٦ — ٥٧ تاريخ .

(٣) ومنهم الامام علي بن المؤيد ولكنها خصومة يسيرة لم تدم طويلا لانه وقف معه في قللة ولم يكن بينهما شيء من المضايقات الا يسيرا .

محمد بن اسمعيل الكنانى ، وحصلت بينهم اجتماعات وطيبة نفوس فاعتذر كل من صاحبه وقبل اعتذاره ، وقيل ان هذا كان على يد الهادى الوزير بعد إلحاح على أخيه ابن الوزير فقبل وزالت الجفوة ، وطلب شيخه من ابنه صلاح ان يدرس علم المعانى والبيان على ابن الوزير . (١)

ولكن - مع الاسف الشديد - ورث الأبناء والأحفاد أحقاد هذه الخصومة جيلا بعد جيل حتى القرن الثالث عشر الهجرى - بل الى قرننا الخامس عشر الهجرى - فقد حاول بعض الزيدية الرد على ابن الوزير بكتاب أسماه (العضب الصارم فى الرد على صاحب الروض الباسم) (٢) لمجهول فى أوائل القرن الثالث عشر الهجرى .

وهذا الرد بعد خمسة قرون مضت يذكرنى بقول المتنبى : (٣)

وإذا ما خلا الجبان بارض طلب الطعن وحده والنزلا

ومع هذا لم يستطع ان يسمى نفسه ، وابن الوزير متوسد التراب ، فكيف لو كان العكس . ؟ !

وقد كان بعض حساده لا يجهر له بالقول ، لانه لا يقوى على مناظرته ، لما اشتهر به من شدة المعارضة وقوة الحجة .

وحساد ابن الوزير قد سعوا جاهدين جماعات ووحدانا فى نصب

==== قال فيها ابن الوزير أبيات رقيقة منها :

لوشئت أبكىت العيون معاتبا * * * وألهبت نيران القلوب رقائقا
ولكننى أصبحت لله طالبا * * * وأصبحن منى الترهات طوالقا

أنظر العوآصم والقوآصم ج ٢ ورقة ١٨٩ .

(١) تاريخ بيتى الوزير للهادى الوزير الصغير ورقة ٣٨ وطبقات الزيدية للقاسم ابن ابراهيم الشهارى ج ٣ ورقة ٣٠١ وما بعدها ، وأنظر الزيدية لاحمد محمود صبحى ص ٢٠٤ ومطلع البدور . مجمع البحور لاحمد بن أبى الرجال فى ترجمة ابن الوزير ج ٤ توجد منه نسخة فى مكتبة مركز البحث العلمى .

(٢) يوجد فى مكتبة الجامع الغربية بصنعاء رقم ٩٤ حديث .

(٣) العرف الطيب شرح ديوان أبى الطيب المتنبى للشيوخ ناصف اليازجى بيروت ط ثانية .

العداوة له بكل مافى وسعهم ثقافيا وسياسيا واجتماعيا ، لكنهم باءوا بالفشل ،
الا أنه كان يتضايق من كثرة الاحتكاك فيفضل الخروج الى البوادي والجبـال
الخوالى كي يصفوله الجو ويتفرغ للتأليف والعبادة كما سيأتى فى (العزلة) .
وفى (المعارك الكلامية) ان شاء الله تعالى .

الحالة السياسية فى عصر ابن الوزير

ان التيارات الفكرية الأنفة الذكر ، قد لعبت دورا هاما فى اليمن ،
شأنها شأن كل بلد اسلامى تعددت فيه المذاهب ، واختلفت فيه النظريات ،
فكثيرا ما تتعدى البحوث العلمية ، والافكار العقائدية أو العقدية مجالها
العلمى والنظرى الى اضطرابات نفسية ، ونزاعات طائفية .

وقد تتطور أحيانا الى عصبية وخلاف ، وتباعد ، واقتراق ، بل وتفسيق
وتكفير ، كما هو عادة أهل الكلام بسبب الخوض ، فى مواقف ومحاراة لاتدر كها
العقول ، بل ليست مكلفة بها ، وما ذلك الا نتيجة الاغراض عن منهج
القرآن الكريم ، منهج السلف الصالح ، وصدق رسول الله صلى الله عليه
واله وسلم اذ يقول : " ان من البيان سحرا وان من العلم جهلا " (١)

وقد تتطور هذه الافكار والخلافات عن مجالها العلمى والنظرى الى

(١) سنن أبى داود مع عون المعبود كتاب الأدب ج ١٣ ص ٣٥٤ - الناشر
المكتبة السلفية ، والنهابة لابن الاثير ج ١ ص ٣٢٢ تحقيق الزواوى
والطناحى الحلبي ط الأولى سنة ١٣٨٣ هـ ومعنى الحديث : أن الرجل
يكون عليه الحق وهو العن بالحجج من صاحب الحق فيسحر القوم
ببيانه فيذهب بالحق ، ويتكلف العالم الى علمه مالا يعلم فيجهل به
ذلك ، والحكم على الحديث فى سنن أبى داود مقرر فى علوم الحديث
كما صرح بذلك أبو داود لانه ذكر فيه الصحيح وما يشبهه وما يقاربه
أنظر ج ١ مقدمة ص ٥ وعلوم الحديث لابن صلاح ص ٣٣ تحقيق نور الدين
عتر مطبعة الاصيل حلب ١٣٨٦ هـ فقد قرر ابن الصلاح أن ما سكت
عنه أبو داود فهو صالح للاحتجاج .

صراع دموى بل حرب طاحنة وقودها أبناء البلد الواحد ، كما هو مشهور
فى تاريخ اليمن وغيره لأن الشرارة الاولى للصراع الدموى هى الصراع النظرى
وإلا فما الداعى الى الصراع الدموى ؟

ألا ترى أن كل فئة من الفئات المتناحرة تعتقد أنها على الصواب وأن
غيرها على الباطل فتصمد حتى الموت أو النصر من كانت عقيدتها راسخة
سواء كان هذا الرسوخ على الحق أو الباطل ، أما من كانت عقيدتها عكس
ذلك فسرعان ما تهتز وتهزل ، وتتهزم ، وأما الاولى فهى وان انهزمت وقتيها
من الناحية المادية فانها تعمل فى خفاء حتى تتمكن من الوثبة على عدوها
وهكذا دواليك .

الصراع الدامى على السلطة ونتائجه :

ولما كانت الصراعات بين الطوائف الدينية فى اليمن عريقة ،
كانت الصراعات السياسية الدامية بين الأئمة الزيدية ، حكام اليمن الأعلى -
التمركزين فى (صعدة) و (صنعاء) و (ذمار) وبين السلاطين والأمراء
من قبل الأمويين والعباسيين والأيوبيين - حكام اليمن الأسفل وسواحل
وجنوبه - المتمركزين فى (عدن) و (تعز) و (زبيد) - حامية الوطيس منذ
القرن الثالث الهجرى ، واليمن فى نكباته المتتالية الى ما بعد ثورة الجمهورية
العربية اليمنية سنة ١٣٨٢ هـ . فلقد بلغ الانقسام والتمزق باليمن ، الى
أن كانت تحكمه عدة دويلات فى عصر واحد ، بل تصارع عليه مستنزفة دماءه ،
مزهقة لأرواحه ، بلغ الامر فى الديار الزيدية أن يخرج أكثر من امام
يدعو لنفسه فى قطر واحد ، وكانت أول دولة للزيدية ، أسست على يد الامام
الهادى يحيى بن الحسين ، حينما خرج الى اليمن فى المرة الثانية سنة ٢٨٤ هـ
بدعوة من أعيان (صعدة) و (صنعاء) و (نجران) آنذاك ، لما اشتدت
وطأة الباطنية وكثر الفساد فى البلاد على تفاصيل وخلاف يأتى بيانه فى فصل
(الزيدية) ان شاء الله تعالى .

وقد لقى الهادى يحيى بن الحسين سنة ٢٩٨ هـ معارضة شديدة ، من
عمال العباسيين على اليمن ، لأن أئمة الزيدية كانوا يعلنون الدعوة لانفسهم
بخلاف غيرهم ، فالدولة الزيدية ، واليعفرية - مثلا - كانوا يعلنونها باسم

العباسيين ، والباطنية الاولى باسم المهدي عبيد الله بن ميمون القداح ،
والباطنية الثانية باسم الخليفة المستنصر الفاطمي بل العبيدي في مصر
أُنْذَاك الآتِي بِيَانُهُ فِي فَصْلِ (الباطنية) ان شاء الله تعالى .

ومما ساعد على ضراوة الموقف السياسي في اليمن ، واستمراره ، بُعْدُهُ عَنْ
عاصمة الخلافة ، وكثرة جباله الشاهقة المنيعه ، الوعرة المسالك حتى على
أهلها ، فكيف بغيرهم ؟ ثم ان الجزء الساحلي المواجه للبحر الاحمر ، هو
المنفذ التجاري ، والمدد العسكري لملوك اليمن الاسفل ، بل همزة الوصل
بين اليمن والعالم الخارجي ، لذلك فان ائمة الزيدية تعتبر التخلي عنه فصلها
عن العالم الخارجي ، وفي ذلك فقدان لقوتها المادية والعسكرية . ولن
تتخلي عنه آلهه ، وعلى رأسهم الملوك ، لانهم يختلفون مع الزيدية الجبلية
في الأصول والفروع ، ومعلوم أن الاختلاف مدعاة للقلق والاضطراب ، وإليك
قائمة موجزة للدول المتاحرة على اليمن خلال ثلاثة عشر قرنا :

- ١ - الدولة الزيدية ، ومركزها (زبيد) من سنة ٢٠٥ هـ الى سنة ٤٠٢ هـ ،
وكانت تدين بالولاء للعباسيين ، وهم من اصل حبشي .
- ٢ - الدولة اليعفرية ، ومركزها (شبام صنعاء) من سنة ٢٢٥ هـ الى سنة ٣٩٣ هـ
وكانت تدين بالولاء للعباسيين أيضا .
- ٣ - الباطنية بزعامه علي بن الفضل البخفري الحميري من سنة ٢٦٨ وقيل
٢٧٧ هـ الى سنة ٣٠٣ هـ وكان في أول أمره داعية للمهدي بن القداح
ثم استقل بالدعوة وتغلب على معظم اليمن الاعلى ، وتمركز في (المذيخرة)
- ٤ - الدولة النجاشية ، وهي التي خلفت الزيدية في (زبيد) من سنة ٤٠٣ هـ
الى سنة ٥٥٥ هـ وينتمون الى الأحباش .
- ٥ - الدولة الصليحية الباطنية ، وقد تغلبت على معظم اليمن ، جباله ،
وسهوله ، شماله وجنوبه ، من سنة ٤٣٩ هـ الى سنة ٥٣٢ هـ بزعامه علي
ابن محمد الصليحي وكان داعية للمستنصر الفاطمي ، بل العبيدي صاحب مصر .
- ٦ - الدولة الزريعية في عدن من سنة ٤٧٠ هـ الى سنة ٥٦٩ هـ .
- ٧ - دولة بني حاتم الهمدانيين في صنعاء من سنة ٩٤٤ هـ الى سنة ٥٦٩ هـ
- ٨ - دولة بني مهدي نسبة الى مؤسسها علي بن مهدي الرعيني الحميري
من سنة ٥٥٣ هـ الى سنة ٥٦٩ هـ .

٩ - الدولة الأيوبية نسبة الى صلاح الدين الأيوبي من سنة ٥٦٩ هـ الى سنة ٦٢٦ هـ .

١٠ - الدولة الرسولية على الساحل والجنوب وعاصمتها (تعز) من سنة ٦٢٦ الى سنة ٨٥٨ هـ نسبة الى رسول لقبا واسمه محمد بن هارون أحد وزراء الأيوبيين في مصر ، وقيل ينتهى نسبه الى زيد بن كهلان ابن سباء الأكبر كان محظوظا عند الخليفة العباسي آنذاك وكان قد أرسله الى مصر والشام في عدة مناسبات فأطلق عليه هذا اللقب .

١١ - دولة بني طاهر في جنوب اليمن من سنة ٨٥٨ الى سنة ٩٣٣ هـ .

١٢ - لولة العثمانيون في المرة الأولى في سنة ٩٤٥ هـ .

١٣ - أئمة الزيدية منذ أسس دولتها الامام الهادي يحيى بن الحسين سنة ٢٨٤ هـ وأوجده القاسم على خلاف سيأتى في فصل (الزيدية) الى سنة ١٣٨٢ هـ وعدد هم ٦٧ اماما، آخرهم البدر بن الامام أحمد حميد الدين ، منهم ٥٩ حسنيون واثنان حسينيون والباقي ينسبون الى الحسن بن زيد بن علي رضي الله عنهم أجمعين . (١) وهم حسينيون أيضا

(١) أنظر التفاصيل في غاية الأمانى تاريخ القطر اليماني ليحيى بن الحسين القاسم الشهاري ج ١ ص ٣٠ - ٤٢ تحقيق عاشور وزميله والمخلاف السليماني للعقيلي ج ١ ص ٣٤٣ - ٣٤٤ من منشوران دار اليمامة الرياض ط ثانية ، واليمن عبر التاريخ لأحمد شرف الدين ص ١٨٧ - ٢٤٥ ط ثالثة سنة ١٤٠٠ هـ ، وتاريخ اليمن للواسعي ص ١٦٢ وما بعدها الدار اليمانية للنشر والتوزيع ط رابعة سنة ١٤٠٤ هـ ، ومقدمة السيل الجرار للشوكاني ج ١ ص ٦ وما بعدها والفتح العثماني الأول لمصطفى سالم ص ٢٩ معهد البحوث والدراسات العربية ط ثانية سنة ١٩٧٤ م ، والاكليل للهمداني ج ٢ ص ١٧٨ وما بعدها تحقيق محمد علي الاكوع بدون ذكر الطبع ، والمسجد المسبوك فيمن تولى اليمن من الملوك لابي الحسن علي ابن الحسن بن أبي بكر الخزرجي صورة عن مخطوطة ج ٤ ص ٤٨ - ٥٩ - ٧٧ - ٨٩ - ١٠٣ وبالجملة أنظر الجزء الرابع ان أردت بأكمله ففيه تفاصيل ما تضمنته هذه الدويلات من ويالات الى سنة ٨٥٨ هـ وهو الزمن الذي انتهت فيه الدولة الرسولية .

وكان لسان حال الأئمة والسلاطين والأمرء هؤلاء يقول :
ولأضربن قبيلة بقبيلة ولأملأن بيوتهن نياحا

وهكذا تعاقبت هذه الدويلات بالدويلات على اليمن ، بعضها كما تراها في التاريخ السابق كانت في عصر واحد ، أما أئمة الزيدية فهم سلسلة لم تنقطع مع هذه الدويلات حتى قضت عليها الثورة اليمنية السابقة الذكر . ومن العجب في تاريخ أئمة الزيدية أن الحرب كانت تشتعل بين أبناء العم والأخوة بل بين الآباء والأبناء أبناء الصلب ، منهم على سبيل المثال الامام شرف الدين سنة ٩٦٥ هـ وابنه المطهر فقد وقعت بينهما حروب طاحنة على الإمامة حتى سعى بينهم بالاصلاح على تفويض المطهر في جميع الأمور ، وألقيت اليه مقاليد الحكم (١) وحصلت بينه وبين الولاة العثمانيين معارك شديدة حوَّاهما التاريخ اليمني وخاصة كتاب الفتح العثماني الأول لمصطفى سالم .

وهكذا استمر الصراع السياسي الدموي في اليمن - وغالبا ما كانت المنازعات والعداوة تحدد ها القبائل وتحميها - حتى السنة التي ولد فيها ابن الوزير سنة ٧٧٥ هـ والحرب على أشدها بين الامام صلاح الدين محمد بن علي ٧٩٣ هـ أحد ائمة الزيدية وبين الملك الافضل الرسولي من جهة ، والاشراف في تهامة و (حرض) من جهة ، و (الباطنية) من جهة أخرى . وقد شدد صلاح الدين هذا على الباطنية ، فأوقع بهم وقائع منكرة ، واستولى على معظم بلادهم وحصونهم وأجلاهم عنها .

أما الحرب بينه وبين ملوك بني رسول في تهامة والجنوب فقد استمرت سجالا ، ولا ننسى ما كان بين بني رسول والمعاذ في الوجه البحري من القتال .

وأما . باطنية همدان ، وهي أشدها حينذاك ، فقد وقع الصلح بينهم وبين صلاح الدين ، سنة ٨٢٨ هـ على إنهاء الحرب بشروط على الباطنية

(١) أنظر فرجة الهموم والحزن للواسعي ص ٢١٣ - ٢١٨ كذلك ما حصل بين الملك الاشرف الرسولي وأخيه المؤيد وأنظر حكام اليمن للحبشي ص ١١٥ .

الهمدانية ، منها عدم موالاة الاشراف الذين كانوا يحكمون صنعاء ، لأن مقره^(١) كان (بذمار)^(٢) .

ولم يستول على صنعاء الا في سنة ٧٨٣ هـ بعد تدابير وحيل عظيمة توصل بها الى قبض صنعاء بدون قتال ودارت الحرب رحاها بين الامام صلاح الدين وبين حراة الباطنية سنة ٧٩٠ هـ هزم فيها جيش الامام لصعوبة طرقها .

وهكذا استمرت المعارك في عدة جبهات يقود بعضها الامام صلاح الدين بنفسه ومعه الاعيان ومنهم الهادي الوزير اخو صاحبنا حتى توفي الامام سنة ٧٩٣ هـ وكان وزيرا للامام صلاح الدين ولابنه علي بن صلاح الدين فسمى ذو الوزارتين قال الشوكاني في الثناء على الامام صلاح الدين : (ملك غالب اليمن واستقر بصنعاء وعظمت دولته ، واشتدت صولته ، وغزا الى بلاد سلاطين اليمن الاسفل ، ودوخ بلادهم ، وكان جيد الرأي قوى التدبير ، كثير الجنود ، حسن السياسة كثير العدل متورعا ، متعففا ، عالي الهمة ، مديم الذكر والعبادة ، ودرس العلم وتقريب أهله ، وقد زلزل الباطنية وهدهد أركانهم ، وسفك دماءهم ، ونهب أموالهم ، واستمر على ذلك حتى مات سنة ٧٩٣)^(٢) وعصر ابن الوزير ملوء بالاحداث السياسية الدامية لا يتسع المقام لذكر جملها فضلا عن كلها ولكن نكتفي بذكر واحد من تلك الاحداث :
أهم الاحداث في عصر ابن الوزير :

سبق أن ذكرت ما مضمونه أن اليمن غرقت في بحار من الدماء اتارة في سبيل بسط السلطة بعضها على بعض في الجبال والسهول ، بين أئمة

(١) أنظر التفاصيل في غاية الاماني تاريخ القطر اليمني للشهاري ج ٢ ص ٥٢٤ - وما بعدها والبدر الطالع للشوكاني ج ٢ ص ٢٢٦ . وتاريخ اليمن للواسعي ص ٢٠٢ وحكام اليمن للحبشي ص ١١٥ - ١٦٠ وما بعدها .
(٢) البدر الطالع للشوكاني ج ٢ ص ٢٢٦ وتاريخ اليمن للواسعي ص ٢٠٣ . وحكام اليمن ص ١٦٠ وما بعدها وطبقات صلحاء اليمن للمؤرخ عبد الوهاب البرهني ص ١٩ .

(٣) الضمير عائد على الامام صلاح الدين الزيدي .

الزيدية وبنى رسول وغيرهم ، وتارة فى قتال الباطنية — قتلهم الله —
وهذه تعد من حسنات أئمة الزيدية — ان هم أحسنوا النية — ان شاء الله
تعالى ، وغير ذلك من الصراعات الداخلية .

وصاحبنا ابن الوزير عاصر أربعة من أئمة الزيدية المتصارعين على الامامة
التي انشغل بها الناس قديما وحديثا ، أما انشغال الزيدية بها فحدث
ولا حرج وسيأتى بيان مذهبهم فى فصل (الامامة والسياسة) من الباب
الثالث فى هذه الرسالة ان شاء الله تعالى .

كما عاصر ابن الوزير عددا من ملوك اليمن الاسفل بنى رسول ، ومنهم
اسماعيل بن العباس الرسولى ، الذى حكم اليمن الاسفل من سنة ٧٢٨ هـ الى
أن توفى سنة ٨٠٣ هـ .

ومما يشير الدهشة أن الصراع الدموى الآتى ذكره بين شخصين من أسرة
واحدة ، هما المهدي أحمد بن يحيى سنة ٨٤٠ هـ وعلى بن صلاح الدين سنة
٨٤٠ هـ وهو أهم الاحداث السياسية فى عصر ابن الوزير وياشرها ثقافيا
وسياسيا ، وإليك هذا الحدث الأليم بإيجاز :

لما توفى الامام الناصر صلاح الدين محمد بن على سنة ٧٩٣ هـ اضطربت
اليمن ، وكثرت فيه المحن ، و انتشر الخلاف فى جميع الاطراف ، والسبب
فى ذلك حادثة سن ولده القائم بعده ، وهو على بن صلاح الدين ، وعدم
إحرازه لكثير من شروط الامامة فى المذهب الزيدى ، ومن أهمها الاجتهاد ،
مع وجود من هو أولى منه بالامامة ، لتوفر شروطها فيه ، وهو الامام المهدي
أحمد بن يحيى المرتضى — الذى يلتقى نسبه مع ابن الوزير فى الجد الثالث ،
فقد كان علامة الوقت الذى لا يسبق ، صاحب التصانيف التى عليها مدار مذهب
الزيدية عامة ، وأهل البيت خاصة ، كان متفنا فى العلوم ، بلغت مصنفاته
٦٩ مصنفا او تزيد ، فعندها تشاور علماء (صعدة) وعلى رأسهم القاضى
العلامة عبد الله بن حسن الدوارى سنة ٨٠٠ هـ — أحد شيوخ ابن الوزير —
الملقب — عند الزيدية — بسلطان العلماء ، بلغت مكانته ألا يبايع الاثمة
إلا بعد حضوره ، وهذا ما حصل بالفعل عند دعوة الامام المهدي المذكور ،
ومعارضة الامام على بن صلاح الدين ، فان أمراء الدولة أرسلوا له من صنعاء

الى صعدة وبعد وصوله اتفق مع خاصة الامام الناصر صلاح الدين من الوزراء
والامراء ، ووجوه الدولة على أن تكون البيعة لابنه على بن صلاح الدين .
ولما بلغ الخبر علماء صنعاء وأعيانها انزعجوا ، وفزعوا إلى من يقوم
بالامامة ، فاجتمعوا في مسجد جمال الدين المعروف في صنعاء ، وعينوا الامام
المهدي أحمد بن يحيى المرتضى - بعد حديث طويل - لإحرازه شروط الامامة
عند الزيدية ، ولما عرف أرباب الدولة ما وقع من بيعة الامام المهدي
سارعوا الى بيعة ولد الامام الناصر على بن صلاح ، وتلقب بالمنصور بالله ، وأجابه
كثير من الشيعة والسادة ، ومنهم السيد الهادي بن ابراهيم الوزير ، وأخوه
السيد محمد بن ابراهيم الوزير صاحب هذه الدراسة ، والسيد على بن محمد
ابن أبي القاسم أحد شيوخ ابن الوزير ، وغيرهم من الاعيان وحصلت مناظرة
بين الامامين المذكورين حكاها ابن الوزير في (ترجيح أساليب القرآن على
أساليب اليونان) (١) ولم يذكر النتيجة ، ولست أدري هل هي قبل الحرب
أو بعده ؟ وما هو انصوغ من لبابعة امامين في إقليم واحد في آن واحد ؟
وقد ثبت في الخبر عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : " اذا بويح لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما " (٢)
فأما الامام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى ، ومن تابعه من العلماء ،
فانهم خرجوا عقب البيعة من صنعاء بلا فصل الى بيت يوس (٣) لأنهم

-
- (١) الترجيح ص ٦٥ وانظر البدر الطالع للشوكاني ج ١ ص ١٢٢ وما بعدها
٣٨١ وما بعدها ٤٨٥ - ٤٨٧ وبلوغ المرام للعرشي ص ٥٢ وغاية
الاماني ليحيى الحسين الشهاوي ج ٢ ص ٥٣٨ وحكام اليمن للحبشي ص ١٦٠
وما بعدها ١٧٣ وتاريخ اليمن للواسعي ص ٢٠٢ - ٢٠٣ وما بعدها
والتحفة العنبرية خ لابي علامة ورقة ١٤٣ وما بعدها والاعلام للزركلي
ج ١ ترجمة المهدي لدين الله احمد بن يحيى ص ٢٦٩ .
(٢) مسلم ج ٣ كتاب الإمارة باب اذا بويح لخليفتين ص ١٤٨٠ .
(٣) هو جنوب صنعاء يبعد عنها بنحو ثلاثة كيلومترات .

رأوا أن تكون الدعوة من هناك ، وبالفعل أعلنوها من ثم ، فبلغ الخبر السى صنعاء فسرعان ما خرج جند الامام المنصور أفواجا ، فأقاموا الحصار على بيت (بوس) هذا ، ورموه بالمراة (١) حتى تقطع ما حوله من الاشجار ، ولبثوا فى الحصار قدر ثلاثة عشر يوما ، قتل خلالها عدة قتلى من الفريقين ثم وقع الصلح على أن يرجع الجميع الى صنعاء وتحكيم العلماء ، وعلى رأسهم الدواري ، صاحب (صعدة) وحينما وصلوا صنعاء لم يحصل الوفاء ، فرجع من ناحية باب شعوب (٢) هو ومن معه فى الليل الى بنى شهاب ، فأجابوا دعوتهم ، وامتلأوا أوامرهم ، وجرت أحكامهم ، فبعث الامام علي بن صلاح الدين بعض قواده لقتاله فهزم جيش علي بن صلاح واطاعه كثير من القبائل المجاورة لصنعاء ، ومنها (كوكبان) و (ثلاً) و (آس) و (الطويلة) و أرسله بعض رؤساء القبائل ، والاشراف ، واستدعوه الى (صعدة) ، فلما علم الامام المنصور بذلك خافوا منه فراسلوا من يثقون فيه لتثبيطه . فرجع فأقام فى (رصابه) جهة معبر ، فخرج جيش المنصور من صنعاء على غرة ، فلم يشعر المهدي الا وقد أحاطوا به فلما تيقن أنه لا طاقة له بهم صالحهم على سلامة من معه من العلماء ، وسلم نفسه اليهم فلما وصلوا مسجد معبر نقضوا العهد ، وقتلوا من كان معه ، وشأنية من العلماء ، وسلم منهم جماعة أسروا معه ، وقيدوه بقيود ثقيلة ، ثم سجن بقصر صنعاء سبع سنين ، وصنف فى السجن (الأزهار) ثم خرج بعناية الموكلين بحفظه ليلا الى حصن (ثلاً) ثم طلب الناس منه القيام بالامامة ، فرجح التأخير حتى يختبرهم ، ثم انضم الى علي بن المؤيد الذى كان قد دعى الى نفسه وتحالفوا ضد المنصور فتقدما الى (صعدة) وما أن علم بجيش المنصور خرج منها ، ثم تلاشى الامر ، وتبسط الناس عن نصرته ، فأراح نفسه عن السياسة وعكف على التصنيف حتى توفى سنة ٨٤٠ هـ (٣) .

(١) آلة من السلاح القديم أصغر من المنجنيق يوضع فيها حجر كبير ثم يرمى

به . قاموس ج ١ ص ٣١٣ .

(٢) الجهة الشمالية لصنعاء .

(٣) البدر الطالع للشوكاني ج ١ ص ١٢٥ - ١٢٦ والمصادر السابقة ذاتها

الاجزاء والصفحات .

هذا ما ذهب اليه الشوكاني ومن معه من المؤرخين اليمنيين من قصة خروج المهدي . وذهب بعضهم الى ان خروج الامام المهدي من الحبس كان على يد الهادي بن ابراهيم الوزير بعد ان رد الامام المنصور شفاعته كثير من العلماء وذلك لما للهادي الوزير من المكانة عند الحكام ، لاسيما الامام المنصور، ومن ذهب الى هذا صاحب (غاية الأمانى) وصاحب (فرجة الهموم والحزن) وغيرهما ، قال اللواسعي : (وقد نقم العلماء الأعلام على علي بن صلاح فسى تعديده على الامام المهدي بالحبس ، وقد نصحه العلماء بتخليته لعلو رتبته في العلم والفضل ، وسبقه بالدعوة ، ومبايعة العلماء له فلم يقبل حتى كتب له السيد العلامة الهادي بن ابراهيم الوزير قصيدة قال في آخرها :

وان السيد المهدي منكم	بمنزلة تحق له الفخامة
ألم يك جدك المهدي خالا	له وكفى بذلك من رحامه
نصيحة وامق خدن شفيق	مجد ليس يحتاج القسامه
فانى والحديث ذو شجون	وليس يليق في الدين الحشامه
أخاف اذا استمر القيد فيه	تجىء مقيدا يوم القيامة
فيصا لك الاله باى ذنوب	تقيده وتحبس غلامه
ولا تسمع إلى من قال فيه	بترك القيد واطرح الملامه (١)

ويمكن الجمع بين القولين بان شفاعته الهادي الوزير في فك القيد وابقائه في الحبس مكرما حتى خرج على الوصف الذي ذكره الشوكاني .

وأما الامام علي بن صلاح الدين فقد تمكنت خلافته في الديار اليمنية كما قال الشوكاني (وعظمت سطوته ، وكثرت جيوشه ، وبعد صيته) (٢)

(١) فرجة الهموم والحزن للواسعي ص ٢٠٤ وغاية الأمانى للشهاري ج ٢ ص ٥٥٣ وتاريخ بنى الوزير لترجمة الهادي الوزير للهادي الوزير الصغير ابن صارم الدين في مكتبة الجامع الغربية بصنعاء رقم ٤١ مجاميع .

(٢) البدر الطالع للشوكاني ج ١ ص ٤٨٢ .

ولكن لم يصف له الأمر الا في أواخر سنة ٨٣٤ هـ لأنه كان في صراع دائم مع سلاطين اليمن الأسفل وغيرهم ممن ذكرنا، وقد جعل الله في إمامته الخير والبركة في آخر عهده، فانه دفع أهل الظلم، وأحسن الى العلماء، وقمع رؤس البغى، مع اشتغاله بالمعارف العلمية كما ذكرت في الحالة الثقافية والله اعلم بالسرائر.

شيوخه :

أخذ ابن الوزير - رحمه الله تعالى - العلم على أكابر علماء اليمن (صنعاء) و (صعدة) و (تعز) وسائر المدن اليمنية ثم رحل الى (مكة المكرمة) طلباً لمزيد من العلم، وبالأخص طلب الحديث وعلومه وفقه أجازته الكثير منهم كما سيأتى بيانه، وسأشير الى ترجمة شيوخ ابن الوزير إشارة خفيفة للدلالة على مكانته العلمية، وقد أكتفى بالإشارة الى مصادر تراجمهم، ولا ينسب الوزير اسانيد متصلة من شيوخه في الحديث الى الامهات ذكرها الشوكانى في كتابه (أتحاف الاكابر باسناد الدفاتر) ومن أشهر شيوخه الذين تشدد اليهم الرجال العلماء الآتية أسماؤهم، وقد رتبتهم على حسب الوفيات :

١ - محمد بن أحمد بن ابراهيم الطبرى سنة ٧٩٥ هـ ولد بمكة وسمع بها - وكان من بيت صلاح ورواية وعلم . (١)

٢ - عبد الله بن الحسن بن عطية بن محمد الدواري الصعدي الزيدى سنة ٨٠٠ هـ الملقب بأمير العلماء الزيدية في عصره، كان بحراً ففى غالب العلوم، وقصده الطلاب من كل ناحية من الديار الزيدية، له مصنفات منها (شرح جوهرة الرصاص) و (الديباج النظير) قال الشوكانى : (ليس لاحد من علماء عصره، ما له من تلامذة، وقبول الكلمة، وارتفاع الذكر، وعظيم الجاه، بحيث كان يتوقف الناس عن

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلانى ج ٣ ص ٣٩٤ حققه محمد سيد جاد المولى مطبعة المدنى بدون تاريخ، والعقد الثمين للشريف الفاسى محمد بن أحمد بن على الحسنى ج ١ ص ٢٨٠ - ٢٨١ تحقيق فؤاد سيد طبع القاهرة سنة ١٣٨٦ هـ .



بيعة الأئمة حتى يحضر (١) من أبرز تلامذته ابن الوزير قرأ عليه فى أصول الفقه وفروعه . (٢)

٣ - السيد الناصر بن أحمد بن الامام المطهر بن يحيى سنة ٨٠٢ هـ كان اماما فى المعقول والمنقول ، مرجوعا اليه فى الفروع والأصول ، وعنه أخذ ابن الوزير وغيره وأجازه فيما صح له سماعا ومناولة ، من ذلك (أصول الأحكام فى معرفة الحلال والحرام) للامام أحمد بن سليمان و (أمالى أحمد بن عيسى بن زيد بن على) و (شرح النكت والجمال) للقاضى جعفر بن أحمد الصنتائى و (المنهاج الجلى على مذهب زيد بن على) و (مجموع زيد بن على) وبالجمله أجازه فى رواية سائر كتب الخزائنة المهدية خزانة الامام المهدى محمد بن المطهر (٣) بصنعاء .

٤ - محمد بن أحمد بن الرضى ابراهيم المعروف بأبى اليمن الشافعى سنة ٨٠٩ هـ أجازه مجموعة من العلماء من اهل مصر والشام ومكة ولى الإمامة بمقام ابراهيم بعد أخيه المحب . (٤)

٥ - أبو الحسين محمد بن الحسين القطب القسطلانى المكى سنة ٨١١ هـ سمع من محمد بن عثمان الطبرى وعدد من المشايخ . (٥)

٦ - نور الدين على بن مسعود بن على بن عبد المعطى الانصارى الخروجى المكى سنة ٨١٣ هـ سمع من ابراهيم النحاس وغيره بمكة . (٦)

(١) البدر الطالع للشوكانى ج ١ ص ٣٨١ - ٣٨٢ ، ج ٢ ص ٨١ وطبقات الزيدية خ ج ٣ ص ٣٤٥ - ٣٤٦ .

(٢) أنظر طبقات الزيدية خ بصنعاء ج ٣ ص ٣٤٥ .

(٣) العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٢ ورقة ١٩٥ وملحق البدر الطالع ص ٢١٩

(٤) العقد الثمين للشريف الفاسى ج ١ ص ٢٨٢ .

(٥) طبقات الزيدية خ ج ٣ ص ٣٤٥ - ٣٤٦ والعقد الثمين للفاسى ج ٢

ص ٨ - ٩ .

(٦) العقد الثمين للفاسى ج ٦ ص ٢٦٢ - ٢٦٨ والضوء اللامع للسخاوى

ج ٦ ص ٣٨ .

٧ - جـار الله بن صالح بن أحمد بن عبد الكريم بن أبي المعالي الشيباني
المكي الحنفى الملقب بالجلال سنة ٨١٥ هـ سمع من شهاب الدين
الهكاري ، ونور الدين الهمداني ، وعز الدين بن جماعة و خليل المالكى
وغيرهم . (١)

٨ - محمد بن عبد الله بن ظهيرة سنة ٨١٧ هـ محدث الحرم الشريف بمكة
المكرمة ، ولد بها ونشأ بها ، برع فى الفنون وانتهت اليه رياسة
الشافعية ببلده ، ولقب بعالم الحجاز ، سمع على الشيخ خليل المالكى ،
ومحمد بن سالم الحضرمي ، والعز بن جماعة ، والموفق الحنبلى ، واستمر
ناشرا للعلم بعد الستين من عمره نحو أربعين سنة ، رحل اليه الطلاب
وتزاحوا ، ومن أخذ عنه الحافظ بن حجر العسقلانى ، وصاحبنا
ابن الوزير ، وأجازه الشيخ المذكور فى كل ما تجوز له وعنه روايته وذلك
فى موسم الحج سنة ٨٥٢ هـ . (٢)

٩ - الهادى بن ابراهيم الوزير سنة ٨٢٢ هـ أخو صاحب هذه الدراسة ،
أخذ عن عدد من علماء اليمن ، ورحل الى مكة لسماع الحديث ، فسمع
(جامع الأصول) على الشيخ محمد بن ظهيرة السابق ذكره وبرع فى
عدة علوم ، وصنف تصانيف سبق ذكر بعضها فى الحالة الثقافية
درس عليه صاحبنا ابن الوزير علم الأدب بما فيه اللغة العربية
والمعانى والبيان . (٣)

١٠ - سليمان بن ابراهيم بن عمر المكي العدنانى اليمدى التعزى الحنفى
الشهير بنفيس الدين العلوى سنة ٨٢٥ هـ شيخ المحدثين فى بلاد

(١) العقد الثمين للفاسى ج ٣ ص ٤٠٧ .
(٢) العقد الثمين للفاسى ج ٢ ص ٥٣ - ٥٨ ومطلع البدوخ لابن أبي الرجال
ترجمة ابن الوزير رقمها ٣٦٧ والبدر الطالع للشوكانى ج ٢ ص ١٩٦ .
(٣) طبقات الزيدية خ ج ٣ ص ٣٤٥ وما بعدها والبدر الطالع ^{لشوكانى} ج ٢ ص ٨١ -
٣١٦ - ٣١٧ .

اليمن وحافظهم ، أجازته البلقيني وابن الملقن ، والمناوى وغيرهم ، وأخذ عنه الناس ، وارتحلوا اليه من الآفاق ، وتتلذذ له ما لا يحيط به الحصر ، ومنهم ابن الوزير الذي منحه إجازة في كتاب (الجمع بين الصحيحين) للحميدى الأندلسى الظاهرى ، وفى الصحيحين ، وسنن أبى داود ، والترمذى والنسائى وابن ماجه ، وصحيح ابن حبان ، وابن خزيمة ، ومسند الشافعى وسنن البيهقى ، والتهذيب للزمزى وغير ذلك من كتب الحديث والرجال ، والإجازة طويلة . (١)

١١ — على بن أحمد بن محمد سلامه المكى الشافعى المعروف بابن سلامه سنة ٨٢٨ هـ سمع بمكة على الفقيه خليل المالكى والقاضى عز الدين بن جماعة ، ورحل الى بغداد ، وسمع بها ، والى الشام ومصر ، وبيت المقدس ، وسمع بها ، وأذن له فى الافتاء والتدريس الامام سراج الدين ابن قاضى شهبه فقيه الشام . (٢)

١٢ — الشريف محمد بن أحمد بن على الشهير بالفاسى المكى سنة ٨٣٢ هـ المالكى مذهباً ، شيخ الحرم المكى فى عصره سمع من أبى صديق والنويرى وغيرهما ، بلغ عدد شيوخه كما ذكرهم الشوكانى وغيره خمسمائة شيخ ، درس وأفتى ، دخل اليمن ودمشق ومصر ، وصف ، منها (شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام) و (العقيد الثمين) وحدث بالحرمين ودمشق وسمع منه ابن الوزير فى الحديث وعلومه . (٣)

(١) راجع نص الإجازة فى أواخر المجلد الثانى من العواصم والقواصم لابن الوزير فى ترجمته ورقة ١٩٥ وما بعدها ، وانظر البدر الطالع للشوكانى ج ١ ص ٢٦٥ .

(٢) العقد الثمين للفاسى ج ٦ ص ١٣٩ والضوء اللامع للسخاوى ج ٥ ص ١٨٣ — ١٨٤

(٣) البدر الطالع للشوكانى ج ٢ ص ١١٤ ومقدمة ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لمحمد بن محمد زياره الحسنى الصنعانى ص ٤ والاعلام للزركلى ج ٥ ص ٣٣١ ، وطبقات الزيدية خ ٣ ص ٣٤٥ .

١٣ — محمد بن حمزة بن مظفر سنة ٨٣٦ هـ من علماء الزيدية ، من مؤلفاته
(لآلى التفسير الوافية) خ مكتبة الجامع الخيرية بصنعاء رقم ١١٩ .
و (المقاليد) فى التفسير خ فى أربعة أجزاء جمع فيه اللغة والاعراب
والبلاغة والاستنباط ، وكان من مؤيدى الامام على بن المؤيد احد
منافسى الامام على بن صلاح الدين . (١)

١٤ — على بن عبد الله بن احمد بن ابي الخير اليمنى سنة ٨٣٦ هـ قرأ عليه
ابن الوزير فى اصول الدين وأصول الفقه ، لانه كان المشار اليه
فى صنعاء فى الكلام والاصول ، له تصانيف فى الكلام والتصوف يقال
أنها بلغت أربعين مصنفا . (٢)

١٥ — على بن محمد بن ابي القاسم سنة ٨٣٧ هـ صاحب (تجريد الكشف)
التفسير المشهور ، كان شديد الحرص على المذهب الزيدى أخذ عنه
ابن الوزير اصول الفقه والتفسير ، ولما بلغ درجة الاجتهاد ورفض
التقليد ، قام عليه شيخه المذكور ، وترسل عليه برسالة تدل على عدم
انصافه ومزيد تعصبه كذا وصفها الشوكانى .
وأجاب ابن الوزير عن هذه الرسالة ب (العواصم والقواصم) الكتاب
المشهور الذى قال عنه الشوكانى (لم يوءلف فى الديار اليمنية مثله) (٣)
— وسيأتى بيان هذا فى (المعارك الكلامية) ان شاء الله تعالى .

١٦ — حسين بن محمد القرشى العلفى ، شيخ الحديث فى عصره بصنعاء ، كان
يرحل اليه لطلب الحديث ، وانتفع به طلبة العلم الشريف ، وكان سنده
عاليا ، وكان على جانب عظيم من الزهد والعبادة . (٤)

(١) أنظر مصادر الفكر الاسلامى فى اليمن للحبشى ص ٢١ — ٢٢ والبدر الطالع
للسوكانى ج ٢ ص ٨١ ومقدمة ترجيح اساليب القرآن ص ٣ وطبقات الزيدية
لابراهيم القاسم الشهارى ص ٣٤٥ .

(٢) أنظر مصادر الفكر الاسلامى فى اليمن للحبشى ص ٢٧٨ وترجيح اساليب القرآن
لابن الوزير ص ١٠٥ هامش والبدر الطالع للسوكانى ج ٢ ص ٨١ .

(٣) البدر الطالع للسوكانى ج ١ ص ٤٨٥ ج ٢ ص ٨١ وطبقات الزيدية لابراهيم
ابن القاسم الشهارى ج ٣ ص ٣٤٥ — ٣٤٧ .

(٤) طبقات صلحاء اليمن للبريهى ص ٢٥ — ٢٦ وقال لم اتحقق تاريخ وفاته
الا أنه كان موجودا فى اوائل المائة الثامنة .

من ترجم له :

ترجم لابن الوزير كثير من العلماء المعترين وسأرتبهم على حسب
الحروف الهجائية أذكر منهم من يلي :

- ١ - ابراهيم بن محمد بن القاسم الشهاري (١) من علماء القرن الثاني عشر الهجري .
- ٢ - ابراهيم بن علي الوزير (٢) (معاصر) .
- ٣ - الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني (٣) سنة ٨٥٢ هـ .
- ٤ - أحمد حسين شرف الدين (٤) (معاصر) .
- ٥ - أحمد بن صالح بن أبي الرجال (٥) سنة ١٠٩٢ هـ .
- ٦ - أحمد محمود صبحي (٦) (معاصر) .
- ٧ - أحمد بن عبد الله بن أحمد بن صارم الدين ابراهيم سنة ٩٨٥ هـ (٧) .
- ٨ - اسماعيل باشا البغدادي (٨) .
- ٩ - صديق حسن خان القنوي (٩) . الهندي سنة ١٣٠٧ هـ ، وما ذكره من
ان الحافظ ترجم لابن الوزير ترجمة حافلة ٠٠٠ فوهم لانها خاصة
بتراجم أعيان المائة الثامنة وابن الوزير توفي في المائة التاسعة ولم أجده
في الدرر .
- ١٠ - عبد الله محمد الحبشي (١٠) (معاصر) .

- (١) أنظر طبقات الزيدية خ صنعاء ج ٣ ص ٣٤٥ وما بعدها للشهاري
- (٢) أنظر دراسات عن المجدد الاسلامي ٠٠٠ محمد بن ابراهيم الوزير ص ١-١٤
- (٣) أنظر أنباء العمر بأبناء العمر ج ٧ ص ٣٧٢ للمؤلفين
- (٤) أنظر تاريخ اليمن الثقافي ج ٤ ص ٢٧٢ .
- (٥) أنظر مطلع البدور ومجمع البحور خ ج ٣ ترجمة ابن الوزير رقمها ٣٦٧ .
- (٦) أنظر كتاب الزيدية ص ٢٠٣ وما بعدها
- (٧) أنظر تاريخ بني الوزير خ صنعاء ترجمة محمد بن ابراهيم الوزير ، للهازي الوزير
- (٨) أنظر الفيل على كشف الظنون ج ٤ ص ١٥٢ وهدية العارفين ج ٦ ص ١٩١
- (٩) أنظر التاج المكلل ص ٣٤٠ وأبجد العلوم ج ٣ ص ١٩٠ لصديق حسن خان
- (١٠) أنظر حياة الأدب اليمني ف عصر بني رسول ص ١٠٨ - ١٠٩ ودراسات
في التراث اليمني ص ٤٥ وما بعدها ط بيروت ، للبعشي

- ١١ - عبد المتعال الصعیدی (١) .
- ١٢ - عبد الوهاب البریهی المؤرخ الیمنی (٢) سنة ٩٠٤ هـ .
- ١٣ - محمد بن عبد الرحمن السخاوی (٣) سنة ٩٠٢ هـ .
- ١٤ - محمد بن عبد الله بن الیهادی الوزير (٤) سنة ٨٩٧ هـ .
- ١٥ - محمد بن علی الشوکانی (٥) سنة ١٢٥٠ هـ وما ذکره من أن التقی الفاسی ترجم لابن الوزير فی العقد الثمین فقد بحث عنه بحثا شديدا ولم أجده فی المحمدين اطلاقا .
- ١٦ - محمد محی الدین عبد الحمید (٦) .
- ١٧ - محمد بن محمد زیاره الحسنی (٧) .
- ١٨ - الیهادی بن صارم الدین الوزير (٨) سنة ٩٢٣ هـ .

-
- (١) أنظر المجددون فی الاسلام ص ٣٤٣ وما بعدها لعبد المتعال الصعیدی دار الحمای للطباعة .
 - (٢) أنظر طبقات صلحاء الیمن ص ١٩ وما بعدها للبریهی
 - (٣) أنظر الضوء اللامع للسخاوی ج ٦ ص ٢٧٢ .
 - (٤) أنظر ترجمة ابن الوزير خ صنعاء ورقة ٢ وما بعدها وأنظر أواخر المجلد الثاني من العواصم والقواصم لابن الوزير ورقة ١٧٩ .
 - (٥) أنظر البدر الطالع ج ٢ ص ٨١ وما بعدها .
 - (٦) أنظر مقدمة توضیح الافکار ص ٦٦ وما بعدها لمحمد محی الدین عبد الحمید
 - (٧) أنظر مقدمة ترجیح أسالیب القرآن لمحمد زیاره ص ٢ وما بعدها .
 - (٨) تاریخ بنی الوزير للیهادی الوزير خ صنعاء ورقة ٣٧ وما بعدها .

تلامذته :

بعد ان تبحر ابن الوزير - رحمه الله تعالى - وبعد صيته انتصب لنشر العلم ، وتصدر برهة من الزمن للتدريس ، فقد هرع اليه الطلبة من كثير من انحاء اليمن ، واقتبسوا من فوائده ، ونهلوا من موده ، وازدحوا ، فالمورد العذب كثير الزحام ، ولم يكن بين يدي ، ولا القريب منى من المصادر ما يكفى للالمام بتلامذة ابن الوزير ، ولا لتراجمهم وتواريخهم ، لذلك ساكتفى بالاشارة الى الذين تمكنت من الاطلاع عليهم ، مرتبا اسماءهم على حسب الحروف الهجائية لعدم ضبط تواريخ بعضهم وهم :

- ١ - أحمد بن عمر الكسيح .
- ٢ - حسين بن محمد الشظيى .
- ٣ - صلاح بن الامام المنصور على بن صلاح الدين سنة ٨٤٩ هـ فى المعانى والبيان .
- ٤ - صلاح بن على بن محمد بن أبى القاسم سنة ٨٤٩ هـ فى المعانى والبيان .
- ٥ - عبد الله بن محمد بن ابراهيم الوزير ، نجل صاحب هذه الدراسة .
- ٦ - عبد الله بن محمد بن المطهر النحوى .
- ٧ - عبد الله بن محمد بن سليمان الحمزى .
- ٨ - الامام المنصور على بن صلاح الدين سنة ٨٤٠ هـ . (١)
- ٩ - الامام الناصر صلاح الدين محمد بن على سنة ٧٩٣ . (٢)

- (١) اضطربت اقوال المترجمين والمؤرخين اليمنيين فى هذا فبعضهم ذكر انه من شيوخ ابن الوزير ومنهم الشوكانى فى البدر الطالع ج ١ ص ٤٨٧ حيث ذكر ان ابن الوزير ذكر انه اخذ عن هذا الامام والراجح عندى - والله اعلم - ان ابن الوزير من اقرانه ، ان لم يكن من شيوخه لانهما ولدا فى سنة واحدة كما سبق بيانه وما قاله ابن الوزير من انه اخذ عن هذا فيحمل - على فرض صحته - على انه من باب الدفاع عنه لما طعن فى امامته لعدم توفر شروطها فيه مع وجود من توفرت فيه وسياتى هذا فى (الامامة) ان شاء الله تعالى . ٥٧٨٧
- (٢) فى النفس شىء من تلامذة الامام الناصر لابن الوزير لأن وفاته وابن الوزير فى الثالثة والعشرين من عمره اذ مولده سنة ٧٧٥ هـ .

(١)

١٠ - محمد بن عبد الله بن الهادي الوزير سنة ٨٩٧ هـ .

مؤلفاته :

صنف ابن الوزير رحمه الله - المصنفات العديدة ، البديعة المفيدة المستوعبة لكثير من فنون العلم ، الدالة على طول نفسه وسعة اطلاعه ، ونفاد بصيرته ، وشدة معارضته للخصم وقوة حجته أثناء الجدل والمعارضة ، كما تدل - في معترك الانظار - على أنه من أرباب الاجتهاد المطلق وسيأتي شاهد ذلك في (منهجه العلمي) و (ميزات الفكرة) وفي ثانيا هذه الرسالة . وفي مؤلفاته :

وسأذكر ما اطلعت عليه من ذلك مرتبا على حسب الحروف الهجائية :

- ١ - (الآيات البينات لقوله تعالى " يضل من يشاء ويهدي من يشاء ") (٢)
غ في صنعاء مكتبة الجامع الكبير الغربية رقم ٥٣ - ١١٩ مجاميع .

(١) انظر التفاصيل عن هؤلاء الاعلام طبقات الزيدية في مكتبة الجامع صنعاء رقم ١٢٤ - ٢٢٤ تاريخ ، اذ لم أتمكن من نقل جميع المعلومات حال اطلاعي عليه ، ولم يسمح لي بالتصوير ، فقد توسع فيه وجعله ثلاثة أجزاء الجزء الاول في أسماء الذين رويوا عن ائمة أهل البيت وهذه هي الطبقة الاولى ، والجزء الثاني فيمن بعدهم الى نهاية القرن الخامس الهجري ، وهذه هي الطبقة الثانية ، والجزء الثالث من القرن السادس الى عصره القرن الثاني عشر الهجري وهذه هي الطبقة الثالثة ورتبه على حروف الهجاء وبعض هؤلاء ذكرهم الشوكاني في البدر الطالع في حروفهم وذكر بعضهم محمد فرباره في ملحق البدر الطالع وأنظر مقدمة الترجيح له ومقدمة توضيح الافكار - لمحي الدين عبد الحميد ص ٧١ .

- (٢) هكذا في الفهارس وفي الاصل ، ولعل الصواب والله اعلم : الايات المبينات فهو أوضح من ناحيتي اللغة والمعنى .

٢ — (الإجابة في الإرادة) قصيدة تزيد على ألف بيت ذكرها ابن الوزير في عدة مواضع من كتبه ، ولم أطلع عليها كاملة حسب هذا العدد ، وإنما وجدت منها أبياتاً متناثرة يذكر منها ابن الوزير مجموعة عند المناسبات . وسيأتي مقتطفات منها في (الغيبيات) من الباب الثالث من هذه الرسالة ان شاء الله تعالى .

٣ — (الاجوبة المذهبية عن المسائل المهدية) خ في مكتبة الجامع الخيرية صنعاء رقم ٧٥ - ١٣٧ - ١٥٩ مجاميع .

٤ — (الأمر بالعزلة في آخر الزمان) خ صنعاء مكتبة الجامع الخيرية رقم ٥٨ - ٩١ - ٩٦ مجاميع ، أوله بعد البسلة والحمد لله وبعد فهذا مختصر مفيد في مرجحات العزلة ، في بعض الاوقات والأزمان ، لبعض أهل الايمان منتزع من صحيح السنة وآيات القرآن ، وتوجد نسخة أخرى في المكتبة ذاتها رقم ٨٣ تصوف ، واشتهر هذا الكتاب بعنوان : (أنيس الاكياس في الاعتزال عن الناس) .

٥ — (ايثار الحق على الخلق في رد الخلافات الى المذهب الحق من اصول التوحيد) ، ألفه سنة ٨٣٧ هـ توجد منه عدة نسخ خ في مكتبة جامع صنعاء رقم ١٧ - وأخرى رقم ١٨ علم الكلام .

وهذا الكتاب كما قال الشوكاني : (غريب الاسلوب مفيد في بابه) (١)
ووصفه محمد محي الدين عبد الحميد بانه :
(كتاب جليل القدر ، عظيم الفائدة (٢)) .

وقال احد علماء الشام : (لاتحضرني عبارة تفي بوصف هذا الكتاب ، وإنما اقول بوجه الاجمال ، انه كتاب لم ينسج على منواله ، ولم يأت احد من المتكلمين بمثاله ، ولم اقل ذلك رجما بالغيب ، والعيان اكبر شاهد (٣)) .

(١) البدر الطالع للشوكاني ج ٢ ص ٩١ .

(٢) مقدمة توضيح الافكار ج ١ ص ٦٨ .

(٣) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ترجمة مختصرة لابن الوزير ص ٤٦٧ ط بيروت .

وقد طبع هذا الكتاب سنة ١٣١٨ هـ بدار الكتب العلمية بيروت ونشره
دار الباز .

وتقدم بتحقيق مقدمته أحمد مصطفى حسين صالح لنيل درجة الماجستير
بجامعة الامام محمد بن سعود ، ثم طبعتها ونشرتها الدار اليمنية للنشر
والتوزيع سنة ١٤٠٥ هـ على ما فيها من أخطاء هامة يجب التفطن لها .
وسياتى بيان منهج ابن الوزير فى هذا الكتاب الجليل ، عند الكلام
على (منهجه العلمى) . ان شاء الله تعالى . وهذا الكتاب صنفه فى
العزلة فى اواخر حياته .

٦ - (بحث عما ذكره الله تعالى فى القرآن الكريم ، من الآيات الدالة
عليه - عز وجل - وصدق أنبيائه من الخوارق) ذكره صاحب مطلع
البدور (١) وغيره .

٧ - البرهان القاطع فى اثبات الصانع ، وجميع ما جاء به الشرائع (صنفه
سنة ٨٠١ هـ هكذا عنوانه كما فى النسخة التى بايدينا المطبوعة
بالمطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٤٩ هـ .

وفى البدر الطالع للشوكانى (٢) : (البرهان القاطع فى معرفة الصانع) ،
وهو الصواب ، لان صنفه سماه بهذا العنوان فى كتابه (العواصم
والقواصم) و (الترجيح) (٣) الاتى ذكرهما ، وصاحب البيت أدري بما فيه
ستاتى الاشارة الى طريقته فيه فى (منهجه فى البحث العلمى) ان شاء
الله تعالى .

٨ - (التأديب الملكوتى) وهو مختصر فيه عجائب وغرائب ، هكذا فى ترجمة
ابن الوزير (٤) ، وقد بحث عنه ولم أقف عليه وذكره صاحب كتاب
الزبدية . (٥)

(١) مطلع البدور ومجمع البحور لابن أئى الرجال خ ترجمة ابن الوزير رقمها ٢٦٧

(٢) البدر الطالع للشوكانى ج ٢ ص ٩١ .

(٣) العواصم والقواصم لابن الوزير ج ١ المقدمة ورقة ٧ ج ٢ ترجمة ابن الوزير
ورقة ١٨٦ والترجيح ص ١٠٧ .

(٤) العواصم أواخر المجلد الثانى ورقة ١٨٦ .

(٥) أنظر كتاب الزبدية لأحمد صبحى ص ٢٠٧ .

كما ذكره محمد محي الدين في مقدمة توضيح الأفكار (١) . شرح تنقيح
الانظار، وقال صاحب مطلع البدور سنة ١٠٩٢ هـ (قال السيد صلاح الدين
ابن أحمد ، لم أجد هذا الكتاب في الخزانة ، ولا والدي ، وإنما وجدت
منه وريقات يسيرة من مسودته ، نادات الاسف عليها) (٢) .

كما ذكره أيضا القشوجي الهندي في (أبجد العلوم) (٣) ووصفه بأنه
مختصر فيه العجائب والغرائب، وذكر غيره وقال غالبها غدي .

٩ - (التحفة الصفية شرح الابيات الصوفية) مطلعها :

تقدم وعدكم فتمى الوفاء ٥٥٥ وطال بعدادكم فتمى اللقاء

الابيات للهادي بن ابراهيم الوزير ، والشرح لأخيه صاحب هذه الدراسة
خ في مكتبة الجامع صنعاء رقم ١٩ مجاميع ونسخة أخرى رقم ٥٣ ، وأخرى
رقم ٨٣ تصوف في المكتبة ذاتها ، وقد كان سمي هذا الشرح (النسمات
التجدية في النغمات الوجدية) .

١٠ - (تحرير الكلام في مسألة الروئية ، وذكر مدار بين المعتزلة والأشعرية)

خ مكتبة الجامع الغربية رقم ٣٥ - ١١٥ - ١١٧ - ١١٩ مجاميع أولها
بعد البسملة ، الحمد لله الذي تنزه عن المحدثات في ذاته وصفاته ،
وتقدس عن الرضا بالمكروهات من أفعال عصاته . . .

١١ - (تخصيص آية الجمعة) خ في مكتبة الجامع الغربية صنعاء رقم ٩٧ - ٢١٤ - ٢١٦
مجاميع .

١٢ - (ترجيح دلائل القرآن على دلائل اليونان) هكذا سماه ابن الوزير كما
في (العواصم والقواصم)

وكل من ترجم لابن الوزير سماه بالعنوان الاخير وطبع به أيضا .

(ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان) وهو كما قال الشوكاني :

(في غاية الإفادة والإجادة على أسلوب مخترع لا يقدر على مثله ، الأمثلة) (٤)

(١) ج ١ - المقدمة ص ٦٩ .

(٢) مطلع البدور خ لابن أبي الرجال ج ٤ ترجمة ابن الوزير ص ٢٢٥ .

(٣) أبجد العلوم للسيد صديق حسن خان الهندي ص ٢٩١ ط بيروت .

(٤) البدر الطالع للشوكاني ج ٢ ص ٩١ .

(١)

وصفه الاستاذ خليل هراس بأنه كتاب لم تر العيون مثله وما أحسن قول ابن الوزير فيه :

كم من فتى منطقي انذهن ما خطرت بالبال منه اصطلاحات القوانين
وكم فتى منطقي كافر نجس كالكلب بل هو شر منه في الهون
يرى وساوس أهل الكفر منقبضة فهما ويسخر من طه ويمس (٢)

وقد اختصره ناصر بن عبد الحفيظ بن عبد الله بن الملا سنة ١٠٥٢ هـ في ٣٣ ورقة خ في مكتبة جامع صنعاء .

قال محمد بن عبد الله بن الهادي في ترجمة ابن الوزير (٣) : (وما أحسن قوله فيه :

منطق الاولياء والاديبان منطق الانبياء والقمران
الى ان اكمل عشرة أبيات على هذا الوزن والقافية .

وقال ابن أبي الرجال (٤) في الشاء على هذا الكتاب (انه كتاب مفيد وختمه بعشرة أبيات) وذكر منها هذا البيت ويتبين بعده وقد فتشته مرارا ولم أجدها فيه ، بل وجدت بها في (العواصم والقواصم) الآتي ذكره ومختصره (الروض الباسم) (٥) ولعلها حذفت من قبل المشرف على الطبع ، أو من النساخ الذين أشربوا في قلوبهم حب المنطق لأن الأبيات المحذوفة ضد المنطق والمناطق ألا ترى ما في الأبيات الثلاثة من التديد ؟ ! .

١٣ — (التفسير النبوي) خ في المكتبة الغربية بالجامع رقم ١١٩/٩١/٨٥ مجاميع .

وسياتي بيان منهج ابن الوزير في التفسير في (منهجه في البحث العلمي) ان شاء الله تعالى .

-
- (١) انظر الشوكاني مفسرا للدكتور الخماري ص ٤٧ دار الشروق .
(٢) الترجيح لابن الوزير ص ٤٢ وقد أوجز هذا المعنى ابن تيمية بقوله :
(المنطق لا يستفيد منه الغبي ولا يحتاج اليه الذكي في رده على المنطقيين ص ٣ .
(٣) ترجمة ابن الوزير لمحمد بن عبد الله بن الهادي ابن الوزير مكتبة الجامع الغربية صنعاء رقم ٥٢ من ورقة ١٢٦ / ١٤٤ والعواصم ج ٢ ورقة ١٨٦ .

- (٤) مطلع البدور رقم الترجمة ٣٦٢ صورة بحوثي .
(٥) العواصم والقواصم ج ٢ ورقة ١٥٦ — الروض الباسم ج ٢ ص ٢٩٠ .

١٤ - تنقيح الانظار في علوم الآثار (صفه ٨١٣ هـ ، وشرحه الأمير الصنعائي سنة ١٢٨٢ هـ . - (توضيح الافكار لمعاني تنقيح الأنظار) في مجلدين ، وحققه محمد محي الدين عبد الحميد ، وقدم له بمقدمة طويلة مفيدة ، وقال : (ان لهذا الكتاب ثلاث مميزات :

الاولى : ذكره مذاهب الزيدية وأصحابها ، بجانب ذكره لمذاهب غيرهم ، من أهل الملة الاسلامية ، بحيث يظهر بأدنى تأمل من واقعهم الزيدية في كل مسألة من مسائل هذا العلم ، ومن خالفهم فيها .

الثانية : جمع اصطلاحي علماء أصول الفقه ، وعلماء أصول الحديث ، بحيث لا يحتاج المطلع على هذا الكتاب الى الاختلاف الى كتب الفريقين ، وبين وجوه الاتفاق بين الاصطلاحين ووجوه الافتراق .

الثالثة : راجعة الى نفس المؤلف ، وقدرته العلمية ، وانه بلغ مرتبة الترجيح انه لم نقل كما قال بعض من ترجم له أنه وصل الى مرتبة الاجتهاد المطلق ، وقد مكنته هذه المقدرة العلمية أن يوازن بين الآراء المختلفة ، ويذكر ما يلزم على بعضها من اللوازم الفاسدة ، ويضيف بعض هذه الآراء ويقوى بعضها الآخر . (١)

١٥ - جواب محمد بن ابراهيم الوزير على فقهاء أبيات حسين في تقدير الدرهم ، والواقية في مكتبة الجامع الغريية رقم ٤ مجاميع .

١٦ - جواب من سال عن اختلاف المعتزلة والأشعرية في حمد الله تعالى على الايمان وقد بحث عنه فوجدت الاسم دون المسمى .

١٧ - (الحسام المشهور في الذب عن الامام المنصور) ألفه سنة ٨٠٥ هـ دفاعا عن إمامة الامام علي بن صلاح الدين خ مكتبة الجامع الغريية بصنعاء رقم ٩٦ - ١١٩ مجاميع .

١٨ - (ديوان المرضي) المكتبة ذاتها رقم ١٢٠ - ١٣٠ مجاميع فيه شعر حسن منه في الدعاء الى السنة وترك البدعة .

(١) مقدمة توضيح الافكار لمحمد محي الدين عبد الحميد ج ١ ص ٧٦ .

- والرد على من عجز الرب — سبحانه — عن اللطف بهداية العصاة فمنه قوله :
- دين الاول من الضلال حنيف ومن الفواحش والفسوق نظيف
ما فيه اجبار ولا نصب ولا رفض ولا حشو ولا تكييف
فمن القواعد أنه عدل حكيم في القضاء بمن يشاء لطيف
وحكمة يختص منهم من يشاء بالفضل عدلا ليس فيه يحييف
أوليس علمنا نقول له اهدنا والنور منه والمهدى مألوف ؟
أيقول هذا وهو ليس بقادر يمضيه ان يدعو به الملموف ؟
الله اكبر ما بهذا جاءنا وحى ولا عقل ولا تكليف
ويقلب الله القلوب كما أتى في الذكر والأخبار فيه ألوف (١)
- ١٩ — (حصر آيات الاحكام الشرعية) جمع فيه من الآيات القرآنية المتعلقة
بالاحكام الشرعية ستا وثلاثين وماتى آية في المكتبة الغربية بجامع
صنعاء رقم ٨٥ — ٩١ — ١١٩ مجاميع • وقد شرحه العلامة الحسين
ابن محمد بن القاسم في مؤلف (منتهى الغرام) •
- ٢٠ — رسالة جلييلة في ثلاث مسائل : الفطرة من البر : حى الاراك : نكاح
اليتيمة خ مكتبة الجامع الغربية بصنعاء رقم ٣٢ مجاميع •
- ٢١ — (رسالة زكاة الفطر) خ المكتبة ذاتها رقم ١٨٤ — ٢٣٧ — ٢٤٤ مجاميع
- ٢٢ — (رسالة شريفة) جواب سوء ال يتعلق بحديث " ان الله لا ينام ولا ينبغي
له أن ينام (٢) " خ في مكتبة الجامع الغربية رقم ١١٩ مجاميع •
- ٢٣ — رسالة في تقرير حمد الله تعالى على الايمان خ المكتبة ذاتها رقم ٣٥
مجاميع •
- ٢٤ — رسالة تعقب فيها ابن حجر في علم الأثر خ المكتبة ذاتها رقم ٤٧ مجاميع •
- ٢٥ — رسالة في إقامة الجمعة بغير إمام خ المكتبة ذاتها رقم ٣ مجاميع
وفي الشرقية رقم ٧٥ مجاميع •

(١) ديوان المرتضى لأجن الوزير ورقة ٢ — ٣ •

(٢) سلم كتاب الإيمانات باب ان الله لا ينام ص ١٦١ — ١٦٢

٢٦ - (الروض الباسم) مختصر (العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي انقاسم صلى الله عليه وسلم) .

طبع سنة ١٣٨٥ هـ في المطبعة السلفية ومكتبتها ونشره قصص محب الدين الخطيب وعلق عليه بتعليقات خفيفة جمع فيسه المؤلف ما بين علم الحديث ، والكلام والجدال وهو اسم دل على مسماه - لكنه روض باسم لأصحاب الحديث ، صحراء قاحلة بل كالحقة في وجوه الخصوم المعتزلة ، ومن نهج نهجهم من الزيدية .

ولذلك رد على هذا الكتاب بعنوان (الغضب الصارم في الرد على صاحب (الروض الباسم) لجهول تاريخ تأليفه سنة ١٢١٤ هـ خ في المكتبة الغربية بجامع صنعاء رقم ٩٤ حديث .

- (رياض الأبرار في ذكر الأقطار والعلماء الأبرار)

قد وهم بعض الناس في إدراج هذا الكتاب في سلسلة مؤلفات ابن الوزير والصواب أنه لأخيه الهادي بن ابراهيم الوزير سنة ٨٢٢ هـ وقد اشار الى هذا العلامة المقبلي في العلم الشامخ كما سيأتي في فصل (الزيدية) ان شاء الله تعالى .

وقد وقفت عليه في مكتبة جامع صنعاء الغربية خ للهادي الوزير رقم ١٣٥ - ١٤٣ - ١٩٢ مجاميع . وهو شرح منظومة تشتمل على أئمة الزيدية ، يد فيها بأمر المؤلفين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ، مدح فيها الأئمة حتى عصره ومنهم أئمة المعتزلة ، من ذلك قوله :

وبالعلماء السابقين وإنني	سأتى على أعدادهم ذكر مجمل
بواصل والبصري ، وعمرو وجاحظ	وعلاهم سيف الجدال المصقل (١)
كذاك أبو عثمان وهو الذي غدا	طويلا لما في كفه من تطول

ومن هؤلاء الذين وهموا في اسناد (رياض الابصار) لابن الوزير :

لسماعيل باشا البغدادى والدكتور أحمد محمود صبحي في كتابه (الزيدية) وأحمد مصطفى محقق (مقدمة ايثار الحق على الخلق)

(١) المراد به أبو الهذيل العلاف .

لابن الوزير ورزق الحجر في كتابه (ابن الوزير اليمنى ومنهجه
الكلامى)^(١) .

٢٧- (العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبى القاسم صلى الله عليه وآله
وسلم) ألفه سنة ٨٠٨ هـ وهو في العزلة جمع فيه بين علم الحديث والكلام
والجدال ، وهو أربعة أجزاء ضخمة ، وقد وهم من قال ثلاثة أجزاء
كالزركلى خ يوجد في مكتبة الجامع الغربية بصنعاء رقم ٧٦ وأخرى في
المكتبة ذاتها رقم ٤٣٥ كلام ، وثالثة في مكتبة الشيخ العبيكان
 بالرياض ، ورابعة في مكتبة مركز البحث العلمى بجامعة أم القرى
ميكروفيلم رقم ٣٢ عقيدة مصورة عن مكتبة احمد الثالث بتركيا ، وأخرى
مصورة عن مكتبة جامعة استانبول بتركيا ج ١ رقم ٢٤٣ ج ٢ رقم ٢٤٤
ج ٣ رقم ٢٤٥ ج ٤ رقم ٢١٠ - الفن الحديث وخامسة في جامعة
محمد بن سعود فاتى رقمها .

قال محمد بن عبد الله بن الهادى الوزير من أشهر تلامذة ابن الوزير :
(ثم انه رحمه الله تعالى ختم كتابه بهذه الأبيات :
(٣) وقال ابن ابى الرجال : (وخته بأبيات نحو اثنى عشر بيتا)

- ١- جمعت كتابى راجيا لقبوله من الله فالمرجوه منه قريب
- ٢- رجوت بنصر المصطفى وحديثه تكفر لى يوم الحساب ذنوب
- ٣- ومن يتشفع بالحبيب محمد الى الله فى أمر فليس يخيب
- ٤- فيا حافظى علم الحديث لى اشفعوا الى الله فالرب الكريم يجيب
- ٥- لحل كتابى أن يكون مذكرا لكم بالدعا للعبد حين يغيب

(١) أنظر هدية العارفين فى أسماء المؤلفين للبغدادى ج ٦ ص ١٩١
وكتاب الزيدية لاحمد محمود صبحى ص ٢٠٧ ومقدمة ايشار الحق على الخلق
تحقيق أحمد مصطفى - رسالة ماجستير - ص ١٩ - الدار اليمنية للنشر
والتوزيع سنة ١٤٠٥ هـ وابن الوزير اليمنى ص ١٠٨
(٢) الاعلام للزركلى ج ٥ ص ٣٠٠ ووهم أيضا فى قوله : طبعت منه قطعة
والصحيح أنه تحت الطبع منذ أربع سنين تقريبا .
(٣) ترجمة ابن الوزير خ بمكتبة جامع صنعاء الغربية رقم ٥٢ والعواصم والقواصم
لابن الوزير ج ٢ ص ١٨٤ ومطلع البدور لابن ابى الرجال ترجمة ابن الوزير
ج ٤ ص ٢٧٥ .

- ٦ — ولا سيما بعد الممات عسى به
 ٧ — ولا تغفلوني إن بليت فودكم
 ٨ — ومهما رأيتم من كتابي قصوره
 ٩ — ولكن عذري واضح وهو أنسى
 ١٠ — وقد ينشئ الصمصام وهو مجرب
 ١١ — ولكنني أرجوه أن حل داركم
 ١٢ — يكون أجابا دنكم فاذا انتهى
- يبيل غليلي أويكفر حبوب
 وإن بليت مني العظام قشيب
 فستراه غفرا فالقصور معيب
 من الخلق أخطى تارة وأصيب
 وينكسر المران وهو صليب
 جلا منه ورد بالأجاج مشوب
 اليكم تلقى طيبكم فيطيب

ولم أجد هذه الأبيات في آخر الجزء الرابع من العواصم والقواصم من
 النسخة الموجودة بين يدي المصورة عن نسخة جامعة أم القرى ، وإنما
 هي في الجزء الثاني ، وهذا الكتاب الجليل هو نتيجة الاعتراضات ،

والمراسلات ، والمناظرات بين ابن الوزير وخصمه السيد العلامة على بن
 محمد بن أبي القاسم سنة ٨٣٧ هـ أحد شيوخ ابن الوزير وسياقته نماذج
 من هذه الاعتراضات في المعارك الكلامية إن شاء الله تعالى وقد اشتمل على
 فوائد من العلوم قد لا توجد في غيره من الكتب ، وصفه ابن أبي الرجال بقوله :
 (يشتمل على ما لم يشتمل عليه كتاب ولا يحتاج الناظر فيه إلى غيره) (١)
 كما وصفه الأمير الصنعاني بقوله : (وقد ساق في العواصم من الآيات
 والأحاديث ما فيه مقنع للناظر ، وسكوت القلب ... للناظر ... ووشحه
 بفوائد وفرائد ، لا توجد إلا فيه ، ولم تخرج رآلا من فيه) (٢) .

وقد اشتهر ابن الوزير عند كثير من المترجمين له بصاحب (العواصم
 والقواصم) ومنهم السيد صديق حسن خان اقبوحي (*) الهندي سنة ١٣٠٧ هـ
 وهذا الكتاب جدير بأن ينعتة الشوكاني سنة ١٢٥٠ هـ بقوله : (يشتمل
 على فوائد في أنواع من العلوم ، لا توجد في غيره من الكتب ، ولو خرج
 هذا الكتاب إلى غير الديار اليمنية لكان من مفاخر اليمن وأهله ، ولكن

(*) أنظر التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول ص ٣٤٠ وأبجد
 العلوم ص ١٩٠ ط بيروت .

(١) مطلع البدور ومجمع البحور لآحمد بن أبي الرجال ج ٤ ترجمة ابن الوزير
 رقمها ٣٦٧ وهي في حوزتي .

(٢) توضيح الأفكار للصنعاني تحقيق محمد محي الدين ج ٢ ص ٢١٣ .

أبى ذلك لهم ما جيلوا عليه من غمط محاسن بعضهم لبعض ، ودفن مناقب أفاضلهم (١) وكفى بهذه الشهادات الخالدة من هوألاء الاعلام شرفا خالدا لهذا الكتاب العظيم ، بل الكتاب ذاته خير شاهد على ذلك .

٢٨ — (فتح الخالق فى معادح رب الخلاق) (شرح الأمير الصنعائى شرحا بعنوان (مجمع الحقائق والرقائق) والجميع فى مكتبة جامع صنعاء الغربية رقم ٦٩ تصوف وطبع منه مختارات بعنوان المدائح البهيبة تحقيق المؤيد والجراقي . طبع بالقاهرة سنة ١٣٨١ هـ .
— (فوائد فى ذكر آيات الهداية والاضلال فى القرآن) (خ بمكتبة الجامع الغربية وهى أربع ورق وصفحة اطلعت عليها وفاتى رقمها .

٢٩ — الفلك الدوار المحيط باطراف دلائل المختار خ فى مكتبة الجامع ذاتها رقم ٤٩ مصادرة مجاميع من ص ٦ — ٨٦ .

وقد التبس الأمر على بعض المترجمين لابن الوزير ، والمفهرسين أيضا وأدرجه فى سلسلة مؤلفاته . والصواب أنه لصارم الدين ابراهيم بن محمد ابن عبد الله بن الهادى الوزير سنة ٩١٤ هـ ، وقد صورته من بعض المكتبات الخاصة بمدينة حجة وسلمته الى مركز البحث العلمى بجامعة أم القرى .

٣٠ — (قبول البشرى بالتيسير لليسرى) فى الرخص طبع فى مصر سنة ١٣٤٩ هـ وخ فى صنعاء المكتبة الغربية رقم ٩٦ — ١١٤ — ١١٩ .

(١) البدر الطالع للشوكانى ج ٢ ص ٩١ وصدق الشوكانى لان هذه الخصىصة مستمرة الى يوم الناس هذا ، فلقد عانيت منهم ما عانيت فى سبيل الحصول على تصوير بعض المخطوطات المتعلقة بصميم بحثى لما انشأت سفرا قاصدا من مكة المكرمة للغرض ذاته وأحسن ما لقيته تأجيل الطلب الى عام قابل لا عذار باردة وغدو وفاء الاجل لم أجد لهم عذرا غير ما وصفه الشوكانى فلقد كان خريبتا بهم ، وعندها أدركت أنها مواعيد عزى قرب وطبيعى ان ارجع بخفى حنين لما سبق ولأننى وهابى ولكن هذه المخطوطات صورها موجودة فى بعض الجامعات صورت زمن العثمانيين وبعد الثورة اليمنية بقليل أثناء الضغط السياسى يومها ولكن يابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكاتمون فالعواصم تحت الطبع .

- ٣١ — (القواعد) في أصول الفقه خ في المكتبة الغربية بجامع صنعاء رقم ٦٢ — ٩٦ — ١٠٠ مجاميع • وتوجد منه نسخة في المكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية •
- ٣٢ — (كتاب العزلة) خ مكتبة الجامع رقم ٢٨ مجاميع أوله بعد البسملة وبعد فان طرق الخير ما زالت تزداد وعورة • وهو غير الكتاب الأنف الذكر بعنوان (الامر بالعزلة في آخر الزمان) فهما مختلفتان كما ترى فالاول لفظه غير لفظ هذا الا ان المضمون متقارب • وهو مبررات العزلة •
- ٣٣ — كتاب في الرد على صاحب النهاية والمحصل ذكره ابن الوزير في كتابه (ايثار الحق على الخلق) • كما ذكره تلميذه محمد بن عبد الله بن الهادي الوزير في ترجمته في اواخر المجلد الثاني في العواصم والقواصم ورقة ١٢٩ • وبحث عنه فلم أجده والمراد بصاحب النهاية والمحصل الرازي سنة ٦٠٦ هـ أحد أئمة الاشعرية • وقد وهم محقق (مقدمة ايثار الحق على الخلق) ^(١) بقوله : (وقد رد رحمه الله يعني ابن الوزير على المعتزلة في مسائل كثيرة منها رده على صاحب المحصول في (انكار التحسين والتقيح العقلي) والمعتزلة لا تنكر التحسين والتقيح العقليين •
- ٣٤ — (كتاب المبتدأ) أشار اليه ابن الوزير بل صرح باسمه هذا في العواصم والقواصم ج ١ ورقة ١٦٢ • وبحث عنه فلم أقف عليه •
- ٣٥ — (اللآلئ المقسقات في نظم الورقات) خ بمكتبة جامع صنعاء الغربية رقم ١٢ — ٢٤٧ — ٢٥٢ تهريف •
- ٣٦ — (مجمع الحقائق والرفائق في مباح رب الخلائق) خ بالمكتبة الغربية بالجامع رقم ١١ — ٨٥ — ٩١ مجاميع •
- ٣٧ — (مختصر في علم الحديث) خ بالمكتبة ذاتها رقم ٧٣ — ١١٩ •
- ٣٨ — (مختصر في علم المعاني والبيان) بحث عنه ولم أقف عليه الا في بعض الفهارس •

(١) المقدمة ذاتها ص ٤٣ تحقيق احمد مصطفى حسين •

٣٩ - مسائل شافيات وبالمطالب وافيات ، فيما يتعلق بآيات كريمات قرآنية تدل على الله المعبود وصدق انبيائه أولها بعد البسملة : هذا تبينه مفيد على ما ذكره الله في القرآن الكريم من الآيات الدالة عليه ، عز وجل - وعلى صدق انبيائه خ مكتبة جامع صنعاء الغربية رقم ٩٢ - ١١٩ مجاميع .

٤٠ - (نصر الاعيان على شر العميان) وهو رد على أبي العلاء المعري كما قال صاحب مطلع البدور في ترجمة ابن الوزير ، في تعداد مصنفاته : (ومنها كتاب نصر الاعيان على شر العميان) رد على أبي العلاء المعري قال فيه ما لفظه : قد ولع أهل الجهل والغرة بانشاء الابيات المنسوبة الى ضرير المعرة وانما سلك قائلها مسلك سفهاء الفاسقين والزنادقة المارقين) ومطلع الرد : من شأن من لم يدربا لاسلام والخوض في متشابه الاحكام (١) وذكره محقق (مقدمة ايثار الحق على الخلق) لابن الوزير ، وأنه حول ابياته المتعلقة بتقليد أصحاب المذاهب . (٢) وقد بحث عنه ولم أقف عليه .

٤١ - ذكر ابن الوزير في كتابه العواصم والقواصم ج ٣ ص ١٢١ بأنه أفرد الخنيفة السمحة والنهي عن الرهبانية بموءلف خاص ، وبحث عنه ولم أجده .

٤٢ - وذكر أيضا في كتابه (ايثار الحق على الخلق) ص ٩٩ أنه أفرد الحكمة في العذاب الاخرى في جزء لطيف نقله من كلام ابن تيمية سنة ٧٢٨ هـ وابن القيم سنة ٧٥١ هـ وزاد عليه ، وقد بحث عنه ولم أقف عليه ولا في الفهارس . ولعل الجزء اللطيف هو (الاجاده) السابق ذكرها ،

(١) مطلع البدور ومجمع البحور لابن ابي الرجال ج ٤ ترجمة ابن الوزير رقمها ٣٦٢ ولعل الصواب : ما شان من لم يدربا لاسلام ؟
(٢) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير - المقدمة ١٨ تحقيق احمد مصطفى حسين .

الآتى مقتطفات منها فى (الغيبات) فى الباب الثالث من هذه الرسالة
ان شاء الله تعالى ، لان ابن الوزير كثيرا ما يدندن (١) حول دوام
العذاب وعدمه فى حق الأشقياء • وسياتى هذا مفصلا فى (الغيبات)
ان شاء الله تعالى •

ثناء العلماء عليه ومكانته العلمية :

إن ابن الوزير - رحمه الله - مع ما ستراه له من المكانة العلمية -
غير مشهور عند كثير من الناس حتى عند اليمنيين أنفسهم ، ما عدى خواص
علماء الزيدية ، ومنهم الذين ترجموا لابن الوزير •

وما أن ثنائى على ابن الوزير ، قد يعرضنى للتهمة بالتعصب (٢) له ،
فسأترك المجال فى هذا لغيرى - ما عدى مواضع اللزوم - بأن أحكى كلام
العلماء المعتمدين ، من المتقدمين والمتأخرين ، كالحافظ بن حجر العسقلانى
وتلميذه السخاوى والمؤرخ البريهى وابن أبى الرجال ، والأمير انصعائى ،
والامام الشوكانى ، وغيرهم من شيوخ ابن الوزير ، وتلاميذه مرتباً اياهم على
حسب الوفيات •

١ - ونبدأ بشيخ ابن الوزير فى الحديث قاضى قضاة الشافعية فى عصره
محدث الحرم المكى الشريف وعالم الحجاز الشيخ محمد بن عبد الله
ابن ظهيرة سنة ٨١٧ هـ لما رأى من ابن الوزير - كما قال الهادى
الوزير الصغير - : (ما لم تره عينه ولا سمعته أذنه عن أحد من اهل
زمانه ، مع أنه فى مكان يجتمع فيه الناس من طوائف المسلمين ، وأهل
المذاهب أجمعين • قال لابن الوزير - وفى تعبير الشوكانى : (قال
للسيد : ما أحسن يا مولانا لو انتسبت الى الامام الشافعى ، أو أبى خنيفة

(١) دندن الرجل إذا اختلف فى مكان واحد مجيئاً وذهاباً به هنا يصطنع لأثره ص ١٢٧

(٢) قد يقال ان هذا الكلام فتح لباب التهمة وهو من باب قول أخوة يوسف
لأبيهم (وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) اية ١٧ من سورة يوسف
وليس الامر كذلك ، وانما هو من باب قول بعضهم : من نقل فقد برئ من
العهد •

وفى تعبیر الهادى الوزير : لو أنك تمت كمالك بتقليد الامام محمد
ابن ادریس الشافعى .

فغضب وقال : لو احتجت الى هذا النسب والتقليدات ما اخترت غير
الامام القاسم بن ابراهيم سنة ٢٤٤ هـ أو حفيده (١) الهادى سنة ٢٩٨ هـ
قلت : وهذا يدل على مكانة ابن الوزير العلمية وبلوغه
درجة الاجتهاد ورفض التقليد، تصريحاً أمام شيخ المحدثين فى الحرم
المكى الشريف ، وفى ملاً من الناس ، لان التذهب اذ ذاك بلغ درجته
القصى اذ كان لكل مقام من المقامات الأربعة إمام خاص ، وقد كوتب
ابن الوزير فى ذلك من عدة نواحى ، وكان الجواب واحداً مسكناً ، كما
صرح بذلك ابن أبى الرجال وذكر القصة السابقة (١) .

٢ — ولما سئل عنه اخوه الهادى بن ابراهيم الوزير سنة ٨٢٢ هـ أحد شيوخه
فى علم الادب وعن مدى مكانته العلمية ، ومما قاله السائل : يا مولانا
السيد محمد عالم اليمن ، فقال : وعالم الشام .
ومما قاله أخوه العلامة المذكور - بمناسبة شفاء ابن الوزير من مرض شديد
آلم به - أبياتاً نقتطف منها ما يلى :

بشرى بها فيه العلوم كلامها	وحديثها وحلالها وحرامها
وأصولها وفروعها وبيانها	وديدعها وغريبها ونظامها
بمحمد شفيت وزال سقامها	وبه شفاء الداء من أسقامها (٣)

٣ — وهذا نفيس الدين العلوى سنة ٨٢٥ هـ من علماء (تعز) أحد شيوخ
ابن الوزير فى الحديث وعلومه قال فى مقدمة اجازته لابن الوزير فى

-
- (١) مطلع البدور ومجمع البحور لآحمد بن صالح بن أبى الرجال خ صنعاء .
ترجمة ابن الوزير رقمها ٣٦٢ .
(٢) تاريخ بنى الوزير للهادى الوزير الصغير سنة ٩٢٣ هـ خ ورقة ٣٢ ،
والبدر الطالع للشوكانى ج ٢ ص ٩٠ .
(٣) تاريخ بنى الوزير للهادى الوزير الصغير ورقة ٣٥ .
(٤) العواصم والقواصم ج ٢ ترجمة ابن الوزير ورقة ١٩١ وترجمة ابن الوزير
لمحمد بن عبد الله بن الهادى خ مكتبة الجامع بصنعاء رقم ٥٢ - ٦٩
مجاميع .

مسموعاته وما يجوز له روايته :

(هو الامام حقا ، والمجتهد صدقا ، الفائق على اقرانه من الاغصان النبوية والافئان المصطفوية ... والموفق في اجتهاده ، جمال العترة النبوية محمد بن ابراهيم بن علي المرتضى ... (١)) .

٤ — ولما سئل عنه شيخه السيد العلامة علي بن محمد بن أبي القاسم سنة ٨٣٧ هـ أحد شيوخ ابن الوزير في التفسير وأصول الفقه أجاب قائلا : (هو أركى الناس قلبا ، وأذكاهم لباً ، كان فؤاده جذوة نار تتوقد ذكاء ، وغيره أكبر منه سناء ، ومثله وأصغر ، من علماء زمانه لم يبلغوا هذا المحل) (٢) .

ولما سمع مختصر المنتهى لابن الحاجب على شيخه المذكور أدهشه كما قال محمد بن عبد الله الوزير أحد تلامذة ابن الوزير : (ما رأيته من صفاء ذهنه ، وحسن نظره ، والمعينة وبلاغته ... فكان يطيب في الشاء عليه ، ويرشد طلبية العلم اليه) (٣) .

قلت : ولكنه لما تبحر ابن الوزير في العلوم ، وبلغ درجة الاجتهاد ، ثار عليه شيخه هذا ، فكان من ألد خصومه ، وترسل عليه برسالة سيايى الحديث عنها في (المعارك الكلامية) ان شاء الله تعالى .

٥ — وقد أثنى على ابن الوزير الحافظ بن حجر العسقلانى سنة ٨٥٢ هـ فى أنبائه أثناء ترجمة أخيه الهادى الوزير بقوله : (وله أخ يقال له محمد ابن ابراهيم ، مقبل على الاشتغال بالحديث ، شديد الميل الى السنة بخلاف أهل بيته) (٤) .

-
- (١) العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٢ ترجمة ابن الوزير لمحمد بن عبد الله الوزير ورقة ١٩٥ وخ صنعا السابق ذكرها .
 (٢) مطلع البدور ومجمع البحور خ لابن الرجال ترجمة ابن الوزير ورقمها ٣٦٧ .
 (٣) العواصم والقواصم ج ٢ ترجمة ابن الوزير ورقة ١٨٧ — وتاريخ بني الوزير خ ترجمة ابن الوزير .
 (٤) انباء الخمر بابناء العمر لابن حجر ج ٧ ص ٣٧٢ .

وقد التمس الشوكاني العذر للحافظ عن توفية المقام حقه بقوله : (لأن صاحب الترجمة - أي ابن الوزير - كان إذ ذاك صغيرا ٠٠٠ ولو لقيه الحافظ ابن حجر بعد أن تبحر في العلوم لأطال غان قلمه في الثناء عليه ، فانه يشي على من هو دونه بمراحل ، ولعلها لم تبلغ أخباره اليه . (١) .

قلت : كيف لم تبلغ أخبار ابن الوزير الى الحافظ ، وقد تتلمذا في الحديث على الشيخ المحدث محمد بن عبد الله بن ظهيرة - السابق ذكره - في رحاب المسجد الحرام ، صرح بذلك الشوكاني نفسه في ترجمته للشيخ ابن ظهيرة هذا ، وهذا نص كلامه :

(ومن جملة من أخذ عنه العلم - أي عن ابن ظهيرة - الحافظ بن حجر ، والعلامة محمد بن ابراهيم الوزير (٢) .

وكيف يكون ابن الوزير إذ ذاك صغيرا ، وقد أجاز ابن ظهيرة هذا في سنة ٨٠٧ هـ في موسم الحج ، وعمره إذ ذاك اثنان وثلاثون عاما لأنه ولد كما سبق سنة ٧٢٥ هـ الا أنه من المحتمل أنهما تتلمذا على الشيخ ابن ظهيرة ولم يلتقيا والله أعلم .

٦ - وقد مدح ابن الوزير جماعة من الشعراء منهم الاديب البليغ أحمد بن قاسم

ابن علي الشهير بالشامي من أدباء القرن التاسع وكان بحرا زاخرا
بعلوم الزيدية والتاريخ فقال فيه شعرا نختار منه مايلي :

ألم يحمود السجايا محمد	يعنك وان صالت عليك المهالك
فتقبس الانوار من نور علمه	وتلتبس الازهار وهي ضواحك
هو البحر علما بل هو ابد رطلعة	هو القطر جودا وهو للمجد مالک
كفاه كتاب الله والسنة التي	أتانا بها من صدقة الملائك

(١) البدر الطالع للشوكاني ج ٢ ص ٨٣ .

(٢) البدر الطالع ج ٢ ص ١٩٢ .

ولم يتبع نعمانهم وابن خنبل ولا ما يقول الشافعى ومالك
 فأعلام أهل البيت رد علومهم وما زال يحكى ضعفها وهو ضاحك
 وماذا لك انكار لمشهور فضلهم ولكنه فى منهج الحق سالك (١)
 ٧ - ومن أتى على ابن الوزير شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى
 القاهرى الشافعى سنة ٩٠٢ هـ بقوله : (٠٠٠) وتعانى النظم فبرع فيه
 وصنف فى الرد على الزيدية (العواصم والقواصم فى الذب عن سنة
 أبى انقاسم) واختصره فى (الروض الباسم فى الذب عن سنة أبى انقاسم)
 وغيره ، ذكره التقي بن فهد فى معجمه ، وأنشد عنه قوله : أى قول ابن
 الوزير :
 العلم ميراث النبى كذا أتى فى النص والعلماء هم ورثته

 ماورث المختار غير حديثه فىنا فذاك متاعه وأثاثه
 فلنا الحديث وراثته نبوية ولكل محدث بدعة أحداثه
 وكان لقيه له بمنزله فى صنعاء سنة عشر (٢) (٠٠٠) أى من اقرب التاسع
 وعمره اذ ذاك خمس وثلاثون سنة .
 ويعلق الشوكانى على هذا بأنه (انما اقتصر على رواية هذا الشعر ، مع
 أن فى شعر صاحب الترجمة - أى ابن الوزير - ما هو أرفع منه بدرجات
 لأن لقاءه له كان فى سنة ٨١٦ هـ ، وقد نظم بعد ذلك نظما كثيرا
 جدا ، وارتفعت طبقة فى العلم . (٣) .
 قلت : وهنا تفاوت كبير ، بين ما ذكره السخاوى والشوكانى ، من لقي
 ابن فهد لابن الوزير وهو سنة أعوام . وفى لقي ابن فهد لابن الوزير
 دلالة على مكانته العلمية اذ قصده ابن فهد ورحل اليه .

-
- (١) طبقات صلحاء اليمن المعروف بتاريخ البريهى عبد الوهاب بن عبد الرحمن
 البريهى اليمنى ص ٢٠ - ٢١ ومطلع البدور لابن أبى الرجال خ صنعاء ،
 ج ٤ ترجمة ابن الوزير .
 (٢) الضوء اللامع لاهل القرن التاسع للسخاوى ج ٦ ص ٢٧٢ بيروت .
 (٣) البدر الطالع للشوكانى ج ٢ ص ٨٢ .

كما يعلق الشوكاني أيضا على ترجمة السخاوى الضئيلة لابن الوزير كما فعل شيخه الحافظ فى عدم اعطائه حقه فيقول :

(وكذلك السخاوى لو وقف على (العواصم والقواصم) لراى فيه ما يملأ عينيه وقلبه ، ولطال غنان قلمه فى ترجمته ولكن لعله بلغه الاسم دون المسمى ، ولا ريب أن علماء الطوائف ، لا يكثرون العناية بأهل هذه الديار ، لا اعتقادهم فى الزيدية مالا يقتضى له ، الا مجرد التقليد لمن لم يطلع على الأحوال (١))

٨ - كما أثنى على ابن الوزير الفقيه البارح يحى ربه بك الطويل الزيدى بقصيدة شعرية نختار منها ما يلى :

.....

ولا سيما عز دين الهدى	وقطب رحا الشرف الهادى
محمد المرتدى بالكمال	وسالك كل صراط سوى
وانسان عين بنى المرتضى	ودرة عتدهم اللـسـوء لوعى
ورافع أعلام علم الحديث	وناصب عرش الهدى المنهى
واشرسنة خير الأنـام	وقد كان منشورها منطوى
تجرد فى بعث مقبورها	وانقاذ ما كان منها توى (٣)
فلله درك من سيد	على كن مكرمة يحتوى (٣٧)

٩ - وهذا السيد محمد بن عبد الله بن الهادى الوزير سنة ٨٩٧ هـ من أشهر تلامذة ابن الوزير ينعت شيخه المذكور بقوله : (هو شيخنا وامانا . . . السيد الامام المحدث الاصولى ، النحوى ، المفسر ، المتكلم ، الفقيه ، البليغ الرحلة (٤) ، الحجّة السنّى ، الصوفى ،

-
- (١) البدر الطالع للشوكاني ج ٢ ص ٨٣ .
- (٢) من التوى وزان الحصى ، وقد يمد ، وهو الهلاك أ هـ ، الصباح النير للفيومى ج ١ ص ٨٧ ط الحلبي .
- (٣) العواصم والقواصم ج ٢ ترجمة ابن الوزير ورقة ١٩١ - ١٩٢ ولم أقف على تاريخ وفاته ، ويبدو انه من معاصرى ابن الوزير .

(٤) الرحلة بضم الراء واسكان الحاء ومنه فلان عالم رحلة أى يرتحل اليه من الافاق أ هـ أساس البلاغة لنزمخشري ص ٣٢٩ .

'فريد العصر ، ونادرة الدهر ، وخاتمة النقاد ، وحامل لواء الاسناد ،
وبقية أهل الاجتهاد ، بلا خلاف ولا عناد ، كشاف أصداف الفرائد ،
قطاف أزهار الفوائد ، فاتح اقفال الطرائف ، مصيب شراكل المشكلات
بنوافذ أنظاره (١)

قلت : وفي بعض عبارات هذا النعت مبالغة كقوله : بقية أهل الاجتهاد
فقد جاء بعده علماء مجتهدون كالمقبلي والصنعائي والتجلال والشوكاني
وغيرهم من علماء الأقطار .

ثم ان الوصف بالصوفي ، لا يتلائم مع الوصف بالسني الا أن يراد بالتصوف
الزهد والعزلة عن الناس في بعض الاوقات . وسيأتى الكلام على ذلك في
(مرحلة العزلة) كما ستأتى الإشارة الى ذلك في طرق اثبات وجود
الله تعالى ، ومنها طريقة الصوفية .

وابن الوزير من المحاربين للبدع وأهلها فكيف يحاربها ، وهو متلبس
بها ؟ وسيأتى هذا في (موقفه من الابتداع) ان شاء الله تعالى .
١٠ - وهذا ما وصفه به المؤرخ البريهي سنة ٩٠٤ هـ احد علماء الخبالة (٢)
في اليمن اذ يقول : (كان إماما يرجع اليه في المعضلات ويقصد لايضاح
المشكلات أجمعت العامة من أهل بلده على جلالته ، واحترامه ، وتفضيله
واكرامه ، ولزومه طريق السنة ، ورفضه لاهل البدعة وكان داعية
الى السنة ، وأكثر تأليفه في ذلك كتاب (العواصم) في أربعة
مجلدات ، يشتمل على تحقيق مذهب السلف ، وأهل السنة ، والرد
على المبتدعة في الذب عن إئمة الفقهاء الأربعة وله شعر رائق . . .) (٣)

١١ - وقال العلامة الهادي الوزير الصغير بن صارم الدين ابراهيم بن محمد
ابن عبد الله بن الهادي الوزير الكبير سنة ٩٢٣ هـ يصف صاحبنا

(١) العواصم والقواصم ج ٢ ترجمة ابن الوزير لمحمد بن عبد الله الوزير أول
الترجمة و خ صنعاء .

(٢) راجع تحقيق هذا في (النزاعات بين الطوائف) في الحالة الثقافية
في عصر ابن الوزير ص

(٣) طبقات صلحاء اليمن للبريهي ص ١٥ - ٢٠ .

ابن الوزير بقوله : (٠٠٠) وله فى علوم الاجتهاد المحل الأعلى ،
والقدح المعلى ، بلغ مبلغ الأوائى ، وصنف وألف ، وجمع وقيد ، ونسأ
وشيد ، وكان اجتهاده اجتهادا مطلقا ، لا كاجتهاد بعض المتأخرين
فان ذلك يسمى ترجيحا (١) .

١٢- أما المؤرخ والمترجم الكبير العلامة أحمد بن صالح بن أبى الرجال
سنة ١٠٩٢ هـ فانه اشى على ابن الوزير بما هوأت :

(هو السيد الحافظ خاتمة المحققين محمد بن ابراهيم الشهرير
بابن الوزير ، المحيط بالعلوم من خلفها وامامها والحرى بان يدعى
بإمامها وابن إمامها كان سباق غايات وصاحب آيات وغايات بلغ من
العلوم الأقصى واقتادها بالنواصى ترجم له الطوائف ، وأقر له
المؤالف والمخالف . (٢)) وذكر شاء لغيره على ابن الوزير حاصله :
ان هذه الدرجة التى بلغها ابن الوزير لم يبلغها أقرانه لتمكه من
معرفة الحديث وعلومه وتبحره فى السمعيات . (٣)

١٣- أما الأمير الصنعانى سنة ١١٨٢ هـ فقد اكنفى بهذه العبارة الموجزة
المملوءة بالمعانى وهى قوله : (الامام الحافظ العلامة النظار محمد
ابن ابراهيم الوزير) وقال فى الشاء على (العواصم والقواصم) لابن
الوزير : (وقد ساق فى العواصم من الآيات والاحاديث ما فيه مقنع
للناظر ، وسكون القلب للمناظر ووشحه بفوائد وفرائد لا توجد
الا فيه ولم تخرج الا من فيه (٤)) .

-
- (١) تاريخ ابنى الوزير للهادى الوزير الصغير خ مكتبة صنعاء ورقة ٣٥ .
(٢) مطلع البدور لابن أبى الرجال خ بالمكتبة الشرقية بجامعة صنعاء
رقم ١١٢ .
(٣) انظر مطلع البدور لابن أبى الرجال خ ترجمة ابن الوزير رقمها ٣٦٢ .
(٤) توضيح الافكار للصنعانى ج ١ ص ١٠ ج ٢ ص ٢١٣ .

١٤ — وقال الشهاري الزيدى : من علماء القرن الثانى عشر : (٠٠٠) وكان ابن الوزير متبحرا فى علم الرواية ، ومعرفة الرجال ، وأحوالهم فى النقد والاعتدال ، وغير ذلك ، وكان أذكى الناس ٠٠٠ كان فؤاده جذوة نار تتوقد ، وهو الخبير ٠٠٠ الماهر فى كل مقصد (١) .

١٥ — وأما الامام محمد بن على الشوكانى سنة ١٢٥٠ هـ فقد أطل غان قلمه فى الاشادة بمكانة ابن الوزير العلمية ووصفه بالامام الكبير المجتهد المطلق ، وأنه تبهر فى جميع العلوم ، وفاق الاقران ، وأنه اذا تكلم فى مسألة لا يحتاج الناظر بعده الى النظر فى غيره من أى علم كانت ، ويسموا به الثناء على ابن الوزير حتى وصل به الى مستوى ابن حزم ، وشيخ الاسلام ابن تيمية ، بل فوق ذلك فى بعض المباحث اذ يقول : (وكلامه لا يشبه كلام اهل عصره ، ولا كلام من بعده ، بل هو من نمط كلام ابن حزم وابن تيمية ، وقد يأتى فى كثير من المباحث بفوائد لم يات بها غيره كائنا من كان . (٢)) .

أتظن هذه الشهادة من قاضى قضاة القطر اليمنى ، المطابقة لشهادة الأمير الصنعائى مجازفه ؟ ! وهل يليق هذا بمكانتهما العلمية ؟ ! ، اذا حاك شىء من ذلك فى نفسك فارجع الى مؤلفات ابن الوزير لاسيما (العواصم والقواصم فى الذب عن سنة أبى القاسم) ومختصره (الروض الباسم) تجد ما يملأ عينيك ، ويشلج صدرك ، ان كنت من اهل الانصاف فليس الخبر كالعيان فلقد أوقع بخصومه المعتزلة ما أوقعهم به الامام ابو الحسن الاشعري سنة ٣٣٠ هـ لما نكس اعلامهم وأدخلهم فى أفاع السمس ، فضحهم وأبدى عوارهم كما فضح الباطنية ابو حامد الغزالى سنة ٥٠٥ هـ ومحمد بن مالك الحمادى اليمانى من علماء القرن الخامس الهجرى كما سيأتى بيان هذا فى الكلام على المعتزلة والاشعرية

(١) طبقات الزيدية خ صنعاء للشهاري ج ٣ ص ٣٤٧ .

(٢) البدر الطالع للشوكانى ج ٢ ص ٩١ .

والباطنية والمعارك الكلامية •

ويصف الشوكاني : موقف ابن الوزير الشجاع من المحنة التي امتحن بها من أهل عصره وما صنعوه من القلاقل ، والثورات التي كانوا يثورون عليه مرة بعد مرة ويهجونها بالقصائد الشعرية ، يصفه بما يدل على أنه كان قسوى الجأش ، صادق العزيمة ، رفيع المكانة العلمية فيقول : (...) وكان يجاوبهم ، ويصاولهم ، ويجادلهم ، فيقهرهم بالحجة ولم يكن في زمنه من يقوم له ، لكونه من طبقة ليس فيها أحد من شيوخه فضلا عن معارضيه) ولم يكتف اشوكاني بهذا الوصف بل يترقى الى القمة فيقول : (والذي يغلب على الظن أن شيوخه لو جمعوا جميعا في ذات واحدة ، لم يبلغ علمهم الى مقدار علمه ، وناهيك بهذا) (١) .

١٦ - ومن أثنى على ابن الوزير من علماء الهند السيد صديق حسن خان القنوجي سنة ١٣٠٧ هـ بقوله : (كان فريد العصر ، ونادرة الدهر ، خاتمة النقاد ، وحامل لواء الاسناد ، وبقية أهل الاجتهاد ، بلا خلاف ولا غاد ، رأسا في المعقول والمنقول ، إماما في الفروع والأصول) (٢) .

١٧ - كما أثنى على ابن الوزير جماعة من المتأخرين والمعاصرين ، منهم الصعدي في كتابه (المجددون في الاسلام) ولكنه شاء متناقض حيث قال : (تبحر - أي ابن الوزير - في جميع العلوم ، وفاق الاقران ، واشتهر صيته بين علماء عصره ، وكان شديد الميل لأهل السنة ، على خلاف أهل مذهبه من الزيدية ، لانه كان لا يتقيد بالتقليد ، بل يؤثر الكتاب والسنة ولا يتقيد بمذهب من المذاهب - الى أن قال : - ومضى ابن الوزير ينظر في الاصول والفروع نظر مجتهد غير مقلد ، فكان يزاحم الأئمة الأربعة ، ومن بعدهم في اجتهادهم ، ومضايق أئمة الأشعرية والمعتزلة في مقالاتهم ، وكان أهل مذهبه يثورون عليه ثورة بعد ثورة ، فلا يؤثر هذا في مسلكه بالتمسك بالكتاب

(١) البدر الطالع للشوكاني ج ٢ ص ٩٢

(٢) أبجد العلوم للقنوجي ج ٣ ص ١٩٠ .

والسنة ، ولو خالف مذهبهم - الى أن قال : - وابن الوزير يعد بهذا من مدرسة ابن حزم وابن تيمية ، فلم يكن راضيا عن الخوض في علم الكلام ، بل كان الاولى عنده ترك الخوض فيما لاتمس الحاجة اليه . - الا أنه خلط في كلامه بقوله : لم يتخلص تخلصا كاملا من مذهبهم ، فكان شأنه في هذا ، كشأن ابن حزم وغلبة مذهب الظاهرية عليه ، وشأن ابن تيمية ، وغلبة مذهب الحنابلة عليه ، بل تناقضي في كلامه بقوله : وكل مؤلفات ابن الوزير تدور في هذه الدائرة ، وتحو في الاجتهاد نحو ظاهره التجديد ، وباطنه الجمود ، وعلل بهذا التعليل العكسي إذ يقول : (اذا كان يدفعه الى معاداة من لا يتمسك بالنصوص على ظواهرها وإلى النفرة من يستعين في فهمها بأساليب غير الاساليب التي اتبعها سلف الأمة - الى أن قال : - وهذه نزعة جمود تخف فيه أيضا تحت ما كان يتظاهره من كراهة الجمود

والتقليد ، وظهرت نزعة الجمود في نحو غير العلوم الدينية من علم الفلك والطب والهندسة والحساب والجبر... وقد تأثر ابن الوزير في هذا بابن تيمية ، ومع هذا أبى ابن الوزير الا أن يختم حياته بالخروج على المدرسة التي سار على نهجها من كراهة التقليد (١) .

قلت : وفي نظري أنه يكفي في الرد على هذا الكلام ذكره فقد هدم ما بنى وشيد بيده ، ثم ان كتب ابن تيمية في غير العلوم الدينية تكذب هذا . منها على سبيل المثال مجموع الفتاوى وغيره ، أما ابن الوزير فقد شهد له فطاحل العلماء بالاجتهاد والنفرة من التقليد والابتداع وإذا كان ابن الوزير ينفر من الاستعانة في فهم النصوص بأساليب غير الاساليب السلفية فما بعدها الا الاساليب اليونانية التي رد على أهلها بكتابه (ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان) وماذا بعد الحق الا الضلال وسائر كتب ابن الوزير تناقض كلام الصعبيدي الأخير .

١٨ - ومن المعاصرين الذين اشوا على ابن الوزير صاحب كتاب الزيدية

بقوله : (ان ابن الوزير كان فريدا في نوعه بين جميع من عالج

(١) المجددون في الاسلام لعبد المتعال الصعبيدي ص ٣٤٣ - ٣٤٦ .

موضوعات علم الكلام ، لا يشبه كلامه كلام أحد سبقه ، أو عاصره ،
لابين الزيدية فحسب ، بل بين فرق المسلمين جميعا ، سواء في تحرى
الحق ، أو في نزاهة القصد ، وذلك ما أكسبه تقدير المخالفين قبل
الموافقين (١) .

١٩ - وما قاله المؤرخ والكتّاب اليمنى المعاصر عبد الله محمد الحبشى بعد
أن ذكر جهود العلماء على التقليد ، ونبذ الاجتهاد ، مع أن المذهب
الزيدى منذ تأسس يقرر الاجتهاد فيقول : (٠٠٠) ولكن لم تظهر دعوة
الاجتهاد صريحة الا فى القرن التاسع الهجرى وقد حمل لواءها
العلامة المجتهد محمد بن ابراهيم الوزير ، ووضع ، فى هذا الصدد
رسالة قيمة بعنوان : (القواعد فى الاجتهاد (٢)) .

٢٠ - ومن هو لا أيضا السيد أحمد حسين شرف الدين فى كتابه (تاريخ
اليمن الثقافى (٣)) و (تاريخ الفكر العربى الاسلامى فى اليمن)
يقوله : (اجمع مؤرخوا اليمن وعلماءها على صحة اجتهاده ووزارة
علمه) والحبشى أيضا فى كتابه (دراسات فى التراث اليمنى) وفى
(مجلة اليمن الجديد (٤)) وغير ذلك من الكتب والمجلات والصحف .
وهذا بغض النظر عما ذكره بعض المترجمين والمفهرسين كالزركلى فى
الأعلام (٥) ، وعمر كحالة فى (معجم المؤلفين (٦)) واسماعيل باشا
البغدادى فى ذيل كشف الظنون (٧) وفى (هدية العارفين (٨)) فى
أسماء المؤلفين) وغيرهم وغيرهم .

-
- (١) كتاب الزيدية للدكتور أحمد محمود صبحى ص ٦٢٥ - الناشر مكتبة المعارف
بالاسكندرية سنة ١٩٨٠ م .
(٢) حياة الادب اليمنى فى عصر بنى رسول للحبشى ص ١٠٨ - ١٠٩ .
(٣) ج ٤ ص ٢٧٢ مكتبة الجيلانى .
(٤) العدد الخامس رجب ١٣٩٢ هـ اغسطس ١٩٧٢ م تصدرها وزارة الاعلام
اليمنية .
(٥) ج ٥ ص ٣٠٠ بيروت .
(٦) ج ٨ ص ٢١٠ - ٢١١ .
(٧) ج ٣ ص ١٥٢ ج ٦ ص ١٩٠ .
(٨) ج ٦ ص ١٩١ .

والحاصل ان ابن الوزير كما قال الشوكاني : (إنه رجل عرفت الأكاير وجهله الأصاغر ، وليس ذلك مختصا بعصره ، بل هو كائن فيما بعده من العصور الى عصرنا هذا ، ولو قلت ان اليمن لم تنجب مثله ، لم أبعد عن الصواب وفي هذا الوصف مالا يحتاج الى غيره (١) .)

أما أنا فلا أدري ما أقول بعد كلام الأعلام الآنف الذكر ، وما تركته أكثر بكثير مما ذكرته ، وقد قيل : لا عطر بعد عروس ، فكيف أضف من صفوه بأنه يزاحم أئمة المذاهب الاربعة فهو بعدهم من المجتهدين ، وضييق أئمة الأشعرية والمعتزلة في مقالاتهم ، ويتكلم في الحديث بكلام أئمة المعتبرين ، مع احاطته بحفظ غالب المتن ، ومعرفة رجال الأسانيد ، شخصا ، وحالا ، وزمانا ، وتبحره في جميع العلوم العقلية والنقلية على حد يقصر عنه الوصف بماذا أضف ابن الوزير بعد هذا - وله هذه المكانة ، بل المهابة في نفوس خصومه حتى بعد مماته اذ رد عليه مؤلف مجهول ب (العضب الصارم) في الرد على صاحب الروض الباسم) .

إن شأني عليه يترجمه الجهد الذي بذلته في إبراز هذه المكانة العلمية ، وتنظيم هذا الشاء من فطاحل العلماء ، وما سوف أخرجه من مباح ومميزات ، وأفكار لابن الوزير في هذه الرسالة بقدر الطاقة ان شاء الله تعالى .

أما الاستيعاب فكيف يتأتى في بحث محصور نظاما وزمانا - وهو يورد في المسألة الواحدة على خصمه ما يقارب المأتين من الإشكالات المحيرة ، وعشرات المعارضات الشديدة ؟ ، والتبسيهات اللاذعة ، والالزامات المفحمة ، والبراهين المقنعة العقلية منها والنقلية ، والوجوه المتنوعة ، ولقد أنصف الشوكاني وأحال على ملي - ومن أحيل على ملي فليتبع - لما قال : (ومن رام ان يعرف حاله ، ومقدار علمه فعليه بمطالعة مصنفاته فانها شاهد عدل تدل على علو طبiquته ، فانه يورد في المسألة الواحدة من الوجوه ما يبهر (٢) لب

(١) البدر الطالع للشوكاني ج ٢ ص ٩٢ .

(٢) من باب نفع أه مصباح ج ١ ص ٧١ .

مطالعته ، ويعرفه بقصر بابه بالنسبة الى علم هذا الامام كما يفعله في
(العواصم والقواصم) فانه يورد كلام شيخه السيد العلامة على بن محمد
ابن أبي القاسم في رسالته التي اعترض بها عليه ، ثم ينسفه نفساً ،
بإيراد ما يزيغه به من الحجج الكثيرة التي لا يجد العالم الكبير في قوته
استخراج البعض منها (١) . وستأتي الإشارة الى هذا في منهجه
ومميزاته ومعاركه الكلامية ان شاء الله تعالى .

هذا ومن الملاحظ على بعض العبارات في الشاء على ابن الوزير - كما
سبق - التي يطلقها بعض التلامذة على شيوخهم ، يستوى في هذا التلامذة
ابن الوزير وغيرهم في عصر من العصور ، كقولهم خاتمة المحققين أو خاتمة الحفاظ
أو خاتمة المجتهدين ثم يأتي الله - بعد ذلك العصر - بمجتهدين وحفاظ ومحققين ،
وهذا تعبير لا يخفى مافيه من التحجر على الله - عز وجل - فلا يخلو زمان
او مكان من هؤلاء الذين يفتح الله عليهم الى عصرنا هذا مطلع القرن الخامس
عشر الهجري . إلا أنه ليس أحد كأحد يفعل الله سبحانه ما يشاء ويختار .

(١) البدر الطالع للشوكاني ج ٢ ص ٩٠ - ٩١ .

عزله الأخيرة :

سبقت الإشارة الى أنه صنف (العواصم والقواصم في الذب عن سنة
أبي القاسم صلى الله عليه وآله وسلم) و (ايثار الحق على الخلق في
رد الخلافات الى المذهب الحق من أصول التوحيد) في العزلة ، ولكنها
كانت عزلة غير مستمرة ، يتزود الليالي والايام ذوات العدد ثم يرجع .

أما هذه العزلة الأخيرة التي توفي فيها فهي مستمرة الى أن لقي
ربه ، وصنف في ذلك كتابين أيضا أحدهما بعنوان :
(أنيس الأكياس في الاعتزال عن الناس) والثاني : (كتاب العزلة) وقد سبق
ذكرهما في ذكر مؤلفاته .
والصواب أن آخر مؤلفاته (ايثار الحق على الخلق) كما سبق بيانه في
مؤلفاته .

ومن المبررات التي يراها ابن الوزير للعزلة أن لها في بعض الاوقات ،
والأزمان - لبعض أهل الايمان - مرجحاتها من الكتاب والسنة ، فحق من
لم يتعين عليه فرض يوجب تركها ، من جهاد ، أو تغيير منكر أو تعلم أو تعليم
أو مانع شرعى ممن تجب طاعته شرعا ، كأحد الوالدين ، أو إمام أو قاضى ،
أو خصم له عليه حق واجب ، أو حق مسلم لازم أو راجح - خوف الفتنة في
الدين ، ذكر في ذلك آيات من القرآن الكريم ، وأورد حسين حديثا من السنة
الصحيحة في العزلة وفضلها ، وأيد ذلك بسبعة عشر وجها (١) ، وقال
البخارى : (باب العزلة راحة من خلّاط السوء) وذكر بعض ما ذكره ابن
الوزير من الاحاديث ، كما ذكر الحافظ كلاما لبعض السلف على استحباب
العزلة، منهم : عمر بن الخطاب بقوله : (خذوا حظكم من العزلة) (٢) .

وقد قسم شيخ الاسلام ابن تيمية سنة ٧٢٨ هـ العزلة الى مشروعنة
وبدعية ، وان البدعية هي المشتملة على عبادات أو اذكار غير مشروعنة ،

(١) أنظر مقدمة كتاب العزلة لابن الوزير خ صنعاء الورقة الاولى أولها
وبعد فهذا مختصر مفيد .

(٢) فتح البارى للحافظ ابن حجر ج ١١ ص ٣٣٠ - ٣٣١ .

المولدة للأحوال الشيطانية ، وأن المشروعة ما كان مأمورا بها أمر ايجاب
أو استحباب كاعتزال الأمور المحرمة ، وهذا من الواجب ، واعتزال الناس في
فضول المباحات ، وما لا ينفع بالزهد فيه وهو مستحب .

كذلك اذا أراد الانسان تحقيق علم أو عمل فتخلد في بعض الأماكن
مع المحافظة على الجماعة والجماعة . وذكر بعض الأدلة القرآنية والحديثية
التي استدل بها ابن الوزير على ذلك . (١)

ان معظم حياة ابن الوزير قضاها في العزلة التي رجعها على مخالطة
الناس أحيانا ، لانه خبر الحياة بتجاربه وعلاقاته باهل زمانه ، لكنها تفرغ
للدفاع عن الكتاب والسنة .

وفي هذه العزلة الأخيرة أخذته الحيرة والتفكير بين الانعزال عن الناس
أو مخالطتهم والصبر على أذاهم . وهاهوذا يصف لنا هذه الحيرة التي
تجاذبه دواعيها ، فلا يدري لأيها يستجيب .
يصف ذلك قائلا :

١ - (تارة وعيت : (فتولد غمهم فما أنت بملوم) (٢)) (وأذكر في الكتاب
مريم ان انتبذت من أهلها مكانا شرقيا) (٣) (وان اعتزلتموهما وما يعبدون
الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ، ويهيئ لكم من أمركم
مرفقا) (٤) .

٢ - وتارة أسمع : (يوشك أن يكون خير مال المسلم غم يتتبع به شرف الجبال
ومواقع القطر ، يفر بدينه من الفتن) (٥)

(١) أنظر التفاصيل القيمة في مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية المجلد
الثاني ج ٤ - ٥ ص ٢٥٦ وما بعدها علق عليها وصححها جماعة من
العلماء بإشراف الناشر دار الكتب العلمية بيروت ط أولى سنة ١٤٠٣ هـ .

(٢) سورة الذاريات : ٥٤ .

(٣) سورة مريم : ١٦ .

(٤) سورة الكهف : ١٦ .

(٥) رواه البخاري ج ١ كتاب الإيمان باب من الدين الفرار من الفتن ص ٨٦
كتاب الفتن باب التعرّب في الفتنة ص ٤٩ ، واستانبول بتركيا ، ومسلم ج ٣ كتاب الامارة

(اتمروا بينكم بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر ، حتى اذا رايت شحا مطاعا ، وهوى متبعاً ، ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذي رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع عنك امر العوام (١)) .

(واعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أنك تعض على جذر شجرة حتى يأتيك (٢) الموت وانت على ذلك (٣)) .

(والزم بيتك ، وخذ ما تعرف ، واترك ما تتكر) (٤))

(ليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك (٥)) هكذا ذكره ابن الوزير

في (ترجيح أساليب القرآن (٦)) متصلاً بعبءه ببعضه ، ولقد كلفنى

— رحمه الله تعالى — جهداً غير قليل فى تتبع فقرات هذا النص

فقد جمع فيه عدة احاديث من الصحيحين والسنن ومسنـد أحمد

وغيره وذلك يوهـم أن هذا النص — حديث واحد من مصدر واحد ،

=== باب فضل الجهاد ص ١٥٠٣ — ١٥٠٤ نشر وتوزع دار الافتاء بالمملكة
تصحيح وترقيم محمد فواء عبد الباقي سنة ١٤٠٠ هـ

(١) سنن الترمذى بتحفة الاحوذى ج ٨ تفسير سورة المائدة ص ٤٢٤ — ٤٢٥

وقال هذا حديث حسن غريب تصحيح عبد الرحمن محمد عثمان الناشر

المكتبة السلفية المدينة المنورة وقال ابن كثير فى تفسيره ج ٣ ص ٢٠٨

قال الترمذى هذا حديث حسن غريب صحيح تحقيق غنيم وزميليه

ط الشعب ، ولست ادرى من اين نقل هذه الزيادة ؟ ، وسنن

أبى داود مع عون المعبود ج ١١ كتاب الملاحم ص ٤٩٤ — ٤٩٥

تحقيق عبد الرحمن عثمان الناشر المكتبة السلفية بالمدينة

المنورة ط ثانية سنة ١٣٨٩ هـ وسنن ابن ماجه ج ٢ كتاب الفتن

ص ١٣٣٠ — ١٣٣١ تحقيق محمد عبد الباقي ج ١ ط الحلبي .

(٢) فى الصحيحين : (حتى يدركك الموت) .

(٣) البخارى ج ٤ كتاب المناقب باب علامات النبوة ص ١٧٨ ج ٧ كتاب

الفتن باب كيف الامر اذا لم تكن جماعة ص ٩٣ ولفظه : (اذا لم

تكن جماعة ولا إمام فاعتزل تلك الفرق كلها) . وسلم ج ٣

كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين ص ١٤٧٦ .

(٤) سنن أبى داود مع عون المعبود ج ١١ كتاب الملاحم باب الأمر

والنهي ص ٤٩٩ .

(٥) مسند أحمد ج ٤ ص ٤٨ — ١٥٨ — ١٥٩ من حديث عقبة .

(٦) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير ص ٦٠ مطبعة

المعاهد بمصر قدم له زيادة سنة ١٣٤٩ هـ .

وبعضى ابن الوزير فى وصفه هذه الحيرة بقوله :

(٣) (وتارة أتأمل قول على عليه السلام : ووالله لولا رجائى الشهادة
عند لقاء عدوى ، لو قد حم (١) لى لقاءه لشخصت عنكم ثم لا أسأل
عنكم ، ما اختلف جنوب وشمال ، وشاع فى هذا المعنى وذاع ، حتى نظمه
البلغاء على أساليب تهتز لها الطباع ، وتلتذ بها الاسماع مثل قولهم :

كيف التخلص والبسيطة لجة والجو أسحم بالمصائب مشجم
أسرج وألجم فى الفرار فكلهم فيما يسوءك مسرج أو ملجم

وقوله :

نهيتك عن خلاط الناس فاحذر أقاربك الادانى واحذر نسى
صديق ما هويت لك اقترابا وصنتك عن مخالطتى فصنى

وقوله :

وما غف وردى لا رتواء وجدته بنفسى ولكن المياه أجسـون
فلا تشغلنى بالحديث وغلنى وأشجان قلبى فالحديث شجون
فعددت على ذلك اعتقادى ، وعزمت على لزومه ، بعد أن همت فى
كل وادى ، وقنعت من الغنيمة بالاياب ، حتى سلمت فى سفرى من الذئاب ،
المدلسة بلبس الثياب ، وانها والله بدليل الثقل والحس ، أخبث نوعى
هذا الجنس ، لا سيما من كان ظاهره بالزهافة متحليا ، وباطنه من حليمة
الاخلاص متخليا . (٢)

ثم قال : (فبقيت فى هذه المدة المديدة سنين عديدة :

قد اعتزلت الرافضى جانبا والناصبى والمجترى والمجبرى
واعضت عن خطاب كل جاهل خطاب فكرى أو خطاب دفتـرى
وقلت لا تغتر بإفى خبرى فقد نبذت كل خل مقتر (٣) .

(١) حم — بمعنى قرب ودنى أه المصباح المنير للفيومى ج ١ ص ١٦٥

(٢) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير ص ٦٠ — ٦١ .

(٣) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير ص ٦١ .

ومن رقائق شعره في بعده عن الناس ، وانقطاعه أبيات كتبها الى
الامام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى عقب دعوته بالامامة . منها قوله :

أعاذل دعى أرى مهجتي	أزوف الرحيل ولبس الكفن
وأدفن نفسي قبل الممات	في البيت أو في كهوف القن (*)
فأن كنت مقدتيا بالحسين	فلى قدوة بأخيه الحسن
فقد حمد المصطفى فعله	لاطفائه لنار المحسن
ولو كان في فعله مخطئا	لما كان للمدح معنى حسن
وأقبل مافي حديث الرسو	ل من ذكر موج بحار الفتن
وأن السلامة في الاعتزال	جاءت بهذا مسندات السنن (١)

واستمر ابن الوزير في الاعتزال عن الناس ، وترك مجالس التدريس ،
وعاتبه على ذلك الناس ، فلم يعجا بذلك بل أجاب قائلا ومبررا :

لا مني الأهل والأحبة طرا	في اعتزالي مجالس التدريس
قلت لاتعدلوا فما ذاك مني	رغبة عن علوم تلك الدروس
هق رياض الجنات من غير شك	وسناها يزرى بنور الشمس
غير أن الرياض تأوى الأفاعى	وجوار الحيات غير أنيس
حبذا العلم لو أمنت وصاحب	ت إماما في العلم كالقاسموس
غير أنى خبرت كل جليس	فوجدت الكتاب خير جليس
قدعوني فقد رضيت كتابي	عوضا لي عن أنس كل أنيس (٢) .

ومن هنا يظهر أن اعتزال ابن الوزير ليس من نوع اعتزال أهل التصوف
الذين لا يرون النظر وطلب العلم . وستأتى الإشارة الى هذا في طرق اثبات
الصانع في الباب الثالث ان شاء الله تعالى .

(١) العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٢ ورقة ١٨٨ .
(٢) العواصم والقواصم ج ١ ورقة ١٦٢ والترجيح له ص ٦٢ .
(*) القن بقاف مضمومة ونونين أولاهما مفتوحة : جمع قنة بضم القاف أعلى
الجبل مثل قله كذا في الصحاح للجوهري ج ٦ ص ٢١٨٤ .

ثم يصف ابن الوزير نهاية ما وصل اليه بعد هذه الحيرة والشكوى فيقول :
(وفي هذا المقام بنيت دار المنى ٠٠٠ وفطمت نفسى عن الطمع فى الناس ، حتى
طعمت لذة اليأس ، ولم أقل :

ولابد من شكوى الى ذى حفيظة يواسيك أو يأسوك ، أو يتألم
ولكن قلت : (انما أشكو بثى وحزنى الى الله) (١) وأقبلت على ربى وحده ،
وأخلصت له تفويضى وتوكلى ، وأنشد :

وكاد سرورى لا يفي بندا متى على ماضى من عمرى المتقادم (٢)

ومن هنا نستطيع أن نستخلص أن الأسباب التى أدت بابن الوزير الى
العزلة عن الناس معظم حياته ، وفى هذه المرحلة الاخيرة بالذات شىء من
قسوة طباعه ، فقد اعترف ابن الوزير بهذا وكان يتضرع الى الله - عز وجل -
أن يداوى قاسى طباعه ، بالاضافة الى عدم وجود الصديق الصدوق ، الخالى
عن الجفاء ، والنفاق ، القائم بما للاخوة من الحقوق ، مأمون البوائق ،
عالى الهمة ، وبلاضافة أيضا الى التفرغ للتأليف بعيدا عن القلاقل والمزعجات .
وقد سبق أن ذكرت أبياته فى تفضيل العزلة ومجاورة اليوم والقطا
على مجاورة هؤلاء الذين آذوه وألجأوه الى العزلة فى أشاء تأليفه
(العواصم والقواصم) وهى :

فحينما بطود تمطر السحب دونه	اشم منيف بالسحاب مؤزر
وحينما بشعب بطن واد كأنه	حشا قلم تمسى به الطير تصفر
أجاور فى أرجائه اليوم والقطا	فجبرتها للمرء أولى وأجدر (٣)
.....	

قال ناسخ (كتاب العزلة) لابن الوزير فى نهايته بعد أن ذكر ماله
من المكانة العلمية عند الناس ، قال : (فلما رأى أن فى هذا طرفا من
الدنيا والرياسة ، قدع نفسه وقمعها ، ومنعها مما تشوفت اليه ، وردعها ،

(١) سورة يوسف : ٨٦ .

(٢) ترجيح أساليب القرآن لابن الوزير ص ٦٣ .

(٣) الروس الباسم لابن الوزير ج ١ ص ١٠ .

ثم أقبل الى الله بكلية فلزم العبادة والاذكار وقيام الليل ، وصيام النهار ، وتأديب النفس واذلا لها للملك الجبار ، فألجمها بلجام الزهد ، وجرها بعنان التقوى ، وأجرأها في ميدان الورع ، وساقها بسوط الصبر ، وعلفها الجوع ، وسقاها آدموع ، وألبسها لباس الذل والخضوع^(١) .

وكان يلزم بعض المساجد ، كمسجد وهب ، ومسجد نقم ، ومسجد الأخضر من مساجد صنعاء ، وفي المنازل العالية والكهوف ويعتدرفيها عن موافقة اهله وأرحامه ، ويسألهم اسقاط الحق من الزيارة .^(٢)

أما الشوكاني فانه يصف عزلة ابن الوزير الاخيرة التي توفي فيها فقال بعد أن نوه بمكانته العلمية وما جرى بينه وبين خصومه من المعارك الكلامية : (ثم بعد هذا أنجمع ، وأقبل على العبادة وتهشيخ^(٣) ، وتوحش في الغلوات ، وانقطع عن الناس ، ولم يبق له شغلة غير ذلك ، وتأسف على ما مضى من عمره ، في تلك المعارك التي جرت بينه وبين معاصريه ، مع انه في جميعها مشغول بالتصنيف والتدريس ، والذب عن السنة والدفع عن أعراض أكابر العلماء ، وأفاضل الأمة ، والمناضلة لاهل البدع ، ونشر علم الحديث ، وسائر العلوم الشرعية ، في إرس لم يألّف أهلها ذلك لاسيما في تلك الأيام ، فله أجر العلماء العاملين ، وأجر المجاهدين المجتهدين ، ولكنه ذاق حلاوة العبادة ، وطعم لذة الانقطاع الى جانب الحق فصغر في عينيه كل ما سوى ذلك^(٤) .)

أما ابن أبي الرجال ، فقد خالف الشوكاني ، ووافق صاحب طبقات الزيدية ، من أن ابن الوزير اشتغل بالذكر والعبادة في آخر حياته في

(١) كتاب العزلة لابن الوزير خ صنعاء .

(٢) أنظر طبقات الزيدية خ صنعاء للشهاري ج ٣ ص ٣٤٦ .

(٣) لا أدري ما يريد الشوكاني بهذه العبارة (تهشيخ) وقد ثبت انه صنف (أيثار الحق على الخلق) قبل وفاته بثلاث سنين كما سيق في مؤلفاته .

(٤) البدر الطالع للشوكاني ج ٢ ص ٩٢ .

المساجد كمسجد وهب والووية وغيرهما من المنازل العالية ينقطع في بعضها للعبادة كما سبق .

وله كرامات لانطيل بذكرها ، فقد ذكرها معظم من ترجم له ، والايمان بها من عقيدة السلف ، اذا كان صاحبها متمسكا بكتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام . وإلا فهي احوال شيطانية ، وكتب ابن الوزير تدل على الاول ولنا الظاهر والله يتولى السرائر .

وبالجملة فالعزلة تختلف باختلاف الاشخاص والاحوال فمنهم من يتحتم عليه المخالطة إما عينا وإما كفاية، فمن كانت له قدرة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لزمه مخالطة الناس والصبر على أذاهم ، ومن ليس كذلك فالأولى له العزلة ، ولو لم يكن فيها الا السلامة من الغيبة والنميمة ، ومن روية المنكر الذي لا يستطيع ازالته لكان خيرا عظيما ، ومكابدة العزلة أيسر من مداراة الخلطة ، ذكر هذا الحافظ في الفتح ^(١) لكن مطولا ومفصلا ، غير أن بعضه منصب على الفتن الدينية وبعضه على الفتن السياسية حين لا يوجد أمام ولا جماعة للمسلمين ، وابن الوزير اکتوى بنار الفتنتين، لكنه لم يعتزل الفتنة السياسية بل انضم الى الامام المنصور ضد منافسه الامام المهدي ، ودافع عنه دفاعا شديدا كما سبق بيانه في الحالة السياسية ، وكان الاولى له - في نظري - اعتزال الفتنتين معا ، أو ممارستها معا لاني لم أجد له مبررا في العزلة الدينية الا العكوف على التصنيف والمضايقات النفسية ، أما الخوف على نفسه أو ماله فقد كان يتمتع بحصانة قوية في حماية صاحبه وتلميذه - بعد الحماية السماوية - الامام المنصور الذي تغلب على منافسه الامام المهدي واستقل بالجلوس على عرش الزيدية في صنعاء آنذاك . ثم ان استدلال ابن الوزير على ترجيح العزلة هو مأخوذ من القاعدة الاصولية القائلة : (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) كما هو واضح من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية التي ذكرتها في أول هذا المبحث . والله اعلم .

(١) أنظر فتح الباري ج ١١ ص ٣٣٠ وما بعدها وج ١٣ ص ٤٠ - ٤٣ .

وفاته :

توفى ابن الوزير - رحمه الله تعالى - فى السابع والعشرين من شهر المحرم سنة ٨٤٠ هـ عن عمر بلغ أربع وستين سنة وسبعة أشهر الاثلاثة أيام .
بعد أن ترك حظا وافرا من المصنفات المفيدة ، ولولم يكن له منها الا :
(العواصم والقواصم فى الذب عن سنة ابي القاسم صلى الله عليه وآله (١)
وسلم) لكفى كما سبقت الاشارة به فى مؤلفات ابن الوزير .

توفى فى مرض من الطاعون اجتاح معظم اليمن ، بدأ من مدينة تعز ،
وتتبع القرى اليمنية قرية قرية حتى وصل صنعاء ومات المشهورون بالعلم
والفضل ، وكان يخرج من صنعاء - على حسب ما ذكره المؤرخ الواسعى
الصنعائى كل يوم مائة جنازة ، وفى آخر يوم من رمضان من السنة التى توفى فيها
ابن الوزير خرجت من صنعاء سبعمائة ألف جنازة . وثانى عيد الفطر كذلك ،
حتى أغلقت الدور والمساجد ، وتعطلت الأعمال .

وفى تلك السنة توفى الامام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى أحمد
أقران ابن الوزير ومنافسيه ثقافيا ، ومنافس الامام المنصور صاحب ابن الوزير
على عرش الزيدية فى اليمن ، ومن عجائب قدر الله - عز وجل - أن توفى
الثلاثة فى عام واحد بل توفى ابن الوزير وامام عصره المنصور على بن
صلاح الدين ، فى يوم واحد .

ومن رضى ابن الوزير بنت اخيه شمس الحور بنت الهادى الوزير بابيات
مطلعها :

(١) قد تكون هنا علامة استفهام فى الصلاة على الآل تبعا لإزالة هذه
العلامة نذكر ما حكاه ابن كثير فى تفسيره ج ٦ ص ٤٦٧ اذ يقول :
(واما الصلاة على غير الانبياء فان كانت على سبيل التبعية ...
فهذا جائز ، وانما وقع النزاع فيما اذا افرد غير الانبياء بالصلاة عليهم .
(٠٠) وقد بحث المسألة بحثا جيدا مطولا فى اثنتين وعشرين صفحة
ينبغى لطالب العلم الاطلاع عليه ، كذلك ابن القيم بحث هذه المسألة
فى كتابه (جلاء الأفهام فى الصلاة والسلام على خير الانام) ص ٢٧٧ -
٢٩٠ بحثا قيما هذا بالنسبة لخارج الصلاة أما فيها فقد ورد النص
على الآل تبعا فى الصلاة الابراهيمية .

رحم الله أعظما دفنوه ————— بالزَّوَيَات عن يمين المصلى
أى مصلى العيد الجهة الشمالية من صنعاء ، وقيل : دفن بمسجد وهب من
صنعاء (١) . والله اعلم .

(١) انظر ترجمة ابن الوزير لمحمد بن عبد الله بن الهادي الوزير العواصم
والقواصم (لابن الوزير ج ٢ ، ورقة ١٩٧ ، وتاريخ بني الوزير للهادي
الوزير خ صنعاء ، ورقة ٣٨ ومطلع البدور لابن أبي الرجال خ ترجمة
ابن الوزير رقمها ٣٦٧ وطبقات الزيدية خ للشهاوي ج ٣ ص ٣٤٧ ،
والبدر الطالع للشوكاني ج ٢ ص ٩١ وتاريخ اليمن للواسعي ص ٢٠٦ .

منهج ابن الوزير في البحث العلمي :

لم تطمئن نفسي - ويعلم الله ذلك - الى ثناء العلماء
الأعلام على ابن الوزير ، ولا على عنوان كتابه (العواصم والقواصم في الذب عن
سنة أبي القاسم) ومختصره (الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم)
أيضاً . فلقد أضيئت سنتين مع ابن الوزير - رحمه الله - متردداً في
الحكم على معتقده لكثرة ما يورده في المسألة الواحدة ، ويسندها الى
أصحابها مع التقصى لأدلة كل فريق ، ولكثرة ما يورد من الكلام ، يوهم القارىء
- أثناء الكلام على قول معين - أنه يذهب الى ذلك القول . حتى اذا انتقل
الى الكلام على قول آخر ، يظن القارىء أنه يتبنى ذلك القول أيضاً ، لكثرة
ما يورد فيه من البراهين العقلية والنقلية . وهكذا حتى يخرج من المسألة
تاركا القارىء يختار ما يشاء - غالبا - .

وهذا ما سلكه في كتابه (العواصم والقواصم في الذب عن سنة
أبي القاسم صلى الله عليه وآله وسلم) من الأسلوب الجدلي المبنى على مقدمات
مسلمة عند الخصمين ، أو عند الناس ، بغض النظر عن كون النتائج حقاً
أو باطلة ، والغرض من ذلك اقناع القاصر وإلزام الخصم وإفحامه .
وقد أوضح ابن الوزير منهجه هذا بأوجز عبارة ، وأوضح دلالة بقوله :
(وقد سلك في هذا الجواب مسلك الجدليين فيما يلزم الخصم على
أصوله ، ولم أتعرض في بعضه لبيان المختار غدى وذلك لأجل التقية من
ذوى الجهل والعصبية ، فليتببه الواقف عليه على ذلك فلا يجعل ما أجبت به على
الخصم مذهباً لي . (١))

وقد حصل - بالفعل - ما توقعه ابن الوزير من ذوى الجهل والعصبية
فقد اضطره غلاة المعتزلة بل غلاة الزيدية في اليمن الى الخروج من صنعاء
الى رؤس الجبال ، ويطون الاودية ، حتى اعتزل في الغلوات - كما سبق بيان
ذلك في (حياته العلمية) وفي (عزلته الأخيرة) .

(١) العواصم والقواصم لابن الوزير ج ١ المقدمة ورقة ١١

والظاهر - والله اعلم - أن التقية التي ذكرها ابن الوزير ليست من التقية التي يعتقدها غلاة الشيعة ، وهي التظاهر بغير ما يظنون كأن يقول : لست بامام ، وهو كما يزعمون -- إمام ^(١) ، وإنما هي من نوع التقية التي أشار إليها أبو هريرة - رضي الله عنه - بقوله :

(حفظت من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعاءين ، فأما أحدهما فبثته ، وأما الآخر فلو بثته قطع هذا البلعوم) . ^(٢)

قال الحافظ في إثناء شرحه لهذا الحديث : (كى بذلك عن القتل ، وفي رواية الاسماعيلى (لقطع هذا) يعنى رأسه ، وحمل العلماء الوعاء الذى لم يبيته على الاحاديث التى فيها تبين أسامى أمراء السوء وأحوالهم ، وزمنهم ، وقد كان أبو هريرة يكتى عن بعضه ، ولا يصحح به خوفاً على نفسه منه ، كقوله : أعوذ بالله من رأس الستين ، وإهارة الصبيان ، يشير الى خلافة يزيد بن معاوية ، لأنها كانت سنة ستين من الهجرة ، واستجاب الله دعاءه فمات قبلها بسنة) ^(٣)

وقد حكى ابن الوزير الاجماع على الترخيص فى التقية من شر الاشهرار كعلماء السوء ، وسلاطين الجور ، وذكر قصة عمار وموؤ من آل فرعون ^(٤) . ولعل هذا من باب المداراة التى أشار إليها شيخ الاسلام ، من أنها دفع الضرر عن الموؤ من الضعيف ، أو تأليف الفاجر القوى وذلك أشاء حديثه عن عجز اهل خراسان عن اظهار العداوة للجهمية حين ظهورها ^(٥)

- (١) أنظر الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب ص ٤٥ ط الجامعة الاسلامية ، الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٣٥٠ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ط المدنى بالقاهرة .
- (٢) البخارى ج ١ كتاب العلم باب حفظ العلم ص ٣٨ ط المكتبة الاسلامية استانبول تركيا ١٩٧٩ م .
- (٣) فتح البارى ج ١ ص ٢١٦ . رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فوءاد عبد الباقي ط المكتبة السلفية بالمدينة المنورة تصحيح وتخريج محب الدين الخطيب .
- (٤) إشار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٣١ - ١٥١ - ٤٠٨ ط بيروت .
- (٥) أنظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ٢٨ ص ٢١٢ .

وفى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها أن رجلا استأذن على
النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : ائذنوا له فلبس ابن العشيرة
أوبئس رجل العشيرة ، فلما دخل عليه ألان له القول ، قالت عائشة :
فقلت يا رسول الله ، قلت الذى قلت ، ثم أنت له القول ، قال يا عائشة :
(ان شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من ودعه ، أو تركه الناس
اتقاء فحشه . (١)

هذا ومن الجدير بنا أن نرجع الى منهج ابن الوزير العلمى فنقول :
ثم ان ابن الوزير ، قد اختصر هذا الكتاب العظيم ، فى كتاب سماه :
(الروض الباسم فى الذب عن سنة أبى القاسم) صلى الله عليه وآله وسلم ،
و (الروض الباسم) أقل تقيية من (العواصم) كما وصفه ابن الوزير بقوله :
(وهو أقل تقيية من هذا - أى من العواصم - ولن يخلو والله المستعان ،
ولكن هيئات لذلك ، لا محيص (٢) لى من طف (٣) الصاع ، ولا بد لى من

-
- (١) مسلم ج ٤ ، كتاب البر باب مداراة من يتقى فحشه ص ٢٠٠٢ .
(٢) لا مهرب أه قاموس ج ٢ ص ٣١٧ .
(٣) مأخوذ من الطف ، ومنه حديث : (كلكم بنوا آدم ، كُف الصاع ليس
لأحد علك أحد فضل الا بالتقوى) أى قريب بعضكم من بعضه ،
يقال : هذا طف المكيال وطفافه بفتح الطاء وكسرهما ، أى ما قرب
من ملئه ، وقيل هو ما على فوق رأسه ، ويقال له أيضا طفاقت بضم
الطاء ، والمعنى كلكم فى الانتساب الى اب واحد بمنزلة واحدة
فى النقص والتقصير عن غاية التمام ، شبهتهم فى نقصانهم بالمكيال
الذى لم يبلغ أن يملأ المكيال ، ثم أعلمهم أن التفاضل ليس بالنسب
ولكن بالتقوى . النهاية فى غريب الحديث لابن الاثير ج ٣ ص ١٢٩
تحقيق الزواوى والطناحى ط عيسى الحلبي بدون تاريخ ، وأنظر
الصالح للجوهري تحقيق العطار ج ٤ ص ١٣٩٥ وفى القاموس :
طفافه بفتح الطاء وكسرهما : ما ملأ (أصباره) أو ما بقى فيه بعد
مسح رأسه ، أو هو جمامة أو ملوءة أه ج ٣ ص ١٦٨ - ١٦٩ -
والتطفييف يكون بمعنى الوفاء والنقص ، والحديث رواه أحمد فى مسنده
ج ٤ ص ١٤٥ - ١٥٨ يلفظ مختلف كما رواه أبو الشيخ الاصبهاني
فى كتاب الامثال فى الحديث النبوى ص ٩٦ تحقيق عبد العلى عبد
الحميد ط الهند .

الانخداع بدعاية الطباع (١)

والظاهر أن هذا من ابن الوزير من باب التواضع ، والا فقد رد الصاع صاعين كما هو واضح في مؤلفاته لاسيما (العواصم والقواصم) ومختصره (الروض الباسم) .

منهج ابن الوزير كما ورد في (العواصم) ومختصره (الروض الباسم) :

سأحاول — يعون الله تعالى — قدر الطاقة ، أن أضع بعض المعالم في الطريق لمنهج ابن الوزير ، ليهتدى بها القاصرون أمثالي ، وليتعمق فيها الرواد ، الماهرون ، للغوص في اخراج منهجه على ما يليق به ، وعزائي أن من فقد الماء ، تيمم بالتراب فأقول :

١ — سلك ابن الوزير مسلك المناظر المجيب ، الذي يسلك طريقة من ابتدأه ، ويتكلم بلغته ، واصطلاحه ، حذو القذة بالقذة ، وها هو ذا يرسم لنا منهجه حيث كان مجيبا عن الرسالة (٢) التي اعترض بها عليه شيخه جمال الدين على بن محمد بن أبي القاسم سنة ٨٣٧ هـ فيقول : (وانما المجيب يقفو آثار من ابتدأه ، ويتكلم على كلامه — بمقتضاه ، فحين يتكلم المبتدى في المواضع الخطابية والمسالك الجدلية ، اغزوا معزاه ، وأسير في مجراه ، وحين يتكلم في الأدلة القطعية والبراهين القوية ، أقفوا على آثاره ، وأعشو على ضوء ناره ، وهذا هو حكم المجيب فليس بمعلوم على ذلك ولا معيب (٣))

٢ — ثم إن ابن الوزير سلك أيضا — المنهج المتبع في أساس المناظرة ، وأصل المراسلة ، وهو :

-
- (١) العواصم والقواصم لابن الوزير ج ١ المقدمة ص ١١ .
(٢) سيأتى ذكرها إن شاء الله تعالى في (المعارك الكلامية) في الباب الثالث من هذه الرسالة .
(٣) العواصم والقواصم لابن الوزير ج ١ مقدمة ورقة ١٢ — ١٣ .

إيراد كلام الخصم ، ثم التعرض لنقضه .

وهذا شيء لا يغفل عنه أهل الدربة ، وإنما تختلف مذاهب النقاد في ذلك ، ولهم فيه مذهبان ذكرهما ابن الوزير في مقدمة (العواصم والقواصم) .

المذهب الأول : إيراد كلام الخصم بنصه ، ليتخلص من التهمة بتغييره ونقصه ، فان ترك كلام الخصم ظلم ظاهر ، وحيث واضح ، لأنه إنما تكلم ليكون بكلامه موازنا لكلام خصمه في كفة الميزان الذهني ، وموازيا له في جولة الميدان الجدلي ، لأن المنفرد يرجح في الميزان وإن كان خفيفا ويسبق في الميدان وإن كان ضعيفا .

ووصف ابن الوزير هذا بأنه طريقة الجبناء وأنشد قول المتنبى :
وإذا ما خلا الجبان بأرض هـ هـ طلب الطعن وحده والنزلا (١)
وهذا كله إذا كان للخصم كلام يحفظ ، واختيار يصح أن ينقض .

وعلى هذا المذهب سلك ابن الوزير - غالبا - في كتابه (العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم صلى الله عليه وآله وسلم) ومختصره (الروض الباسم) ، يذكر كلام خصمه أولا ، ثم يتعرض لنقضه ثانيا ، وإن لم يكن الخصم طائفة معلوم مذهبها بالتواتر فإنه يجيز لنفسه أن يردى بالمعنى .

وقد وصف الطريقة الأنفة الذكر الامام الشوكاني سنة ١٢٥٠ هـ بقوله :

(يورد كلام شيخه العلامة على بن محمد بن أبي القاسم سنة ٨٣٧ هـ في رسالته التي اعترض بها عليه ثم ينسفه نسفا ، بإيراد ما يزيفه من الحجج الكثيرة التي لا يجد العالم الكبير في قوته استخراج البعض (٢) منها) .
أما إذا لم يكن للخصم مذهب البتة ، وإنما وهم (٣) عليه في مذهبه فهذا ظلم على ظلم .

(١) ديوان المتنبى ص ٤٣٦ العرف الطيب مع شرح ديوان أبي الطيب المتنبى للشيخ ناصيف اليازجي .

(٢) البدر الطالع ج ٢ ص ٩١٢ - ٩٢ .

(٣) من باب وعد وله عدة معان منها سبق القلب الى الشيء مع ارادة غيره ، ووهمت وهما ، وقع في خلدي ، وتوهمت أي ظننت وظن القوم أن يغلبوني ، فاستخدموا الفزع والجبن ، والوهم من خطرات القلب

المذهب الثانى : من مذهب النقاد فى نقى كلام الخصوم أن يحكموا
مذاهبهم بالمعنى ، وهذا ما لا يرضاه ابن الوزير إذ يقول : (وفى هذا المذهب
شوب من الظلم ، لأن الخصم قد اختار له لفظا ، وحرر له ليله عبارة ارتضاها
ليبان مقصده ، وانتقاها لكيفية استدلاله ، وتراكيب الكلام متفاوتة ، ومراتب
الصنع متباينة ، مع أن قطع الاعذار من أعظم مقاصد النظر ، وهذه الأمور ،
وإن لم تكن مظالم شرعية ، وحقائق حسية ، فهى آداب بين المتناظرين راقية ،
ولطائف بين المتأدبين لائقة ، ومراق الى العدل والتعاضد ، ودواع الى
الرفق والتعاطف . (١)

٣ - كما سلك ابن الوزير - رحمه الله - أيضا طريقة التقرير ، وهذا يختص
بأهل العلم والفضل ، وهو كما قال ابن الوزير : (ما يكون على جهة
التنبية لأهل الفضل والعلم ، بقوارع الكلام الموقظة ، على سبيل الحدة
فى الموعظة ، وهذا قد يدخل منه شئ فى الجواب ، لأنه ليس أحد
أحق من أن يقول لغيره اتق الله ، ولا أحد بأكبر من أن يقال له اتق
الله . (٢)

وسياتى نماذج من هذه التقريرات فى جواب ابن الوزير على خصمه فى
(المعارك الكلامية) إن شاء الله تعالى .

=== ومرجوح طرفى المتردد فيه ، ووهم الى الشئ بالفتح يهيم وهما اذا ذهب
وهمه اليه ، ووهم يوهم وهما بالتحريك اذا غلط ، ومن الاول حديث
ابن عباس (انه وهم فى تزويج ميمونة) أى ذهب وهمه اليه ، ومن الثانى
الحديث : (انه سجد للوهم وهو جالس) أى للغلط وأوهمه غيـره
اتهمه أهد نهاية ابن الاثير ج ٥ ص ٢٣٤ والقاموس المحيط
للفيروز آبادى ج ٤ ص ١٨٧ أساس البلاغة للزمخشرى ص ١٠٤٥ ط دار
الشعب بالقاهرة ١٩٦٠ م والصاحح للجوهرى ج ٥ ص ٢٠٥٤ والمصباح
المنير للفيومى ج ٢ ص ٣٥٢ .

- (١) العواصم والقواصم ج ١ المقدمة ورقة ١١ - ١٣ .
(٣) العواصم والقواصم لابن الوزير المقدمة ج ١ ورقة ١١ - ١٣ .

ثم ذكر ابن الوزير — رحمه الله — للتقريعات شروطاً أربعة ، شرطين في الإباحة وهما :

- ١ — ألا يكون المزجور محقاً .
- ٢ — ألا يكون الزاجر كاذباً .

وشرطين في التدب ، وهما :

- ١ — أن يظن المتكلم أن الشدة أقرب إلى قبول الخصم للحق .
- ٢ — أن يكون بنية صحيحة ، لا لمجرد دعاية الطبيعه . (١)

وعلى هذا المسلك سلك ابن الوزير — رحمه الله — في الذب عن أئمة الاسلام من التقريعات (٢) اللائحة والتبهيئات الموقظة كما سيأتى نماذج منه في (المعارك الكلامية) ان شاء الله تعالى .

والحاصل أن لكل مقام مقالا يليق به ، وقد ورد الامر باستخدام اللين تارة والشدة تارة أخرى من ذلك قوله تعالى :

(فقلوا له قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى) (٣) ، (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) (٤)

وفي موضع الشدة (وليجدوا فيكم غلظة) (٥) و (وقل لهم في انفسهم قولاً بليغاً) (٦) (قال له موسى انك لغوى مبين) (٧) لذلك ورد المدح بالذلة في موضع وبالعزة في موضع .

(١) الحواصم والقواصم لابن الوزير المقدمة ج ١ ورقة ١١ — ١٣ .
 (٢) التقرير اصله الضرب تقول : قرعته بالمقرعة والمقارع والمراد هنا التعنيف والتشريب ونعوذ بالله ، من قوارع فلان أى من قوارص لسانه ويجوز أن يكون من أقرعته اذا قهرته بكلامك قاموس ج ٣ ص ٦٢ — النهاية لابن الاثير ج ٤ ص ٤٣ .

(٣) سورة طه : ٤٤ .
 (٤) آل عمران : ١٥٩ .
 (٥) سورة التوبة : ١٢٣ .
 (٦) سورة النساء : ٦٣ .
 (٧) سورة القصص : ١٨ .

واستخدام ابن الوزير - رحمه الله - لهدف المسالك الجدلية السابقة كلها في سبيل الذب عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن حملتها من أئمة الحديث وأئمة المسلمين . وما وصمهم به المعارض الزيدى المعتزلى من الجبر والتجسيم وعدم الذكاء والفتنة لعجزهم - كما يزعم المعارض - عن ممارسة علم الكلام ، وجحودهم على الحديث وعلومه ، وسياتى نماذج من هذا فى فصل (المعارك الكلامية) و ذم الكلام ان شاء الله تعالى .

هذا منهج ابن الوزير فى كتابيه (العواصم والقواصم) و (الروض الباسم) ، أما منهجه فى كتابه (ايثار الحق على الخلق) الذى صنفه فى اواخر عمره بل قبل وفاته بثلاث سنين تقريبا فان منهجه فيه يختلف عن هذا المنهج كما ستراه الآن .

منهج ابن الوزير - رحمه الله - في كتابه (إيثار الحق على الخلق) :

هذا الكتاب ألفه ابن الوزير في أواخر حياته ، بدليل قوله في سياق حديثه عن قرب الساعة ، وتغيير الأحوال :

(فكيف بنا اليوم ، وقد دخلنا في المائة التاسعة أكثر من ثلثها) (١)

ولكن هذا معارض بقوله أيضا : في كتابه (العواصم) وقد أوضحت في كتاب (إيثار الحق على الخلق) كذا وكذا (٢) .

والراجع أن إيثار الحق على الخلق هو الأخير ، لأنه كثيرا ما يحيل فيه على العواصم في عشرات المواضع ، فيكون هذا أكد في تقدم (العواصم) وتأخر (الإيثار) .

والكلمة التي تشير في (العواصم) الى أنه صنفه بعد (الإيثار) تحمل على أن ابن الوزير زادها بعد تصنيفهما ، والله أعلم .

وقد صرح ابن الوزير وغيره أنه فرغ من تصنيف العواصم سنة ٨٠٨ هـ وألف (إيثار الحق على الخلق سنة ٨٣٧ هـ كما سبق في مؤلفاته وقد نهج فيه منهجا غير منهجه الجدلي في (العواصم والمقواصم) ومختصره (الروض الباسم) .

ويبدو أن صيانة هذا الكتاب الجليل من المقدمات الجدلية لعوامل منها :

١ - أن قسوة طباع ابن الوزير - رحمه الله - من آثار على الكلام ، والجدال قد هدأت ، كما هدأت المعارضة من قبل خصومه .

٢ - أن شدة الخلاف بين الطوائف المسلمة ، وشدة العصبية ، وتقليد المتكلمين آثار عاطفة ابن الوزير الدينية الى محاولة جمع الناس على الحق .

٣ - ما رآه من التباعد والتباغض ، والتقاطع والتكفير والتفسيق نتيجة هذا الخلاف فأراد أن يزيله .

٤ - ما رآه من تغيير الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، الى أن صارت شيئا آخر لا يتفق مع ما طبعها الله - عز وجل - عليه ، فأراد الرجوع بها الى أصلها .

(١) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٧٧ .

(٢) العواصم والقواصم له ج ٤ ص ٨٠ .

لهذه العوامل وغيرها من الرحمة بطوائف المسلمين المختلفين في اصول الدين ، حاول ابن الوزير — رحمه الله — جاهدا مشكورا التوفيق بين الاقوال ، ورد الخلافات الى المذهب الحق ، كما هو ظاهر عنوان الكتاب ومحتواه .

وهذا الكتاب ليس موجها — في نظر ابن الوزير — الى اهل الكمال من العلماء الاعلام ، ولا لهداية أئمة الكفر المعاندين لاهل الاسلام المتعلقين بمذاهب الفلسفة ، فقد أقام الله — عز وجل — عليهم الحجة بالفطرة وبعث الرسل والجوارح ، وانما هو موجه الى الاوساط الذين لم يتمكن فيهم شذوذ الفرق .

فهذا الكتاب وامثاله كأدوية تنفع من لم يتمكن منهم هذا الشذوذ .
وهذا الاختلاف يعود — في نظر ابن الوزير — الى العوامل الآتية :

- ١ — تكب طريق السلف الصالح طريق القران الكريم والسنة النبوية الصحيحة .
- ٢ — الزيادة في الدين بتجويز اهل الكلام ، خلو كتاب الله — عز وجل — وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم عن بيان بعض مهمات الدين ، اكتفاء بدرك العقول لها — كما يزعمون — ولو بالنظر الدقيق .
- ٣ — النقص من الدين برد النصوص والظواهر الى المجاز ، من غير طريق قاطع موجب للتأويل الا مجرد التقليد لبعض اهل الكلام ، في قواعد لم يتفقوا عليها كتأويل القرامطة للاسماء الحسنى ونفيها عن الله عز وجل — بدعوى التنزيه وتحقيق التوحيد ، وأن اطلاقها على الله يقتضى التشبيه .
- ٤ — التصرف في عبارات الكتاب والسنة بظن الترادف في الالفاظ من غير يقين .

وهذه العوامل الثلاثة قد تضمنها الاول ويجمعها كلها :
الابتداع في الدين وتقليد المتكلمين . وسيأتى هذا مفصلا في (موقف ابن الوزير من الابتداع والتقليد) ان شاء الله تعالى .

وقد رد مسائل الاختلاف بين الناس (١) ، في الجملة الى سبعة أمور ، مدرکها بالفطرة قريب ، وهى :

- ١ — اثبات العلوم الضرورية التى ينبئ الاسلام على ثبوتها .
- ٢ — ثبوت الرب — عز وجل — .

(١) كلمة : الناس تشمل اهل الملل الكفرية ، والفرق الاسلامية .

- ٣ — توحيده — سبحانه وتعالى — •
 - ٤ — كماله بأسمائه الحسنی ، وصفاته العلا •
 - ٥ — ثبوت النبوات وصحتها فى الجملة •
 - ٦ — الايمان بجميع الانبياء ، وعدم التفریق بينهم •
 - مستترك الابتداء فى دينهم بالزيادة على ما جاءوا به ، والنقص منه •
- فالسنة الاول مجموعها دين الاسلام ، الذى فطر الله عباده على معرفته ، والخلاف فيها عند ابن الوزير كفر مجمع عليه ، والادلة عليه جليسة .
- وفاقية بين المسلمين ، ولا أحوط من الإيمان بها (فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا) (١) .
- وأما السابع فهو لاحق بما قبله فى ثبوته فى الفطرة ، لكن لا يثبت فيه التكفير — غالبا — (٢) .

(١) سورة الجن : ١٤ •

(٢) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٧ — ١٨ وما بعدهما •

ابن الوزير يقرر مذهب السلف :

وقد جعل المذهب السلفي عماد دعوته في الامور السبعة السابقة ، وهذا المذهب يقسم على أساس من الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، وهو في ذلك يقول بعد أن ذكر مخاطر البحث والتعمق في علم الكلام ، وما يجري اليه من العداوة والمباعدة والشك والحيرة والتكفير : (فلما عرفت ذلك كله علمت - من غير شك - صعوبة معرفة طريق النجاة من هذا الفن ، على الاكثرين وقد ألهم الله تعالى ، وله الحمد والشكر والثناء الى أسهل طريق وأخصره - في علمي - الى اليقين والنجاة ، ونصرة طريق الصحابة والسلف ، التي علم تقريرهم عليها بالضرورة من الدين ، وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها ، وانما غيت في توضيحها ، وتجديدها بعمد دروسها ، ومداواة ما قد وقع من تغيير المغيرين لها ، كما أشار الى ذلك الحديث في قوله صلى الله عليه وآله وسلم :

(كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه ، وينصرانه ، ويمجسانه) (١)

كما يقرر أن الاهمال لكتاب الله - تعالى - هو المدخل الوحيد لعلم الكلام ، وأهله غير متبهمين بالتقصير - في نظر ابن الوزير - وانما أتوا من أنهم تركوا الاعتماد على تعلم الحق من الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (٢) .

وسياتى الكلام على الفطرة ومعانيها في أول الباب الثالث من هذه الرسالة ان شاء الله تعالى .

كما سلك في كتابه هذه الطريقة الآتية :

١ - جعل الكتاب والسنة المصدر الأساسي لاستنباط العقائد .

(١) ايشار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٢ والحديث متفق عليه البخاري

ج ٢ كتاب القدر باب الله أعلم بما كانوا عاملين ص ١٢٠ - ١٢١ ،

مسلم ج ٤ كتاب القدر باب كل مولود يولد على الفطرة ص ٢٠٤٧ ،

وصحيح ابن حبان ج ١ ص ١٩٠ - ١٩١ ط المجد سنة ١٣٩٠ هـ .

(٢) ايشار الحق لابن الوزير ص ١٤ .

- ٢ - ترك كل ما يخاف من القول فيه العذاب الأليم كالتشبيه والتعطيل ،
والتأويل الذى يحرف الكلم عن مواضعه .
وسياتى هذا فى (الإلهيات) وفى موقف ابن الوزير من (الابتداء) (٠٠٠)
- ٣ - الوقوف عند المتشابه الذى لا يعلمه الا الله - عز وجل - ورد علمه الى
الله - سبحانه - كما سياتى الحديث عنه فى (الابتداء) .
- ٤ - القول بعدم المجاز الا عند وجود احدى القرائن الثلاث الآتية :
- أ - العقلية التى يعرفها المخاطب والمخاطب ، كقوله تعالى :
(واسأل القرية التى كما فيها والعير التى أقبلنا فيها) (١) أى
أهلها ، وفى موضع آخر قرر أن هذا من باب حذف المضاف . كما سياتى
فى فصل (الابتداء) (٠٠٠) .
- ب - العرفية : مثل (ياها مان ابن لى صرحا) (٢) أى مر من بينى
لأن مثله فى العرف لا يبنى ، أو بنى السلطان سور المدينة .
- ج - اللفظية : مثل اسد يرمى ، أو على فرسه ونحو ذلك . (٣)
- وهذا من المسائل المختلف فيها فبعض العلماء منع هذا التقسيم ،
ومنهم شيخ الاسلام ، وبعضهم يمنعه فى القرآن ويجيزه فى غيره ، وبعضهم
يجيزه مطلقا ، ومنهم السيوطى وغيره (٤) من علماء البلاغة والاصول
والله اعلم .
- والأولى والاحوط عدم القول بالمجاز فى نصوص الوحى ، لأنه العَصَا

(١) سورة يوسف : ٨٢ .
(٢) سورة غافر : ٣٩ .
(٣) انظر التفاصيل فى ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٤٤ - ١٦٦
والروض الباسم فى الذب عن سنة أبى القاسم لابن الوزير .
(٤) انظر التفاصيل فى الايمان لابن تيمية ص ٧٥ وما بعدها صححه وعلق
عليه محمد خليل هراس دار الطباعة المحمدية بالازهر ، والاتقان للسيوطى
ج ٢ ص ٣٦ وما بعدها مطبعة حجازى بالقاهرة ، وروضة الناظر وجنة
الناظر فى اصول الفقه لابن قدامة ص ٣٤ - ٣٥ بيروت ط أولى
سنة ١٤٠١ هـ ومذكرة اصول الفقه لمحمد الشنقيطى ص ٥٧ من
مطبوعات الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .

العوجاء التى يتوكأ عليها المأ ولون وهو الذى أدى بهم الى تأويل
الأسماء والصفات وتعطيلها فأولوا الاستواء بالاستيلاء ، واليد بالقدرة
وغير ذلك ، والله أعلم .

٥ - خلع قيود العصبية المذهبية وترك التقليد فى تكفير الخصوم ، وترك
جميع العبارات المبتدعة . وسيأتى بيانه فى (الابتداع) .

٦ - الأخذ بالاحوط فى الدين ، مخافة الوقوع فيما يؤءول الى عذاب الله
- عز وجل - كالقول بحكمة الله تعالى فى تدبيره ومخلوقاته ، وأقواله ،
وذلك احوط من النفى لها .

وابتات صفات الكمال لله تعالى وحده ، ونفى صفات النقص ، والوقف
عند الخفى .

فمن صفات الكمال البينة المعلومة من الدين ، ومن اجماع المسلمين ،
ان الله على كل شىء قدير . وان ماشاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وأنه
يهدى من يشاء ويضل من يشاء . وأن له الحجة الدامغة ، والحكمة
البالغة ، والارادة النافذة .

ومن صفات النقص المنفية عنه - سبحانه وتعالى - فى كتابه الكريم ،
أنه لا يحب الفساد ، ولا يرضى لعباده الكفر وليس بظلام للعبيد . ولا يريد
ظلماً للعباد ، وأنه لم يخلق السموات والارض باطلا ، وأنه يكسره
المعاصى ولا يجبهها . (١)

٧ - ان الكلام فى ذات الله تعالى على جهة التفصيل والتصور أو الاحاطة
على حد علم الله تعالى باطل ، بل من المتشابه المنوع الذى
لا يعلمه الا الله - سبحانه - لقوله : (ولا يحيطون به علماً) (٢)
وانما تتصور المخلوقات وما هونحوها ، ولتنهى عن التفكر فى ذات الله
تعالى . (٣)

(١) أنظر ايشار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٥٤ - ١٧٦ - ٢٤٢ -

٢٤٧ - ٣٠٣ والترجيح له ص ١٦٨ .

(٢) جزء من آية فى سورة طه : ١١٠ .

(٣) معنى حديث متفق عليه البخارى ج ٤ كتاب بدء الخلق باب صفة ابليس

ص ٩٢ مسلم ج ١ كتاب الإيمان باب بيان الوسوسة ص ١١٩ - ١٢٠

وانظر ايشار الحق على الخلق ص ٩٣ .

٨ — إن النظر في سر القدر السابق في الشرور — مع عظم قدرة الله تعالى — ورجته — من المتشابه الواضح تشابهه ونعمه، فقد تحير الملائكة الكرام مع قربهم من الله — عز وجل — واستفسروا (أنجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) فكان الجواب الجُملي : (إني أعلم ما لا تعلمون ^(١)) فاعترفوا بما قرره عليهم من قصور علمهم وقالوا : (لا علم لنا الا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ^(٢)) وإذا كفى الملائكة العلم الجُملي كفى كثيرا من المسلمين . (٢)

٩ — ان ابن الوزير سلك في اثبات وجود الله — عز وجل — طريقة القرآن التي وصفها بأنها أصح الطرق ، وأوضحها وأمنها من المهالك، وأنها طريقة السلف الصالح رضى الله عنهم وهي كما يلي :

١ — دلالة الفطرة .

٢ — دلالة الأنفس .

٣ — دلالة الآفاق .

٤ — دلالة المعجزات .

وسياتى بيان ذلك ان شاء الله — تعالى — في فصل (الالهيات)

ومباحثه من الباب الثالث من هذه الرسالة .

١٠ — سلك في الكلام على توحيد الاسماء والصفات ، طريقة السلف : إمرارها

كما جاءت في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة ، على الوجه

اللائق بجلال الله — عز وجل — وعظمته بلا تعطيل ولا تشبيه ، ولا

تأويل على ضوء قوله تعالى : (ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ^(٣))

وقوله : (ولا يحيطون به علما ^(٤)) .

وبالمقارنة بين معتقده ، ومعتقد السلف ، وأهل الحديث في مبحث

الاسماء والصفات ستجد — ان شاء الله — صحة هذا القول .

(١) سورة البقرة : ٣١

(٢) الروض الباسم لابن الوزير ص ٢١٩ .

(٣) سورة البقرة : ٢٥٥

(٤) سورة الشورى : ١١

(٥) سورة طه : ١١٠

١١ - وضع ابن الوزير - رحمه الله - قاعدة أساسية لمن يريد الحكم على مذهب معين ، أن يدرسه من مصادره الأصلية المنتسبة الى أهله ، ويطلع على جزئياته ، ولا يأخذه من كتب خصوم هذا المذهب ، لانهم قلما يصورونه بصورته الحقيقية ، وهذا هو التثبت والتبين الذي حث عليهما القرآن الكريم (١) .

١٢ - الانصاف ، فهو لا يغمط أحدا حقه ، بل يضع كل شخص في مكانته اللائقة به فلا يمنعه من ذلك الانصاف ، مخالفة ذلك الشخص له في الرأي لمجرد كراهه أو عداوة .
وهذه صفة ما أحوج الكثير من العلماء اليها ، خصوصا في أيامنا هذه .

١٣ - القرآن مصدر أدلة التوحيد :

ومما يلحق بمنهج ابن الوزير - رحمه الله - اعتباره القرآن الكريم - كما سبق - مصدر أدلة التوحيد وينبغي الاستغناء به عن أدلة اليونان ، ومن أجل ذلك استعمل كتابه (ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان) بمقدمة ذكر فيها تسع تبسيهات ، على عظم قدر القرآن الكريم ، بين فيها غناء القرآن الكريم ، ووفاءه على إثبات الربوبية ، والتوحيد والنبوات ، وحينئذ فلا داعي الى القوانين المبتدعة عند اهل الكلام ، وأن القرآن الكريم أجل نفعاً وقدرأ وأثراً من جميع تصانيف المتكلمين ، بل لا مقارنة بين ذلك .

ثم أورد التبييهات المشار اليها وما فيها من الآيات القرآنية الدالة على وقاء القرآن بإثبات العقائد وغيرها (٢) ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون (٢)

وختم تلك التبييهات باجماع علماء الاسلام من جميع الطوائف على أن القرآن الكريم يفيد ما ادعاه من معرفة أدلة التوحيد ، من غير ظن ولا تقليد .

(١) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير ص ٦٦ .

(٢) سورة الأعراف : ٢٥ .

فكما أن المتكلم ينظر في كتب شيوخه ، ليتعلم منها الأدلة من غير تقليد غيره فكذلك من نظر في القرآن يتعلم منه الأدلة من غير تقليد ، بل القرآن العظيم هو الذي منه تعلم المتكلمون النظر ، لكنهم غالوا في النظر فلم يقتصروا على القدر الكافي النافع المذكور في كتاب الله تعالى (١) ومعنى ابن الوزير بالنظر في القرآن الكريم استخدام العقل في فهم نصوصه وتدبره لا طريقة أهل الكلام . وسيأتى مزيد بيان لهذا الكلام على معنى الفطرة ان شاء الله تعالى .

ومما يهتم له ابن الوزير في منهجه اختصاص القرآن الكريم بنوع من الاحتياط ، يبدو فيما يلي :

أولا : التعريف بمراتب المفسرين ، وهما عند مرتبتان :

الأولى : مرتبة الصحابة ، وعلى رأسهم ابن عباس وابن مسعود - رضى الله عن الجميع - لما ثبت من الثناء عليهم في القرآن الكريم .

الثانية : مرتبة التابعين ، ومن أشهرهم مجاهد بن جبر المكي ، وعطاء بن أبي رباح ، وقتادة بن دعامة ، وغيرهم ممن خرج عنهم في دواوين الاسلام ، الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها .

ثانيا : التعريف بمراتب التفسير فيما يرجع فيه الى الدراية ، وهى - عند سبعة أنواع :

الأول : تفسير المتكررات تكريرا كثيرا مثل آيات الاسماء الربانية ، والصفات ، والمشيئة ، والاسماء المعروفة بالدينية وهى الاسلام والايمان والاحسان ، والمسلمون والمؤمنون ، والمحسنون ، وكذلك أسماء الظالمين والفاسقين والكافرين وسائر ما يتعلق بالاعتقاد .

وهذا النوع - في نظر ابن الوزير - ينبغي أن يكون مفردا في مقدمات التفسير حتى يشبع فيه الكلام من غير تكرير ، فان أشبه الصواب على أحد في هذا القسم ، أو خاف وقوع فتنة من الخوض والبحث عنها والمناظرة ، ترك ذلك وكفاه الايمان الجملى ، لما ثبت من حديث جندب بن عبد الله رضى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (اقرءوا القرآن ما اتلفت

(١) انظر التفاصيل في الترجيح لابن الوزير ص ٩ - ١٧ .

قلوبكم فاذا اختلفتم فيه فقوموا (١) .

والمراد عند ابن الوزير الاختلاف مع التعادى والتفرق ، دون الاختلاف مع التوالى والتصويب لما فى حديث عمر مع هشام بن حكيم فى اختلافهما فى القراءة ، وتقرير النبى صلى الله عليه وسلم — لهما على الاختلاف فى القراءة ، ونهييهما عن الاختلاف فى التخطئة والمناكرة . (٢)

النوع الثانى : تفسير القرآن بالقرآن حيث يتكرر ذكر الشىء فى كتاب الله تعالى ، ويكون بعض الآيات أكثر بيانا وتفصيلا ، ومنه تفسير قوله تعالى : (ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما) (٣) . بأهل الكتاب كقول مجاهد ، لقوله تعالى : (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل) (٤) .

النوع الثالث : التفسير النبوى ، وهو مقبول بالنص والاجماع ، (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) (٥) .

ومنه تخصيص العمومات مثل تحريم الصلاة على الحائض ، وتفصيل أحكام الصلاة والزكاة والصوم والحج ، وشروط قطع يد السارق ، ويلحق بذلك أسباب النزول .

-
- (١) متفق عليه البخارى ج ٦ كتاب فضائل القرآن باب اقرءوا القرآن ما ءتلف قلوبكم ص ١١٥ مسلم كتاب العلم باب النهى عن اتباع متشابه القرآن — ج ٤ ص ٢٠٥٣ — ٢٠٥٤ سنن الدارمى ج ٢ ص ٣١٨ تحقيق عبد الله هاشم اليمانى دار المحاسن للطباعة بالقاهرة سنة ١٣٨٦ هـ .
- (٢) اشارة الى القصة المذكورة فى البخارى ج ٦ كتاب فضائل القرآن باب من لم ير باسا أن يقول سورة البقرة ص ١١١ وأنظر منهج ابن الوزير هذا فى كتابه ايثار الحق على الخلق ص ١٥٦ وما بعدها وأنظر شرح مسلم للنووى ج ١٦ ص ٢١٣ — ٢١٩ فتح البارى ج ٩ ص ١٠١ — ١٠٣ .
- (٣) سورة النساء : ٢٧ .
- (٤) سورة النساء : ٤٤ .
- (٥) سورة الحشر : ٧ .

النوع الرابع : الآثار الصحابية الموقوفة عليهم ، وأجودها ما لا تمكن معرفته

بالرأى سواء رجعنا بالرأى الى العقل أو الى الاستنباط من اللغة .

وقد كانت عادتهم الاشعار بالرأى فى ذلك كما ذكره أبو بكر رضى الله

عنه — حين فسر الكلاله برأيه (١) أما اذا جزموا بالتحريم ونحوه كان دليلا

على رفعه ، وهذا يحتاج الى معرفة الإسناد إليهم .

النوع الخامس : ما يتعلق باللغة العربية على الحقيقة ، وتؤخذ من مصادرها

الأصلية ، مع مراعاة تقديم : الحقيقة الشرعية ، ثم العرفية ، ثم اللغوية ،

كحقيقة الصلاة فى الشرع بأنها أقوال وأفعال مخصوصة مبتدأه بالتكبير

مختتمة بالتسليم (٢) على اللغوية التى هى الدعاء مأخوذة من قوله تعالى :

(وصل عليهم) (٣) أى ادع لهم وكالدابة فى اللغة اسم لكل ما يدب ، خصصها

العرف بالبهائم (٤) ومعرفة تفسير المشترك كالقرء بالأطهار والحيف (٥)

النوع السادس : المجاز ، وتعتبر فيه القرائن الثلاث :

١ — العقلية التى يعرفها المخاطب والمخاطب كقوله تعالى : (وأسأل

القرية التى كافىها والعرى التى اقبلنا فيها) (٦) أى اهلها وقيل

ليس هذا من المجاز ، بل من باب حذف المضاف وهو من اللغة

العربية ، كما قرره ابن قدامة . (٧)

(١) أنظر تفسير ابن جرير ج ٤ ص ٢٨٤ — ٢٨٥ ط الحلبي تفسير ابن كثير

ج ٢ ص ٢٠٠ تحقيق عاشور وزميلي ط دار الشعب بمصر .

(٢) كشف القناع لمصوبين يونس البهوتى ج ١ ص ٢٥٥ وتسهيل الوصول

الى فهم علم الاصول لعطية سالم ص ١٩ مطبعة المدنى .

(٣) سورة التوبة : ١٠٣

(٤) الصحاح للجوهري ج ٦ ص ٢٤٠٢ تحقيق العطار المصباح المنير

للفيومي ج ١ ص ٣٧١ تفسير القرطبي ج ١ ص ١٤٨ دار الشعب روضة

الناظر لابن قدامة ص ٨٩ .

(٥) أنظر هذا المنهج فى ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٦١ ومابعدها

(٦) سورة يوسف : ٨٢

(٧) روضة الناظر ص ٩٠ .

٢ — العرفية : مثل (ياها مان ابن لى صرحا) (١) أى مر من يبنى ، لأن مثله فى العرف لا يبنى .

٣ — اللفظية : كدلالة لفظ الأسد على الرجل الشجاع ، فانها استعملت فى غير ما وضعت له أولا اذا لوضع الاول الحيوان المفترس ، ومعلوم أن هذا من المسائل المختلف فيها فبعض العلماء ، منع هذا التقسيم بل منع المجاز أصلا ومنهم شيخ الاسلام ابن تيمية ، وبعضهم قصر المنع على القرآن الكريم ، وبعضهم أطلق الجواز ومنهم السيوطى وغيره من أهل البلاغة والاصول . (٢) والله أعلم .

النوع السابع : ما لم يصح فيه شىء من جميع ما تقدم ، ويختلف فيه أهل التفسير كتفسير الحروف التى فى أوائل السور وتفسير الروح ونحو ذلك مما لم يصح دليل على تفسيره ، وليس معنا ضرورة تلجىء الى وجوب البحث عنه وهذا النوع قسمان :

قسم فيه مخاطرة كبيرة ، وخوف البدعة والعذاب ، وهو ما يتعلق بذات الله — تعالى — ونحو ذلك من المتشابهات .

وقسم دونه : مثل تعيين الشجرة التى أكل منها آدم واسمها ، وأسماء أهل الكهف ، وأسماء سائر المبهمات وتطويل القصص والحكايات ، فهذا — فى نظر ابن الوزير — لا بأس بنقله مع بيان أنه لم يصح فيه شىء ، وعدم تعلق مفسدة به ولا دخول شبهة فى تحليل أو تحريم (٣) . والله أعلم .

(١) سورة غافر : ٣٦ .

(٢) أنظر التفاصيل فى الإيمان لابن تيمية ص ٧٥ وما بعدها ، الاتقان للسيوطى ج ٢ ص ٣٦ وما بعدها ، وليس هذا من باب التكرار بالنسبة لما سبق فى الكلام على المجاز فذاك فى منهج ابن الوزير العام ، وهذا فى منهجه فى التفسير .

(٣) إشار الحق على الخلق ص ١٦٦ وما بعدها لابن الوزير والروض الباسم لابن الوزير ج ٢ ص ٢٠٥ وأنظر تسهيل الوصول الى فهم علم الاصول ص ١٩ .

١٤ — الاحاديث التي يحتج بها من السنة النبوية الصحيحة ، قلما يوجد فيها حديث ضعيف أو موضوع ، وإن وجد ، فلا يفوته التنبية عليه وهذا يدل على أن ابن الوزير على علم تام بما يستند اليه ، وأنه من كبار المحدثين ، لأنه يتكلم بكلام أئمة ، كما قال الشوكاني وقد أثنى على ابن الوزير : (ويتكلم في الحديث بكلام أئمة المعتبرين ، مع احاطته بحفظ غالب المنعوتين ، ومعرفة رجال الاسانيد شخصا ، وحالا ، وزمانا ، ومكانا) (١)

وكتابه (الحواصم والقواصم) ومختصره (الروض الباسم) في الذب عن سنة أبي القاسم — صلى الله عليه وآله وسلم — يدلان دلالة واضحة على علو مكانة ابن الوزير العلمية وخاصة في الحديث وعلومه ، فارجع اليهما ان شئت •

وله كتاب في علوم الحديث سماه (تنقيح الانظار في علوم الآثار) شرحه الأمير الصنعائي بـ (توضيح الأفكار) مطبوع •

ثم ان ابن الوزير — رحمه الله تعالى — يوجه نصيحته الى الذين أقنوا حياتهم في البحث عن علم الكلام — كما أفنى ابن الوزير شبابه فيه — الى الرجوع الى طريقة السلف ، لانه قد علم بالتجربة الصورية أن أكثر جهل الحقائق إنما سببه عدم الاهتمام بتعرفها على الانصاف ، لا عدم الفهم ، فان الله — سبحانه — قد أكمل الحجة بالتمكين من الفهم وإنما أتى الاكثرون من التقصير في الاهتمام •

ألا ترى أن المهتمين بمقاصد المنطقيين والمتكلمين يفهمونها ، وإن دقت مع الصبر وطول الطلب فكيف لا يفهم طالب الحق مقاصد الانبياء والمرسلين ، والسلف الصالح مع الاهتمام بذلك وبذل الجهد في طلبه ، ولطف أرحم الراحمين • (٢)

(١) البدر الطالع للشوكاني ج ٢ ص ٨٤ •

(٢) ايثار الحق على الخلق ص ٢٦ •

ثم أن ابن الوزير - رحمه الله - يوجه هذه النصيحة القيمة الخصيصة لطلاب العلم حاصلها كالآتي :

ما اختلف فيه اختلافا تخاف مضرته في الآخرة، وكان الخوض فيه ليس بواجب شرعا، لاسيما اذا عظم الخطر في الخوض فيه، فاضرب عنه وطالب من دعاك اليه بالدليل الواضح على الوجوب، واعرض ما أورد عليك فيه من الادلة على الفصحاء والاذكياء من العلماء حتى تعرف الوجوب يقينا من غير تقليد ثم حرر النية الصحيحة بعد ذلك في معرفة الحق، ومن القواعد المقررة الى النجاة، كل قولين مختلفين يخاف الكفر والعذاب الاخرى في أحدهما دون الآخر، فأبعد عنه واحذره . ألا ترى أنك تخاف الكفر في جحد العلوم لا في ثبوتها وفي جحد الرب لا في الايمان به وفي جحد النبوات لا في اثباتها وفي التفريق بين الرسل لا في الايمان بجمعهم، وفي عدم الايمان بما جاء به القرآن والسنة، لأن خلاف انسمع المعلوم كفر اجماعا لا في خلاف العقل المعلوم لانه ليس بكفر اجماعا وبالفطرة تدرك القوى من الضعيف في تلك المباحث الا ما دق وغضب فتركه لاسيما مع دقة الشبه المعارضة كما تترك ما دق على بصرك في المرثيات (١) والله أعلم .

(١) الايثار لابن الوزير ج ١ ص ٣٣ - ٣٤ .

مميزات ابن الوزير الفكرية

قبل الدخول في عرض بعض النماذج من مميزات ابن الوزير الفكرية — وان كانت كتبه خير شاهد على ما أقول — أعرض عليك شهادة عدلين خبيرين إمامين في العلم ، هما الامام المعروف بالامير الصنعاني سنة ١١٢٨ هـ والامام الشوكاني سنة ١٢٥٠ هـ من ان ابن الوزير يأت بفرائده العلمية لم يسبق اليها :

- ١ — قال الصنعاني يمدح ابن الوزير ، وكتابه (العواصم والقواصم) (٠٠٠) ووشحه بفوائد وفرائد ^(١) لا توجد الا فيه ، ولم تخرج الا من فيه (٢) ما أبلغ هذه الشهادة التي عبر عنها البلاغيون بالحصر والقعر ، بطريقة النفي والاستثناء بتخصيص (العواصم) وموافقه بفوائد وفرائد مقصورة عليهما ^(٣)
 - ٢ — وما وصفه به الصنعاني يتفق ، وما وصفه به الشوكاني بقوله : (يشتمل — أي العواصم — على فوائد في أنواع من العلوم ، لا توجد في شيء من الكتب ٠٠٠ وقد يأتي في كثير من المباحث بفوائد لم يأت بها غيره ، كائنا من كان) ^(٤)
- قلت : من ذلك قول ابن الوزير في معرض حديثه عن الاشتغال بالاهم فالمهم من العلوم ، فهي وان كانت حقا : (فقد يكون من الحق ما هو حرام بالاجماع والنص كالغيبة والنميمة ^(٥)) فالاشتغال بذلك حرام ، لما تضمنه من المفاسد والله اعلم

-
- (١) الفرائد جمع فريدة ، وهي الجواهر النفائس ، والدر اذا نظم ، والشئ الذي لانظيره أه القاموس المحيط للفيروز آبادي ج ١ ص ٣٢٢ .
 - (٢) توضيح الافكار للصنعاني شرح تنقيح الانظار لابن الوزير ج ٢ ص ٢١٣ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة ط الأولى سنة ١٣٦٦ هـ
 - (٣) أنظر جواهر البلاغة لاحمد الهاشمي ص ١٨١ ط الثانية عشرة بيروت .
 - (٤) البدر الطالع للشوكاني ج ٢ ص ٩١ .
 - (٥) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٤١

وقوله فى القدر : (إن فسر القدر بالعلم ، ونحوه ، فالمدوم من نفيه ، وإن فسر بالجبر والاكراه ، فالمدوم من أثبتته) وحكايته الاجماع على أن القدر يتعزى به فى المصائب ، ولا يحتج به فى المعائب ^(١) . وغير ذلك مما سياآتى ان شاء الله تعالى .

نماذج من (العواصم والقواصم) :

١ - قال ابن الوزير : (قال المعتزى : المسألة الثالثة فى رواية كـسار التأويل ، وفساقه ^(٢) ، وقد قدمنا أن قاضى القضاة روى الاجماع على رد روايتهم ، وتأويل كلام الفقهاء) أى أن المعتزى قدح على أهل الصحاح فى روايتهم لأحاديث فساق التأويل ، وكفاره الذين يرتكبون المعاصى ، متأولين وكذلك أصحاب البدع المتضمنة للتكفير ، والتفسيق ، مع أن هؤلاء المتأولين ، قائمون بأركان الاسلام .

وقد سمي الرسول عليه الصلاة والسلام - أصحاب معاوية مسلمين فى مناقب الحسن ، بل سماهم الله عز وجل - مؤمنين بقوله : (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) فان بغت احدهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى ، حتى تفىء الى أمر الله ^(٣) .

وقد رد ابن الوزير على هذه المسألة فى فصلين :

الفصل الاول : تتبع فيه كلام المعتزى ، واورد عليه ما يبلغ مائتى إشكال أو تزيد ، صرح بذلك ابن الوزير أكثر من مرة ، ولكنى تتبعتها فوجدتها أربعة وثمانين ، ومائة اشكال ، فيحتمل أنه سقط بعضها فى بعض النسخ ، أو أثناء التصوير ، أو خطأ منى فى العدد ، فقد ذكر هذه الارقام التى ذكرها ابن الوزير ، الامام الشوكانى وذكر الصنعائى ^(٣) أنها مائة وزيادة

(١) ايشار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٣٠٧ .

(٢) الفسق الترك لأمر الله تعالى والحصيان والخروج عن طريق الحق ، أو الفجور - انظر القاموس المحيط ج ٣ ص ٢٧٦ ، الصحاح للجوهري ج ٤ ص ١٥٤٣ ، وأساس البلاغة للزمخشري ص ٧١٤ .

(٣) فى توضيح الافكار ج ٢ ص ٢٣٣ .

على سبعين إشكالا والغريب هل يوجد من يورد هذا العدد من الاشكالات فى مسألة واحدة ؟! وقد وُشِحَ هذه الاشكالات بفوائد وفرائد لا توجد فى غيره .

وأما الفصل الثانى : فقد خصصه ابن الوزير لذكر الأدلة على قبول المتأولين ، ومعارضة الحجج التى أوردها خصمه من العمومات ودعوى الاجماع على رد رواياتهم ، وقد حوى هذا الفصل مسالتين :

الأولى : الكلام على قبول خبر فاسق التأويل ، كما ذكر الأدلة على ذلك ، وعارض الحجج التى أبرزها المعترض بخمس وثلاثين حجة ، فى قبول خبر فاسق التأويل بعشرات الطرق ، والوجوه عن أئمة الزيدية ، وعلمائهم ، الذين يجب على المعترض قبول رواياتهم ، وأسند كل طريق الى أصحابها كما ذكر كتبهم التى ادعوا فيها اجماع الصحابة - رضى الله عنهم - على قبول خبر أهل التأويل مطلقا : كفارهم ، وفساقهم ، وهى مدرسى الزيدية ، ومعتمدها (١) .

وقد أشار الى هذا شيخ الاسلام ابن تيمية بقوله : (فلو ترك رواية الحديث عنهم - أى أهل البدع - لاندرس العلم والدين والآثار المحفوظة فيهم) . (٢)

— المسألة الثانية ، فى الكلام على قبول خبر كفار التأويل ، وقد أتى فيها بالعجب العجيب بكثرة ما أورده من الوجوه ، وطرق الاستدلال ، وكل ما يلزم الخصم على قواعد مذهبه ، وبهذا يكون المعترض قد هدم مذهبهم ، وخالف جميع سلفه ، وكذب ثقات أصحابه ، وقبح على كبار أئمتهم ، لأن الظاهر من مذهب الزيدية ، قبول أهل التأويل مطلقا ، كفارهم وفساقهم . قال الصنعائى بعد أن ذكر حجج ابن الوزير المقررة فى كتب الزيدية ، الدالة على قبول خبر كفار التأويل بدلالة الالتزام قال الصنعائى : (ولا يخفى

(١) أنظر العواصم والقواصم لابن الوزير ج ١ ورقه ٨٣ - ١٢٤ - ١٣٩ ، الروض الباسم له ج ٢ ص ٢٣٧ وما بعدها ، توضيح الافكار للصنعائى ج ٢ ص ١٩٨ - ٢١٣ .

(٢) مجموع الفتاوى ج ٢٨ ص ٢١٢ جمع وترتيب عبد الرحمن محمد بن قاسم التجدى بمساعدة ابنه محمد صورة عن الطبعة الاولى ١٣٩٨ هـ .

أن هذا الزام لا محيص عنه (١) .

وبهذا يتبين أن غرض ابن الوزير إلزام خصمه الزيدى ، من معتقد الزيدية ، ومدرّسها وإلا فقد ذكر الخلاف ، فى قبول خبر فساق التأويل ، وكارهه عند أئمة الحديث كما لك سنة ١٧٩ هـ وأحمد سنة ٢٤١ هـ والشافعى وابن الصلاح سنة ٦٤٣ هـ ، وزين الدين العراقى ، والخطيب البغدادى الشافعى وغيرهم ، وجماعة من المتكلمين والأصوليين فى مسألة قبول رواية المبتدع ومنهم فساق التأويل وكاره كالجبرية والمشبهة والروافض ، والخوارج ومع هذا فأهل القبلة مختلفون فى كرههم كما سيأتى فى الكلام على انتراق الأمة ان شاء الله تعالى .

كما ذكر حجج القابلين لروايتهم ، والمخالفين فى ذلك ، وأتى بما هب ودب فى هذا من قواعد المحدثين والأصوليين والمتكلمين (٢) ، فليراجع الأصل من له عليه قدرة ، وإلا فليراجع مختصره .

بعد كتابة هذا وجدت كلاما للحافظ ابن حجر ذكره السخاوى بعد أن ذكر أقوال أهل هذا الشأن فى هذه المسألة قال : (قال شيخنا : والتحقيق أنه لا يرد كل مكر ببدعة ، لأن كل طائفة تدعى أن مخالفتها مبتدعة ، وقد تبالغ فتكورها .

فلو أخذ ذلك على الإطلاق ، لاستلزم تكفير جميع الطوائف ، فالمعتمد أن الذى ترد روايته من أنكر أمرا متواترا من الشرع ، معلوما من الدين بالضرورة - أى اثباتا ونفيا - فأما من لم يكن بهذه الصفة ، وانضم الى ذلك ضبطه لما يرويه ، مع ورعه وتقواه ، فلا مانع من قبوله أصلا - وقال أيضا :

-
- (١) توضيح الأفكار للصنعائى ج ٢ ص ٢٢٧ .
 (٢) العواصم والقواصم لابن الوزير ج ١ ورقة ١٣٩ وما بعدها ،
 الروض الباسم له ج ٢ ص ٢٣٧ - ٢٣٩ توضيح الأفكار للصنعائى
 ج ٢ ص ٢٢٠ - ايثار الحق لابن الوزير ص ٤١٤ وما بعدها
 علوم الحديث لابن الصلاح ص ١٠٣ - ١٠٤ ، تدريب الراوى
 للسيوطى ج ١ ص ٣٢٤ - ٣٢٨ تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف
 مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٨٥ هـ .

والذى يظهر أن الذى يحكم عليه بالكفر من كان الكفر صريح قوله ، وكذا من كان لازم قوله ، وعرض عليه فالتزمه أما من لم يلتزمه ، وناضل عنه ، فانه لا يكون كافرا ، ولو كان اللازم كفرا (١) .

٢ - مسألة القدر ، جمع فى القدر ، ووجوب الايمان به سبعة وعشرين حديثا ، ومائتى حديث من غير الآيات القرآنية التى تقارب المائة . ذكر فيما ورد من النهى عن الخوض فى القدر عشرة أحاديث ، وأسندها الى مصادرها ، وبين ما فيها من صحة وضعف .

قسم أحاديث القدر الى قسمين :

أحدهما : ما يدل على ثبوت القدر وصحته .

وثانيهما : ما يدل على وجوب الايمان به ، وذم من كذب به ، بعضها فى (الأمهات الست) (٢) وبعضها فى غيرها ، ونبه على ما فى أسانيد غير الأمهات ، ليتمكن الباحث من الوقوف على ذلك فى كتب الرجال ، أورد فيما يتعلق بالقسم الأول - وهو ما يدل على ثبوت القدر وصحته - خمسة وسبعين ومائة حديث بألفاظها .

وسرد فى القسم الثانى : وهو ما يدل على وجوب الايمان بالقدر وذم منكره اثنين وسبعين حديثا (٣) بألفاظها أيضا ، وبعد هذا الجمع الكثير ذكر ابن الوزير أنه فاته بعض الأحاديث الصحيحة .

واللهك نموذجا من كلامه فى الأفعال والدواعى المتعلقة بمسألة القدر

وهو قوله : (. . .) ثم أن الله تعالى بعد ترجيح العاصى للعصيان

(١) فتح المغيـث شرح ألفية الحديث للعراقى تأليف محمد بن عبد الرحمن

السخاوى ج ١ ص ٣٣٣ - ٣٣٤ دار الكتب العلمية بيروت ط الأولى

سنة ١٤٠٣ هـ وأنظر توضيح الأفكار للصنعائى ج ٢ ص ٢٣٦ حيث

نقل هذا النص بحروفه ما عدا قوله : والذى يظهر . . . ففيه

اختصار غير مخل بالمعنى وأنظر التفاصيل فى المسألة فتح المغيـث

للسخاوى ج ١ ص ٣٢٧ وما بعدها .

(٢) الأمهات الست : هى الصحيحان والسنن الأربع لأبى داود ،

والترمذى والنسائى وابن ماجه .

(٣) العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٣ وهم ٢٨ ص ٢٠٦ - ٢٧٢ .

باختياره الموافق لعلم الله ، وقدره ومشئته ، لا يزال - سبحانه - يفعل
مرجحات الطاعة والموقظات عن الغفلة ما يوءد الحجة البالغة
ويجدد لها ، تفضلا منه سبحانه ، تارة بما يفعله من الأمراض ، كما قال
تعالى : (أولا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون
ولا هم يذكرون) (١)

وتارة بما يريهم من مصارع آبائهم وأبنائهم ، وأخوانهم ، وجيرانهم ،
قال تعالى : (الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا) (٢)

وتارة بما يقرع أسماعهم من مواعظ الله - عز وجل - وحججه
على ألسنة أنبيائه وأوليائه ، فلا يزال سبحانه وتعالى يقابل الدواعى
الى معصيته بالمردواعى الى طاعته ، والعاصى لا يزداد الا تعاديا على
سوء اختياره ، وطول غفلته ، كما شكاه نوح - عليه السلام - من تومته (٣) ،
ولذلك عظم الله - تعالى - شأن التذكر والموجب للترجيح ، وقال فى
غير آية : (لعلمهم يذكرون) أى لمحبتة ذلك لهم ، وطلبه منهم
عند أهل السنة وقال فى الغافلين : (أولئك كالانعام بل هم أضل
أولئك هم الغافلون) (٤) .

وتأمل قوله تعالى : (بل هم أضل) فانه يدل على أن الله - تعالى -
مكسبهم من اختيار الصواب بخلاف الأنعام . . . ومع ذلك فان اختيار
العبد لا يكون الا موافقا لعلم الله وقدره ومشئته (٥) .

(١) سورة التوبة : ١٢٦ .

(٢) سورة الملك : ٢ .

(٣) لعل ابن الوزير يشير الى شكوى نوح عليه السلام من قومه فيما
قصه الله - سبحانه - فى مواضع كثيرة من القرآن حتى أنزل
الله سورة باسمه وفيها ما يشير ابن الوزير اليه فى قوله تعالى :
(قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا ، فلم يزد هم دعائى
! لا فرارا ، وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم
فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا) .

سورة نوح : ٥ - ٧ .

(٤) سورة الأعراف : ١٧٥ .

(٥) العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٣ وهم ٢٨ ص ٢٠٥ .

٣ - بسط الكلام فى مسألة الروئية فى مقدار ثمانين ورقة فى العواصم ،^(١)
ونقل عن ابن القيم من هادى الأرواح ٩ ٤ صفحة على التوالى
وسبعة وعشرين حديثا ، عن سبعة وعشرين أو ثلاثين صحابيا ،
من الصحاح والسنن والمسانيد .
كما سرد أقوال كبار التابعين والأئمة الأربعة ونظرائهم ، كل هذا
فى معرض الرد على المعتزلة الزيدية النافين روية الله تعالى
فى الآخرة .

كما ذكر أقوالهم وأدلتهم من الأصول الخمسة ، وطول الكلام
فى هذه المسألة ليؤيد مذهب السلف وأهل الحديث فى اثبات
روية الله - عز وجل - فى الآخرة ، وسيأتى الكلام عليها
إن شاء الله - تعالى - فى (المعارك الكلامية) .

٤ - أورد فى اثبات حكمة الله - تعالى - فى أقواله وأفعاله ما يقارب
مائة آية فى العواصم^(٢) ردا على من ينفيها من غلاة الأشعرية^(٣)
والآن تنتقل الى نماذج أخرى من العواصم وغيره .

١ - إعمال النظر : يستخدم ابن الوزير العقل فى فهم النصوص ، وفيما
للعقل فيه مجال ، يبدو ذلك واضحا فى قوله : (ولما وقف المشار
اليه - أى خصمه - على أبياتى هذه التى منها :

أصول دينى كتاب الله لا العرض * * وليس لى فى أصول غيره غرض
حسب أنى استدلت بالسمع على السمع ، وظن أن مرادى أصول دينى
السمع لا العقل وظن أن أهل السنة لا يرون العقل شيئا كأنه لا يعلم
اجماع المسلمين أنه لا تكليف على صبي ولا مجنون ، ولا بد من نظر
العقل ، وكذلك أمر الله - عز وجل - بتدبر كتابه فبأى شىء يتدبر
الا بالعقل ، وإنما منعوا من وضع النظر فى غير موضعه ، ومن

(١) ج ٢ وهم ١٦ فصل ٢ .

(٢) ج ٣ وهم ٢٨ .

(٣) أنظر غاية العرام فى علم الكلام للآمدى ص ٢٢٤ .

الطرائق المبتدعة (١) .

٢ - كثرة الاطلاع على أقوال أهل الملل والنحل ، وشدة التعمق في استقصائها وشرحها ، واسنادها الى مراجعها ، وقائلها - غالباً - حتى ليغلب على ظن القارئ أنه يجيدها أحسن من أصحابها .

من ذلك على سبيل المثال ما في كتابه (ايثار الحق على الخلق) حصرت المراجع التي أشار اليها فيه الى نصف الكتاب المذكور تقريباً فبلغت ستين مصدراً ، وهذا بالنسبة للمصادر المتعلقة بالعقيدة وأصول الفقه ، من كتب أهل السنة الذين هم أهلها ، ومن كتب المنتسبين اليها ، ومن كتب العترة والزيدية والمعتزلة والشيعة والروافض والمرجئة وغيرهم وعجزت عن حصر الباقي . أما مصادر التفسير والحديث التي أشار اليها فلم أتعرض لحصرها ، فقد تكون أكثر من هذا العدد .

هذا بالنسبة لهذا الموء لف المختصر القيم ، فكيف لو حصر ما في كتابه (العواصم والقواصم) الذي هو أضخم وأجود موءلفاته الذي وصفه الشوكاني بأنه : (يشتمل على فوائد في أنواع من العلوم لا توجد في شيء من الكتب (٢)) .

وبالجملة فإن ابن الوزير اذا تكلم في المسألة الواحدة أشبعها بحثاً لا في علم من العلوم فحسب ، بل يتناولها في علوم شتى ، وكلما تكلم في فن من الفنون ظن القارئ أنه لا يحسن غيره ، حتى اذا انتقل الى فن آخر يتعلق بالمسألة ذاتها يظن القارئ ما ظنه قبل ذلك ، وهكذا كما قال الشوكاني : (وهو - أي ابن الوزير - اذا تكلم في مسألة لا يحتاج الناظر بعده الى النظر في غيره من أي علم كانت) . (٣) وخير شاهد على ذلك مصنفاته لاسيما (العواصم والقواصم) .

-
- (١) العواصم والقواصم ج ٢ وهم ١٥ ورقة ١١٤ وهو تحت الطبع والتحقيق ، ولو كان الشوكاني حياً لقرت عيناه بل طبع منه الجزء الأول .
(٢) البدر الطالع ج ٢ ص ٩١ .
(٣) البدر الطالع للشوكاني ج ٢ ص ٩١ .

٣ - الدقة وعمق التفكير ، ولعل ذلك من فوائد عزلته أثناء التصنيف
فقد أخبرني بعض آل الوزير ممن لديهم معرفة تامة بأحواله ، بأنه
صنف (العواصم والقواصم) في جبال (١) بنى مسلم ، وبعضهم
أخبرني أنه في كهف من كهوف جبل نقم (٢) ، وبعضهم في غير ذلك ،
ويمكن الجمع بين الأقوال بأنه صنف بعض الكتاب في هذا ، وبعضه
في ذاك ، أو بعض مصنفاته هنا ، وبعضها هناك ، والأمر سهل
ان شاء الله تعالى .

ومعلوم أن الباحث الخالي عن الضوضاء ، يصفوله الجو ، ويساعده
ذلك على حسن التفكير وعمقه ، وحينئذ يغوص في بحار العلم ،
متى شاء وكيف شاء ، ويستخرج منه نفائسه ، وفرائده التي قد يعجز
عن استخراجها الكثير من العلماء ، من ذلك تعليقه على قوله
تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) (٣) بقوله : (جمع
بين الرد على طوائف المبطلين ، فأولها رد على المشبهة ، وآخرها
رد على المعطلة ، وفي ترتيبها سر لطيف ، لأنه لو قدم الرد على المعطلة
لخيف سبق وهم أو خيال من شبه أهل التشبيه ، فلذا بدأ بما يعصم
عن ذلك من غاية التقديس والتنزيه) (٤)

وقد أشار الى هذا الشوكاني بقوله : (وقد يأتي في كثير من المباحث
بفوائد لم يأت بها غيره كائنا من كان) (٥)

-
- (١) في بلاد (هريم) منطقة (ذمار) تبعد عن صنعاء بمسافة ٢٠٠
كيلوتقريباً وكان يسمى قديماً يحصب ولا يعرف هذا الاسم إلا الخاصة
كذا في حاشية الأكليل للهمداني تحقيق الأكوع ج ٨ ص ١٨٧
(٢) هو الجبل المطل على صنعاء من الجهة الشرقية .
(٣) سورة الثوري :
(٤) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير ص ١٣٨ .
(٥) البدر الطالع للشوكاني ج ٢ ص ٩١ .

واذا ما قارنت بين كلامه ، وكلام أهل عصره ، بل شيوخه ، فانك لاتجد مقارنة ، لا فى الأسلوب ، ولا فى الأفكار ، ولا فى شدة المعارضة وقوة الحجة ، اذ منحه الله - تعالى - من الملكة فى تقوية بعض الأدلة ~~فى تقوية بعض الأدلة~~ التى يقويها على اختلاف أنواع ذلك بوجه صحيح ، ولغظ صريح ، مع الجمع بين البراهين العقلية والنقلية ، وهكذا فى تضعيف بعض الأدلة .

وحينما تطلع على كلامه فى بعض المسائل قبل معرفته تظن أنه من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية ، أو تلميذه بن قيم الجوزية ، أو ابن حزم ، لما أشرت اليه من شدة المعارضة ، وقوة الحجة ، وقد تظن أنه تتلمذ على شيخ الاسلام هذا لما بين كلامهما من الشبه ، شاهد ذلك مصنفاته يؤيد ذلك ما قاله الشوكانى : (وكلامه - أى ابن الوزير - لا يشبه كلام أهل عصره ، ولا كلام من بعده ، بل هو من نمط كلام ابن حزم وابن تيمية) . (١)

٤ - كثرة النقل فيما يقوى حجته على الخصم - لاسيما اذا كان فى معرض سياقه لكلام السلف وأهل السنة والمحدثين وأدلتهم ، فإنه يأت بما يبهز (٢) لب القارئ لكثرة ما يورد من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية وأقوال الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وعلمائهم وخاصة من جمع منهم بين النقل والعقل - رضى الله عنهم أجمعين .

من ذلك على سبيل المثال ما نقله فى (العواصم والقواصم) فى سياق دفاعه عن أهل الحديث الذين وصهم بعض غلاة المتكلمين بالبله وجمود الفطنة لقلة ممارستهم للعلوم النظرية ، واقتصارهم على فن الحديث . (٣)

(١) البدر الطالع للشوكانى ج ٢ ص ٩١ وأنظر مطلع البدور لابن

أبى الرجال خ ج ٤ ص ٢٧٣ .

(٢) من باب نفع أى غلبه وفضله ، ومنه قيل للقمر : الباهر : لظهوره

على جميع الكواكب - المصباح المنير للفيومى ج ١ ص ٧١ .

(٣) أنظر العواصم والقواصم لابن الوزير خ ج ٢ الوهم ١٥ ورقة ٣٤

وكان من جواب ابن الوزير على هذا أنهم لم يتركوا علم الكلام لجمود فظنهم أولدقته وغموضه بل للنهي الوارد عن ذلك كما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى في (المعارك الكلامية) ، وانه قد خاض ودقق في علم الكلام غير واحد من المحدثين ، ومن أخصر ما يستشهد به على ذلك كما يقول ابن الوزير : (كلام شيخ الحنابلة المتكلم أحمد بن تيمية الحراني) . ثم نقل الاصلين والمثليين والقواعد الست من الرسالة التدمرية لابن تيمية بلغ مجموع ما نقله على التوالي حوالي سبعين صفحة (١) خلاصة ذلك ما يلي : أما الاصلان فأحدهما : ان القول في بعض الصفات كالقول في بعض؟ وأما الاصل الثاني : فان القول في الصفات كالقول في الذات وقس على ذلك سائر كلامه المتضمن الرد على الفرق الضالة في اثبات وجود الله تعالى والكلام في أسمائه وصفاته والرد عليهم بمجمل عقيدة السلف . (٢)

ويظهر من هذا ان ابن الوزير معجب بكلام شيخ الاسلام ابن تيمية في كثير من القضايا والمسائل كما هو واضح من مصنفاته .

٥ - الامانة العلمية في النقل :

انه يسند ما نقله أو ذكره الى مؤلفه مع ذكر الباب أو الفصل من الكتاب كما فعل ذلك في عدة مواضع :

- ١ - من ذلك ما ذكره عن صاحب الجامع الكافي معتمد فقه الزيدية فسي آخر الجزء السادس من النهي عن تكفير المختلفين في أصول الدين . (٣)
- ٢ - وذكر عن الدميري حكمة الله في خلق الداء والدواء في جناح الذباب . . . وقال : ذكره الدميري في حياة الحيوان من حرف الذال .

رباعدها

(١) أنظر العواصم والمقاصم لابن الوزير ج ٢ ورقة ٥٩/ وأنظر مجموع الفتاوى ج ٣ ص ١٧ - ٨٨ .

(٢) راجع التفاصيل في مجموع الفتاوى ج ٣ ص ١٧ - ٨٨ .

(٣) ايثار الحق لابن الوزير ص ١٤٨ .

- ٣ - وقال : وذكر الذهبى فى ترجمة عكرمة فى الميزان ما يدل على تعليل الاحكام فى موضوع الحكمة . (١)
- ٤ - وقال : وذكر ابن كثير فى الأول من البداية والنهاية فى قصة نوح - عليه السلام - وتفسير قوله - تعالى - : (ولا ينفعكم نصحي ان أردت ان أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون) (٢)
- ٥ - وقال ابن الوزير : (وبوب البخارى بابا فى ذلك - أى فى إثبات الحكمة - فقال فى التوحيد والرد على الجهمية باب قول الله - عز وجل - (وهو الذى خلق السموات والارض بالحق) (٣) وذلك من البخارى اشارة الى مذهب أهل السنة فى اثبات الحكمة . (٤)
- وقال أيضا (ومن ذلك ما رواه الحافظ ابن كثير من طرق فى خلق آدم من الجزء الأول من البداية والنهاية) (٥)
- ومن ذلك ما ذكره عن الغزالى فى القصور عن الاحاطة بحقيقة معرفة الله تعالى واسمائهم ونحوته من جميع الوجوه : فقال : (قال الغزالى فى الفصل الرابع من مقدمات المقصد الأسنى كذا وكذا) (٦)
- وقال أيضا فى أثناء حديثه عن توحيد المعتزلة : (ذكره مختار فى الباب السادس من خاتمة أبواب العدل فى كتابه المجتبى) (٧)
- وقال أيضا فى أثناء حديثه على الفائدة الخامسة فى الكلام على القضاء والقدر : (الوجه السادس ما ذكره ابن قيم الجوزية فى الجواب الكافى . (٨)

(١) ايشار الحق لابن الوزير ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

(٢) سورة هود : ٣٤ وانظر الايشار ص ٢٠١ والبداية والنهاية لابن كثير ج ١ ص ١٠٩

(٣) سورة الانعام : ٧٣ .

(٤) الايشار لابن الوزير ص ٢٠٥ وانظر البخارى ج ٨ كتاب التوحيد ص ١٦٤

(٥) الايشار له ص ٢٢٦ .

(٦) الايشار له ص ١٨٩ .

(٧) الايشار له ص ١٠٤ .

(٨) الحواصم والقواصم له ج ٣ وهم ٢٨ ص ٣١٢

٦ - التصنيف عن حفظه - أحيانا - كما صرح بذلك : في عدة مواضع :

- ١ - منها في مسألة قبول كفار التأويل في العواصم ^(١) حيث قال : (وجملته ما حضرني من الطرق عشر طرق) وعددها وهذا فيما عدا النقل .
- ٢ - كذلك في موضع آخر ^(٢) منه قال : (واحسبه في مجموع زيد) وهذا أيضا يدل على أنه يكتب من حفظه - غالبا - .
- ٣ - كذلك في موضع آخر ^(٣) منه قال : (وجاء في فضل أبيس القرني ما لم يحضرني) وهذا يدل على أنه يكتب أيضا من حفظه .
- ٤ - وفي (الترجيح) ^(٤) ذكر اثنين وعشرين وجها من حفظه كما هو ظاهر كلامه - تؤيد القول بأن التشابه لا يعلمه إلا الله - عز وجل -
- ٥ - وقال في الروض الباسم ^(٥) بعد أن ذكر كلام الخطابي في معالم السنن في معنى القدر ، وابن الاثير في جامع الاصول والجويني في البرهان قال بعد ذلك : (وفي كلام الفخر ابن الخطيب الرازي أشياء من ذلك فاتى لفظها .
- ٦ - وفي الروض ^(٦) أيضا في سياق الكلام على الروايات من طريق مروان ابن الحكم قال : (قد خاض الناس في ذلك خوضا كثيرا قديما وحديثا) وبعد كلام كثير قال : (ولم يحضرني وقت كتابة هذا الجواب شيء من الكتب ولا حفظت في ذلك ما يقنع الا ما ذكره الحاكم المحسن بن كرامة المعتزلي في كتابه شرح العيون . . .) .
- ٧ - ولما جاءت رسالة المعتزلي تردد في كيفية الجواب بين الايجاز والاطناب وصدده عن التوسع عدة أسباب أهمها عدم توفر الأسفار .

-
- (١) ج ١ ورقة ١٢٤ .
 - (٢) ج ١ ورقة ١٤٨ .
 - (٣) ج ١ ورقة ١٤٤ .
 - (٤) ص ١٤٩ وما بعدها .
 - (٥) ج ٢ ص ٢٣١ .
 - (٦) ج ٢ ص ١٣١ - ١٣٢ .

وقال : (ومن أين يتأتى ذلك أويتهيوء لى وأنا فى بواد خوالى وجبال عوالى فتمصت من بلل أفكارى برضاه وما أكفى ذلك وأرضى إذا كان طيبا محضا) . (١)

٨ - كذلك ذكر فى كتابه ايثار الحق (٢) على الخلق فى سياق حديثه عن خروج عصاة الموحدين من النار قال :
(والذى حضرنى (٣) الآن من الاحاديث المصرحة بخروجهم من النار أحاديث كثيرة جدا عن أكثر من عشرين من كبار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) .

٩ - كذلك ذكر الخلاف فى مسألة تعذيب أطفال المشركين ، ومن لم تبلفهم الدعوة ، والشيخ الفانى والمعتوه والاصم وذكر الاقوال والاحاديث وما فى أسانيدها من صحة وضعف . وبعد أن ذكر كلاما كثيرا قال :
(وهذا جملة ما حضرنى من صحيح وضعيف فى حجة أهل هذا القول) (٤)
أى بأنهم فى الجنة والدليل على ذلك الاستفاضة عند الكثير من علماء اليمن من أن ابن الوزير صنف (العواصم والقواصم) فى بطون الاودية الخوالى ، ورؤس الجبال العوالى .

وقوله الآتى شاهد على ذلك حينما وصف الحالة التى يعيشها : (ومن أين يتأتى ذلك ، أويتهيوء لى وأنا فى بواد خوالى وجبال عوالى ، وأنشد أبياتا منها :

فحينما بطود تمطر السحب دونه * * أشم منيف بالغمام مؤزر
وحينا بشعب بطن واد كأنه * * حشا قلم نسي به الخير تصفر (٥)
ومما يدل على أنه يؤلف من حفظه أحيانا أنه نسب حارى الارواح

(١) مقدمة العواصم والقواصم ورقة ١ والروى الباسم ج ١ ص ١١ والبرص يسكون انراء القليل يقال ماء برص أى قليل أه الصحاح للجوهري ج ٣ ص ١٠٦٦
(٢) ص ٣٨٦ .
(٣) حضرنى كذا أى خطر بيالى أه مصباح ج ١ ص ١٥٢ .
(٤) العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٣ وهم ٣٠ ص ٤٨٢ .
(٥) الروى الباسم له ج ١ ص ١٠ .

الى شيخ الاسلام ابن تيمية (١) ومعلوم انه لتلميذه ابن قيم الجوزية
ولو كان الكتاب موجودا لديه لما حصل هذا الوهم ولكنه فى موضع آخر
نسبه الى ابن القيم والله اعلم .

١٠- وفى إثراء حديثه عن المنع عن التصرف فى عبارات الكتاب والسنة ،
لجواز الخطأ على العلماء فى فهم المعنى ، أو التعبير عما فهموا ،
أو فيهما معاً ، قال : (والدليل على ذلك أمور كثيرة ، أذكر منها
ما حضرني ، والله الهادي) . (٢)
وفى إثراء حديثه عن اثبات الحكمة قال : (والذي حضرني منها
سبعة أمور ، وعددها واحداً واحداً من حفظه ، كما هو ظاهر كلامه) (٣)
وبالجملة فهذا عادة كثير من العلماء الحفاظ ، الذين يكتبون ،
ويحدثون من حفظهم ، وهذا مشهور . فلا غرابة اذا كتب ابن الوزير
من حفظه ، فقد شهد له بالحفظ جماعة من كبار العلماء كابن أبي الرجال
سنة ١٠٩٢ هـ والضحائى سنة ١١٨٢ هـ ، والشوكانى سنة ١٢٥٠ هـ
وغيرهم .

(١) ايثار الحق له ص ١٠٢٣ - ١٢٤ .

(٢) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٤١ - ١٤٣ .

(٣) ايثار الحق له ص ٢٨٤ والحواسم والقواصم له ج ٣ وهم ٢٨ .

٧ - ثقته بنفسه :

لا عبرة عند ابن الوزير بمن قال ، وإنما العبرة بما قال كائنا من كان ، ومن هذا المطلق نبه على حديث رواه البخارى فى صحيحه بأنه مقلوب وقد احتج به نفاة الحكمة - على حد تعبير ابن الوزير - غلاة الأشعرية .

والحديث من طريق صالح بن كيسان عن الاعرج عن أبى هريرة مرفوعا بلفظ : (اختصمت الجنة والنار إلى ربهما ، فقالت الجنة يارب ما لها لا يدخلها الا ضعفاء الناس وسقطهم ^(١) وفى رواية : (ما لي لا يدخلني الا ^(٢)) ، وقالت النار ^(٣) - يعنى أوشرت بالمتكبرين ^(٣) - فقال الله تعالى للجنة ، أنت رحمتى ، وقال للنار ، أنت عذابي أصيب بك من اشاء ولكل واحدة منكما ملوءها قال : فأما الجنة فان الله لا يظلم من خلقه أحدا ، وأنه ينشى لنا من يشاء فيلقون فيها ، فتقول هل من مزيد ثلاثا ، حتى يضع فيها قدمه فتمتلي ، ويرد بعضها الى بعض فتقول قُط قط . (٤)

وجه استدلال القائلين بنفى الحكمة من الحديث : اذا كان الله - تعالى - ينشى خلقا للنار بلا ذنب فما وجه الحكمة فى خلقهم ؟ وفى ذلك دلالة عند هؤلاء على انتفاء الحكمة .

- (١) بفتحيتين جمع ساقط وهو النازل القدر الذى لا يؤبه له ، وسقط المتاع رديئه وفى رواية : (وعجزهم) بتشديد الجيم وفى رواية (وغرهم) بتشديد الراء وتخفيفه أى غفلتهم والمراد به أهل الايمان الذين لم يتفطنوا للشبه ولم توسس لهم الشياطين بشئ من ذلك فهم أهل عقائد صحيحة وايمان ثابت وهم الجمهور وأما أهل العلم والمعرفة فهم بالنسبة اليهم قليل كذا فى الفتح للحافظ ج ١٣ ص ٤٣٦ .
- (٢) قال الحافظ فى الفتح ج ١٣ ص ٤٣٦ (قال ابن بطال سقط قول النار هنا فى جميع النسخ وهو محفوظ فى الحديث) .
- (٣) ابن الوزير لم يثبت هذه الكلمة فى الحديث كما فى كتابه ايثار الحق على الخلق ص ٢٣٤ .
- (٤) البخارى ج ٨ كتاب التوحيد باب ما جاء فى قول الله تعالى : (ان رحمة الله قريب من المحسنين) ص ١٨٦ - ١٨٧ وأنظر ايثار الحق لابن الوزير ص ٢٣٤ .

وهذا الاستدلال يتضمن قصر باع المتكلمين فى الحديث وعلومه ، وإلا لما استدلوا به وهو مقلوب كما سيأتى بيانه قريبا ان شاء الله .

وفى مناقشة ابن الوزير لما قيل حول هذا الحديث ما يقتضى أنه من أهل هذا الشأن ، وفرسان هذا الميدان ، وليس الخبر كالعيان فلا سبيل الى استقصاء مقاله من مصطلحات الحديث ، لانه يطول المقام ، وسنلمح الى ذلك لمحة سريعة مع الاشارة الى مظهران ذلك من مؤلفات ابن الوزير .

تعقيب ابن الوزير على الحديث من ناحية الرواية :

إن هذا الحديث مقلوب أى سبق لفظ الراوى من الجنة الى النار ، ولم يوافق عليه مسلم ولا غيره من أهل السنن ، كما وقع القلب فى صحيح مسلم فى حديث السبعة الذين يظلهم بظل عرشه يوم القيامة ، فذكر منهم (رجلا تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم بيمينه ما تنفق شماله) (١) وإنما انقلب على بعض الرواة ، وصوابه ما خرجاه معا عن أبى هريرة - رضى الله عنه - فى هذا الحديث بيمينه ، وفيه (ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق بيمينه .) (٢)

(١) مسلم ج ٢ كتاب الزكاة باب فضل اخفاء الصدقة ص ٢١٥ وانظر شرح مسلم للنووى ج ٢ ص ١٢٢ حيث قال : (هكذا وقع فى جميع نسخ مسلم فى بلادنا وغيرها وكذا نقله القاضى عياض عن جميع روايات نسخ مسلم (لا تعلم بيمينه ما تنفق شماله) والصحيح المعروف (حتى لا تعلم شماله ما تنفق بيمينه) هكذا رواه مالك فى الموطأ والبخارى فى صحيحه وغيرهما وهو وجه الكلام ، لأن المعروف فى النفقة فعلها باليمين) . وأورده محمد فوءاد عبد الباقي فى اللؤلؤ والمرجان ، فيما اتفق عليه الشيخان باللفظ المتفق عليه ، ولا يوجد فى مسلم غير هذا اللفظ المقلوب مع انه علق على هذا الحديث فى الصفحة المشار اليها بنقل كلام النووى الآنف الذكر بحرفه .

(٢) البخارى ج ١ كتاب الاذان باب من جلس فى المسجد ينتظر الصلاة ص ١٦١ كتاب الزكاة باب الصدقة باليمين ص ١١٦ ج ٨ كتاب المحاريب ص ٢٠٧ وانظر ايثار الحق على الخلق ص ٢٣٤ ، ولم أجد ما اتفقا عليه كما قال ابن الوزير ، وهو معارض لكلام النووى السابق من أنه هكذا والله أعلم .

فحكم كل عارف بانقلابه لما اتفقا عليه في ذلك ، ولأنه المناسب فان اليمين هي المنفقة ، وخرجه مسلم لتقوية أصل الحديث بهذا الاسناد ، لا لكونه ظن حجة هذا المتن المقلوب ، مع مخالفته للمعقول والمنقول ، ولم يتهم أحد مسلما بجهل ذلك .

وكذلك حديث الجنة والنار ، فانهما اتفقا على اخراجه على الصواب من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (تحتاج الجنة والنار ، فقالت النار : أوشرت بالمتكبرين والمتجبرين ، وقالت الجنة : ما لي لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقطهم) (١) قال الله تبارك وتعالى للجنة أنت رحمتي أرحم بك من اشاء من عبادي ، وقال للنار : انما انت عذاب ابى أعذب بك من اشاء من عبادي ولكل واحدة منهما (٢) ملوءها ، فاما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول : قَطِّ قَطِّ ، فهناك تمتلئ . ويزوى بعضها الى بعض ولا يظلم الله من خلقه أحدا ، وأما الجنة فان الله - عز وجل ، ينشئ لها (٣) خلقا الى هنا اللفظ المتفق عليه .

وفى لفظ لمسلم من حديث انس : (لا تزال تقول هل من مزيد حتى يضع فيها رب العزة تبارك وتعالى قدمه فتقول قط قط وعزتك ويزوى بعضها الى بعض وفى بعض روايات مسلم : (حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله تقول قط قط قط) (٤) .

(١) فى مسلم : زيادة : (وغرتهم) ولها ثلاثة معان أوضحها البُلَّه الغافلون الذين ليس لهم حذق فى أمور الدنيا أنظر شرح مسلم للنووى ج ١٧ ص ١٨١ .

(٢) فى مسلم : (منكما) .

(٣) متفق عليه عن أبي هريرة البخارى ج ٦ تفسير سورة ق ص ٤٨ مسلم ج ٤ كتاب الجنة باب النار يدخلها الجبارون ص ٢١٨٦ اللوء لوء والمرجان ج ٣ ص ٢٩-٢٩١ الحلبي .

(٤) مسلم ج ٤ كتاب الجنة باب النار يدخلها الجبارون ص ٢١٨٧ ومعنى قط قط حسبى حسبى وفيها ثلاث لغات سكون الطاء وكسرها منونة وغير منونة الصفحة نفسها .

وفي موضع آخر في البخاري عن انس بلفظ : (لا يزال يلقي فيها ، وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العالمين قدمه ، فينزوي بعضها الى بعض ثم تقول : قد قد بعزتك وكرمك ، ولا تزال الجنة تفضل حتى ينشىء الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة) (١)

وقد تتبع ابن الوزير - رحمه الله - روايات هذا الحديث وما يتعلق بعلوم الحديث ، وما قيل في رجال هذا السند في مواضع كثيرة من الصحيحين وبين أن هذا الحديث المتفق عليه هو المعمول به وأن الحديث الذي استدل به نفاة الحكمة تفرد به البخاري ومقلوب أيضا وقد قرر هذا غير واحد من علماء الحديث منهم ابن القيم في (حاوي الارواح) . وابن حجر في (الفتح) عن جماعة من الأئمة ، وأن البخاري قد نبه على ذلك حيث قال ابن القيم : (وأما اللفظ الذي وقع في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة : (وأنشئ للنار من شاء فيلقى فيها فتقول هل من مزيد) فغلط من بعض الرواة انقلب عليه لفظه والروايات الصحيحة ونص القرآن يردده ، فانه سبحانه أخبر أنه يملأ جهنم من إبليس وأتباعه ، فانه لا يعذب إلا من قامت عليه حجته وكذب رسوله) (٢) .

(١) البخاري ج ٨ كتاب التوحيد باب قول الله تعالى وهو العزيز الحكيم ص ١٦٦ .

(٢) الحاوي لابن القيم الباب التاسع والستون ص ٣١٩ - ٣٢٠ وأنظر فتح الباري للعسقلاني ج ١٣ ص ٤٣٢ .

تعقيب ابن الوزير من ناحية الدراية :

١ - ان هذا الحديث المقلوب جعل تنزيه الله - تعالى - عن الظلم ، عند ذكره الجنة ، فأوهم بذلك أن من أدخله الله - تعالى - الجنة بغير عمل ، كان ظلماً ، وهذا من افحش الخطأ ، فان الحور العين ، والاطفال في الجنة بغير عمل ، وهذا هو الموضع الذي لا يسمى ظلماً عند أحد من المسلمين ، ولا من العقلاء ، ولا أشار الى ذلك شيء من السنة ، ولا من اللغة ، ولا من العرف ، وانما ذكر هذا في النار ، اشارة الى أن التعذيب بغير ذنب هو شأن الظالمين من الخلق ، والله - تعالى - حرم الظلم على نفسه ، وجعله بين خلقه محرماً كما في الحديث الصحيح (١) يد كما تمدح بذلك رب العالمين . (٢)

وفي هذا اشارة من ابن الوزير - والله أعلم - الى قوله تعالى : (.... وما أنا بظالم للعبيد) (٣) (ولا يظلم ربك أحداً) (٤) .

٢ - ان القاعدة في كمال الأفعال ، أن يكون صدورها عن الحكمة البالغة ، في توجيهها الى المصالح الراجحة والعواقب الحميدة ، فكلما ظهر فيها ذلك ، كان أدل على حكمة فاعلها وعلمه ، وحسن اختياره وكلما بعدت عن ذلك ، كانت اشبه بالآثار الاتفاقية ، وبأفعال الصبيان والمجانين . (٥)

(١) هذا معنى أول حديث أبي ذر الطويل المشهور بالحديث القدسي في

صحيح مسلم ج ٤ كتاب البر باب تحريم الظلم ص ١٩٩٤ - ١٩٩٥ .

(٢) أنظر ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٢٣٧ .

(٣) سورة ق : ٢٩ .

(٤) سورة النّهب : ٤٩ .

(٥) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٩٧ .

تعقيب على كلام ابن الوزير - رحمه الله تعالى - :

بناءً على ما عودنا عليه ابن الوزير من التشجيع على البحث ، وعدم التقليد ، وإن العبرة بالقول لا بصاحبه ، فأقول :

ما قرره ابن الوزير من قلب الحديث ، الذي انفرد به البخاري ، في مخاصمة الجنة والنار ، هو الصواب ، لما بينه ابن الوزير في تعقيقه على الحديث المذكور ، من ناحيتي الرواية والدراية ، يوءيده ما تقرر سابقاً من كلام ابن القيم ، وابن حجر ، وغيرهما ، ولأن ما اتفق عليه الشيخان ، مقدم على ما تفرد به البخاري وهذا مقدم على ما تفرد به مسلم ، وهكذا كما تقرر في علوم الحديث . (١)

وأما ما مثل به ابن الوزير ، فيما تفرد به مسلم ، من حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظل عرشه من القلب والغلط من بعض الرواة ، وذكر منهم : (رجلا تصدق بصدقة فأخفاها ، حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله) وأن صوابه ما خرجاه معا ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، في الحديث بعينه ، وفيه : (ورجل تصدق بصدقة ، فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه) فقد بحث بحثا شديدا عن هذا اللفظ الذي قال ابن الوزير إنهما أخرجاه معا ، ولم أقف عليه ، ولم يوجد في صحيح مسلم إلا اللفظ المقلوب ، يوءيد هذا ما قرره النووي وغيره ، سابقا ، من أنه مقلوب ، وقد رواه البخاري ، وما لك (٢) ، وغيرهما باللفظ الصواب ، السابق ذكره ، وقد مثل به الجافظ بن حجر في (نزهة النظر) للمقلوب ، وقال : (فهذا مما انقلب على أحد الرواة ، وإنما هو : (. . . حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه) كما في الصحيحين) (٣) وهذا يوءيد كلام ابن الوزير من أن صوابه ما خرجاه معا

(١) أنظر التفاصيل في علوم الحديث لابن الصلاح ص ٢٣ وتدريب السراوى للسيوطي ج ١ ص ١٢٢ - ١٢٣ نزهة النظر لابن حجر ص ٣١ تقديم اسحق عزوز الناشر المكتبة العلمية .

(٢) الموطأ للإمام مالك ج ٢ ص ٢٣٥ - ٢٣٦ ط الحلبي .

(٣) نزهة النظر لابن حجر ص ٤٧ .

ولكنه معارض بكلام النووى الآنف الذكر من أنه هكذا فى جميع نسخ مسلم فى عصر النووى .

كذلك النسخ التى بين أيدينا ، وحينئذ يكون ابن الوزير أصاب ، فى كلامه ، على حديث محاجة الجنة والنار ، ووهم فى حديث السبعة الذى صرح بأنهما أخرجاه معا ، وتبعه فى هذا الوهم الحافظ بن حجر لما مثل بالحديث المذكور للمقلوب وأن صوابه : (حتى لاتعلم شماله ، ما تتفق يمينه) وقال : (كما فى الصحيحين) ، ولم يوجد فى الصحيحين بهذا اللفظ بل فى صحيح البخارى وحده كما ذكرت سابقا ، لكن الحافظ قرر فى (الفتح) عكس ما فى (النزهة) حيث قال : (ووقع فى صحيح مسلم مقلوبا : (حتى لاتعلم يمينه ما تتفق شماله) (١) .

ثم حكى ما نقله عن النووى ، والقاضى عياض ، سابقا من أنه مقلوب فى جميع نسخ مسلم التى وصلت الى القاضى عياض والنووى ، وهذا تعارض واضح وقد تعذر عدى الجمع بين ما فى (الفتح) وما فى (النزهة) وان عدلت الى النسخ فيحتاج ضبط المتأخر من الكتابين المذكورين فهو متعسر عدى ، فلم يبق إلا ترجيح ما قرره الحافظ فى (الفتح) على ما فى (النزهة) لأن هذا يتفق وما قرره القاضى عياض والنووى ويتفق أيضا مع ما فى صحيح مسلم كما فى النسخ القديمة والحديثة ، وبهذا يرتفع الوهم عن الحافظ ابن حجر ولم أجده تخريجا يرفعه عن ابن الوزير — رحمه الله — يشاركه فى ذلك صاحب اللؤلؤ والمرجان — رحمه الله — فيما اتفق عليه الشيخان ، حيث اختلط عليه الأمر فذكره فيما اتفق عليه الشيخان باللفظ الذى لا يوجد فى صحيح مسلم ، وهذا لا يتفق وتعليقه على حديث مسلم المقلوب السابق ذكره .
والحاصل أن هذا الحديث المذكور فيه السبعة الذين يظلمهم الله فى ظله لم يخرجاه معا بهذا اللفظ المقلوب وانما انفرد به مسلم وأن الصواب ما انفرد به البخارى من أنه لاتعلم شماله ما تتفق يمينه . والله اعلم .

(١) فتح البارى ج ٢ ص ١٤٦ شرح مسلم للنووى ج ٧ ص ١٢٢
واللؤلؤ والمرجان لمحمد فواء ج ١ ص ٢١٦ .

الباب الثانى

الفوق الدينية فى عصر ابن الوزير

وفيه فصول :

الفصل الأول : الضمق وأخطاره المؤدية الى التفسيق والتكفير .

الفصل الثانى : السلفية فى اليمن وموقف ابن الوزير منها .

الفصل الثالث : المعتزلة فى اليمن وموقف ابن الوزير منها .

الفصل الرابع : الزيدية فى اليمن وموقف ابن الوزير منها .

الفصل الخامس : الأشعرية فى اليمن وموقف ابن الوزير منها .

الفصل السادس : الباطنية فى اليمن وأثرها السىء وموقف ابن الوزير

منها .

الفصل الأول

oooooooooooooooooooooooooooo

التفرق وأخطاره المؤدية الى التفسير

والتكفير

oooooooooooooooooooooooooooo

- أ - لمحة عن التفرق وأسبابه في نظر ابن الوزير .
- ب - العوامل الرئيسية للابتداع في نظر ابن الوزير .
- ج - حديث افتراق الأمة والكلام عليه .
- د - حكم أصحاب البدع .
- هـ - مسألة التكفير وموقف ابن الوزير منها .
- و - تحقيق الكلام في مسألة التكفير .

لمحة عن التفرق وأسبابه فى نظر ابن الوزير :

ان الباحث اذا نظر الى شدة الخلاف بين طوائف المسلمين
فى أصول الدين فانه يجد أن الذى وسع دائرة الخلاف والضلال
والجدال هو :

١ - البحث عما لا يعلم ، والسعى وراء ما لا يدرك ، فى الطريق التى
لا توصل الى الغرض ، والتقليد لمن يظن اصابته وهو مخطئ ،
والاشتغال بالبحث عن الدقائق التى لا سبيل الى معرفتها ،
فان البحث عنها لا يوصل الى يقين ولا اتفاق ، بل يذكى نار
الأحقاد ، ويقوى أسباب الافتراق ، وهذا غير سبيل المرسلين ،
والسلف الصالح الموء منين ، كما سيأتى بيانه فى (مبحث
الأسماء والصفات) وفى (الابتداء والتقليد) ان شاء الله تعالى .
وقد توعده الله - جل وعلا - من سلك غير سبيل المرسلين والموء منين
بسوء المصير والعذاب الأليم (ومن يشاقق الرسول من بعد
ما تبين له الهدى ، ويتبع غير سبيل الموء منين نوله ما تولى ،
ونصله جهنم ، وساءت مصيرا) (١) .

٢ - ان كثيرا من الفرق لا تكفى بتخطئة غيرها من الفرق ، بل تذهب
الى تفسيقها وتكفيرها ، وهذا نتيجة اعتقاد كل طائفة أنها
على الحق ، وأن غيرها على الباطل ، وهذا هو دأب أهل
الكلام ، أهل الأهواء والابتداع ، الناشء عن منهجهم القائل :
طريقة الخلف أعلم مع اعترافهم بأن طريقة السلف أسلم ، وكذبوا
فطريقة السلف أعلم وأسلم وأحكم ، فقد أثنى الله - عز وجل -
عليهم بأنهم صادقون ، وأن الله - تعالى - رضى عنهم ورضوا
عنه ، وأنهم خير أمة أخرجت للناس ، وشهد لهم الرسول - عليه
الصلاة والسلام - بأنهم خير القرون ، ولم يكن شئ من ذلك
للخلف المبتدعين ، أتباع أرسطو معلمهم الأول ، وسائر الفلاسفة
اليونانيين .

(١) سورة النساء :- ١١٥ وأنظر ايثار الحق على الخلق لابن الوزير
ج ١ ص ٤ - ٥ وما بعدها .

بل ورد الذم لأهل الأهواء والابتداع ، ففى كتاب الله - عز وجل -
وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير
هدى من الله) (١) .

وقد أرشد الله - عز وجل - الى طريق السلامة بقوله : (وما آتاكم
الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) (٢) ويقول : (وأن هذا
صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) (٣) .
وقد بين صلى الله عليه وسلم - معالم هذا الطريق السوى بأصول
الاسلام وفروعه حتى بين حكم الخراءة ولم يتعرض لشيء من قواعد أهل
الكلام ، وقال : (تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك)
(وفى رواية : (لقد تركتكم على مثل البيضاء ، ليلها ونهارها سواء) (٤)

٣ - تعلق أهل الزيغ والابتداع من الطوائف بالمتشابه ويجعلونه دليلاً
على ما هم عليه من البدع ويجادلون عنه أشد الجدل ، ولقد
نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجدال وحذر من عواقبه
الوخيمة ، وأنذر من اتباع أهله ، وأنه علامة لأهل الزيغ الذين
يتبعون متشابه القرآن بقصد الفتنة والتحريف لا بقصد رد المتشابه
الى المحكم كما هو مذهب أهل السنة والجماعة أو التوقف اذا
لم يتبين الصواب ، كما هو مذهب بعضهم ، قال الله تعالى :
(هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب
وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه
منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله ،
والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر
إلا أولوا الألباب) (٥) .

-
- (١) سورة القصص آية : ٥٠ .
(٢) سورة الحشر آية : ٧ . (٣) سورة الأنعام آية : ١٥٣ .
(٤) سنن ابن ماجه ج ١ ص ٤ - ١٦ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي
ط الحلبى .
(٥) سورة آل عمران آية : ٧ .

قالت عائشة - رضى الله عنها - : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذه الآية . . . قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم .) (١)

وبالجملة فالاختلاف كائن قديما وحديثا ، فقد دلت الأدلة السمعية ، والعوائد التجريبية على امتناع الاتفاق فى تفاصيل الحكم وغيرها ، فقد وقع الاختلاف بين الملائكة ، والأنبياء - عليهم السلام - وهم من أهل العصمة . قال الله - تعالى - مخبرا عن رسوله عليه الصلاة والسلام : (ما كان لى من علم بالملاء الأعلى اذ يختصمون) (٢)

واختلف الملائكة فى حكم قاتل المائة نفس ، كما اختلف سليمان وداود ، وموسى وهارون ، وموسى والخضر أيضا ، وفى هذا دلالة على أن علة الاختلاف هى التفاضل فى العلم ، وليس هذا من الخلاف المذموم ، الذى حصل بين فضلاء الصحابة رضوان الله عليهم فى فروع المسائل .

وانما الخلاف المذموم خلاف أهل الكلام ، الناشء عن البحث فيما لا مجال للعقول فى معرفته ، وادراكه ، والمؤدي الى الفرقة والتباغض ، والتسويق والتكفير (٣) .

وأما اختلاف وجهات النظر فيما للاجتهاد فيه مسرح بين علماء المسلمين مع صفاء النفوس فلا مانع من ذلك اذ ليس الغرض منه الا الوصول الى الحق ، وان من أكبر الخطأ عدم الاعتراف بالخطأ ، فاذا جاز على أهل العصمة فما بالك بغيرهم ؟ .

(١) البخارى ج ٥ تفسير سورة آل عمران ص ١٦٦ ، وسنن ابن ماجه ج ١ ص ١٨ ، سنن الترمذى بتحفة الأخوذى ج ٨ تفسير سورة آل عمران ص ٣٤١ مطبعة الفجالة بمصر سنة ١٣٨٣ هـ مسلم ج ٤ كتاب العلم باب النهى عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعه ص ٢٠٥٣ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي نشر وتوزيع ادارة لبحوث العلمية والافتاء .

(٢) سورة ص آية : ٦٩ .

(٣) أنظر ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٨٩ .

وقد جاء فى الحديث عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون) (١)
واذا كان الخطأ من طبيعة البشر ، فكيف يستطيع أى انسان انكاره ، وهو ضرورى ، وليس فى الخطأ مذمة فالرجوع الى الحق فضيلة ، وإنما التماذى فى الباطل رذيلة .

وبهذه المناسبة ندعو - بحرارة - طوائف المسلمين للرجوع الى كتاب الله - تعالى - وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والى طريقة السلف الصالح لافى الاعتقاد فحسب ، بل وفى السلوك ، والى ترك التقليد والجمود ، والتعصب ، والى تحكيم شريعة الله فى أرضه ، وبذلك - لا بغيره - ، تكون وحدة المسلمين ، ثم النصر على أعدائهم فى الشرق والغرب .

(١) سنن الترمذى بتحفة الأحوذى ج ٧ ص ٢٠٢ سنن ابن ماجه ج ٢ كتاب الزهد ص ١٤٢٠ مسند الدارمى ج ٢ ص ٢١٣ ، مسند أحمد ج ٣ ص ١٩٨ .
قال الترمذى: هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث على بن مسعدة عن قتادة قلت كل هؤلاء روه عن طريق على بن مسعدة الباهلى هذا قال ابن حجر صدوق له أوهام وقال ابن معين صالح وقال أبو حاتم لا بأس به ، وقال النسائى ليس بالقوى ، وقال البخارى فيه نظر ، وقال ابن عدى أحاديثه غير محفوظة ، أنظر تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٧ ص ٣٢٨ ، والجرح والتعديل لابن أبى حاتم ج ٦ ص ٢٠٤ - ٢٠٥ وخلاصة تهذيب الكمال للخزرجى ج ٢ ص ٢٥٦ - ٢٥٧ ، وحكى العجلونى فى الكشف الحكم عليه بأنه صحيح وسنده قوى كما حكى ضعفه أيضا وقال الحاكم صحيح .

العوامل الرئيسية للابتداع فى نظر ابن الوزير :

لا شك أن إعراض أهل الكلام - أهل الأهواء والابتداع - عن المحجة البيضاء النقية . المستقيمة الى الطرق العوجاء الملتوية ، هو أكبر عامل أدى بهؤلاء الى الابتداع فى الدين ، ولذلك قرر ابن الوزير وكرر أن هذا ناشئ عن الأسباب الآتية :

- ١ - تنكب طريقة السلف الصالح رضى الله عنهم - طريقة القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، والفطرة التى فطر الله الناس عليها .
- ٢ - الزيادة فى الدين بتجاوز المبتدعين خلو كتاب الله - عز وجل - وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - عن بيان بعض مهمات الدين اكتفاء بدرك العقول لها - كما يزعمون - ولو بالنظر الدقيق ، وسيأتى بيان هذا فى (موقف ابن الوزير من الابتداع . . .) ان شاء الله تعالى .

- ٣ - النقص من الدين برد النصوص والظواهر الى المجاز بدون موجب قاطع للتأويل ، الا مجرد التقليد لبعض أهل الكلام ، فى قواعد لم يتفقوا عليها ، كتأويل الباطنية للأسماء الحسنى ، ونفيها عن الله - عز وجل - بدعوى التنزيه ، وتحقيق التوحيد ، وأن اطلاقها على الله ، يقتضى التشبيه ، ونفى الصفات الثابتة لله - عز وجل - فى الكتاب ، والسنة ، بالتأويل الباطل (١) .
- وقد شاركهم فى تعطيل بعض الصفات ، وتأويل بعضها ببعض الفرق الآتى ذكرها قريبا ان شاء الله تعالى .

الا أنهم يختلفون فى المبررات ، فبعضهم سلك هذه الطريق عن حسن نية ، أو تقليد لمتبوعه ، لأنه لا يعلم صوابا غيره ، بدليل أنه اذا اطلع على الصواب وفهمه رجع اليه كأبى الحسن الأشعرى وغيره .

(١) أنظر ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٨٦-٨٧ وما بعدهما وأنظر ما يوءد هذا من كلام ابن تيمية فى فتاويه ج ٣ ص ٣٥٠ حيث قرر أن مبدأ البدع هو الطعن فى السنة بالظن والهوى كما طعن ابليس فى أمر ربه بهواه .

وبعضهم قد رسخ في قلبه منهج أهل الكلام ، بل ران على قلبه ،
فلأيرى الحق الا فيه ، وأمثال هؤلاء ليس رجوعهم الى الصواب بالأمر
السهل ، وانه ليسير على من يسره الله عليه والمهتدي من هداية
الله تعالى .

وسياتى في (ذم الكلام) أو (المعارك الكلامية) أن فحول أهل
الكلام قد رجعوا في أواخر حياتهم الى عقيدة السلف ، بل تمنى
بعضهم أن يكون على عقيدة العوام والعجائز لنقاء فطرتهم وسلامتها
من كدورة مصطلحات أهل الكلام .

وقس على هذين النوعين ما أشبههما في الماضي والحاضر .

٤ - التعرف في عبارات الكتاب والسنة ، بالعبارات المبتدعة .

وهذه الطرق الثلاث قد تضمنتها الأولى ، ويجمعها كلها :
الابتداع و تقليد المتكلمين .

وسياتى هذا ان شاء الله تعالى مفصلاً في (موقف ابن الوزير من
الابتداع والتقليد) .

ومما ينبغي التنبيه اليه أن معظم الفرق ، تاهوا في البحث ،
والتدقيق في الأمور الآتية :

١ - الكلام في ذات الله - عز وجل - على جهة التفصيل أو الا حاطة ،
فقد ثبت النهي عن ذلك كما سياتى بيانه .

٢ - النظر في سر القدر السابق في الشرور ، مع عظم رحمة الله تعالى ،
وأنها غلبت غضبه ، وأنه على كل شيء قدير .
ويلحق بهما البحث في :

٣ - فواتح بعض السور ، لمعرفة المراد منها .

٤ - البحث في المجل الذي لا يظهر معناه بعلم ولا ظن . (١)

وسياتى هذا مفصلاً ان شاء الله تعالى في (الأسماء والصفات)
وفي موقف ابن الوزير من الابتداع . . .) .

(١) ما تضمنته الأرقام مقتبس من كلام ابن الوزير وسياتى الإشارة الى
مصادره في فصل (الابتداع والتقليد) وفي (الاسماء والصفات)
ان شاء الله تعالى . -

حديث افتراق الأمة والكلام عليه :

ثم ان هذا الاختلاف قد أخبر به الصادق المصدوق قبل وقوعه ، وذلك من دلائل صدق نبوته ، فقد قال عليه الصلاة والسلام - : (تفرقت اليهود على احدى وسبعين فرقة ، أو اثنتين وسبعين فرقة ، والنصارى مثل ذلك ، وتفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة (١)) .

وفى رواية عن ابن عمر مرفوعا : (وتفرق أمتي على ثلاث وسبعين ملة ، كلهم في النار الا ملة واحدة ، قال : من هي يا رسول الله ؟ قال : (ما أنا عليه وأصحابي) (٢)) .

وفى رواية عن أبي هريرة مرفوعا : (افتقرت اليهود على احدى أو ثنتين وسبعين فرقة ، وتفرقت النصارى على احدى أو ثنتين وسبعين فرقة ، وتفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة .)

وفى رواية عن معاوية مرفوعا عن طريق أزهر الحرازى : (. . ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب . . . افترقوا على ثنتين وسبعين ملة ، وان هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة ، ثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى الجماعة) (٣) .

-
- (١) سنن الترمذى بتحفة الأحوذى ج ٧ - الايمان باب افتراق هذه الأمة ص ٣٩٧ - ٣٩٨ عن أبي هريرة وقال الترمذى : حديث حسن صحيح .
- (٢) سنن الترمذى بتحفة الأحوذى ج ٧ - الايمان باب افتراق هذه الأمة ص ٣٩٩ - ٤٠٠ وقال الترمذى : هذا حديث حسن غريب لأن فى سنده عبد الرحمن بن زياد الأفرقى (وهو ضعيف) كذا فى تحفة الأحوذى ج ٧ ص ٤٠٠ وقال البخارى : فى حديثه بعض المناكير كذا فى الضعفاء الصغير له ص ٧٠ دار الوعى حلب .
- (٣) سنن أبي داود مع عون المعبود ج ١٢ كتاب السنة ص ٣٤٠ - ٣٤٢ مسند أحمد ج ٢ ص ٣٣٢ سنن ابن ماجه ج ٢ الفتن ص ١٣٢١ - ١٣٢٢ مجمع الجامع الصغير وزيادته للالبانى ج ١ ص ٣٥٧ وسلسلة الاحاديث الصحيحة رقم ٢٠٣ - ٢٠٤ كلاهما طبع المكتب الاسلامى وذكر حديث معاوية بن الوزير ضمن الستين حديثا التى سرد روايتها
- ====

قال الامام أحمد بن حنبل وقد ذكر عنده هذا الحديث : (ان لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري منهم) (١) .

وفى رواية عن عوف بن مالك الاشجعي مرفوعا : (تفرق امتي على بضع وسبعين فرقة اعظمهم فتنة على امتي قوم يقيسون الأمور بأرائهم فيحللون الحرام ويحرمون الحلال) (٢) .

=== عن معاوية فى (العواصم) ج ١ ورقة ١٧٧ وفى الروض ٣٠ حديثا ج ٢ ص ٢٦٢ وهذا الحديث قد رواه جماعة من الصحابة غير هؤلاء . رضوان الله عليهم اجمعين منهم أنس بن مالك وابو سعيد الخدرى وأبى بن كعب وأبو أمامة وغيرهم ، وانظر الشريعة للأجرى سنة ٣٦٠ هـ ص ١٤ - ١٥ تحقيق محمد حامد الفقى مطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٦٩ هـ كما ذكره ابن الوزير ايضا فى (العواصم والقواصم) خ له ج ١ ورقة ١٧٣ ولم أجد مانسبه اليه الكوشى كما حكاه عنه الالبانى فى الاحاديث الصحيحة فى الكلام على حديث الافتراق هذا رقم ٢٠٤ من ان ابن الوزير قال : (اياك ان تغتر بزيادة : كلها فى النار ، الا واحدة) فانها زيادة فاسدة ، ولا يبعد ان تكون من دسسين الملاحدة ، وقد قال ابن حزم : (ان هذا الحديث لا يصح) وانما الذى نسبته ابن الوزير الى ابن حزم قوله : (وعن ابن حزم ان هذه الزيادة موضوعة) ذكر هذا ابن الوزير فى أثناء دفاعه عن الصحابة ، ومنهم معاوية الذين طعن فيهم الشيعة) ومنهم الزيدية حيث سرد ماله من الاحاديث فى كتب السنة مع شواهدا من طرق اخرى عن جماعة من الصحابة - رضى الله عنهم اجمعين - كما ذكرت سابقا وذكر ما حكم به الترمذى على الحديث .

(١) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادى ص ٢٥ .

(٢) رواه ابن حزم بسنده فى المحلى ج ١ ص ٨٢ تحقيق وتصحيح زيدان أبو المكارم وحسن زيدان طلبه دار الاتحاد العربى للطباعة سنة ١٣٨٢ هـ ولم أجد كلاما لابن حزم يقدر فى هذه الرواية أو فى غيرها وقد يوجد كلام له لم اطلع عليه فقد وجدت وسمعت ان ابن حزم حكم بوضع هذا الحديث ولم أجد ذلك لا فى (المحلى) ولا فى (الفصل) كما قيل ، كذلك مانسبه الكوشى الى ابن الوزير لم أجده لكنى لا أجزم بنفيه ولا اثباته فقد بحثت عن هذه الكلمة فى (العواصم) خ حتى كنت عيناى لان النسخة المصورة عندى غير واضحة والله اعلم .

استدراك :

بعد تحرير ماسبق وجدت ما أسنده الكوشى الى ابن الوزير ، من
القدح فى زيادة : (كلها فى النار الا واحدة) من حديث معاوية
لأن فى سنده - كما قال ابن الوزير - ناصب^(١) ، وذلك أثناء
تعداد ابن الوزير فضائل الأمة المحمدية المرحومة ، وأنه يدخل الجنة
منهم سبعون ألفا بغير حساب ولا عذاب^(٢) ، ومع كل ألف سبعون ألفا ،
وثلاث حثيات من حثيات ربنا . (٣)
وأن النبى صلى الله عليه وسلم - خير بين أن يدخل نصف أمته الجنة وبين
الشفاعة ، فاختار الشفاعة لمن مات لا يشرك بالله شيئا^(٤) ، وأنهم أكثر
صفوف أهل الجنة^(٥) وأنهم كالشجرة البيضاء - بالنسبة لسائر
الأمم فى الثور الأسود . (٦)
كما ذكر هذا ابن الوزير أيضا أثناء تعرضه بغلاة الفرق الذين يكفر
بعضهم بعضا ، بدون دليل شرعى قطعى ، بل لمجرد دعوى كل طائفة

-
- (١) هو ازهر بن عبد الله الهوزرى وينسب الحرازى قال الحافظ فى تهذيب
التهذيب ج ١ ص ٢٠٤ - ٢٠٥ الهند ط أولى سنة ١٣٢٢ هـ قال
ابن الجارود فى كتابه الضعفاء كان يسب عليا ، وقال ابو داود :
انى لأبغى أزهر الحرازى ، وقال الحافظ أيضا : لم يتكلموا إلا فى
مذهبه ، وقد وثقه العجلى وقال فى التقريب ج ١ ص ٥٢ صدوق
تكلموا فيه للتصب وهذا يدل على دقة كلام ابن الوزير ، وأنه من أهل
هذا الفن .
- (٢) معنى حديث رواه البخارى ج ٧ كتاب الرقاق باب ومن يتوكل على الله
فهو حسبه ص ١٨٣ ومسلم ج ١ كتاب الإيمان باب الدليل على دخول
طوائف الجنة بغير حساب ولا عذاب ص ١٩٧ - ١٩٩ .
- (٣) معنى حديث رواه الترمذى فى سننه مع تحفة الاحوذى ج ٧ ص ١٢٩
وقال حديث حسن غريب .
- (٤) معنى حديث أخرجه الشيخان البخارى ج ٧ كتاب الرقاق باب كيف
الحشر ص ١٩٥ ومسلم ج ١ كتاب الإيمان باب كون هذه الأمة نصف أهل
الجنة ص ٢٠٠ .
- (٥) معنى حديث رواه الترمذى فى سننه مع التحفة ج ٧ ص ٢٥٥ وقال : حديث
حسن .
- (٦) معنى حديث أخرجه الشيخان البخارى ج ٧ كتاب الرقاق باب كيف الحشر
ص ١٢٦ ومسلم ج ١ كتاب الإيمان باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة
ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

أنها هي الناجية ، قال ابن الوزير في هذه الزيادة : (وإياك والاغترار
 " بأكملها هالكة الا واحدة " فانها زيادة فاسدة غير صحيحة القاعدة ،
 ولا يوء من أن تكون من دسيس الملاحدة) ، وعن ابن حزم سنة ٤٥٦ هـ
 أنها موضوعة ^(١) ، وكذلك جميع ماورد في ذم القدريّة والمرجئة والاشعرية ^(٢)
 فانها أحاديث ضعيفة غير قوية ذكر تلك الحافظ زين الدين أبو حفص
 عمر بن بدر الدين الموصلى سنة ٦٢٣ في كتابه (المغنى عن الحفظ
 والكتاب) ^(٣) بقولهم لم يصح شىء في هذا الباب ٠٠٠ وأين هذه الاحاديث
 من الدليل القطعى الذى شرطناه - أى فى التكفير - وأين هى من ملائمة
 كتاب الله - تعالى - وسنة رسوله - عليه أفضل الصلاة والسلام - قال تعالى :

(١) أسند هذا ابن الوزير الى ابن حزم ^(٠٠) فى مواضع من كتاب (العواصم
 والقواصم من ذلك فى ج ١ ورقة ١٢٣ وحكاه عن صاحب (البدر
 المنير) الحافظ ابن الملقن النحوى الشافعى وقد بحث عنه ولم
 أقف عليه ومن أسند هذا الى ابن حزم ، انكوشى كما حكاه عنه الالبانى
 فى سلسلة الاحاديث الصحيحة اثناء تصحيحه لهذه الزيادة رقم
 الحديث ٢٠٤ ومحمد محى الدين عبد الحميد محقق (الفرق بين
 الفرق) للبغدادى فى المقدمة سمعت بعنر مشايخنا يحكى الضعف
 والوضع لهذه الزيادة عن ابن حزم ، وقد أخرج لها الالبانى سبع طرق
 كلها واهية الا واحدة فى سنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٣٢٢ من طريق
 الوليد بن مسلم فهو وان كان مدلسا فقد صرح بالتحديث فالسند
 صحيح ، لكن لا يلزم من ذلك صحة المتن كما هو مقرر فى علوم الحديث .
 (٢) الاشعرية لم أقف على ذكرهم فى الحديث .

(٣) أنظر المغنى عن الحفظ والكتاب فيما لم يصح فيه شىء من الاحاديث
 للموصلى ص ١٩ ط السلفية بالقاهرة سنة ١٣٤٢ هـ وقد
 نقده أبو اسحق الحوينى الأثرى حجازى بن محمد شريف (معاصر)
 بكتاب عنوانه (فصل الخطاب بنقد كتاب المغنى عن الحفظ والكتاب
 ص ٣ ط دار الكتب العلمية بيروت كذلك الشاطبى صرح فى الاعتصام
 ج ٢ ص ٢٢٧ بأن أحاديث القدريّة غير صحيحة وقال ابن الجوزى
 فى الموضوعات ^{ص ٢٦٨} حديث القدريّة مجوسى هذه الامة موضوع وضعه الابرد
 ابن الاشرس .

(٠٠) وكذلك المحدث أحمد شاكرفى هامش المحلى ج ١ ص ٨٢ تحقيق
 أحمد شاكرفى نفسه وصرح باسناد الوضع الى ابن حزم فى كتابه (الفصل)

(وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ، ولكن ما تعمدت قلوبكم) (١) وقال تعالى : (ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) (٢) فقيّد ذمهم بـ علمهم وقال تعالى : (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا) (٣) وضح في تفسيرها أن الله تعالى قال : (قد فعلت من حديث ابن عباس (٤) ومن حديث أبي هريرة (٥) قال : نعم ، وقال تعالى في قتل المؤمن من مع التغليظ العظيم فيه : (وما كان لمؤمن من ان يقتل مؤمناً الا خطأ) (٦) الى قوله تعالى : (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً) (٧) فقيّد الوعيد في ذلك بالتعمد .

وقال في قتل الصيد : (فمن قتله منكم متعمداً فجزاءه مثل ما قتل من النعم) (٨) قيّد الجزاء بالتعمد أيضاً وأما رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام فانه شرع بين المسلمين المؤمن أخاه ، وغلظ في المهاجرة والمنافاة ، والتكفير والمعاداة فكفر من كفر أخاه . (٩) ومن المتواتر

=== وقد رجعت اليه مرارا ولم أقف عليه كذلك المحدث الالباني ذكر في سلسلة الاحاديث الصحيحة أن الشوكاني قال هذه الزيادة ضعيفة .

- (١) سورة الاحزاب آية : ٥ .
- (٢) سورة آل عمران آية : ٣٥ .
- (٣) سورة البقرة آية : ٢٨٦
- (٤) رواه مسلم ج ١ كتاب الايمان باب بيان أنه سبحانه لا يكلف الا ما يطاق ص ١١٥ - ١١٦ .
- (٥) المصدر ذاته الجزء والصفحة .
- (٦) سورة النساء : آية ٩٢ .
- (٧) سورة النساء : آية ٩٣ .
- (٨) سورة المائدة آية : ٩٥ .
- (٩) معنى حديث رواه مسلم ج ١ كتاب الايمان باب بيان حال ايمان من قال لاخيه المسلم يا كافر ص ٧٩ ولفظه : (اذا كفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما) وفي لفظ : (إن كان كما قال والا رجعت عليه) ورواه البخاري أيضا ج ٢ كتاب الادب باب من كفر أخاه ص ٩٢ .

حديث : (من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) (١) فشرط التعمد في الكذب عليه الذي هو احدى الكبائر^(٢) وغير ذلك من الادلة التي ذكرها ابن الوزير . الدالة على الفرق بين متعمد البدعة من طوائف المسلمين والمخطئين ، ومن ذلك حديث : (ان الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) (٣) وفي لفظ : (ان الله تجاوز (٠٠٠) وأصله في الصحيحين بلفظ : (ان الله تجاوز لى عن أمتي ما وسوست به صدورهم ما لم تعمل أو تكلم به) (٤) لكنه ليس في محل النزاع .

-
- (١) هذا الحديث متواتر وهو أشهر من أن يحتاج الى تخريج ، وانظر البخارى ج ١ كتاب العلم باب حفظ العلم ص ٣٨ ومسلم ج ٤ كتاب الزهد باب التثبت في الحديث ص ٢٢٩٩ .
- (٢) العواصم والقواصم خ لابن الوزير ج ١ مقدمة ورقة ٤ وما بعدها .
- (٣) سنن ابن ماجه ج ١ ص ٩٥٩ ومسنند أحمد ج ٢ ص ٣٩٨ وأورده ابن كثير في تفسيره ج ١ ص ٥٠٦ عن ابن عباس وفي سننه الوليد بن مسلم عن الاوزاعي وهو ثقة مدلس لكنه صرح بالتحديث ويؤيده ان الله تعالى اجاب دعوة المؤمنين في قوله : (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو اخطانا) كما سبق وقال النووي في الاربعين حديث حسن رقم الحديث ٣٩ .
- (٤) متفق عليه البخارى ج ٣ كتاب العتق باب الخطأ والنسيان ص ١١٩ ومسلم ج ١ كتاب الايمان باب تجاوز الله عن حديث النفس ص ١١٦ - ١١٧ .

ماحكم أصحاب البدع ؟

إن كلام ابن الوزير — كما رأيت — منصب على زيادة : (كلها في النار إلا واحدة) فإنها تحتل خروج الثنتين والسبعين فرقة من الملة بسبب ما أحدثوا من البدع قال الشاطبي : (إن هذه الفرق تحتل من جهة النظر أن يكونوا خارجين عن الملة بسبب ما أحدثوا فهم قد فارقوا أهل الاسلام بإطلاق وليس ذلك إلا الكفر إذ ليس بين المنزلتين منزلة ثالثة تتصور) (١) ولأنه وعيد شديد ، إذ لا معنى للحكم عليها بالنار إلا هذا ، إلا أن تنزل منزلة مرتكبى الكبائر — ما عدا الشرك بالله تعالى — من أهل القبلة عند أهل السنة والجماعة ، وذلك أنهم فى الدنيا فساق أو عصاة غير خارجين من الملة ، وفى الآخرة تحت مشيئة الله - تعالى - إن شاء غلبهم بالنار وذلك بمقتضى عدله ، ثم يخرجهم منها ، وإن شاء غلبهم ، وذلك بمحض عفوه وكرمه ، وسعة رحمته — جل وعلا — وهذا فى حق من مات مصرا على المعصية فذلك لا يخرجهم من الأمة المحمدية .

بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : (وتفرق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة أو ملة) ففى قوله : (أمتى) دلالة واضحة على أن هذه الفرق كلها غير خارجة من الملة ، فقد أضافهم النبى صلى الله عليه وسلم جميعا إليه ، وكيف يخرجون من الملة ، وكل فرقة تدعى التمسك بالشرعية ؟ ! إلا أن يقال إن المراد بالأمة هنا المعنى الأعم باعتبار عموم رسالة محمد عليه الصلاة والسلام — للعالمين ، ومنهم الجن وأهل الكتاب (قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعا) (٢) (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) (٣) (تبارك الذى نزل الفرقان - على عبده ليكون للعالمين نذيرا) (٤) وعليه فتقسم الأمة الى قسمين :

(١) الاعتصام للشاطبي ج ٢ ص ١٩٤ ط بيروت .

(٢) سورة الأعراف آية : ١٥٨ .

(٣) سورة الانبياء آية : ١٠٧ .

(٤) سورة الفرقان آية : ١٠ .

- ١ — أمة اجابة ، وهم كل من دخل فى دين الاسلام ، اجابة لدعوة الرسول — صلى الله عليه وسلم — ، وتصديقا بكل ما جاء به .
- ٢ — وأمة دعوة ، وهم الذين بلغتهم الدعوة المحمدية من الانس والجن ، فأعرضوا ، وكذبوا ، وتحمل الفرق الهالكة على هذا من أمة الدعوة ، لكن هذا منتقض بأن الحديث ذاته قد صرح بافتراق اليهود والنصارى .
وعليه فالثنتان والسبعون هى الهالكة من أمة الاجابة وهذا هو محل الاشكال لما سبق من المعارضات القوية لهذه الزيادة ، ولما يرد هنا من التساؤلات ، منها :
هل هذا الوعيد للثنتين والسبعين فرقة — على القول بصحة زيادة :
(كلها فى انار الا واحدة) يقتضى التأييد أم لا ؟
واذا قيل : أنه غير أبدى ، هل هو نافذ ؟ أم فى المشيئة ؟ الجواب :
اذا قيل بالاول فهو مبنى على أن بعض البدع مخرجة من الملة — كما سيأتى — وهذا يستلزم التأييد ، بناء على القاعدة المعروفة ، ان الكفر والشرك لا يغفرهما الله — تعالى — لمن مات مصرا عليهما أو على أحدهما ، وعلى هذا فالثنتان والسبعون فرقة كلها فى النار خالدون مخلدون ، فماذا نصنع بفضائل الامة المحمدية المرحومة التى تضافرت الادلة على انها أكثر أهل الجنة وأنها كالشجرة البيضاء — بالنسبة لسائر الأمم — فى الثور الاسود ، وما جدوى أحاديث الشفاعة المتواترة بأنواعها ؟
واذا قيل بالثانى ، وهو عدم تأييد الوعيد ، فيحمل على مذهب أهل السنة والجماعة فى حكم مرتكب الكبيرة ، اذا مات مصرا عليها — مع العلم بأن التوبة تجب ما قبلها كالاسلام — يجب ما قبله — وعلى هذا تحمل الزيادة المذكورة بعدم تأييد الوعيد على ما بينته قريبا — على ضوء قوله تعالى : (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) (١) على خلاف فى قتل العمد لقوله تعالى : (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها ، وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما) (٢)

(١) سورة النساء آية : ٤٨ — ١١٦ .

(٢) سورة النساء آية : ٩٣ .

وهل يلحق بهذا التهديد والوعيد صاحب البدعة فى قوله تعالى :
(ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك
لهم عذاب عظيم) ثم قال : (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) ، وهذا الوصف
علامة الخزي فدخل النار . ثم قال : (أكثرتم بعد إيمانكم) وهو تقريع
وتوبيخ ، ثم أكد ذلك بقوله : (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) (١) .
وهذا الخطاب كما هو ظاهر السياق موجه الى أهل البدع والفرقة من
المصلين .

بيان ذلك أن المبتدع إذا اتبع بُدعته ، لم يمكنه التلافى منها غالباً ،
ولا يزال أثرها فى الأرض الى قيام الساعة ، فأيهما أدهى ، قتل النفس
عمداً ، أو البدعة المتبعة الى قيام الساعة ؟
فى نظر الشاطبى : البدعة المتبعة أدهى ، فيحمل على أهل البدع فى
الكليات المخرجة من الملة لأن الابتداء الجزئى فى الفروع ، لا يبلغ مبلغ
الابتداء فى الكليات فى الذم والتحريح بالوعيد ، لكنهم اشتركوا فى المعنى
المقتضى للذم والوعيد . (٢)

وقد فصل الخطاب فى هذا الباب شيخ الاسلام ابن تيمية ، بذكر
اصلين حاصلهما ما يلى :

الأول : أن يعلم أن الكافر فى نفس الامر من أهل القبلة لا يكون الا منافقاً ،
وصنف الناس - تحت هذا الاصل - ثلاثة اصناف لارابع لها وذلك فى اثناء
كلامه على حديث افتراق الامة هذا بعد أن ذكر أصول المبتدعة ، وهم الخوارج ،
والروافض ، والقدرية ، والمرجئة ، والخلاف فى تكفير بعضهم ، قسم الناس
بعد هذا الى مؤمن وكافر ومنافق ، ذكرهم الله تعالى فى أول سورة
البقرة ، وميز بينهم بصفاتهم المذكورة فى تلك الآيات ، وأن المنافقين وان

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٦ .

(٢) أنظر تفاصيل كلام الشاطبى فى (الاعتصام) له ج ٢ ص ٢٤٦ - ٢٦٠
وقد أطال الكلام على معنى حديث افتراق الامة واستبطنه ستاً
وعشرين مسألة .

أظهروا الاسلام ، فهم في الباطن شر من الكفار (ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار) (١) (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره ، إنهم كفروا بالله ورسوله) (٢) وغير ذلك من الآيات .

وإذا كان الأمر كذلك ، فأهل البدع فيهم المنافق الزنديق ، فهؤلاء كافر ، ويكثر مثل هذا في الرافضة والجهمية ، فان رؤساءهم كانوا منافقين زنادقة ، ولهذا كان الزنادقة المنافقون من الباطنية المتفلسفة وأمثالهم يميلون الى الرافضة ، والجهمية لقربهم منهم ومن أهل البدع من يكون فيه ايمان باطنا وظاهرا ، لكن فيه جهل وظلم ، حتى اخطأ ما أخطأ من السنة ، فهذا ليس بكافر ولا منافق وقد يكون عاصيا أو فاسقا ، وقد يكون مخطئا متاولا ، مغفورا له خطؤه ، وقد يكون مع هذا ، معه من الايمان والتقوى ، ما يكون معه من ولاية الله - تعالى - بقدر ايمانه وتقواه .

وهذا يؤيد ما ذهب اليه ابن الوزير ، من عدم التكفير للأمة المحمدية المرحومة ، بل لطوائف المسلمين ، وهذا أصل من أصول أهل السنة من أنهم لا يكفرون أحدا من أهل القبلة بذنوب ، ما لم يستحلّه ، فكذلك لا يكفرون أحدا لبدعة إذا كان متاولا مخطئا .

الأصل الثاني : ان المقالة تكون كفرا ، كمن جحد أمرا معلوما من الدين بالضرورة ، واجبا أو محرما ، ومقالات الجهمية من هذا النوع ، فانها جحد لما هو الرب تعالى - عليه ، ولما أنزل الله على رسوله .

ثم ان القائل بهذا قد يكون ممن لم يبلغه الخطاب ، كحديث العهد بالاسلام ، أو من نشأ ببادية بعيدة ، لم تبلغه شرائع الاسلام فهذا لا يحكم بكفره ، بجحد شيء ، اذا لم يعلم أنه أنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم . (٣)

(١) سورة النساء آية : ١٤٥ .

(٢) سورة التوبة آية : ٨٤ .

(٣) مقتبس من كلام ابن تيمية مجموع فتاويه ج ٣ ص ٣٥٠ - ٣٥٤ ، ج ٢٣ ص ٣٤٥ وما بعدها .

وسياتى كلام ابن الوزير بمعنى هذا فى موقفه من مسألة التكفير هذه ان شاء الله تعالى .

ومما يؤيد ما ذهب اليه ابن الوزير من القدح فى الزيادة المذكورة ، الاشكال الذى أورده صاحب (العلم الشامخ ^(١)) فى تفضيل الحق على الآباء والمشائخ) بقوله : (حديث افتراق الأمة الى ثلاث وسبعين فرقة رواياته كثيرة يشد بعضها بعضا بحيث لا يبقى ربة فى حاصل معناها . . . والاشكال فى قوله : (كلها فى النار الا ملة) فمن المعلوم أنهم خير الامم ، وأن المرجو أن يكونوا نصف أهل الجنة مع أنهم فى سائر الامم كالشعيرة البيضاء فى الثور الأسود حسبما صرحت به الاحاديث ^(٢)) ، فكيف يتمشى هذا ؟ فبعض الناس تكلم فى ضعف هذه الجملة وقال : هى زيادة غير ثابتة . وبعضهم تأول الكلام بأن الفرقة الناجية صالحوا كل فرقة ، وهو كلام منتقض ، لان الصلاح إن رجع إلى الافتراق فهم فرقة واحدة ، لا أفراد من الفرق . وان رجع الى غير ذلك ، فلا دخل له ، لأن الكلام أنهم فى النار لأجل الافتراق وما صاروا به فرقا ^(٣)) . ثم ذكر كلاما طويلا مفيدا فى باب خلاصته ما يلى :

— الناس قسمان : عامة وخاصة .

فالعامة — كالنساء والعبيد ، ورعاء الشاء والسوقة ونحوهم — لاشك فى

-
- (١) هو العلامة صالح بن مهدى المقبلى أحد مجتهدى علماء اليمن جرت بينه وبين علماء صنعاء مناظرات أدت الى المنافرة ثم الارتحال الى مكة المكرمة فجاور بها حتى مات سنة ١١٠٨ هـ وصنف هذا الكتاب فى مكة بعد أن برع فى علوم الكتاب والسنة والعربية والمعانى والبيان ، وله مصنفات مقبولة عند العلماء محبوبة .
- (٢) سبق ان هذا معنى احاديث مخرجة عند استشهاد ابن الوزير بها ص ١٧٩
- (٣) العلم الشامخ فى تفضيل الحق على الآباء والمشائخ للمقبلى ص ٤١٤ — ٤١٥ ط أولى بمصر بدون ذكر المطبعة ، وانظر طبعة دار البيان دمشق تحقيق عبد الرحمن الاريانى اليمنى ص ١٣٥ .

براءة آخرهم كأولهم من الابتداع .

وقسم الخاصة الى أربعة أقسام :

القسم الأول : مبتدع اختراع البدعة وجعلها نصب عينيه ، وبلغ في تقويتها كل مبلغ ، وجعلها أصلا يرد إليها صرائح الكتاب والسنة ، ثم تبعه أقوام من نمطه ، وربما جددوا بدعته وفرعوا عليها ، وحملوه مالا يتحمل ولكنه إمامهم المقدم ، فهو ^١ لا هم المبتدعة حقا ، وهو شئ ^٢ كبير ، (تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا) (١)

كفى حكمة الله — تعالى — ، ونفى إقداره المكلف ، وكونه يكلّف مالا يطاق ، وأخواتهن ، وهو ^٣ لا مبتدعة قطعاً .

القسم الثانى : من تبع هو ^٤ لا وناصرهم بالتدريس والتأليف ، ولكنه عند نفسه راجع الى الحق ، وقد دس في مصنفاته نقوضها في مواضع على وجه خفى ، لعله عظم عليه انحطاط نفسه ، أو تخيل مصلحة دينية . وبالجملّة فهذا قد عرف الحق من الباطل ، وتخطى تصرفاته ، وحسابه على الله ، وما تكاد تجد أحدا من هو ^٥ لا النظار الا قد فعل ذلك ، لكن شرهم كثير ، لأنه لا يفتن لتلك اللّمة الخفية التى دسوها الا الاذكياء المحيطون بالبحث ، وهو ^٦ لا ظاهرهم الابتداع .

القسم الثالث : من ليس من أهل التحقيق ، ولا هى ^٧ للهجوم على الحقائق ، وقد تدرب في كلام الناس ، وعرف أوائل الابحاث وحفظ كثيرا من غشائى ما حصلوه ، ولكن بينه وبين أرواح الابحاث حائل ، وقد يكون لقصور الهمة والاكتفاء والرضا من اسلافهم ، لوقعهم في النفوس ، وهو ^٨ لا هم الاكثرون عددا ، والارذلون قدرا ، فانهم لم يحظوا بخصيصة الخاصة ، ولا أدركوا سلامة العامة ، وهو ^٩ لا لهم حكم الابتداع ، وحساب هو ^{١٠} لا الثلاثة على الله — عز وجل — .

القسم الرابع : (ثلّة من الأولين وقليل من الآخرين) (٢) اقبلوا على الكتاب

(١) سورة مريم آية ٩٠ .

(٢) سورة الواقعة آية : ١٣ — ١٤ .

والسنة ، وساروا بسيرهما ، وسكتوا عما سكتا عنه ، وأقدموا وأحجموا بهما ، وتركوا تكلف مالا يعينهم ، وكان السلامة وحياة السنة أثر عندهم من حياة نفوسهم ، وقرّة عين أحدهم تلاوة كتاب الله تعالى ، وفهم معانيه على السليقة العربية ، والتفسيرات المروية ، ومعرفة ثبوت الحديث النبوي ، فهو لاء هم أهل السنة حقا ، والفرقة الناجية ، واليهم العامة بأسرهم ، ومن شاء ريك من أقسام الخاصة الثلاثة المذكورين بحسب علمه بقدر ريدعتهم ونياتهم . (١)

ثم قال : (اذا حققت جميع ما ذكرنا لك ، لم يلزمك سوء ال المحذور ، وهو الهلاك على معظم الأمة ، لأن الأكثر عددا هم العامة قديما وحديثا ، وكذلك الخاصة في الأعصار المتقدمة ، ولعل القسمين الأوسطين ، وكذا من خفت بدعته من الأول تتقدّم رحمة ريك من النظام في سلك الابتداع ، بحسب المجازاة الأخروية ، ورحمة ريك أوسع لكل مسلم ، لكما تكلفنا على مقتضى الحديث ، وصدّاقه ، وأن أفراد الفرق المبتدعة وان كثرت الفرق فلعله لا يكون مجموع أفرادهم جزءا من ألف جزء من سائر المسلمين ، فتأمل هذا تسلم من مناقضة هذا الحديث لأحاديث فضائل الأمة المرحومة . (٢)

فأنت ترى أن لهذا الكلام قيمته العلمية فقد صور الاقسام تصويرا مطابقا للواقع ، لكنه يشعر بتغليب جانب الرجاء كما يصرح بأن ظاهر الزيادة المذكورة : (كلها في النار الا واحدة) مناقضة لأحاديث فضائل الأمة — كما قال ابن الوزير — لكنه لم يأل جهدا في التوفيق بين النصوص ، فقد كان موفقا في هذا الجمع كما سيأتي قريبا . ثم ان كلام المقبلي يشير الى تغليب الفرقة الناجية على الفرق الهالكة ، اذ أدخل في القسم الرابع من تقسيمه — وهم أهل السنة — العامة بأسرهم ، ومن شاء الله من أقسام الخاصة الثلاثة ، وهذا تكثير للفرقة الناجية ، وتقليل منه للهالكة ، وهذا مبني على أن حكم معظم أهل البدع — غير المخرجة من الملة — هو حكم مرتكب الكبيرة اذا مات مصرا عليها — ماعدا الشرك بالله — عز وجل — في الدنيا يكون عاصيا أو فاسقا ، وفي الآخرة تحت مشيئة الله — تعالى — ان شاء الله غنا عنه ، وان شاء عذبه بقدر جريمته ، كما تقرر وتكرر عند أهل السنة . وسيأتي مقررا ومكررا في عدة مناسبات من هذه الرسالة ، ردا على من

(١) العلم الشامخ للمقبلي ص ٤١٤ وما بعدها .

(٢) العلم الشامخ للمقبلي ص ٤١٢ وفي طبعة دار البيان بدمشق

يقول بكفر وتخليد مرتكب الكبيرة في النار .
ثم أكد المقلبي هذا الكلام بأن أفراد الفرق المبتدعة ، وإن كثرت الفرق فلعلمه
لا يكون مجموع أفرادهم جزءاً من الف جزء من المسلمين ، أى باعتبار العامة
من المسلمين ، ومن شاء الله من أقسام الخاصة ، وهذا وجه حسن
لكنه مبنى على القول بصحة الزيادة المذكورة في حديث افتراق الأمة .
وقوله : (فتأمل هذا تسلم من مناقضة هذا الحديث لأحاديث فضائل الأمة
المرحومة) هو مضمون قول ابن الوزير : (وإياك والاعتزاز بكلها هالكة ،
فإنها زيادة فاسدة ، غير صحيحة القاعدة) . وقد سبق التدليل والتعليل على ذلك
من كلام ابن الوزير .
لكن المقلبي لم يتعرض للحكم على أهل البدع مع أنه قسمهم الى ثلاثة
أقسام ، ولم يشر الى ذلك ولا فى القسم الأول الذى اخترع البدعة وجعلها
نصب عينيه ، وجعلها أصلاً يرد اليها صرائح الكتاب والسنة ، وفى هذا
دلالة على أنه تبع ابن الوزير فى التوقف عن التكفير لأهل القبلة ويغلب
على الظن أنه اطلع على كلامه فى (إيثار الحق على الخلق) ولذلك اقتبس
منه عنوان كتابه : (العلم الشامخ فى تفضيل الحق على الآباء والمشايخ)
والآن نعرض مقتطفات من كلام ابن الوزير فى هذه المسألة الشائكة :

مسألة التكفير وموقف ابن الوزير منها :

لقد أطال ابن الوزير الكلام فى هذه المسألة بذكر الأقوال
وأدلتها ومناقشتها ، والذى يهمنى هو عرض أفكاره وإخراجها للقارىء
بسهولة وهى مطولة ولكن حاصلها ان الكفر ثلاثة أنواع (١) :

الأول : كفر التكذيب المتعمد لشيء من كتب الله تعالى المعلومة ، أو
لاحد من رسله - عليهم السلام - ، أو لشيء مما جاءه من معلوم من
الدين بالضرورة ، ولا خلاف ان هذا كفر ، ومن صدر عنه فهو كافر اذا كان
مكلفاً مختاراً .

(١) أنظر إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٤١٥ وما بعدها ومجموع
فتاوى ابن تيمية ج ٣ ص ٣٥٣ - ٣٥٤ .

الثانى : كفر الجحود ، وهو أن من جحد ذلك المعلوم من الدين بالضرورة للجميع ، وتسترباسم التأويل ، فيما لا يمكن تأويله ، كتأويل الباطنية الملاحدة ، لجميع أسماء الله الحسنى ، بل جميع القرآن والشرائع والمعاد الاخرى من البعث والجنة والنار وغير ذلك وهذا الاخلاف فيه أيضا ، وسيأتى الكلام على الباطنية فى فصل خاص ان شاء الله - تعالى - وهذا يتضمن الصنف الثالث من تصنيف شيخ الاسلام السابق ذكره وهم المنافقون الزنادقة بما فيهم روءساء الجهمية والباطنية والرافضة ، والمتضمن للاصل الثانى وهو تكفير من جحد أمرا معلوما من الدين بالضرورة . (١)

الثالث : وهو الذى فيه الاشكال - كفر التأويل لمن التزم بأركان الاسلام الخمسة المنصوص على اسلام من قام بهاء منها حديث انس مرفوعا : (من شهد أن لا اله الا الله واستقبل قبلتنا وصلى صلاتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم له ما للمسلم وعليه ما على المسلم) . وفى لفظ آخر : (له ذمة الله وذمة رسوله فلا تخفروا الله فى ذمته .) (٢)

والاشكال حاصل فى تكفير من اتصف بهذا الحديث ونظائره ، اذا خالف المعلوم ضرورة للبحض أو الأكثر لا المعلوم له - وتناول ، وعلم من قرائن أحواله أنه ما قصد التكذيب ، أو التبس علينا فى حقه ، وأظهر التدين ، والتصديق بجميع الانبياء ، والكتب الربانية ، مع الخطأ الفاحش فى الاعتقاد ، ومضادة الادلة الجلية ، عقلا وسمعا ، مع القطع بقبح البدعة ، والإنكار لها ، والإنكار على أهلها ، وعدم الإنكار على من كفر كثيرا منهم .

(١) الايثار لابن الوزير ص ٤١٥ وأنظر معنى هذا فى الفصل لابن حزم ج ٤ ص ١٦ وما بعدها ، وما بسدها

(٢) البخارى كتاب الصلاة باب فضل استقبال القبلة ص ١٠٢ - ١٠٣ وسنن الترمذى بتحفة الاحوذى ج ٧ ص ٣٤٩ ، ومسند أحمد ج ٧ ص ١٩٩ - ٢٢٥ .

وهذا هو الذى حصل فيه التوقف لابن الوزير ووكل العلم والحكم فيه الى الله — عز وجل — مع عدم الاعتراض على من كفر أحدا من هذا النمط .
وهذا هو معنى كلام شيخ الاسلام فيمن يكون فيه ايمان وجهل وظلم وخطأ للسنة ، فهذا ليس بكافر ولا منافق ، فقد يكون فاسقا أو عاصيا أو متاولا مخطئا مغفورا له خطاه (١) وقد أيد ابن الوزير التوقف وعدم التكفير بثلاثة عشر وجهها مطولة نقتطف منها مايلي :

الوجه الأول : خوف الخطأ العظيم في التكفير ، سرد أحاديث كثيرة تدل على عظم تكفير أحد من أهل القبلة ، حتى حكم عليها بالتواتر ، منها :

١ — ما اتفق عليه الشيخان عن أبي ذر مرفوعا : (لا يرمى رجل رجلا بالفسوق ، ولا يرميه بالكفر الا ارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك) .

٢ — وما اتفق عليه الشيخان (٣) أيضا من حديث ابن عمر مرفوعا : (أيما رجل قال لأخيه : ياكافر ، فقد باء بها أحدهما) .

الوجه الثانى : من مرجحات ترك التكفير والتوقف نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم — فى هذه المسألة بالنص وهو حديث أنس مرفوعا : (ثلاث من أصل

(١) أنظر التفاصيل فى ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٤١٥ وما بعدها

ومجموع الفتاوى ابن تيمية ج ٣ ص ٣٥٣ — ٣٥٤ وأنظر تفاصيل هذه

الانواع الثلاثة وما فيها من الخلاف فى شرح مسلم للنووى ج ١ ص ٢٠٥

وما بعدها ، والفقهاء الاكبر لابى حنيفة مع شرحه لملا على القارى —

ص ١٠٢ — ١٠٤ وما بعدها دار الكتب بيروت ط أولى سنة ١٤٠٤ هـ

وفتح البارى لابن حجر ج ١٠ ص ٤٦٦ — ٤٦٧ والايمان لمحمد نعيم

ياسين ص ١٢١ وما بعدها جمعية عمال المطابع ط أولى سنة ١٣٩٨ هـ

(٢) البخارى واللفظ له ج ٧ كتاب الادب باب ما ينهى من السباب واللعن

ص ٨٤ مسلم ج ١ كتاب الايمان باب حال من رغب عن أبيه وهو يعلم ص ٨٠

(٣) البخارى ج ٧ كتاب الادب باب من كفر أخاه ص ٩٧ مسلم ج ١ كتاب

الايمان باب بيان حال من قال لأخيه المسلم ياكافر ص ٧٩ ، وسنن

أبى داود مع عون المعبود ج ١٢ ص ٤٤٣ وسند احمد ج ٥ ص ١٨١ .

الايمان ، الكف عن قال : لا اله الا الله ، ولا نكفره بذنوب ولا نخرجه من الاسلام بعمل (١) ومن ذلك معاملة على بن ابي طالب للخوارج ببرد أموالهم ، وعدم تكفيرهم حيث سئل عن كفرهم ، فقال : من الكفر فروا وفكفرهم خلاف حكاية النووي وشيخ الاسلام والحافظ في الفتح . (٢)

الوجه الثالث : أنها قد تكاثرت الأدلة في الكتاب والسنة ، في العفو عن الخطأ والظاهر أن أهل التأويل أخطأوا ، ولا سبيل إلى العلم بتعمدهم ، لأنه من علم الباطن ، الذي لا يعلمه إلا الله - عز وجل - (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم) (٣) (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا) (٤)

(٥) وقد سبق في تفسيرها أن الله تعالى قال قد فعلت كما في الصحيحين ، وهذا الخطاب خاص بأهل الاسلام .

وحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم ، قال : (أسرف رجل على نفسه ، فلما حضره الموت أوصى بنيه فقال : اذا أنا مت فأحرقوني ، ثم اسحقوني ، ثم اذروني في الريح في البحر ، فوالله لئن قدر على ربي ليعذبني عذابا ، ما عذبه أحدا قال : ففعلوا ذلك به ،

-
- (١) سنن أبي داود مع عون المعبود ج ٧ كتاب الجهاد ص ٢٠٥ - ٢٠٦
وفي مجمع الزوائد ثلاثة احاديث بمعناه وله شواهد سبعة في المجمع عن سبعة من الصحابة ج ١ ص ١٠٦ - ١٠٧ .
- (٢) انظر شرح مسلم للنووي ج ٢ ص ٥٠ ومجموع فتاوى ابن تيمية ج ٣ ص ٣٥٢ وفتح الباري لابن حجر ج ١٠ ص ٤٦٦ .
- (٣) سورة الاحزاب : آية : ٥
- (٤) سورة البقرة آية : ٢٨٦
- (٥) ص ٨١ / من الرسالة .
- (٦) قدر بفتح الدال له معنيان الاول لئن قدر على العذاب أى قضاء يقال قدر بالتخفيف والتشديد بمعنى واحد ، والثاني ان قدر هنا بمعنى ضيق على ومنه قوله تعالى : (فقد رزقه) في سورة الفجر ١٦ شرح مسلم للنووي ج ١٧ ص ٧١ .

فقال للارض أدنى ما أخذت ، فاذا هو قائم ، فقال له : ما حملك على ما صنعت ؟
فقال : خشيتك يا رب ، أو قال مخافتك فغفر له بذلك (١)

وجه استدلال ابن الوزير، إنما أدركته رحمة الله - عز وجل - لجهله
وايمانه بالله والمعاد ، ولذلك خاف العقاب ، وأما جهله بقدرة الله
تعالى - على ما ظننه محالا فلا يكون كفرا إلا إذا علم أن الأنبياء جاءوا
بذلك ، وأنه ممكن مقدور ، ثم كذبهم أو أحدا منهم لقوله تعالى : (وما كنا
معذبين حتى نبعث رسولا) (٢) .

وهذا أرجى حديث لأهل الخطأ في التأويل . (٣)
قلت وهو وجه من ستة أوجه ذكرها النووي في شرح مسلم (٤)
وغد شيخ الاسلام أن هذا المسرف على نفسه شك في قدرة الله
تعالى وفي المعاد حيث قال بعد إيراد الحديث المذكور : (فهذا شك
في قدرة الله وفي المعاد ، بل ظن أنه لا يعود ، وأنه لا يقدر الله عليه
إذا فعل ذلك وغفر الله له) (٥) .

وتعليق ابن الوزير يدل على أنه مؤمن بالله وبالمعاد حيث قال :
(وإنما أدركته الرحمة لجهله وإيمانه بالله وبالمعاد ، ولذلك خاف العقاب ،
وأما جهله بقدرة الله تعالى . . . (٦)) .

فأنت ترى أن ظاهر عبارة شيخ الاسلام أنه شك في قدرة الله وفي
المعاد ، وظاهر عبارة ابن الوزير أنه مؤمن بالله وبالمعاد ، وعمل لذلك
بخوفه عقاب الله ولا يخفى أن الكافر بخلاف هذا وهل الشك الذي هو
استواء الطرفين والظن الذي هو ترجيح أحدهما في قدرة الله تعالى بعد

-
- (١) متفق عليه وهذا لفظ مسلم وقد رواه جماعة من الصحابة بعدة الفاظ
وفي بعضها : (نصفه في البر ونصفه في البحر) البخاري ج ٨ كتاب
التوحيد باب قول الله تعالى (يريدون أن يبدلوا كلام الله) ص ١٩٩
ومسلم ج ٤ كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله تعالى ص ٢١١٠ - ٢١١١
(٢) سورة الاسراء آية : ١٥ .
(٣) أنظر إشارات الحق على الخلق لابن الوزير ص ٤٣٦ .
(٤) شرح مسلم ج ١٧ ص ٧١ - ٧٢ وأنظر فتح الباري ج ١١ ص ٣١٤ - ٣١٥
(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٢٣ ص ٣٤٧ .
(٦) الإشارات لابن الوزير ص ٤٣٦ .

الايان به والمعاد يقدحان في ايمانه ؟ الشيخان قررا في عدة مواضع أنه لا يقدح في ايمانه الا اذا علمه عن طريق الأنبياء^(١) وما يقوى العفو عن أهل الخطأ أنه قد يكون في الأدلة ومقدماتها ، ولذلك كان المشهور في القتل في فتى الصحابة رضوان الله عليهم سقوط القصاص والأموال فيما أصيب بوجه التأويل الا أن يوجد مال رجل بعينه فيدفع إليه فدل على دخول الخطأ في أفعال القلوب كأفعال الجوارح كما هو واضح في قوله تعالى : (ولكن ما تعمدت قلوبكم) (٢) ، وقوله : (ولكن من شرح بالكفر صدرا) (٣) يؤيد أن المتأولين غير كفار ، لأن صدورهم لم تنشر بالكفر - قطعاً أو ظناً أو تجويزاً - ومن لم يكن كذلك فليس بكافر وعموم هذا المفهوم يشملهم .

وقد أجمعت الأمة على العمل بمقتضى النصوص في الاكراه والنسيان ، فكذلك اخوهما وثالثهما الخطأ ان شاء الله تعالى بل هو أكثر منهما ، ذكرنا وشواهد ، في الكتاب والسنة ، والبلوى به أشد ، والرخصة إنما تكون على قدر شدة البلوى ، وأما كفار التصريح ، فلا نسلم بأن كفرهم خطأ لوجهين .

أحدهما : ان مرادنا بالخطأ هو خطأ مخصوص ، وهو الخطأ في تحرى مراد الله ورسوله ، فيما ظاهره التعارض والتشابه فكفار التصريح تعمدوا تكذيب الله - تعالى - ورسله .

وثانيهما : أن الله تعالى قد أخبر رسله الكرام بعنادهم ، واستحقاقهم العذاب الأليم .

الوجه الرابع : ان مؤاخذة المخطئ لا تخلو إما أن تكون من تكليف مالا يطاق ، أو من أعظم المشاق ، فان كانت من الأولى فهو لا يجوز

(١) أنظر مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٣ ص ٢٣١ . وقال : (وهذا كفر باتفاق المسلمين لكن كان جاهلاً لا يعلم ذلك وكان مؤمناً يخاف الله أن يعاقبه فغفر له بذلك .

(٢) سورة الأحزاب آية : ٥ .

(٣) سورة النحل آية : ١٠٦ .

على الله - عز وجل - (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) (١) وان لم تكن منه كانت من أعظم المشاق ، وقد نفى الله تعالى ذلك في دينه (وما جعل عليكم في الدين من حرج) (٢) يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) (٣) .

الوجه الخامس : ان الله - تعالى - نص على تحريم التفرق في الكتاب والسنة ،
ولا أفحش من التكفير بأدلة مهتلة تمكن معارضتها بمثلها ، ويمكن التوصل بها إلى عدم التكفير ، وإلى جمع الكلمة والمراد بالتفرق المنهى عنه ما يؤدى إلى التعادى والتنافر والتقاطع ، لا الاختلاف في فروع الدين وقد سبقت الإشارة إلى هذا في أول هذا الفصل وكما سيأتى الآن .

الوجه السادس : ان الخطأ لما كان منقسما إلى مغفور قطعاً كالخطأ فى الاجتهادات على الصحيح ، وغير مغفور قطعاً ، كالخطأ فى نفي البعث والجنة والنار ، وتسمية الامام بأسماء الله تعالى ، ومختلف فيه محتمل للالحاق بأحد القسمين ، نظرنا لأنفسنا فى الإقدام على تكفير أهل التأويل من أهل القبلة ، وفى الوقف عنه عند الاشتباه فوجدنا الوقف عنه حينئذ - مع تقبيح البدعة - لا يحتمل ان يكون كفراً ولا خطأ غير معفو عنه ، لعدم البرهان القاطع على ذلك ولا الظاهر ، بل الأدلة واضحة فى العفو حينئذ على تقدير الخطأ .
وأما الإقدام على التكفير فعلى تقدير الخطأ فيه لأننا من ان يكون كفراً أو خطأ غير معفو عنه كخطأ الخوارج عند من يكفرهم فالوقف أولى للدين والدار الآخرة . (٤)

الوجه السابع : أن الوقف عن التكفير عند التعارض والاشتباه أولى وأحوط ،
لأن الخطأ ، فى الوقف - على تقديره - تقصير فى حق من حقوق الغنى الحميد العفو الواسع أرحم الرحماء وأحكم الحكماء ، سبحانه وتعالى .

-
- (١) سورة البقرة آية : ٢٨٦ .
(٢) سورة الحج آية : ٧٨ وأنظر التفاصيل فى ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٤٣٩ وما بعدها .
(٣) سورة البقرة : ١٨٥ ولابن الوزير مصنف فى هذا بعنوان : (قبول البشرى بالتيسير لليسرى) فى الرخص ورفع الحرج فى الدين وقد سبق ذكره ورقمه فى مصنفات ابن الوزير خ صنعاء .
(٤) أنظر التفاصيل فى ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٤٤٥ وما بعدها .

والخطأ في التكفير من أعظم أو أعظم الجنايات على عباده المسلمين ،
وذلك مضاد لما أوجب الله من نصرهم ونصحهم والذب عنهم . وقد روى
الامام أحمد من حديث عائشة - رضى الله عنها - عن رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - أنه قال : (الدواوين عند الله ثلاثة ، ديوان لا يغفره
الله وهو الشرك بالله تعالى ، وديوان لا يتركه وهو حقوق المخلوقين ،
وديوان لا يبالي به وهو ما بينه سبحانه وتعالى - وبين عبده) (١) .

فالتارك للتكفير إن قدرنا خطأه ، فانما أخل بحق من حقوق الله
- تعالى - وهو اجراء الاحكام عليهم ، وهو ههنا لم يتركه الا لعدم شرط جوازه ،
وهو تحقيق الموجب له ، وأما المكفرات قدرنا خطأه ، فقد أخل بحق المخلوق
المسلم ، بل تعدى عليه وظلمه أكبر الظلم وافحشه ، وأخرجته من الاسلام ،
وهو يشهد ان لا اله الا الله ، وأن جميع رسل الله ، وكتبه ، وما جاء
فيها عن الله - تعالى - حق وانما أخطأ في بعض التفاصيل ، وقد صرح
بالتأويل فيما أخطأ فيه ، فان وصف الله بوصف نقص ، فلا اعتقاده أنه ~~وصف~~
وصف كمال ، وإن نسب إليه قبيحا فلا اعتقاده أنه حسن ، وإن تعدد القبيح
في ذلك فمحل التعمد هو القلب المحجوب غا سرائره ، والحاكم فيه علام
الغيوب .

وقد عوقبت الخوارج اشد العقوبة ، وذمت اقبح الذم على تكفيرهم لعصاة
المسلمين ، مع تعظيمهم في ذلك لمعاصي الله - تعالى - وتعظيمهم لها
بتكفير عاصيه ، فلا يأمن المكفر أن يقع في مثل ذنبهم ، وهذا خطر في الدين
عظيم ، ينبغى الاحتراز فيه من كل نبيل ولهذا الخطر عذر المتوقف في التكفير ،
وكان هذا هو الصحيح عند المحققين ، كما قامت عليه البراهين (٢) .

الوجه الثامن : ان أمير المؤمنين على بن ابي طالب - رضى الله عنه -
لم يكفر اهل الجمل وصفين بل ولا الخوارج (٣) ولم يسرف فيهم السيرة ففى

(١) هكذا اختصره ابن الوزير والحديث بتمامه في مسند احمد ج ٦ ص ٢٤٠
وأورده ابن كثير في تفسيره ج ٢ ص ٢٨٦ وقال : تفرد به أحمد وسكت
عنه ، قلت : في سنده صدقة بن موسى صدوق له أوهام كما قال الحافظ
في التقريب ج ١ ص ٣٦٦ وانظر تهذيب الكمال للمزى ج ٢ ص ٦٠٥ .
(٢) لمزيد من التفاصيل انظر ايثار الحق لابن الوزير ص ٤٤٥ وما بعدها .
(٣) انظر ما يوعيد هذا من كلام ابن تيمية في مجموع فتاويه ج ٣ ص ٢٨٢ .

الكافرين في السبى والغنيمة مع صحة قول النبى - صلى الله عليه وسلم -
لعلى - رضى الله عنه - (لا يحبك الا مؤمن ، ولا يبغضك الا منافق) (١)
كما ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) (٢)
فكيف بآمام المسلمين ، فدل ذلك على انه بعد عن التكفير لأجل المعارضات
المشار اليها سابقا فى حكم اهل الشهاداتتين ، أو فيمن قام بأركان الاسلام
ولجواز أن يراد كفر دون كفر ونفاق دون نفاق .

الوجه التاسع : أنه قد يدق مراد المخالف ويخفى جدا ، ويحتمل الوقف ،
فيفسر بما لم يقصده العبد كما دق مذهب الاشعرية فى الروئية حتى قال
الرازى إن مرادهم أنه ينكشف لله تعالى صفة فى الآخرة هى بالنسبة اليه
كالروئية الى غيره ، وقد ينقل عنه ما لم يقل لتوهم أنه لازم له وليس بـ لازم ،
كما نسب تكليف ما لا يطاق الى بعض الاشعرية (٣) .

الوجه العاشر : ان فى الحكم بتكفير المختلف فى كفرهم مفسدة بينة ، تخالف
الاحتياط ، وذلك اسقاط العبادات عنهم وجميع حقوق المخلوقين من الاموال
والدماء ، وسبى نسائهم وسفك دمائهم اذا لم يتوبوا .

الوجه الحادى عشر : ان الخطأ فى العفو خير من الخطأ فى العقوبة ،
والعياذ بالله من الجميع هذا مع أننا نقف فيمن تفاحشت بدعته ، وقاربت
الكفر ، ولا نواله ، ولا ندعو له بالرحمة والمغفرة الا بشرط أن يكون من المسلمين ،
حذرا من أن نوالى من هو عدو لله - تعالى - فهو الباطن ، وقد أمر النبى
صلى الله عليه وسلم بنحو هذا فى حديث أهل الكتاب : (لا تصدقوهم ولا
تكذبوهم) (٤) . حذرا من تكذيب الحق ، وتصديق الباطل ، فنعوذ بالله من
مؤالة اعداء الله - تعالى - بل ننكر بدعهم وننهى عنهما استطعن

-
- (١) سنن الترمذى بتحفة الاحوذى ج ١٠ مناقب على بن أبى طالب ص ٢٣٩ -
٢٤٠ ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .
(٢) مسلم ج ١ كتاب الايمان باب قول النبى سباب المسلم فسوق ص ٨١ .
(٣) أنظر التفاصيل فى الايثار لابن الوزير ص ٤٤٨ - ٤٤٩ .
(٤) البخارى ج ٨ كتاب الاعتصام باب قول النبى لا تسألوا أهل الكتاب ص ١٣٦

ونكرهها وتبيرا منها ، وشهد الله — تعالى — أنا نعاذى من عاداه علمناه
أوجهلناه ، فقد دل حديث زيد بن ثابت على نفع هذا الاعتقاد الجملى ولفظه :
(اللهم ما صليت من صلاة فعلى من صليت ، وما لعنت من لعنة فعلى من لعنت) (١)

ويشهد لهذا جدال الخليل عن قوم لوط ، والاستغفار منه لأبيه ، ولم
يكن منه موالاتهم ، ولا رضى بذنوبهم ، ولا ذم به بل بين الله — تعالى —
عذره وعدده من سعة حلمه ، وهذا كله فى حق الكافرين .
قلت : لكن الله — سبحانه — نهاه عن ذلك بقوله : (يا ابراهيم اعرض عن
هذا) . (٢)

أما أهل الاسلام الخاطئين فلا نص على تحريم ذلك ، وينبغى الاشتراط
فيما شك فيه من الدعاء لبعضهم أن يكون موافق لما راد الله — تعالى —
فى الشريعة النبوية .

تأييد ما ذهب اليه ابن الوزير من عدم التكفير :

يوئيد ما ذهب اليه ابن الوزير من التوقف فى تكفير أحد
من أهل القبلة المتأولين المخطئين — على التفاصيل السابقة — يوئيده
عقيدة أهل السنة والجماعة ، المتمثلة فى العقيدة الطحاوية وزادها بياننا
وتوكيدا شارحها السلفى الحنفى ، وهذا نصها : (ونسمى أهل قبلتنا
مسلمين مؤمنين ، ماداموا بما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم —
معترفين ، وله بكل ما قاله مصدقين . . . ولا نكفر أحدا من أهل القبلة
بذنوب ما لم يستحلها ، ولا نقول : لا يضر مع الايمان ذنب لمن عمله ، ولا نخرج
العبد من الايمان الا بجحود ما أدخله فيه . (٣)

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرک ج ١ كتاب الدعاء ص ٥١٦ — ٥١٧ ط بيروت
وقال هذا حديث صحيح الاسناد وتعقبه الذهبي فى التلخيص بأن فى
سنده أبو بكر ضعيف قلت : وأبو بكر هذا هو ابن أبى مريم الغساني قال
الحافظ فى التقريب ج ٢ ص ٣٩٨ : ضعيف وكان قد سرق بيته فاختلسط
ورواه أحمد فى مسنده ج ٤ ص ١٣٦ وهو فى الصحيحين معناه البخارى ج ٧ ص ١٥٧ مسلم ج ٢ ص ٢٠٧

(٢) سورة هود آية ٧٦ .

(٣) العقيدة الطحاوية لأحمد بن محمد الطحاوى مع شرحها لابن أبى العز
الحنفى ص ٣٥٠ — ٣٥١ — ٣٧٢ وأنظر تفاصيل هذا النص فى الشرح
ذاته الصفحات المذكورة ذاتها والايمان لابن تيمية ص ٢٥٩ — ٢٦٠ .

هذه هي القاعدة العامة في هذه المسألة الخطيرة ، عند أهل السنة والجماعة ، وهي من القواعد التي أشار إليها ابن الوزير — سابقا — مع تفاصيل وخلافات تتفرع عن هذا بين أهل السنة أنفسهم ، فصلها الشارح رحمه الله تعالى

الأطراف المتنازعة :

ثم ان مسألة التكفير كما قال شارح الطحاوية : (باب عظم الفتنة والمحنة فيه ، وكثرفيه الافتراق ، وتشتت فيه الأهواء والآراء ، وتعاضت فيه دلائلهم ، فالتناس في جنس تكفير أهل المقالات والمقائد الفاسدة المخالفة للحق الذي بعث الله به رسوله في نفس الامر ، أو المخالفة لذلك في اعتقادهم على طرفين ووسط ، من جنس الاختلاف في تكفير أهل الكبائر العملية .) (١)

والمراد بالطرفين هنا الخوارج ومن تبعهم من المعتزلة في تكفير المسلمين ، والمرجئة الذين هم على نقيض هواء والوسط هم أهل السنة والجماعة ، ولكن هذا التقسيم من حيث الجملة ، أما من حيث التفصيل فقد ارتفع عند الشارح نفسه كما سيأتي قريبا ان شاء الله تعالى .

ومما ينبغي التنبيه إليه أن هذه المسألة الشائكة متشعبة الاطراف ، فالكلام فيها يجر الى مسألة الوعد والوعيد والرجاء والارجاء ونواقض الاسلام ، ومعلوم أن هذا له أبواب وأبحاث مستقلة لاسيما نواقض الاسلام فقد اشتهرت بمصنفات خاصة ، فليرجع إليها ، ومن ذلك : (الاعلام بقواطع الاسلام) لابن حجر المكي سنة ٩٧٤ هـ و (الكلمات للنافعة من المكفرات الواقعة) لشيخ الاسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب سنة ١٢٠٦ هـ ونواقض الاسلام له أيضا ، وغير ذلك من المصنفات والكلام المتناثر في الكتب ، إلا أنه لا فرق في الكلام بالتكفير وعدمه بين المسائل الاعتقادية والعملية كما قرره شيخ الاسلام ابن تيمية . (٢)

(١) شرح الطحاوية ص ٣٥٥ وانظر هذا النص في شرح ملا على القاري على الفقه الاكبر لابن حنيفة ص ٢٤٢ .

(٢) انظر تفاصيل عدم الفرق بين الاعتقادية والعملية مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٢٣ ص ٣٤٦ وما بعدها .

واليك بيان الاطراف المتنازعة فى المسألة كالاتى :

الطرف الأول : الخوارج الذين يكفرون المسلم بكل ذنب ، أو بالكبيرة ، ويرون اتباع الكتاب دون السنة التى تخالف ظاهر الكتاب — وان كانت متواترة — ويكفرون من خالفهم ويستحلون منه ، — لا رتداده عندهم — مالا يستحلون من الكافر الاصلى ، الذين قال فيهم النبى — صلى الله عليه وسلم — : (..... يمرقون من الاسلام مروق السهم من الرمية يقتلون اهل الاسلام ويدعون اهل الاوثان)^(١) ويضم اليهم المعتزلة القائلين باجباط ايمان مرتكب الكبيرة ، الا أن الخوارج يقولون بخروجه من الايمان ، ودخوله فى الكفر فقد كفروا عثمان وعلياً وشيعتهما ، وكفروا اهل صفين ، ومع هذا ففى تكفيرهم خلاف ، كما سبق فى الوجه الاول على عدم التكفير . والمعتزلة يقولون بخروجه من الإيمان ، وعدم دخوله فى الكفر ، وهذه هى المنزلة بين المنزلتين ، ووجبوا له الخلود فى النار بخروجه من الإيمان .

وقد رد عليهم الطحاوى رحمه الله بقوله اسابق : (ولا تكفر أحدا من اهل القبلة بذنب مالم يستحله) وظاهر هذا ، والله أعلم يشمل الذنوب العمالية والاعتقادية فيضمن قوله : مالم يستحله — والله أعلم — مالم يعتقده . ومن المعلوم أن فى صفوف اهل القبلة زنادقة مندسين ، وهم اشد خطرا على الاسلام والمسلمين من اليهود والنصارى لما يتظاهرون به من التدين والموالاة لاهل البيت — عليهم السلام — وهم فى نفس الامر لا يؤمنون بالله ولا برسوله كما سيأتى فى الباطنية . أما المجاهر بتكذيب او جحد أمر معلوم من الدين بالضرورة سواء كانت واجبا أو محرما ، فلا خلاف بين المسلمين أنه يستتاب إن تاب ولا قتل كافرا مرتدا ، وهذا هو ما قرره ابن الوزير فى كفر التكذيب والجحود تحت عنوان (موقف ابن الوزير من مسألة التكفير) كما أنه من المعلوم أن النفاق والردة منشوءهما البدع والفجور والطعن فى السنة بالظن والهوى . (٢)

(١) متفق عليه وانلفظ للبخارى ج ٨ كتاب التوحيد باب قول الله تعالى : تعرج الملائكة والروح ص ١٧٨ ومسلم ج ٢ كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم ص ٧٤٢ ومسند أحمد ج ٣ ص ٦٨ — ٧٣ .

(٢) أنظر مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٣ ص ٣٥٠ وما بعدها وشرح الطحاوية لابن أبى العز ص ٣٥٥ وما بعدها والإيمان لابن تيمية ص ١٨٩ .

الا أن هذا الاتفاق الذي حكاه ابن الوزير بين المسلمين في كفر التكذيب والجحود معارض بما حكاه شيخ الاسلام من اتفاق المسلمين على كفر من لم يأت بالشهادتين وأما سائر المباني ففي تكفير تاركها نزاع مشهور، وهذا نص كلامه : (وقد اتفق المسلمون على أنه من لم يأت بالشهادتين ، فهو كافر ، وأما الاعمال الاربعة فاختلّفوا في تكفير تاركها ، ونحن اذا قلنا أهل السنة متفقون على أنه لا يكفر بالذنب فانما نريد المعاصي كالزنا والشرب ، وأما هذه المباني ففي تكفير تاركها نزاع مشهور) (١) وذكر خمسة أقوال للامام أحمد في ذلك ويحمل هذا على المتهمون والمتكاسل كما هو معروف عند بعض أهل العلم ، أما الجرح فقد قرر شيخ الاسلام أنه كفر بقوله في موضع آخر : (ان المقالة تكون كفرا كجحد وجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج وتحليل الزنا والخمر والميسر ، ونكاح ذوات المحارم) (٢) وهذا ما يعبر عنه الاصوليون بالمعلوم من الدين بالضرورة وقد سبق معنى هذا اقربا .

الطرف الثاني : المرجئة القائلون : لا يضر مع الايمان معصية ، كما لا ينفع مع الكفر طائفة ، وقد رد عليهم السلف الصالح من التابعين فمن بعدهم ، ومنهم الطحاوي بقوله السابق ، ولأنه قول معلوم البطلان فلا نطيل في ذلك .

الطرف الثالث : طوائف من أهل الكلام والفقه والحديث ، ولكنهم تفرعوا الى طائفتين : طائفة قالوا بكفر أصحاب البدع الاعتقادية لا العملية — وان كان صاحبها متأولا ، لافرق بين المجتهد المخطئ وغيره وهذا هو ما خالف فيه ابن الوزير ورجح التوقف فيه ، والتوقف عند التشابه من عقيدة أهل السنة كما هو مقرر ومن ذلك قول الطحاوي : (ونقول الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه) (٣) .

(١) الايمان لابن تيمية ص ٢٥٩ — ٢٦٠ ومن أشاد الى هذا النزاع ابن حزم في الفصل ج ٤ ص ٣ مع الملل والنحل للشهرستاني طصبيح بمصر

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٣ ص ٣٥٤ .

(٣) العقيدة الطحاوية مع شرحها لابن أبي العز ص ٤٣٣ ومجموع فتاوى ابن

تيمية ج ٤ ص ٣٠٧ — ٣٠٨ .

وطائفة عمت الحكم على أصحاب البدع الاعتقادية والعملية كالخوارج والمعتزلة على التفصيل السابق وفي هذا خطر عظيم ، فقد تواترت النصوص على أنه يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان وهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة ، بأن أهل الكبائر لا يخلدون في النار إذا ماتوا موحدين وهل البدع الاعتقادية من هذا الجنس ؟ عند شارح الطحاوية نعم تبعاً لما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية من عدم الفرق ^(١) وقد فات الشيخ الطحاوي - رحمه الله - قول من يقول من أهل الكلام : لا أكفر إلا من يكفرني . يعنى أن الحديث السابق المتفق عليه عن ابن عمر مرفوعاً : (أيما رجل قال لأخيه ياكافر فقد باء بها أحدهما) أن الحديث دل على حصول الكفر لأحد الشخصين المكفّر أو المكفّر ، فكأنه يقول إذا كفرني أحد فالكفر واقع بأحدهما وأنا جازم بأنى لست كافراً فالكفر راجع إليه . ^(٢)

والمشهور عند أهل السنة - والله أعلم - استيفيل في أهل البدع الاعتقادية ، أما العملية فواضح أذى حكم مرتكب الكبيرة ، لكن شيخ الإسلام ابن تيمية ، وهو حامل لواء أهل السنة - استكر التفريق : بين الاعتقادية والعملية ، وأيد ذلك ببراهين واضحة ، وأن هذا التفريق لا أصل له عن السلف ، وإنما هو مأخوذ عن المعتزلة وأمثالهم من أهل البدع . ^(٣)

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٥٦ وما بعدها ومجموع فتاوى ابن تيمية

ج ٤ ص ٢٤٦ - ٢٤٧ .

(٢) أحكام الأحكام شرح العمدة لابن دقيق العيد ص ٢٢٦ تحقيق طه

سعد وزميله ط دار الشعب بالقاهرة ط أولى سنة ١٣٩٦ هـ .

(٣) أنظر التفاصيل في مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٣ ص ٣٤٦ - ٣٤٧

تفصيل شيخ الاسلام ابن تيمية في مسألة التكفير :

تد سبق الى هذا التفصيل شيخ الاسلام ابن تيمية ، وذلك أن أهل البدع الاعتقادية — كما هو معلوم — فيهم المنافق الزنديق ، وقد صرح شيخ الاسلام بكفره ، ومثّل بالرافضة الذين يقولون : إن النبي صلى الله عليه وسلم نزل على نصا قاطعا ، وأنه امام معصوم ، ومن خالفه كفر ، وإن الصحابة كنمو النص ، وكفروا بالامام المعصوم ، واتبعوا أهواءهم ، وبدلوا الدين ، وغيروا الشريعة ، بل كفروا الا بضعة عشر أو أكثر ، ومنهم ظهرت أمهات الزندقة ، والنفاق كالقراطة الباطنية ، ومنهم النصيرية ، وأمثالهم .

وثبت عن علي — رضي الله عنه — أنه حرق غالبية الرافضة الذين اعتقدوا فيه الإلهية .

والرافضة أبعد المبتدعة عن الكتاب والسنة ، إذ العامة لاتعرف ضد السنن الا الرافضي .

ولاشك أن الرافضة شر من الخوارج ، بل صرح شيخ الاسلام هذا في فتاواه النصيرية ، وسائر فرق الباطنية أكثر من اليهود والنصارى ، وأنهم أشد خطرا على الاسلام والمسلمين من الكفار المحاربين ، لما يتظاهرون به عند جهال المسلمين من التشيع ، وموالات أهل البيت ، عليهم السلام — وهم في الواقع لا يؤمنون بالله ، ولا بكتابه ورسوله ويوالون الكفار على المسلمين ، وهم معروفون بالكذب ، والخوارج معروفون بالصدق ، والخوارج مرقوا من الاسلام والباطنية بكامل فرقهم نابذوا الاسلام (١) وهذه الفتوى مشهورة محفوظة لذلك لم نقلها بحروفها ومع طولها أيضا .

كذلك الجهمية الذين ينكرون الصفات ، وأن الله لا يتكلم ، ولا يرى وليس له علم ، ولا قدرة ، ولا سمع ، ولا بصر ، ولا حياة . وأن القرآن مخلوق ، وينكرون روية الله — عز وجل — في الآخرة . وهذا جحد لما هو الرب تعالى عليه ولما أنزل على رسوله .

(١) أنظر التفاصيل في مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٣ ص ٣٥٥ — ٣٥٦

وما بعدها ، ج ٣٥ ص ١٤٩ — ١٥٨ — ١٥٩ ، ج ٢٨ ص ٤٧٤

وما بعدها .

والقدرة أهون من هوء لا^١ لأنهم أقرب الى الكتاب والسنة ، والمعتزلة قد يكفرون من خالفهم ، ويستحلون دماء المسلمين فيقربون من أولئك . (١)

والمرجئة ليسوا من اصحاب البدع المعضلة ، فقد دخل في قولهم طوائف من أهل الفقه والعبادة ، ولكن تكلم أهل السنة المشاهير في ذمهم تنفيرا عن مقالاتهم . (٢) .

أما المتأولون من أهل القبلة عند شيخ الاسلام ابن تيمية فعلى التفصيل الآتى :

فيهم من يكون موءنا باطنا وظاهرا ، مع ما فيه من الجهل ، لكنه تأول فأخطأ السنة ، فهذا ليس بكافر ولا منافق — لأنه صنف الناس الى ثلاثة أصناف موء من ، وكافر ، ومنافق ، فالقول باحباط ايمانه بدون دليل شرعى ، بل لمجرد التأويل من جنس قول الخوارج والمعتزلة — (٣) بل يكون فاسقا ، أو عاصيا ، لما يكون منه من عدوان وظلم .
وقد يكون متأولا مخطئا مغفورا له خطاه ، وقد يكون مع هذا معه من الايمان والتقوى ، ما يكون من ولاة الله بقدر ايمانه وتقواه ، وهذا هو القول الوسط ، وهذا هو ما يدندن حوله ابن الوزير من عدم التكفير ، وعدم النكير على المكفرين .

وفي موضع آخر قال شيخ الاسلام : (انى اقرر أن الله تعالى عثر لهذه الأمة خطأها ، وذلك يحتم الخطأ فى المسائل الخبرية القولية ، والمسائل العملية .) (٤)

وأما الاقوال المبتدعة المخالفة لأمر أو نهى معلوم من الدين بالضرورة كجحد وجوب الصلاة ، وتحليل الزنا ، فذلك كفر .

(١) أنظر مجموع فتاوى ابن تيمية ج ١٢ ص ٤٨٥ وما بعدها ج ٣ ص ٥٢٣ ٢٥٧

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٣ ص ٣٥٢ .

(٣) هذه العبارة التى بين الشرطتين ليست من كلام ابن تيمية هنا بل تفسيرية اقتبسناها من كلام شارح الطحاوية ص ٣٥٢ وأنظر معناها فى مجموع الفتاوى ج ٣ ص ١٥١ ج ٢٣ ص ٣٤٥ - ٣٤٩ .

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٣ ص ٢٢٩ .

ثم ان القائل بذلك قد يكون ممن لم يبلغه الخطاب ، فلا يكون كافرا
 كمن هو حديث عهد بالاسلام ، أو نشأ ببادية بعيدة ، لم تبلغه الدعوة ،
 فهذا لا يحكم بكفره بجحد شيء ، مما أنزل على الرسول - عليه الصلاة
 والسلام - اذ لم يعلم بنزوله عليه . (١)

خلاصة كلام شارح الطحاوية في أهل الابتداع :

انه يقال : في الأقوال المبتدعة المتضمنة المخالفة المعلوم
 ضرورة ، يقال فيها الحق ، حسبما دلت عليه نصوص الوعيد ، ويبين أنها
 كفر ، وان من قالها كافر ، فقد قال كثير من أهل السنة ، بتكفير من قال
 بخلق القرآن ، وان الله لا يرى في الآخرة . ولا يعلم الأشياء قبل وقوعها (٢)
 تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

وهل يقال لشخص معين من أهل القبلة إنه كافر ، أو يشهد عليه بأنه من أهل النار؟

هذا من علم الغيب ، ولنا عبرة بالذى أسرف على نفسه ، وأوصى بأن
 يحرق ويحرق ، ويذرع في البر والبحر ، ثم نقر الله له لخشيته ، وكان يظن
 أن الله - تعالى - لا يقدر على جمعه واعادته (٣) هذا بالنسبة لأمر
 الآخرة وكان شيخ الاسلام كثيرا ما يحتج بهذا الحديث على المكفرين لشخص
 معين وكان يقول في مجالس المناظرة : (إن من أعظم الناس نهيا عني أن
 ينسب معين الى تكفير ، وتفسيق ومعصية الا اذا علم أنه قد قامت عليه الحجة
 الرسالية التي من خالفها كان كافرا تارة ، وفاسقا أخرى ، وعاصيا أخرى ،
 ... وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل ولم يشهد أحد
 منهم على أحد ، لا بكفر ، ولا بفسق ، ولا بمعصية (٤) .

(١) مقتبس من كلام ابن تيمية مجموع ج ٤ ص ٣٥٣ - ٣٥٤ وأنظر

التفاصيل في ج ٢٣ ص ٣٤٥ وما بعدها .

(٢) أنظر شرح الطحاوية ص ٣٥٧ وأعلام السنة المنشورة لشيخنا حافظ

الحكمي ص ٨٨ - ٨٩ طبع الافتاء ، طائفة سنة ١٣٩٩ هـ .

(٣) هذا معنى حديث أبي هريرة المتفق عليه سبق تخريجه ص ١٩٢ .

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٣ ص ٢٢٩ .

أما في الدنيا فلا مانع من أن يعاقب صاحب البدعة المخالفة للقواطع الشرعية المخرجة من الملة لردعه واتباعه ، وأن يستتاب ، فإن تاب ولا قتل ، وهذا لا يكون في أهل القبلة ، إلا في من أظهر الإسلام وأبطن الكفر ، فهو منافق زنديق كما قرره شيخ الإسلام ، وشارح الطحاوية وابن الوزير (١) وغيرهم .

إلا أنه يرد اعتراض ، وهو أن الله - تعالى - قد سمى بعض الذنوب كفرا ، في قوله : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) (٢) وقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : (سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر) (٣) وقوله : (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن) (٤) ونظائر هذا كثيرة جدا .

والجواب : أن أهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفرا يخرج به عن الملة بالكلية كقول الخوارج ، لأنه لو كفر كفرا يخرج به عن الإسلام لكان مرتدا ، وحكم المرتد القتل ، ولا يقبل غفو ولي القصاص ، ولا تنفذ سائر الحدود من الزنا وغيره ، ومطلان هذا القول معلوم من دين الإسلام بالضرورة ، لأن نصوص الكتاب والسنة والاجماع صريحة في تنفيذ الحدود . ومتفقون أيضا على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإسلام ، ولا يدخل في الكفر ، ولا يخلد في النار ، خلافا للمعتزلة القائلين بالمنزلة بين المنزلتين ، وهذا باطل أيضا مخالف لنصوص الكتاب والسنة من ذلك قوله تعالى : (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) (٥) فسمى الله الطائفتين المقتلتين مؤمنين . (٦) .

-
- (١) لمزيد من التفاصيل أنظر مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٣ ص ٣٥٣ وما بعدها وشرح الطحاوية ص ٣٥٨ وما بعدها وإيثار الحق لابن الوزير ص ٤١٥ .
 (٢) سورة المائدة آية : ٤٤ .
 (٣) مسلم ج ١ كتاب الإيمان باب قول النبي سباب المسلم فسوق ص ٨١ .
 (٤) متفق عليه من حديث أبي هريرة ، البخاري ج ٨ كتاب الحدود باب لا يشرب الخمر ص ١٣ ومسلم ج ١ كتاب الإيمان باب نقصان الإيمان بالمعاصي ص ٧٦ واللفظ له .
 (٥) سورة الحجرات آية : ٩ .
 (٦) أنظر شرح الطحاوية لابن أبي العز ص ٣٦٠ - ٣٦١ وشرح مسلم للنووي ج ١ ص ٢١٧ - ٢٢٠ .

ثم ان أهل السنة اختلفوا — بعد هذا الاتفاق — اختلافا لفظيا ، لا يترتب عليه فساد ، وهو : هل الكفر على مراتب ؟ أى كفر دون كفر • ؟ كما اختلفوا هل الايمان على مراتب ؟ ومعلوم أن كفر التكذيب او الجحود ليس ككفر النعمة ، وأن ايمان أبى بكر ليس كغيره •

مسألة التكفير وخطرها :

إن هذه المسألة متشعبة الاطراف ، لما لها من التعلق بمسألة الوعيد والرجاء والارجاء والشفاعة فى اخراج من كان فى قلبه مثقال ذرة من ايمان وغير ذلك •

ووعرة المسالك ، وشائكاتها ، لما فى تكفير المسلم بدون دليل شرعى قطعى • — من الخطر العظيم ، والوعيد الشديد •

كما ان التكذيب أو الجحد يأمر أو نهى معلوم من الدين بالضرورة كترك الصلاة ، على التفصيل والخلاف المعروف ، أو استباحة نكاح المحرمات ، أو نفى علم الله — عز وجل — بالاشياء قبل وقوعها كما تقوله القدرية ، أو تعطيل اسماء الله — تعالى — وصفاته الثابتة فى الكتاب والسنة ، كما تقوله الجهمية ، أو تشبيه الله — عز وجل — بمخلوقاته كما تقول المشبهة الكرامية — تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا — فذلك أدهى وأمر •

وان تكفير اصحاب البدع من أهل القبلة محل نزاع عديدا وحديثا — بين المسلمين ، واستقصاء هذا يتطلب بحثا مستقلا ، والزمن أقصر من ذلك ، والقصور فوق ذلك •

وان منشأ معظم البدع يرجع الى أمرين : هما الزيادة فى الدين والنقص منه ، بتجوير خلوه عن بعض مهمات الدين ، ويلحق بهما التصرف فى عبارات الكتاب والسنة بالتأويل والتحريف •

وقد قال الله تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً) (١) وقال عليه الصلاة والسلام : (قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك) (٢) وسيأتى بيان هذا فى (موقف ابن الوزير من الابتداع) ان شاء الله تعالى •

(١) سورة المائدة آية : ٣ •

(٢) ابن ماجه ج ١ ص ٤ — ١٦ •

تحقيق الكلام في مسألة التكفير :

إن هذا الكلام ، يدور حول حديث افتراق الأمة ، الشاهد بصدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم — لأنه اخبار عن غيب وقع كما قال ، وهو حديث صحيح مشهور ، متداول بين أهل العلم ، وقد عدّه السيوطي من المتواتر ، كما حكاه المناوي (١) . الا أن الخلاف في زيادة : (كلها في النار الا واحدة) من جهة النقل والمعنى .

وقد قرر الألباني تصحيحها من سبع طرق ، كلها واهية ، الا واحدة ، وهي التي في سنن ابن ماجه عن أنس ، وفي سندها الوليد بن مسلم عن أبي عمرو الاوزاعي وهو — أسى الوليد ثقة مدلس (٢) ، لكنه صرح بالتحديث ، وبعد دراسة السند وجدته صحيحا ، الا انه لا يلزم من صحة السند صحة المتن . كما تقرر في علوم الحديث لان ذلك يحتاج الى تتبع جميع الأطراف الحديث ^{وطرقه} وهذا ليس بالأمر الهين عند أهل الفن ، وعند بعضهم متعذر ، وقد استكر الامام أبو عمرو بن الصلاح سنة ٦٤٣ هـ من يتجاسر على الجزم بالحكم بصحة حديث في غير الصحيحين لم يكن منصوحا على صحته ، من أئمة الحديث المعتمدة المشهورة . (٣)

وانذا كان هذا في حوالى منتصف القرن السابع الهجرى — بغض النظر عما عليه من اعتراض بعض المتأخرين عنه (٤) — فما بالك بعصرنا ، وقصورنا في مطلع القرن الخامس عشر الهجرى ؟

وقد سبق أن ابن الوزير قدح في زيادة (كلها في النار الا ملة واحدة) قدحا شديدا من حيث النقل والمعنى .

(١) أنظر فيض التقدير شرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف المناوي على الجامع الصغير للسيوطي ج ٢ ص ٢١ بيروت دار المعرفة ط ثانية سنة ١٣٩١ هـ

(٢) وفيه جرح غير التدليس أنظر التفاصيل في تهذيب التهذيب لابن حجر ج ١١ ص ١٥١ — ٦٥٥ ط الهند وميزان الاعتدال للذهبي ج ٤ ص ٣٤٧ ط بيروت .

(٣) أنظر علوم الحديث لابن الصلاح ص ١٢ — ١٣ وتدريب الراوى للسيوطي ج ١ ص ١٥٥

(٤) أنظر تدريب الراوى للسيوطي ج ١ ص ١٤٢ وما بعدها

أما النقل ، فإن حديث ابن عمر الذي رواه الترمذى فى سننه ، وفيه هذه الزيادة ، وفى سنده عبد الرحمن بن زياد الافريقى ضعيف كما سبق بيانه فى تخرىج الحديث هذا ولذلك قال الترمذى حديث حسن غريب . (١)

وأما حديث معاوية الذى رواه أبوداود فى سننه ، وفيه الزيادة ، ولفظها : (٠٠٠) ثقتان وسبعون فى النار ، وواحدة فى الجنة وهى الجماعة وفى سنده أزهر بن عبد الله الحرازى ناصبى كما قال ابن الوزير وهو كذلك ، وقد سبق بعض كلام أئمة هذا الشأن فيه ، ومنهم أبوداود ، وتعقبه الحافظ بقوله : صدوق تكلموا فيه للنصب كما سبق .

وقد حكى ابن الوزير وضع هذه الزيادة عن ابن حزم ، وأسند ذلك الى (البدر المنير) (٢) لابن الملقن النحوى الشافعى سنة ٨٠٤ هـ . وقد بحثه بكامل أجزاءه ، فلم اقف على شىء من ذلك ، كذلك (تلخيص الخبير فى تخرىج احاديث الرافعى الكبير) لابن حجر لانه مختصر منه ولم أجد شيئاً من ذلك . كما حكى تضعيف هذه الزيادة صاحب (العلم الشامخ) مع تفسيره بأن طريقه يشد بعضها بعضها .

ومن حكى عدم صحتها الكثرى ، فى معرض مناقشة صورها الالبانى فى سلسلته ، لكن الكثرى حكاها عن ابن الوزير .

كذلك المحدث أحمد شاکر حكى وضعها عن ابن حزم فى حاشية المحلى (٣) له بقوله : (المصنف حكم فى " الفصل ") بوضع هذا الحديث يعنى حديث

(١) أنظر تحفة الاحوذى ج ٧ ص ٤٠٠ .

(٢) يوجد ج ١ - ٢ فى مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة رقم ٥٠٤ وتوجد نسخة كاملة مصورة فى قسم المخطوطات بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة رقم ٢٩٣٦ وهو أثباته كتابة هذه السطور تحت التحقيق .

(٣) المحلى لابن حزم ج ١ ص ٨٢ ، حاشية تحقيق أحمد شاکر دار الاتحاد العربى للطباعة سنة ١٣٨٧ هـ .

عوف بن مالك السابق ذكره ، وفيه الافتراق الى بضع وسبعين فرقة ، بدون ذكر الزيادة ، وهذا في غير محل النزاع ، وانما النزاع في الزيادة المذكورة . والمحدث الالباني ، الذي حكم عليها بالصحة ، حكى عن الشوكاني في تفسيره ضعفها ، ولم أجد ذلك في الموضع الذي أشار اليه ولا في غيره من مظاهرها .

ومن أشار الى هذا الضعف محمد محي الدين أثناء تعليقه على قول البغدادى سنة ٤٢٩ هـ (للحديث الوارد على افتراق الأمة إسانيد كثيرة) . (١)

وقد اشتهر هذا عند بعض المتقدمين والمتأخرين ، ولقد سمعت بعض المشائخ يحكى عن ابن حزم وضعها وبعضهم ضعفها . وهذا ما زادنى غناء في البحث عنها ، لأن بعض من يحكى ذلك عن ابن حزم لا يذكر المرجع ، وبعضهم يقول : في (الفصل) بدون تحديد . وقد ذكر الشيخ الالباني أنه بحث في (الفصل) ولم يجد ذلك وغيره وغيره .

وبعد أن غلب على ظني عدم وجود ذلك في (الفصل) وجدت الضالة المنشودة للباحث ، أثناء كلام ابن حزم على التكفير وعدمه حيث قال : (ذكروا أى القائلين بالتكفير بالخلاف في الاعتقاد — حديثا عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : (إن القدرة مجوس هذه الأمة) وحديث آخر : (تفرق هذه الأمة على بضع وسبعين فرقة كلها في النار حاش واحدة فهي في الجنة) وقال : قال أبو محمد — رضى الله عنه — هذان حديثان لا يصحان أصلا من طريق الأسناد وما كان هكذا ، فليس حجة عند من يقول بخبر الواحد ، فكيف من لا يقول به) (٢) .

(١) الفرق بين انفرق للبغدادى ص ٧ — ٨ مطبعة المدنى بالقاهرة .
(٢) الفصل في الملل والاهواء والنحل لابن حزم مع الملل والنحل للنهري ص ١٦

جز ٤ ص ١٦ وقول ابن حزم : هذان حديثان لا يصحان أصلا هل تساوى قولهم ، ضعيف او موضوع ، او باطل ؟ لأهل الشأن في ذلك مصطلحات مطولة تراجع في مصطلح الحديث والموضوعات ، من ذلك عند بعضهم اذا وردت هذه العبارة في كتبهم فهم بمعنى باطل ، واذا وردت في كتب الاحكام فلا يلزم من ذلك نفي الحسن أو الضعف

فليهنأ الدارسون والباحثون بوجودها سهلة دانية .

وهذا عمدة ابن الوزير من ناحية النقل ، مع ما أسنده الى ابن الملقن في (البدر النير) ولم أجد ذلك .

والظاهر - والله أعلم - أن ابن الوزير لم يطلع على رواية ابن ماجه - حسب ما قرأت له - ولو اطلع عليها لما قدح في الزيادة ذلك القدح الشديد ، لأنه بلا شك من حملة السنة ودعاتها ، والذي بين عنها ، برهان ذلك عنوان كتابه الموسوم بـ (الحواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم صلى الله عليه وآله وسلم) ومختصره (الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم) و (إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات الى المذهب الحق) . وهي أسماء دلت على مسمياتها ، يعرف ذلك من له اطلاع عليها ، بل هي شاهد عدل على ذلك .

أما قول ابن الوزير : (لا يبعد أن تكون الزيادة من دسيس الملاحدة) فأنا أقول : لا يبعد أن تكون هذه الكلمة من دسيس حساده وخصومه - لما سيأتى في (المعارك الكلامية) .

وان كانت الأخرى فالكمال لله وحده ، والخطأ من طبيعة البشر ، وقد قال ابن الوزير نفسه في مقدمة (الروض الباسم) : (... فلن يخلو كلامي من الانتقاد ، ولا يصفو جوابي من الكدر عند النقاد ، فالكلام الذي لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، هو كلام الله الحكيم ، وكلام من شهد بعصمته القرآن الكريم (١) ...)

أما من ناحية المعنى - كما في نظره - فالزيادة المذكورة مخالفة للكتاب والسنة ، لأنها صريحة بأن الثنتين والسبعين فرقة كلها في النار ، وهذا يحتمل التكفير .

وقد سبق ذكر الأدلة على فضائل الأمة المرحومة ، وإنهم أكثر أهل الجنة ،

*** بخلاف الاول فيلزم منه البطلان . راجع مقدمة المصنوع في معرفة الحديث الموضوع للقارى الهروى تحقيق أبو غده ص ٢٧ وما بعدها بيروت دار السلام طابعة سنة ١٤٠٤ هـ .

(١) الروض الباسم لابن الوزير ج ١ ص ١١ .

مع أنهم فى سائر الأمم كالشجرة البيضاء فى الثور الأسود ، وهى أدلة صحيحة بلا نزاع ، لكن هل هى فى محل النزاع ؟ - يأتى مضمون الجواب فيما بعد ان شاء الله تعالى .

والزيادة المذكورة فيها نزاع بل قد ح شديد - كما سترى .

وكونها مخالفة للكتاب والسنة هو باعتبار هلاك السواد الأعظم من الأمة ، المستبطن من : (كلها فى النار الا واحدة) وذلك يدل على وضعها ، كما تقرر فى علوم الحديث . (١)

ومخالفة أيضا للقواعد المعتمدة عند أهل السنة والجماعة ، منها عدم تكفير أحد من أهل القبلة بذنب مالم يستحلّه كما سبق .

وقد ظهر لى من خلال البحث - والله أعلم - أن الزيادة المذكورة فى حديث افتراق الأمة ، وان تعددت طرقها فهى واهية الا واحدة ، وهى التى رواها ابن ماجه (٢) عن أنس فسندها صحيح تحقيقا لا تقليدا ، فهى وان كان فيها الوليد بن مسلم ثقة مدلس فقد صرح بالتحديث فارفع التدليس ، حسب قواعد المحدثين ، وأقل درجته يكون حسنا ، لكنه روى عن أنس من عدة طرق خرج المحدث الألبانى لها سبعا كلها واهية الا واحدة ، وهى المشار اليها ، مع أن الألبانى نفسه صرح بقوله : (وفى تصحيحه نظر عندى لاضرورة لذكره الآن ، فانه لا بأس به فى الشواهد) (٣) وبناء على القواعد المعروفة فى علوم الحديث من أن كثرة الطرق يقوى بعضها بعضا ، وبانضمام هذه الطرق الى الطريق التى سندها صحيح عن أنس بما فيها الزيادة يرتقى الى درجة الصحيح ان شاء الله تعالى .

يويد ذلك تلقى جمهور العلماء له بالقبول ، والعمل به ، وروايته بدون تكير الا من عرفت .

يويد ذلك أيضا ادعاء كل فرقة من المسلمين أنها هى الناجية المنطبق عليها قوله صلى الله عليه وسلم - فى الزيادة ذاتها لما قيل له من هى

(١) أنظر علوم الحديث لابن الصلاح ص ٨٥ - ٩١ وتوضيح الافكار للصنعائى

شرح تنقيح الأنظار لابن الوزير مع حاشية المحقق محمد محى الدين ج ٢

ص ٦٨ - ٩٧ .

(٢) سلسلة الاحاديث الصحيحة للألبانى فى الكلام على حديث افتراق الأمة

رقم الحديث ٢٠٣ - ٢٠٤ .

(٣) سنن ابن ماجه ج ٢ الفتن باب افتراق الأمم ص ١٣٢٢ .

يا رسول الله ؟ قال : (ماأنا عليه وأصحابي) وهذه العبارة جزء من الزيادة ذاتها وفي رواية (وهى الجماعة) وابن الوزير نفسه ممن ينطبق عليه هذا ان شاء الله تعالى شاهد ذلك مصنفاته ومنها (ايثار الحق على الخلق) الذى جعلته عمدة البحث فى هذه المسألة وكتابه (العواصم والقواصم فى الذب عن سنة أبى القاسم) صلى الله عليه وسلم ، وكفى بالمرء نبلا أن تعد معاييه .

فان قيل بفساد معنى الزيادة المذكورة لماتكه من تكفير السواد الأعظم من الأمة ، فيقال ليس الأمر كذلك لما سياتى من تعليق الوعيد فى الجهنمين - ماعد المشركين - بمشيئة الله عز وجل . ثم يقال : وما جدوى الحديث على فرض عدم صحة الزيادة المذكورة ، وانتهاء الكلام النبوى عند قوله - صلى الله عليه وسلم - : (وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة) ماثمة هذا العدد وأين الميزان الذى يتوزن به فرق الأمة ؟ أم الجميع كفرسى رهان ؟ ! وهل يستوى أهل السنة والجماعة ، والمعتلة والمشبهة ، أم هل يستوى الأبرار والفجار ، والصادقون والكاذبون ؟ ! كلا .

ان فى الزيادة لفصل التفرقة بين أهل الحق والباطل (من كان على مثل ماأنا عليه وأصحابي) (١) التوفيق بين الأدلة : يبقى الجمع بين الأدلة والقواعد التى أشار اليها ابن الوزير بل صرح أنها تصادم هذه الزيادة ، من ذلك أنها تصادم فضائل الأمة المرحومة ، وأنهم أكثر أهل الجنة ، ومنهم سبعون ألفا بغير حساب ولا عذاب ، مع أنهم كالشعرة البيضاء بالنسبة لسائر الأمم - فى الثور الاسود ، فيقال لا معارضة لا مكان الجمع وذلك من وجوه :

الوجه الأول : ان كان المراد بالأمة فى الحديث المذكورة الدعوة ، فلا إشكال ، بأن من بلغتهم الدعوة المحمدية ، ولم يدخلوا فى الاسلام بل عاندوا وكذبوا وكفروا ، فلا شك أن مصيرهم النار ، خالدين مخلدين ، وهو لا هم الفرق الهالكة فى الحديث المذكور ، وإن كان المراد بالأمة فى الحديث المذكورة الاجابة - وهو الراجح - لأن النبى - صلى الله عليه وسلم - أضافهم اليه فى قوله : (وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار الا واحدة) (٢) فيحمل هذا الوعيد على الجهنميين أصحاب المعاصى ، ويدخل فيهم أهل البدع غير المخرجة من الملة ، ومنهم المتأولون المخطئون - دخولا أوليا - كما مضى تقريره على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة ، فى حكم متركب الكبيرة - ماعد الشرك - اذا مات مصرا عليها (ان الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) (٣) على

(١) سبق ترجمه ص ١٧٧

(٢) سورة النساء : ٤٨ - ١١٦

أننا لاننسى الاحاديث المتواترة في شفاعة النبي — صلى الله عليه وسلم —
الشفاعة العامة لاهل الموقف في فصل (القضاء) والشفاعة الخاصة بأمة
الاجابة على ما فيها من تفاصيل وشفاعة الشافعين أيضا •

وأعظم من ذلك كله فضل الله ورحمته حتى يخرج من النار من كان في
قلبه مثقال ذرة من إيمان ، وهذا يصدق عليهم (كلها في النار إلا واحدة)

الوجه الثاني : ان السواد الاعظم من الأمة ، هي العامة الذين هم على
الفطرة ، لا يعرفون شيئا من مصطلحات أهل الكلام ، وتشدقاتهم وهو لا
ليسوا من الفرق الهالكة ، ولا من أتباعهم ، وهم جمهور المسلمين ، وإلا لزم
تكفيرهم بدون مكر ، ولا قائل بذلك إلا من يقول من أهل الكلام : إن أول
واجب على المكلف النظر وعند بعضهم الشك وهذا مخالف لتعاليم الرسول
— صلى الله عليه وسلم — عند دخول الاعراب في الاسلام ، اذ كان أول
ما يعلمهم به الشهادات من غير أن يأمرهم بالنظر والاستدلال ، أو الشك ،
والله المستعان •

الوجه الثالث : أن خاصة الأمة — في القرون السابقة — لاسيما القرون
الثلاثة الأولى — هم الاكثرية •

وقد شهد الله تعالى لهم بانهم خير الأمم ، وشهد لهم الرسول — صلى الله
عليه وسلم — بانهم خير القرون ، وهم الذين ينطبق عليهم الوصف بالفرقة
الناجية (١) (ما أنا عليه وأصحابي) وهم (أهل السنة والجماعة ومن تبعهم
باحسان الى يوم الدين) وهم الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب
كما سيأتي قريبا ، بغض النظر عن الذين لا يرتقون ولا يكتفون ولا يتطهرون وعلمهم يتوكلون

الوجه الرابع : ان افراد الفرق المشار اليها — في الحديث — بالهلاك ،
بسبب الابتداع ، وان كثرت الفرق ، فقد لا يكون مجموع افرادهم جزءا من ألف
جزء بالنسبة لسائر الامة ، اذ قد تكون الفرقة من أهل الشذوذ والبدع في
غاية من القلة كما سبق تقريره عن الشيخ العلامة صاحب (العلم
اشامخ) (٢)

(١) صنف شيخنا حافظ الحكمي كتابا في هذا بعنوان (اعلام السنة المنشورة
لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة) •

(٢) راجع ص ١٨٨-١٨٩

وأما ما ذهب اليه ابن الوزير من التوقف وعدم التكفير للمتأولين المخطئين من أهل القبلة ، واستدلالة على ذلك بالوجوه السابقة فهو - والله أعلم - الصواب لوجوه :

الأول : أنه يتمشى مع القواعد العامة لأهل السنة والجماعة ، في عدم تكفير أحد من أهل القبلة بذنب مالم يستحلّه كما سبق بيانه وللمكفرين عبرة بالذى اوصى بأن يحرق ويذرفى البر والبحر خوفاً من عقاب الله تعالى فغفر الله - تعالى - له بإيمانه بربه وبالمعاد كما سبق بيانه وكثيراً ما يستشهد به ابن تيمية وابن الوزير على المتجربين بالتكفير .

الثانى : أنه الأولى والاحوط ، لما يترتب على الخطأ فى التكفير من الخطر العظيم ، والوعيد الشديد ، فى الأدلة السابقة فلعل المكفر لا يسلم من مثل تلك البدعة ، أو قريب منها ، فالعصمة مرتفعة عن غير الأنبياء ، وحسن ظن الإنسان بنفسه لا يستلزم السلامة من ذلك ، لثبوت الخطأ على الإنسان ، بل الغالب على أصحاب البدع العجب بأنفسهم ، والاستحسان لبدعهم .

الثالث : أنه قد تورط فى هذه المسألة خلق من المتكلمين ، والمنسويين الى السنة ، وكانت نتيجة ذلك العداوة والتقاطع كما هو الواقع ، فالتكفير لأحد من المسلمين بخطأ أخطأ فيه ، كالمسائل المتنازع فيها غير جائز (أمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله وقالوا بسعنا وأطعنا نقرانك ربنا وإليك المصير) لا يكلف الله نفساً الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا (١)) .

وقد سبق فى صحيح مسلم أن الله - تعالى - أجاب هذا الدعاء ونقر للمؤمنين خطأهم . (٢)

ومعلوم أن هناك بونا شامعاً بين المتأول المخطئ ، أو الجاهل المعذور ، وبين المعاند والفاجر ، وقد جعل الله لكل شئ قدراً .

الرابع : أنه قد أخطأ بعض السلف فى بعض المسائل الاعتقادية مثل ما أنكر

(١) سورة البقرة : ٢٨٥ - ٢٨٦ .

(٢) راجع ص ١٨٠ من هذه الرسالة .

بعض الصحابة أن يكون الميت يسمع نداء الحى كنداء أهل قليب بدر من المشركين .
وبعضهم أنكروا أن يكون المحراج يقظة ، وبعضهم أنكروا رؤية النبی صلی
الله علیه وسلم - ربه - عز وجل - واختلفوا فى أمر الخلافة وفى تفضيل
الشيخين على عثمان .
واتفقوا على عدم التكفير بذلك . (١)

الخامس : أن الخوارج لم يكفروهم على بن أبى طالب ، ومن معه من الصحابة
- رضى الله عنهم أجمعين - بل ولم يقاتلهم حتى سفكوا الدم الحرام ،
وأغوا رءا على أموال المسلمين ، فقاتلهم لدفع ظلمهم ، وبغيتهم لأنهم
كفار ، ولذلك لم يسب حريمهم ، ولم يغنم أموالهم . (٢) وقد سبق ذكر الخلاف
فى تكفيرهم . قال شيخ الاسلام بعد أن قرر هذا : (وإذ كان هوء لا
الذين ثبت ضلالهم بالنص والاجماع لم يكفروا مع امر الله - تعالى - ورسوله
- صلى الله علیه وسلم - بقاتلهم ، فكيف بالطوائف المختلفين الذين اشتبه
عليهم الحق فى مسائل غلط فيها من هو أعلم منهم ، فلا يحل لأحد
من هذه الطوائف ، أن يكفر الأخرى ، ولا يستحل دمها ومالها ، وإن كانت
فيها بدعة محقة فكيف إذا كانت المكفرة مبتدعة أيضا ، وقد تكون بدعة
هوء لا أغلظ ، وقد تكون بدعة هوء لا أغلظ ، والغالب أنهم جميعا
جهال بحقائق ما يختلفون فيه) (٣) فانظر كيف نظم المكفرين فى سلك
الجهال الذين لا يعرفون حقيقة ما يقولون وفى النفس من هذا شىء فقد
قال - عليه الصلاة والسلام - فيهم : (. . . ويمرقون من الاسلام كما يمرق

(١) أنظر تفاصيل هذا فى السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٦٣٨ - ٦٣٩ ،
تحقيق شلبى وزميله الحلبي طائفة سنة ١٣٧٥ هـ وتفسير ابن كثير
ج ٥ ص ٤٠ - ٤١ وما بعدهما وسائر كتب التفسير لأول سورة الاسراء
وتفسير أو آخر سورة الشورى وأوائل سورة النجم وشرح الطحاوية ص ٢٤٥
وما بعدها ومجموع فتاوى ابن تيمية ج ١٢ ص ٤٦٢ وهذا أشهر من أن
يشار الى مصادره .

(٢) أنظر الأدلة على ذلك فى تلخيص الحبير لابن حجر ج ٤ ص ٤٧ تصحيح
عبد الله هاشم اليماني شركة الطباعة الفنية بالقاهرة سنة ١٣٥٤ هـ .

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٣ ص ٢٨٢ - ٢٨٣ وترج مسلم للنووى ج ٧ ص ١٦٠ .

السهم من الرمية ، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد (١)

السادس : ان الله — سبحانه وتعالى — قد تولى تصنيف الأمة المحمدية — من فوق سبع سموات — الى ثلاثة اصناف ، ويميزهم واصطفاهم من عباده لوراثة الكتاب . الذي أنزله الله — عز وجل — على رسوله — صلى الله عليه وسلم — ، ووصفه بأنه الحق ومصدق لما سبقه من الكتب فقال تعالى : (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ، ذلك هو الفضل الكبير) . (٢) وقد ذكر المفسرون أقوالا كثيرة مفيدة في تفسير الأصناف الثلاثة هؤلاء ترجع الى ما يلي :

فالظالم لنفسه ، هو المفرط في فعل بعض الواجبات ، المرتكب لبعض المحرمات — ما عدا الشرك بالله — وهو الذي ترجح سيئاته على حسناته وهذا الصنف مع اصحاب الاعراف يدخلون الجنة بشفاععة النبي — صلى الله عليه وسلم — ، إما بدون جزاء أو بعده بالتقريع أو بالجبر في المحشر أو بالنار .

والمقتصد ، هو المؤدى للواجبات التارك للمحرمات ، وقد يترك بعض المستحبات ، ويفعل بعض المكروهات ، وهوؤلاء الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فيدخلون الجنة برحمة الله — تعالى — بعد أن يحاسبوا حسابا يسيرا .

والمستحبات والمكروهات والمسابق بالخيرات ، هو الفاعل للواجبات ، التارك للمحرمات ، والمكروهات وبعض الباحات .

وهوؤلاء الذين رجحت حسناتهم على سيئاتهم ، فيدخلون الجنة بغير حساب وعلى هذا فالضمير في قوله تعالى : (جنات عدن يدخلونها) عائد الى جميع الاصناف الثلاثة ، لانه ميراث يستوى فيه العاق والبار اذا كانوا

(١) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري البخارى ج ٨ كتاب استتابة المرتدين باب من ترك قتال الخوارج ص ٥٢ ، ومسلم ج ٢ كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج ص ٢٤٢ واللفظ له وانظر شرح مسلم للنووى ج ٧ ص ١٦٠ حيث ذكر اضطراب العلماء بل اختلافهم في تكفير الخوارج .

(٢) سورة فاطر آية : ٣٢ .

مقرين بالنسب والعاصي والمطيع مقرون بالربوبية .

وقيل الظالم لنفسه ليس من الأمة بل هو كافر ، والمنافق ، وعلى هذا فيعود

الضمير المذكور الى الأترب رتبة وهو المقتصد والسابق .

وان هذه الأقسام الثلاثة كالاقسام الثلاثة المذكورة في اول سورة الواقعة وأخرها وهذا هو المرجوح لأن الشرع مقدم على اللغة للأحاديث والآثار الواردة في ذلك .

ورجح ابن جرير والقرطبي وابن كثير والشوكاني وغيرهم أن الظالم لنفسه من هذه الامة ، وروى ابن جرير بإسانيده أحاديث مرفوعة وآثارا موقوفة تؤيد هذا .

كما أورد ابن كثير والشوكاني أحاديث وآثارا عن بعض الصحابة والتابعين من طرف يقوى بعضها بعضا ، تؤيد هذا القول ، بل جزم ابن كثير بأن هذا هو الصحيح ، كما جزم الشوكاني بوجوب المصير اليها ، والدفع بها في وجه من حمل الظالم لنفسه على الكافر لأن الكافر والمنافق لا يدخلون في الاصطفاء ، والاختيار وظاهر الآية : عموم الاصطفاء في الاصناف الثلاثة .

وفي كتب التفسير أحاديث وآثار مفيدة لولا خوف التطويل لنقلتها
فينبغي لأهل هذا الشأن الرجوع اليها .

منها حديث أبي الدرداء : رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله تعالى : (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله) فأما الذين سبقوا فأولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ، وأما الذين اقتصدوا فأولئك يحاسبون حسابا يسيرا ، وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين يحسبون في طول المحشر ، ثم هم الذين فلاقهم برحمتهم ، فهم الذين يقولون : " الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور ، الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب) (١)

(١) مسند أحمد ج ٥ ص ١٩٨ وراجع التفاصيل في كتب التفسير عند تفسير آية ٣٢ — ٣٥ من سورة فاطر منها تفسير ابن جرير الطبرى ج ٢٢ ص ١٣٣ وما بعدها ط الحلبي ثالثة ، وتفسير القرطبي ج ٦ ص ٥٤٢٨ وما بعدها ط الشعب وتفسير ابن كثير ج ٦ ص ٥٣٢ وما بعدها تحقيق البناء وزميليه ط الشعب والفتح القدير للشوكاني ج ٤ ص ٣٤٩ وما بعدها الحلبي ط ثانية سنة ١٣٨٣ هـ .

من يستحق التكفير :

وأما من كذب بشيء من الكتاب ، أو السنة الصحيحة ، أو كذب أحدا من رسل الله - عليهم السلام - أو جحد أمرا معلوما من الدين بالضرورة وتستر باسم التأويل ، فيما لا يمكن تأويله كالباطنية الملاحدة ، الذين أنكروا البعث والجزاء ، والجنة والنار ، وتأولوا الرب - جل جلاله - وجميع أسمائه بلإمام الزمان ، وسموه باسم الله - تعالى - ، وفسروا به لا اله الا الله - أى لا امام الا امام الزمان - فى زعمهم - خذلهم الله - عز وجل - ، وتلعبوا بجميع آيات كتاب الله تعالى ، فى تأويلها جميعا ، باليوطن التى لم يدل على شيء منها كتاب ولا سنة ، بل ولا اشارة من كلام السلف . ويلحق بهؤلاء كل من بلغ مبلغهم من غيرهم ، فى تغطية آثار الشريعة ، ورد العلوم الضرورية التى نقلتها الامة خلفا عن سلف فهو هؤلاء اتضح لابن الوزير وغيره كفرهم اتضح الفجر اصادق .

وهذا يتفق وفتوى شيخ الاسلام ابن تيمية بتكفير فرق الباطنية ، ومنهم النصيرية والرافضة الذين يقولون بالنص القاطع على علّى وأنه امام معصوم ، ومن خالفه كفر ، وأن الصحابة كتموا النص وغفروا الشريعة بل كفروا الا بضعة عشر أو أكثر ، والصواب أن فرق الباطنية ظهرت من الرافضة ويلحق بهؤلاء أيضا القدريّة ، الذين ينفون الكتابة وعلم الخيب السابقين - أى ان الله جل وعلا عن ذلك علوا كبيرا - لا يعلم الاشياء قبل وقوعها ، بل الأمر - كما يقولون - أنف ، وكذبوا ، قال الله تعالى : (ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير) (١) .

وقال - صلى الله عليه وسلم - : (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، قال : وعرشه على الماء) (٢) وهل يلحق بهؤلاء من يقول من المعتزلة البغدادية أن الله - تعالى - لا يعلم من نفسه الا ما يعلمون (كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا) (٣) ؟

(١) سورة الحديد آية : ٢٢ .

(٢) مسلم ج ٤ كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى ص ٢٠٤٤ .

(٣) سورة الكهف آية : ٥ وأنظر ما حكاه ابن الوزير عن خصمه فى هذا الكلام القبيح فى ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان ص ١٢٩ مطبعة المعاهد بمصر .

وأما القدرية نفاة الاختيار عن العباد ، ونفى التمكين لهم ، وهم الجبرية القائلون بأن العبد كالغصن أو كالشجرة في مهب الرياح ، أو كصاحب الرعشة - أى مسير لا مخير - ولكنهم اثبتوا العلم لله تعالى ، فهو لا فيهم نزاع بين علماء الاسلام ، مع الاجماع على تقبيح عقائدهم وانكارها .
ويلحق بهؤلاء أيضاً المشبهة الذين يشبهون الله تعالى بمخلوقاته ، أو يشبهون المخلوق بالخالق .

وحجة من كهر الجبرية والمشبهة القياس على المشركين ، فبعضهم عبد الرب الذى يشبه العباد ، وهم المشبهة ، وبعضهم عبد الرب الذى يجبرهم وهم المجبرة ، وأجيب بأنه قياس مع الفارق . (١)

وأما تكفير شخص محين من أهل القبلة ، فذلك أشد خطراً لعدم توفر الشروط ، ووجود الموانع ، وقد يلغى حكم الوعيد فيه بتوبة أو مصائب مكفرة ، أو شفاعة مقبولة .

ولا مانع من اطلاق القول بتكفير من يقول كذا وكذا ، فهو كذا كما هو المأثور عن السلف ، كفى الصفات كفر ، والتكذيب بأن الله يرى فى الآخرة ، أو أنه على العرش ، أو أن القرآن الكريم كلام الله - عز وجل - أو أن الله كلم موسى تكليماً ، أو اتخذ إبراهيم خليلاً كفر (٢) ، إذا صدر من مكلف عاقل مختار عامد بلغته شرائع الاسلام وأصر على ذلك .

وهذا ثابت ومتواتر فى الكتاب والسنة ، فالإيمان والهدى وسعادة الدارين فيهما ، وفى العمل بما فيهما (ما فرطنا فى الكتاب من شيء) (٣)
(ومن أصدق من الله حديثاً) (٤) (قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك) (٥) (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) (٦)
(وفوق كل ذي علم عليم) (٧) حتى ينتهى الى الله سبحانه وتعالى .

(١) هذا خلاصة ما سبق وأنظر للتأكد من ذلك ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٤١٥ - ٤٤٥ ومجموع فتاوى ابن تيمية ج ٣ ص ٣٥١ - ٣٥٢ ج ١ ص ٤٨٦ وشرح مسلم للنووى ج ١ ص ١٥٦ .

(٢) أنظر مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٦ ص ٤٨٦ ج ١٢ ص ٣٥٣ - ٣٥٤ .

(٣) سورة الانعام آية : ٣٨ .

(٤) سورة النساء آية : ٨٢ .

(٥) ابن ماجه ج ١ ص ٤ - ١٦ .

(٦) سورة التوبة آية : ٢٨٦ .

(٧) سورة يوسف آية : ٧٦ .

تنازع الفرق على الفرقة الناجية :

ومع هذا التفرق تدعى كل فرقة أنها هي الناجية ، فالمعتزلة والزيدية تدعى أو تدعيان ^(١) أنها الفرقة الناجية ، صرح بهذا المهدي المرتضى وغيره من أئمة المعتزلة ، والزيدية وأنه ورد في بعض الروايات لحديث افتراق الأمة : (أبرها وأتقاها المعتزلة) ^(٢) هكذا ذكره المهدي المرتضى عن سفيان عن الزبير عن جابر مرفوعا .

وهذا غريب على داوودين الاسلام — حسب علمي — فاني لم أقف عليه ، ولا فسي الموضوعات .

وقد قرر ابن الوزير ، أن كتب الزيدية خالية عن الاسناد ، وعن بيان من خرج الحديث ^(٣) هذا من ناحية النقل . أما من ناحية العقل والواقع فقد كفانا مؤنة الرد عليهما أو عليهم ابن الوزير في دعواهم أنهم الفرقة الناجية ، لكن رده مصوب الى المعتزلة أكثر منه للزيدية مع اشتراكهما بل اتحادهما في هذه الدعوى العارضة عن البرهان ، وأنها دعوى مزوجة بعجب كبير واحتقار لكل من خالفهم ويستدل على بطلان دعواهم هذه بأنهم مختلفون كما يقول ابن الوزير : (غاية الاختلاف ، مفترقون عشر فرق) ^(٤) في مسائل عقلية قطعية ، لا يمكن عددهم فيها تصويب الجميع ولا رفع اللبس عن المخطيء ، ولا القطع بانتفاء الفسق باجماعهم ، ومنهم من يجيز في ذلك الاختلاف الواقع بينهم أن يكون كفرا ، ومن يجوز منهم كفرا لادليل عليه ، وأما تجويز أن يكون فسقا فلا خلاف بينهم ، ومنهم من يصرح بتكفير مخالفه ^(٥) فكيف تكون الفرقة الناجية المعتزلة أو الزيدية والحال

(١) هذا التعبير فيه إيهام ولكن له مغزاه فالأفراد معناه أن المعتزلة والزيدية فرقة واحدة لاتفاقهما في الأصول الخمسة ماعدى مسألة الإمامة كما سيأتى بيانه في موضعه ان شاء الله تعالى .

(٢) الملل والنحل للمهدي المرتضى ضمن مقدمة البحر الزخار ص ٤٣ ط بيروت .

(٣) أنظر الروس الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم لابن الوزير ج ١ ص ٨٤ .

(٤) سيأتى في فصل المعتزلة أرقام فرقها لابن الوزير وغيره .

(٥) الروس الباسم ج ٢ ص ١٦٠ .

هذه ؟ ! علما بأن هذه الدعوى صادرة عن إمام من أئمة الزيدية المعبرين في العلم والسياسة ، وهو أحد معاصري ابن الوزير وأقرانه وخصومه .

كما تدعى الاشاعة أنهم أهل السنة والجماعة على الإطلاق ، وهذا مشهور عنهم ، ومن صرح به مرتضى الزبيدي (١) سنة ١٢٠٥ هـ :
وكل يدعى وصلا لليلي * * * ويلي لا تقر لهم بذلك (٢)

فأهل السنة والجماعة الحقيقيون لا يرضون بمجرد الانتساب اليهم دون تطبيق لعقيدتهم .

وعند المقارنة بين الطوائف ومعتقداتها ، تجد البون الشاسع ، كما تجد بعض الطوائف تضلل الأخرى ، وقد تكفرها ، بل أفراد الطائفة الواحدة تفسق وتكفر بعضها بعضاً ، كما سبق ذكره عن المعتزلة ، لذلك لا سبيل إلى معرفة الطائفة الناجية من الرها لكثرة إلا من خلال عقيدتها ، ثم عرضها على المعيار النبوي ، وهو قوله — عليه الصلاة والسلام — : (ما أنا عليه وأصحابي) وذلك يقتضى أن أى فرقة تنكبت منهج الاستدلال بالكتاب والسنة — كما هو منهج الصحابة والتابعين — إلى منهج أهل الابتداع والاهواء أهل الكلام ، كالاستدلال بالحدوث والاكوان (٣) ، على وجود الله — عز وجل — فليسوا من أهل السنة ، فالفطرة من أوضح الأدلة على وجود الله — سبحانه — مع طريقة القرآن الكريم الآتى ببيانها — ان شاء الله تعالى — فى الباب الثالث عند الكلام على طرق اثبات وجود الله — عز وجل — كذلك القول بأن أول واجب على المكلف النظر — الموءلف من مقدمات ونتائج — فان مات فى أثناء النظر فى اسلامه خلاف عند أهل الكلام ، وعند بعضهم أول واجب على المكلف انشك فى وجود الله — عز وجل — حتى يثبت بالنظر والاستدلال وتخلوا عن كون وجود الخالق القيوم بخلقه أقوى فى التعريف بوجوده من الدليل الذى يتكلفونه على ذلك فى فطر العقلاء كما تخلوا عن أنه كان يأتى الاعرابى من البادية — لا يعرف شيئاً من هذا — يريد الدخول فى الاسلام ، فأول مايلقنه النبى — صلى الله عليه وسلم — الشهاداتتين ، وذلك يصبح فى عداد المسلمين

(١) أنظر على سبيل المثال اتحاف السادة المتقين بشرح اسرار احياء علوم الدين للمرتضى الزبيدي ج ٢ ص ٣ ط دار الفكر بيروت .

(٢) هذا البيت لمجنون بنى عامر .

(٣) أى المنبئ على المقدمات والنتائج المنطقية .

له ما لهم وعليه ما عليهم كما غفلوا أيضا عن ان الصحابة — رضوان الله عليهم — ماتوا ولم يعرفوا الجوهر والعرض ، ولم يأمر النبي ﷺ عليه الصلاة والسلام — أحدا منهم بالنظر قبل النطق بالشهادتين وكان يكتب الى الملوك والعظماء ، يدعوهم الى الدخول في الاسلام بأن يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، فهل ثبتت أنما زاد على هذا شيئا ؟ وهل ثبت أن أحد من الرسل قال ، أول ما دعى قومه : انكم مأمورون بطلب معرفة الخالق بالنظر والاستدلال ، حتى تعرفوه ؟ الجواب : لا ، لأن قلوبهم تعرفه وتقربه ، لانهم ولدوا على الفطرة ، وانما عرض للفطرة ما غيرها ، فالانسان اذا ذكر ذكر ما في فطرته . (١)

مقارنة بين منهج أهل السنة وأهل الكلام :

من منهج أهل الكلام تقديم العقل على النقل مطلقا ، كما هو منهج المعتزلة والزيدية (٢) أو غدا التعارض كما هو منهج الاشاعرة أو بعضهم (٣) أما منهج أهل السنة فمعلوم أنهم يقدمون النقل على العقل ، ويستخدمون العقل في فهم النصوص ، وأن النقل الصريح لا يتعارض مع العقل انصحح .

ويقولون بالاثبات المفصل — في الصفات — والنفي المجمل ، وأهل الكلام عكس هذا فيقولون ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ، ولا جثة ولا صورة ولا شبح ولا إلخ ، وهذا هو النفي المذموم وهو النفي الذي لا مدح فيه ، فلو قيل للسلطان لست بزيال ولا كناس ولا حجام ، ولا حائك لأدب هذا ائقائل لانه أساء الأدب ، ولو أجمل في النفي بقوله : لست مثل أحد من رعيتك ، لكان هذا هو النفي المدوح . وهو ، ما تضمن راثبات كمال ضده ، كمدحه تعالى نفسه بقوله (ليس كمثله شيء) (٤) وقوله : (وسع كرسيه

(١) أنظر مجموع فتاوى ابن تيمية ج ١٦ ص ٣٣٨ بتصرف بسيط .

(٢) هذا مشهور عن المعتزلة وكنهمهم مشحونة بذلك أنظر على سبيل المثال شرح الاصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٧٦٨ وما بعدها .

(٣) أنظر أساس التقديس للرازي ص ٢١٠ — ٢١١ ط كورستان العلمية سنة ١٣٢٨ هـ .

(٤) سورة الشورى آية : ١١ .

السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما (١) (ولا يظلم ربك أحدا) (٢) لكمال عدله ، وقوله : (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب) (٣) لكمال قدرته . وأمثال ذلك من الآيات كثير . (٤)

ضوابط تميز بين الطوائف الإسلامية :

إن هناك ضوابط وأصولا متفق عليها ، فمثلا أهل السنة الذين هم أهلها ، منهجهم في الصفات ، يشبتون ما أثبتته الله — جل وعلا — لنفسه من الأسماء والصفات ، ويحذفونه بما وصفه به رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — من غير تكييف ولا تمثيل ، ولا تحريف ولا تعطيل . وكذلك ينفون عن الله — عز وجل — ما نفاه عن نفسه ، ونفاه عنه رسوله — عليه الصلاة والسلام — ينهجون في الصفات الاسس الثلاثة المعروفة عندهم .

الأول : تنزيه الله — جل وعلا — أن يشبهه شيء من مخلوقاته ، دل على ذلك قوله تعالى : (ليعزكم الله شيء) (٥) وفيها رد على المشبهة .

الثاني : الإيمان بما وصف الله — سبحانه — به نفسه ، وبما وصفه به رسوله — صلى الله عليه وآله وسلم — دل على ذلك قوله تعالى : (وهو السميع البصير) (٦) . وفيها رد على المعطلة .

الثالث : قطع الطمع عن ادراك الكيفية ، دل على ذلك قوله تعالى : (ولا يحيطون به علما) (٧) .

والمعتزلة يجمعهم القول بالاصول الخمسة المعروفة ، التي سيأتي الحديث عنها ، في فصل (المعتزلة) مع وجود الخلاف الشديد في غيرها .

(١) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .

(٢) سورة الكهف آية : ٤٩ .

(٣) سورة ق آية : ٣٨ .

(٤) انظر التفاصيل في شرح الطحاوية ص ١٠٨ — ١١١ .

(٥) سورة الشورى آية : ١١ .

(٦) سورة طه آية : ١١٠ .

(٧) سورة طه آية : ١١٠ وانظر منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات

بكامله للتفصيل

والأشعرية يجمعهم الايمان بالصفات الذاتية ، فقط ، وتأويل
ما سواها من الخيرية ، والفعلية .

أما من اعتقد ما تضمنته (الابانة) و (مقالات الاسلاميين) للأشعرى
ولم يقل بالتأويل فهو من أهل السنة كما سيأتى بيانه فى فصل (الأشعرية ،
وموقف ابن الوزير منها) ان شاء الله تعالى .

كما يجمع الشيعة القول بتقدّم على وأفضليته على جميع الصحابة
والقول بامامته . وولديه الحسنين رضى الله عنهم .

والزيدية فرقة من الشيعة يتفق الجميع فى هذه المسألة تماما . (١)

وأهل السنة يقولون بأفضلية الأربعة الخلفاء رضى الله عنهم ،
وتفاضلهم على حسب ترتيبهم فى الخلافة ، أبو بكر ثم عمر ، ثم عثمان ،
ثم على ، على أصح القولين فى تفضيل عثمان على على . وسيأتى بيانه فى
فصل (المعتزلة والزيدية) .

وفى هذه المسألة تتفق الأشعرية مع أهل السنة تماما ، كما تختلف الشيعة
مع أهل السنة تماما ، فإطلاق أهل السنة هنا يراد به المعنى الأعم وهو
ما يقابل الشيعة ، فالأشعرية بهذا المعنى من أهل السنة ، أما المعنى
الأخص وهو ما يقابل البدعة فليس الأمر كذلك هنا سيق فى المقارنة ، والكلام
على جميع طوائف أهل القبلة ليس هو موضوع بحثنا ، وإنما ذكرت هذه
الأمثلة للمقارنة - علما بأن كل طائفة ، ممن ذكرت تتفرق الى عدة فرق
تخطو بعضها بعضا وقد تكرر - بين من ذكرت بمناسبة الكلام على
حديث افتراق الأمة ، الى ثلاث وسبعين فرقة ، وأن الناجية منها ، ما كان
عليه النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - وأصحابه ، ولهذا وصفت الفرقة
الناجية بأنها أهل السنة والجماعة وهم الجمهور الأكبر والسواد الأعظم ،
وما عداها فمن أهل البدع والأهواء .

ولا بن الوزير فى تمييز أهل السنة من المبتدعة منهج غامض ، اذ يقول :
(واعلم أنى قد أذكر المبتدعة ، وأهل السنة كثيرا فى كلامى ، فأما
المبتدعة ، فأنما أعنى بهم أهل البدع الكبرى الغلاة ممن كانوا ، فأما
البدع الصغرى فلا تسلم منها طائفة غالبا ، وأما أهل السنة ، فقد

(١) أنظر القلائد فى تصحيح العقائد ضمن مقدمة البحر الزخار للمهدى

أريد بهم أهلها على الحقيقة ، وقد أريد بهم من تسمى بها وانتسب اليها ، فتأمل مواقع ذلك (١) والمبين لهذا هو سياق كلامه .

ولكنه قد أشار الى هذا الغموض بشيء من الايضاح ، وذلك بأن أول ما ينبه عليه طالب الحق والنجاة ، أن يعلم أنه لا يصح أن يخفى على أهل الاسلام دين رسولهم ، الذى أرسل اليهم ، فيميزوا بين السنة ، والبدعة ، لأن النبى - عليه الصلاة والسلام - قد بين ذلك ، ولم يخف عليهم ما لا تعلق له بالدين ، فهم يعلمون يقينا أنه لم يكن مماريا ولا فيلسوفا ، بل ترك أمته كما قال - صلى الله عليه وسلم - : (تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى الا هالك) (٢) .

بعد كتابة هذا وجدت كلاما لابن الوزير نصه (لم يخالف فى ذلك أحد من أهل السنة ولا من طوائف الأشعرية) (٣) فى أن لنا أفعالا متوقفة على همتها بها ، واختيارنا لها فالمراد بأهل السنة هنا أهلها على الحقيقة .

فصل النزاع بين الطوائف :

والكلام الذى لا غموض فيه ، هو القول بأن الطائفة التى تستحق بأن تتصف بالفرقة الناجية هى التى ليس لها متبوع تتعصب له ، إلا كتاب الله - عز وجل - وسنة رسوله - عليه الصلاة والسلام - ، وهم أهل السنة والحديث ، فهم أعلم الناس بأقوال الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - وأحواله ، وأعظمهم تمييزا بين صحيحها وسقيمها ، وأعرف الناس بمعانيها ، وأشد هم اتباعا لها ، يردون المجل الى المبين من الكتاب والسنة ، يجعلون ما جاء فيهما هو الأصل الذى يعتقده ويعتمدونه ، لا ينصبون مقالة ويجعلونها من أصول دينهم ، وجمل كلامهم ان لم تكن ثابتة فى الوحيين ،

(١) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٨٦ ط بيروت .

(٢) سنن ابن ماجه ج ١ ص ٤ - ١٦ .

(٣) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٨٦ - ٣٠٨ .

ويردون ما اختلف فيه من مسائل العقيدة ، وغيرها الى الكتاب والسنة ، ولا يتبعون الظن وما تهوى الأنفس ، فان اتباع الظن جهل ، واتباع الهوى بغير هدى من الله ظلم ، وهما جماع الشر . (١) .

كلام ابن تيمية على حديث افتراق الأمة :

ولشيخ الاسلام ابن تيمية كلام على حديث افتراق الأمة الى ثلاث وسبعين فرقة قيم ، ولولا مخافة التطويل لدونته بحروفه ، فقد تناول أمهات الفرق ، ومعتقداتها ، وأنهم على درجات في مخالفتهم للسنة ، بعضهم في أصول عظيمة ، وبعضهم في أمور دقيقة ، وأن بعضهم رد على غيره ممن هو أبعد منه عن السنة ، وهو محمود فيما رده ممن الباطل ، وقد يكون رد باطلا بباطل أخف منه ، كما هو حال المنتسبين الى أهل السنة من أهل الكلام . وأن أول من فارق جماعة المسلمين ، الخوارج المارقون ، ولم يختلف الصحابة - رضوان الله عليهم - في قتالهم كاختلافهم في قتال فتنة الجمل وصفين ، فكان بعضهم مع هؤلاء وبعضهم مع هؤلاء ، وبعضهم أمسكوا وقعدوا . وهذا ما رجحته النصوص ، وأن أصول أهل البدع الروافض والخوارج ، والقدرية والمرجئة ، وأن الجهمية لا يدخلون في فرق الأمة ، على خلاف بين العلماء ، كما اختلفوا في تكفير أمهات الفرق ، وعدم تكفيرها (٢) وغير ذلك مما ذكره .

والآن وقد طال بنا الكلام الذي جربنا اليها افتراق الأمة ننتقل الى الكلام على الفرق المعاصرة لابن الوزير في اليمن فنقول : وبالله التوفيق

(١) أنظر مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٣ ص ٣٤٧ - ٣٤٨ .

(٢) أنظر مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٣ ص ٣٤٧ - ٣٥٨ .

الفصل الثانى

○○

السلفية في اليمن

وموقف ابن الوزير منها

○○○○○○○○○○○○○○○○○○○○○○○○○○○○○○



لقد كانت اليمن السعيدة ، قلعة من قلاع السنة ، لاتصال اليمنيين الوثيق برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه وذلك معروف في التاريخ الاسلامي .

وقد وفد منهم عدة وفود على النبي - عليه الصلاة والسلام - واستمعوا الى أقواله وخطبه ، كما اطلعوا على طارق من سيرته وأفعاله ، وذلك أكبر عامل في بروز عدد غير قليل من أهل اليمن ، حملوا القرآن الكريم ، والسنة النبوية .

ويتفق في ذلك فخر لهم ، شهادة الرسول - عليه الصلاة والسلام - لهم بقوله مخاطباً أصحابه الكرام : (أتاكم أهل اليمن ، هم أضعف قلوباً ، وأرق أفئدة ، الايمان يمان ، والحكمة يمانية ، والفقه يمان) (١) كما أتاحت لهم فريضة الحج ، وزيارة مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فرصة أخرى للاجتماع بجماعات من كبار الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - وأخذ الحديث والفقه عنهم ، الامر الذي جعل منهم أئمة في رواية الحديث ونقله - معتمدين ، للأخبار .

منهم على سبيل المثال طاوس ومعمربن راشد ، وهيب بن منبه ، الذي دخل عليه سفيان بن عيينه في داره بصنعاء فأطعمه من جوزه في داره (٢) ، وهمام الصنعاني ، وهشام بن يوسف الصنعاني ، وعبد الرزاق الصنعاني المرحول اليهم من الآفاق ، وغير هؤلاء كثير .

وقد قصدهم الأعلام من أئمة الاسلام ، كالامام الشافعي ، والامام أحمد بن حنبل ، وابن المبارك وابن معين ومحمد بن يحيى النيسابوري ، واسحق بن راهويه ، وغيرهم . (٣)

-
- (١) مسلم ج ١ كتاب الايمان باب تفاضل أهل الايمان فيه ورجحان أهل اليمن ص ٧١ - ٧٣ من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - .
- (٢) الميزان الذهبي ج ٤ ص ٣٥٣ ط بيروت .
- (٣) المحدثانفاضل للقاضي الحسن بن عبد الرحمن الرازمهرمزي سنة ٣٦٠ هـ ص ٢٢٩ - ٢٣٢ تحقيق محمد عجاج الخطيب بيروت ط أولى سنة ١٣٩١ هـ وتاريخ اليمن الثقافي لاحمد حسين شرفالدين ج ٤ ص ٢٥ . وتهذيب التهذيب لابن حجر ج ١١ ص ٥٧ ، وطبقات فقهاء اليمن لابن سمر الجعدى ص ٥٦ - ٥٧ وتاريخ الفكر الاسلامي في اليمن لاحمد شرف الدين ص ٢٥ وما بعدها مطبعة الكيلاني . وتاريخ اليمن للواسعي ص ١٥٥ واليمن عبر التاريخ لاحمد حسين شرف الدين ص ١٧١ وما بعدها وتاريخ مدينة صنعاء لاحمد عبد الله الرازي الصنعاني

ويصف المؤرخ ابن سمر الجعدي الوضع المذهبي في اليمن قبل انتشار المذهب الشافعي بقوله: (كان المذهب الخالب في اليمن ، مذهب مالك ، وأبى حنيفة ، ولم يكن علم السنة مأخوذاً في هذا المخلاف - أي الجزء الساحلي والجنوبي من اليمن - إلا من جامع معمر بن راشد البصري وهو منصف في صنعاء ، ومن جامع سفيان بن عيينه ، وجامع أبي قرة ، موسى بن طارق اللحجي ، ومن المرويات عن مالك وغيره) (١)

وهاهنا الشوكاني سنة ١٢٥٠ هـ السلفي الشهير ، يصف السلفية في اليمن الى عصره ، أثناء ترجمته لابن الوزير فيقول : (ان في الديار الزيدية من أئمة الكتاب والسنة عدداً يجاوز الوصف ، يتقيدون بالعمل بنصوص الأدلة ، ويعتمدون على ما صح في الأمهات الحديثية ، وما يلتحق بها من دواوين الاسلام ، المشتطة على سنة سيد الأنام ولا يرفعون الى التقليد رأساً ، لا يشعرون دينهم بتقوى من البدع التي لا يخلوا أهل مذهب من المذاهب من شيء منها بل هم على نمط السلف الصالح في العمل بما يدل عليه كتاب الله - تعالى - وما صح من سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم . . .) (٢)

فان قيل ان هذا يتعارض مع ما سيأتى من الانحراف عن السلفية الى العقيدة في عصر ابن الوزير فيقال : ان كلام الشوكاني لا يدل على التعميم كما هو واضح من كلامه ووجود البعض من أئمة الكتاب والسنة في الديار اليمنية بل الزيدية لا يستطيع أحد انكاره ، ومنهم ابن الوزير ، والمقبلي ، والأمير الصنعاني ، والشوكاني وغيرهم ، وخير شاهد على ذلك مؤلفاتهم المقررة في كثير من الجامعات الاسلامية ، أما ما سيأتى من الانحراف عن السلفية فذلك لا يعنى الانحراف العام بدليل أن ابن الوزير قاوم ذلك الانحراف ، كذلك من سار على نهجه الى زمن الشوكاني ، ولما يخلو زمان أو مكان من أدل الخير والإصلاح ، بل الكلام الآتي ذاته صريح في عدم تعميم الانحراف كما ستراه ان شاء الله تعالى ..

=== سنة ١٤٦٠ هـ ص ٢٩٦-٢٩٨ تحقيق حسين العمري وعبد الجبار زكارط الأولى ١٩٧٤ م

(١) طبقات فقهاء اليمن للجعدي ص ٧٤ وتاريخ اليمن الثقافي لأحمد

شرف الدين ج ٤ ص ٣٦ .

(٢) البدر الدال على الشوكاني ج ٢ ص ٨٣ .

رواية الحديث في اليمن :

من المعلوم أن علم الحديث ، كان المادة الرئيسية ، بعد القرآن الكريم - لنشر الدين الاسلامي ، في ربوع اليمن ، وقد نقل اليها ابادى الامر على أيدي الدعاة المبعوثين من قبل الرسول - عليه الصلاة والسلام - أمثال علي بن أبي طالب ، وأبي موسى الأشعري ، ومعاذ ابن جبل ، وخالد بن الوليد ، ثم علي أيدي رواة أهل اليمن ، الذين شاهدوا الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصحبوه طويلا ، أمثال أبي موسى الأشعري ، وعمه عبيد بن وهبة الأشعري أبي عامر ، وكعب بن عاصم الأشعري ، والحارث الأشعري ، وأبي بن حمال المأري (١) وفروة بن مسيك المرادي وغيرهم (٢) ، ومن تخرج على يد العباد له ، وأبي هريرة - رضي الله عنهم - وغيرهم من التابعين اليمنيين كطاووس بن كيسان ، وعطاء بن أبي رباح - الذي كان ينادى المنادى في زمان بني أمية ، لا يفتي الناس - عطاء بن أبي رباح - أي في الحج - ومنهم الامام مالك ابن أنس الأصبحي (٣) إمام دار الهجرة ، والقاضي عامر بن شرحبيل اشعر ، وسروق الهمداني ، وابراهيم النخعي المدخعي ، وعمر بن دينار وغيرهم . (٤)

- (١) أنظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ج ٢ ص ٣١١ ط الهند ١٣٧١ هـ
- (٢) أنظر العسجد المسبوك فيمن تولى اليمن من الملوك ج ٤ ص ٥ وما بعدها
- (٣) نسبة الى الاصابح بلدة بمخلاف اليعافو (الحجرية) محافظة تعز وينسب الى يعرب بن قحطان كذا في حاشية تقريب التهذيب ج ٢ ص ٢٢٣ وأنظر ضحى الاسلام لأحمد أمين ج ٢ ص ٢٠٦ وقال : الأصبحي نسبة الى أبي أصبح قبيلة يمنية .
- (٤) تاريخ اليمن الثقافي ج ٤ ص ٢٦٠ وتهذيب التهذيب لابن حجر ج ٥ ص ٦ - ٧ - ٢٠١ والاصابة لابن حجر مع الاستيعاب لابن عبد البر ج ٦ ص ٣٦٦ ج ٨ ص ٩٥ ج ١ ص ٢٢ - ٢٣ تحقيق طه الزينى الناشر مكتبة الكليات الازهرية . وتاريخ الفكر الاسلامي في اليمن لاحمد شرف الدين ص ١٤ - ١٧ . طبقات فقهاء اليمن ص ٦٦ وما بعدها وتاريخ مدينة صنعاء لاحمد عبد الله الرازي ص ٢٩٦ - ٢٩٨ .

ومعلوم أن ارسال على بن أبي طالب ومعاذ بن جبل ، وأبي موسى الأشعري وغيرهم الى اليمن لنشر الاسلام مشهور في الصحاح والسنن والمسانيد والتاريخ . من ذلك ما رواه الشيخان عن أبي بردة رضى الله عنه قال : (بحث رسول الله صلى الله عليه وسلم - أبا موسى ومعاذ بن جبل الى اليمن قال : ومعت كل واحد منهما على خلاف ، قال : واليمن مخلافان ، ثم قال : يسرا ولا تعسرا ويشرا ولا تنفرا . . .) هذا لفظ البخاري ولفظ مسلم : (أدعوا الناس ويشرا ، ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا) وفي لفظ آخر لمسلم قال لهما : (بشرا ، ويسرا ، وعلما ولا تنفرا . . .) .

وكانت هذه المدرسة السلفية في اليمن تشع بأنوارها الساطعة ، على أصقاع اليمن الساحلية منها والجنوبية وسائر أصقاع اليمن السعيدة ، وكان أساتذة هذه المدرسة من كبار الصحابة رضى الله عنهم أجمعين ، منهم على بن أبي طالب وأبو عبيدة بن الجراح ، وأبو موسى الأشعري ، ومعاذ بن جبل ، وخالد بن الوليد وجبرير بن عبد الله البجلي وغيرهم من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين ، كما سبقت الإشارة الى ذلك .

وهذا مشهور في التاريخ ، بل في الصحاح والسنن والمسانيد ، وبعض آثارهم باقية الى الآن .

من ذلك مسجد الجند الذي بناه معاذ بن جبل قرب تعز ومسجد أبي موسى الأشعري الذي بناه في مدينة زبيد .

ثم خلفهم في هذه المدرسة كبار التابعين من أهل اليمن ، ذكرهم ابن سرة الجعدى طبقة طبقة في كتابه (طبقات فقهاء اليمن) وكان المدرس والمقرر في صنعاء ، وغيرها مصنف عبد الرزاق المشهور وجامع معمر ابن راشد المشهور في السنن وغيرهؤلاء من التابعين وتابعيهم .

(١) البخاري ج ٥ كتاب المغازي باب بحث أبي موسى ومعاذ الى اليمن ص ١٠٧ - ١٠٨ ج ٨ كتاب الأحكام باب أمر الوالى اذا وجه أميرين الى موضع أن يتطافا ص ١١٤ . مسلم ج ٣ كتاب الاشربة باب بيان أن كل مسكر خمر ص ١٥٨٦ - ١٥٨٧ .

ثم خففت بعد وكادت أن تنطفئ أنوارها لما تعددت المذاهب ،
وتعصبت كل فئة لمذهبها فانتشر المذهب المالكي ، والحنفي ، والشافعي
في سواحل اليمن ، وجنوبه .

وكانت مدينة زبيد آنذاك قد ضمت جماعة كثيرة من أصحاب هؤلاء ،
إلا أن الغالب هو المذهب الشافعي ، فأصبحت ثلاثة المدن العلمية آنذاك
في الجزيرة العربية بعد مكة والمدينة . (١)

موقف ابن الوزير من الانحراف عن منهج السلف :

أما في القرن الثامن الهجري ، الذي ولد فيه ابن الوزير ،
فقد كان للعلوم العقلية ، المكانة المرموقة ، لأنها السلاح الذي لا يكل
حده — عندهم — في معترك الأنظار ، وأن النبوغ فيها مئنة الذكاء ، والنجاة .
كما أن العجز عن تحصيلها علامة البله والبلادة ، في حين تجد
الانقسام العنيف بلغ القمة .

ومعظم الطوائف يخطئ بعضها بعضا ، بل وتكفرها ، ومعظم علماء
اليمن قد تكبوا المنهج العلمي السلفي ، وانتشرت البدع الاعتقادية ، وغير
الاعتقادية ، وانطمست معالم الاجتهاد ، بشيوع التعصب والتقليد ، بل ولم
يحسنوا العمل بمذهب الأئمة الزيدية من أسلافهم الذين اعتنوا عناية كاملة ،
بالاجتهاد ، ونبت التقليد .

فقد اشتهر في مؤلفاتهم أنه لا يشرح للإمامة إلا ما توفرت فيه عشرة
شروط أهمها الاجتهاد والتحرر من التقليد ، يحدد بعضهم سبعة شروط (٢)
وغير ذلك مما سيأتي في فصل (الإمامة والسياسة) أن شاء الله تعالى .
وسوف يجد الباحث عن تاريخ اليمن الثقافي — أن الاتجاه نحو العلوم

(١) أنظر التفاصيل في فقهاء اليمن للجعدى ص ٦٦ حياة الأدب اليمني
للحيشي ص ١٥ — ٧٩ — ٨٠ وأنظر اليمن في ظل الإسلام منذ فجره
إلى قيام دولة بني رسول لعصام الدين عبد الرؤوف الفقي ص ٣١٢ —
٣١٣ الناشر دار الفكر العربي ط أولى سنة ١٩٨٢م وأنظر العسجد
السبوك للخزرجي ص ٥ — ١٣ .

(٢) تاريخ اليمن الثقافي ج ٤ ص ١٦٠ .

السمعية — التي هي المورد العذب الصافي والوحى الثانى ، ألا وهو الحديث الشريف ، الذى نطق به من شهد الله — تعالى له من فوق سبع سموات بقوله : (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى) (١) ، وأكد ذلك بقوله تعالى : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) (٢) وزاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ذلك بيانا بقوله : (ألا إني أُوتيت القرآن ومثله معه) (٣) .

سيجد الباحث أن معظم الناس قد تغيرت اتجاهاتهم نحو علوم السنة ، رغبة عنها ، ورغبة فى العلوم العقلية ، وغفلوا عن شرف الحديث ، وعلومه ، وأهله الذين وصفهم النبى — عليه الصلاة والسلام — بقوله : (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين) .

(١) سورة النجم : آية : ٣ — ٤ .

(٢) سورة الحشر : آية : ٧ .

(٣) سنن أبى داود مع عون المعبود ج ١٢ كتاب السنة باب لزوم السنة ص ٣٥٥ من حديث طويل عن المقدام بن معد يكرب ومختصر السنن للمذرى ج ٧ ص ٧ — ٨ .

(٤) شرف أصحاب الحديث للبغدادى ص ٢٨ — ٣٠ تحقيق الدكتور محمد سعيد خطيب نشرته دار إحياء السنة النبوية ، الإصابة لابن حجر ج ١ ص ١٩١ — ١٩٢ والجرح والتعديل لابن أبى حاتم ج ١ ص ١٧ والعواصم والقواصم لابن الوزير ج ٢ وهم ١٥ فضل ٤ ، والروض الباسم له ج ١ ص ٢١ — ٢٣ وقد ذكر ابن الوزير فى المرجعين المذكورين كلاما كثيرا لأئمة الحديث حول هذا الحديث من حيث الصحة والضعف لأن فى سنده معان بن رفاعه قبه مقال : قال أحمد بن حنبل : لا بأس به وقال الدارمى : ثقة ، وقال أبو حاتم : يكتب حديثه ولا يحتج به ، وقال محمد بن عوف : لا بأس به ، وقال ابن معين : ضعيف ، وقال ابن عدى : عامة مروياته لا يتابع عليها روى له ابن ماجه ، كذا فى تهذيب الكمال للمزى ج ١٤ ص ٦٢١ خ يوجد بالمكتبة المركزية بجامعة أم القرى وقد رواه البغدادى من غير طريق معان بن رفاعه هذا ، وقال : إن الامام أحمد حكم بصحة هذا الحديث من طريق معان ، كذا فى شرف أصحاب الحديث الصفحات السابقة وأنظر الجامع فى السنن والآداب لعبد الله بن أبى زيد القيروانى ص ١١٩ تحقيق

انها منقبة تسمو باهل السنة والحديث الى القمة ، وتهبط بأهل التحريف ، والتأويل الى الحضيض ، بل الى الهوة والهاوية . (١)

كما غفل هؤلاء عن المزية التي خص بها النبي صلى الله عليه وسلم - طلاب الحديث وحفاظه ، وناقليه الى من بعدهم من الأجيال ، بدقة ، وأمانة ، بقوله : (نضر الله أمرا سمع مناشيا فيلغنه كما سمعه ، فرب مبلغ أوعى من سامع) . (٢)

ولما كان المذهب الزيدى ، يدعو الى الاجتهاد ، وينفر عن التقليد ، فانه كان ينبغي للمتأخرين منهم ، أن يسلكوا تلك الطريق ، ولكمهم جنحوا الى التعصب والجمود ، ونبذ الاجتهاد ، واعتناق التقليد ، ورموا بالشهب الكلامية ، من يدعو الى السنة النبوية ، وتنافسوا ، بل وتزاحموا على العلوم العقلية ، فخيم الجمود والتعصب على الاجتهاد وحرية الرأي ، والعلوم العقلية على التقليدية ، وكاد أن ينطفىء نور الحق ، ويبى الله إلا أن يتم نوره ، ولو كره غلاة المتكلمين .

وصدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - القائل : (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها) . (٣)

== أبو الاجفان وزميله مؤسمة الرسالة . أما ابن الوزير فقد أكثر من إيراد ما يؤيد تصحيحه لكثرة طرقه التي ذكرها وهي كما قال : (مع تصحيح أحمد وابن عبد البر وترجيح العقيلي لاسناده تقتضى جواز التمسك به) وأشار اليه الالبانى فى سلسلة الاحاديث الصحيحة تحت رقم ٢٧٠ ولو أن المقام يتسع لأكثر من هذا لذكرته .

(١) الهوة : الحفرة والهاوية ما بين الجبلين كذا فى المصباح المنير ج ٢ ص ٤١٧ وتسلسل البلاغة ص ١٠٧٠ والحضيض القرار من الارض عند منقطع الجبل - أهد صحاح ج ٣ ص ١٠٧١ .

(٢) مسند أحمد ج ١ ص ٤٣٧ ج ٣ ص ٢٢٥ ج ٤ ص ٨٠ ، سنن أبى داود مع عون المعبود ج ١٠ كتاب العلم باب فضل نشر العلم ص ٩٤ - ٩٥ ، سنن ابن ماجه ج ١ مقدمة ص ٨٤ - ٨٩ سنن الداريمى ج ١ ص ٦٥ - ٦٦ سنن الترمذى بتحفة الاحوذى ج ٢ كتاب العلم ص ٤١٦ - ٤١٧ ،

وقد روى هذا الحديث بعدة الفاظ وهذا لفظ الترمذى وقال حسن صحيح . (٣) سنن أبى داود مع عون المعبود ج ١١ كتاب الملاحم ص ٣٨٥ - ٣٨٦

==

ابن الوزير المجدد :

لما رأى ابن الوزير أن معالم السنة تكاد^ت تطمس بتكسب علماء الزمان طريقها إلى الطرق المتوتية العوجاء الكلامية الجدلية اليونانية . لما رأى ذلك نهض للدعوة إلى الرجوع إلى كتاب الله - تعالى - وسنة رسوله - عليه الصلاة والسلام - وترك الجمود ، والتعصب المذهبي الأصولي والفروعي ، والدعوة إلى حمل لواء الاجتهاد ، ونبد التقليد ، وأخذ المدلول من الدليل الثابت الصحيح ، وعندها قام عليه علماء عصره^(١) ، بل قامت قيامتهم ، وعلى رأسهم بعض شيوخه فاعترضوا عليه بشتى الاعتراضات ، والمراسلات والمناظرات ، من ذلك الرسالة التي اعترض^{عليه} بها السيد جمال الدين سنة ٨٣٢ هـ صاحب تجريد الكشف ، أحد شيوخ ابن الوزير ، التي سيأتى الحديث عنها ، واقتطاف البعض منها في (المعارك الكلامية) ان شاء الله تعالى .

وكان هذا حافزا قويا - لابن الوزير - على أن يشهر^(٢) أمضى سلاح في وجوه القوم ، ذلك هو الدعوة إلى كتاب الله - تعالى - وسنة رسوله - عليه الصلاة والسلام - وما كان عليه السلف الصالح الكرام رضي الله عنهم اجمعين .

ونقد التعصب في علم الكلام المؤدى إلى التحريف والتأويل ومجارات العقول لاسيما في أسماء الله الحسنى وصفاته العلا ، وسيأتى بيان هذا في منهج ابن الوزير في الإلهيات . وخاصة في " الأسماء والصفات " ان شاء الله تعالى كما نقد البدع والخوض في المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله - عز وجل - كما سيأتى في موقفه من (الابتداع والتقليد) .

=== من حديث أبي هريرة رضي الله عنه اتفق الحفاظ على تصحيحه كما في المرجع ذاته .

(١) أنظر البدر الطالع للشوكاني ج ٢ ص ٩٢ .

(٢) من باب نفع كما في المصباح المنير للفيومي ج ١ ص ٣٤٩ .

هذا ولما حمى الوطيس بين ابن الوزير وخصومه ، وقف موقف المدافع
المؤمن القوى ، الجازم بأنه على الحق وأن خصومه على الباطل .

وقد أراد الله — عز وجل — أن يخلد السلاح الذى استخدمه
ابن الوزير — رحمه الله — فى الذب عن سنة أبى القاسم — صلى الله عليه
وسلم — فانحاز الى بطون الأودية الخوالى ، وروءس الجبال العـوالى ،
مستعدا العون والنصر من الله — عز وجل — .

فاخذ بالاسباب ، وأعد لهم العدة ، بما استطاع من قوة ، وغلن خصومه
أنه ولاهم دبره ، وغفلوا عن كونه متحرفا للمعركة ، ولما كرا ابن الوزير راجعا ،
شاهرا أمضى سلاح ، على أعدائه المتجسد فى كتابه ، الذى لم يعرف التاريخ
اليمنى مثله ، فكانت ضرباته لخصومه قواصم ، ولمن رجع عن عدائه عواصم ، وهو
جدير بأن يسميه (العواصم والقواصم) فى الذب عن سنة أبى القاسم صلى الله
عليه وآله وسلم) .

وقد نصره الله — عز وجل — لنصره دينه ، ورفع رايته ، وصدق الله
العظيم القائل : (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) (١) (وكان
حقا علينا نصر المؤمنين) (٢) (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة
الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) (٣) (ولن تجد لسنة الله تبديلا) (٤) .

وفى هذا المعنى قال الفقيه البارع يحيى الطويل يمدح ابن الوزير :

.....

محمد المرتدى بالكمال * * * وسالك كل صراط سوى
وانسان عين بنى المرضى * * * ودرة عقدهم اللوء لومى
ورافع اعلام علم الحديث * * * وناصب عرض الهدى النهوى
واشر سنة خير الأنعام * * * وقد كان منشورها منطوى
تجرد فى بعث مقبورها * * * وانقاد منها ما كان سوى (٥)

(١) سورة محمد آية : ٧ .

(٢) سورة الروم آية : ٤٧ .

(٣) سورة غافر آية : ٥١ .

(٤) سورة الاحزاب آية : ٦٢ .

(٥) من ترجمة ابن الوزير لمحمد عبد الله الوزير ج ٢ من العواصم والقواصم
لابن الوزير .

وهكذا طبيعة الدعوة الى الله — تعالى — ، فالطريق شاق ، والحسب لا ينتصر بنفسه ، ان لابد للدعوة الاسلامية من حملة أقوياء ، يحملونها على عواتقهم ، ويبلغونها الى الناس ، ويتحملون المشاق ، ويبذلون الغالي والنفيس ، بل الأرواح التي هي أغلى ما يكون عند الناس ، وليست الطريق مفروشة بالورود ، بل لابد من التضحية وبذل الجهود .

وقد ضحى ابن الوزير — جزاه الله عن الاسلام خير الجزاء — بمفارقة الأهل والأحباب ، في سبيل الذود عن سنة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — .

تلك هي سنة الأنبياء — عليهم السلام — والدعاة والمصلحين .

بعض الأدلة على انتصار ابن الوزير :

من علامات انتصار ابن الوزير ما يأتي :

- ١ - استطاع نشر الحديث وعلومه ، وسائر العلوم الشرعية ، في أرض لم يألّف أهلها ذلك في عصره ، فله أجر العلماء العاملين ، وأجر المجاهدين المجتهدين .
ومن هنا نعلم أن ابن الوزير - رحمه الله - لم يكن مصدر إشعاع ، أو امتداد للدعوة السلفية - كما سيأتي في فصول هذه الرسالة في بلده فحسب ، بل كان سيكون نبزاسا ، يهتدى به دعاة الفكر الاسلامي التحرري ، في سائر البلدان الاسلامية ، إلا أنه من الموءسف جدا أن يكون التراث الذي خلفه ابن الوزير للمكتبة الاسلامية ، معظمه مطمورا ، في المكتبات اليمنية ، تعبث به الأرضه وغيرها وبعضه تابعته الأيادي الحاقدة على نشره .
- ٢ - ولكن بتوفيق الله - عز وجل - تنبه الكثير من الباحثين الجامعيين - والمحققين والناشرين - لإخراج هذا التراث الاسلامي .
- ٣ - وقد نال باحثان درجة الماجستير في الشريعة الاسلامية أحدهما في تحقيق مقدمة إيثار الحق ، وثانيهما رسالة بعنوان ابن الوزير اليمنى ومنهجه الكلامي ، ولعل هذه الرسالة تكون حافزا للباحثين والمعلقين والمستدركين ، والمصححين .
- ٤ - هذا وقد حمل دعوة ابن الوزير من بعده في اليمن - الأمير الصنعائي في القرن الثاني عشر الهجري والشوكاني في القرن الثالث عشر الهجري ولا يخلو زمان أو مكان من المصلحين .
- ٥ - وبالاطلاع على هذه الرسالة ، أو على بعض موءلفاته مثل (العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم) ومختصره (الروض الباسم) وغير ذلك ستجد أن ابن الوزير صاحب مدرسة مستقلة ، لها أفكارها ، ومناهجها التي تفيد من يطلع عليها لمعرفة أقوم الطرق وأرشدّها في تبصير المسلمين بحقيقة دينهم ، لاسيما كتابه (إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات الى المذهب الحق من أصول التوحيد) . وكفى بهذا العنوان - بعد الاطلاع على ما يحتويه - بيانا ، فانه كثيرا ما يذكر فيه كثرة الطرق واعوجاجها والتحذير منها ، كما يذكر الطريق

المستقيم طريق القرآن والسنة طريقة السلف الصالح، وابن الوزير بحق —
 أحد الدعاة إلى التحرر المذهبي في اليمن، ومن أثاره ظهر تيار قوى،
 أظهر رجحان الحديث وعلومه، على الجدل والكلام، فكانت ذروته
 الشوكاني، مروراً بالمقيلي والصنعاني ومن سار على نهجهم (١)
 ولا يخلو الزمان من أهل الخير والإصلاح، مصداق ذلك قول الرسول عليه
 الصلاة والسلام — (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم
 من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك) (٢)
 وقد اختلف في تعيين هذه الطائفة المذكورة في الحديث فقال البخاري
 هم أهل العلم وقال الإمام أحمد: إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدرى
 من هم، قال القاضي عياض: إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة،
 ومن يعتقد مذهب أهل الحديث وقال النووي: (ويحتمل أن هذه
 الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين، منهم شجعان مقاتلون، ومنهم
 فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد، وآمرون بالمعروف، وناهون
 عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من أهل الخير، ولا يلزم أن يكونوا
 مجتمعين، بل قد يكونون متفرقين، في أقطار الأرض) (٣)
 غير أنه من المؤسف جداً أنك إذا قارنت بين أماكن عليه أسلافنا
 اليمنيون وشهادة الرسول عليه الصلاة والسلام — لهم الأنفة الذكر وبين الكثيرين
 منهم من أهل زماننا هذا، لوجدت البون الشاسع، بل لأحسب المؤء من بأن
 نياط قلبه تكاد أن تنقطع، لما يرى من تغير الأحوال، والله المستعان
 ولكن الزمان لا يعدم الخير وأهله بفضل الله تعالى فالمسيرة الإسلامية تبشر
 بخير إن شاء الله.

(١) أنظر البدر الطالع ج ٢ ص ٩٢ ومجلة اليمن الجديد العدد الخامس سنة ١٩٧٢م تصدرها وزارة الإعلام اليمنية ودراسات في التراث اليمني للحبشي

ص ٤٥ وما بعدها والزيدية لأحمد صبحي ص ٦٢٨ .
 (٢) البخاري ج ٤ كتاب المناقب ص ١٨٧، مسلم واللفظ له ج ٣ كتاب الإمارة
 باب لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين ص ٢٣ ١٥ — ٢٤ ١٥، مسند أحمد

٤٣٦، سنن ابن ماجه مقدمة ص ٥ — ٦ .

(٣) شرح مسلم للنووي ج ١٣ ص ٦٧ .

تمهيد :

المعتزلة فرقة ضالة من فرق المسلمين ، انحرفت بضلالها عن طريق السلف الصالح رضى الله عنهم ، وقد يلقبون بالقدرية . وقد جعل لفظ القدرية مشتركا ، وأنه يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره احترازا من وصمة اللقب في حديث ابن عمر رضى الله عنهما ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (القدرية مجوس هذه الامة ، إن مرضوا فلا تعودوهم ، وإن ماتوا فلا تشهدوهم) (١) . وجه الشبه إثبات فاعلين ، فاعل الخير وفاعل الشر ، والمجوس قالوا بالهين النور والظلمة ، والقدرية نفاة القدر الذين نفوا علم الله - عز وجل - بأفعال العباد ، وقالوا إن الأمر أنف وزعموا أنه لا يمكن الجمع بين القدر والاختيار وهو لا ، الذين تبرأ منهم ابن عمر رضى الله عنهما وبقالهم غلاة إثبات القدر ، وهم الجبرية ، فأنكروا أن يكون

(١) رواه اللالكائي بسنده في شرح اصول اعتقاد أهل السنة ج ٤ ص ٦٣٩ من المجلد الثاني ، وفي سنده زكريا بن منظور فيه جرح شديد وتعديل ضعيف وروى عن أبي هريرة وجابر وحذيفة وسهل بن سعد وعائشة رضى الله عنهم أنظر تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٣ ص ٣٣٢ - ٣٣٣ ، وحواشي الفوائد المجموعة حيث قال المعلمي وهذا الخبر يتعلق بعقيدة كفر فيها النزاع واللجاج ، فلا يقبل منها ما فيه مخمز ، الفوائد المجموعة للشوكاني ص ٥٠٣ - ٥٠٤ ، ورواه ابن الجوزي في العلل المتناهية ج ١ ص ١٤٤ - ١٤٥ وقال : (وهذا حديث لا يصح) ط الهند لاهور ، وأنظر سنن أبي داود مع عون المعبود ج ١٢ كتاب السنة باب في القدر ص ٤٥٢ - وفي أسناده مقال ، وله طرق أوردها صاحب اللآلئ وأطال الكلام ، ورد على ابن الجوزي حيث زعم أنه موضوع وهو عند ابن الجوزي بلفظ (إن لكل أمة مجوسا وإن مجوس هذه الامة القدرية فلا تعودوهم إذا مرضوا ولا تصلوا عليهم إذا ماتوا) الموضوعات ج ١ ص ٢٧٥ ، وقال هذا لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - ورد عليه السيوطي بكلام كثير وأورد له طرقا كثيرة وقال : ينتهي بمجموع طرقه الى درجة الحسن الجيد المحتج به أن شاء الله ، اللآلئ المصنوعة في الاحاديث الموضوعة جز ١ ص ٢٥٨ - ٢٥٩ بيروت ط ثانية سنة ١٣٩٥ هـ وقرر الالباني أنه حسن في شرح الطحاوية ص ٥٩٣ وابن الوزير مفهوم كلامه أنه ضعيف كما في الايثار ص ٣٠٧ .

للعبد فعل أو اختياره بل هو كالغصن في مهب الرياح ، وقد أوجز ابن الوزير هذا في قوله : (إن فسر القدر بالعلم ونحوه فالذموم من نفيه ، وإن فسر بالجبر والاكراه فالذموم من أثبته)

وظهرت بدعة القدرية هؤلاء في أواخر عصر الصحابة رضوان الله عليهم فأنكرها بقاياهم ، منهم ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم ، ولم يظهر لهم سلطان حتى كثرت المعتزلة في عهد المأمون .

وقد أجمع أهل الاسلام — كما حكاه ابن الوزير — على أن القدر يتعزى به في المصائب ولا يحتج به في المعائب . (١)

وقد عد المعتزلة — رغم ضلالهم لموافقتهم الجهمية في تعطيل الصفات وتأويلها — أصحاب المقالات — من أهل القبلة ، والمعتزلة فرق كثيرة يخطئ بعضها بعضا بل يكفرها .

وقد صنفهم البغدادى سنة ٢٥٤ هـ اثنتين وعشرين فرقة ، فرقتين من الخلافة في الكفر ، وهما الخاطبية ، والحمارية ، ولكنه لم يذكرهما عند التفصيل ، وعد هم الشهرستاني سنة ٥٤٨ هـ اثنتي عشرة فرقة (٢) ، وعد هم المهدي المرتضى الزيدي سنة ٨٤٠ هـ عشرين فرقة ، لكنه رجح ما ذكره الحاكم الجسمى المعتزلى الزيدي سنة ٩٤٤ هـ من أن المعتزلة ثلاث عشرة فرقة .

بدأ بالغيلانية (٣) ، وثنى بالواصلية ، وختم بالجاحظية ، وصرح بأن كل فرقة من هؤلاء تنفرد بمقالة لم يقل بها غيرها . (٤)

وتزعم المعتزلة بأن اسناد مذهب الاعتزال أصح أسانيد أهل القبلة إذ يتصل الى واصل ، وهو يسنده الى محمد بن الحنفية الى علي عليه السلام (٥) الفرق بين الفرق للبغدادى ص ١١٤ والطل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٤٣ - ٤٧ بيروت ط ثانية سنة ١٣٩٥ هـ .

(١) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٣٠٧ .
وأنظر تفاصيل ظهور بدعة القدرية في صحيح مسلم مع شرحه للنووى ج ١ كتاب الايمان ص ١٥٤ وما بعدها المطبعة المصرية ، وسنن أبي داود مع عون المعبود ج ١٢ كتاب السنة باب في القدر ص ٤٦٠ ، مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٢٨ ص ٤٥٠ ، شرح العقيدة الواسطية لهراس ص ١٣٧ - ١٣٨ ، الايمان لابن منده ج ١ ص ١٢١ تحقيق الدكتور على ناصر الفقيهى ط الجامعة الاسلامية ط أولى سنة ١٤٠١ هـ .

(٢) نسبة الى غيلان الدمشقى زميل معبد الحننى هما أول من تكلم في القدر فأما معبد فكان ممن قتلهم الحجاج في فتنة ابن الأشعث وخروجه على الحجاج وأما غيلان فقد استمر داعيا للقدر حتى رجع عنه على يد الخليفة عمر بن عبد العزيز وعاد بعد موت الخليفة المذكور الى زمن هشام بن عبد الملك فأمر بقتله بعد مناظرة جرت بينه وبين الأوزاعي انقطع فيها غيلان أنظر تاريخ المذاهب الاسلامية لابی زهرة ج ١ ص ١٢٥ - ١٢٨ .

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم - الى جبريل عليه السلام (١) ، وما أحوج مثل هذا الزعم الى دليل بل دونه بيض الأنوق (٢) ، وليكفى فى بطلانه سماعه .

ظهور المعتزلة :

أما ظهور هذه التسمية بصفة عامة ، وسببها ، فالمشهور أنها ظهرت فى عهد عبد الملك بن مروان ، وقيل هشام بن عبد الملك وفى مجلس الحسن البصرى سنة ١١٠ هـ ، وكان واصل بن عطاء الأئبغ سنة ١٣١ هـ من تلامذة الحسن فسئل الحسن عن حكم مرتكب الكبيرة ، فأجاب واصل قبل أن يجيب الحسن ، بالمنزلة بين المنزلتين ، وتابعه عمرو بن عبيد سنة ١٤٢ هـ فطرد هما الحسن عن مجلسه ، فاعتزلا الى سارية من سوارى مسجد البصرة فقبل لهما ولأتباعهما (معتزلة) لاعتزالهم دعوى الأمة) أن الفاسق من أمة الاسلام فلما كان زمن هارون الرشيد ، صنف لهم أبو الهذيل كتابين وبين مذهبهم ، وبناه على الأصول الخمسة التى سموها : العدل ، والتوحيد ، وانفاذ الوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

والمعتزلة مشبهة الأفعال ، لأنهم قاسموا أفعال الله تعالى على أفعال عباده ، وجعلوا ما يحسن من العباد يحسن منه ، وما يقبح من العباد يقبح منه .

وقالوا : يجب عليه أن يفعل كذا ، ولا يجوز له أن يفعل كذا ، بمقتضى ذلك القياس الفاسد !! فان السيد من بنى آدم لو رأى عبده تزنى بإمائه ولا يمنعهم من ذلك لعدا ما مستحسنا للقبیح أو عاجزا فكيف يصح قياس أفعاله

(١) الملل والنحل للمهدى المرتضى مقدمة البحر الزخار ص ٤٣ - والعلم الشامخ للمقبلى ص ١٩ .

(٢) الأنوق الرخمة تضع بيضها حيث لا يوصل اليه بعد او خفاء مثل يضرب للشىء يتعذر وجوده - مجمع الأمثال للميدانى ص ٢٦٤ .

سبحانه - على أفعال عباده (١) ؟

وقد عدد البغدادى فضائح المعتزلة فضيحة فضيحة ، وخاصة
فضائح النظام ، التى منها الطعن فى كبار الصحابة والتابعين وأصحاب
الحديث ، ورواياتهم أحاديث أبى هريرة .

كما طعن فى الخبر المتواتر ، وجوز أن يقع كذبا ، مع قوله إن الآحاد
يوجب العلم الضرورى ، والمقام لا يتسع لتعداد هذه المخزيات فراجعها
فى مظانها . (٢)

ظهور المعتزلة فى اليمن :

وأما متى تسربت الى اليمن ، وعلى يد من ؟ ففيه خلاف طويل نلخصه
فيما يلى :

١ - ذهب نشوان الحميرى سنة ٥٧٣ هـ الى أنها تسربت عن طريق وهب
ابن منبه سنة ١١٤ هـ وأصحابه ، وهم أبناء فارس الذين فى اليمن .
يوئيد هذا قول سفيان بن عيينه : (دخلت على وهب بن منبه فى
داره بصنعاء فأطعمنى من جوزه فى داره ، فقلت وددت أنك لم
تكن كتبت فى القدر كتابا ، قال : وأنا والله لوددت ذلك) (٣)
ولكن يحمل هذا على تسرب بدعة القدرية لا الاعتزال كما سيأتى ،
وقال الذهبى : (كان وهب يقول بالقدر) وقال أحمد : (كان
يتهم بشيء من القدر ثم رجع) . (٤)

٢ - وذهب صاحب طبقات الزيدية (٥) الى أن دخول عقيدة المعتزلة

-
- (١) الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٠ - ٢١ - الملل والنحل للشهرستانى
ج ١ ص ٤٦ - ٤٨ ، فجر الاسلام لأحمد أمين ص ٢٨٥ ط النهضة
المصرية سنة ١٩٧٥ م ، شرح الطحاوية ص ٥٨٨ - ٥٨٩ .
(٢) الفرق بين الفرق ص ١١٤ - ١٥٠ وأنظر السنة ومكانتها لمصطفى
السباعى ص ١٣٤ - ١٤٢ - المكتب الاسلامى ط ثانية .
(٣) رسالة الحور العين لنشوان الحميرى ص ٢١١ وأنظر الميزان للذهبي
ج ٤ ص ٣٥٣ .
(٤) الميزان للذهبي ج ٤ ص ٣٥٣ تحقيق الجاوى بيروت ط أولى سنة
١٣٨٠ هـ وهب هذا تولى القضاء بصنعاء كما فى المرجع نفسه .
(٥) هو ابراهيم بن القاسم الشهارى ت ١١٥٣ هـ خ يوجد فى المكتبة
الغربية جامع صنعاء رقم ١٤٤ تاريخ مصادره .

فى اليمن كان فى عام بضع وستين وخمسائة هجرية على يد القاضى جعفر (١) بن أحمد بن عبد السلام ت سنة ٥٧٣ هـ .

٣ - وذهب صاحب غاية الأمانى الى أن دخول عقيدة الاعتزال فى اليمن كان فى سنة ٥٦٦ هـ ، وهذا يقارب مائى طبقات الزيدية .

٤ - وقيل : كان على يد الامام القاسم بن ابراهيم الرسى سنة ٢٤٤ هـ وقيل : سنة ٢٤٦ هـ .

٥ - وقيل : ان ذلك كان على يد الامام الهادى يحيى بن الحسين العلوى ت سنة ٢٥٨ هـ حفيد الامام القاسم الرسى المذكور آنفا لما خرج الى اليمن فى المرة الثانية سنة ٢٨٥ هـ وقيل : ٢٨٤ هـ وهذان القولان الأخيران اكتشفتها من خلال البحث . أما أولهما : وهو أنه كان على يد الامام القاسم الرسى ، فلما صرح به من تكفير المثبتين لرواية الله - تعالى - فى الآخرة . ومعلوم أن هذا من معتقدات المعتزلة . (٢)

وسياتى لهذا مزيد أيضا فى الكلام على الرؤية ان شاء الله تعالى ، ولأنه مؤسس الدولة الزيدية فى اليمن فى أحد القولين ، كما سياتى بيان ذلك - ان شاء الله تعالى - فى فصل (الزيدية) والمقارنة وأما ثانيهما : وهو القول بأنه كان على يد الامام الهادى ، فلأنه حفيد الامام القاسم الرسى ، وهو مجدد منهج جده المذكور ، ولأنه سلك طريقا للمعتزلة فى الأصول الخمسة ، الا أنه لم يذكر المنزلة بين المنزلتين ، بل ذكر مكانها الايمان بنبوة محمد - صلى

(١) هو شيخ الزيدية ومتكلمهم فى اليمن تولى القضاء فى صنعاء فى عهد الامام احمد بن سليمان أحد أئمة اليمن الزيدية ت سنة ٥٦٦ هـ ولهذا القاضى الفضل الذى لا يحسد عليه فى نقل كتب المعتزلة من العراق الى اليمن أنظر الزيدية لاحمد محمود صبحى ص ٢٦٣ وحكام اليمن للحيشى ص ٧٥ .

(٢) أصول العدل والتوحيد للقاسم الرسى ضمن رسائل العدل والتوحيد ج ١ ص ١٠٥ تحقيق محمد عمارة دار الهلال . وحاشية تاريخ اليمن الثقافى ج ٤ ص ١٣٤ وغاية الأمانى فى تاريخ القطر اليمانى ليحيى بن الحسين بن القاسم ج ١ ص ١٥٠ .

الله عليه وسلم - وإمامة علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - (١) ، وسيأتى تحقيق هذا فى المقارنة بين المعتزلة والزيدية ان شاء الله .
أما الأقوال الثلاثة الأول فلم أجد لها شواهد تنهل عليها فهى مرجوحة .
فان قيل : إن هذين القولين معارضات بما قرره نشوان الحميرى فى القول الأول من أن تسرب الاعتزال الى اليمن كان عن طريق وهب بن منبه وأصحابه ؟

فيقال : إن ظاهر كلام الذهبى والإمام أحمد السابقين أن هذا التسرب لبدعة القدرية ، وهى قديمة قبل ظهور الاعتزال فى أواخر عهد الصحابة . وقد أنكر عليهم من بقى من كبارهم كابن عباس وابن عمر - رضى الله عنهم . والاعتزال ظهر فى أوائل القرن الثانى فى زمن الحسن البصرى كما سبقت الإشارة الى ذلك الزمن .

وعلى هذا يحمل ما قرره نشوان الحميرى ، فيكون تسرب الاعتزال الى اليمن آنذاك هو تسرب بدعة القدرية للقرائن الآتية :

- ١ - أن الامام أحمد من أئمة الحديث والجرح والتعديل ، بل من كبارهم ، والامام الذهبى من فرسان هذا الميدان كما هو معلوم .
- ٢ - ان قولهما مقدم على قول نشوان للعدد ولما عرف عن أهل الحديث من التحرى والضبط مما لا يوجد عند غيرهم .

٣ - ان المشهور عند الزيدية فى اليمن نسبة المذهب الهادى الى الامام الهادى لا الى وهب بن منبه كما أشار الى ذلك الصنعائى والشوكانى وغيرهما بكثرة وعليه فيكون ما ذهب اليه نشوان هو المرجوح ، اللهم الا أن يقال : ان المعتزلة قد رية .
ولكن من أين يؤخذ هذا ؟ ! أمن دعوى خصومهم ، أو من أصولهم الخمسة ، أو من غير ذلك ؟

الجواب : - والله أعلم - أن هذا أخذ عليهم من الأصل الثانى وهو العدل المتضمن التكذيب بالقدر كما سيأتى بعد هذا ان شاء الله .

(١) كتاب فيه معرفة الله من العدل والتوحيد ضمن رسائل العدل والتوحيد للامام الهادى يحيى بن الحسين ج ٢ ص ٧٣ .

أصول المعتزلة :

سبق أن أشرت الى عدد فرق المعتزلة ، وأن كل فرقة تخطيء الأخرى ، بل وتكفرها ، ومع هذا كله فإنهم يتفقون على أصولهم الخمسة ، وهي معروفة عند كل من له اطلاع على كتب المقالات ، لهذا سأذكرها بإيجاز من أجل المقارنة بين أصولهم الاعتقادية ، وأصول الزيدية للتوصل الى معرفة ما اذا كانت معتقدات الزيدية مستقاة من المعتزلة أو من غيرها ، وهل أخذت الزيدية الأصول الخمسة التي لا يعتبر المرء معتزلياً - عندهم - الا اذا اعتقدها ودعى اليها ودافع عنها - كاملة أو بدلوا ؟

واذا كان الأخير فمن أين أخذ هذا البديل وما هو ؟ وغير ذلك من التساؤلات الواردة حول هذا ،
نوءل الاجابة عن هذه التساؤلات الى مبحث مستقل للمقارنة بين الزيدية والمعتزلة ان شاء الله .
ولنذكر الآن الأصول الخمسة عند المعتزلة بإيجاز وهي :

- ١ - التوحيد : خلاصته عندهم أن الله - عز وجل - موجود قديم ، والقدم أخص وصف ذاته ، والقول بنفى الصفات مع اثباتهم الأسماء وتأويلها ، بل تعطيلها ، فقالوا : عالم بذاته حي بذاته قادر بذاته ، لا يعلم وحياة وقدرة . فمن أثبت صفة قديمة فهو مشبه عندهم لأن القديم عند جمهورهم هو أخص وصف الإله والخاص عند مشبي الصفات مثل كونه رب العالمين ، وقالوا : ان القرآن مخلوق ، اذ لو كان غير مخلوق للزم تعدد القدماء .
كما نفوا روية الله - عز وجل - في الآخرة بالأبصار ، وقالوا بتأويل المتشابه من القرآن الكريم ، كما أوجبوا تأويل النصوص الصحيحة على طبق ما تقرره عقولهم^(١) ، من ذلك ما قاله أحد

(١) أنظر التفاصيل في شرح الأصول الخمسة ص ١٣٠ وما بعد ها
ومجموع فتاوى ابن تيمية ج ٦ ص ٥٥ ج ١٣ ص ٣٨٦ - ٣٨٧ ج ١٣ ص ٩٨ والاسئلة والاجوبة الاصولية لعبد العزيز المحمد السلطان ص ١٥١

روادهم عبد الجبار: (واذا ورد في القرآن آيات تقتضى بظاهرها التشبيه وجب تأويلها لأن الالفاظ معرضة للاحتمال ، ودليل العقل بعيد عن الاحتمال) (١) وهكذا منهجه في الاحاديث النبوية .

وقد وصفهم شيخ الاسلام بأنهم "جهمية" في الصفات — أى أن توحيدهم يتضمن نفى الصفات وتأويلها — "وعيدية" في باب الاسماء والأحكام لمرتكبي الكبائر، والمراد بالاسماء هنا أسماء الدين مثل مؤمن وكافر وفاسق . والمراد بالأحكام أحكام أصحابها في الدنيا والآخرة . "قدريّة" في باب القدر — أى ينفون القدر كما يتضمنه أصل العدل الآتى :

٢ — العدل : وهو عندهم أن العبد قادر خالق لافعاله خيرها وشرها ، مستحق على ما يفعله ثواباً وعقاباً في الآخرة ، والرب منزّه أن يضاف إليه شر وظلم ، وفعل هو كفر ، ومعصية ، لأنه لو خلق الظلم كان ظالماً ، وأنه يجب عليه من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد ، وبعبارة أخرى : أن الله لا يحب الفساد ، ولا يخلق أفعال العباد ، بل يفعلون ما أمروا به ونهوا عنه ، وهذا القول يتضمن تكذيب القدر ، ومنه خلق أفعال العباد ، وإرادة الكائنات ، ويلزم على هذا أن يكون في ملك الله ، — عز وجل — ما لا يريد ، وذلك يستلزم العجز — تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . (٢)

٣ — الوعد والوعيد : وهوان المؤمن إذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب والعوض ، والتفضل معنى آخر وراء الثواب ، وإذا خرج من غير توبة ، عن كبيرة ارتكبها استحق الخلود في النار ، لأنهم مجمعون على أن أخبار الوعيد تبقى على عمومها ولا تجوز الشفاعة لأحد من الفاسق ، ولا يجوز من الله عز وجل — أن يقبل شفاعة الشافعين ، لأنه يكون تكديبا لكلام الله تعالى . وهذا يتضمن التكذيب بالشفاعة الثابتة المتواترة تواتراً لفظياً أو معنوياً عند المسلمين .

(١) أنظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار بن أحمد ص ٢٦٨ — ٢٦٩ .

(٢) أنظر شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار بن أحمد ص ٢٧٠ وما بعدها وخلق

أفعال العباد للبخاري ص ٤٦ وما بعدها تحقيق عبد الرحمن عميره الناشر دار عكاظ ، ومصباح العلوم للرضا ص ١٤ وما بعدها ومجموع فتاوى ابن تيمية ج ١٣ ص ٣٨٦ — ٣٨٧ وشرح الطحاوية لابن أبي العز ص ٥٨٩ .

والشفاعة عندهم انما هي في رفع درجات بعض اهل البثة ، كما يتضمن الجهل بأن العموم والخصوص لا يتعارضان ولا يجوز عندهم الخلف في الوعيد ، كما أنه لا يجوز في الوعد ، ولو جاز في عمومات الوعيد لجاز في عمومات الوعد . وسيأتى بيان ذلك في موقف ابن الوزير من هذا الأصل في المقارنة بين المعتزلة والزيدية ان شاء الله تعالى .

٤ — الغزلة بين المنزلتين : وهي أن مرتكب الكبيرة لاموء من ولا كافر ، خلافا للخوارج القائلين بكفره ، والمرجئة القائلين بايمانه وأنه لا يضر مع الإيمان معصية ، كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة .

٥ — الأمر بالمعروف ، وهو كل فعل عرف صاحبه حسنه ، أو دل عليه ، والنهي عن المنكر ، وهو كل فعل عرف فاعله قبحه أو دل عليه ، وذلك واجب حسب الاستطاعة بالسيف فما دونه ، ولا فرق بين مجاهدة الكافر والفاسق ، وآلا يؤول المنكر الى أعظم منه ، والمعروف الى ترك واجب اعظم منه ايضا أو ترك واجب آخر . (١)

فان قيل : ما وجه اختصاص المعتزلة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع اشتراك فرق المسلمين في القول به ؟

فالظاهر انه كما اشار اليه شيخ الاسلام (٢) وهو ان هذه الاصل يتضمن عندهم جواز الخروج على ائمة الجور وقتالهم بالسيف ، والا فقد حكى

(١) أنظر تفاصيل هذه الاصول في الاصول الخمسة وشرحها لعبد الجبار أحمد ص ١٣١ — ١٤١ — ١٤٩ — ٦١١ مطبعة الاستقلال ط أولى سنة ١٣٨٤ هـ والثلاثين مسألة للرصاصى عدد صفحاتها ٢٤ مع شرحها للسحولى خ في مكتبة جامع صنعاء الغربية م ١٦٧ ، والملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٤٤ — ٤٥ ، والفرق بين الفرق للبغدادى ص ١١٤ — ١١٥ ومروج الذهب للسعودى ج ٣ ص ٢٣٤ — ٢٣٥ تحقيق محمد محى الدين السعاده ط رابعة ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ج ١٣ ص ٣٨٦ — ٣٨٧ ، وتاريخ المذاهب الاسلامية لابي زهرة ج ١ ص ١٤٠ — ١٤٣ .

(٢) هو ابن تيمية أنظر مجموع فتاويه ج ١٣ ص ٩٨ .

ابن حزم الظاهري (١) ، والقاضي عبد الجبار المعتزلي (٢) اتفاق الأمة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا من لا يعتد بقولهم من الراضة ، وهذا يكونون متفقين مع الخوارج في هذا الأصل بل مع بعضهم .

نكتفي بهذا الإيجاز لمعتقد المعتزلة العام المتفق عليه ، أما تفاصيل مقالات فرقه ، واختلافهم فهذا مما يطول ذكره وهو مبسوط في مثائه ، والغرض من هذا بيان معتقد كل من المعتزلة والزيدية العام ، وهل يتفقان أو يختلفان أو يتفقان في بعض ، ويختلفان في بعض ، ثم بيان موقف ابن الوزير من كل ، ومعرفة خصومه هل هم من المعتزلة أو من الزيدية أو منهما معا ، وقبل أن تنتقل إلى الزيدية نتم الحديث عن المعتزلة ببيان وجهة نظرهم في الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم .

خلاصة مذهب المعتزلة في الخلفاء الأربعة :

المعتزلة تقر بخلافة الخلفاء الأربعة وكلهم يتولون أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً ، ومنهم من يفضل على أبي بكر وعمر ولكن حكى عن بعض متقدميهم أنه قال : فسق يوم الجمل إحدى الطائفتين ، ولا أعلم

(١) انظر الفصل في الملل والنحل لابن حزم مع الملل والنحل للشهرستاني ج ٥ ص ١١ .

(٢) " ملاحظة " القاضي عبد الجبار أحمد شارح الأصول الخمسة اشتهر بأنه معتزلي والواقع خلاف هذا فان كلامه يدل على أنه ليس معتزلياً بل أنه زيدي فمذهب المعتزلة في الإمامة وطرقها في قرئش والاختيار من الأمة واليك نص كلام القاضي عبد الجبار حيث قال في شرح الأصول في فصل طرق الإمامة : (٠٠٠) فقد اختلف فيه فعندنا أنه النص في الأئمة الثلاثة والدعوة والخروج في الباقي ، وعند المعتزلة أنه العقد والاختيار واليه ذهب المجرة (ص ٧٥٣ - ٧٥٤ وفي الفصل الخامس قال : (اعلم أن مذهبنا أن الإمام بعد النبي على بن أبي طالب ثم الحسن ثم الحسين ثم زيد بن علي ثم من سار بسيرتهم) ص ٧٥٧ وقال : (وعند المعتزلة أن الإمام أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم من اختارته الأمة) ص ٧٥٨ وهذا يؤيد ما سيأتي من كلام المسعودي وابن تيمية في الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ، ويدل على أن القاضي المذكور زيدي لأن هذه المسألة هي سبب الانشقاق .

عينها ، ولو شهد على والزبير لم أقبل شهادتهما فى باقة بقل - صرح بذلك
واصل بن عطاء الالغ - ولو شهد على مع آخر ففى قبول شهادته قولان ،
وهذا القول شاذ فيهم ، والذي عليه عامتهم تعظيم على . (١)

والامامة ليست من اصول المعتزلة المتفق عليها ، فبعضهم يميل الى
قول الروافض ، وبعضهم الى الخوارج ، وبعضهم يوافق اهل السنة ، وانها
بالاختيار ، وان الصحابة مترتبون فى الفضل ترتيبهم فى الامامة . (٢)

صرح السعوى بان المعتزلة وغيرها من الطوائف التى تذهب الى
ان الامامة اختيار فى الأمة (٣) .

قال شيخ الاسلام : (ولا ريب أن المعتزلة خير من الرافضة ، ومن
الخوارج ، فان المعتزلة تقر بخلافة الخلفاء الأربعة ، وكلهم يتولون ابابكر
وعمر وعثمان ، وكذلك المعروف عنهم انهم يتولون عليا ، ومنهم من يفضل
على ابي بكر وعمر . . . ومن المشهور عندهم ذم معاوية ، وابى موسى ، وعمر
ابن العاص لاجل على ، ومنهم من يكفره ولا يؤيهم بخلاف طلحة
والزبير وعائشة ، فانهم يقولون ان هؤلاء تابوا من قتاله) . (٤)

اما موقف ابن الوزير من المعتزلة فسيأتى فى الكلام على موقفه من
الزيدية فان الاصول العامة تجمعهم ، ولم أجد خلافا بين الطائفتين ان
صح التعبير - الا فى مسألة الامامة كما سبق وكما سيأتى ان شاء الله
تعالى وعندها يمكن رمى طائرين بحجر واحد .

-
- (١) أنظر مجموع فتاوى ابن تيمية ج ١٣ ص ٩٧ - ٩٨ ، والملل والنحل
للشهرستاني ج ١ ص ٤٩
(٢) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٨٤ .
(٣) مروج الذهب للسعوى ج ٣ ص ٢٣٦ .
(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ١٣ ص ٩٧ - ٩٨ .

الفصل الرابع الزيدية فى اليمن

- أ - تمهيد : وفيه معنى الزيدية .
- ب - أصولهم الخمسة وموقف ابن الوزير منها .
- ج - مقارنة بين المعتزلة والزيدية .

تمهيد :

الزيدية فرقة من الشيعة المتشعبة الافكار المتعددة الفرق ،
 يبلغ الامر ببعض الزيدية الى الغلو والخروج عن الاسلام ، نسب هذا ابن
 الوزير وغيره ، الى الحسينية — أتباع الحسين بن القاسم العياني ^(١) سنة ٤٠٤ هـ
 لادعائه أنه أفضل من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأن كلامه أنفع
 من كلام الله — عز وجل — .

والظاهر أن هذه الفرقة قد انقرضت ، وسيأتي ذكرها في فصل (الممارك
 الكلامية) ان شاء الله تعالى .

وشأن فرقة الزيدية شأن سائر الفرق في التفرق والاختلاف ، ففى
 الافكار والمعتقدات ، الا أنهم متفقون على القول بأنهم الفرقة الناجية ،
 وأنهم الذين اتبعوا كتاب الله — تعالى — سنة رسوله — عليه الصلاة والسلام —
 وتمسكوا بعلى بن أبى طالب وباهل البيت عليهم السلام . ^(٢)

وهذه الدعوى لا تتفق وماهم عليه من الاعتقاد — كما سيأتى بيان ذلك فى
 هذا الفصل وفى الممارك الكلامية — الا فى تمسكهم بعلى بن أبى طالب وباهل
 البيت عليهم السلام .

ولنا أن نتساءل من الزيدية ، ومتى أطلق عليهم هذا الاسم ، وهل
 الزيدية فى اليمن هم الاصل ، ام غيرهم ؟ واذا كانت الثانية فمتى دخلت
 اليمن ، ومن الذى أسسها ونشرها فيه ؟ وهل كانت لهم دولة ؟

يقول ابن كثير — رحمه الله — بعد ان سرد قصة خروج الامام زيد بن
 على بن الحسين بن على بن أبى طالب — رضى الله عنهم — سنة ١٢٢ هـ
 وأخذ البيعة ممن بايعه ، والتفاف الشيعة من أهل الكوفة حوله ، وسوء اليهم

(١) أحد حكام اليمن تولى الامامة بعد وفاة ابيه وقتل فى البون قرب مدينة
 غمران سنة ٤٠٤ هـ كما فى حاشية الروس الباسم لابن الوزير ج ٢ ص ١٥٨
 والعواصم والقواصم ج ٢ وهم ١٥ ورقة ٣٥ وحكام اليمن للحبشى ص ٦٠
 (٢) أنظر الجامع الكافى لمحمد بن على الحسن العلوى ج ٦ ورقة ٣٥٨ خ
 فى مكتبة جامع صنعاء الغربية رقم ١٠٦ .

اياه قبل نشوب القتال عن رأيه في الشيخين أبي بكر وعمر - رضى الله عنهما - ومقالته فيهما خيرا ، وبعد حوار طويل نقضوا البيعة ، ورفضوه فسموا الرافضة ، قال ابن كثير بعد ذلك : (ومن تابعه من الناس على قوله سمو الزيدية ، وفى مذهبهم حق وهو تعديل الشيخين ، وباطل وهو اعتقاد تقديم علي عليهما ، وليس على مقدما عليهما بل ولا على عثمان علي ، أصح قول أهل السنة الثابتة ...) وذكر نحو هذا شيخ الاسلام ابن تيمية وغيره . (١)

وهذا خلاف ما عليه الزيدية من ان عليا - رضى الله عنه - افضل الخلق بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسيأتي هذا قريبا فى هذا الفصل ان شاء الله تعالى .

وها هو ذا الامام يحيى بن حمزة (٢) سنة ٧٤٩ هـ يتساءل عن الزيدية ، ولم يختصوا بهذا الاسم ، وما هو الظاهر من أقوالهم فى أقطار البلاد ؟ فأجاب قائلا : (ان ظاهر هذا اللقب انما هو الى الامام الباسل - يعنى زيد بن علي) . (٣)

فحينئذ تكون الزيدية هم أتباع الامام زيد ، القائلون بامامته وبرأيه فى تفضيل علي على الصحابة مع تولية الشيخين وبالخروج على أئمة الجور . (٤)

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٩ ص ٣٢ - ٣٣ مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٩ ص ١٥٢ ج ٢٨ ص ٤٩٠ ص ١٢٥ ص ٢٦٠ وانظر مقالات الاسلاميين للشعرى ج ١ ص ١٣٦ -

١٣٧ ، والاديان والفرق لعبد القادر شعبة الحمد ص ١٢٩ ، والفصل فى الملل والنحل لابن حزم ج ٥ ص ٣ ، مقدمة ابن خلدون ص ١٩٨ ، فتح البارى ج ٧ ص ٣٤ ، الروض النضير للسيافى ج ١ ص ١٢٠ دار البيان ط ثانية سنة ١٣٨٨ هـ والفهرست لابن النديم ص ٢٥٣ - الناشر دار المعرفة بيروت .

(٢) هو أحد أئمة اليمن الزيدية تولى الحكم سنة ٧٢٩ هـ وتوفى سنة ٧٤٩ هـ بلغت مؤلفاته ٦٨ مؤلفا . انظر حكام اليمن للحبشى ص ١٣٣ - ١٤٨ .

(٣) الرسالة الوازنة ليحيى بن حمزة فى النهى عن سب الصحابة ضمن مجموعة الرسائل اليمنية ص ٢٨ ط النيرية سنة ١٣٤٨ هـ .

(٤) انظر تاريخ الفرق الاسلامية للغرابى ص ٢٨٩ مطبعة محمد على صبيح ولطيفة بدون تاريخ .

ونعنى بالزيدية الذين ثبتوا مع الامام زيد لا المتأخرين الذين سيأتى الحديث عنهم وعن معتقداتهم ان شاء الله تعالى وهذا يخالف ما ذهب اليه البغدادى من أن الزيدية من الرافضة ، والصواب — والله اعلم — ما ذكرناه آنفاً عن ابن كثير وغيره لأن التسميتين فى زمن واحد ، بل فى يوم واحد ، بعد أن كان الجميع شيعة الامام زيد .

يقوى هذا ما قاله شيخ الاسلام ابن تيمية فى سياق كلامه عن ظهور كلمة (الرافضة) وخروج زيد بن على حيث قال : (ومن حينئذ انقسمت الشيعة الى زيدية ورافضة امامية) . (١)

ولهذا قال فيهم زيد بن على : (الرافضة حربى وحرب أبى فى الدنيا والآخرة) (٢)

وأما هل الزيدية فى اليمن هم الاصل أو غيرهم ؟ فالمفهوم من كلام ابن كثير الآنف الذكر أنهم فرع ، وأن الاصل كان فى العراق .

وأما متى دخل اليمن هذا المذهب ، وهل كانت لهم دولة هناك ، فندع الاجابة للتاريخ :

الزيدية فى اليمن ودولتها :

سبق أن ذكرت الخلاف فى ظهور المعتزلة فى اليمن وعلى يد من ؟ ومن تلك الأقوال القول الرابع : وهو أنه على يد الامام القاسم الرسى (٣) سنة ٢٤٤ هـ وقيل ٢٤٦ هـ .

والقول الخامس أنها كانت على يد الامام الهادى يحيى بن الحسين العلوى ت ٢٩٨ هـ حفيد الامام القاسم الرسى . وعللت لكل من القولين ، والآن نعود فنذكر ما قاله المؤرخون اليمنيون فى ظهور الزيدية ، ومعتقداتهم — ، ودولتها فى اليمن بايجاز مع بيان أنه اذا ذكرت بعض أسماء أئمة المعتزلة ، ثم تكرر ذكرها ، فليس ذلك من باب التكرار المديم الفائدة ، وإنما ذلك التكرار من باب التوكيد وزيادة الفائدة .

فقد يكون المكرر من جمع بين عقيدة المعتزلة والزيدية ، وقد يكون هو الداعى والمؤسس لكل منهما ، ومن هو — الامام القاسم الرسى ، فقد ذكر

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٣ ص ٣٥ — ٣٦ .

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر ص ٤١٩ — ٤٢٠ .

(٣) نسبة الى جبال الرس على مقربة من المدينة المنورة كذا فى حكام اليمن ص ١٠ .

بعض المؤرخين أنه مؤسس المذهب الزيدى ودولته فى اليمن (١) سنة ٢٠٢ هـ

وقد عارضهم البعض الآخر بأن الامام الهادى الرسى حفيد الامام القاسم مؤسس المذهب والدولة فى اليمن وذلك أنه خرج الى اليمن مرتين بطلب من اهله ، المرة الاولى سنة ٢٨٠ هـ ولما لم ينصروه عاد الى الحجاز ، ثم طلبوه بالحاج فى الخروج مرة ثانية حينما عمت الفوضى البلاد والعباد ، واشتدت وطأة الباطنية ، وناشدوه مساعدتهم برفع الظلم عنهم وعاهدوه على السمع والطاعة ، فخرج سنة ٢٨٥ هـ وقيل ٢٨٤ هـ .

والامام الهادى لى الزيدية موصوف بالشجاعة والقوة والعلم ، ويعدونه أكبر نعمة على اليمن بعد الاسلام ، لأنه أسس الدولة الزيدية فى اليمن وأنقذهم من الباطنية (٢) فى أيام على بن الفضل الخفري الحيمرى وفى أحداث سنة ٢٩٧ هـ .

وقد سبق تعليل ذلك عند ذكر هذين الامامين أثناء الكلام على (ظهور المعتزلة) وترجيح انهما اول من اظهر الاعتزال فى اليمن ، وما سبق ان ذكرناه من علة كونهما اول من أسس الاعتزال فى اليمن هو نفسه علة كونهما اول من أسس الزيدية فى اليمن .

وأما الجمع بين القولين الدالين على أن كلا من الامامين الهادى والقاسم هو المؤسس لذلك ، فيمكن الجمع بينهما بأن الامام القاسم جد الامام الهادى هو اول من وضع اصول المذهب الزيدى ، واول من تولى الحكم فى اليمن من أئمة الزيدية . وأن الامام الهادى حفيد القاسم هو المرسى لدعائم السلطة والمذهب ، والمجدد لما اندثر من المذهب والدولة الزيدية فى اليمن .

(١) أنظر غاية الاماني ج ١ ص ١٥٠ وحاشية تاريخ اليمن الثقافى لاحمد شرف الدين ج ٤ ص ١٣٤ .

(٢) غاية الاماني ج ١ ص ١٦٦ وما بعدها ، والحوار العين لنشوان ج ١ ص ١٩٦ وتاريخ اليمن الثقافى ج ٤ ص ٣٦ — ٣٧ مقدمة السيل الجرار للشوكانى ج ١ ص ٦ وحكام اليمن للحبشى ص ٢١ وتاريخ اليمن السياسى لمحمد يحيى الحداد ص ١٢٤ وما بعدها دار الهنا للطباعة سنة ١٣٩٦ هـ والتحفى العنبرية لمحمد عبد الله أبوعلامه ورقة ٦٧ وما بعدها .

ولعل منشأ الخلاف هو اندثار المذهب والدولة في الفترة ما بين وفاة
الامام القاسم سنة ٢٤٤ هـ وما بين تولى حفيده الحكم سنة ٢٨٥ هـ وهذا
باعتبار خروجه الى اليمن في المرة الثانية في هذا العام نفسه ، فتكون
الفترة بينهما احدى وأربعين سنة ، وهي كيلة بانطماس معالم المذهب ،
وانهيار بنيان الدولة .

ثم أن الامام الهادي ارسى قواعد المذهب والدولة في منطقة
(صعدة) وضواحيها ، ومن حينئذ توارث أئمة الزيدية الدعوة الى المذهب
والامامة ، رغم الصراعات العقدية والدموية بينهم وبين منافسيهم من سلاطين
بنى نجاح ، وبنى رسول السيطرين على الجزء الساحلى والجنوبى ، وبينهم
وبين الباطنية من جهة أخرى . وقد دافع أئمة الزيدية عن المذهب والمنصب
بمسالة ، وتوارثوها حتى سقوط الحكم الامامى سنة ١٣٨٢ هـ .

هذا ولاننى مالامام الهادي من الشعبية والمكانة العلمية لدى الزيدية
في اليمن الى مطلع قرننا الخامس عشر الهجرى ، ومذهبه مشهور بالهادوى ،
وأتباعه بالهادوية ، وقد بلغت مؤلفاته ٦٩٩ مؤلفا في كثير من الفنون ، (١)
غير أنه رماه الذهبي (٢) بالرفض فقال : (يحيى بن الحسين العلوى رافضى
متأخر ، وفي هذا الكلام نظر ، لأنه من إئمة الزيدية ودعاتها الى الزيدية
بلا شك ، والرافضة هم الذين رفضوا زيديا لا الذين شايعوه ، وهذا من
شيعة بلا شك لما سبق من تاسيسه المذهب الزيدى في اليمن ولماسياتى
من كلامه في الامامة . وعلى هذا فيحمل كلام الذهبي من نسبته الى الرافضة
الذين رفضوا امامة الشيخين وقالوا بالنص على امامة على كما ذكره الاشعرى
لأن الجميع من الشيعة .

(١) حكام اليمن ص ٢١ - ٤٤ وانظر طبقات فقهاء اليمن لابن سمره ص ٢٩
وذكر له ابن النديم في الفهرست كتابا واحدا وهذا يدل على أنه لا يعلم
كحال الرجال - والله اعلم .

(٢) الميزان ج ٤ ص ٣٦٨ وفيه أنه كتب عن أبى الغنائم الفرسى ، أتى بخبر
كذب متنه (أن أبوى النبى صلى الله عليه وسلم جده في الجنة) اتهم
بوضعه ، وانظر فى ترجمته الاعلام للزركلى ج ٨ ص ٤١ وقد ذكر له كتابا مخطوطة ومطبوعة .

(٣) مقالات الاسلاميين للاشعرى ج ١ ص ٨٩ وانظر تاريخ الفرق الاسلامية
للغرابى ص ٢٨٨ .

فرق الزيدية :

سبق أن ذكرت ظهور الزيدية في اليمن ودولتها ، على يدي
الامامين القاسم الرسي ، وحفيده الهادي يحيى بن الحسين ، وسأذكر هنا
فرقهم مع اصول عقائدهم ، أما التفاصيل فلا يسع المقام ذكرها ، وهي مذكورة
في كتب المقالات .

فأما حصر فرقهم فقد اختلف أصحاب الفرق والمقالات ، فعدهم الامام
أبو الحسن الأشعري سنة ٣٣٠ هـ ست فرق ، وأنها من الشيعة ، كما عدهم
المسعودي سنة ٣٤٦ هـ ثمانى فرق ، وأنهم من الشيعة ، كما عدهم
الشهرستاني سنة ٥٤٨ هـ أيضا ثلاث فرق ، وأنها متفرعة من الشيعة ،
وقسم ابن تيمية سنة ٧٢٨ هـ الشيعة الى زيدية وإمامية وباطنية ، وعدهم
الامام المهدي الزيدي سنة ٨٤٠ هـ من الشيعة بقوله : (والشيعة ثلاث
فرق ، زيدية وإمامية وباطنية) . كما عدهم أبوزهرة من الشيعة ، وقال :
(هذه الفرق — يعنى الزيدية — هي اقرب فرق الشيعة الى الجماعة
الاسلامية واكثر اعتدالا) .

وقال صاحب تاريخ الاسلام السياسي . . . (وإلى زيد تنسب جماعة الزيدية
التي تفرقت منها جماعة الرافضة) وفيه نظر .
وكذلك عبد القادر شيبه الحمد ذكر بان الزيدية هم القائلون بامامة زيد بن
علي ، والرافضة هم الذين رفضوه .

أما ابن الوزير فقد عدّ زيدية اليمن خمس فرق : مخترة ، ومطرقية ،
وجارودية ، وصالحية ، وحسينية ، وأنهم من الشيعة . (١)

(١) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٤٦ — ١٥٤ وما بعدها ،
ومقالات الاسلاميين للأشعري ج ١ ص ١٣٦ وما بعدها ، ومروج
الذهب للمسعودي ج ٣ ص ٢٢٠ والعواصم والقواصم لابن الوزير ج ٢
وهم ١٥ ورقة ٣٥ والملل والنحل للمهدي المرتضى ص ٢٣ والفرق بين الفرق
للبيهقي ص ٢٢ ومجموع فتاوى ابن تيمية ج ٣ ص ٣٥ — ٣٦ ،
وتاريخ الاسلام السياسي . . . ج ١ ص ٤١٦ وتاريخ المذاهب
الاسلامية لأبي زهرة ج ١ ص ٤٧ — ٤٩ .

وهذا يتضح صحة ما قررته في مقدمة هذا الفصل من ان الزيدية
فرقة من الشيعة لا من الرافضة ، كما ذهب اليه البغدادي . إلا ان يكون
المراد بالرافضة - عنده - الشيعة فالله اعلم ، لانه صنف غلاة الشيعة
ضمن فرق الرافضة ولم اطلع على فرقة الشيعة في (الفرق بين الفرق)
ومما يضعف قول البغدادي السابق ذكره ، ان اسم الرافضة أطلقه الامام
زيد بن علي يومها على الذين رفضوه ، وليس على الزيدية . الذين قاتلوا معه
حتى الموت ، اللهم الا أن يقال : ان الرضي يطلق على الذين رفضوا
خلافة الشيخين رضي الله عنهما كما سبق أو جمعوا بين الرضيين .

لكن المعروف عند الزيدية المتقدمين انهم جمعوا بين تولى الشيخين
وزيد بن علي رضي الله عنهما كما هو الظاهر من كلام ابن كثير وغيره في اول
هذا الفصل .

أما جمع الرضيين ، وتسميتهم بالزيدية فذلك غير مسلم عقلا ونقلا لما فيه من
التناقض ولما سبق .

أصول الزيدية ، وموقف ابن الوزير منها :

سبق الكلام على أصول المعتزلة الخمسة بإيجاز ، وأنه لا يكون المرة معتزليا الا اذا اعتقها ودعى اليها ودافع عنها .
والآن سنتكلم على أصول الزيدية بإيجاز ايضا . أما التفاصيل فموجودة فى كتبهم . ولكن قد يقول قائل هل هذا الكلام على أصول الزيدية عامة أو الزيدية فى اليمن خاصة ؟ فنقول : أما العامة فليس هو موضوع بحثنا ، سواء كانوا على معتقد الامام زيد ، او حرقوا وبدلوا .
وانما موضوع بحثنا هو : أصول الزيدية فى اليمن .

ومعلوم أن أخذ الاقوال من غير مصادر أهلها لا يتفق والبحث العلمى الدقيق ، لذلك سأحاول قدر الامكان البحث عن معتقدات القوم من مؤلفاتهم ، لأنه كما يقال فى المثل : أهل مكة أخبر بشعابها ، وصاحب البيت ادرى بما فيه ، وهذا حاصلها :

الأصل الاول : التوحيد ، وخلاصته اثبات الصانع ، وقد سلكوا فى ذلك طريقة المتكلمين وهى حدوث الاجسام ودلالة الأكوان وفى الاسماء والصفات : أن الله تعالى قديم ، والقدم أخص وصف ذاته ، وأنه تعالى عالم بذاته قادر بذاته على بذاته ، لا يحتاج الى معان توجب الصفات ، وأن الله تعالى : لا يرى بلا بصار لا فى الدنيا ولا فى الآخرة .

وقد أفحش القول فى مسألة رؤية الله - عز وجل - فى الآخرة ، القاسم الرسى أول الأئمة الزيدية فى اليمن ومؤسس المذهب الزيدى على أحد القولين الراجحين السابق ذكرهما - اذ لم يقل بنفى الرؤية فحسب بل كفر مثبتها فى الآخرة ، ووصفهم بأنهم مشبهون وملحدون ، وأن أحاديث الرؤية افتعلها الضلال من بغاة الاسلام . كما رماهم بالكفر والالحاد لانهم - على حد قوله - لم يحسنوا تأويلها - أما الزيدية فهم يحسنون تأويل النصوص القرآنية والحديثية ، على طبق ما تقرره عقولهم وهذا - فى نظرهم - من خصائص الأذكياء .

وقالوا : القرآن محدث غير قديم (١) أى مخلوق وبالجملة فالتوحيد عند الزيدية كالتوحيد عند المعتزلة .

(١) أنظر التفاصيل فى مصباح العلوم للصلح ص ٨ - ١٢ كتاب فيه

موقف ابن الوزير من هذا الأصل :

موقف ابن الوزير من هوء لا ء القوم صراع دائم هو يدعو الى طريقة السلف بصفة عامة ، وفي الأسماء والصفات بصفة خاصة ، كما يدعو الى ترك الابتداع في الدين ، وترك التقليد ، وهم يعترضون وهو يجيب . وستأتى نماذج من ذلك في (المعارك الكلامية) ، ولنقتصر الآن على الاشارة الى الرد عليهم في هذا الاصل .

فقد سلك ابن الوزير - رحمه الله - في اثبات وجود الله - عز وجل - طريقة الانبياء ، طريقة القران الكريم طريقة السلف الصالح رضى الله عنهم وهى دلالة الفطرة - دلالة الأنفس - دلالة الآفاق - دلالة المعجزات . وسيأتى ذلك مفصلا في الكلام على اثبات الصانع ان شاء الله تعالى . وفي معرض انكاره على طريقة المعتزلة الزيدية في الاسماء والصفات ، ورد بدعهم يقول :

(وكذلك القول بأن لله صفة لم ترد في كتاب الله - تعالى - ولا في سنة رسوله - صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا هي من أسمائه الحسنی ، ولا من مفهوماتها ولوازمها وأن معرفة هذه الصفة المخترع اسم لها واجبة ، وهى الصفة الاخص عند بعض المعتزلة ويسمونها صفة المخالفة ايضا ، وأنها الموءثرة في صفات الكمال الذاتية الأربع ، وهى كونه حيا قديما عالما قادرا (١) ، لا يعلم وقدرة وحياة هى صفات قديمة ، ومعان قائمة به ، وعلموا ذلك بأنه لو شاركه الصفات في القدم الذى هو أخص أوصافه لشاركه في الالهية) وأخص أوصاف الاله عند مشبتيها مالا يتصف به غيره مثل كونه رب العالمين . وسيأتى بيان ذلك في الاسماء والصفات ان شاء الله تعالى وفي المعارك الكلامية والابتداع والتقليد .

=== معرفة الله من العدل والتوحيد للامام الهادى ضمن رسائل العدل والتوحيد ج ٢ ص ٣٧ كتاب العدل والتوحيد للقاسم الرسى ضمن رسائل العدل والتوحيد ج ١ ص ١٠٥ - ١٠٦ ، والجامع الكافى خ لمحمد بن على الزيدى العلوى ج ٦ ورقة ٩٣ .

(١) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٠٣ - ١٠٤ وانظر الرسالة التدمرية لا بن تيمية ضمن مجموع نفائس ص ١٧ .

قلت : ويلزمهم على هذا القول الفاسد ان علمه وقدرته وسائر صفاته مخلوقة أو التافضي والله أعلم .

أما موقف ابن الوزير من قولهم بخلق القرآن فقد طول في الرد عليهم في العواصم والقواصم ، وذلك في قصة مخنة القول بخلق القرآن ، وممود الامام أحمد بن حنبل على القول بأن القرآن كلام الله ، منزل غير مخلوق ، وأن القول بخلق القرآن هو شعار المعتزلة المنكرين لصحة الكلام من الله — عز وجل — .

كما ذكر ابن الوزير الآيات المتعلقة بكلام الله — عز وجل — وما أجاب به الامام أحمد ، وما أثار عن السلف الصالح ، وأن المسلمين ما زالوا على أن الله يتكلم ، وأن له كلاما على ظاهره من غير تأويل ولا تشبيه ، تصديقا للنصوص القرآنية مثل قوله تعالى : (وكلم الله موسى تكليما) (١) وسرد عشرات الآيات الدالة على ذلك .

كما استدل بكلام الجمادات من غير تجوز ولا تشبيه ، وإذا صح الكلام من الجمادات والجوارح بالنص والاجماع من الصدر الاول والمحققين من المتكلمين ، فكيف يتمتع في حق الله تعالى ، ويكون كلامه — سبحانه — مخالفا لكلام جميع مخلوقاته كالقول في سائر صفاته وأن القول بخلق القرآن بدعة ، وأنه كلام الله باتفاق الأمة حتى ظهر المأمون العباسي وحمل الناس على القول بخلق القرآن . (٢)

وأما موقفه من انكار الزيدية المعتزلة رؤية الله — عز وجل — في الآخرة فسيأتي الكلام عليها مستفيضا في (المعارك الكلامية) ان شاء الله تعالى .
وأما موقفه من قولهم بتأويل المتشابه وغيره في ذلك من القرآن الكريم ، وسائر الأدلة الصحيحة ، على طبق ما تقرره عقولهم ، الهادف الى نفي الصفات وتمهيطها فسيأتي أيضا في (موقف ابن الوزير من الابتداع والتقليد) ان شاء الله .

(١) سورة النساء : آية : ١٧٤

(٢) أنظر العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٤ وهم ١٥ فصل ٤ ورقة ٨٩ .

الأصل الثاني : العدل عند الزيدية :

وهو عندهم أن الله تعالى عدل حكيم لا يفعل القبيح وأفعاله كلها حسنة ، وأما أفعال العباد حسننها وقبيحها منهم لا من الله تعالى وأن الله لا يقضى بالمعاصي .
وأن جميع الأمراض والنقائص من فعل الله — تعالى — ، وأنها حكمة وصاب ولا بد فيها من العوض ، والاعتبار والا كانت قبيحة وأن الله تعالى لا يريد شيئا من معاصي العباد ولا يرضاها ولا يحبها . (١)

وهذا القول يتضمن نفى القدر ، ومنه خلق أفعال العباد ، وإرادة الكائنات ، وعليه فيجوز أن يكون في ملك الله — عز وجل — ما لا يريده ، وهذا يستلزم العجز — تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا — .
موقف ابن الوزير من الأصل الثاني (العدل) .

لقد أطلال ابن الوزير — رحمه الله — في الرد على المعتزلة الزيدية في كتابه (العواصم والقواصم) على هذا الأصل وهو العدل عندهم المضمن تكذيب القدر ، فقد أفرد به مجلد ضخيم من كتابه المذكور بلغ عدد صفحاته ما يزيد عن خمسين وأربع مائة صفحة ، وذلك في الرد على الوهم الثامن والعشرين من خصمه المعتزلي الزيدي القائل بأن أئمة السفة ينكرون أن لنا أفعالا وتصرفات ، واستخرج من ذلك — أي المعارض — أنهم كفار تصریح ، لأنكارهم — في زعمه — العلوم الضرورية ، وفرع على ذلك تحريم ما استند اليهم من الروايات .

وهذا هو ما حمل ابن الوزير على التطويل والاستطراد لأقوال فرق المسلمين في القدر ، بما فيه الأفعال والإرادة ، والحكمة في تقدير الشرور ، وما يتعلق بالقدر .
ذكر أقوالهم وأدلتهم وناقشها ، وقرر أن أهل السنة يقولون إن أفعال العباد مخلوقة ، ومع ذلك مجمعون على اثبات الاختيار ، ونفى الجبر .
وسبق أن ذكرت في منهج ابن الوزير العلمي أنه جمع في مسألة القدر ووجوب الإيمان به سبعة وعشرين حديثا ومائتي حديث ومن الآيات القرآنية ما يقارب مائة آية (٢)
فارجع إليه .

(١) الثلاثين مسألة للرصاصي . ص ١٤ — ١٨ ، وشرحها للسحولي خ في

مكتبة جامع صنعاء رقم ١٦٧ .

(٢) أنظر العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٤ وهم ٢٨ كاملا .

الأصل الثالث : الوعد والوعيد :

وهو عندهم يتضمن الوجوب على الله — عز وجل — أن يصدق وعده ووعيده ، وأن يدخل الجنة أهل الجنة وأهل النار النار ، وأن من مات مصرا على فسقه فإنه يخلد في النار أبدا لا بد من ، ومرتكب الكبيرة إذا مات ولم يتب فهو كافر . نص على ذلك صاحب الجامع الكافي بقوله : (قال محمد في كتاب أحمد : سألت أحمد بن عيسى عن يعمل بمعصية كبيرة مات ولم يتب منها ؟ قال : كافر ، قلت في النار ؟ قال في النار) (١) وقال أيضا : (سئل أحمد بن عيسى هل يخرج من النار أحمد من يدخلها قال : هيهات وأنى له الخروج) . (٢)

وهذا يتضمن التكذيب بأحاديث الشفاعة الثابتة المتواترة معنى عند جميع المسلمين ولكن الزيدية المعتزلة يقولون هي لمن يدخل الجنة في زيادة النعيم والسرور ورفع الدرجات . (٣) وهذا من التأويل الباطل لأن أهل الجنة رضى الله عنهم ورضوا عنه .

وهو خلاف ما عليه الصحابة والتابعون والائمة الأربعة وغيرهم من تواتر أحاديث الشفاعة الثابتة عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من أن الله يخرج قوما من النار بعد أن يعذبهم الله — تعالى — ما شاء أن يعذبهم بشفاعة النبي — صلى الله عليه وسلم — وشفاعة غيره وأن الله يخرج قوما من النار بفضلهم ورحمته بلا شفاعة (٤) واستدل أهل هذا الأصل بأبيات وأحاديث الوعيد الدالة على خلود أهل النار ، وأنها باقية على عمومها من ذلك قوله تعالى : (ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا) (٥) وقوله تعالى : (ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) (٦)

(١) الجامع الكافي خ في المكتبة الغربية بجامع صنعاء ج ٦ ورقة ٣٠٠ كتاب فيه معرفة الله ٠٠٠ للهادي يحيى الحسيني ضمن رسائل العدل . والتوحيد ج ٢ ص ٧٣ مصباح العلوم للرصاصي ص ٢٠ وشرح الاصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٦٦٦ تعليق أحمد بن الحسيني حققه عبد الكريم عثمان الناشر مكتبة وهبة ط أولى سنة ١٣٨٤ هـ .

(٢) الجامع الكافي ج ٦ ورقة ٢٩٩ .

(٣) مصباح العلوم للرصاصي ص ٢٠ .

(٤) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ج ١١ ص ١٨٤ — ١٨٥ .

(٥) سورة الجن : ٢٣ .

(٦) سورة غافر : آية : ١٨ وانظر شرح الاصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٦٨٩

موقف ابن الوزير من الأصل الثالث : الوعد والوعيد :

موقف ابن الوزير من هذا الأصل كعادته من التطويل والجدل ، فقد ذكر ما يقارب أربعمئة حديث في الرد على المعتزلة والزيدية القائلين بخلود مرتكب الكبيرة ، من غير الآيات القرآنية الدالة على الشفاعة وخروج العصاة من النار كما تقرر عنده أن أبين آية في الوعد والوعيد قول الله تعالى : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) (١) قلت : وهذا هو مذهب أهل السنة من أن مرتكب الكبيرة — ماعدا الشرك بالله — تعالى — اذا مات مصرا عليها — على خلاف في القتل عمدا — فهو في مشيئة الله تعالى — ان شاء غاغه بفضل ورحمته ، وان شاء عذبه بقدر جرمته ، وذلك مقتضى عدله وحكمته ، وهو لا يقبل الله فيهم الشفاعة من بعد اذنه — بخروجهم من النار ، ودخولهم الجنة كما تدل على ذلك أحاديث الشفاعة الخاصة بهم ، أما الشفاعة العامة في فصل القضاء فهي تنال جميع أهل الموقف من بعد أن يأذن الله تعالى له عليه الصلاة والسلام ويرضى وبعد أن يتراجع عنها الأنبياء : آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام .

هذا بالنسبة لغير التائب من مرتكب الكبيرة ، أما التائب من الذنب فمكن لاذنب له ، وعلى هذا يحمل قوله تعالى :

(ان الله يغفر الذنوب جميعا) (٢) لأن هذه الآية عامة ، وأيضا النساء خاصة ومفصلة أيضا (٣) ، والخاص مقدم على العام — والله أعلم — .

قال ابن تيمية : (ففى آية التوبة عم واطلق ، وفى تلك الآية خص وعلق ، فخص الشرك بأنه لا يغفره ، وعلق ما سواه على المشيئة) (٤)

ومن نصوص ابن الوزير في الرد على المعتزلة والزيدية المعتقدين على أن الأحاديث الدالة على خروج العصاة من أهل الاسلام من النار ، تعارض آيات الوعد الدالة على خلود أهل النار ، أولأن أخبار الوعيد عندهم تبقى

ابن الوزير

(١) سورة النساء آية : ٤٨ ، وأنظر التفاصيل في العواصم والقواصم ج ٤ الوهم ٣٢ ص ٥٥ — ١١٣ ، والروض الباسم له ج ٢ ص ٢٢٦ — ٢٢٨ ، وإشعار الحق على الخلق له ص ٣٨١ — ٣٨٨ .

(٢) سورة الزمر فقرة من آية : ٥٣ .

(٣) أنظر تفسير القرطبي ج ٢ ص ٥٧١٣ وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ٩٧ وما بعدها

(٤) مجموع الفتاوى ج ١١ ص ١٨٥ .

على عمومها ، من ردوده على ذلك قوله :

(وهذا جهل مفرط ، فان العموم والخصوص لا يتناقضان على القطع عند أحد من فرق الاسلام ، بحيث يقطع على كذب أحدهما في نفس الامر ، ولو جحد ذلك أحد من أهل الجهل كان الرد عليه متسهلا على أقل أهل المعارف الاسلامية بصيرة وكيف يستطيع مسلم أن يشك في جواز ذلك ، والقرآن مشحون بالعموم والخصوص ، كما يعرف ذلك أهل التمييز دع أهل الخصوص ، مثال ذلك قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة) (١) فأطلق نفى الخلة والشفاعة في هذه الآية عن كل أحد ، ثم قيده في قوله تعالى : (الا خلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين) (٢) ، وقال تعالى : (ولا يشفعون الا لمن ارضى) (٣) فأثبت الخلة والشفاعة لمن اتقى ولمن ارضى بعد أن نفاهما مطلقا ، وكذلك ما ورد في خروج أهل الاسلام من النار من صحيح الاخبار المتواتر معناها عند العلماء الاخيار) (٤)

أما ابن تيمية فقد صرح بان هذا مما تواترت به السنة عن النبي — صلى الله عليه وسلم — ولم ينكره الا أهل البدع من الخوارج والمعتزلة والزيدية . (٥)

وفي كلام ابن الوزير هذا دلالة واضحة أن هذا مذهب أهل السنة والجماعة في اثبات الشفاعة للعصاة من المسلمين . (٦)

أما عذاب الكفار فهو راجح قطعاً كما يقول ابن الوزير : (للاجماع على عدم تجويز العفو المطلق عنهم ، ولما كلفهم من حقوق الانبياء والمؤمنين

(١) سورة البقرة آية : ٢٥٤ .

(٢) سورة الزخرف آية : ٦٢ .

(٣) سورة الانبياء آية : ٢٨ .

(٤) أنظر النص مع التفاصيل في العواصم والقواصم ج ٤ وهم ٣٧ ص ٢٩ — ابن الوزير .
٨ : والروض الباسم ج ٢ ص ٢٢٨ .

(٥) أنظر مجموع فتاوى ابن تيمية ج ١ ص ١٤٨ — ج ١١ ص ١٨٤ ، وأنظر معنى مقاله ابن الوزير في العموم والخصوص في ج ١١ ص ١٨٤ — ١٨٥ من الفتاوى .

(٦) أنظر كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ٢٤٢ وما بعدها .

منصرهم عليهم ، وشفاء غيظ قلوبهم منهم ، ولم يشب مثل ذلك في عذاب المسلمين لقوله تعالى : (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) (١) وللأحاديث المخصصة للعمومات المتواترة عند أهل الحديث - يعنى أحاديث الشفاعة - ولأن الأنبياء والمؤمنين شفعاؤهم لا خصماؤهم (٢) .

وأما عصاة المسلمين فلا يمكن تقبيح العفو من أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين عن أحد منهم ، لكنه لا سبيل إلى الأمان ، لانه - في نظر ابن الوزير - وسيلة إلى الفساد والطغيان ، والله أحكم من أن يؤمن من المفسدين من تبوء الجزاء في الآخرة ، كما لم يعف عنهم الحدود في الدنيا ، بل أوجب قطع يد السارق في ربع الدينار حفظا للأموال ومصلحة للخلق ، وهو الحكيم العليم الفعال لما يريد ، ومن هنا تفرع الخلاف في عذاب الأشقياء هل هو دائم ؟ ندع الإجابة لابن الوزير فيقول : (من توهمه من المرجوحات الضرورية في عقول العقلاء وحكمة الحكماء رجح الخصوص الذي هو قوله تعالى : (إلا ما شاء ربك) (٣) على عمومات الوعيد بالخلود ، ومن ذهب إلى أنه من المرجوحات الظنية . . . رجح العمومات وعندها بتقرير أكثر السلف لها على ما تكرر أن ما لم يتأولوه فتأويله بدعة ، ولما كان تأويلهم لذلك في حق المسلمين متواترا عنهم وأدلته متواترة عند البعض صحيحة شهيرة عند الجميع كان هو المنصور والاحوط والله سبحانه أعلم) (٤) . وهذه المسألة تحيرت فيها عقول أهل المعقول والمنقول كما سيأتى في (الغيبات) ان شاء الله تعالى .

(١) سورة النساء آية : ٤٨ ، ١١٦ .

(٢) إيشار الحق على الخلف لابن الوزير ج ٢ ص ٢٤٥ .

(٣) جزء من آية في سورة هود : ١٧ .

(٤) الإيشار له ج ٢ ص ٢٤٦ .

الأصل الرابع المختلف فيه بين المعتزلة والزيدية :

وأما موقف ابن الوزير من الأصل الرابع وهو المنزلة بين المنزلتين عند المعتزلة وعند بعض الزيدية كالرصاص خلافا لجمهور الزيدية الذين استبدلوا المنزلة بين المنزلتين بمسألة الإمامة التي هي عند بعض العلماء من المسائل الفقهية ، وإنما أدخلها المتكلمون في الأصول لكثرة الكلام فيها ، فموقف ابن الوزير من المنزلة بين المنزلتين - وهي أن مرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر - يبدو واضحا في تأييده لمذهب أهل البيت عليهم السلام المخالف لمذهب المعتزلة في صحة الصلاة من الفاسق صاحب الكبيرة ، إذا كان من أهل الشهادات وهذا يستلزم الحكم بأنه مسلم ، والمعتزلة تنزع من إطلاق المسلم والمؤمن من على صاحب الكبيرة يوضح ذلك انهم عليهم السلام - لم يوجبوا على من ارتكب كبيرة إعادة الحج لأنه قد حبط عمله والكثير من أئمة الزيدية لا يقطعون بخلود الفاسق من أهل القبلة في النار . (١)

أما مسألة الإمامة التي هي الشغل الشاغل للزيدية ، فالكلام حولها كثير ، وسبب الخلاف فيها نجم انشقاق بين المعتزلة والزيدية ، إذ المعتزلة لا توافق الزيدية في الإمامة ، فكان رد الفعل أن صرخ السيد حميدان بن يحيى حميدان من علماء الزيدية بشق عصا الطاعة للأمام الحنون ، قائلا : (وافقاهم - أي المعتزلة - في الأصول ، ولم يوافقونا في الإمامة فعلام الاتفاق ؟) (٢) وأصبح المعتزلة لدى الزيدية فساق تأويل لتأويلهم الإمامة . (٣) ومخالفتهم فيها .

وقد سفه المعتزلة كثير من أئمة الزيدية منهم العلامة يحيى بن منصور العفيف - أحد أجداد ابن الوزير - في أبيات ذكرها في الترجيح . (٤)

(١) أنظر التفاصيل في العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٤ وهم ٣٧ ص ٧٩ - ٨٠ وما بعدهما ، والروض الباسم له ج ٢ ص ٢٢٦ - ٢٢٨ .

(٢) الزيدية لأحمد محمود صبحي ص ٤٨٥ .

(٣) أنظر توضيح الأفكار للصنعائي شرح تنقيح الإنظار لابن الوزير ج ٢ ص ٢١٤ .

(٤) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير ص ٣٣ وما بعدها .

ومنه المتوكل على الله المظهر بن يحيى فى أرجوزته التى سماها : المزلزلة لأعضاء المعتزلة (١) لتعمقهم فى علم النظر وابتعادهم بل تركهم علم الأثر لما ورد من الأمر بالتفكر فى المصنوع والنهى عن التفكير فى الصانع .
وسياتى مزيد بيان لموقف ابن الوزير من الزيدية المعتزلة فى (فصل المعارك الكلامية) (والاقتراح والتقليد) وغير ذلك ان شاء الله تعالى .

الأصل الخامس : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر متى قدر على ذلك ولم يكن امره ونهيه يؤدى الى فعل منكر غير الذى نهى عنه ، أو ترك معروف غير الذى أمر به . (٢)

وقد سبق أن ذكرت فى هذا الأصل عند المعتزلة اتفاق الأمة على ذلك .

ويبدو - والله أعلم - أنهم يهدفون فى هذا الأصل الى جواز الخروج على الظلمة ، وأئمة الجور ، كما فعل الحسين بن على رضى الله عنهما مع يزيد ، وكما فعل زيد بن على مع هشام بن عبد الملك ، وكما فعل أهل المدينة وغيرهم مع يزيد أيضا ، يؤيد ذلك ما قاله الامام الأشعرى : (والزيدية بأجمعها ترى السيف والعرض على أئمة الجور وإزالة الظلم وإقامة الحق) (٣)

الا أنهم يشترطون أن يكون النهى لا يؤدى الى وقوع منكر أكبر منه (٤) وغير ذلك من الشروط المعروفة لديهم . (٥)
موقف ابن الوزير منه

أما موقف ابن الوزير من هذا الأصل فسيأتى فى فصل (الامامة والسياسة) ان شاء الله فلا داعى للتكرار

- (١) انظر ترجيح أساليب القرآن لابن الوزير ص ٣٦ .
- (٢) مصباح العلوم للرصاصي المعروف بالثلاثين مسألة ص ٢١ وشرحه خ مكتبة جامع صنعاء .
- (٣) ولزيد من التفاصيل أنظر الحواصم والقواصم ج ٤ وهم ٣٧ ص ٧٩ - ٨٠ والمراجع المشار اليه فى اصول المعتزلة السابقة الذكر .
- (٤) مقالات الاسلاميين للأشعرى ج ١ ص ١٥٠ - ١٥١ .
- (٥) مصباح العلوم وشرحه المخطوط المفقود .
- (٥) أنظر شروط مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مفصلة فى شرح الاصول الخمسة لعبد الجبار بن أحمد ص ١٤٢ - ١٤٧ .

مقارنة بين المعتزلة والزيدية :

سبق أن ذكرت في بداية الكلام على أصول المعتزلة تساوءات مفادها هل معتقدات الزيدية مأخوذة عن المعتزلة أو غيرها ، وهل أخذت الزيدية الاصول الخمسة كاملة أو بدلوا ، وإذا كان الأخير فمن أين أخذ وما هو ؟ .

وعدت بالإجابة عن هذه التساوءات في هذه المقارنة بين الطائفتين ان صح التعبير ، والا فسترى خلاف ذلك لأنك اذا نظرت الى العقيدة العامة في الأصول الخمسة الأنفة الذكر فستجدها موافقة لأصول المعتزلة الخمسة ما عدا مسألة الامامة ، فان بعض أئمة الزيدية بل جمهورهم يذكرون أربعة من أصول المعتزلة تصريحاً وتلويحاً ويبدلون المنزلة بين المنزلتين بمسألة الامامة كالامام القاسم (١) وحفيده الامام الهادي (٢) والامام يحيى (٣) ابن حمزة وغيرهم . فها هو ذا الامام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم العلوي مؤسس المذهب الزيدي في اليمن - على أرجح الاقوال السابقة الذكر في أوائل هذا الفصل - نهج منهج المعتزلة في الاصول الخمسة الا انه لم يذكر المنزلة بين المنزلتين ، وذكر مكانها الإيمان برسالة محمد - عليه الصلاة والسلام - ثم الايمان بإمامة علي - رضى الله عنه - ولعله يريد بذلك التوصل الى أنه أحق بالامامة العظمى من غيره . أما الايمان بنبوته محمد صلى الله عليه وسلم - فباتفاق المصلين .

ثم ذكر المؤمن بالمعروف والنهي عن المنكر المتضمن عدهم جواز الخروج على أئمة الجور والظلم .

كما قرر في قاعدة الوعد والوعيد خلود العصاة من المسلمين ابد الابدي .

(١) هو أول من حكم اليمن من أئمة الزيدية وأول من بذر افكارهم كما سبق في أول هذا الفصل توفي سنة ٢٤٤ هـ وقيل ٢٤٦ هـ .

(٢) تولى الحكم في اليمن بعد جده القاسم عده الحيشي من حكام اليمن المؤلفين المجتهدين بلغت مؤلفاته ٧٧ مؤلفاً كما في حكام اليمن ص ٢١ - ٤٥ توفي سنة ٢٩٨ هـ .

(٣) أحد حكام اليمن وعظمائهم ولد بصنعاء سنة ٦٨٩ هـ وتولى الحكم سنة ٧٢٩ هـ ت ٧٤٩ هـ وكان بروزه في صعدة عاصمة الزيدية

ثم عاد وكرر القول بإمامة على رضى الله عنه ، وأنه يجب على العبد أن يعلم أنه أمير المؤمنين ، وسيد المسلمين ووصى رسول رب العالمين وزيره وقاضى دينه ، وأحق الناس بمقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأفضل الخلق بعده وأعلمهم بما جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وأقومهم بأمر الله فى خلقه . (١) لقوله تعالى : (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة وهم راكعون) (٢)

ويقولون : إن سبب نزول هذه الآية أن عليا تصدق بخاتمه فى الصلاة ، وكذبهم الذهبى (٣) ، وفى ذلك خلافاً بين المفسرين فارجع اليه مع العلم بأنه لا وجه فى الاستدلال من الآية على إمامة على رضى الله عنه ، بل فى مناقبه وإن صح السبب ، وسيأتى مزيد إيضاح لهذا فى فصل (الامامة والسياسة) ان شاء الله تعالى ، وفيه قال صلى الله عليه وسلم : (أنا دار الحكمة وعلى بابها) (٤) .

=== يومها حارب الاسماعيلية فى همدان حرباً شديداً وفى اخر عمره اشتغل بالتأليف حتى بلغت مصنفاته ٦٨ مصنفاً كما فى حكام اليمن للجبشى ص ١٣٣ - ١٤٨ .

- (١) كتاب فيه معرفة الله للهادى ضمن رسائل العدل والتوحيد ج ٢ ص ٧٢ .
- (٢) سورة المائدة آية : ٥٥ .
- (٣) المنتقى من منهاج الاعتدال مختصر منهاج السنة لابن تيمية اختصره الذهبى كحققه وعلق حواشيه محب الدين الخطيب بدون ذكر المطبعة .

(٤) سنن الترمذى بتحفة الاحوذى عن على ج ١ ص ٢٢٦ وقال : هذا حديث غريب منكر ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات من عدة طرق ج ١ ص ٣٤٩ وما بعدها وقال شيخ الاسلام ، والكذب يعرف من نفس منته لا يحتاج الى النظر فى أسناده وعلل ذلك بعلة عقلية راجعها ان شئت فى مجموع فتاويه ج ٤ ص ٤١٠ ورواه ابن جرير الطبرى فى تهذيب الآثار تحقيق د . سعد بن ناصر الرشيد وزميله ج ١ ص ٨٩ - ٩٠ وقال الطبرى بعد أن رواه بسنده عن على مرفوعاً : وهذا خبر عندنا صحيح سنده وقد يجب أن يكون على مذهب الآخرين سقيماً غير صحيح لعلتين احدهما أنه خبر لا يعرف له مخرج عن على عن النبى - صلى الله عليه وسلم - الا من هذا

===

ويجوز الإمام الهادي في حديثه على إمامة علي رضي الله عنه إلى أن ساق الإمامة في الحسنين وذريتهما من بعدهما ، أولهم علي ابن الحسين وآخرهم المهدي ، ثم الأئمة فيما بينهما ، (١) ولست أدري ما أو من المراد به ، أهو مهدي السرداب محمد بن الحسن العسكري - كما تزعم الشيعة الإمامية ، أو المهدي المنتظر الذي وردت بظهوره الأحاديث النبوية ؟ !

وقد أكد هذا المذهب الإمام يحيى بن حمزة ت سنة ٧٤٩ هـ بأنه مذهب السلف الصالح من أكابر أهل البيت ، من أن علي بن أبي طالب ثبتت إمامته بالنص عليه وعلى ولديه ، وأن فضله على غيره من الصحابة أظهر من نور الشمس . (٢)

وقد سبق الإمام الهادي جده القاسم الرسي في نشر عقائد المعتزلة ، لما قرر نفى روءية الله - عز وجل - في الآخرة ، بل كفر مثبتها ، وصفهم بأنهم مشبهون ، وملحدون ، وأن أحاديث الروئية افتعلها الضلال من بغاة الاسلام ، بل رماهم بالكفر والالحاد لأنهم - على حد زعمه - لم يحسنوا تأويلها ، كما سبق في أصول الزيدية ، وكما سيأتي في (المعارك الكلامية) وقال القاسم بن محمد أحد أئمة الزيدية سنة ١٠٢٩ هـ مؤكدا عقيدة أجداده : والخبر مقدوح فيه ، فان صح فمعناه ستعلمون ربكم) (٣) .

=== الوجه ، والاخرى أن سلمة بن كهيل عندهم ممن لا يثبت بنقله حجة وقد وافق عليا في رواية هذا الخبر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - غيره . وسلمة بن كهيل وفقه الحافظ كما في التقريب ج ١ ص ٣١٨ نشر مكتبة النجاشي وأورده ابن كثير في البداية والنهاية ج ٢ ص ٣٥٩ من عدة طرق حاصلها أنه موضوع وأنظر كشش ، الخفاء للجلوني ج ١ ص ٢١٣ .

- (١) كتاب فيه معرفة الله للهادي ضمن رسائل العبدال والتوحيد ج ٢ ص ٧٤ - ٨٠ .
- (٢) الرسالة الوازنة ليحيى بن حمزة ضمن الرسائل اليمنية ص ٨ .
- (٣) الأساس في عقائد الاكياس للقا سم بن محمد ورقة ٨ خ في مكتبة جامعة أم القرى قسم المخطوطات رقم ٣٠٧ .

ومن أئمة الزيدية الرصاص ت ٦٥٦ صاحب الثلاثين مسألة ، فقد ذكر من الأصول الخمسة المتفق عليها عند المعتزلة ثلاثة أصول ، ضمن كل أصل عشر مسائل ، ولذلك اشتهرت هذه الرسالة بالثلاثين مسألة ١ - التوحيد : وفيه عشر مسائل نهج فيه منهج المعتزلة ، ومن ذلك نفي الروئية .

٢ - العدل : وفيه عشر مسائل نهج فيه منهج المعتزلة أيضا ، إلا أنه قال في المسألة الثامنة من العدل : (إن القرآن كلام الله تعالى ووحيه وتنزيله) ولكن قال في المسألة التاسعة منه (إن القرآن محدث غير قديم) .

٣ - الوعد والوعيد : سلك فيه طريقة المعتزلة أيضا ، وضمن المسألة الرابعة منه المنزلة بين المنزلتين كالمعتزلة تماما وفي المسألة الخامسة منه ، ضمنها خلود عصاة المسلمين في النار ، وأن الشفاعة لأهل الجنة في زيادة الدرجات ، كما ذكر في المسألة السادسة منه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وفي السابعة وما بعدها قرر أن الإمام بعد النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - هو علي ابن أبي طالب عليه السلام والحسنان وفيمن قام بعدهما .

وفي شرح الثلاثين مسألة للسحولي ت ١٠٦٠ هـ أحد علماء الزيدية ، القول بإمامة علي وعنده الحسنان قاما أو قعدا (١) .

ومن أئمة الزيدية أيضا الامام المهدي المرتضى (٢) : الذي قرر أن الزيدية يجمعهم القول بتفضيل علي رضي الله عنه وأوليائه بالإمامة ، وقصرها في البطنين ، واستحقاقهما بالفضل والطلب ، لا بالوراثة - ووجوب الخروج على الجائرين ، والقول بالتوحيد والعدل والوعيد والوعيد (٣) .

(١) أنظر الثلاثين مسألة وشرحها للسحولي خ ص ١٠٦٠ هـ

(٢) هو أحد أئمة اليمن وعلمائها وأحد أقران ابن الوزير ومن كبار المجتهدين بلغت مؤلفاته ٦٠ مؤلفا تسنة ٨٤٠ كذا في حكام اليمن للحبشي ص ١٧٣ .

(٣) مقدمة البحر الزخار للمهدي ص ٤٠ ط بيروت سنة ١٣٩٤ هـ .

ومنهم الامام يحيى بن حمزة الذى سبق ذكر تأييده لمذهب الامام الهادى ، من أن إمامة على بن أبى طالب ثبتت بالنص عليه وعلى ولديه ، ونضيف الى ذلك ما نسبته الى الامام زيد بن على فى أثناء تساؤله عن الزيدية من هم وما مذهبهم فى الامامة من وقت الصحابة رضى الله عنهم ، ويعددهم ، وما الظاهر من هذا اللقب ؟ فأجاب قائلاً : (إن ظاهر هذا اللقب انما هو الامام الباسل - يعنى زيد بن على - . . . فمن كان على عقيدته فى الديانة والمسائل الإلهية والقول بالحكمة ، والاعتراف بالوعد والوعيد ، وحصر الامامة فى الفرقة الفاطمية ، والنص فى الامامة على الثلاثة الذين هم على وولداه ، وأن طريق الامامة الدعوة فى من عداهم ، فمن كان مقرباً بهذه الأصول فهو زيدى) (١)

وشاركهم فى النص على إمامة على الامامية الرافضة (٢) ، وقد وهم فى هذه المسألة رزق الحجر حيث قال : (وتنفر الزيدية عن باقى الشيعة فى القول بأن علياً - كرم الله وجهه - لم يكن إماماً عن طريق نص الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالاسم وإنما كان إماماً حين دعا الى نفسه) . (٣)

ويمضى ابن حمزة معطلاً لهذا المعتقد - لدى الزيدية - بأنهم إذا قالوا بإسناد الصفات الى الذات خرجوا عن طبقات المجبرات ، الأشعرية وغيرهم الذين قالوا بالمعاني القديمة . وإذا قالوا بالحكمة خرجوا عن ضلالات الأشعرية فى إسناد القبائح الى الله - عز وجل - .

وكذا القول بحدوث القرآن والارادة .

وإذا قالوا بالوعد والخلود خرجوا عن طبقات المرجئة . (٤)

(٥) هى فرقة تعتقد انه لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة . انظر الملل والنحل للشهرستانى ج ١ ص ١٣٩ .

(١) الرسالة الوازنة فى النهى عن سب الصحابة لابن حمزة ضمن مجموعة الرسائل اليمنية ص ٢٨ .

(٢) أنظر الملل والنحل للشهرستانى ج ١ ص ١٦٢ ومقالات الاسلاميين للأشعرى ج ١ ص ٨٩ والرافضة يقولون - مع هذا - أن علياً معصوم ومن خالفه كفر ، وأن الصحابة كتموا النص وكفروا بالامام المعصوم وأنظر مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٣ ص ٣٥٦ .

(٣) ابن الوزير اليمنى ومنهجه الكلامى ص ٦٥ وأنظر أيضاً ص ٦١ وقد قلد فى هذا الدكتور فاضلة الشامى فى تاريخ الفرقة الزيدية .

وإذا قالوا بالنص على الأئمة الثلاثة ، والدعوة والخروج في أولادهم - وهو طريق الامامية - (١) خرجوا عن رأى المعتزلة فمن كان جامعاً لهذه الأصول فهو زيدى ، ومن خرج عنها فليس زيدى . (٢) .

وقال الامام المهدي (٣) سنة ٨٤٠ هـ فى معرض حكايته لمذهب مثبتى الصفات وأنهم مجسمون ومشبهون : (مسألة : والحشوية لا مذهب لهم منفرد ، وأجمعوا على الجبر والتشبيه وجسموا وصوروا وقالوا بالأعضاء وقدم ما بين الدفتين من القرآن ، قال الحاكم (٤) : ومنهم أحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وداود بن محمد والكرابيسى ، ومن متأخريهم محمد بن اسحق بن خزيمة ، صنف كتاباً فى أعضاء الرب - تعالى - عن ذلك (٥) ومن هذا يتبين أن الزيدية يعنون بالحشوية من يثبت الصفات التى أثبتتها الله - تعالى - لنفسه وأثبتها رسوله ، وأنهم ليسوا معتزلة متأولة فحسب ، بل معطلة جهمية فهذا كلام أحد أئمتهم فى اليمن وأحد معاصرى ابن الوزير ، والله المستعان .

-
- (١) فرقة من الشيعة يقولون بالنص على امامة على بن أبى طالب رضى الله عنه وصنفهم الاشعري ٢٤ فرقة كما فى المقالات له ج ١ ص ٨٨ .
- (٢) أنظر التفاصيل فى الرسالة الوازنة لابن حمزة ص ٢٨ - ٣٩ .
- (٣) هو الامام المهدي أحمد بن يحيى بن المرتضى أحد أئمة اليمن ومجتهدوها وأحد معاصرى ابن الوزير جرت بينه وبين الامام على بن صلاح منافسة على عرش الزيدية ومعارك طاحنة كانت النتيجة هزيمة المهدي وأسرته ثم تفرغ للتأليف حتى بلفست مؤلفاته ٦٠ مؤلفاً منها البحر الزخار المشهور أنظر البدر الطالع ج ١ ص ٢٢ وما بعدها وحكام اليمن للحبشى ص ١٧٣ - ١٩٩
- (٤) المراد به عند الزيدية المحسن بن أحمد بن كرامة الجشمى الشيعى وقد قدمت عنه رسالة دكتوراه منشورة .
- (٥) الملل والنحل للامام المهدي ص ٢٤ .

فأنت ترى أن معتقدات الزيدية خليط من معتقدات المعتزلة
والشيعة الامامية ، فاسناد الصفات الى الذات المراد به تعطيل الصفات
كما سبق في أصل التوحيد من الأصول الخمسة لدى المعتزلة .
وكذلك القول بحدوث القرآن وخلود العصاة من المسلمين ~~وغير ذلك~~
سبق في الأصول الخمسة أيضا .

كما ترى أن القول بالنص على الأئمة الثلاثة على والحسنين مأخوذ
من عقيدة الشيعة الامامية لان عقيدة المعتزلة ان المعلوم عن المعتزلة
أن الامامة طريقها اختيار الأمة كما سيأتى فى مسألة (الامامة والسياسة)
وليس هذا من أصولهم المعروفة ، وانما هو من أصول الزيدية المخالف
لرأى الامام زيد بن علي فانه يقول بامامة الشيخين وصحة امامة
المفضول مع وجود الأفضل اذا كان عن طريق اختيار الأمة لكنه يرى
الخروج على أهل الجور من منطلق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
وقد برز هذا المبدأ من الفكر الى التطبيق بالفعل وهو خروج زيد بن
علي على بنى أمية فى عهد هشام بن عبد الملك . (١)

وقد سبق أن الزيدية استبدل المنزل بين المنزلتين بالامامة
يريدون بذلك إثبات أحقية الامامة العظمى للامام على رضى الله عنه
بعد النبي - عليه الصلاة والسلام - ، وهذا خلاف ما عليه أهل السلف
من ترتيب الخلفاء الراشدين فى الخلافة والفضل بفض النظر عن الخلاف
فى المفاضلة بين علي وعثمان المشار اليها فى مقدمة فصل الزيدية
أما قول بعض أئمة الزيدية الانف الذكر القول بالحكمة المتضمن
اسناد نفيها الى الأشعرية فلم أقف على ذلك لأحد منهم الا ما ذكره
الأمدي فقد صرح بنفى الحكمة فى خلق العالم (٢) والله أعلم .

(١) أنظر الطل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٢٠٨ - ٢٠٩ وتاريخ
المذاهب الاسلامية لأبى زهرة ج ١ ص ٤٩ .
(٢) أنظر غاية المرام فى علم الكلام ص ٢٢٤ - الناشر المكتبة الكبرى
بمصر بدون تاريخ .

والحاصل من هذه المقارنة أن مبادئ المعتزلة والزيدية تكاد
أن تكون متحدة سياسياً وعقائرياً، إلا أن الزيدية تمتاز بالثورية فتطبيق
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مبدأ لا تتخلى عنه من عهد الإمام
زيد بن علي وخروجه على بني أمية (١) إلى عصرنا هذا . أما المعتزلة
فهم ثابتون في مسألة الإمامة على القول بالاختيار - الانتخاب .
الارتباط بين المعتزلة والزيدية :

يظهر مما سبق قوة الارتباط بين المعتزلة والزيدية منذ نشأة
كل منهما .

فقد احتفظت الزيدية بمؤلفات المعتزلة وحافظت على تراثهم كما هو
واضح في معتقداتهم .

فقد تبني غالب الزيدية أصولاً أربعة - كما ذكرت آنفاً - من الأصول
الخمس للمعتزلة ، واستبدلت المنزلة بين المنزلتين بمسألة الإمامة التي
أصبحت - في نظري - للمذهب الزيدي الشغل الشاغل ، كما هو واضح
في تاريخ مذهبهم الثوري منذ خروج الإمام زيد إلى الزمن القريب في
القطر اليمني .

كما يظهر أن مسألة الإمامة امتداد لمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر بل من مقتضيات ذلك - في نظرهم - الخروج على أئمة الجور
والظلم كما سبق في الأصل الخامس من أصول الزيدية .

ولعل ذلك الاستبدال ناتج عن اجتماع الزيدية على أن مرتكبي الكبائر من
أهل القبلة ، خالدون مخلدون في النار ، ومقتضى هذا أنهم في الدنيا
كفار، كما يعتقد الخوارج النواصب، صرح بذلك الاجتماع الإمام أبو الحسن
الأشعري حيث قال : (وأجمعت الزيدية أن أصحاب الكبائر كلهم معذبون
في النار خالدون مخلدون ولا يغييرون عنها) (٢)

(١) راجع التفاصيل في مقاتل الطالبين لأبي الفرج الاصفهاني ص ١٣٣
وما بعدها ، شرح وتحقيق السيد أحمد صقر دار المعرفة للطباعة
والنشر بيروت .

(٢) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ١٤٩ وأنظر الطل والنحل للشهرستاني
ج ١ ص ٤٨ وتاريخ المذاهب الاسلامية لأبي زهرة ج ١ ص ٥٠
وتاريخ الفرق الاسلامية للغرابي ص ٢٩٤ .

وبناء على هذا فلا منزلة بين المنزلتين عند الزيدية .

وقد خالف ابن الوزير الأشعري في دعواه اجماع الزيدية هذا بقوله :
(والكثير من أئمة الزيدية لا يقطعون بخلود الفساق : من أهل القبلة
في النار) (١) .

وهذا مذهب أهل البيت كما حكاه ابن الوزير لصحة الصلاة من
الفاسق مرتكب الكبيرة ، ومقتضى هذا أنه ليس بكا فر فلا يخلد في النار
- خلافا للمعتزلة القائلين بالمنزلة بين المنزلتين والخلود أيضا - .

يوضح ذلك أنه لا يجب إعادة الحج على من ارتكب كبيرة بحجة
أنه قد حبط عمله^(٢) . والله أعلم .

قلت : وقول الزيدية المأخوذ عن المعتزلة من أهل الوعد والوعيد ،
وهو أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار ، مخالف لمذهب السلف : مقتضاه
أن مرتكب الكبيرة من المصلين إذا مات مصرا عليها - ماعدا الشرك بالله -
فهو في مشيئة الله - عز وجل - إن شاء عذبه بقدر جريمته ، وذلك مقتضى
عدل الله وحكمته ، وإن شاء عفى عنه بفضله ورحمته (أن الله لا يغفر
أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) . (٣)

أما التائب من الذنب فكن لا ذنب له ، وعليه يحمله قوله تعالى :
(قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ،
ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) (٤) لأن هذه
الآية عامة والآية الأولى خاصة فتعميم غفران الذنوب ومنه الشرك مخصص
بأنه تعالى لا يغفره لمن مات مشركا وما عداه من الذنوب في حق من
مات على ذلك ، داخل في مشيئة الله - تعالى - كما سبق في موقف
ابن الوزير من الوعد والوعيد - ومعلوم أن الخاص مقدم على العام كما
هو مقرر في علم أصول الفقه والله أعلم .

ابن الوزير

- (١) العواصم والقواصم / ج ٤ وهم ٣٧ ص ٨٠ .
- (٢) العواصم والقواصم له ج ٤ وهم ٣٧ ص ٧٩ - ٨٠ .
- (٣) سورة النساء آية : ٤٨ .
- (٤) سورة الزمر آية : ٥٣ .

وقد ظهر لى من خلال البحث أن المعتزلة هي الأم الحنون التي غدت وتغذى الزيدية بأفكارها من مهدها الى لحدّها إلا من شاء الله منهم .
فزيدية في اليمن هم معتزلة في كل الموارد إلا في مسألة الامامة كلّها سبق .
وهي كما قال المقلّي اليماني : (مسألة فقهية وانما عدّها المتكلمون من فقههم لشدة الخصام) (١) وسيأتى الكلام عنها في فصل خاص .
والدليل على اتحاد المعتزلة والزيدية ما يلي :

١ - قد صرح الهادي بن ابراهيم الوزير (٢) في خطبة (رياض الأبرار في ذكر الأئمة الأقيمار والعلماء الأبرار) (٣) بأن المختزلة والزيدية فرقة واحدة حيث قال في أثناء الشاء عليهما : (ارشد الله طائفتين من بريته فتسكا بهدي محمد وذريته ، وهم الزيديّة الزكية والمعتزلة المرضية ، وانهم لفرقة واحدة على التحقيق) .
كما قدم المعتزلة على الزيدية لما لهم من المكانة العلمية لدى الزيدية ، وذلك بعد أن ذكر بعض أكابرهم وكراسى منابرهم فقال : (ورأيت تقدّمهم - أي المعتزلة - على الزيدية لأنهم ساداتها وعلماءها ، فالحقت سمطهم سمط الأئمة - عليهم السلام - وذلك لتقدّمهم في الرتبات ، ولأنهم مشايخ ساداتنا السادات ، وعلماءنا القادات) . (٤)

وقال أيضا في قصيدته المسماة برياض الأبرار بمدح فيها رؤساء المعتزلة الأوائل ، ويحث على الاقتداء بهم بل يفتخر بذلك فقال :

-
- (١) العلم الشامخ لصالح بن مهدي المقلّي ص ٧ - ٨ ط أولى بمصر ١٣٢٨ هـ
(٢) هو أخو ابن الوزير صاحبنا وأحد مشايخه ومن كبار علماء الزيدية وأدبائهم ترجم له الشوكاني في البدر الطالع ج ٢ ص ٣١٦ توفي سنة ٨٢٢ هـ .
(٣) يوجد في المكتبة الغربية بجامع صنعاء خ ورقة ١٣٦ م ١٩٧ .
(٤) المصدر نفسه خ ورقة ١٣٧ .

(... وبالعلماء السالفين واننى * * سأتى على أعدائهم ذكر مجمل
بواصل والبصرى (١) وعمرو وجاحظ * * وعلامهم سيف الجدال المصقل
كذاك أبو عثمان وهو الذى غدى * * طويلا لما فى كفه من تطاول
والجبيئين السنين رتبة * * أبى هاشم سيف الهدى وأبى على

٢- وقد سبق الهادى الوزير الى مثل هذا الشأن الامام الهادى يحيى
ابن الحسين العلوى سنة ٢٩٨ هـ فى كتابه (البالغ المدرك) (٢) ،
وشارحه الامام أبو طالب يحيى بن الحسين بن هارون سنة ٤٢٤ هـ
ووصف أبا القاسم اسماعيل بن عباد بأنه صاحب الجليل واستدل
بكلام أبى هاشم فى كثير من المسائل .

٣- يؤيد هذا مقاله المقلب اليماني سنة ١١٠٨ هـ : (وهذا الذى
قاله - أى الهادى الوزير - ، هو حقيقة الأمر ، شاهد ذلك كلام
الامام المنصور فى كتبه كلها ، وكلام الامام المهدي فى كتبه ،
وكلام أبى طالب فى كتبه كشرح البالغ المدرك للامام الهادى ،
مع تصريحهم بقولهم : الاختار كلام شيخنا أبى على الجبائى أو
أبى هاشم ، أو أبى رشيد ، وكذلك كلام الهادى غلبه كلام أبى القاسم
الكعبى . وكذلك الامام يحيى بن حمزة مواقف غالب أمره لابی الحسين
البصرى سائر سيره) (٣)
فهل بعد هذا البيان ^{بيان} من أن الزيدية والمعتزلة فرقة واحدة
فى الاصول الاعتقادية - ماعدا مسألة الارادة - فعلى ما سبق بيانه ؟

-
- (١) المراد به الحسن البصرى كما فى المصدر نفسه وليس الامر كذلك
ان ليس هو من المعتزلة وإنما واصل وعمرو بن عبيد وأتباعهم
معتزلة لما خالفوا الحسن البصرى فى حكم مرتكب الكبيرة واعتزلوا
مجلسه كما هو مقرر فى كتب المقالات بل معلوم عند أهل هذا الشأن
كما سبق فى فصل المعتزلة .
- (٢) يوجد فى مكتبة جامع صنعاء الغربية م ١٧٦ مع شرحه للامام أبى طالب
وأنظر معنى هذا الكلام فى ورقة ٢ منه .
- (٣) العلم الشامخ للمقلب ص ٧ - ٨ .

وكذلك المطهر بن محمد بن المطهر أحمد أئمة الزيدية السياسيين
والمؤلفين في اليمن سنة ٨٠٢ هـ وقيل ٨٠٣ هـ وقيل غير ذلك
من مؤلفاته (الأبيات الفخرية في أصول الدين) ضمنها سبب
انحرافه عن مذهب البصرية عن المعتزلة والحث على مذهب البغدادية
منهم وابن الوزير أكثر تشنيعا على البغدادية من البصرية لأن
البغدادية تمتاز على البصرية بالقول إنه يجب على الله فعل
الاصلاح وأن الله عز وجل لا يعلم من نفسه إلا ما يعلمونه وأن المقتول
مات بأجله وغير ذلك من الشنائع وكل من هوء لا تكفر الاخرى
(وصدق الطائفتان . (١) كما صدقت اليهود والنصارى فيما أخبر
الله به عنهم) وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت
النصارى ليست اليهود على شيء^(٢)) وستأتى الغضائح الشنيعة التي
وصمهم بها ابن الوزير في المعارك الكلامية ان شاء الله تعالى .

٤ - ما صرح به الشهرستاني حيث قال أثناء كلامه على أفكار الصالحية ،
والبترية من فرق الزيدية فقال : (وأكثرهم - أى الزيدية - فى
زماننا مقدون ، لا يرجعون الى رأى واجتهاد ، أما فى الأصول
فيرون رأى المعتزلة حذوا القذة بالقذة - (٢) ، ويعظمون
أئمة الاعتزال أكثر من تعظيمهم أئمة أهل البيت) (٣)
وما قاله الشهرستاني من أن الزيدية يحذون حذو المعتزلة فى
الأصول ، فهو الواقع على التفضيل السابق فى المقارنة ، أما ما نسبته اليهم

(١) أنظر الفرق بين الفرق للبغدادى ص ١٨٢ وما بعدها والبدر الطالع
للشوكانى ج ٢ ص ٣١١ والروض الباسم لابن الوزير ج ٢ ص ١٦١
وما بعدها واثار الحق على الخلق له ص ١٢ ، وحكام اليمن
للحبشى ص ١٦٦ والعلم الشامخ للمقبلى ص ٧ - ٨ ط أولى بمصر
سنة ١٣٢٨ هـ ، وأنظر تراجم أعلام المعتزلة هوء لا فى كتب
المقالات منها الفرق بين الفرق للبغدادى ومقالات الإسلاميين
للأشعرى وطبقات الزيدية فى صنعاء .

(٢) القذة ريشة السهم .

(٣) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٦٢ .

(٤) سورة البقرة آية : ١١٣ .

من التقليد ، فهذا خلاف المشهور عنهم في الفروع ، فهم هادوية -
غالبا - وبعضهم مجتهدون ولم يقل أحد - حسب علمي - أن الزيدية
تخذوا حذو المعتزلة في الفروع - غيره - وكتبهم تشهد بذلك .
(كالبحر الزخار) للإمام المهدي ، و (شرح الأزهار) لابن مفتاح
أحد علماء الزيدية ، وهو الذي رد عليه الامام الشوكاني بالسيل
الجرار المتدفق على حدائق الأزهار ، وغير ذلك من كتبهم
المشهوره بالاجتهاد والحاصل أن عقائد الزيدية خليط من المعتزلة
في معظم الاصول الخمسة - كما سبق بيانه - ومن الشيعة الامامية ،
كما سبق أيضا .

وهذا خلاف ما عليه أهل السنة من تقديم الشيخين أبي بكر وعمر
رضي الله عنهما في الفضل والامامة . أما المفاضلة بين الثالث والرابع
من الخلفاء الراشدين ، فعلى الخلاف المشهور بين أهل السنة وقد
سبق في أوائل هذا الفصل أن أشرت الى ذلك ، وأشار الي هذا الخلاف
البغدادي ، ولم يرجح أحد القولين على الآخر .

أما ابن تيمية . وتلميذه ابن كثير فقد رجحا تفضيل عثمان على علي
رضي الله عنهما . (١) والله أعلم .

(١) أنظر مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٤ ص ٤٢٥ والفرق بين الفرق للبغدادي
ص ٣٥٠ والبداية والنهاية لابن كثير ج ٩ ص ٣٢٩ - ٢٤٠ .

الفصل الخامس

=====

الأشعرية وموقف ابن الوزير منها

=====

- أ - تمهيد : وفيه أطوار الامام الأشعرى .
- ب - المذهب الأشعرى وظهوره فى اليمن .
- ج - موقف ابن الوزير من الأشعرية .
- د - الكلام على حكمة الله تعالى .

=====

=====

=====

تسديد : وفيه أطوار الامام الأشعري :

الأشعرية بصفة عامة ، هم أتباع الامام أبى الحسن
الأشعري — (١) سنة ٣٢٤ هـ وقيل ٣٣٠ هـ الذى يتصل نسبه بأبى موسى
الأشعري الصحابى الجليل . رضى الله عنه . فى طوره الثانى من أطواره الثلاثة
الآتى بيانها .

الأول : كان معتزليا ، أخذ علم الكلام عن شيخه - زوج أمه - أبى على
الجبائى سنة ٣٠٣ هـ أحد شيوخ المعتزلة وقد سبق الكلام عنهم ، وموقف
ابن الوزير منهم فى المقارنة بين المعتزلة والزيدية .

ولما تبهر الأشعري فى الاعتزال كان ينوب عن شيخه المذكور ،
فى المناظرات ، لأنه كان لا يستقصى فى المناظرة كالكتابة ، وكان الأشعري ،
يورد الأسئلة على شيخه المذكور ، أثناء الدرس ، فلا يجد جوابا شافيا ،
فتحير فى ذلك واستمر على مذهب المعتزلة أربعين عاما ، وفى ذات ليلة
- كما يحكى - تضرع الى الله عز وجل أن يهديه الى الصواب فرأى النبی
- صلى الله عليه وآله وسلم - فى المنام ، وشكى مابه من الأمر ، فقال له
النبي - عليه الصلاة والسلام - : عليك بسنتى ، فانتبه من فوره معارضا
علم الكلام .

وكانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم فحجزهم فى أقماع السمس
ومما بيض به وجوه أهل السنة ، وسود به رايات أهل الاعتزال - فأبان
وجه الحق الأبلج ، ولصدر أهل الايمان أثلج - مناظرته مع شيخه
الجبائى ، التى قصم بها ظهر كل مبتدع وهى المعروفة عند أهل هذا
الشأن بمسألة الصلاح والأصلح ، وأوبالأخوة الثلاثة ، انقطع فيها
الجبائى . (٢)

(١) نسبة الى الأشعر : وهونيت بن أد دين يشجب . . بن يعرب
بن قحطان أ هـ تبين كذب المفترى ص ٣٦ وقيل انه ولد أشعر ،
المرجع ذاته .

(٢) التفاصيل فى طبقات الشافعية الكبرى لعبد الوهاب السبكي سنة
٧٧١ هـ تحقيق الطناحى وزميله ج ٣ ص ٣٤٧ وما بعده -
ط الحلبي الاولى سنة ١٣٨٤ هـ ، تاريخ بغداد للأحمد بن على

الطور الثاني : الايمان بالصفات الذاتية فقط ، وتأويل ماسولها من الخبرية .

والمراد بالصفات الذاتية العقلية ، السبع التي سماها المتكلمون صفات معان - أى زائدة على الذات وهى : الحياة ، والقدرة ، والارادة ، والعلم ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، وهذا ما تأباه المعتزلة - كما سبق - والمراد بالخبرية ما ثبت بالخبر فى الكتاب والسنة ، وهى قسمان :

ذاتية : كصفة الوجه ، واليدين ، والقدم ، والرجل ، والأصابع وغير ذلك ما ورد فى الخبر الصحيح . فالوجه عند الأشعرية ذات الله - عز وجل - والعين رؤيته للأشياء .

وفعلية : كالنزول ، والاستواء ، والمجىء ، والضحك ، والغضب ، وغير ذلك ما ورد به الخبر الصحيح . والاستواء عند الاشعرية ، بمعنى الملك (١)

قال : صاحب المواقف فى الموقف الخامس الإلهيات : (المقصد الأول : أنه تعالى ليس فى جهة ولا مكان) .

وقال البغدادى بعد أن ذكر الخلاف فى تأويل الوجه والعين : (والصحيح عندنا أن وجهه ذاته ، وعينه رؤيته للأشياء) . وقوله : (ويبقى وجهه ربك) (٢) معناه :- ويبقى ربك ... وقوله فى سفينة نوح : (تجرى بأعيننا) (٣) أراد بها العيون التى جرت بها السفينة فى الماء ، لأنه قال : (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر) (٤) .

=== الخطيب البغدادى سنة ٤٦٣ هـ ج ١١ ص ٣٤٧ ط المكتبة السلفية
وفيات الأعيان لابن خلكان سنة ٦٨١ هـ ج ٣ ص ٢٨٤ هـ حققه
احسان عباس ط بيروت دار صادر ، شذرات الذهب فى أخبار من
ذهب لعبد الحى بن عماد الحنبلى سنة ١٠٨٩ هـ ج ٢ ص ٣٠٣
وما بعدها ط بيروت ، إتحاف السادة المتقين لمرتضى الزبيدى سنة
١٢٠٥ هـ ج ٢ ص ٣ ط بيروت ، مجموع فتاوى ابن تيمية ج ١٣
ص ٩٩ ، البداية والنهاية لابن كثير سنة ٧٧٤ هـ ج ١١ ص ١٧٧
تبيين كذب المفتري فيما نسب الى الاشعرى لابن عساكر سنة ٥٧١ هـ
ص ٣٨ وما بعدها ط بيروت .

(١) لتفاصيل مذهب الاشعرية فى تأويل الصفات ، راجع كتبهم المعتمدة فى العقيدة كالمواقف للأبجى ص ٢٩ - ٣١ تحقيق الدكتور

أحمد المهدي دار الحماى للطباعة . (٢١) سورة الرحمن عز وجل آية ٢٧
(٣) سورة القمر آية ١٤
(٤) سورة القمر آية ١١

وفى الاستواء قال بعد أن ذكر أقوال الفرق أو بعضهم : (والصحيح عندنا تأويل العرش فى هذه الآية على معنى الملك ، كأنه أراد أن الملك ما يستوى لأحد غيره) (١) وقال الجوينى ٤٧٨ هـ : (ان الرب تعالى مقدس عن الاختصاص بالجهات ، والاتصاف بالمحاذاة لا تحيط به الأقطار ، ولا تكتنفه الاقطار ، .. فان سئلنا عن قوله تعالى : (الرحمن على العرش استوى) (٢) قلنا : المراد بالاستواء القهر والغلبة والعلو) (٣) فيقال لمن يثبت بعض الصفات ويؤىء ول بعضها القول فى بعض الصفات كالقول فى بعض كذا قرره شيخ الاسلام (٤) ، والمقارنة بين عقيدة الاشاعرة هذه ، وعقيدة الاشعرى الاتى ذكرها فى الطور الثالث من حياته تجد البون الشاسع ، وعليه فالاشعرى غير الاشعرى ، أما الجوينى فسيأتى فى المعارك الكلامية أنه رجع عن التأويل الى عقيدة السلف أشار الى ذلك فى العقيدة النظامية والله أعلم .

والأشعرى يقولون بأن الايمان هو التصديق بالقلب ، وهل يكفى عن النطق بالشهادتين ؟ فيه خلاف عندهم كما قال صاحب الجوهرة :

وفسر الايمان بالتصديق * * والنطق فيه الخلف بالتحقيق (٥)

وقال صاحب اضاءة الدجنة :

ومرجع الايمان للاذعان * * بالقلب والتصديق بالجنان

ونطق بالقدرة شرط فيه * * على اختلاف كتبهم تحويه (٦)

وهذا هو مذهب المرجئة ، المشهور ، وهو أن الايمان هو المعرفة ، أو التصديق (٧) ، وعليه فما الفائدة من حرص النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - أن ينطق عمه أبوطالب بكلمة التوحيد ، ان تصديقه له بقلبه ،

(١) أضول الدين للبغدادى ص ١١٠ - ١١٣

(٢) سورة طه آية : ٥ .

(٣) لمع الادلة للجوينى امام الحرمين ص ٩٤ - ٩٥ تحقيق الدكتور فوقية حسين محمود الدار المصرية للتأليف والترجمة ط أولى سنة ١٣٨٥ هـ

(٤) أنظر الرسالة التدمرية لابن تيمية ص ١٥ ضمن مجموعة نفائس .

(٥) جوهرة التوحيد مع حاشية البيجورى ط العامرية الشرقية ١٣١٤ هـ .

(٦) اضاءة الدجنة فى اعتقاد أهل السنة لآحمد المقرئ المغربى المالکى

الاشعرى مع الشرح لمحمد بن أحمد الطقب بالداه الشنقيطى ص ٨٣ ط بيروت .

(٧) الفصل فى المل والنحل لابن حزم مع المل للشهرستانى ج ٣ ص ١٠٦

والممل والنحل للشهرستانى ج ١ ص ١٠١ .

لا يختلف فيه اثنان ، ولا ينتطح فيه عنزان^(٢) قال الشهرستاني ، وهو يصف مذهب الأشعري في الايمان بقوله : (قال : الايمان هو التصديق بالجنان ، وأما القول باللسان والعمل بالاركان ففروعه ، فمن صدق بالقلب . . . واعترف بالرسول تصديقا لهم فيما جاءوا به من عند الله تعالى بالقلب صح وإيمانه حتى لو مات عليه في الحال كان مؤمنا ناجيا ، ولا يخرج من الايمان الا بانكار شيء من ذلك) لكن الأشعري قال في الابانة بعد أن ذكر الموقف والحساب (. . . والايمان قول وعمل يزيد وينقص ونسلم الروايات الصحيحة في ذلك . (١) ومجموع القولين هو معتقد أهل السنة ، فالإيمان عندهم هو التصديق بالجنان ، والنطق باللسان ، والعمل بالاركان ، يزيد بالطاعة ، وينقص بالعصيان . (٢) ولذلك قال الأجرى وهو من كبار أهل السنة : (لا يكون مؤمنا ، إلا أن يجتمع فيه هذه الخصال) (٣)

وقد بحث هذه المسألة الحافظ في الفتح في الباب الاول من كتاب التوحيد ، عند شرحه لحديث معاذ ، لما أرسله النبي عليه الصلاة والسلام الى اليمن وفيه (فليكن أول ما تدعوهم الى أن يوحدوا الله) وذكر الخلاف بين المتكلمين فيما هو أول واجب على المكلف المعرفة أو النظر أو الشك أو التقليد ؟ وأن الناس قد تناقضت مذاهبهم في هذه المسألة بين مفرط ومفرط ومتوسط ، فالأول اكتفى بالتقليد المحض في إثبات وجود الله ، ومنهم من حرم النظر في الأدلة استنادا الى ما ثبت عن الأئمة من ذم الكلام ، منهم جماعة من الحنابلة والظاهرية ، والطرف الثاني من وقف صحة الايمان على معرفة الأدلة من علم الكلام نسب ذلك لابي اسحق الاسفراييني ، وهو لا كفروا عوام المسلمين بزعمهم أن من لم يعرف العقائد

(١) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٠١ والابانة عن أصول الديانة

لابي الحسن الأشعري ص ٢٤ حققه عبد القادر الأرئووط دار البيان

١٤٠١ هـ .

(٢) أنظر شرح الطحاوية ص ٣٧٣ - ٣٧٤ .

(٣) الشريعة للأجرى سنة ٣٦٠ هـ ص ١١٩ تحقيق محمد حامد الفقى

مطبعة السنة المحمدية ١٣٦٩ هـ .

(٤) وقال أبو طالب : ولقد علمت بان دين محمد من خيرات البرية دينا

الشرعية بالأدلة التي حرروها فهو كافراً والطرف الوسط من المتكلمين قالوا لا يكفي التقليد، فلا بد من دليل ينشر له الصدر، وتحصل به الطمأنينة العلمية بدون طرق الصناعة الكلامية، بل يكفي من كل أحد بحسب ما يقتضيه فهمه. (١) وذكر كلاماً كثيراً حول هذه المسألة، ونقولاً عن أئمة السلف في ذم الكلام، ورجوع بعضهم، كما سيأتى في ذم الكلام، أما الرواية فسيأتى منهم فيها في (المعارك الكلامية) في الباب الثالث من هذه الرسالة ان شاء الله تعالى.

والذى سبق ذكره، هو ما عليه الأشعرية في اليمن، ومصر والشام، وغيرها من بلاد المسلمين، مع تفاصيل وخلافات تراجع في كتبهم، وهذه هي طريقة ابن كلاب، أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب البصرى سنة ٢٤٠ هـ الذى سلك الأشعرى خطته في طوره الثانى قرر هذا شيخ الاسلام ابن تيمية بقوله: (والكلابية هم أتباع أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب، الذى سلك الاشعرى خطته) (٢) أى بعد الاعتزال وفي موضع آخر قال: (ثم جاء أبو الحسن الاشعرى، واتبع طريقة ابن كلاب، وأمثاله) (٣) أى في طوره الثانى بعد الاعتزال. والفرض من إيراد هذا الكلام، إثبات الضرر الثانى للأشعرى، بأنه كان على مذهب ابن كلاب السابق ذكره، وأن الاشاعرة مازالوا عليه قائمين، حتى الآن، وهو الايمان بالصفات السبع، وتأويل ما سواها من الخبرية (٤)، وفي ذلك يقول شيخ الاسلام ابن تيمية: (الأشعرية

(١) أنظر فتح البارى ج ١٣ ص ٣٤٩ - ٣٥٨.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٣ ص ١٠٣.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٦ ص ٥٢٠.

(٤) أنظر الموقف الخامس في الالهيات من المواقف للأيجى

ص ٢٩ وما بعدها الى شرح الاسماء الحسنى ومن

ذلك تفسير الرحمن الرحيم (بأنهما بمنزلة الندمان والنديم أى

مريد الانعام على الخلق فمرجعهما صفة الارادة، وقيل معطى

جلال النعم ودقائقها فالمرجع حينئذ صفة فعلية ص ٣٥٧.

وهذا التأويل فرار من اثبات صفة الرحمة لله تعالى المخالفة

لرحمة المخلوقين

يقولون ان له صفات سبعة : الحياة ، والعلم ، والقدرة ، والارادة ، والكلام ، والسمع والبصر ، وينفون ما عداها ، وفيهم من يضم الى ذلك اليد فقط ، ومنهم من يتوقف في نفى ما سواها ، وغلاتهم يقطعون بنفى ما سواها
وأما من قال منهم بكتاب (الإبانة) الذى صنفه الأشعرى فى آخر عمره ، ولم يظهر مقالة تناقض ذلك فهذا يعد من أهل السنة لكن مجرد الانتساب الى الأشعرى بدعة ، لاسيما وأنه بذلك يوهم حسنا بكل من انتسب هذه النسبة ، ويفتح بذلك أبواب شر) . (١)

يستفاد من كلام شيخ الاسلام هذا أن الأشاعرة الذين بقوا على عقيدة الأشعرى ، فى طوره الثانى ليسوا من أهل السنة . أما الذين انتقلوا معه الى الطور الثالث ، وقالوا بما قال به فى (الإبانة) وثبتوا عليها ، فهم من أهل السنة ، والفرقة الناجية ، ولحل ابتداء الانتساب الى الأشعرى الذى ذكره الشيخ ، هو ما يكون بالأفواء لا بالتصديق والتطبيق لأن الأشعرى فى آخر عمره من أهل السنة ، يدل على ذلك كلامه والله أعلم .

الطور الثالث : اثبات صفات الله - جل وعلا - من غير تكييف ، ولا تشبيه ، ولا تأويل ، ولا تعطيل ، على طريقة السلف الصالح ، وهذا هو الذى استقر عليه حتى توفى - رحمه الله - ، وهو ما دونه فى كتابه (الإبانة عن أصول الديانة) وفى حكايته لعقيدة أهل السنة وأهل الحديث فى كتابه (مقالات الاسلاميين ، واختلاف المصلين) .

وفى الجميع ما يدل على رجوعه الأخير الى مذهب أهل السنة ، فانه يثبت الصفات الخيرية ، الذاتية منها والفعلية يصف الله - تعالى - بها وصف به نفسه وبما وصفه رسوله - صلى الله عليه وسلم - صرح بذلك فى كتابه (الإبانة) إذ يقول : (قولنا الذى نقول به ، وديانتنا التى ندين بها ، التمسك بكتاب ربنا - عز وجل - وسنة نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - وما روى عن الصحابة ، والتابعين ، وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتمدون ، وبما كان يقول أبو عبد الله أحمد بن حنبل - نضر الله وجهه - ورفع درجته ، وأجزل مثوبته - قائلون ، ولمن خالف قوله مجانبون وأن الله استوى على عرشه كما قال : (الرحمن على العرش استوى) (٢) وأن له وجهاً

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٦ ص ٣٥٩ - ٣٦٠ .

(٢) سورة طه آية : ٥ .

بلا كيف ، كما قال : (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) (١) وأن له
يدين بلا كيف ، كما قال : (خلقت يدي) (٢) وكما قال : (بل يسداه
مبسوطتان) (٣) وأن له عينا بلا كيف كما قال : (تجرى بأعيننا) (٤) وأن
من زعم أن أسماء الله غيره كان ضالاً (٥) الى آخر ما ذكره في كتاب (الابانة) .

ولما ذكر مجمل عقيدة أهل السنة والحديث في كتابه (مقالات الاسلاميين)
قال : (فهذه جملة ما يأمر به ، ويستعملونه ويرونه ، ويكل ما ذكرنا من
قولهم نقول : وإليه نذهب) (٦) ، وهذا يخالف ما عليه الأشعرية من التأويل

بإسناد الادبانية للإمام أبي الحسن الأشعري

لا خلاف حسب علمي في نسبة (مقالات الاسلاميين) للأشعري ، وإنما
التشكيك من بعض المقلدة ، في إسناد (الابانة) إلى أبي الحسن الأشعري
وإليك نقول أعلام الاسلام المصروفة بعزوه إلى الأشعري ، منهم الحافظ البيهقي (٧)
سنة ٤٥٨ هـ والحافظ بن عساكر (٨) سنة ٥٧١ هـ وشيخ الاسلام ابن تيمية
سنة ٧٢٨ هـ في مواضع من كتبه (٩) وتلميذاه ، الحافظ الذهبي (١٠) سنة
٧٤٨ هـ والامام ابن قيم الجوزية (١١) سنة ٧٥١ هـ وابن فرحون المالكي (١٢)

(١) سورة الرحمن : آية : ٢٧ .

(٢) سورة ص : آية : ٧٥ .

(٣) سورة المائدة : آية : ٤٤ .

(٤) سورة القمر : آية : ١٤ .

(٥) الابانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري ص ١٧ - ١٩ .

(٦) مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري ج ١

ص ٣٤٦ - ٣٥٠ .

(٧) أنظر الاعتقاد والهداية الى سبيل الرشاد للبيهقي ص ١٠٨ - ١٠٩ .

تحقيق أحمد عصام الكاتب ط بيروت .

(٨) أنظر تبیین کذب المفتری فيما نسب الى الامام أبي الحسن الأشعري

لابن عساكر الدمشقي ص ١٥٢ .

(٩) أنظر مجموع الفتاوى ج ٦ ص ٣٥٩ ج ١٢ ص ٢٠٣ وفي مواضع كثيرة

من كتبه .

(١٠) أنظر العلو للعلی الغفار للذهبي ص ١٦٠ قدم له وصححه وراجع

أصوله عبد الرحمن محمد عثمان الناشر المكتبة السلفية بالمدينة ط

ثانية سنة ١٣٨٨ هـ .

(١١) أنظر اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية لابن القيم

ص ١٨٢ ط دار الكتب العلمية بيروت نشر الباز والتونيل ص ٦٨ طبع الهند

(١٢) أنظر الديباج المذهب في أعيان المذهب لابن فرحون ج ٢ ص ٩٤ -

٩٦ تحقيق محمد أبو النور دار التراث للطبع والنشر القاهرة .

سنة ٢٩٩ هـ وابن العماد الحنبلى (١) سنة ١٠٨٩ هـ والسيد مرتضى الزبيدى (٢) سنة ١٢٠٥ هـ والسيد السلفى الشهير محب الدين الخطيب (٣) ، ومحمد أبو زهرة (٤) ، وشيخنا حافظ بن أحمد (٥) الحكى سنة ١٣٧٢ هـ والزركلى (٦) والمعلمى اليمانى وسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز (٧) مفتى الديار السعودية ، وشيخنا حماد الانصارى (٨) وناشر كتاب الابانة (٩) ، وغير هؤلاء ممن ذكرهم شيخنا الانصارى فى كتابه (أبو الحسن الاشعرى وعقيدته) وفى عدة محاضرات فى كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة وقال فى كتابه المذكور ، بعد أن نقل كلام الأئمة الاعلام فى عزو (الابانة) للأشعرى : (وهذه نقول الأئمة الاعلام ، اعلام الاسلام قد تضمنت بالصراحة التى لا يتنازع عليها غزاه ، ولا يمتري فيها اثنان ، أن كتاب (الابانة) ليس مدسوسا على أبى الحسن الأشعرى كما زعمه بعض الأغمار ، من المقلدة ، بل هو وتواليفه التى ألفها أخيرا ، واستقر أمره على ما فيها ، من عقيدة السلف ، التى جاءت فى القرآن الكريم ، وسنة النبى عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم) .

-
- (١) أنظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى ج ٢ ص ٣٠٣ وصرح بأن الابانة آخر كتاب صنفه الاشعرى .
 - (٢) أنظر اتحاف السادة المتقين للزبيدى ج ٢ ص ٣ .
 - (٣) أنظر تعليق على منتقى الاعتدال للذهبي مختصر منهاج السنة لابن تيمية ص ٤١ - ٤٣ حققه وعلق حواشيه ووقف على طبعه محب الدين الخطيب
 - (٤) أنظر تاريخ المذاهب الاسلامية لابي زهرة ج ١ ص ١٨١ - ١٨٢ .
 - (٥) أنظر معارج القبول بشرح سلم الوصول لشيخنا حافظ الحكى ج ١ ص ٣٤٥ من مطبوعات الافتاء .
 - (٦) أنظر الاعلام للزركلى ج ٤ ص ٢٦٣ .
 - (٧) أنظر تقرظ لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز لرسالة شيخنا حماد الانصارى (أبو الحسن الاشعرى وعقيدته) ص ٢٩ .
 - (٨) أنظر الرسالة المذكورة لشيخنا الانصارى كاملة .
 - (٩) أنظر مقدمة الإبانة لابي الحسن الاشعرى ص ٣ ولمزيد من التفاصيل راجع رسالة بعنوان (أبو الحسن الاشعرى بين المعتزلة والسلف) لهادى بن أحمد طالبى تقدم بها لنيل درجة الماجستير فى جامعة أم القرى بمكة المكرمة موجودة فى قسم المخطوطات فى المكتبة
- ===

فهل يصح القول بعد هذه النقول في إسناد (الإبانة) للأشعري ،
أنها مدسوسة عليه ، وهل يبقى بعد هذا من شك أنها ليست من مصنفاته ،
فماذا بعد الحق الا الضلال ؟ .

أما أطوار الأشعري الثلاثة الآتفة الذكر ، فقد ذكرها ابن العماد
الحنبلي ، والسيد محب الدين الخطيب وشيخنا حماد الانصاري في عدة
محاضرات كما سبق ، وناشر (الإبانة) كما سبق في المراجع الآتفة الذكر
الأجزاء والصفحات ذاتها .

وتؤكد لما سبق من أن مذهب الأشعرية المدون في كتبهم - المشار
إليها سابقا - يختلف عن مذهب الأشعري في (المقالات) و (الإبانة)
كما رأيت .

هذا بالنسبة للمذهب العام للأشاعرة ، ويبقى هل معتقد الأشعرية
في اليمن يندرج تحت المذهب العام أولهم مذهب خاص ؟ - لكنهم أولى
بالانتساب إلى الأشعري لأن بعضهم من نسل أبي موسى الأشعري اليماني
الصحابي الجليل ، وفي أعمال زبيد يوجد مسجد يسمى - إلى يوم الناس هذا -
مسجد الأشاعر . والواقع أن الأشعرية هي هه سواء كانت في اليمن أو في
غيره لكن لنا أن نتساءل متى دخلت العقيدة الأشعرية إلى اليمن ، وعلى
يد من ؟ وهذا ما سنتحدث عنه بعون الله - الآن .

=== المركزية وقد طبع كتاب الإبانة عدة طبعات منها طبعة في مصر سنة
١٣٩٢ هـ تحقيق الدكتورة / فوقية محمود التي قالت أنها اعتمدت
في التحقيق على أربع نسخ خطية وطبعة دار البيان بدمشق تحقيق
عبد القادر الزنوط سنة ١٤٠١ هـ .

المذهب الأشعرى وظهوره في اليمن :

يمكن القول بأن المذهب الأشعرى يتمشى مع المذهب الشافعى في جنوب اليمن ، وأسفله ، وسواحله . كما يمكن القول بأن هذه المناطق يعتقد أصحابها ، المذهب الشافعى في الفروع ، ولكن التاريخ يقرر بأن اليمن كان خليطا بأتباع الأئمة الأربعة ، وغيرهم من الزيدية ، مع مافى الجميع من المجتهدين .

وقد يعتقد الواحد منهم أكثر من مذهب ، فبعضهم يقول : أنا فى الفقه شافعى ، وفى المعتقد حنبلى ، وفى الطهارة زيدى ، فلهذا لا يصح الجزم بأن المذهب الأشعرى ، يتمشى مع المذهب الشافعى وحده لما للأشعرى من المكانة العلمية ، لدى أصحاب المذاهب ، ولذلك تنازعه ، فالمالكى يدعى أنه مالكى ، والشافعى والحنفى كذلك ، والأشعرى نفسه يصرح بأنه حنبلى - كما سبق فى مجمل اعتقاده - ومع هذا فلا يمكن الجزم بحصر عقيدة الأشعرى فى الشافعية اليمنية ، أو فى غيرهم ، إلا إذا كانت على ما تضمنه الطور الثانى ، أما الطور الثالث فلا يصح ، لأنهم لا يعتقدون ذلك - كما سبق بيانه - وعليه فعقيدة الأشعرية فى اليمن كسائر الأشعرية فى بلاد المسلمين .

وقد سبق تصريح مرتضى الزبيدى ، بأنه إذا أطلق أهل السنة ، والجماعة ، فالمراد بهم الإشاعرة والماتريدية كما هو المشهور فى خراسان ، والعراق ، والشام ، وأكثر الأقطار . (١)

وقد اختلف المؤرخون اليمنيون ، وغيرهم ، فى تحديد ظهور المذهب الأشعرى فى اليمن زمانا ومكانا ، بناء على القول بأن المذهب الأشعرى يتمشى مع المذهب الشافعى فى اليمن غالبا .

١ - فقال بعضهم : إنه ظهر فى أيام الرشيد العباسى سنة ١٩٣ هـ حينما خرج الامام الشافعى الى اليمن ، ودخل صنعاء سنة ١٨٤ هـ وأخذ

(١) أنظر حياة الادب اليمنى فى عصر بنى رسول للحبشى ص ٩٧ - أبو الحسن الأشعرى وعقيدته للانصارى ص ٤ ، اتحاف السادة المتقين بشرح احياء علوم الدين للزبيدى ج ٢ ص ٦ .

العلم عن قاضى صنعاء ، يومئذ هشام بن يوسف سنة ١٩٧ هـ وغيره ،
صرح بذلك الحافظ بن حجر (١) .

٢ - ويرى البعض الآخر أن ظهور المذهب الشافعى فى اليمن سنة ٢٠٤ هـ
حين ابتداء من المعافر والجند متجها الى عدن جنوبا ، بما فى ذلك
مغارب اليمن وتهامة ، بواسطة فقهاء ذلك العصر الذين هاجروا
الى الحجاز والعراق ، وأخذوا عن أصحاب الشافعى ، ولا يزال
المذهب الشافعى هو المعتمد ، فى تهامة اليمن ، وفى اليمن السفلى ،
والبيضاء ، وحضرموت ، وعدن (٢) .

وهذان القولان معارضان معارضة شديدة بل لاعمل عليهما ، فإن
الاشعرى لما يولد حينئذ ، فانه ولد سنة ٢٧٠ هـ فكيف ينتشر مذهبه
والحال هذه ؟ بل هذان القولان صريحان فى خروج الشافعى ومذهبه
الى اليمن ، لا فى المذهب الاشعرى ، ومبنيات على القول باقتران
الاشعرية بالشافعية وهو ضعيف ، لأنه خلاف الواقع ، ولأن هناك من
يعتقد الاشعرية غير الشافعية .

٣ - بينما يخالف هذين القولين من يقول : إن دخول المذهب الشافعى
فى اليمن كان فى المئة الثالثة من الهجرة ، أو الرابعة ، وكان الداعى
اليه فى الجند ، ومخلاف جعفر هو عمر بن محمد الحواشى (٣) .

٤ - وذكر صاحب مصادر تاريخ اليمن أن دخول كتب الأشاعرة اليمن سنة ٥٧٥ هـ
بواسطة دولة بنى أيوب ، فاستمسك بها الشافعية فى اليمن الأسفل
ورجعوا الى الشافعية بعد أن كانوا حنابلة (٤) .

(١) تهذيب التهذيب ج ١١ ص ٥٧ - ٥٨ ط بيروت ، وضحى الاسلام
لاحمد أمين ج ٢ ص ٢١٩ - ٢٢٠ ط لجنة التأليف ٠٠٠ بالقاهرة
ط سابعة سنة ١٩٦٤ م .

(٢) تاريخ اليمن الثقافى لاحمد حسين شرف الدين ج ٤ ص ٣٦ - ٤٠ ،
طبقات فقهاء اليمن ص ٨٠ وما بعدها .

(٣) غاية الامانى فى تاريخ القطر اليمانى ليحيى بن الحسين بن القاسم
الشهارى ج ١ ص ٢٠٣ وأنظر تاريخ الاسلام السياسى ٠٠٠ والاجتماعى
لحسن ابراهيم ص ٤٥٤ .

(٤) مصادر تاريخ اليمن فى العصر الاسلامى لأيمن فؤاد سيد ص ٣٤ ط
المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة .

فالقول الثالث فيه احتمال راجع من جهة دخول المذهب الأشعري اليمن لأن وفاة أبي الحسن الأشعري كانت سنة ٣٢٤ هـ أو ٣٣٠ هـ وانتشر المذهب الأشعري في كثير من بلاد الاسلام ومنها اليمن ، إلا أن هذا القول مبنى على القول باقتران الاشعرية بالشافعية كالقولين الأولين وهذا مرجوح لما سبق .

وأما القول الرابع فهو صريح — كما ترى — في دخول كتب الأشاعرة اليمن ، في القرن السادس الهجري ، الا أنه معارض باقتران الاشعرية بالشافعية وقد ثبت — كما سبق — دخول المذهب الشافعي قبل القرن السادس ، فلاقتران مرجوح والله أعلم بالصواب .

موقف ابن الوزير من الاشعرية في اليمن :

من المعلوم أن الاشعرية ، خصوم المعتزلة في اليمن وغيره ، وقد سبق أن ذكرت خروج أبي الحسن الأشعري ، على أفكار المعتزلة ، وتفنيدها ، ومنذ ذلك الحين ، والمعارك الفكرية بين الطائفتين حامية الوطيس إلى يوم الناس هذا ، وطبيعى أن تكون المعارك الفكرية — مع الاسف الشديد — بين هاتين الطائفتين وغيرهما ، وبين أهل السنة أشد ، صداقا لحديث ، افتراق الأمة ، الى ثلاث وسبعين فرقة ، السابق ذكره في أول الباب الثاني من هذه الرسالة . وابن الوزير — اذا تعجلنا بالحكم عليه — من أهل السنة ، ويكفى شهادة على ذلك ، عنوان كتابه (العواصم والقواصم) في الذب عن سنة أبي القاسم) ومختصره (الروض الباسم) (٠٠٠) وهو رد على الزيدية المعتزلة اليمنية .

وفي أثناء بحثي ، واطلاعى على مؤلفات ابن الوزير ، وتراجعه ، لم أجده جدالا بينه وبين الاشعرية اليمنية لأن معظمهم كانوا في سواحل اليمن وجنوبه ، تحكمهم دويلات خارجة عن حكم الأئمة الزيدية المعتزلة في المناطق الجبلية الشاهقة ، الشرقية ، والشمالية — غالبا — .

واذا وجدت اشعرية في الديار الزيدية ، فلا يستطيعون المجادلة والمراسلة ، لأنهم كانوا مضطهدين بلغ الأمر ببعض أهل السنة أن يحرم مطالعة كتبه واعارتها للأشاعرة ، ويكتب بذلك وصية على ظهر

كتابه (١) وقد توجد لاشاعرة اليمن مناظرات ومراسلات مع غير ابن الوزير ، في عصره أو في غيره ، ولم أطلع على شيء من ذلك .

موقف ابن الوزير العام من الأشعرية :

مواقف ابن الوزير الفكرية من الأشعرية عموماً متنوعة :

١ — فتارة يقف موقف الحكم ، حينما يتعرض لحكاية أقوالهم ، ومعتقداتهم ، في معرض جوابه ، على خصمه الآتي ذكره في (المعارك الكلامية) .

٢ — وتارة يقف موقف المدافع عنهم إذا وصمهم خصمه بالجبر والتشبيه ، وفتح عن ذلك تكفيرهم .

٣ — وتارة يقف منهم موقف الخصم ، إذا كان الخلاف شديداً بينهم وبين أهل السنة ، لأنه أحياناً يعدهم من أهل السنة وذلك في المسائل التي يوافقون فيها أهل السنة ، وأحياناً يعدهم طائفة مستقلة عن أهل السنة كما سيأتي في الكلام على الحكمة في أفعال الله — عز وجل — من أن أهل السنة يقولون بالحكمة ، وغلاة الأشعرية ينفونها .

٤ — وتارة يقف منهم ومن سائر الفرق ، موقف المتألم ، المتحسر ، على هذه الفرقة ، التي أدت إلى تفسيق ، وتكفير الطوائف ، بعضها لبعض بسبب عدولهم عن منهج السلف الصالح ، منهج الكتاب والسنة ، إلى تقليد أهل الكلام ، والبدع ، والاهواء .

وهذا الموقف تجده واضحاً في كتابه (إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد) الذي ألفه في أواخر حياته ، وهذا الكتاب بهذا العنوان دال على مساهمة ، فقد بذل فيه جهداً كبيراً في المحاولة للتوفيق بين الأقوال ، وبيان الصواب من الخطأ منها ، حسب ما وصل إليه علمه واجتهاده . وكثيراً ما تحدث فيه عن الأشعرية وغيرها ولكن الأشعرية عموماً لم يخص أشعرية اليمن كما خصص زيدتها ومحتزليتها لأنهم البادئون ، وهو المجيب إلا أنه من المعلوم ، أن عقيدة الأشعرية في اليمن كسائر الأشعرية في البلاد الإسلامية كما سبق بيانه قريباً

(١) أنظر حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول لعبد الله بن محمد

الحبشي ص ٥٥ وأنظر السلوك للجندی ص ١٢٤ .

وفي أول الباب الثاني من هذه الرسالة ، وبناء على ذلك فكلام ابن الوزير يتناول
الأشعرية عموماً ، وتدخل اليمنية فيه دخولاً أولياً وله معهم مواقف
كثيرة أثرية ونظرية ، لا يحتمل المقام إجمالها فضلاً عن تفاصيلها وهي مذكورة
في كتابه (العواصم والقواصم) و (الروض الباسم) و (إيثار الحق على الخلق) ،
ولكن رأيت أن أذكر مثلاً لموقف ابن الوزير من الأشعرية في (حكمة الله
تعالى في أفعاله) لأن بها كما قال ابن الوزير : (تبرز أفعاله تعالى من
القدرة الى الوجود ، ويتبين عجز العقول عن مدارك جميع ماله سبحانه من
الحكمة والكرم والجلود)^(١) فنقول وبه نستعين :

الكلام على حكمة الله تعالى :

قد أكثر أهل الكلام ، الكلام على حكمة الله تعالى ، حتى أدى
ببعضهم ، الى القول بنفيها ، والبعض الآخر الى القول بأنهم يعلمون
تفاصيلها ، والجميع مخطئون لما سيأتى بيانه ان شاء الله تعالى .
وقد تكلم في الحكمة كثير من علماء الاسلام ، وبعضهم أفرد لها باباً
مستقلة ، ومنهم شيخ الاسلام ، وتلميذه ابن القيم ، الأول في عدة مواضع ،
من مجموع فتاويه وبالأخص في الجزء الثامن المضمن للقدور والحكمة . والثاني
في كتابه المشهور (شفاء العليل في القضاء والقدور والحكمة والتعليل)
وقد عقد باباً مستقلاً فيه بعنوان (الباب الثاني والعشرون في طرق إثبات
حكمة الرب تعالى ، في خلقه ، وأمره) ووصف ذلك الباب بأنه أجل أبواب
الكتاب ، وصنف الغزالي مصنفاً بعنوان (الحكمة في مخلوقات الله) ،
وإثبات الحكمة معلوم في كتاب الله - تعالى - وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ،
في الاسماء الحسنى وغيرها كما في قصة آدم - عليه السلام - وملائكة السموات ،
وقصة موسى والخضر عليهما السلام .

ومعنى الحكمة عند ابن الوزير هو : (العلم بأفضل الأعمال ، والعمل
بمقتضى ذلك العلم ، مثاله : العلم بأن الصدق أولى من الكذب ، والعدل
أولى من الجور ، والاحسان أولى من الاساءة ، و...)

ولا خلاف في تسمية هذا حكمة ، في حق الحكماء ، والعلماء من الخلق ،

(١) إيثار الحق على الخلق ص ١٩٣ .

ولم يخالف إلا بعض الغلاة من الأشعرية أن ذلك محال في حق الله تعالى (١) أي في أفعاله .

أما أهل الكلام فمعنى الحكمة عندهم : عبارة عن إثبات داع راجح الى جميع ما فعله الله وأراد به ، وإن خفى على خلقه أو كثير منهم ، والمرجع بهذا الداعي الى علم الله تعالى بالمصالح والغايات الحميدة (٢) والظاهر أن هذا المعنى أقرب الى المعتزلة منه الى نفاة الحكمة من الأشعرية والله أعلم .

قال الغزالي - وهو من أئمة الأشعرية - في شرح اسم الله الحكيم :
(والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الاشياء بأفضل العلوم ، وقد يقال لمن يحسن دقائق الصناعات ، ويحكمها ، ويتقن صنعتها حكيماً ، وكمال ذلك أيضاً ليس الا لله تعالى ، فهو الحكيم الحق) (٣) وفي كلام الغزالي دلالة على إثبات الحكمة كما ترى بل له مصنف خاص في الحكمة كما ذكرت قريباً . (٤)
وفي النهاية في غريب الحديث : والحكيم فاعيل بمعنى فاعل ، وهو الذي يحكم الأشياء ، ويتقنها ، فهو فاعيل ، بمعنى مفعول ، وقيل الحكيم : ذو الحكمة ، والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الاشياء بأفضل العلوم .
ويقال لمن يحسن دقائق الأمور ، ويتقنها حكيماً ، وهذا يتفق مع معنى الحكمة عند ابن الوزير .

هذا ولا يفوت ابن الوزير ، أن ينبه الى هذه الأمور الجميلة كقواعد أساسية يبنى عليها ما سيأتي ، نلخصها فيما يلي :

١ - إن ما خفيت فيه الحكمة على العقول ، مثل عدم العفو عن المشركين ، في الآخرة ، وعن شاء الله من الذنبيين ، مع أن العفو أحب الى الله - تعالى - في جميع كتبه ، وشرائعه ، فهذا نوع من بظاهاهه ، ونكل

(١) أنظر ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٩٣ وأنظر مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٨ ص ١٩٧ .

(٢) ايثار الحق على الخلق ص ١٩٤ .

(٣) المقصد الاسنى شرح الاسماء الحسنى للغزالي ص ٦٧ - ٦٩ ط بيروت وأنظر الاربعين في اصول الدين له ص ١٤ وإحياء علوم الدين له ج ١ ص ١١٢ ط بيروت

(٤) وقد طبع هذا الكتاب سنة ١٣٩٨ هـ وسنة ١٤٠٤ هـ بتحقيق الدكتور محمد رشيد رضا قباني ط بيروت .

الحكمة فيه الى الله تعالى .

- ٢ - القول بأن الحكمة فيه خفية ، ولو أننا علمناها لعرفنا حسنه .
- ٣ - القطع بأننا أجهل من أن نعلم جميع حكم الله - تعالى - في جميع أحكامه .
- ٤ - ولو علمنا الله - تعالى - نصف ما يعلمه ، لجاز أن تكون الحكمة ، في هذا النصف الذي لم يعلمنا إياه .

٥ - قد صح أن جميع علم الخلائق ، بالنسبة لعلم الله - عز وجل - كنسبة ما يأخذه الطائر بمنقاره من البحر الأعظم . (١)

٦ - خفاء الحكمة في المصائب ، والآلام ، وغيرها على عقولنا ، لا يعنى عدمها وانتفاؤها ، فإن الجاهل يعجز عن إدراك الحكمة في فعل العالم ، في أحيان كثيرة ، فكيف بنا الى جوار من أحاط بكل شيء علما . (٢)

٧ - ان الكلام في حكمة الله - عز وجل - وخشيته ، ومحبته ، وأنفعال العباد ، وما يتعلق بها يختص بمن قد عرف من علم الكلام ، ما أمضى قلبه ، أو منع يقينه ، بالاعتقاد الجعلى ، أو من رسخت في قلبه العصبية ، ولم يستطع دفعها بغير حجة ، حتى بقيت بلا معارض ، أو من ضل بالتقليد .

٨ - ان القول بحكمة الله - عز وجل - أوضح من أن يروى عن صحابي أو تابعي ، أو مسلم سالم من تغيير القطرة التي فطر الله خلقه عليها ، ولذ لك تقربه العوام من كل فرقة ، ممن لم يتلق خلافه من أتباع غلاة المتكلمين ، ولذ لك كره علم الكلام بما يؤدى اليه الخوض فيه ، من المحارات ، ومخالفة الضرورات ، والمشهورات .

ألا ترى أن المتكلمين لما توغلوا في هذه المباحث ، أدى ذلك بطائفة

(١) هذا معنى طرف من حديث طويل ، عن ابن عباس عن أبي بن كعب مرفوعا - البخارى ج ٥ تفسير سورة الكهف ص ٢٣١ - ٢٣٥ .

(٢) أنظر العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٣ وهم ٣٠ وإيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٢١٥ - ٢١٦ .

منهم الى القدح فى حكمة الله عزوجل وطائفة الى القدح فى قدرة الله على هداية العصاة وطائفة الى القدح فى دوام العذاب، ورجحت كل طائفة تأويلها، أما غلاة الأشعرية (١) الذين رجحوا نفى الحكمة، فلصعوبة النظر فى حكم الله - تعالى - فى جميع الشرور الدنيوية والأخروية، ولعجز العقول عن ادراك ذلك.

وأما غلاة المعتزلة (٢)، فقد رجحوا عدم قدرة الله - عزوجل - على هداية العصاة، واللفظ بهم، لأن الله بناهم بنية - كما يقولون - لا تقبل اللطف، وكذبوا، فالله - سبحانه - يضل من يشاء ويهتدي من يشاء، والله على كل شىء قدير (٣)، مع أن جميع بنى آدم، ولدوا على الفطرة، كما سيأتى بيانه، فى معنى الفطرة، فى الباب الثالث من هذه الرسالة، قال ابن الوزير: (وأما ابن تيمية وأصحابه، فرأوا أن القدح فى الحكمة، والقدرة يتطرق الى النقص فى الربوبية، وذلك يحتمل الكفر ويضارعه أو يقرب منه).

وأما دوام العذاب، فالقدح عندهم فيه سهل، بعد ورود الاستثناء فى غير آية وحديث، ولى على الجميع كلام طويل وقد أشرت الى أقوالهم، وشبههم فى الاجادة بأقصى عبارة (٤) وسيأتى الكلام على كلام ابن الوزير هذا الذى أسنده الى شيخ الاسلام ابن تيمية من القدح فى دوام العذاب، أما اثبات الحكمة فسيأتى كلام ابن تيمية المقرر لما ذكره ابن الوزير. كما أشار ابن الوزير أيضا، الى مصنفات شيخ الاسلام، وتلميذيه ابن القيم والذهبي فى الحكمة، ومعارضته لهما، وقد اطلعت على كلام شيخ الاسلام، وتلميذه ابن القيم فى ذلك، لكنى لم أجد كلاما

(١) ومنهم الآمدى فى كتابه (غاية المرام فى علم الكلام) ص ٢٢٤ ولفظه: (مذهب أهل الحق أن البارئ تعالى خلق العالم وأبدعه لا لغاية يستند الابداع اليها، ولا لحكمة يثوب الخلق عليها بل كل ما أبدعه من خير وشر ونفع وضر لم يكن لغرض قاده اليه ولا لمقصود أو جب الفعل عليه).

(٢) أنظر شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار أحمد المعتزلى ص

(٣) أنظر ايثار الحق على الخلق لابن الوزير بتصرف ص ٢١٦ والعواصم له ج ٣ وهم ٢٨ ص ٢٩٩ وما بعدها.

(٤) ايثار الحق لابن الوزير ص ٢١٦.

للذهبي في الحكمة . (١)

- (١) قيل ان الذهبي ألف (الرسالة الذهبية الى ابن تيمية) وهي رسالة بعث بها الى شيخه ابن تيمية في تبيان عقيدته كما وصفها السخاوي بقوله : (وقد رأيت له - أي الذهبي - عقيدة مجيدة ، ورسالة كتبها لا بن تيمية ، هي لدفع نسبته لمزيد تعصبه مفيدة) كذا في (الاعلان والتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ) ضمن مجموعة من كتب التاريخ بعنوان (علم التاريخ عند المسلمين) ص ٥٠٤ ، (لفرانز روزنتشال) ترجمة الدكتور صالح أحمد العلي مؤسسة الرسالة بيروت ط ثانية سنة ١٤٠٣ هـ .
- وقد ذهب بعض العلماء الى أن هذه الرسالة مزورة على الذهبي . وقيل لاعتبار ذلك ، فانها توجد منها نسخة في دار الكتب المصرية ، بخط تقي الدين ابن قاضي شهبه الأسدي سنة ٨٥١ هـ رقم (١٨٨٣٣ ب) ومنها نسخة بدار الكتب الظاهرية برقم (١٣٤٧) . وقد نشرها حسام الدين القدسي بدمشق سنة ١٣٤٧ هـ مع كتاب (بيان زل العلم) ولم أطلع عليه .
- وممن ذهب الى أن هذه الرسالة مزورة السيد زكريا علي يوسف ، وأنه اتصل بمحمد رشاد سالم هانغا ، بشأنها ، وأن الأخير ما وجد لها أصلا ، أنظر مقدمة (المهذب في اختصار السنن) للذهبي ج ١ ص ٤ - ٧ تحقيق حامد ابراهيم أحمد وزميله مطبعة الامام بمصر . وأنظر (الذهبي ومنهجه في كتابة تاريخ الاسلام) للدكتور بشار معروف ط الحلبي ط أولى سنة ١٣٧٦ هـ .
- وقد دافع ناشر (المهذب في اختصار السنن) عن ابن تيمية في مقدمة الكتاب المذكور وفي نهايته ص ٧٣ دافع النصف ولكن القول المقنع للنصف هو القول بأن كلام ابن تيمية ، أو الرجوع اليه هو الكيل بالدفاع عنه . .
- وأقول : رحم الله السخاوي ، ماكان ينبغي لمثله أن ينسب شيخ الاسلام - رحمه الله - الى التعصب ، ولو اطلع على مؤلفاته وأنصف لما قال هذه الكلمة ، فان شيخ الاسلام يحمل كلام الطوائف الاسلامية ، بل وخصومه - في عدة مواضع - على محامل كثيرة خصوصا في الكلام المجمل والمبهم والمشتك بقوله : ان كان المراد بهذا الكلام كذا وكذا فحق أو باطل ، وان كان يراد به كذا وكذا فكذا وكذا ، وأحيانا يحكى كلام الطوائف في محل النزاع ، ويذكر أدلة كل فريق ، ويناقشها ويصوب ماوافق الكتاب والسنة وكلام السلف ويخطيء ماخالف ذلك ، ولكن لا يصدر الحكم الا بعد أن يتلمس

منهج ابن الوزير في اثبات حكمة الله تعالى :

ان اثبات حكمة الله - عز وجل - في كتابه سنة رسوله

- صلى الله عليه وسلم - كما يقول ابن الوزير : (بين لا يدفع ، مكشوف لا يتقنع ، مدحا وثناء ، كما اشتملت عليه النصوص القرآنية والأسماء الحسنى ، وأسئلة وجوابات) (١) . اشارة الى قصة آدم وملائكة السموات وقصة موسى والخضر ، فاذا تأملت سوءال الملائكة ، وما أجيب عليهم به ، عرفت فيه ما اخطئ عليه العقلاء ، من تقبيح الشر المحض ، الذي لا خير فيه ، ولا في عواقبه وغاياته ، دون الشر المراد لأجل الخير . وذلك واضح في بيان الله - عز وجل - للملائكة صلاح آدم عليه السلام ، لعلمه وتقدمه في القرب من الله - تعالى - بقوله تعالى : (ألم أقل لكم إني أعلم غيبا لسموات والأرض ، وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) (٢) جوابا

=== لبعض الطوائف - وان كانوا خصومه - الأعداء والمحاميل الحسنة ، وخير دليل على ذلك مصنفاته فهل يصح القول بعد هذا ، نسبة التعصب الى شيخ الاسلام ، ورائع لواء السلف ؟ ولكنها أحقاد خصومه قديما وحديثا ، فكم اصطنعوا له المحن ، وكم دبروا له المكائد .

أما الرسالة المزعومة للذهبي تلميذ ابن تيمية فاني أشك في نسبتها اليه ، ولو كانت صحيحة لأقعد الدنيا وأقامها خصوم ابن تيمية فما أكثرهم في كل زمان ومكان منذ بروزه الى الآن ، ووجودها ونشرها لا يكفي في اثباتها واسنادها الى الذهبي ، كما هو مقرر في مناهج البحث العلمي في الجامعات وغيرها . وقد ألف كثير من العلماء والباحثين رسائل خاصة في ابن تيمية في كثير من المجالات ، ولم أقف على من أسند التعصب اليه ، ولكنها أحقاد بعض العلماء - والعياذ بالله - فلقد لفحتني بناورها ، وأعوذ بكلمات الله التامات من أن تمنني مرة أخرى ، فأى خير يرجى من علماء هذا وصفهم ، ولكن حسابهم على الله عز وجل . (١) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٢١٤ وأنظر مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٨ ص ٤٨٥ - ٥١٤ . (٢) سورة البقرة : آية ٣٣ .

اجماليا عن استفسارهم (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) .

فبين لهم أن خلقا فيهم مثل هذا العبد الصالح ، والنبي المكرم المقرب ، المستخلف ، لا يحكم عليه بأنه شر محض ، لا حكمة فيه ، ولا خير يقصد به ، وأنه لا نكارة في شر يكون للخير كالصدق للدر ، والتراب للبر ، والفساد للعافية ، والقصاص للحياة ، وأمثال ذلك مما هو صحيح شهير في حكمة الحكماء وقول الفطناء . (١)

قال ابن كثير : (وقول الملائكة هذا ليس على وجه الاعتراض على الله ، ولا على وجه الحسد لبنى آدم ، كما قد يتوهمه بعض المفسرين ، وإنما هو سوءال استعمال واستكشاف عن الحكمة في ذلك ، يقولون يا ربنا ما الحكمة في خلق هؤلاء ؟ مع أن منهم من يفسد في الأرض ، ويسفك الدماء ؟ فإن كان المراد عبادتك ، فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، أي نصلي لك ولا يصدر منا شيء من ذلك ، وهلا وقع الاقتصار علينا ؟ قال الله تعالى مجيبا لهم عن هذا السؤال : (إني أعلم ما لا تعلمون) أي : إني أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هذا الصنف على الفاسد التي ذكرتوها ما لا تعلمون أنتم ، فإني سأجعل فيهم الأنبياء ، وأرسل فيهم الرسل ، ويوجد فيهم الصديقون ، والشهداء والصالحون ، والعباد ، والزهاد ، والأولياء ، والأبرار ، والمقربون ، والعلماء العاملين ، والخاشعون والمحبون له تبارك وتعالى المتبعون رساله صلوات الله وسلامه عليهم (٢) . ومن هنا استنبط ابن الوزير ، أن الانسان ما يؤتى في نفسه توهمة نفى حكمة الله - عز وجل - الا من جهة جهله لقدر علمه وقدر علم الله تعالى وأن الناس يتفاوتون في هذا وغيره حسب مواهب الله اياهم ولذلك قال شيخ الاسلام ابن تيمية : (والناس يتفاضلون في العلم بحكمته ورحمته وعدله ، وكلما ازداد العبد علما بحقائق الأمور ، ازداد علما بحكمة الله ، وعدله ، ورحمته ، وقدرته) . (٣)

-
- (١) ايثار الحق لابن الوزير مع تصرف بسيط ص ٢١٤ - ٢١٥ وأنظر العواصم والقواصم ج ٣ وهم ٣٠ ص ٣٠٧ وأنظر مجموع فتاوى ابن ابن تيمية ج ٨ ص ٥١٢ .
- (٢) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٩٩ - ١٠٠ تحقيق غنيم وعاشور والبنات ط دار الشعب القاهرة بدون تاريخ وأنظر البداية والنهاية له ج ١ ص ٧٠ - ٧١
- (٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٨ ص ٥١٣ .

أدلة ابن الوزير على الحكمة :

وقد استدل ابن الوزير على اثبات الحكمة ، بأدلة سمعية وعقلية كثيرة نقتطف منها مايلي :

- أولا : الأدلة السمعية من القرآن الكريم - حسب ترتيب ابن الوزير :
- أ - ماورد في تعليل خلق السموات والأرض ، كقوله تعالى : وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ، ما خلقناهما الا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون (١) .
- وقوله تعالى : (أولم يتذكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض ، وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى) (٢) .
- وفي هذه الآية الكريمة دلالة على أن الفكرة العقلية الصحيحة تثمر المعرفة بحكمة الله - تعالى - والقطع ، بتنزيه الله - عز وجل - من العبث واللعب ، كما أن الأدلة الشرعية جاءت بذلك ، وهو واضح في قوله تعالى : (أولم يتذكروا في أنفسهم) فهي حجة على اثبات التحسين العقلي ، كقوله تعالى : (أم تأمرهم أحلامهم بهذا) (٣) قال الامام الشوكاني في تفسيره لهذه الآية : (... قال المفسرون كانت عظماء قريش توصف بالأحلام ، والعقول ، فأزر الله بحلومهم حين لم تثمر لهم معرفة الحق من الباطل) (٤)
- وقال شيخ الاسلام : (وقد ظن بعض الناس أن من يقول بتحسين العقل ، وتقييده بنفى القدر ، ويدخل مع المعتزلة في مسائل التعديل والتجوير ، وهذا غلط ، بل جمهور المسلمين لا يوافقون المعتزلة على ذلك ، ولا يوافقون الأشعرية على نفي الحكمة والاسباب) (٥)
- وقوله تعالى : (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ، ذلك

(١) سورة البحات : ٣٨ - ٣٩ .

(٢) سورة الروم : ٨ .

(٣) سورة الطور : ٣٢ .

(٤) فتح القدير للشوكاني ج ٥ ص ٩٩ الحلبي ط ثانية سنة ١٣٨٣ هـ

وأنظر تفسير الطبري ج ٢٦ ص ٣٢ .

(٥) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ٨ ص ٤٢٨ - ٤٢٩ .

ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار) (١) وقوله تعالى : (هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقد رده منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون) (٢) وأمثال ذلك كثير سرد ها ابن الوزير فى كتابه (العواصم والقواصم) و (ايثار الحق على الخلق) (٣) .

ب - ماورد فى تعليل العذاب بالأعمال ، والاستحقاق كقوله تعالى : (جزاء بما كانوا يعملون) (٤) فى عدة مواضع من القرآن وهذا أصرح وأشهر من أن يذكر ، وقد ذكر ابن الوزير فى العواصم أكثر من مائة آية كلها تدل على اثبات الحكمة لله تعالى فى أقواله وأفعاله (٥) . وقد جاء صريح التعليل فى الأحكام ، كقوله تعالى : (من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا) (٦) .

ج - ما أخبر الله تعالى به عن نوح عليه السلام بقوله تعالى : (ان ابنى من أهلى ، وان وعدك الحق ، وأنت أحكم الحاكمين) (٧) ولفظه (أحكم) هنا - كما فى نظر ابن الوزير - مبالغة فى الحكمة ، التى هذا موضعها ، لما فى كلام نوح من التلطف بتنزيه الله تعالى - عن الخلف فى الميعاد .

ولا يصح أن يكون (أحكم) هنا مبالغة فى الاحكام ، اذ لا مناسبة لذلك ، بهذا المقام ، ولذلك كان الجواب على نوح عليه السلام (إنه عمل غير صالح) فبيّنت له الحكمة على التعيين ، لتقرير اعتقاده الجملى لها ، فكشف له بها ان الوعد الذى سبق له متعلق بأهله الصالحين .

-
- (١) سورة ص آية : ٢٧ .
 (٢) سورة يونس : آية : ٥ .
 (٣) أنظر العواصم والقواصم ج ٣ وهم ٣٠ ص ٥٠٢ - ٥٠٧ واثار الحق على الخلق ص ٢٠٥ وما بعدها .
 (٤) سورة السجدة : آية : ١٧ وسورة الاحقاف : آية ١٤ وسورة الواقعة آية : ٢٤ .
 (٥) أنظر التفاصيل فى العواصم والقواصم فى الاستدلال على اثبات الحكمة لله تعالى ج ٣ وهم ٣٠ ص ٤٩٨ - ٥٠٧ .
 (٦) سورة المائدة : آية : ٣٢ .
 (٧) سورة هود : آية : ٤٥ .

د - قوله تعالى : (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم) (١) وفي آية أخرى (فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً) (٢) وجه الاستدلال من هاتين الآيتين أنه لا يكون في مخلوقات الله تعالى ، ما هو شر محض من جميع الوجوه ، فلا بد من خير كما من فسي ذلك الشر لأن في الآلام ما لا يحصى من الألفاظ ، بالمكلفين ، والتزهيد في دار الغرور ، ونعيمها الزائل ، والترغيب في خير الآخرة المحض ، الخالص من المكدرات والتدريب على الصبر الذي هو أساس الفضائل ، وحسبك في ذلك قوله تعالى : (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) (٣) وفي ذلك من معرفة الإنسان بعجزه وذله ، وجمع القلب على الله تعالى ، وإقباله على الدعاء والتضرع ومعرفة الله بأجابة الدعاء ، وكشف الضر وزيادة اليقين ، وأمثال ذلك من الغايات المحمودة ، والمصالح المقصودة ما عرفته العقول الصحيحة . (٤)

هـ - سواء الملائكة عن وجه الحكمة في خلق آدم وذريته ، كما سبق آنفاً - ولولا اعتقادهم للاقطع بالحكمة ، لما استغربوا ذلك ولا سألوا عنه ، ولذلك كان الجواب عليهم بقوله تعالى : (انى أعلم ما لا تعلمون) (٥) ولم يقل انى يصدر منى ما يفعل المفسدون (٦) - تعالى عن ذلك - .

و - ماجرى بين موسى والخضر - عليهما السلام - وهو أوضح مما سبق ، لأنه - في نظر ابن الوزير - منادى صريحا ، على اشتغال أفعال الله - تعالى - على المصالح ، والغايات ، المحمودة ، ولولا اعتقادهما لذلك ، ما استنكر موسى ، ولا أجاب الخضر بوجه الحكمة الراجعة الى المصالح ، ولا قنع موسى بذلك الجواب . (٧)

-
- (١) سورة البقرة آية : ٢١٦ .
 - (٢) سورة النساء آية : ١٩ .
 - (٣) سورة آل عمران : آية : ١٤٢ .
 - (٤) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٢٧ .
 - (٥) سورة البقرة : جزء من آية : ٣٠ .
 - (٦) انظر ايثار الحق لابن الوزير ص ٢٠٦ - ٢٠٧ . وأنظر العواصم والقواصم ج ٣ وهم ٣ .
 - (٧) المصدر نفسه ص ٢٠٧ . وأنظر مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٨ ص ٥١١ - ٥١٤ .

ثانيا : نماذج من السنة النبوية الصحيحة :

- أ - حديث أبي هريرة مرفوعا : (من يرد الله به خيرا يصب منه) . (١)
- ب - حديث أبي هريرة أيضا مرفوعا : (يقول الله تعالى مالعبدى المؤمن عندى جزاء ، اذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة) (٢)
- ج - قوله - صلى الله عليه وسلم - (. . . ما من مسلم يصيبه أذى شوكة وما فوقها ، الا كفر الله بها سيآته كما تحط الشجرة ورقها) . (٣)
- د - حديث أبي هريرة مرفوعا : (لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد تسه النار الا تحلة القسم) . (٤)
- وفى رواية : (ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه ، الا حط الله سيآته ، كما تحط الشجرة ورقها) . (٥)
- هـ - حديث جابر مرفوعا : (يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء ثوابهم لو أن جلودهم كانت تقرض فى الدنيا بالمقاريض) (٦)
- وإضافة الى ما ذكر ابن الوزير مارواه الشيخان فى صحيحيهما مرفوعا : (... وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر) . (٧)

- (١) البخارى ج ٧ كتاب المرضى باب ما جاء فى كفارة العرض ص ٢ .
- (٢) البخارى ج ٧ كتاب الرقاق باب العمل الذى يبتغى به وجه الله تعالى ص ١٧٢ .
- (٣) متفق عليه واللفظ للبخارى ج ٧ كتاب المرضى باب أشد الناس بلاء الأنبياء . . . ص ٣ مسند أحمد ج ١ ص ٤٤١ ، موطأ مالك ج ٢ ص ٢٢٩
- (٤) متفق عليه عن أبي هريرة البخارى ج ٧ كتاب الايمان والندور باب قول الله تعالى : (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) ص ٢٢٤ مسلم ج ٤ كتاب البر باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه ص ٢٠٢٨ موطأ مالك مع شرحه تنوير الحوالك للسيوطى ج ١ كتاب الجنائز ص ١٨٣ ط الحلبي سنة ١٣٣٧ هـ .
- (٥) متفق عليه من حديث طويل واللفظ لمسلم ج ٤ كتاب البر باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن ص ١٩٩٠ .
- (٦) سنن الترمذى بتحفة الأحوذى ج ٧ كتاب الزهد ص ٨٣ وقال الترمذى هذا حديث غريب وأنظر الترغيب للمندرى ج ٤ ص ٢٨٢ .
- (٧) متفق عليه من حديث طويل عن أبي هريرة البخارى ج ٤ كتاب الجهاد باب إن الله ليؤيد هذا الدين من مسلم و كافر ج ١ كتاب الايمان باب غلظ قتل الانسان نفسه ص ١٠٦ مسند أحمد ج ٢ ص ٣٠٩ سنن الدارمى ج ٢ ص ١٥٨ .

ومن ذلك شهود صفوان بن أمية حنينا ، مع النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو مشرك ، وتعقب بأن هذا معارض بحديث : (لانستعين بمشرك) (١) ، وقيل لامعارضة ، لأنه إما خاص بذلك الوقت ، وإما أن يكون المراد به الفاجر غير المشرك (٢)

وقد أورد ابن الوزير في (العواصم) و (الايثار) نيفاً وعشرين حديثاً من هذا النمط وفي فضل الفقر وأجره خمسة وعشرين حديثاً . (٣)
ابن الوزير يقوى ما ذهب اليه بكلام العلماء :

سبق أن ذكرت بعضاً من الأدلة السمعية التي ذكرها ابن الوزير ، ومع هذا لا يكتفى بذلك ، بل ذهب - كما هي عادته - ينقل تأييد العلماء لإثبات الحكمة في أقوال الله وأفعاله ما يضيق المقام عن ذكر البعض من تلك النقول ، عن أئمة التفسير والأثر والكلام بلغ به الأمر لكثرة النقول إلى أن قال : (فلوادعى مدع اجماع المتأخرين ، مع اجماع المتقدمين ، من المسلمين على ذلك لما بعد عن الصواب) (٤)

وقد حكى شيخ الاسلام اغلاق السلف والفقهاء على ما قرره ابن الوزير ، وأن القرآن مملوء بإثبات الحكمة في الخلق والأمر وأنه يخلق الأشياء بالأسباب (٥) وهذا بغض النظر - كما قرره ابن الوزير - عن اغلاق الفقهاء والأصوليين ، على أن أفعال الله تعالى في الشرائع معللة . وكأنني بكلام ابن الوزير يشبه كلام شيخ الاسلام في تكثير القائلين بإثبات الحكمة لله تعالى ، إلا أن ابن الوزير فصل (٦) ،

-
- (١) مسلم ج ٣ كتاب الجهاد باب كراهة الاستعانة في الغزو بكافر ص ١٤٥٠ .
(٢) أنظر التفاصيل في فتح الباري لابن حجر ج ٦ ص ١٧٩ .
(٣) العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٣ وهم ٣٠ وإيثار الحق على الخلق له ص ٢٢٤ وما بعدها .
(٤) إيثار الحق له ص ٢٠٤ .
(٥) أنظر مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٨ ص ٤٨٥ - ٤٨٦ .
(٦) أنظر التفاصيل في العواصم والقواصم ج ٣ وهم ٣٠ - إيثار الحق ص ١٩٣ - ٢١٦ .

وشيخ الاسلام ابن تيمية أجمل بقوله : (. . . انه - الله - فعل المفعولات ، وأمر بالمأمورات لحكمة محمودة ، فهذا أقول أكثر الناس من المسلمين وغير المسلمين ، وقول طوائف من أصحاب أبي حنيفة ، والشافعي ، ومالك ، وأحمد وغيرهم ، وقول أكثر أهل الحديث ، والتصوف : والتفسير ، وقول قدماء الفلاسفة ، وكثير من متأخريهم) . (١)

وقد جزم ابن قيم الجوزية فيما نقله عنه ابن الوزير بأن تعطيل أفعال الله - تعالى - عن الحكم والمصالح من المحال اذ يقول : (محال على أحكم الحاكمين وأعلم العالمين أن تكون أفعاله معطلة عن الحكم والمصالح والغايات المحمودة ، والقرآن والسنة ، وأدلة العقول والفطر ، والآيات المشهودة شاهدة ببطلان ذلك) (٢) . كما جزم باثباتها الحافظ ابن حجر (٣) في أول كلامه على كتاب الفتن بأن صدورها من الله تعالى على وجه الحكمة .

والقول بنفي الحكمة هو قول من يقول : خلق المخلوقات ، وأمر بالمأمورات لعل ولا باعث بل لمحض المشيئة والإرادة هو كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية : (قول كثير ممن يثبت القدر ، وينتسب الى السنة من أهل الكلام ، والفقهاء ، وغيرهم . وقد قال بهذا طوائف ، من أصحاب مالك ، والشافعي ، وأحمد ، وغيرهم ، وهو قول الأشعري وقول كثير من نفاة القياس في الفقه ، الظاهرية كابن حزم وأمثاله) . (٤)

ولكني لم أقف على كلام للأشعري يدل على نفي الحكمة - وشيخ الاسلام نفسه ، قد نقل عن الأشعري ، مايؤيد مذهب أهل السنة ، وأهل الحديث في (الفتوى الحموية الكبرى) (٥) وغيرها ، من

-
- (١) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٨ ص ٨٨ - ٨٩ .
 (٢) حادى الأرواح لابن القيم ص ٣٠٦ وهو موجود في ايثار الحق لابن الوزير بلفظه ص ٣٠٣ ماعد ١ كلمة : المشهودة - وكلمة : أدلة . فساقطتان .
 (٣) فتح الباري ج ١٣ ص ٣ .
 (٤) مجموع الفتاوى ابن تيمية ج ٨ ص ٨٣ .
 (٥) الفتوى الحموية الكبرى ضمن مجموعة نفائس لابن قيمية ص ١٤٦ - ١٤٩ .

(مقالات الاسلاميين) و (الابانة) للأشعري ، ومذهبه قد سبق بيانه .
قريبا فيحمل كلام شيخ الاسلام ، وغيره مما ينسب الى الأشعري ، على
الطور الثاني من أطواره كما مر بيانه .

ثم إن إثبات الحكمة لله - تعالى - نفى خلقه وما أمر به هو معتقد
جمهور المسلمين . قرر هذا شيخ الاسلام ابن تيمية بقوله : (الجمهور
من المسلمين ، وغيرهم كأئمة المذاهب الأربعة ، وغيرهم من السلف ،
والعلماء الذين يثبتون حكمته أى حكمة الله - فلا ينفونها - كما نفاها
الأشعرية ، ونحوهم ، الذين لم يثبتوا إلا إرادة ، بلا حكمة ، ومشية
بلا رحمة ولا محبة ولا رضى .) (١)

وخلفه من بعده تلميذه ابن القيم بقوله : (وما قدر الله حق
قدره من نفى حقيقة محبته ورحمته ورأفته ، ورضاه ، وغضبه ، ومقتله ،
ولا من نفى حقيقة حكمته التى هى الغايات المحمودة المقصودة بفعله .) (٢)

هذا وما ينبغى للمسلم أن يعتقد ، أن الله - تعالى - نفى
خلقه وأمره ونهيه حكما عظيمة ، ولو من حيث الجملة فكلما قوى إيمان
بذلك كلما فتح الله عليه من أبواب رحمته وحكمه ما يبهر لبه فيما
خلق الله تعالى وفيما لم يخلقه (٣) والله الهادى .

مناقشة ابن الوزير حجج نفاة الحكمة :

خلاصة كلامهم هو عدم العلة والغرض ، وانما ذلك محض
المشيئة ، وصرف الارادة لا يسأل (٤) عما يفعل .
واحتجوا بحجج منها :
الحجة الأولى : قوله تعالى : (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) (٥)

-
- (١) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٨ ص ٩٧ - ٩٨ .
(٢) الجواب الكافى لمن سأل عن الدواعى الشافى لابن القيم ص ١٦٥ -
المطبعة السلفية ط الثالثة سنة ١٤٠٠ هـ .
(٣) مجموع الفتاوى له ص ٩٧ - ٩٨ .
(٤) أنظر مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٨ ص ٨٣ .
(٥) سورة الأنبياء آية : ٢٣ .

أجاب ابن الوزير ، بأن الاستدلال بهذه الآية غير صحيح من وجهين :
الأول : أن هذه الآية في اثبات عزة الله تعالى ، وهى كلمة اجماع
بين المسلمين ، والله أعز من أن يسأل ، وذلك لا يقتضى أنه غير حكيم ،
فقد تمدح بالحكمة ، كما تمدح بالعزة ، بل تمدح بسوءه وعده
الصادق للمتقين حيث قال : (قل أذكرك خير أم جنة الخلد التى وعد
المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا ، لهم فيها ما يشاءون خالدين كان على
ربك وعدا مسئولا) (١) فوجب الايمان بهما معا ، فهو العزيز الحكيم ،
كما جمعهما - عز وجل - كثيرا فى التمدح بهما معا فى غير ما موضع ،
وفى جمعهما اشارة الى أنهما لا يفترقان ، ولذلك بوب البخارى لهما
مجموعين فى كتاب التوحيد من صحيحه . (٢)

الثانى : أن هذه الآية فى بطلان الشركاء الذين عبد هم المشركون ،
والمراد أنهم يسألون يوم القيامة ، عن ذنوبهم ويعذبون عليها ، كقوله
تعالى : (ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون) (٣) ومن كان كذلك فهو
مربوب ، وانما الرب الحق هو الذى يسأل عباده يوم القيامة فيغفر لمن
يشاء ، ويعذب من يشاء ، لا من يخاف العذاب ، ويحاسب أشد الحساب
وسياق الآية من أولها واضح ، فالاحتجاج بها على نفي الحكمة غفلة
عظيمة ، وانما هى لتفى شريك مغالب . (٤)

ولما رجعت الى بعض كتب التفسير (٥) لقوله تعالى : (لا يسأل
عما يفعل وهم يسألون) وجدت كلام المفسرين يدور حول عزة الله تعالى
وسلطانه .

-
- (١) سورة الفرقان : آية : ١٥ - ١٦ .
(٢) كتاب التوحيد باب قول الله وهو العزيز الحكيم ص ١٦٦ .
(٣) سورة الصافات آية : ١٥٨ .
(٤) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٢٣١ والعواصم والقواصم
له ج ٣ وهم ٣٠ ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .
(٥) منها تفسير ابن جرير الطبرى ج ١٧ ص ١٤ ط الحلبي الثالثة
سنة ١٣٨٨ هـ ، تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن ج ٥ ص
٤٣١٩ ط دار الشعب ، فتح القدير الجامع بين فنى الرواية
والدراية من علم التفسير للشوكاني ج ٣ ص ٤٠٢ الحلبي ط ثانية
سنة ١٣٨٣ هـ .

وكلامهم راجع الى قول ابن كثير السلفى الشهير سنة ٧٧٤ هـ :
(هو الحاكم الذى لا معقب لحكمه ولا يعترض عليه أحد لعظمته ، وجلاله ،
وكبريائه ، وعلوه ، وحكمته ، وعدله ، ولطفه) . (١)
فأنت ترى أنه لا وجه فى استدلال النفاء للحكمة بهذه الآية ، فقد صرح
ابن كثير باثبات الحكمة وغيرها من صفات المدح والكمال ، وهذا يؤيد
ما ذهب اليه ابن الوزير وزيادة ، من أن الآية الكريمة فى اثبات عزة الله
تعالى ، لا نفى للحكمة والله أعلم .

وقد أمر الله - عز وجل - رسوله - عليه الصلاة والسلام أن يسأله
الزيادة من العلم ، ولم يلم موسى على طلب ذلك من الخضر عليهما
السلام ، والله يحب أن يسأل ، ومن لم يسأل الله يغضب عليه ، فمن
سأل الله من أنبيائه عن خفى حكمته ، لم يدخل فى الآية ، كما سأله
آدم عليه السلام - (هلا سويت بيني وذريتى ؟ فقال فعلت ذلك لتشكر
نعمتى) هكذا ذكره ابن الوزير فى (الايثار)^(٢) .

وقد أورده ابن كثير فى تفسيره لقوله تعالى : (واذا أخذ ربك
من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم) (٢) عن أبى هريرة مرفوعا وفيه :
(. . . ثم عرضهم على آدم ، فقال : يا آدم هؤلاء ذريتك ، واذا فيهم
الأجذم والأبرص ، والأعمى ، وأنواع الأسقام فقال آدم : يارب لم فعلت
هذا بذريتى ؟ قال : كى تشكرو نعمتى) . (٣)

وفى لفظ : (فقال آدم يارب ألا سويت بين ولدى ، قال يا آدم انى أريد
أن أشكر^(٤)) وإنما يلام من سأل اعتراضا وشكاً أو استبعادا والله أعلم .

-
- (١) تفسير ابن كثير ج ٥ ص ٣٣٠ .
(٢) سورة الاعراف : آية : ١٧٢ .
(٣) أنظر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٥٠٤ - ٥٠٥ من حديث أبى هريرة
مرفوعا وأنظر الدر المنثور ج ٣ ص ١٤٢ وسكت عنه ابن كثير وأنظر
ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٢٣١ - ٢٣٢ والعواصم
والقواصم ج ٣ وهم ٣٠ ص ٥٢٥ .
(٤) البداية والنهاية لابن كثير ج ١ ص ٨٨ وأسنده الى مصنف
عبد الرزاق وقد بحث مظانه فلم أجده .

الحجة الثانية :

حديث أبي هريرة مرفوعا : (اختصمت الجنة والنار الى ربهما فقالت الجنة يارب مالها لا يدخلها الا ضعفاء الناس ، وسقطهم ، وقالت النار - يعنى أوشرت بالمتكبرين ^(١) ، فقال الله تعالى للجنة : أنت رحمتى ، وقال للنار : أنت عذابي أصيب بك من أشياء ولكل واحدة منكما ملوء هاء ، فأما الجنة ، فان الله لا يلزم من خلقه أحدا ، وانه ينشئ للنار من يشاء فيلقون فيها ، فتقول هل من مزيد ثلاثا ، حتى يضع فيها قدمه ^(٢) فتمتلى ، ويرد بعضها الى بعض ، وتقول قط قط قط) . ^(٣)

وجه استدلالهم من الحديث اذا كان تعالى ينشئ خلقا للنار بلا ذنب ، ولا عمل ، فما وجه الحكمة من خلقهم . وفي ذلك دلالة - عـد هوء لا - على انتفاء الحكمة .

وقد سبق الكلام على هذا الحديث مطولا فى (مميزات ابن الوزير الفكرية) وأنه مقلوب وغير ذلك من المناقشة فارجع اليه .

الحجة الثالثة :

قالوا : الأسباب والدواعى خلق الله ، فلو كان الله لا يفعل الا لها ، لم يخلقها الا لمثلها داع وسبب ، وأدى هذا الى التسلسل ، وأولى تعجيز الله تعالى من خلق شئ بغير داع .

وقد أجاب ابن الوزير بأن هذا من أفحش الوهم ، والغلط ، لأن المرجع بالاسباب والدواعى والحكم الى الله تعالى بذلك ، وما كان من المخلوقات خيرا محضا ، فانه يراد خلقه لنفسه ، لا لمعنى آخر ، ولا لسبب ثان ، وما كان شرا ، فانه يراد لخير فيه ، او خير يستلزمه ، أو يتعقبه ، لما اجتمعت عليه الفطر ، وأقرته الشرائع من قبح ارادة الشر لكونه شرا .

(١) ابن الوزير لم يثبت هذه الكلمة فى الحديث قال ابن بطلال سقط قول النار هنا فى جميع النسخ وهو محفوظ فى الحديث ، فتح البارى ج ١٣ ص ٤٣٦ .
(٢) عند ابن الوزير فى الاشار حتى يضع قدمه فيها ص ٢٣٤ والكل ثابت فى الصحيحين .
(٣) البخارى ج ٢ كتاب التوحيد باب ما جاء فى قول الله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين ص ١٨٦ من طريق صالح بن كيسان عن الأعرج عن أبي هريرة .

وأما تعجيز الباري - جل وعلا - فأعظم فحشا في الوهم ، وأين نفى القدرة ، من نفى الفعل ، وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله : (تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير) (١) في مواضع كثيرة من القرآن ولم يقل وهو لكل شيء فاعل . ونحن لم نقل ان الله لا يقدر على العبث ، ولا اللعب ، ولا الظلم ، وانما قلنا انه لا يفعلها ومدحناه بذلك كما مدح به نفسه في كتابه الكريم ، ولو لم يكن قادرا على ذلك لم يكن مدوحا بتركه ، كما ان الجمادات غير مدوحة بترك ذلك ، وهي لا تفعله ، وانما لم تمدح بتركه مع عدم فعلها له لعجزها عن فعله ، وتركه ، وهذا شيء تفهمه العرب في جاهليتها ، والعوام في أسواقها . (٢)

الحجة الرابعة : ايلام الأطفال ، والبهائم ، والعذاب الآخروي الدائم : وهذا - في نظر ابن الوزير - هو معظم ما جرأهم على القول بأن الله - تعالى - يريد الشر المحض ، لكونه شرا ، لا لحكمة ، ولا غاية ، وهذه شبهة الملاحدة التي يصلون بها على الضعفاء والسفهاء .

وهذا ناتج عن توهم نفاة الحكمة أنه ورد في السمع ما يتوهم منه الجهال ، من عدم الحكمة في الشرور . وقد أجاب ابن الوزير بجواب متشعب الأطراف ، أجوبة في صورة نصائح حاصلها ما يلي :

١ - ان الطبع غالب - في هذه المسألة - بقوته ، على من لم يعارضه بتذكر كمال الربوبية ، ونقص العبودية .

٢ - ان الاستقباح الذي يوجد في عقول البشر صحيح بالنظر الى علومهم القاصرة ، وغولهم الحائرة ، ولكنهم غفلوا عن كون ما أنكروه صادر عن ثبت حكمته ، واستقلاله بعلم الغيب ، والحكم .

وقد أخبرنا في كتابه الكريم أن للمتشابه تأويلا لا يعلمه إلا هو ، ولو كان ما تشابه علينا حسنا في عقولنا لم يحتج الى تأويل ولو لم تكن أفعاله موقوفة على الحكمة لم يرد بذلك التنزيل .

(١) سورة الملك آية : ١ .

(٢) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٢٤٠ .

وقد ورد ما يدل على أن الله — تعالى — فعل ذلك للايتلاء ، كما قال تعالى في تحويل القبلة : (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله ...) (١) .

وقد استتكر السفهاء من الناس ذلك فيما أخبر الله به — عز وجل — عنهم بقوله : (سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها) (٢)

وفي نحو هذا يقول الله — عز وجل — : (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ، ولما ياتهم تأويله ، كذلك كذب الذين من قبلهم ، فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) (٣) فبين — سبحانه — أن سبب كفرهم ، وتكذيبهم بما لم يعلم تأويله انما هو ناشئ عن جهلهم ، وعدم احاطتهم بعلمه ، وأن هذا التكذيب عادة الكافرين ، وعلى هذا فالإيمان بالمتشابه أفضل الإيمان ، بل محك أهل اليقين والاحسان . (٤)

وسياق هذه الآية في تكذيب المشركين للقرآن الكريم ، وهذا صنيع من رسخ التقليد في نفسه ، ولم يلتفت الى ما جاء من الحق ، بل يرده لمجرد عدم موافقته هواه ، ولا جاء على طبق دعواه . قال الشوكاني : (ان من كذب بالحجة النيرة والبرهان الواضح قبل أن يحيط بعلمه فهو لم يتمسك بشئ ، في هذا التكذيب الا مجرد كونه جاهلا لما كذب به غير عالم به) (٥) وقال القرطبي : قيل للحسين بن الفضل : هل تجد في القرآن (من جهل شيئا عاداه ؟ قال نعم في موضعين : (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) وقوله : (وان لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم) . (٦)

(١) سورة البقرة : آية : ١٤٣ .

(٢) سورة " : آية : ١٤٢ .

(٣) سورة يونس : آية : ٣٩ .

(٤) أنظر العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٣ وهم ٣٠ ص ٢١٥ وما بعدها
اشار الحق على الخلق له ص ٢٠٩ — ٢١١ .

(٥) فتح القدير للشوكاني ج ٢ ص ٤٤٦ وفيه كلام جيد .

(٦) سورة الاحقاف : آية : ١١ وانظر تفسير القرطبي ج ٤ ص ٣١٨٤ .

٣ — ان على الانسان أن يتذكر ما يعلمه من نفسه من قلة العلم ، وتردده ،
وحيرته في أشياء سهلة ، ورجوعه عما كان عليه مرارا ، ووجوده الشيء
بعد الطلب الشديد الطويل ، واليأس من وجوده .
وهذا مسلم ، في حجيته على المعجب بنفسه ، وعلمه ، كما هو معلوم
من التجربة المستمرة .

وفي قصة موسى والخضر — عليهما السلام — من التفاوت العظيم بين الخلق ،
في الذكاء ، ومعرفة الدقائق ، وخفيات الحكم ، ومحكمات الآراء ،
وحدس عواقب الامور ، وغير ذلك ، فكيف التفاوت بين الخلق وخالقهم
سبحانه وتعالى .

٤ — استمرار الاختلاف بين أهل الفطن ، والعلوم من المسلمين ، فيما بينهم ،
وكذلك الفلاسفة ، وسائر الخلق ، حتى الاختلاف اليسير بين الملائكة ،
وبعض الأنبياء ، (ما كان لى من علم بالملأ الأعلى اذ يختصمون) (١) ،
وما جرى بين داود وسليمان عليهما السلام في حكم الغنم اذ نفشت
في الزرع (ففهمها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما) (٢) ، وما جرى
بين موسى وهارون — عليهما السلام — وقول هارون لموسى : (لا تأخذ
بلحيتى ولا برأسى) (٣) ، واختصاص ملائكة الرحمة ، وملائكة العذاب
في حكم الذى قتل مائة نفس ثم تاب ، ومعث الله — تعالى — اليهم
مئنا حكما ، فحكم لملائكة الرحمة . (٤)

ومجموع هذا دليل قاطع على أن العادة قد استمرت على الاختلاف فى
الأحكام ، عند التفاضل فى العلم والحكمة وهذا يوجب استقباح الجاهل لبعض

(١) سورة ص : آية : ٦٩ واختلاف الملأ الأعلى فى شأن آدم وامتساع
ابليس من السجود له ، وقيل فى نقل الأقدام الى المساجد والانتظار
للصلاة وقيل غير ذلك أنظر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧١ .

(٢) سورة الأنبياء : آية : ٧٩ .

(٣) سورة طه : آية : ٩٤ .

(٤) هذا معنى حديث متفق عليه البخارى ج ٤ كتاب الانبياء ص ١٤٩ ،
مسلم ج ٤ كتاب التوبة باب قبول توبة القاتل ص ٢١١٨ من حديث
أبى سعيد الخدرى .

أفعال العالم والأعلم ، على قدر ما بينهما من التفاوت .

ولما كان التفاوت بين علم المخلوقين ، وعلم خالقهم - جل وعلا - لا يقدر بمقدار ، ولا يتوهم بقياس ، وجب ان يكون بينهم فى التحسين والتقبيح لتفاصيل الأحكام أعظم الاختلاف وجوباً عادياً يستحيل خلافه ، ولو قدر موافقتهم لجميع أحكام الله على التفصيل لكان ذلك محارة للعقول بل محالاً متمعاً فى معارف الفطناء ، ولكان ذلك الاتفاق أعظم شبهة قاذفة فى زيادة علم الله عليهم ، فلما جاء السمع بالمتشابه عليهم على القاعدة المألوفة فى أن الأعلم اذا تميز بشئ قليل عن أجناسه ، لم يكن بد من أن يأتى بما لا يعرفون ، ويفعل مالا يألون ، ويستحسن بعض ما يستقبحون . (١)

الحجة الخامسة : كما فى نظر ابن الوزير شبهة الأطفال الثلاثة :

هذه المسألة قد كثرا الكلام فى كتب المتكلمين عنها ، حتى اشتهرت بمسألة الصلاح والأصلح عند بعضهم ، وعند بعضهم بالأطفال الثلاثة ، وعند البعض الآخر بالأصلح والتعليل .

أما ابن الوزير فهى عنده ، مسألة خلق الأشقياء بعينها ، لكن غيروا العبارة فيها .

وهى أنهم فرضوا أن أحدهم هو لاء مات صغيراً ، فدخل الجنة ، والثانى كبر ، وعبد الله تعالى ، ودخل الجنة ، والثالث كبر وكفر ، ودخل النار ، وحينما رأى الصغير منزلة أخيه المؤمن من الكبير فوقه فى الجنة ، قال : يارب هلاً بلغتى منزلة هذا ، فيقول الله - تعالى - له : انى علمت أنك لو كبرت كفرت ، ودخلت النار ، فيقول الذى فى النار فهلاً أمتى صغيراً ؟

وهذه هى المناظرة التى جرت بين الأشعرى وشيخه الجبائى المعتزلى كان المنقطع فيها الجبائى ، وهى التى وعدت بذكرها فى أوائل هذا الفصل ، وقد ذكرها أبو حامد الغزالى فى الاحياء ، والسبكى فى الطبقات ، وأبو زهرة فى تاريخ المذاهب الاسلامية وغيرهم وصورتها هكذا :

(١) أنظر ايشار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٢١١ - ٢١٣ وأنظر العواصم والقواصم له ج ٣ وهم ٣٠ .

قال الأشعري : ما قولك في ثلاثة ، مؤمن وكافر ، وصبي ؟
قال الجبائي : المؤمن من أهل الدرجات ، والكافر من أهل الدرجات ،
والصبي من أهل النجاة .
قال الأشعري : فان أراد الصبي ان يرقى الى أهل الدرجات — أى بعد
موته صبياً — هل يمكن ؟
قال الجبائي : لا ، بل يقال له ان المؤمن من انما نال هذه الدرجة
بالطاعة ، وليس لك مثلها .
قال الأشعري : فان قال التقصير ليس مني ، فلو أحييتى كت عملت الطاعات
كالمؤمن من ؟
قال الجبائي : يقول الله تعالى — كت أعلم أنك لو بقيت لعصيت ،
ولعوقبت ، فراعيت مصلحتك ، وأمتك قبل سن التكليف .
قال الأشعري : فلو قال الكافر : علمت حالي ، كما علمت حاله ، فهلا
راعيت مصلحتي مثله ؟
فانقطع الجبائي . (١)

نقد ابن الوزير لهذه الافتراضات :

لما تتأمل نقد ابن الوزير لهذه الافتراضات ، أو السامع
— كما يسميها — تجد الانتقاد للجبائي المعتزلي ، أشد منه لنفاة الحكمة
من الأشعرية ، بل يلقي باللائمة على الجبائي ، من أجل أنه قرر جواباً عن
الله — عز وجل — على كل من هو لا الثلاثة والجواب — كما يقول ابن الوزير :
(ان هذا التقدير خطأ فاحش ، فان العلة في اماتة الصغير ، ليس هي
علم الله — تعالى — بأنه لو كبر كفر ، ولو كانت هذه هي العلة ، لأما
جميع الكفرة والاشقياء كلهم صغاراً ، بل لما خلقهم حتى يميتهم ، فان ترك
خلقهم أولى من استدراك الفساد بموتهم بعد خلقهم ، ولو كانت العلة
هي هذه ، لصاحت الوحوش ، والطيور ، وجميع أنواع الدواب ، قائمة : يارب

(١) أنظر ايشار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٢٣٢ واحياء علوم الدين
للغزالي ج ١ ص ١١٢ وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ج ٣
ص ٣٥٦ وتاريخ المذاهب الاسلامية لابي زهرة ج ١ ص ١٩٣ — ١٩٤ .

هلا جعلتنا من بنى آدم ، ولصاح الموءنون كلهم ، وقالوا ربنا هلا عصمتنا ،
وبلغتنا مراتب الأنبياء بل جعلتنا كلنا أنبياء ٠٠٠ ولقالت الأنبياء :
هلا ساويت بيننا ٠٠٠ ولقالت الملائكة مثل ذلك ٠٠٠ ولوانفتح هذا
الباب لاعتراض تفضيل يوم الجمعة ، والعيد ، وليلة القدر ، ولم تكن هذه
الأوقات المخصصة أولى بذلك من غيرها ، ٠٠٠ ولاعتراض تخصيص ايجاد
العالم ، وكل فرد ممن فيه بوقت دون وقت ، وتخصيص جميع ما فيه بقدر دون
قدر فى جميع أفعال الله - تعالى - ومقادير الأعمال ، والأجساد ،
والأرزاق والألوان ، والقوى ، ولما انتهى ذلك الى حد ولا وقف على
مقدار إلا والاعتراض فيه قائم ، والسوء ال عليه وارد ، ولقالت القبائح : هلا
جعلتنا حساءا والنساء هلا جعلتنا رجالا ، وأمثال ذلك مما لا يحصى (١) .

وهذا - فى نظر ابن الوزير - مما يؤدى الى استحالة وجود جميع
المخلوقات ، لعدم رجحان زمن ، ومكان وقدر على زمن ومكان وقدر ،
وحينئذ ، يلحق القادر بالعاجز ، وانتهينا الى مسألة لا تنتهى ، لتعارض
الدواعى المستدعية للوقف ، وترك جميع الأفعال ، وهذا خروج عن المعقول .
وعلى ذلك بأن العاطش الجيعان ، لو حضر غده كيزان ورقان
كثيرة ، وهو لا يأكل ، متعذرا بأن الدواعى الى تخصيص كل كوز ، وكل
رغيف تعارضت عليه حتى لم يتمكن من الأكل والشرب ، ودفع الضرر العظيم ،
لعد من المجانين .

الدواء لهذه الأمراض كما وصفه ابن الوزير :

ماورد فى هذه المناظرة ، أو الافتراضات ، بل الوسواس
- على حد تعبير ابن الوزير - مرض من أمراض العقيدة ودواءه الرجوع
الى دراسة الأدلة السمعية ، ولو من بعض وجوه حكمة الله - عز
وجل - فى خلق الأشقياء والايان بأن الله - جل وعلا - يختص برحمته
من يشاء ، فقد سى نفسه بأنه العليم الحكيم ، الخبير البصير ، وأما من
قال : ان الله تعالى ما خلق الأشقياء الا لعمل القبائح فى الدنيا ،
وللعذاب فى الآخرة ، أو كانت عبارته توهم ذلك ، فما أصاب الحق ،

(١) ايشار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٢٣٢ - ٢٣٣ .

ولا أحسن الترجمة عن الكتاب والسنة .

ومن أراد إصابة الحق في ذلك تتبع متفرقات الحكمة المنصوصة بألفاظها ، وأداها بها ، والمعقولة بمعانيها ، وجمع ما يسر الله له منها ، إذ لا يمكن البشر الأحاطة بجميعها (١) .

ما الحكمة في خلق الأشقياء ؟

جمع ابن الوزير من الحكم في خلق الأشقياء سبعة أمور تفصيلية وأمر جملي يعمها . وهو ما تقرر بالبراهين السمعية والعقلية ، من حكمة الله - تعالى - ، كما قال للملائكة : (انى أعلم ما لا تعلمون) . وملخص الأمور السبعة التفصيلية حسب ترتيب ابن الوزير كالآتى :

١ - خلق الله الأشقياء لعبادته ، بالنظر الى أوامره ، اجماعاً ونصاً ، وبالنظر الى محبته للخير ، من حيث هو خير ، لقوله تعالى : (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) . (٢) ولأن الله لا يرضى لعباده الكفر ، ولا يحب الفساد ، وهذا هو مذهب جمهور أهل السنة . (٣)

٢ - للابتلاء ، بالنظر الى عدله وحجته ، كما يظهر من قوله تعالى : (ليلوكم ^(٤) ايكم أحسن عملاً)

٣ - لما يوجب عليهم شكره من احسانه اليهم بعظيم نعمه ، وسوايغ مواهبه . بالنظر الى تكليفهم شكر نعمته فان فرار الحيوانات من الموت وحرصها على الحياة من أعظم الأدلة ، على عظم النعمة بها ، وعلى وجوب الشكر عليها .

٤ - لما شاء مطلقاً ، بالنظر الى عزة ملكه ، وعظيم سلطانه ، وقاهر قدرته .

٥ - لما لم يحط بجميعه الا هو سبحانه وتعالى بالنظر الى واسع علمه ورحمته .

(١) ايثار الحق على الخلق ص ٢٣٣ - ٢٨٣ والعواصم والقواصم ج ٣ وهم ٣٠
(٢) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٢٨٤ - ٢٨٥ وأنظر العواصم والقواصم له ج ٣ وهم ٣٠ فى مواضع متفرقة منه والآية فى سورة الذاريات: ٥٦
(٣) أنظر مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٨ ص ٤٢٥ .
(٤) سورة الملك آية : ٢ .

٦ - للعذاب المستحق بكفر نعمته ، وجحد حجته ، بالنظر الى علمه ، واختياره ، وقدرته ، وقضائه ، وكتابته .

٧ - للحكمة المرجحة فيهم بعقابه ، على عفوه ، وعدله على فضله ، وهذا بالنظر الى خفى حكمته منتهى متعلق مشيئته .

وقد ذكر ابن الوزير كلاما - بعد هذه الامور السبعة يستبطن منه امرا آخر لوجه الحكمة في خلق الاشقياء وهو ماورد في السنة النبوية الصحيحة من أن الله - عز وجل - يغدي يوم القيامة كل مسلم من النار بيهودي أونصراني لفظه : (اذا كان يوم القيامة دفع الله - عز وجل - الى كل مسلم يهوديا أونصرانيا فيقول : هذا فكاكك من النار) . (١)

وفي ذلك من العدل ، ان اليهود والنصارى عادوا الانبياء والمسلمين في الدنيا ، وغلطوهم ، وكذبوا الانبياء عليهم السلام وفعلوا كل ما أمكهم ، وأن القصص ثابت بين المسلمين ، بل ورد القصص بين الشاة الجماء والقرناء ، فكيف لا ينتصف للمسلمين من الكافرين ، وقد قال تعالى : (انا لننصر رسلانا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) (٢) وأمثال ذلك كثير من الأدلة المخصصة والمفسرة لما أجمل من قوله تعالى : (ولا تزر وازرة وزر أخرى) (٣) وقوله تعالى : (وأن ليس للانسان الا ما سعى) (٤) ولأن هذا عموم مخصوص بالأجر على الآلام ، والاقتصاص من الظالم . (٥)

(١) مسلم ج ٤ كتاب التوبة باب قبول توبة القاتل ص ٢١١٩ عن أبي موسى مرفوعا وفي شرح مسلم باب سعة رحمة الله تعالى على المؤمن وفداء كل مسلم بكافر من النار قال النووي : (ومعنى هذا الحديث ما جاء في حديث أبي هريرة لكل أحد منزل في الجنة ، ومنزل في النار ، فالمؤمن اذا دخل الجنة خلفه الكافر في النار ، لاستحقاقه ذلك بكفره) شرح مسلم ج ١٧ ص ٨٥ .

(٢) سورة غافر آية : ٥١ .

(٣) سورة الانعام : آية ١٦٤ ، سورة فاطر آية : ١٨ سورة النجم آية : ٣٨ وسور آخر من القرآن الكريم .

(٤) سورة النجم آية : ٣٩ .

(٥) أنظر ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٢٨٦ - ٢٨٧ .

هذا وقد تساءل ابن الوزير عما حمل غلاة الأشعرية على نفى الحكمة فأجاب بأنهم قصدوا افحام الفلاسفة في اعتراضهم الشرائع ، ولكنهم في ذلك كمن يداوى من المرض بالموت ، فان الفلاسفة لم تكن تطمع في تسليم المسلمين لنفى حكمة ربهم - عز وجل - وانما قصدوا في الاعتراض على الشرائع التشكيك في حكمة الله التي اتفقت عليها الشرائع وأهلها ، فاما القطع لنفى الحكمة والتصنيف في ذلك والدعاء اليه والرد على من اعتقد غيره ونسبته الى الجهل بصفات الله تعالى فأمر لم يكن يطمع فيه الملحدون فيا عجباً كيف أصبح يدعو اليه الموحدون . (١)

فان أبي نفاة الحكمة الرجوع الى الصواب ، بالاعتراف بحكمة الله - تعالى - والا فيقال لهم يا شارح الإلهام الاسلام ابن تيمية : لم أظهر الله الآيات الخارقة للعادة على أيدي الأنبياء ؟ ولم أنجاهم ونصرهم وأهلك أعداءهم . (٢)

ويقال للمعتزلة الزاعمين بأنهم يعلمون تفاصيل حكمة الله تعالى في كل شيء نقول لهم : خبتم وخسرتم ، أين أنتم من علم الكليم الذي خفي عليه ما يعلمه الخضر ؟ ! وأين أنتم من علم الملائكة الكرام ، الذين خفيت عليهم حكمة الله - عز وجل - في جعل آدم خليفة في الأرض ؟ !

لكن غلاة المعتزلة قد زعموا أشد من هذا ، وهو أن الله - سبحانه - لا يعلم من نفسه الا ما يعلمونه (كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا) (٣) وأنهم لا يعلمون حقيقة أرواحهم التي بين جنبيهم ثم يقال أيضا لنفاة الحكمة : اما أن يحسنوا نفى الحكمة بغير حجة أولا يحسنوه ، الا بحجة ؟ إن حسنوه بغير حجة أكذبهم قوله تعالى : (قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) (٤) وأن لهم حسنوه الابحجة اعترفوا بالتحسين العقلي . وهم يعترفون أن العقل يعرف الحق من الباطل ، فاذا تقرر هذا ، فالمعلوم في الفطر ترجيح الحق على الباطل وقد اتفق الجميع في الاقوال على ترجيح الصدق على الكذب بخصوصه ، والصواب ترجيح الحق على الباطل بعمومه في الافعال ، والاقوال ، والله يحب الانصاف ، وهو أعلم بالصواب . (٥)

(١) العواصم والقواصم ج ٣ وهم ٣٠ ص ٥٢١ .

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ج ٤ ص ٢٥٧

مطابع الجعد التجارية .

(٣) سورة الكهف آية : ٥ .

(٤) سورة النمل : آية : ٦٤ وأنظر ايثار الحق على الخلق لابن الوزير

ص ٢٠٨ - ٢٠٩ .

(٥) انظر ايثار الحق لابن الوزير ص ٢٠٨ - ٢٠٩

الفصل السادس

=====

الباطنية في اليمن

وموقف ابن الوزير منها

=====

أ - تمهيد .

ب - ابتداء أمر الباطنية في اليمن وتعاليمها السيئة .

ج - موقف ابن الوزير منها .

=====

تمهيد :

ان مذهب الباطنية قد امتلأت به كتب التاريخ ، من أحداث
دائمة ، وفتن طامية ^(١) في شتى الأصقاع ، والسعى في زعزعة عقيدة
الاسلام ، ونور الايمان ، في كثير من القلوب المريضة المنخدعة بتلبساتهم
الشیطانية على مراحل تدريجية منذ منتصف القرن الثالث الهجرى .

فترى نارفتهم تخبو مرة ، وتذكو مرات على توالى القرون ، مع
تغافل الحكام في بلاد الاسلام عن الحركات اللاحادية ، وقلة اهتمامهم
بالروحیات ، الى أن يستفحل الشر ، ويصبح قوى الجانب بحيث لا يمكن
اجتثاث جذوره بسهولة ، مع ان الواجب هو السهر الدائم على مداخل
الفساد في كيان الاسلام ، والقيام بهذا الواجب دائما بكل اهتمام ،
للاحتفاظ بالغيرة الاسلامية المؤدية الى استرخاض المهج في سبيل
اعلاء كلمة الله ، والذود عن حياض التعاليم الاسلامية التى فيها
السعادة كلها ، والا شمل الذل والمهانة ، وضاع الحرث والنسل والكرامة .
والباطنية وان تعددت أسماءها الى اسماعيلية - نسبة الى اسماعيل
ابن جعفر الصادق - والى قرامطة - نسبة الى حمدان قرمط - وقيل غير
ذلك - فالمبادئ واحدة .

والباطنية بصفة عامة فرقة ضالة بل ملحدة جحدوا الشرائع وعطلوا
النصوص بالتأويلات المزخرفة الكاذبة ، بل جحدوا الرب - جل جلاله -
وقالوا : لا يقال : موجود ، ولا معدوم ، اشارة الى النفى خوفا من
التصريح ، وقالوا : ان للقرآن ظاهرا وباطنا ، الظاهر للسذج ، والباطن
لا يطلع عليه الا الامام المعصوم ودعائه ، لأن الله أطلع على أسرار
الشرائع ، ولا بد - غدهم - من امام معصوم يرجع اليه ، والغرض من
هذا تعطيل الشريعة .

(١) مأخوذ من طما بمعنى ارتفع تقول : طما البحر : ارتفع بأمواجه ،
أو من طم الشيء اذا عظم ، وطم الماء اذا كثر وهو طام أهد نهائه
ابن الاثير ج ٣ ص ١٣٩ .

ومن منهجهم مخاطبة كل فريق من الناس بما يوافق رأيهم ، وهم يتسترون بالتشيع لأهل البيت ، وبالانتساب اليهم ، ليموهوا على الناس بذلك ، وسميت دولتهم بالفاطمية فى مصر والمغرب ، وحكامهم بالفاطميين ، وكذلك سميت دولتهم فى اليمن فى عهد على بن الفضل الآتى ذكره ، ثم بالصليحيين من بعده .

وقد فضحهم كثير من العلماء ، وبينوا عقائدهم الباطلة ، وذلك عن طريق من دخل معهم ، ثم تبين له ما هم عليه من الكفر والالحاد ، ومن أشهر العلماء الذين فضحوا الباطنية أبو حامد الغزالى سنة ٥٠٥ هـ فى (فضائح الباطنية) وابن الجوزى سنة ٥٩٧ هـ فى كتابه (القرامطة) وغيرها من كتب المقالات .

وهذا بالنسبة للباطنية بصفة عامة ، أما الباطنية فى اليمن فهم وان كانوا يختلفون فى المناهج والاساليب — فالأهداف والمبادئ متحدة ، وستأتى فضائحهم عن طريق من دخل معهم ، بغرض الاطلاع على حقيقة معتقداتهم ثم بيانها للمسلمين ، ليكونوا على حذر منهم .

كما فضحهم أيضا كثير من العلماء اليمنيين ، ستأتى الإشارة الى مؤلفاتهم ان شاء الله تعالى .

وأى فضيحة ، بل أى كفر أشد من مهاجمة حرم الله الآمن مكة المكرمة ، وقتل من فيها من الحجاج ، وهدم زمزم ، وفرش المسجد الحرام بالقتلى يوم النثوية ، بقيادة أمير القرامطة أبى طاهر الجنايى ، وكان جالسا — لعنه الله — على باب الكعبة المشرفة والرجال تصرع حوله ، وكان يقول : أنا الله ، وبالله أنا ، أنا أخلق الخلق وأفنيهم أنا ، وكان الفارون يتعلقون بأستار الكعبة فلا يجدى ذلك عنهم شيئا ، وأمر بقلع باب الكعبة ، ونزع كسوتها ، وشققها بين لصحابة ، وأمر بقلع الحجر الاسود فأخذه معهم الى البحرين ، فمكث عندهم ثنتين وعشرين سنة ، حتى رده سنة ٣٣٩ هـ .

وقد اتفق علماء المسلمين ، على أنهم كفار خارجون عن الملة ، مرتدون عن دين الاسلام ، بل أكفر من اليهود والنصارى ، وأنهم كاذبون فى انتسابهم الى أهل البيت — عليهم السلام — وأفتى بذلك شيخ الاسلام

ابن تيمية . ومن حكى ذلك الاتفاق ابن كثير ، وشيخ الاسلام مجدد القرن الثالث عشر الهجرى محمد بن عبد الوهاب سنة ١٢٠٦ هـ وغيرهم . (١)

ابتداء أمر الباطنية فى اليمن وتعاليمها السيئة :

اختلف المؤرخون فى ذلك ، فقليل إن ابتداء أمرهم سنة ٢٦٧ هـ وقيل ٢٦٨ هـ وقيل ٢٧٧ هـ وقيل ٢٨٢ هـ وسبب دخولهم اليمن أن على بن الفضل الخنفسرى الحميرى ت سنة ٣٠٣ هـ حج وزار قبر الحسين بن على بالعراق ، فوجد عنده ميمون القداح ، وكان مجوسيا ، وقيل من أحبار اليهود وأهل الفلسفة ، ادعى أنه من ولد اسمعيل بن جعفر وتلقب بالهادى ، وأنه أحد الأئمة المستورين فرئى من بكاء ابن الفضل على القبر وتشيعه ما يضمن نجاح الدعوة ، أن هو ضمه الى رجل من كبار الشيعة يدعى الحسن بن فرج بن حوشب (٢) الكوفى . لقب واشتهر فيما بعد بمنصور اليمن .

ومعد اختبارهما ونجاحهما كلفهما بالخروج الى اليمن ، لنشر الدعوة فيها باسم ابنه عبيد الله المهدي قائلا لهما : ان لليمانية نصيبا

(١) أنظر التفاصيل فى فضائح الباطنية يكامله للغزالي . وكشف أسرار الباطنية يكامله للحمادى تحقيق الكوشى مطبعة الانوار وطبقات فقهاء اليمن للجعدى ص ٧٧ والقراطة يكامله لابن الجوزى والكامل لابن الاثير ج ٦ ص ٢٠٣ - ٢٠٤ دار الكتاب العربى بيروت ت سنة ١٣٨٧ هـ والبداية والنهاية لابن كثير ج ١١ ص ٦١ - ٦٢ - ٣٤٥ وضهاج السنة لابن تيمية ج ٢ ص ٢٣٨ - ٢٣٩ ومجموع فتاويه ج ٢٨ ص ٤٨٣ وما بعدهها ج ٣ ص ٣٥٥ - ٣٥٦ وما بعدهما ج ٣٥ ص ١٤٩ - ١٥٨ وتاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ٣٧٩ بدون تاريخ ولا ذكر الطبعة وظهر الاسلام لأحمد أمين ج ٤ ص ١٣٣ والأديان والفرق لعبد القادر شيبه الحمد ص ٧٩ مطابع شركة المدينة وكشف الشبهات فى التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب ص ٢٠ .

(٢) حوشب مضبوط فى بعض الكتب اليمنية بالجيم وبعضها بالحاء .

فى هذا ، فتوجهها معا الى اليمن عن طريق (غلافقه) ميناء زبيد ثم توجه
كل منهما الى جهة معينة .

وكان قد أوصاهما القداح بالظاهر بالزهد ، والتقشف ، وكثرة التعبد ليلا
ونهارا فى بطون الأودية ، ورؤس الجبال ، وذلك بغرض المكيدة للإسلام .

وفى الظاهر كان أصل الدعوة الى الله ورسوله ، والاختصاص لعلى
ابن أبى طالب بالإمامة ، والطعن على جميع الصحابة . وفى الباطن على
المنهج الآتى بيانه قريبا ان شاء الله تعالى .

واستمرت دعوتهما سرا لمدة سنتين ، فلما صار لكل منهما أتباع وقوى
مادية وحربية ، أعلن كل منهما دعوته فى جهته .

نأما منصور اليمن الكوفى فتوجه الى جبال مسور^(١) ولأعه ، وأخذ فى
نشر الدعوة سنتين سرا ، فلما أعلنها سنة ٢٧٠ هـ ناجزه الحواليون^(٢)
فدمرهم ، ثم استولى على حصون كثيرة ، منها كحلان^(٣) وكوكبان^(٤) ،
واستمر الصراع حتى جاءت دولة الامام الهادى سنة ٢٨٤ هـ وقيل سنة
٢٨٥ هـ وتمركزت فى مدينة (صعدة)^(٥) فقاتلهم الهادى ، وهزمهم
هزيمة منكرة^(٦) .

وهكذا استمر الصراع المسلح بين الباطنية ، وبين الأئمة الزيدية ،
تساعدهم الأمراء من آل يعفر الحواليين ، وغيرهم - والحرب سجال ، ومن

-
- (١) جبل شاهق ضيق شرقى مدينة حجة .
(٢) أسرة من زعماء اليمن وولاتها للدولة العباسية آنذاك .
(٣) مدينة ما بين صنعاء ، وحجة تبعد عن صنعاء الى الشمال الغربى ٤٥ كم
تقريبا .
(٤) جبل عال ضيق مطل على مدينة شبام التى تبعد عن صنعاء غربا
٦٥ كم تقريبا .
(٥) كانت عاصمة الزيدية يومها تبعد عن صنعاء شمالا
(٦) أنظر التحفة العنبرية خ صنعاء لآبى علامه ورقة ٦٧ وما بعدها
أحداث سنة ٢٩٧ هـ وقراءة فى فكر الزيدية لعبد العزيز المقالح
ص ١٤٠ - ١٤٩ ط بيروت سنة ١٩٨٢ م ، أخبار القرامطة لسهيل
زكار ص ١٣٤ وما بعدها ، وتاريخ اليمن السياسى لمحمد بن يحيى
الحداد ص ١٨٤ وما بعدها ، وتاريخ اليمن للواسع
ص ١٦٩ وما بعدها .

عادة الباطنية اذا هزموا خفتوا ، واذا استعادوا قوتهم نهضوا - الى أن
أعلنها الصليحي الآتى ذكره . (١)

وتوفى منصور اليمن الكوفي سنة ٣٠٢ هـ والله أعلم .

وممن أشار الى دعاة الباطنية الملاحدة ، الذين يعتقدون ألوهية
على رضى الله عنه ، الذين أمر باحراقهم فى حياته ، ممن أشار الى ذلك
شيخ الاسلام ابن تيمية بقوله : (ومن اتباع هوء لاء الملاحدة أهل دور
الدعوة الذين كانوا بخراسان ، والشام واليمن ، وغير ذلك) (٢)

على بن الفضل وآثاره السيئة :

وأما على بن الفضل الخنفرى الحميرى ، فانه توجه الى
(أبين عدن) (٣) و (يافع) (٤) بعد أن تعلم المذهب الاسماعيلى .
ففتن الناس لشدة ما أظهره من التعبد فى رؤوس الجبال ، فسألوه أن ينزل
من جبل كان يختلئ فيه ، فشرط عليهم أن يعاهدوه على الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر ، والسمع والطاعة ، ففعلوا .

وأبدى فى سيرته مزيدا من الصلاح والعدل ، مما جعل الاهالى
يقدمونه ، ويجمعون اليه الزكوات من كل الجهات المجاورة ، فبنى الحصون
وهاجم الامراء ، ودارت المعارك المسلحة ، فهزم وخفت ، ثم أغار على من
حوله من الامراء على غرة ، فقتل منهم واستباح ماكان لهم ، وهكذا كلما

(١) أنظر المسجد المسبوك للخزرجى ج ٤ ص ٣٦ - ٣٧ والحوار العيين
لنشوان الحميرى ج ١ ص ١٩٨ ، وتاريخ اليمن الثقافى لاحمد شرف
الدين ج ٤ ص ٨١ وما بعدها وكشف أسرار الباطنية للحمادى اليماني
ص ١٦ - ١٧ وتاريخ الاسلام السياسى والثقافى ٠٠٠ لحسن ابراهيم
حسن ج ٤ ص ١٩٧ وما بعدها ، وغاية الأمانى للشهارى ج ١ ص ١٩٢
وتاريخ اليمن للواسعى اليماني د ١٦٩ وما بعدها ، وتاريخ اليمن
السياسى للحداد ص ١٧٤ وما بعدها .

(٢) بلد مشهور فى جنوب اليمن .

(٣) بلد مشهور فى جنوب اليمن أيضا .

(٤) (مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٢٨ ص ٤٨٤ وأنظر التفاصيل الفاضحة فيما
قبلها وبعدها .

هزم يخفت ، ويتحين الفرص حتى نشبت معركة حاسمة كان لها أثرها ففى
اشتهار اللعين ، واتساع نفوذه ، حتى تمكن من صنعاء ولم يحسن بها صنعا
— قبحه الله — بل أظهر مذهب الخبيث المشثوم ، ورقى منبر جامع صنعاء
فخطب خطبة منكرة ، صرح فيها بعقيدته الكفرية وأحل المحرمات ، وخرّب
الكثير من المساجد ، واتخذ جامع صنعاء اصطبلا للخيل . ومع هذا كان
يدعى النبوة ، وكان مؤذنه يقول : أشهد أن على بن الفضل رسول الله .
وليث الباطنية القرامطة فى صنعاء ، وجهاتها ، ثلاث سنين يفسدون فى
الأرض ولا يصلحون .

وقد عمر ابن الفضل الخبيث دارا واسعة يجمع فيها غالب من تابعه
نساء ورجالا متزينين متطيبين ، ثم توقد الشموع بينهم ساعة ، ثم تطفأ ، ويضع
كل واحد من الرجال يده ، على أى امرأة ، ويقع عليها ، ولو كانت من
محارمه .

ولما استفحل أمر ابن الفضل استقل بالأمر لنفسه بعد أن كان
داعية لعبيد الله المهدي بن ميمون القداح مع زميله منصور اليمن . (١)

(١) أنظر هدية الزمن فى أخبار ملوك لحج وعدن لأحمد مقبل العبدلى
ص ٥٢ — ٥٣ ط السلفية بالقاهرة سنة ١٣٥١ هـ وتاريخ اليمن
المسمى المفيد بأخبار صنعاء وزيد لعمارة اليمنى ص ٥٩ — ٦٠
وطبقات فقهاء اليمن للجعدى ص ٧٦ ، قواعد عقائد آل محمد
(قسم الباطنية) لمحمد الحسن الديلمى أحد علماء القرن الثانى عشر
الهجرى ص ٩٧ تقديم الكوشى ط السعادة بمصر ، المخلاف السليمانى
للعقيلى ج ١ ص ١٢٢ — ١٢٧ وتاريخ اليمن الثقافى لأحمد
شرف الدين (معاصر) ج ٤ ص ٨٧ — غاية الأمانى للشهارى ج ١
ص ١٩٥ — ١٩٩ والعلم الشامخ للمقبلى ص ٣٣٧ وتاريخ اليمن
المسمى فرجة الهموم والحزن للواسعى ص ١٥٩ — ١٦٠ والاكلیل
للهمداني ج ٨ ص ٤٨ .

أ نموذج من كلام علي بن الفضل الباطني الحيمري :

صرح بـ بعض الموءرخين اليمنيين بذكر بعض فضائحه ، والبعض الآخر تحاشا عن ذكرها تنزيها لكتاباتهم عن إيراد كلامه القبيح ، كما اختلفوا في مكان وزمان هذا الكلام ، فبعضهم ذهب الى أنه كان في مسجد (الجند) (١) في أول خميس من رجب سنة ٢٩٢ هـ وذهب البعض الآخر الى أنه كان في جامع صنعاء سنة ٢٩٣ هـ وقيل ٢٩٤ هـ ، ولا معارضة في ذلك لا مكان الجمع بالتعدد وذلك أن ابن الفضل بدأ بدعوته من جنوب اليمن - كما سبق - ثم نهض من (الجند) المذكور ، متجها لاحتلال اليمن الأعلى فاحتل (ذمار) و (صنعاء) وضواحيها ثلاث سنين .
واليك الأبيات الآتية من كلامه الخبيث ، مع تقديم ، وتأخير ، وزيادة ونقصان في بعض المصادر التاريخية :

(٢)
خذى الدف يا هذه واضربى * * * وغنى هزاريك ثم اطرى
تولى نبي بنى هاشم * * * وجاء نبي بنى يعرب
أحل البنات مع الأمهات * * * ومن فضله زاد حل الصبي
لكل نبي مضى شرعة * * * وهذى شرعة هذا النبي
فقد حط غنا فروض الصلا * * * وحط الصيام ولم يتعب
إذا الناس صلوا فلا تنهضى * * * وان صوموا فكلوا واشربوا
ولا تطلبى السعى عند الصفا * * * ولا زورة القبر فى يشرب
ولا تمنعنى نفسك المعزيب * * * من الأقربين مع الأجنبي
فكيف تحلى لهذا الغريب * * * وصرت محرمة للأب
أليس الغراس لمن رتب * * * وسقاه فى الزمن المجذب ؟
وما الخمر الا كماء السماء * * * حلال فقدست من مذهب (٣)

(١) الجند منطقة قرب تعز وهى التى بنى فيها معاذ بن جبل مسجده المشهور .

(٢) الهزار العندليب وهو البلبل وقيل هو كالعصفور يصوت ألوانا وقيل هو طائر يقال له الهزار أه مصباح ج ٢ ص ٨٣ .

(٣) أنظر بهجة الزمن فى تاريخ اليمن لعبد الباقي عبد المجيد اليماني خ بمكتبة المركز بجامعة أم القرى ص ١٨ والمسجد المسبوك للخزرجي

وهي طويلة أباح فيها المحرمات ، والحمادى نسبها الى شاعر الباطنية ، والظاهر أنه الأقرب الى الصواب لأنه قال فى البيت الثالث : أحل البنات مع الأمهات ولم يقل أحللت ، وفى الرابع قال : شريعة هذا النبى ولم يقل : شريعتى ، وفى الخامس قال : حط عنا فروض الصلاة . . وهو الظاهر من الأبيات ذاتها فهذا وان كان فيه مخالفة لجمهور المؤرخين اليمنيين فالحق يقال والله أعلم .

موت ابن الفضل مسموما :

يستفاد من تاريخ الباطنية الاسماعيلية فى اليمن أنه قد اشترك فى محاربتهم عدد من السلاطين ، وزعماء القبائل اليمنية ، ومن أبرزهم الأئمة الزيديون ، والسلاطين من آل يعفر الحوالى ، وغيرهم . وقد أراح الله - تعالى - العباد بهلاك الطاغية على بن الفضل بسم عن طريق طبيب سنة ٣٠٣ هـ بعد أن أفسد فى الأرض - كما ذكر الحمادى - سبعة عشر عاما فى عهد الأمير أسعد بن أبى يعفر الحوالى ، أحد أمراء اليمن الحميريين بتدبير منه . أما عند بعض المؤرخين اليمنيين أتباع الباطنية ، فهذا التدبير كان عن أمر المهدي المزعوم المستور كونه خرج عن طاعته واستقل بالأمر لنفسه (١) والعقل يميل الى التدبير الأول لأنه صادر من عدو قريب موجود والثانى صادر من مستور مزعوم .

=== ج ٤ ص ٢٢ - ٣٧ - ٤٧ وكشف أسرار الباطنية للحمادى ص ٣٣ وغاية الأمانى فى تاريخ القطر اليمانى للشهارى ج ١ ص ١٩٥ - ١٩٧ وطبقات فقهاء اليمن للجعدى ص ٧٦ والعلم الشامخ للمقبلى ص ٣٣٧ والحوار العين لنشوان الحميرى ج ١ ص ١٩٩ .
(١) أنظر الصليحيون والحركة الفاطمية فى اليمن للحرازى ص ٤٦ دار المختار للطباعة والنشر دمشق ، والتحفة العتبرية خـصـنـا لـأبـو علامه ورقة ٦٧ .

إعلان الدعوة الباطنية فى حراز :

وقد ظلت الدعوة الباطنية بعد موت كل من على بن الفضل ، ومنصور اليمن الكوفى ، تسرى فى اطار من الكتمان حتى أعلنها على ابن محمد الصليحي سنة ٤٣٩ هـ فى مسار (١) حراز ، وكانت علاقتها بمركزها الرئيسى بمصر فى أيام المستنصر الفاطمى بل العبيدى قوية ، بل كان الصليحي هذا نائبا وداعيا للفاطمى المزعوم (٢) قال الهمدانى الحرازى فى هذا المعنى : (... كما ساعدت رئاسة الدعوة فى القاهرة على تغذية هذه المنظمة السرية باليمن بكتب الدعوة وغيرها) . (٣)

مجل تعاليم الباطنية وأثرها السئ :

قال الحمادى اليمانى أحد علماء السنة محذرا المسلمين من مقارنة هذا الصليحي الباطنى ، ومبينا منهجه فى دعوته بقوله : (الحذر الحذر أيها المسلمون من مقاربتة ومخالطته ، والركون الى قوله ، فانه وأهل مذهبه يستدرجون العقول ويضلون من ركن اليهم ، لقد سمعته مرارا وهو يقول لأصحابه قد قرب كشف ما نحن نخفيه ،

- (١) جبل عال بأعلاه حصن فوق مناخه أنظر صفة جزيرة العرب للهمدانى ص ١٢٥ .
- (٢) كشف أسرار الباطنية للحمادى ص ٧٦ وتاريخ اليمن الثقافى لاحمد شرف الدين ج ٤ ص ٩٠ - ١١٠ وغاية الأمانى ليحيى بن الحسين ابن القاسم الشهارى ج ١ ص ٢٠٨ والمسجد المسبوك للخزرجى ج ٤ ص ٦٠ وما بعدها وتاريخ الاسلام السياسى ... لحسن ابراهيم ج ٤ ص ١٩٨ - ٢٠٣ والصليحيون للهمدانى ص ٣٠٢ - ٣٠٣ والفتح العثمانى الأول لمصطفى سالم ص ٢٨ وما بعدها .
- (٣) الصليحيون للهمدانى ص ٦١ طبقات فقهاء اليمن للجعدى ص ٨٧ - ٨٨ .

وزوال هذه الشريعة المحمدية ، وذلك أكرم من أن يبلغه مأموله من فساد الدين . . . وذلك أن الصليحي الباطني ، ومن على مذهبه يدعون الى ناموس خفي . . . بعهود موءكة ومواثيق مغلظة مشددة على كتمان ما يبيع عليه ، ودعى إليه ، وأنه لا يكشف لهم سرا ، ولا يظهر لهم أمرا . ثم يطلعه على علوم موهبة ، وروايات مشبهة ، يدعو في بدء الأمر الى الله ورسوله ، كلمة حق يراد بها الباطل ، ثم يأخذه بعد ذلك بالرفض والبغض لأصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاذا انقاد له وطاوعه أدخله في طرق المهالك تدريجا ، ويأتيه بتأويل كتاب الله - عز وجل - تحريفا ، وتعويجا ، بكتب مصنفة ، وأقوال مزخرفة إلى أن يلبس عليه الدين ، ويخرجه منه كما يخرج الشعرة من العجين ، وقصارى أمره بإبطال الشرائع وتحليل جميع المحارم) . (١)

وهكذا استمرت الدعوة الباطنية في اليمن تساندها الزعامة الصليحية ، الباطنية الى أن أغتيل الصليحي على يد سعيد الأحول بن نجاح أحد أمراء اليمن العباسيين في (المهجم) وهو في طريقه الى مكة ، ولكن لم تغتر الدعوة الباطنية للعبيدي ما حبط مصر ب وفاة الصليحي ، بل ولا العلاقة السياسية ، فقد كتب المستنصر (٢) - على حد تعبيرهم - الى أحمد بن علي الصليحي ، يعزیه في وفاة أبيه ويقره على ملكه ، ويعهد اليه بشئون الدعوة الفاطمية (٣) ، بل العبيدية .

ولم يقع لأحد فيمن ملك اليمن ما وقع لعلي بن محمد الصليحي فانه استولى على اليمن سهله وجبله ، شرقه وغربه ، شماله وجنوبه ،

(١) كشف أسرار الباطنية للحمادي ص ٤٣ - ٤٤ وأنظر تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي لحسن ابراهيم ج ٤ ص ١٩٦ - ١٩٨ وما بعدهما .

(٢) أنظر اليمن في ظل الاسلام لعصام الدين عبد الرؤوف الفقي ص ١٦٥ دار الفكر العربي ط أولى سنة ١٩٨٢ م .

(٣) تاريخ الاسلام لحسن ابراهيم ج ٤ ص ٢٠٣ وأنظر الفتح العثماني الأول لليمن لمصطفى سالم ص ٢٨ .

الى أن قتل في (المهجم) (١) حين قصده السنيون وعلى رأسهم سعيد
الأحول وأخوه جياش قطعنه بحرته (٢) سنة ٤٧٣ هـ وقيل سنة ٤٥٩ هـ
ورجح هذا الأخير الهمداني كما رجح الأول الكوثري والله أعلم . (٣)
مقتطفات من كلام الحمادي اليماني وآثارها السيئة :

من الجدير بالذكر أن أورد مقتطفات تفصيلية من كلام
الشيخ الحمادي باعتباره كاتباً يمينياً ومن فقهاء السنة ، وأحد أولئك الذين
دخلوا في مذهب الباطنية اليمينية ، لا رغبة فيه ، ولكن ليقف على حقيقة
ما ينسب الى هذا المذهب اللئيم .

والغرض من إيراد هذه المقتطفات ، إطلاع المسلمين الذين لم يطلعوا
عليها بصفة عامة — وإطلاع من ينكر هذا من اليمينيين بصفة خاصة ،
لأن آثار هذا المذهب باقية الى يوم الناس هذا في بعض الضائق اليمينية ،
متسترين باسم قبيلة حراز التي أعلن الصليحي الباطني دعوته منها وجعل
مسار حراز مركزاً للدعوة وقاعدة حربية لشن الغارات على خصومه وأعدائه . (٤)
وليس هذا في اليمن فحسب ، فالمذهب الاسماعيلي الباطني متستر في كثير من
بلاد المسلمين ، ففي الشام باسم العلويين ، وفي العراق وإيران باسم
الجعفرية ، وفي نجران باسم قبيلة يام ، وفي باكستان والهند باسم البههره

-
- (١) موضع في تهامة اليمن في وادي سرود ما بين جبل ملحان وبلدة الزيدية
وهو الآن خراب ما عدا المنارة . أهـ ، طبقات فقهاء اليمن الحاشية ص ٨٨
(٢) تاريخ اليمن المسمى بفرجة الهموم والحزن للواسعي ص ١٦٢ وتاريخ
اليمن المسمى المفيد في تاريخ صنعاء وزيد لعامة اليمن ص ٩٤
تحقيق الاكوع .
(٣) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن للهمداني ص ١٠٣ تاريخ اليمن
للواسعي ص ١٧٢ وما بعدها وحاشية كشف أسرار الباطنية ص ٤٤
وفيات الاعيان لابن خلكان ج ٣ ص ٤١١ وما بعدها وشذرات الذهب
لابن العماد ج ٣ ص ٣٤٦ وما بعدها ، وأنظر السلك
في طبقات العلماء والملوك لمحمد بن يعقوب الجندی تاريخ اليمن الى
سنة ٧٢٤ هـ ج ٢ ورقة ١٧٥ — ١٧٦ .
(٤) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ٧١ .

أقامهم الله جميعاً . (١)

وقد صنف بعض الكتاب اليمنيين فى موضوع حركات الباطنية المصنفات وسموها بأسماء غير أسمائها الحقيقية ، نهج بعضهم منهج المؤرخين الذين يهتمون بالحوادث التاريخية والسياسية والعسكرية ، ويهملون ما هو أهم من ذلك من النواحي الدينية والاعتقادية ، والاجتماعية والخلقية ، وجهلوا أو تجاهلوا أن الشرارة الأولى لتسمير الحرب تنقذ من القاعدة الأساسية الدينية الاعتقادية كما هو معلوم ، وإلا فما الداعى الى الصراع الدموى ، إذا انفق الفكر العقدى ؟ !

والدفاع - المخالف للواقع - عن الباطنية وجرائمها البشعة المنكرة المخرجة من الملة سواء كان هذا الدفاع عن الباطنية بصفة عامة أو عن الباطنية فى اليمن بصفة خاصة هذا الدفاع يثير الدهشة وتوجيه علامات الاستفهام الى هؤلاء المدافعين ، ماذا يريدون بهذا الدفاع ، أيريدون قلب الحقائق ، أيريدون أن يمحوا فضائحهم التى سودت وجه التاريخ وبالأخص على بن الفضل الخضرى وعلى محمد الصليحي وأمثالهما الآتية فضائحهما فى هذا الفصل ؟

فلا عتب ، بل لالوم على من شم رائحة القرمطة من كلام هؤلاء أو اتهمهم بذلك أو بأن بضاعتهم فى التاريخ الدينى مزجاة ، وأن هناك أغراضاً ودوافع غير دينية أو أو . . .

والآن اليك هذه المقتطفات المنكرة من كلام الحمادى (٢) الذى دخل فى مذهب الصليحي الباطنى الحرازى الذى خلف على بن الفضل الحميرى

(١) أنظر الفتح العثمانى الأول لليمن لمصطفى سالم ص ٢٨ وما بعدها .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن مالك الحمادى اليمانى من فقهاء السنة

باليمن فى أواسط المائة الخامسة وقد طبع كتابه مرتين فى مصر سنة

١٩٣٩م سنة ١٩٥٥م وقد اعتمده كثير من المؤلفين اليمنيين وغيرهم

منهم الجعدى والجندى والكتاب فى حوزتى بعنوان (كشف أسرار

الباطنية وأنظر طبقات فقهاء اليمن للجعدى ص ٧٨ .

ومنصور اليمن فى الدعوة الباطنية باسم الفاطميين ، بل العبيد بين فى مصر حيث قال : (أول ما أشهد به ٠٠٠ وأضحى للمسلمين — أن له ^(١) نوابا ، يسميهم الدعاة المأذونين ، وآخرين يلقبهم بالمكلبين تشبيها بـ كلاب الصيد ، لأنهم ينصبون للناس الحبائل ، وينقبضون عن كل عاقل ، ويلبسون على كل جاهل ، بكلمة حق يراد بها الباطل .

المرحلة الأولى :

وفيهما يحضون المدعو على شرائع الاسلام كالذى ينشر الحب للطير ليقع فى شركه ، فيقيم أكثر من سنة ينظرون صبره ، ويتصفحون أمره ، ويخدعونه بأحاديث محرفة ، وأقوال مزخرفة ، ويتلون عليه القرآن على غير وجهه ، ويحرفون الكلم عن مواضعه ، فإذا رأوا فيه القبول والاعجاب بجميع ما يعلمونه ، قالوا له : الصلاة من صلاها مرة فى العام ، فقد أقام الصلاة بغير تكرار ، والزكاة مفروضة فى كل عام مرة . فالصلاة صلاتان والزكاة زكاتان ، وما خلق الله — سبحانه — من ظاهر إلا وله باطن ، يدل عليه قوله تعالى : (وذروا ظاهر الاثم وباطنه) ^(٢) ومعنى الصلاة والزكاة ، ولاية محمد وعلى ، فمن تولاها ، فقد أقام الصلاة وآتى الزكاة ، وهكذا حتى يوقعون المخدوع فى موقع الموافقة ، لأنه يريحهم مما تلزمهم به الشريعة من الطاعة ويبيح لهم ما تحرمه عليهم .

فإذا قبل منهم ذلك المغرور هذا قالوا له قرب قربانا لمولانا يحط عنك الصلاة ، فيدفع اثنين عشر دينارا فيقول الداعى ، يا مولانا ، ان عبدك فلان قد عرف الصلاة ومعانيها فاطرح عنه الصلاة ، وقرأ له : (ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم) ^(٣) فيهنئه أهل هذه الدعوة بقولهم : الحمد لله الذى وضع عنك وزرك الذى انقض ظهرك . (٤)

(١) الضمير عائد على الصليحي الباطنى .
(٢) سورة الأنعام آية : ١٢٠ . (٣) سورة الاعراف آية : ١٥٧ .
(٤) كشف أسرار الباطنية للحمادى ص ١٣ — ١٤ وأنظر قواعد عقائد آل محمد (قسم الباطنية) للديلمى ص ٢٣ .

المرحلة الثانية :

وفيها يقول الداعي الخبيث للمخدوع ، قد عرفت الصلاة ،
وهي أول درجة ، فاسأل وابحث ، فيقول : عم أسأل ؟ فيقول أسأل عن
الخير والميسر الذين نهى الله عنهما ، هما أبو بكر وعمر ، لمخالفتهم علي ،
وأخذ الخلافة منه .

أماما يعمل من العنب والزبيب والحنطة وغير ذلك ، فليس بحرام ، لأنه
مما أنبتت الأرض ، ويتلوا عليه أيضا : (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جناح فيما طعموا) (١) .

ومعنى الصوم الكتمان ، أي كتمان الأئمة في وقت استتارهم خوفا من
الظالمين ، ويتلوا عليه : (اني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا) (١)
فلو كان على بالصيام ترك الطعام ، لقال فلن أطعم اليوم شيئا ، فدل على
أن الصيام الصمت ، فيزداد المخدوع طغيانا وكفرا ومنهمك الى قول ذلك
الداعي الملعون ، لأنه أتاه بما يوافق هواه وشهوته والنفس أمارة بالسوء .

ثم يقول له ادفع النجوى تكن لك سلما ووسيلة ، حتى نسأل لك مولاك
يضع عنك الصوم ، فيدفع اثني عشر دينارا ، فيمضي به اليه قائلا : يا مولانا
عبدك فلان قد عرف معنى الصوم على الحقيقة ، فأبح له الأكل بـ رمضان ،
فيقول قد وثقت وأمنت على سرائرنا ؟ فيقول : نعم ، فيقول : قد وضعت
عنه ذلك . (٢)

المرحلة الثالثة :

ثم يأتي ذلك الداعي الخبيث الى المخدوع بعد مدة فيقول له ، قد
عرفت ثلاث درجات — أي الصلاة والخمر والميسر والصوم — فاعرف الطهارة
ماهي ، ومعنى الجنابة في التأويل ، فيقول : فسر لي ذلك ، فيقول له :
اعلم أن معنى الطهارة ، طهارة القلب ، وأن الموء من طاهر بذاته ، والكافر
نجس لا يطهره الماء ولا غيره ، وأن الجنابة هي موالاة الأضداد ، أضداد
الأنبياء والأئمة ، فأما المنى فليس بنجس منه خلق الله الأنبياء والأولياء

(١) سورة مريم آية : ٢٦ .

(٢) كشف أسرار الباطنية للحمادي ص ١٣ والباطنية للديلمى ص ٢٤ .

(٣) سورة المائدة جزء من آية : ٩٢ .

وأهل طاعته ، وكيف يكون نجسا ، ومنه خلق الانسان ، فلو كان التطهر منه من أمر الدين ، لكان الغسل من الغائط والبول أوجب ، لأنهما نجسان ، وإنما معنى قوله تعالى : (وان كنتم جنبا فاطهروا) (١) معناه فان كنتم جهلة بالعلم الباطنى فتعلموا . ثم يأمره ذلك الداعى أن يدفع اثنى عشر ديناراً ، ويقول : يا مولانا عبدك فلان قد عرف معنى الطهارة حقيقة ، وهذا قربانه إليك ، فيقول : اشهدوا أنى قد حلت له ترك الغسل من الجنابة . (٢)

المرحلة الرابعة :

ثم يقيم مدة فيأتيه ذلك الداعى الملعون قائلاً له : قد عرفت أربع درجات ، وبقي عليك الخامسة ، فاكشف عنها فإنها منتهى أمرك ، وغاية سعادتك ، ويتلو عليه : (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) (٣) فيقول له دلتى عليها ، فيتلو عليه : (لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) (٤) ثم يقول له : أتحب أن تدخل الجنة فى الحياة الدنيا ، فيقول وكيف لى بذلك ، فيتلو عليه : (وإن لنا للآخرة والأولى) (٥) ويتلو عليه قوله تعالى : (قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) . (٦)

والزينة هاهنا ما خفى على الناس من أسرار النساء التى لا يطلع عليها الا المخصوصون بذلك . وذلك قوله تعالى : (ولا يبدن زينتهن الا لبعولتهن) (٧)

والزينة مستورة غير مشهورة ، ثم يتلو عليه قوله تعالى : (وحرور عين ، كأمانى اللؤلؤ المكنون) . (٨) فمن لم ينل الجنة فى الدنيا لم ينلها

(١) سورة المائدة جزء من آية : ٦ .

(٢) كشف أسرار الباطنية للحمادى ص ١٤ وأنظر الباطنية للديلمى ص ٢٥ .

(٣) سورة السجدة آية : ١٧ .

(٤) " فى آية : ٢٢ .

(٥) " الليل آية : ١٣ .

(٦) " الاعراف آية : ٣٢ .

(٧) " النور آية : ٣١ .

(٨) " الواقعة آية : ٢٢ - ٢٣ .

فى الآخرة ، لأنها مخصوص بها ذوو الأبواب ، دون الجهال ، والمستحسن من الأشياء ماخفى ، ولذلك سميت الجنة جنة لأنها مستجنة .

فالجنة هاهنا ما استتر عن الخلق المنكوس ، الذين لا علم لهم ولا عقول ، فيزداد المخدوع انهماكا ويقول لذلك الداعى الملعون : تلطف فى حالى ، وبلغنى ما شوقتنى إليه ، فيقول : ادفع النجوى اثنى عشر ديناراً تكس لك قرباناً وسلاماً ، فيمضى به فيقول : يا مولانا ان عيدك فلان قد صحت سريرته ، وهو يريد أن تدخله الجنة ، وتزوجه الحور العين ، فيقول له : قد وثقت به ، وأمنت به ، فيقول يا مولاي قد وثقت وأمنت وخبرته ، فوجدته على الحق صابراً ، ولأنعمك شاكراً ، فيقول : علمنا صعب مستعصب ، لا يحمل به إلا نبى مرسل ، أو ملك مقرب ، أو عبد امتحن الله قلبه بالإيمان ، فإذا صح عندك حاله ، فاذهب به الى زوجتك ، فاجمع بينه وبينها ، فيقول : سمعاً وطاعة لله ولمولانا ، فيمضى به الى بيته ، فيبيت مع زوجته ، حتى اذا كان الصباح قرع عليهما الباب وقال : قوما ، قبل أن يعلم بنا هذا الخلق المنكوس ، فيشكره ذلك المخدوع ، فيقول له : ليس هذا من فضلى ، هذا من فضل مولانا فاذا خرج من عنده ، تسامع به أهل هذه الدعوة الملعونة ، فلا يبقى منهم أحد الا بات مع زوجته كما فعل ذلك الداعى الملعون . (١)

قلت : وتحمل هذه البيتوتة — اذا صح الخبر — على الجيران أو أهل القرية ، أما بقاؤه على ظاهره وعمومه ففيه نظر ، لأن المرأة لا تطيق قطراً بكامله بل ولا عشرة ، إلا أن يقال ان هذا فى بدء الدعوة الخبيثة وقلة أهلها فالله أعلم .

المرحلة الخامسة :

ثم يقول الداعى للمخدوع ، لا بد لك أن تشهد المشهد الأعظم ، عند مولانا فادفع قربانك فيدفع اثنى عشر ديناراً ، فيصل به قائلاً : يا مولانا عيدك فلان يريد أن يشهد المشهد الأعظم وهذا قربانه ، حتى اذا جن الليل ، ودارت الكؤوس وحميت الروءوس ، وطابت النفوس ، أحضر جميع أهل هذه الدعوة الملعونة حريمهم ، فيدخلن عليهم من كل باب ، وأطفئوا السرج والشموع وأخذ كل واحد منهم

(١) كشف أسرار الباطنية للحمادى ص ١٥ — ١٦ .

ما وقع عليه يده ، فيشكر المخدوع الداعي الملعون على ما فعل ، فيقول له ليس هذا من فضلى ، هذا من فضل مولانا أمير المؤمنين ، فاشكروه ولا تكفروه على ما أطلق من وثاقتكم ووضع عنكم أوزاركم ، وحط عنكم آصاركم ، ووضع عنكم أثقالكم ، وأحل لكم بعض ما حرم عليكم جهالكم (وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) (١)

قلت : ويحمل تعميم عملية هذه المرحلة الخبيثة على ما سبق فى المرحلة الرابعة والله أعلم .

ثم قال محمد بن مالك الحمادى بعد ذلك : (هذا ما أطلعت عليه من كفرهم وضلالتهم ، والله تعالى لهم بالمرصاد ، والله تعالى — على شهيد بجميع ما ذكرته مما اطلعت عليه من فعلهم وكفرهم وجهلهم ، والله يشهد على جميع ما ذكرته ، عالم به . ومن تكلم عليهم بباطل فعليه لعنة الله ، ولعنة اللائعين ، والملائكة والناس أجمعين ، وأخزى الله من كذب عليهم وأعد له جهنم وساءت مصيرا ، ومن حكى عنهم بغير ما هم عليه فهو يخرج من حول الله وقوته ، الى حول الشيطان وقوته ، فأديت هذه النصيحة الى المسلمين حسبا ما أوجبه الله على من حفظ هذه الشهادة ، فان الله — سبحانه — أمر بحفظ الشهادة ومراعاتها ، وأدائها الى من يسمعها ، قال الله — سبحانه — : (ستكتب شهادتهم ويسألون) (٢) والله أسأل أن يتوفانا مسلمين ، ولا ينزع عنا الاسلام بعد اذ آتانا الله بفضله ورحمته) (٣)

ألا فليعلم المسلمون ، أن الباطنية — أخزاهم الله — أشد خطرا على الاسلام والمسلمين من عبده الأوثان ، لأنهم يبيطون الكفر ، ويتظاهرون بالاسلام — كما رأيت — ويختفون حتى تمكنهم الوثبة لاظهار الكفر ، وهم ملاحدة بالاجماع . (٤)

(١) سورة فصلت : ٣٥ وأنظر كشف أسرار الباطنية للحمادى ص ١٥ — ١٦ .

(٢) سورة الزخرف آية : ١٩ .

(٣) كشف أسرار الباطنية للحمادى ص ١٦ ومن أراد التوسع فليراجع فضائح الباطنية لآبى حامد الغزالى .

(٤) بلوغ المرام فى تنول اليمن من ملوك وامام للعرشى ص ٢١ — ٢٢ .

وهم يسمون بالاسماعيلية ، لأنهم ينسبون أئمتهم المستورين — كما يزعمون — الى اسماعيل بن جعفر الصادق ، وبالعبيدية لدعائهم الى عبده الله ابن ميمون القداح ، الذى نسبته الباطنية الى ما يزعمون — من الأئمة المستورين .

وبالجملة فللباطنية قضايا شنيعة ، وأعمال فظيعة ، كالإباحية وغيرها ، وأن للشرعية ظاهرا وباطنا فالباطن لا يعلمه الا الامام أو من ينوب عنه ، وأن معنى الكعبة النبى والباب على ، والصفاء النبى والمروة على أيضا ، والميقات الامام ، والتلبية ، اجابة الداعى الى باطنهم ، والطواف بالبيت سبعا هو الطواف بمحمد الى تمام الأئمة السبعة ، وغير ذلك من الرموز الخبيثة .

وهم اذا وجدوا فى أنفسهم قوة أعلنوا الكفر ، وإن غلبوا كضوا كما تكمن الحية فى جحرها ، وهم مع ذلك يوء ملون الهجوم على عباد الله ، وقد تابعهم على ذلك من ذهب عنه نور الاسلام ، واستولى على قلبه هو الشيطان والله المستعان . (١)

موقف أئمة الزيدية وغيرهم من الباطنية :

مما لا شك فيه أن أئمة الزيدية وقفوا موقفا — من الباطنية — يشكرون عليه يشهد لذلك تاريخ اليمن الحافل بمحاسن الأئمة وغيرهم من سلاطين اليمن آل يعفر الحوالبين وبنى زياد وبنى رسول — ضد الباطنية ، فقد دارت الحرب رحاها بين هؤلاء وبين الباطنية فى عصور الوزير وقبله وبعده ، وكانت الحرب — كمعادتها — سجالا — بغض النظر عن الحروب فيما بينهم وكانت الدائرة فى النهاية على الباطنية على يد الأئمة الزيدية فخفت الباطنية من الناحية العسكرية ، لكن — مع الأسف الشديد — لم تخفت من الناحية الثقافية والعقدية ، فأثارها السيئة بل عقيدتها باقية فى بعض البلاد اليمنية وغيرها ، الى يوم الناس هذا ، وقد وقف منهم أئمة الزيدية موقفا قويا صلبا من جميع النواحي ثقافيا وسياسيا وعسكريا واستمرت شوكتهم الى سنة ١٢٧٨ هـ فى حراز وذى مرمر ثم الى سنة ١٢٨٥ هـ . (٢)

(١) أنظر الباطنية للدبلنى ص ١٧ .

(٢) أنظر تاريخ اليمن للواسعى ص ١٦٣ — ١٧٨ — ٢٠٦ . والتحفة العنبرية

ورقة ٦٧ وما بعدها والاكليل للهمداني ج ٢ ص ١٧٨

١٨٤ مع الحاشية للمحقق الاكوع .

فمن الناحية الثقافية بشوا الوعي الاسلامى ضدهم ، وألفوا كتباً كثيرة منها :

١ — مشكاة الانوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار / للامام يحيى بن حمزة

سنة ٧٤٥ هـ طبعت عدة مرات الأخيرة سنة ١٤٠٣ هـ .

٢ — الإفحام لافتدة الباطنية الطغام / له مطبوع .

٣ — الرد على الباطنية / للقاضى حميد الشهيد المحلى .

٤ — القاطعة فى الرد على الباطنية / لمحمد بن يحيى حنش .

٥ — كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة / لمحمد بن مالك الحمادى .

هذه بعض الكتب الخاصة بالرد على الباطنية ، أما الكتب التى تضمنت

الرد عليهم فهى كثيرة كا (العلم الشامخ) للمقبلى ، و (غاية الأمانى)

للسهارى وسائر كتب التاريخ اليمنية .

أما الموء لفون ضد الباطنية — غير اليمنيين — فهم مشهورون ، ومن أشهرهم

الغزالى وكتابه (فضائح الباطنية) .

موقف ابن الوزير من الباطنية :

مما لاشك فيه أن موقف ابن الوزير من الباطنية فى اليمن هو

موقف كل مسلم غيور على دينه وعقيدته ، وبما أن الباطنية لا يجهرون بعقيدتهم ،

إلا لمن وثقوا فيه ، من أتباعهم — بعد العهد والمواثيق — بل ويستخفون

بكتبهم أشد الاستخفاء ، لذلك لم يكن بينهم ، وبين ابن الوزير ولا غيره من

أهل السنة مناقشات ، ولا مناظرات .

وأما الكتب الموء لفة ضدهم المشار اليها سابقاً فهى بعد/تفشى سرهم

واستفحل أمرهم ، وتمت سيطرتهم على بعض المناطق اليمنية ، وبعضهم على معظمها

وبعضهم على جميع القطر اليمنى ، ومع هذا فكتبهم كانت مخفية ، لم يطلع

عليها أحد ، إلا بعد مصادرة ممتلكاتهم بعد الحصار الشديد والحروب

الطاحنة على أيدي أئمة الزيدية وغيرهم من سلاطين اليمن ، لذلك لم

يذكرهم ابن الوزير فى موء لفاته ، إلا على سبيل الاستطراد ، وفى معرض

الذم والتكفير .

وقد وصفهم ابن الوزير — فى عدة مواضع من كتبه — بالالحاد والزندقة

والكذب لأن الكذابين ، إنما يأتون بما يوافق الطباع^(١) ، وابن الوزير لم ينفرد

(١) انظر إشار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٨٩ - ١٢٩ - ١٣٠ - ١٣٥ - ١٣٦

بهذا فقد سبق أن ذكرت حكاية الاجماع على كفرهم وأشارت الى المحضر الذى ذكره ابن كثير وغيره .

واذا اكتفيت بالقول بأن موقف ابن الوزير من الباطنية فى اليمن وغيره موقف علماء المسلمين . فذلك — فى نظرى — كاف ، ولكن إليك هذه النماذج من كلام ابن الوزير :

قال ابن الوزير فى سياق نقده لأهل البدع ، من غلاة المتكلمين ، الذين ضاهوا الباطنية الملحدين فى رد النصوص ، والظواهر ، ورد حقائقها ، الى المجاز ، من غير طريق قاطع على ثبوت الموجب للتأويل ، إلا مجرد التقليد لبعض المتكلمين ، فى قواعد لم يتفقوا عليها حيث قال :

١ — (وأفحش ذلك وأشهره مذهب القرامطة الباطنية فى تأويل الاسماء الحسنى كلها ، ونفيها عن الله — عز وجل — على سبيل التنزيه والتحقيق التوحيد بذلك ، ودعوى أن إطلاقها عليه يقتضى التشبيه ، وقد غالوا فى ذلك ، وبالفحش حتى قالوا إنه لا يقال : إنه موجود ، ولا معدوم بل قالوا إنه لا يعبر عنه بالحروف ، وقد جعلوا تأويلها — أى الأسماء الحسنى — كلها ، إمام الزمان عندهم ، وهو المسمى الله ، والمراد بلا إله إلا الله ، وقد تواتر هذا عنهم ، وأنا ممن وقف عليه فيما لا يحصى من كتبهم التى فى أيديهم ، وخزائنتهم ، ومعاملهم التى دخلت عليهم غوة ، أو فتحت بعد طول محاصرة ، وأخذ بعضها عليهم ، من بعض الطرقات ، وقد هربوا به ، ووجد بعضها فى مواضع قد أخفوه فيها) (١)

ولم يقف ابن الوزير عند حكاية هذا الكلام الباطل فحسب ، بل قرر أن كفرهم معلوم عند جميع المسلمين لأن تأويلهم هذا ليس من العلم فى شئ فقال : (فكما أن كل مسلم يعلم أن هذا كفر صريح ، وأنه ليس من التأويل المسمى بحذف المضاف ، المذكور فى قوله تعالى :

(وأسأل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها) (٢) أى أهل القرية وأهل العير) . (٣)

(١) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٢٩ — ١٣٠ وأنظر مجموع

فتاوى ابن تيمية ج ١٢ ص ٢٠٢ .

(٢) سورة يوسف آية : ٨٢ .

(٣) ايثار الحق ص ١٣٠ .

٢ - وفي أثناء رده على المتأولين لأسماء الله الحسنى أيضا ، ومنها الرحمن الرحيم ، وأنها ثابتان في السبع المثاني المعظمة ، متلوان في جميع الصلوات الخمس ، مجهور بهما في محافل المسلمين مجتمعين على أنهما من أحسن الثناء على الله - تعالى - وأجمله ، ومن أحب المدح إليه ، ولذلك كررا تكريرا كثيرا في أوائل السور وغيرها ، يقول ابن الوزير في هذا المعنى :

(وعظمت الشناعة في إنكار حقيقتهما ، ومدحتهما ، حين وافق ذلك مذهب القرامطة ومذهب أسلافهم من المشركين ، في إنكارهم الرحمن ، ونص القرآن على الرد عليهم في ذلك والصدع بالحق فيه حيث حكى عنهم قولهم : (وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا) فقال عز من قائل : (الله الذي خلق السموات والأرض ، وما بينهما في ستة أيام ، ثم استوى على العرش الرحمن فأسأل به خبيرا ، وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن ، قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا) . (١) وجاءت الصوادر القرآنية مادحة لله تعالى بأعظم صيغ المبالغات في هذه الصفة الشريفة الحميدة ، بأن الله - عز وجل - خير الراحمين ، وأرحم الراحمين) . (٢) أكثر من خمسمائة مرة في القرآن الكريم ، منها باسمه الرحمن ، أكثر من مائة وستين مرة ، وباسمه الرحيم ، أكثر من مائتي مرة ، وجمعهما للتأكيد مائة وست عشرة مرة . (٣)

(١) سورة الفرقان آية : ٥٩ .

(٢) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٣١ - ١٣٢ .

(٣) ذكر هذه الأرقام ابن الوزير في الايثار ص ١٣٢ معرضا بأهل التأويل .

٣ - ويصور لنا ابن الوزير إنكار الباطنية لأسماء الله الحسنى ، والجنة والنار ، فى مناقشة بينهم وبين المعتزلة والأشعرية على سبيل الإنكار والتفريع ، فى استقباح كل منهما تأويل الطائفة الأخرى ، وأن كل واحدة تُلزم المنكر عليها مثل ما ألزمته ، وهو أن الأشعرية والمعتزلة إذا كفروا الباطنى بانكار الأسماء الحسنى والجنة والنار ، يقول لهم الباطنى : أنا لم أجحدها ، إنما قلت : هى مجاز ، مثل ما أنكم لم تجحدوا الرحمن الرحيم الحكيم ، وإنما قلتم إنها مجاز ، وكيف كفاكم المجاز فى الإيمان بالرحمن الرحيم ، وهما أشهر الأسماء الحسنى أو من أشهرها ، ولم يكفى فى سائرهما ، وفى الجنة والنار ، مع أنهما دون أسماء الله بكثير ؟ !

وكم بين الإيمان بالله وبأسمائه ، والإيمان بمخلوقاته - أى من الفرق - فإذا كفاكم الإيمان المجازى ، بأشهر الأسماء الحسنى ، فكيف لم يكفى مثله فى الإيمان بالجنة والنار والمعاد . (١)

رحم الله ابن الوزير ، لقد أخرج المتأظرين ، وأوقعهم فى فخ التأويل ، فانظر من المنقطع ؟ ومن العار على أى فرقة إسلامية تنقطع أو تهزم أمام الملحدين الطغام .

وهل هذا إلا نتيجة لاستعمال سلاح التأويل ؟ فاعتبروا يا أولى التأويل .

(١) إيثار الحق لابن الوزير ص ١٣٦ ، وانظر المواقف للإيجى فى تأويل الرحمن الرحيم من أنهما بمنزلة الندمان والنديم أى مريد الإنعام على الخلق ، فمرجعها صفة الإرادة ، وقيل : معطى جلال النعم ودقائقها ، فالمرجع حينئذ صفة فعلية ، وهذا هو نص كلام الإيجى فى الموقف الخامس الإلهيات ص ٣٥٧ وأما المعتزلة فتأويلهم وتعطيلهم مشهور .

الباب الثالث

آراء ابن الوزير الاعتقادية

وفيه فصول :

- الفصل الاول : الالهيات .
- الفصل الثاني : الغيبيات .
- الفصل الثالث : النبوات .
- الفصل الرابع : المعارك الكلامية بينه وبين خصومه .
- الفصل الخامس : آرائه في الامامة والسياسة .
- الفصل السادس : موقفه من الابتداع والتقليد .
- الخاتمة وفيها النتائج .

— . —

الفصل الأول : الالهيات

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث :

- تمهيد لمعاني الفطرة : احدى الدلالات على اثبات الصانع .
- المبحث الاول: فى معانى الفطرة .
- المبحث الثانى : طريقة ابن الوزير فى اثبات الصانع .
- المبحث الثالث : طريقة ابن الوزير فى اثبات الأسماء والصفات .

...

تمهيد لمعاني الفطرة احدى الدلالات على اثبات الصانع

اعلم بأن التدين في الانسان أمر فطرى
وقد جاء دين الرسل مؤكدا ومبيناً أمر الفطرة للناس (فأقم وجهك للدين
حنيفاً فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) (١) .
وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
عليه وسلم : (ما من مولود الا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه)
ومن طريق الأعمش بزيادة : (ويشركانه) بدل (ويمجسانه) .
وفى حديث ابن نمير : (ما من مولود يولد الا وهو على الفطرة) .
وفى رواية أبى بكر عن أبى معاوية بزيادة : (حتى يعبر عنه لسانه) .
ومن طريق الدراوردى بزيادة : (فان كانا مسلمين فمسلم كل انسان تلده
أمه يلکزه (٢) الشيطان فى حضنيه (٣) إلا مريم وابنها (٤)) .
وفى رواية للبخارى عن أبى هريرة مرفوعاً بلفظ : (كل مولود يولد على الفطرة
فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه (٥)) .
وقد كانت الأمم السابقة تقر بوجود الصانع من زمن نوح — عليه السلام —
لما حكاه الله — عز وجل — عنهم بقوله : (ولو شاء الله لآنزل ملائكة (٦)) .
وجه الاستدلال من الآيات أنهم مقرون بوجود الله — عز وجل — ان أسندوا
المشيئة إليه سبحانه .
— الى زمن المشركين العرب حال البعثة (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم
مشركون (٧)) .

-
- (١) سورة الروم : ٣٠ .
(٢) لكزه من باب قتل أى ضربه بجمع كفيه فى صدره ، وربما اطلق على جميع البدن
كذا فى حاشية مسلم ٤٥٨ ص ٢٠٤٩ .
(٣) تشنية حضن وهو الجنب وقيل الخاصة ، كذا فى شرح مسلم ج ١٦ ، ص ٢١٠ .
(٤) متفق عليه البخارى كتاب القدر باب الله أعلم بما كانوا عاملين ج ٧ ص ٢١٠-٢١١
ومسلم كتاب القدر باب كل مولود يولد على الفطرة ج ٤ ص ٢٠٤٧ ، صحيح ابن
حبان ج ١ ص ١٩٠-١٩١ مطبعة المجد ط. اولى / ٣٩٠ هـ .
(٥) البخارى كتاب الجنائز باب ما قيل فى أولاد المشركين ج ٢ ص ١٠٤ .
(٦) سورة المؤمنون : ٢٤ .
(٧) سورة يوسف : ١٠٦ .

وكان الجاهليون يحجون الى بيت الله العتيق ، ويقولون في تلبيتهم كما فى صحيح (١) مسلم ، (لبيك لاشريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك) .

ولم أجد فى القرآن الكريم ما يدل على أن الأمم السابقة، أو مشركى العرب، كانوا ينكرون وجود الله تعالى، إلا قول الدهرية القائلين بعدم الحياة الأخرى، (وقالوا ماهى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر) . وفى آية أخرى : (وما نحن بمبعوثين) (٢) .

وقال تعالى إخبارا عن إقرار مشركى العرب بوجوده سبحانه : (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله (٣)) .

فلقد أخذ الله الميثاق على بنى آدم وهم فى عالم الذر، لما خلق آدم، فمسح على ظهره، فأخرج منه ذريته، قائلا لهم : أأست بربكم قالوا بلى شهدنا، (وإن أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ، أو تقولوا إنما أشرك آبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون (٤)) . وللمفسرين عدة أقوال فى المراد بالمأخوذ من هنا، قيل : هم ذرية بنى آدم أخرجهم الله من أصلابهم نسلا بعد نسل ، والمراد بالإشهاد فطرهم على التوحيد ، لأن الله تعالى قال : (وإن أخذ ربك من بنى آدم) ولم يقل من آدم (من ظهورهم) ولم يقل من ظهره . ومن ذهب الى هذا ابن كثير (٥) .

وقيل إن الله - سبحانه - أخرج الأرواح قبل خلق الأجساد ، وأنه جعل فيها من المعرفة ما علمت به ما خاطبها .

وقيل : المراد ببنى آدم هنا آدم نفسه ، والمعنى أن الله - سبحانه - لما خلق آدم مسح ظهره فاستخرج منه ذريته ، وأخذ عليهم العهد وهؤلاء هم عالم الذر ومن ذهب الى هذا وجزم به الشوكانى (٦) .

(١) كتاب الحج باب أمر أهل المدينة بالاحرام من ذى الحليفة ج ٢ ص ٨٤٣ .

(٢) سورة الجاثية : ٢٤ والجزء الاخير من سورة الأنعام : ٢٩ .

(٣) سورة لقمان : ٢٥ .

(٤) سورة الاعراف : ١٧٢-١٧٣ .

(٥) فى تفسير القرآن العظيم له ج ٣ ص ٥٠٦ .

(٦) فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراسة فى علم التفسير للشوكانى ج ٢ ، ص ٢٦٣ ط . الحلبي .

ومن حكى الاقوال وتوقف عن الترجيح القرطبي وقال : هذه آية مشككة (١) .
واعلم أن ظاهر الآية لير فيه دلالة على أن المأخوذ من ظهر آدم وانما هو من بني آدم
وهو ما ذهب اليه ابن كثير وقد سبق ذكره ، ولكن القواعد الاصولية المتفق عليها
تؤيد القول بأن المراد ببني آدم هو آدم نفسه وأن المأخوذ من ذريته وذلك
أن الآية مجملة ، وقد بينتها السنة وهي الوحي الثاني وقد ثبتت عدة أحاديث
تدل على أن الله لما خلق آدم مسح على ظهره فأخرج منه ذريته ولم اجد ما يدل على
أن المسح أو المأخوذ منه غير آدم .

من ذلك ما رواه الامام أحمد في مسنده (٢) عن ابن عباس مرفوعا (إن الله
أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يعني عرفه فأخرج من صلبه كل ذرية
نراها فنشرها بين يديه . . .) .

كما رواه (٣) أيضا عن عمر بن الخطاب مرفوعا بلفظ : (إن الله خلق آدم
ثم مسح ظهره بيمينه واستخرج منه ذرية . . .) .

كما رواه الترمذي (٤) عن عمر أيضا بهذا اللفظ وقال حديث حسن .
ورواه (٥) أيضا عن أبي هريرة مرفوعا من حديث طويل وقال : هذا حديث حسن
صحيح .

ورواه أبو داود (٦) عن عمر بن الخطاب أيضا .
ورواه ابن جرير (٧) مرفوعا وموقوفا من عدة طرق .
كما رواه مالك في الموطأ عن عمر بن الخطاب مرفوعا (٨) .

-
- (١) انظر تفسير القرطبي ج ٣ ص ٢٧٥٠ وما بعدها دار الشعب .
(٢) ج ١ ص ٢٧٢ وهو صحيح لطرقه وشواهد كذا قال الالباني في تخريج احاديث
شرح الطحاوية ص ٢٦٦ .
(٣) المرجع نفسه ص ٤٤-٤٥ وهو صحيح له أربعة طرق كما قال الالباني في المصدر
السابق ص ٢٦٧ .
(٤) سنن الترمذي بتحفة الاحوذى ج ٨ ص ٤٥٦-٤٥٩ تفسير سورة الاعراف .
(٥) المصدر نفسه ج ٨ ص ٤٥٧ .
(٦) سنن ابن داود مع عون المعبود كتاب السنة باب القدر ج ١ ص ٤٧٠-٤٧١ .
(٧) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري ج ٩ ص ١١٠-١١٧ .
(٨) الموطأ / للامام مالك ج ٢ ص ٢٠٧ .

يؤيد ذلك مارواه الشيخان عن أنس مرفوعا : (إن الله يقول لأهون أهمل النار عذابا : لو أن لك ما فى الارض من شئ كنت تفتدى به ؟ قال : نعم ، قال : فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت فى صلب آدم أن لا تشرك بى فأبىست الا الشرك (١)) .

وهذا يتضح القول بأن المراد ببني آدم هو آدم نفسه وأن المأخوذ هين ذريته كما صرحت بذلك الاحاديث الصحيحة السابقة الذكر .

كما يتضح أيضا القول بأن التدين أمر فطرى فى الانسان قبل أن يخرج ممن بطن أمه وأنه الاصل ، ولكن الشياطين منذ عهد آدم ونوح — عليهما السلام — الى يوم الناس هذا لا تزال تغوى الناس عن الجادة السليمة الى الطرق المهلكة ، كما قال — صلى الله عليه وسلم — فيما يرويه عن ربه جل وعلا (. . .) وإنى خلقت عبادى حنفاء (٢) كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم (٣)) ولما سبق فى آية الفطرة وحديثها ، عن أبى هريرة ، من أن اليهودية والنصرانية والمجوسية طائفة على الأصل والله أعلم .

أما انكار الصانع فأمر غريب على كل الديانات السماوية وعلى كل من ينتسب إليها ، ولهذا قال صاحب الظلال مستغريا نسيان حقيقة الفطرة : (ولم يقع أن نسيت الفطرة حقيقة وجود إله الا فى هذه الأيام الأخيرة (٤)) .

قلت : اللهم إلا ما ذكره القرآن الكريم ، عن فرعون اللعين بادعائه الربوبية ووجود الصانع إذ قال : (يا أيها الملاء ما علمت لكم من إله غيرى فأوقد لى ياها ممان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى أطلع إلى إله موسى وإبنى لأظنه من الكاذبين (٥)) .

(١) متفق عليه البخارى كتاب بدء الخلق باب وإن قال ربك للملائكة إبنى جاعل فى الارض خليفة ج ٤ ص ١٠٤ . ومسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب طلب الكافر الفداء بملء الارض ذهباً ج ٤ ص ٢١٦ واللفظ للبخارى .

(٢) اى مسلمين ، وقيل : طاهرين من المعاصى ، وقيل : مستقيمين منيبين لقبول الهداية ، وقيل المراد : حين اخذ عليهم العهد فى الذر ، وقال : (الست بربكم قالوا بلى) النووى شرح مسلم ج ١٧ ص ١٩٧ .

(٣) طرف من حديث طويل رواه مسلم فى كتاب الجنة وصفة نعيمها باب الصفات التى يعرف بها فى الدنيا اهل الجنة واهل النار ج ٤ ص ٢١٩٧ .

(٤) فى ظلال القرآن للشهيد سيد قطب ج ٢ ص ١٥١ دار الشروق .

(٥) سورة القصص : ٣٨ .

ثم قال مرة ثانية : (أنا ربكم الاعلى . فأخذه الله نكال الآخرة والأولى (١)) .
وقال لموسى عليه السلام ، بعد جدال طويل بينهما ألزم الحجة وانقطع
فلجأ الى أسلوب السلطة بقوله (لئن اتخذت الهاء غيرى لاجعلنك من المسجونين (٢)) .

وهذا شيخ الاسلام ابن تيمية يقرر مضمون ما سبق من أن جحود الصانع
أمر طارىء على الفطرة المتضمنة معنى التوحيد بقوله : (ولما كان الاقرار بالصانع
فطريا فان الفطرة تتضمن الاقرار بالله والابانة اليه ، وهو معنى (لا اله الا الله)
فإن الاله هو الذى يُعرف ويُعبد ، ولم يذكر الله جحود الصانع إلا عن فرعون موسى
فإن جحود الصانع لم يكن دينا غالبا على أمة من الأمم قط ، وإنما كان دين الكفار
الخارجين عن الرسالة هو الاشراك (٣))

قلت : وهنا يرد اشكال ، وهو كيف يدعى فرعون الربوبية ، وقد حكى الله
— تعالى — عن قوم فرعون ما يشير الى أنه كان له آلهة بقوله تعالى : (وقال الملاء
من قوم فرعون اتذروا موسى وقومه ليفسدوا فى الارض ويذكركم وآلهتكم (٤)) .
والجواب أن المفسرين اختلفوا فى معنى (وآلهتكم) ف قيل : طاعتك ، ومنه
قوله تعالى : (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله (٥)) أى إنهم
ما عبدوهم ولكن أطاعوهم .

ولما سمع النبىؐ — صلى الله عليه وسلم — عدى بن حاتم يقرأ هذه الآية قال
عدى : إنهم لم يعبدوهم ، فقال صلى الله عليه وسلم : (بلى إنهم حرموا عليهم
الحلال ، وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فتلك عبادتهم إياهم (٦)) .

-
- (١) سورة النازعات : ٢٤—٢٥ .
 - (٢) سورة الشعراء : ٢٩ .
 - (٣) مجموع الفتاوى ج ٢ ص ٦ ، ج ٧ ص ٦٣٠—٦٣١ .
 - (٤) سورة الاعراف : ١٢٧ .
 - (٥) سورة التوبة : ٣١ .
 - (٦) رواه ابن جرير بالفاظ وطرق متعددة ج ١٠ ص ١١٤—١١٥ والترمذى بتحفة
الاحوذى تفسير سورة التوبة ج ٨ ص ٩٢—٩٣ وقال غريب . وابن كثير
فى تفسيره ج ٤ ص ٧٧ .

وقيل : معناه وعبادتك ، وعليه فكان فرعون يُعبد ويُعبد ، يؤيد ذلك قراءة على وابن عباس والضحاك (وإلهتك) وقيل : معنى هذه القراءة (ويزرك وإلهتك) أى وعبادتك ، وأنه كان يُعبد ولا يُعبد (١) .

وقيل : كان له أصنام يأمر قومه بعبادتها تقربا اليه ، وقال : أنا ربكم وربها ، ولذا قال : (أنا ربكم الاعلى) .

وقيل : كانت له بقرة يعبدها فكان إذا استحسنت بقرة أمر بعبادتها ، وقيل : كان يعبد إلهها فى السر (٢) ، وقيل غير ذلك مما يطول ذكره . وبالجملة فإن اللعين تمسك بمجرد الدعوى الكاذبة مغالطة لقومه بل جدا منه ، وهو يعلم أن له ربا هو خالقه وخالق قومه كما جحد هو وقومه الآيات البينات التى جاء بها موسى ، وقالوا إنها سحر وهم يعلمون أنها ليست كذلك وأنه ينطبق على الجميع قول الله تعالى : (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين ، وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين (٣)) .

وقد استيقن ذلك أيضا حينما أدركه الغرق فقال : (آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين (٤)) ولكن هيهات هيهات قبول التوبة فى مثل هذا الموطن لمثل هذا الطاغية .

يؤيد ذلك ما قرره ابن تيمية بقوله : (وكان فرعون فى الباطن عارفا بوجود الصانع ، وإنما استكبر كإبليس وأنكر وجوده ولهذا قال موسى : (لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر (٥)) .

فلما أنكر الصانع وكانت له آلهة يعبدها بقى على عبادتها ، ولم يصفه الله بالشرك وإنما وصفه بجحود الصانع وعبادة آلهة أخرى (٦) .

(١) النص واحد بينما ذكره هنا وما ذكره من قبل مع أنه فسر فى الاول بأن فرعون كان يُعبد ويُعبد وهنا يفسره بأن فرعون كان معبودا فقط وهذا لا يتأتى إلا ببناء على تفسير الاضافة فى (عبادتك) مرة لأنها من اضافة المصدر للفاعل ومرة أنها من اضافة المصدر للمفعول . والله أعلم .

(٢) انظر تفسير ابن جرير ج ٩ ص ٢٥-٢٦ ، تفسير القرطبي ج ٣ ص ٢٦٩٧-٢٦٩٨ ، تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٥٦-٤٥٧ ، فتح القدير للشوكانى ج ٢ ص ٢٣٥ ، الفتوحات الالهية للعجيلى الشهير بالجمال ج ٢ ص ١٧٩ ط . الحلبي .

(٣) سورة النمل : ١٣-١٤ .

(٤) سورة يونس : ٩٠ .

(٥) سورة الاسراء : ١٠٢ .

(٦) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٢ ص ٦٣١ . والجحود : الإنكار مع العلم .

وبهذه المناسبة نرد على الماديين الملحدين الذين ينكرون وجود الله — سبحانه — بحجة أنهم لم يدركوه بحواسهم متصورين أن هذا هو الطريق إليه ، ورموا المؤمنين به بأنهم واهمون وخرافيون ومشوشون وغير علميين ، الى آخر السلسلة من السب والسخرية ، يقولون : إنهم لا يؤمنون الا بما أدركته حواسهم ،

والجواب : أن واقعهم المادى الذى يعيشونه يكذبهم ، فهم — مثلا — يؤمنون بالجاذبية وقوانينها ، ولم يشاهدوها بل رأوا آثارها ، ويؤمنون بالعقل ولم يروه بل رأوا آثاره ، ويؤمنون بالمغناطيسية ، وقد شاهدوا — فقط — انجذاب الحديد الى الحديد ، دون رؤية الجاذب .

ومن طرائف أجوبة الفطرة على مثل هذا ما يأتى :

(يقال : إنها وقعت فى مدرسة ابتدائية ، حيث وقف معلم ابتدائى يقول لطلاب السنة السادسة مامعناه :

أترونى ؟ قالوا : نعم . قال : فإن أنا موجود .

أترون اللوح ؟ قالوا نعم . قال : فاللوح موجود .

أترون الطاولة ؟ قالوا : نعم . قال : إذن فالطاولة موجودة .

قال : أترون الله ؟ قالوا : لا . قال : فالله إذن غير موجود .

فوقف أحد الطلاب الأذكى وقال : أترون عقل الاستاذ ؟ قالوا : لا . قال :

فعقل الاستاذ إذن غير موجود (١) .

وقد حدثنا القرآن الكريم أن الكافرين فى كل عصر يشترطون للإيمان أن يحسوا بالله عن طريق السمع أو الرؤية ، ذاكرا علل هذا لاشتراط ، وهى ذاتها الامراض التى ينتج عنها هذا التصور الفاسد والكلام الخاطى .

ويحدد القرآن أسباب هذا الطلب بأنها الجهل والكبر والانحراف والظلم :

١- الجهل (وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تأتينا آية كذلك قال الذين

من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون (٢)) .

٢- الكبر (وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا

فى أنفسهم وعتوتوا كبيرا ، يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون

حجرا محجورا (٣)) .

(١) الله جل جلاله لسعيد حوى ص ٩-١٢ ط . اولى بيروت سنة ١٣٨٩ هـ .

(٢) سورة البقرة : ١١٨ .

(٣) سورة الفرقان : ٢١-٢٢ .

- ٣- الانحراف (وقال فرعون ياها مان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب ، أسباب السموات فأطلع الى إله موسى وإني لأظنه كاذبا . وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وماكيد فرعون إلا فى (١) .
- ٤- الظلم (وان قلت يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون (٢) .
- وفى آية أخرى (فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم (٣) . .

— . —

(١) سورة غافر : ٢٦-٢٧ .
(٢) سورة البقرة : ٥٥ .
(٣) سورة النساء : ١٥٣ وانظر الله جل جلاله / ص ٩-١٢ .

المبحث الأول

فسي

معاني الفطيرة

من الجدير بنا أن نتعرض لبيان معاني الفطرة إذ هي من أعظم الأدلة وأوضحها على وجود الله - عز وجل - فنقول وبالله التوفيق :

اختلف علماء التفسير والحديث في معنى الفطرة الواردة في قول الله تعالى :

(فطرنا الله التي فطر الناس عليها (١)) وفي قوله صلى الله عليه وسلم :
(ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء) ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه - واقرأوا ان شئتم فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله (٢) .

١- فقيل : هي الاقرار بمعرفة الله تعالى ، وهو العهد الذي أخذه الله على بنى آدم لما مسح على ظهر آدم فأخرج ذريته الى يوم القيامة (وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى (٣)) ، فليس أحد إلا وهو يقربان له صانعا ومديرا ، وإن سماه بغير اسمه ، فكل مولود يولد على ذلك الاقرار الاول ، وهو قول الاوزاعي وسحنون والفراء وحاماد ورواية عن أحمد (٤) .

٢- وقيل الفطرة الحنيفية ملة ابراهيم التي خلق الله الخلق عليها ، لحديث أبي هريرة السابق ، ولحديث عياض بن حمار (٥) عن النبي صلى الله عليه وسلم - فيما يرويه عن ربه - عز وجل - (خلقت عبادي حنفاء (٦)) وهذا ما ذهب اليه أبو بكر النقاش وابن تيمية في بعض المواضع (٧) .

(١) سورة الروم : ٣٠ .

(٢) متفق عليه البخارى كتاب القدر باب الله اعلم بما كانوا عاقلين ج ٧ ص ٢١٠-٢١١ ، كتاب الجنائز باب اذا أسلم المصطفى فمات هل يصل على ج ٢ ص ٩٦-٩٧ ، ومسلم كتاب القدر باب كل مولود يولد على الفطرة ج ٤ ص ٢٠٤٧ واللفظ له وسنن ابى داود معجم المعبود ج ١٢ ص ٤٨٦ وسنن الترمذى بتحفة الاحوذى ج ٦ ص ٣٤٤ .

(٣) سورة الاعراف : ١٧٢ .

(٤) انظر شفاء العليل لابن القيم ص ٥٩٢ ، فتح البارى ج ٣ ص ٢٤٩ ، معالم السنن للخطابى ج ٧ ص ٨٩ - النهاية لابن الاثير ج ٣ ص ٤٥٧ .

(٥) هو احد الصحابة أهدى الى النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يسلم فلم يقبل منه ، سكن البصرة وابوه باسم الحيوان المشهور وقد صفه بعض المتنطعين لظنه ان أحد لا يسمى بذلك . الاصابة لابن حجر مع الاستيعاب لابن عبد البر ج ٧ ص ١٧٥
(٦) طرف من حديث طويل رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا اهل الجنة واهل النار ج ٤ ص ٢١٩٧ .

(٧) انظر مجموعة الرسائل المنيرية الرسالة التاسعة ج ٢ ص ١٩٣ ، مجموع فتاوى ابن تيمية ج ١٦ ص ٣٤٥ .

٣ - وقيل هي البداءة التي ابتدأهم الله عليها أي للحياة والموت والسعادة والشقاء وإلى ما يصيرون إليه عند البلوغ ، لأن الفطر في كلام العرب الابتداء والاختراع ، والفطرة الحالة منه كالجلسة والركبة ، والفاطر المبتدى ، ويقول ابن عباس : (لم أكن أدرى ما فطر السموات والأرض حتى أتى أعرابيان يختصمان في بشر فقال أحدهما : أنا فطرتها أي ابتدأتها (١)) . قال القرطبي : (قال المروزي : كان أحمد بن حنبل يذهب إلى هذا القول ثم تركه) ، وحكاها الحافظ وزاد : (إن آخر قولي أحمد أن المراد بالفطرة الاسلام (٢)) .

وتعقب هذا القول ابن تيمية بأن حقيقته : أن كل مولود فانه يولد على فطرة ماسبق في علم الله أنه صائر إليه .

ومعلوم ان جميع المخلوقات بهذه المثابة ، فجميع البهائم مولودة على ماسبق في علم الله لها ، والاشجار مخلوقة على ماسبق في علم الله ، وحينئذ فيكون كل مخلوق قد خلق على الفطرة .

وأیضا فلو كان المراد ذلك لم يكن لقوله (فأبواه يهودانه) معنى فانهما فعلا به ما هو الفطرة التي ولد عليها .

وعلى هذا القول فلا فرق بين التهود والتنصير وبين تلقى الاسلام وتعليمه ، وبين تعلم سائر الحرف والصنائع فان ذلك كله واحد فيما سبق به العلم .

وأیضا فتشيله صلى الله عليه وسلم بالبهيمة التي ولدت جمعا ثم جدعت يمين أن أبويه غيرا ما ولد عليه (٣) .

وهو مخالف للحديث القدسي (. . .) واني خلقت عبادة حنفا كلهم (٤) . كما يؤخذ على القول بالبداءة بانه مصير من القائلين به الى معنى الفطرة لغة وإعمال معناها شرعا ، والمعنى الشرعي مقدم على المعنى اللغوي باتفاق

(١) انظر تفسير القرطبي ج ٦ ص ٥١٠٦-٥١٠٧ شفا العليل/ص ٦٠٥ ، النهاية لابن الاثير ج ٣ ص ٤٥٢ .

(٢) انظر تفسير القرطبي ج ٦ ص ٥١٠٦-٥١٠٧ ، فتح الباري ج ٣ ص ٢٤٩ - النهاية لابن الاثير ج ٣ ص ٤٥٢ .

(٣) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٤ ص ٢٤٣ ، شفا العليل/ص ٦٠٥-٦٠٦ .

(٤) طرف من حديث طويل رواه مسلم في كتاب الجنة باب الصفات التي يعرف بها أهل الجنة وأهل النار ج ٤ ص ٢١٩٧ .

أهل الشرع ، ولا ينافي ذلك ورود الفطرة في الكتاب والسنة في بعض المواضع مراداً بها المعنى اللغوي كقوله تعالى : (الحمد لله فاطر السموات والارض) أى خالقهما ومبتديهما ، وكقوله : (ومالى لا أعبد الذى فطرني (١)) ان النزاع في ان المعنى اللغوي هو هذا . ولكن النزاع في المعنى الشرعي للفطرة (٢) الذى سيأتى بيانه ان شاء الله تعالى .

٤- وقيل ان الفطرة : (هى السلامة من الاعتقادات الباطلة ، والقبول للعقائد الصحيحة ، وهذه فطرة الاسلام التى فطر الله الخلق عليها يوم قال : (أأست بربكم قالوا بلى) فان حقيقة الاسلام ان يستسلم لله لا لغيره ، وهو معنى (لا اله الا الله) . وقد ضرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فقال : (كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟) ثم يقول أبوهريرة رضى الله عنه ، واقرأوا ان شئتم (فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله (٣)) .

فقد بين أن سلامة القلب من النقص كسلامة البدن ، وأن العيب حادث طارىء . (٥٠) .

وهذا ما ذهب اليه شيخ الاسلام ابن تيمية (٤) ، وقرر معناه تلميذه ابن كثير في تفسيره (٥) .

فأنت ترى أن شيخ الاسلام جمع بين السلب والايجاب ، وكأنهما متتابعان ، ان السلامة من الاعتقادات الباطلة تهيب * لقبول العقائد الصحيحة ، واذا أُمعنت النظر في العبارتين اللتين توحى إحداهما بالسلب والاخرى بالايجاب فستجد أن أولاهما تهيب وتعد لأخراهما لأن قبول العقائد الصحيحة لا بد فيه من التخلي عن العقائد الفاسدة .

وقد فسر هذا بأنه فطرة الاسلام لان حقيقته الانقياد لله وحده .

(١) سورة يس : ٢٢ .

(٢) انظر فتح القدير للشوكاني ج ٤ ص ٢٢٤ .

(٣) سورة الروم : ٣٠ والحديث متفق عليه البخارى كتاب القدر باب الله اعلم بما كانوا عاملين ج ٧ ص ٢١١ ، مسلم كتاب القدر باب كل مولود يولد على الفطرة

ج ٤ ص ٢٠٤٧ .

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٤ ص ٢٤٥ .

(٥) ج ٦ ص ٣٢٠ .

أما الامام النووي فقد ذكر اقوالا كثيرة فى معنى الحديث المذكور (١) ، ورجح ان كل مولود يولد متهيئا للاسلام .

إلا أنه خاطب بين معنى الفطرة الذى يهنا وبين ما يتضمن الحديث من الاحكام التى سيأتى الكلام عليها عقب المقارنة بين كلامه وبين كلام ابن تيمية وذلك أنك إذا ماقارنت بينهما تجد أن قول النووي : (كل مولود يولد متهيئا للاسلام) يتفق مع قول ابن تيمية : (والسلامة من العقائد الفاسدة) ، وهذه فطرة الاسلام) ، كما أن التهيؤ للاسلام هو بمعنى عدم القبول للعقائد الباطلة .

ثم ذكر النووي ما يتضمنه الحديث من الأحكام ، منها أن من كان أبواه أو أحدهما مسلما استمر على الاسلام فى أحكام الآخرة والدنيا ، وإن كان أبواه كافرين جرى عليه حكمهما فى أحكام الدنيا ، وهذا معنى (يهودانه وينصرانه ويمجسانه) أى يحكم له بحكمهما فى الدنيا ، فان بلغ استمر عليه حكم الكفر ودينهما ، فان كانت سبقت له سعادة أسلم ، وإلا مات على كفره ، وإن مات قبل بلوغه فهل هو من أهل الجنة أم النار ، أم يتوقف فيه ؟ ذكر فى ذلك ثلاثة مذاهب :

الاول : أنهم فى النار تبعا لأبائهم ، وهو قول الاكثرين لحديث (. . هم مع آبائهم) وفى لفظ : (هم من آبائهم) (٢) .
الثانى : التوقف .

الثالث : أنهم من أهل الجنة ، ورجح النووي هذا لأنه مذهب المحققين ، ولحديث الخليل عليه السلام حين رآه النبى - صلى الله عليه وسلم - (. . فى الجنة وحوله أولاد الناس ، قالوا يارسول الله وأولاد المشركين قال : وأولاد المشركين (٣)) .
ولقوله تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا (٤)) .

(١) انظر شرح مسلم ج ١٦ ص ٢٠٨ وكان من حق كلام النووي ان يذكر قبل كلام ابن تيمية ولكن لضرورة الاتباط بين كلام النووي وبين ما بعده وضعته هكذا .

(٢) سنن ابن داود كتاب السنة باب فى ذرارى المشركين ج ١٢ ص ٤٨٤ ، مسند أحمد ج ٦ ص ٨٤ ج ٥ ص ٧٣ من حديث عائشة رضى الله عنها .

(٣) طرف من حديث طويل رواه البخارى فى كتاب التعبير باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح ج ٨ ص ٨٤-٨٦ مسند أحمد ج ٥ ص ٩ .

(٤) سورة الاسراء : ١٥ .

قلت : ولحديث الاسود بن سريع رضى الله عنه لما نهى النبی علیه الصلاة والسلام - عن قتل الصبيان ، فقيل : إنهم أولاد المشركين فقال : (وهل خياركم إلا أولاد المشركين ، والذي نفس محمد بيده ما من نسمة تولد إلا على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها (١)) .

وفي صحيح ابن حبان (٢) من طريق الهيثم عن الاسود بلفظ : (أوليس خياركم أولاد المشركين ؟) .

(١) مسند الامام احمد ج ٣ ص ٤٣٥ سنن البيهقي الكبرى ج ٩ ص ١٣٠ قال الامام احمد : حدثنا يونس حدثنا ابان عن قتادة عن الحسن عن الاسود بن سريع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية يوم حنين فقاتلوا المشركين فافضى بهم القتل الى الذرية فلما جاءوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما حملكم على قتل الذرية ؟ قالوا يا رسول الله انما كانوا أولاد المشركين قال : وهل خياركم إلا أولاد المشركين) . وهذا الاسناد صحيح فيونس هو ابن محمد بن مسلم البغدادي المؤدب بالحافظ شيخ الامام احمد قال يعقوب بن شيبة ثقة ثقة وقال ابن معين ثقة . وقال الحافظ ابن حجر ثقة ثبت روى له الجماعة . انظر تهذيب الكمال للمزى ج ٣ ص ١١٧١ ثلاثة مجلدات قدم له رباح والدقاق تصوير دار المأمون للتراث ، والتاريخ الكبير للامام البخاري ج ٨ ص ٤١٠ تصوير لبنان عن طبعة المكتبة الاسلامية بتركيا ، وتاريخ بغداد ج ١٤ ص ٣٥٠ ط . المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ٣٦١ . وأبان بن يزيد قال احمد ثبت في كل المشايخ وثقه ابن حجر والنسائي وابن المديني والعجلي وابن حبان . انظر هدى الساري لابن حجر ص ٣٨٧ طبعة المكتبة السلفية بالمدينة المنورة . وانظر الميزان للذهبي ج ١ ص ١٦ ، وتهذيب الكمال ج ١ ص ٤٨ ، وطبقات ابن سعد ج ٧ ص ٢٨٤ ، تقديم احسان عباس ط . بيروت ، والجرح والتعديل لابن ابى حاتم ج ٢ ص ٢٩٩ و قتادة بن دعامة السدوسي البصري كان يضرب به المثل في الحفظ قال ابن المسيب ما أتنا عراقي أحفظ من قتادة . وقال ابن معين حافظ ثقة ثبت لكنه مدلس . وقال الذهبي احتج به أصحاب الصحاح وقال ابن حجر ثقة ثبت . انظر تهذيب الكمال ج ٢ ص ١١٢١ ، تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٢٢ ، ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٣٨٥ ، تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٨ ص ٣٥١ .

والحسن سيد التابعين في زمانه بالبصرة كان ثقة في نفسه حجة رأسا في العلم والعمل قال الحافظ ثقة فقيه فاضل مشهور وكان يرسل كثيرا ويدلس . وقال ابن سعد كان عالما جامعاً رفيعاً ثقة مأموناً وقال ابن المديني مراسلات الحسن البصري التي رواها عنه الثقات صحاح ما اقل ما يسقط منها ، وقال الذهبي كان ثقة في نفسه بدرت منه هفوة في القدر لم يقصدها لذاتها وصرح عنه الرجوع عنها لأنها زلقة لسان . انظر الميزان ج ١ ص ٢١٠-٢٢٧ هـ وتهذيب التهذيب ج ٢ ص ٢٧٠ .

(٢) ج ١ ص ١٩٣ وانظر التعليق على الحديث ص ١٩٤-١٩٥ مطبعة المجد ط . اولى سنة ١٣٩٠ هـ .

ثم ذكر العلة التي من أجلها كان هذا الحديث وهى قوله صلى الله عليه وسلم :
(عجب ربنا من أقوام يقادون الى الجنة فى السلاسل (١) . أى السبى الذين يسبيهم
المسلمون من دار الشرك مكتفين فى السلاسل إلى دور الاسلام ، ولهذا المعنى
أراد صلى الله عليه وسلم فى حديث الاسود : (أوليس خياركم أولاد المشركين ؟) والمراد
أوليس من خياركم ؟

ورواه البخارى (٢) أبى هريرة مرفوعا بلفظ : (عجب الله من قوم يدخلون الجنة
فى السلاسل) .

أما ابن كثير (٣) فقد ذكر أربعة مذاهب ، الثلاثة التى ذكرها النووى ، والرابع
أنهم من أهل الاعراف ، ولكن ما لهم إلى الجنة لأن الاعراف ليست دار قرار ، كما
أكثر من ذكر الاحاديث المتعلقة بتفسير الآية السابقة فى مصير أولاد المشركين
وسياقى الراجح من مذهبه عند الكلام على مسألة الامتحان ان شاء الله تعالى .

أما ابن الوزير فلم يصح عنده فى تعذيب أطفال المشركين بذنوب آبائهم ولا بغير
ذنب منهم - حديث قط ، ولا صح ذلك عند من ينظر اليه من أهل السنة ، وإنما
قالت طوائف منهم بأقوال محتملة .

وقد أيد ما ذهب اليه النووى وبالف فى نصرته ، لأنه يتفق مع عدل الله تعالى
وحكمته فى الجملة ، واستدل بما ذكره النووى من الآية والحديث السابق ذكرهما .
وجزم ابن الوزير بأن حديث الخليل حاسم للخلاف فقال :
(وهذا نص فى موضع النزاع من أصح كتب الاسلام عند أئمة الحديث (٤)) .

قلت : وهو جزم فى محله للتعليل الذى ذكره ابن الوزير ، ويؤيده حديث الاسود
ابن سريع الاتف الذكر .

وقد ذكر الحافظ فى هذه المسألة عشرة أقوال ، ومال الى القول بمسألة الامتحان ،
لما رواه البزار عن حديث أنس وأبى سعيد والطبرانى من حديث معاذ (انهم يمتحنون
فى الآخرة بأن ترفع لهم نار ، فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ومن أبى عذب) .

(١) المصدر السابق نفسه أى صحيح بن جابر ج ١ ص ١٩٢

(٢) فى كتاب الجهاد باب الاسارى فى السلاسل ج ٤ ص ٢٠ .

(٣) فى تفسيره ج ٥ ص ٥٦-٥٧ .

(٤) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ج ٢ ص ٣٧٣ .

كما أورد هذا الحديث ابن كثير عن أبي سعيد ومعاذ مطولا في تفسيره (١).
قال الحافظ : (وقد صحت مسألة الامتحان في حق المجنون ومن مات في الفترة
من طرق صحيحة ، وحكى البيهقي في (الاعتقاد) أنه المذهب الصحيح (٢) ، وتعقب
بأن الآخرة ليست دار تكليف ، فلا عمل فيها ولا ابتلاء .

وأجيب بأن ذلك بعد أن يقع الاستقرار في الجنة أو النار . وأما في عرصات
القيامة فلا مانع من ذلك (٣) .

وأيد مسألة الامتحان في عرصات القيامة : ابن تيمية ، ولكن بارسال رسول
فمن أجابه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار . وقال : (هذا أجود ما قيل فسي
أطفال المشركين وعلية تنزل جميع الأحاديث) . وتبعه تلميذاه ابن القيم وابن كثير (٤)
وذكر الأخير أن هذا مذهب أهل السنة والجماعة ، حكى ذلك عن الشيخ أبي الحسن
الاشعري . ولم أجد ذلك في (المقالات) له بل قال : (امرهم إلى الله إن شاء
عذبهم وإن شاء فعل بهم ما أراد) ، ولكن وجدت في (الإبانة) ما لفظه : (وقولنا
في أطفال المشركين : إن الله يؤجج لهم في الآخرة نارا ثم يقول لهم اقتحموها
كما جاءت بذلك الرواية (٥)) .

واعلم ان الخلاف في مسألة الامتحان في عرصات القيامة عام لأطفال المشركين
والمعتوه والشيخ الخرف وأهل الفترة الذين لم تبلغهم الدعوة لاشتغال الأحاديث
على عموم الاصناف المذكورة ذكر منها ابن كثير عشرة أحاديث بأسانيد هــ

- (١) انظر فتح الباري ج ٣ ص ٢٤٦ تفسير ابن كثير ج ٥ ص ٥٢-٥٣-٥٥٥ .
- (٢) لم أجد هذه العبارة في كتاب الاعتقاد للبيهقي وإنما قال بعد ان ذكر حديث
الاسود بن سريع وفيه ذكر الاصم والاحق ومن مات في الفترة وقال هذا السنن
صحيح ولعل الحافظ رحمه الله يريد هذه العبارة والله اعلم . وانظر الاعتقاد
للبيهقي ص ١٦٩ .
- (٣) فتح الباري لابن حجر ج ٣ ص ٢٤٦ .
- (٤) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٤ ص ٢٤٦-٢٤٧ ، تفسير ابن كثير ج ٥ ص ٥٥ ،
تهذيب معالم السنن لابن القيم ج ٢ ص ٢٧ تحقيق محمد حامد الفقي مطبعة
السنة المحمدية .
- (٥) مقالات الاسلاميين لابن الحسن الاشعري ج ١ ص ٣٤٩ ، الابانة عن اصول الديانة
لابن الحسن الاشعري ص ٢٨ طريق المهجرتين/ص ٨٩ ٦٠ .

منها حديث الاسود بن سريع أن نبي الله صلى الله عليه وسلم - قال : (أرى عساة يحتجون يوم القيامة رجل أصم لا يسمع شيئاً ، ورجل أحمق ، ورجل هرم ، ورجل مات في فترة ، فأما الأصم فيقول : رب قد جاء الاسلام وما أسمع شيئاً ، وأما الأحمق فيقول : رب لقد جاء الاسلام والصبيان يحذفوني بالبعر ، وأما الهرم فيقول : رب لقد جاء الاسلام وما أعقل شيئاً ، وأما الذي مات في الفترة فيقول : رب ما اتاني لك رسول فيأخذ مواثيقهم ليطيعنهم ، فيرسل اليهم أن ادخلوا النار ، فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً) .

وبالاسناد عن قتادة عن الحسن عن ابي رافع عن ابي هريرة مثل هذا الحديث غير أنه قال في آخره : (من دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ، ومن لم يدخلها يسحب اليها (١)) .

ورواه البيهقي في كتاب الاعتقاد (٢) من طريق ابن المديني وقال هذا اسناد صحيح .

ومن طريق اخرى عن أنس مرفوعاً : (يؤتى يوم القيامة بمن مات في الفترة والشيخ الفاني والمعنوه والصغير الذي لا يعقل فيتكلمون بحجتهم وعذرهم ، فيأتى عنق من النار فيقول لهم ربهم إني كنت أرسل إلى الناس رسلاً من أنفسهم ، وإني رسول نفسي إليكم ادخلوا هذه النار فأما من كتب عليهم الشقاوة فيقولون ربنا منها فرنا ، وأما أهل السعادة فينطلقون حتى يدخلوها فيدخل هؤلاء الجنة ويدخل هؤلاء النار فيقولون للذين كانوا لم يطيعوه قد أمرتكم أن تدخلوا النار فعصيتوني ، وقد عاينتوني فأنتم لرسلي كنتم أشد تكذيباً (٣) .

(١) مسند الامام احمد ج٤ ص ٢٤ قال ابن حجر الهيتمي ورجاله رجال الصحيح ، كذا في مجمع الزوائد ج٤ ص ٢١٦ .

(٢) ص ١٦٩ وهذا لفظ المسند غير كلمة (يحتجون) لم اجدها فيه بل ذكرها ابن كثير وفي الاعتقاد ، بدلها (يعني يدلون على الله بحجة) ولعل هاتين العبارتين مدرجتان من بعض الرواة . والله أعلم .

(٣) الاعتقاد للبيهقي ص ١٦٩-١٧٠ . قال في مجمع الزوائد رواه ابو يعلى والبزار بنحوه وفيه ليث بن ابي سليم وهو مدلس وبقية رجال ابي يعلى رجال الصحيح ج ٧ ص ٢١٦ من المجمع قلت : وقد عنعن ليث في هذا الحديث كما هو واضح في الاعتقاد .

فما منشأ خلاف ؟ الظاهر - والله أعلم - أن ذلك متعلق بدرجة الأحاديث الواردة في ذلك من حيث الصحة والضعف لا من حيث التعارض فمن قرر ضعفها وعدم الاحتجاج بها أبو عمر بن عبد البر لأن أهل العلم ينكرونها .

أما من حيث النظر فقد سبق أن الآخرة دار جزاء لا دار تكليف .
وأجيب بأن الأحاديث الواردة في ذلك منها ما هو صحيح نص على ذلك غير واحد من أئمة العلماء منهم البيهقي، وابن حجر، والهيثمي، ومنها ما هو حسن، ومنها ما هو ضعيف، يقوى بالصحيح والحسن، وهذا ما قرره ابن كثير ومن معه، رداً على ابن عبد البر ومن معه .
ومن العلماء من صح عنه حديث الامتحان بالنار في حق المجنون ومن مات في الفترة منهم الحافظ ابن حجر والبيهقي وأن من دخل النار كانت عليه بردا وسلاما ، ومن لم يدخلها يسحب إليها كما سبق ذلك كما في حديث أبي هريرة .
ومنهم من رجح حديث الامتحان بارسال رسول في عرصات القيامة فمن أجابهم دخل الجنة ومن عصاه دخل النار .

وهذا ما ذهب إليه شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذاه ابن القيم وابن كثير (١) وهذا الأخير سرد عشرة احاديث كلها متعلقة بتفسير قوله تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) . ولم يذكر حديث الامتحان الذي استدل به ابن تيمية .

أما ابن الوزير (٢) فقد توقف في الحكم على مسألة الامتحان بقسميها العرض على النار أو إرسال رسول بعد أن أورد الاحاديث المتعلقة بأهل الفترة وأطفال المشركين وأقوال العلماء في ذلك ، إذ لا حجة واضحة عنده على أن هذه الاحاديث موضوعة يجوز الجزم بتكذيبها ، وسنة الله تعالى في إقامة الحجج على خلقه لا تحيل هذا إحالة قاطعة، كما تحيل تكليف المحال .

وقد قال الله تعالى : (يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون) (٣) فأثبت تكليفاً بذلك السجود يوم القيامة . وقد ثبت أن الميت يمتحن ويسأل عن الشهادتين فيثبت الله المؤمن بالقول الثابت ، ويتلجلج الكافر والمنافق أو يقول لا أدري .

(١) انظر تفسير ابن كثير ج ٥ ص ٥٥ طريق الهجرتين/ص ٦٧٤-٦٨٩ وما بعدهما .
(٢) انظر ايثار الحق/ج ٢ ص ٣٧٥ وانظر التفاصيل في العواصم للرجز وهم ٣٠ ، البروض الباسم للرجز ص ١٨١-١٨٦ .
(٣) سورة القلم : ١٢ .

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : سمعت النبى
- صلى الله عليه وسلم - يقول : (يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة
ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياءً وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً (١)) .
٥ - وقيل : إن الفطرة هي الخلقة (٢) التي خلق عليها المولود في المعرفة بربه ، فكأنه
قال : كل مولود يولد على خلقة يعرف بها ربه اذا بلغ مبلغ المعرفة ، أى خلقة مخالفة
لخلقة البهائم التي لاتصل بخلقتها الى معرفته ، وحجتهم على أن الفطر بمعنى
الخالق قوله تعالى : (الحمد لله فاطر السموات والارض) يعنى خالقهن . وقوله تعالى :
(وما لى لا أعبد الذى فطرنى) (٣) فالفطرة الخلقة ، وأنكروا أن يكون المولود يفسر
على كفر أو ايمان أو معرفة أو انكار وإنما المولود على السلامة فى الأغلب خلقة وطبعاً وبنيّة ،
وإنما يعتقدون الكفر والايان بعد البلوغ .

واحتجوا بقوله - صلى الله عليه وسلم - فى الحديث السابق (كما تنتج البهيمة
بهيمة جمعاء - سالمة - هل تحسون فيها من جدعاء) يعنى مقطوعة الاذن ، فكذلك
قلوب الاطفال فى حين ولا دتهم ليس لهم كفر ولا ايمان ولا معرفة ولا إنكار كالبهائم
السائمة ، فلما بلغوا استهوتهم الشياطين ، فكفر أكثرهم ، وعصم الله أقلهم (٤) .
قالوا : ولو كانت الاطفال قد فطروا على شىء من الكفر والايان فى أولية أمورهم
ما انتقلوا عنه أبداً .

وقد نجد هم يؤمنون ثم يكفرون ، ويستحيل فى المعقول أن يكون الطفل فى حين
ولا دته يعقل كفر أو ايماناً لأن الله أخرجهم فى حال لا يفقهون معها شيئاً (واللهم
أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئاً (٥)) . فمن لا يعلم شيئاً استحال منه
كفر أو ايمان أو معرفة أو انكار .

-
- (١) البخارى تفسير سورة القلم ج ٦ ص ٧٢ .
(٢) الخلقة فى اللغة : الفطرة : القاموس المحيط للفيروز ابادى ج ٢ ص ٢٢٩ .
(٣) سورة يس : ٢٢ .
(٤) تفسير القرطبي ج ٦ ص ٥١٠٨ وانظر شفاء العليل لابن القيم ص ٦٠٤-٦٠٥ والرسالة
التاسعة ضمن مجموعة الرسائل المنيرية المجلد الثانى ص ٩٢ وما بعدها .
(٥) سورة النحل : ٧٨ .

قال القرطبي : (قال أبو عمر بن عبد البر : هذا اصح ما قيل في معنى الفطرة التي يولد الناس عليها) وأيد القرطبي هذا بقوله : (ويستحيل ان تكون الفطرة المذكورة الاسلام ، لأن الاسلام والايمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح وهذا معدوم من الطفل لا يجهله ذو عقل والله تعالى يقول : (إنما تجزون ما كنتم تعملون) (١) (كل نفس بما كسبت رهينة) (٢) . ومن لم يبلغ وقت العمل لم يرتبهن بشئ وقال : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) (٣) .

ومن ذهب الى هذا القول ابن عطية وابوالعباس شيخ القرطبي وعلم ذلك بقوله : (ان الله تعالى خلق قلوب بني آدم مؤهلة لقبول الحق ، كما خلق اعينهم واسماعهم قابلة للمرثيات والمسوعات ، فمادامت باقية على ذلك القبول ، وعلى تلك الأهلية أدركت الحق ودين الاسلام ، وهو الدين الحق ، وقد دل على هذا المعنى قوله : (كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاً هل تحسون فيها من جدعاء) يعني ان البهيمة تلد ولدها كامل الخلقة سليماً من الآفات ، فلو ترك على أصل تلك الخلقة لبقى كاملاً بريئاً من العيوب، لكن يتصرف فيه فيجدع أذنه ويوسم وجهه فتطراً عليه الآفات والنقائص فيخرج عن الأصل ، وكذلك الانسان ، وهو تشبيه واقع ووجه واضح (٤) .

وقد نسب الحافظ (٥) هذا الكلام الى القرطبي وهو نسبه الى شيخه ، ولعمل صاحب البيت أدري بما فيه . والله أعلم .

قلت : لهذا القول وجهته في المنقول والمعقول ولولا مخالفته لقول جماهير السلف ودعوى الاجماع على خلافه لكان أقوى الاقوال لقوة ما يعتمد عليه من السمع والعقل .

لكن اذا قارنت بين تعليل القرطبي وأشيخه وهو قوله : (ان الله تعالى خلق قلوب بني آدم مؤهلة لقبول الحق كما خلق اعينهم واسماعهم قابلة للمرثيات . .) وبين

(١) سورة الطور : ١٦ .

(٢) سورة المدثر : ٣٨ .

(٣) سورة الاسراء : ١٥ .

(٤) تفسير القرطبي ج ٦ ص ٥١٠٩ - ٥١١١ .

(٥) انظر فتح الباري ج ٣ ص ٢٤٩ .

كلام النووى السابق وهو قوله : (إن كل مولود يولد متهيئا للإسلام) وبين كلام ابن تيمية أيضا وهو قوله : (الفطرة هي السلامة من الاعتقادات الباطلة ، والقبول للعقائد الصحيحة) تجد معاني هذه الالفاظ واحدة او متقاربة ويكون هذا من باب الخلاف اللفظي لا المعنوي ، لأنك اذا قلت : خلق الله قلوب بني آدم مؤهلة لقبول الحق هي تساوى أو ترادف قولك : كل مولود يولد متهيئا للإسلام .

وقد سبقت المقارنة بين عبارتي الامام النووى وشيخ الاسلام قريبا .

٢- وقيل إن الفطرة التي فطر الله الناس عليها هي دين الاسلام ينص الكتاب والسنة وهذا ما صرح به ابن الوزير بقوله : (إن الله تعالى قد نص على دين الاسلام أنه الفطرة قال تعالى : (فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم (١)) .

واتفق اهل الحديث على صحة حديث ابى هريرة في ذلك . وهو قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه (٢)) .

وقد ذكر البغوى في تفسير هذه الآية الكريمة عن أكثر أهل السنة أنها على عمومها في السعداء والأشقياء ، واحتج لهم بحديث ابى هريرة في ذلك وغيره (٣) .

وقد بحث في تفسير البغوى في هذه الآية ولم أجد ما حكاه ابن الوزير عنه بـل ولا في شرح السنة عند الكلام على حديث ابى هريرة . والظاهر - والله أعلم - أنه وهم في نسبة النقل كما وهم في إسناد حادى الارواح إلى ابن تيمية والواقع انه لابن القيم^(٤) فهو - رحمه الله - معذور فقد صرح في عدة مواضع انه كان يكتب من حفظه كما سبقت الإشارة الى ذلك في ميمزاته .

(١) سورة الروم : ٣٠ .

(٢) متفق عليه البخارى كتاب القدر باب الله اعلم بما كانوا عاملين ج ٧ ص ٢١٠ ، مسلم كتاب القدر باب كل مولود يولد على الفطرة ج ٤ ص ٢٠٤٧ .

(٣) ايثار الحق/ ج ٢ ص ٢٩٣-٢٩٤

(٤) انظر ايثار الحق لابن الوزير ص ١٢٢-١٢٤

يؤيد ما ذهب اليه ابن الوزير من ان معنى الفطرة الاسلام ما ذكره الحافظ في الفتح فقد بسط اقوال السلف في المراد بالفطرة في حديث ابي هريرة ، وأدلة كل فريق وناقشها وقرر بان المراد بالفطرة الاسلام ، وأنه أشهر الاقوال ، وهو المعروف عند عامة السلف . ومن ذلك ما تضمنه القول الثاني لعالي الفطرة ، المنسوب إلى النقاش وابن تيمية في احد قوليه .

كما حكى اجماع اهل العلم بالتأويل على ان المراد بقوله تعالى : فطرت الله التي فطر الناس عليها (١) الاسلام ، واحتجوا بحديث ابي هريرة السابق ذكره ، وبالحديث القدسي الذي رواه مسلم ، عن عياض بن حمار وفيه (إني خلقت عبداً حنيفاً كلهم فاجتالتهم الشياطين عن دينهم (٢)) .

وقد رواه غيره فزاد فيه : (حنيفاً مسلمين (٣) . قال الحافظ : (وقد رجحه بعض المتأخرين بقوله تعالى : (فطرت الله) لأنها إضافة مدح وقد أمر نبيه بلزومها فعلم أنها الاسلام (٤)) .

يؤكد ذلك ما قاله البخاري في تفسير سورة الروم : (لا تبديل لخلق الله) لدين الله ، والفطرة الاسلام (وبذلك قال ابن جرير وغيره في تفسير سورة الروم (٥)) .

فأنت ترى أن ابن الوزير يستدل على أن المعنى الشرعي للفطرة بنص الكتاب والسنة هو دين الاسلام ، لأن اسم الإشارة عائد إلى الدين المذكور في أول الآية المأمور بإقامة الوجه له (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم (٦)) ولم يقل ذلك الخلقة كما يقول أهل القول بان الفطرة الخلقة .

(١) سورة الروم : ٣٠ .

(٢) طرف من حديث رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ج ٤ ص ٢١٩٧ .

(٣) وذكر الزيادة ابن كثير في تفسيره ج ٥ ص ٥٣ .

(٤) انظر فتح الباري ج ٣ ص ٢٤٨ وفيه ذكر الزيادة في الحديث .

(٥) البخاري ج ٦ ص ٢٠ تفسير ابن جرير ج ٢١ ص ٤٠ . ولمزيد من التفاصيل انظر تفسير البغوي في هامش الخازن ج ٥ ص ٢٠٨-٢٠٩ الحلبي ط . ثانية ١٣٧٥ هـ ، وشرح السنة للبغوي ج ١ ص ١٥٤-١٦٢ حققه وعلق عليه وخرج احاديثه شعيب الارناؤوط وزهير الشاويش ط . اولى المكتب الاسلامي سنة ١٣٩٠ هـ .

(٦) سورة الروم : ٣٠ .

ومعلوم ان الدين القيم هو دين الاسلام ، يقوى هذا حديث (ما من مولود يولد الا وهو على الفطرة) (١) ولم يقل يولد على الخلقة . ومعلوم ان المراد بالفطرة هنا الاسلام ، فطرة ابراهيم - عليه السلام - التي أمر الله تعالى النبي - عليه الصلاة والسلام - باتباعها في هذه الآية وغيرها (ثم أوحينا اليك أن اتبع فطرة إبراهيم حنيفا وماكان من المشركين) (٢) . (وماجعل عليكم في الدين من حرج فطرة إبراهيم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا) (٣) .

فالمخالف في القول السابق يستدل بالمعنى اللغوي للفطرة ، وابن الوزير يستدل بالمعنى الشرعي . ومعلوم ان الشرع مقدم على اللغة عند التعارض . والله أعلم .

- محاولة للجمع بين الأقوال السابقة لمعاني الفطرة وأدلتها :

إذا رجعت الى استعراض الأقوال السابقة وأدلتها يخيل إليك أن المعارضة بلغت أوجها لقوة أدلتها لاسيما بعضها ولكن اذا أمعنت النظر فيها تجد أن منشأ الخلاف - والله أعلم - هو أن استدلال بعض الأقوال مأخوذ من المعاني اللغوية للالفاظ والبعض الآخر مأخوذ من المعاني الشرعية كما أن بعض الاستدلال متعلق بالقضاء والقدر .

فأنت اذا رجعت الى ماقررت من أن المعنى الشرعي مقدم على المعنى اللغوي عند التعارض سهل عليك فهم الاستدلال لبعض الأقوال من المعاني اللغوية كما أشرت الى ذلك .

وإذا نظرت الى ماقرره الامام النووي وشيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن كثير من أن الفطرة هي السلامة من الاعتقادات الباطلة والتهيؤ للعقائد الصحيحة فإنه يحمل على الاسلام الفطري الذي هو التهيؤ والاستعداد للاسلام الشرعي ، ببيان ذلك أن الاسلام الفطري موجود في كل إنسان حتى في الكفار ، وإن كذبوا وجحدوا بخلاف الاسلام الشرعي فإنه مكتسب بالإرادة والتعلم والعمل ، وبناءً على ذلك فيحمل القول بأن الفطرة هي الاسلام على الاسلام الفطري فيما قبل البلوغ ، أما بعده

(١) متفق عليه البخاري كتاب القدر باب الله أعلم بما كانوا عاملين ج ٧ ص ٢١٠-٢١١

مسلم كتاب القدر باب كل مولود يولد على الفطرة ج ٤ ص ٢٠٤٧ .

(٢) سورة النحل : ١٢٢ .

(٣) سورة الحج : ٧٨ .

فلا بد من أمرين : إما الاستمرار في الاسلام الفطرى الموصل الى الاسلام الشرعى وينطبق على ذلك حديث (كل مولود يولد على الفطرة) وطبقا لما سبق فى علم الله الأزل من السعادة ، وإما الخروج عن الفطرة بكل معانيها باتباع شياطين الانس والجن بما فيهم الأبووان ، مصداق ذلك الحديث القدسى الصحيح : (إنى خلقت عبادى حنفاء كلهم وإنهم اتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم) ولقوله : (فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه .) وطبقا أيضا لما سبق فى علم الله من الشقاوة ، وبذلك يتم التوفيق بين الأدلة ، ان شاء الله ، إن أردت الإصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله ، والله أعلم . وبما انه قد طال بنا الكلام على معانى الفطرة ، فننتقل الى طريقة ابن الوزير فى اثبات الصانع مع الاشارة الى منهج المتكلمين والصوفيين وبالله العون والتوفيق .

المبحث الثالث

طريقة ابن الوزير

فى

اثبات المانع

تمهيد :

ان المفكرين القائلين بوجود الصانع قد سلكوا طرقا متعددة ومناهج مختلفة في اثبات صانع العالم وموجده من العدم إلى الوجود، والدخول في تفاصيل هذه الطرق لا يهنا ، وإنما الذي يهنا هو طريقة ابن الوزير ، ولكن لا مانع لدينا من الإشارة إلى ذلك فنقول : بعض المفكرين استخدم الجانب العقلي وحده ، وقدمه على الجانب السمعي ، وذلك عن طريق المقدمات والنتائج المنطقية والفلسفية والبعض الآخر سلك طريق دلالة الاكوان وغيرها من الطرق الملتوية والمعقدة والمثيرة للشبهات والشكوك .

وقد برروا مسلكهم هذا بأن العقل - عندهم - هو المنطلق الأساس الذي يجب أن يصدر عنه إثبات مسائل العقيدة ، ومن أهمها إثبات الصانع وأسمائه وصفاته وهذا هو المشهور عن جمهور المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة (١) .

وقد انتقد هذه الطرق كثير من المفكرين منهم ابن رشد سنة ٥٩٥ هـ في كتابه (مناهج الادلة) (٢) وشيخ الاسلام ابن تيمية سنة ٧٢٨ هـ في كثير من كتبه وبالأخص في كتابه (بيان تلبيس الجهمية) (٣) و (النبوات) (٤) وابن الوزير في كتابه (البرهان القاطع في معرفة الصانع) (٥) وغيرهم من المفكرين المسلمين .

أما الصوفية فطرقهم ليست نظرية - أي غير مركبة من مقدمات ونتائج - وإنما يزعمون أن المعرفة بالله تعالى وبغيره من الموجودات شئ* يلقي في النفس عند تجردها من العوارض الشهوانية ، وإقبالها بالفكرة على المطلوب ، ويحتجون بظواهر من الشرع ، مثل قوله تعالى : (واتقوا الله ويعلمكم الله) (٦) ومثل قوله تعالى : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) (٧) .

(١) انظر التفاصيل في الاحياء للغزالي ج ١ ص ١٠٦ وشرح العقائد النسفية للتفتازاني ج ١ ص ٨٣ وما بعدها مطبعة كردستان العلمية بمصر سنة ١٣٢٩ هـ ، مصباح العلوم للرضا ص ٨ .

(٢) ص ١٥٠ وما بعدها تحقيق الدكتور محمود قاسم .

(٣) ج ١ ص ١٤١ وما بعدها مطبعة الحكومة السعودية بمكة المكرمة .

(٤) ص ١٤٧-١٤٨ الناشر مكتبة الرياض الحديثة . وانظر موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول حاشية منهاج السنة لابن تيمية ج ٣ ص ٢٢٤ ط . بولاق سنة ١٣٢٢ هـ .

(٥) ص ٥١-٥٣ المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٤٩ هـ .

(٦) سورة البقرة : ٢٨٣ .

(٧) سورة العنكبوت : ٦٩ .

وقد انتقد ابن رشد (١) هذه الطريقة أيضا بأنه إن سَلِمَ وجودها فهي ليست عامة ، ولو كانت هي المقصودة بالناس لبطل النظر ، وكان وجودها بالناس عبثا .
والقرآن الكريم إنما هو دعاء إلى النظر والاعتبار ، والتنبيه على طرق النظر .
وقد نقل شيخ الاسلام هذه الطريقة في كتابه (بيان تلبيس الجهمية) (٢) وعلق عليها بما حاصله : إن القول بمجرد ترك الشهوات ، والتجرد المحض يوجب معرفة ما جاءت به الرسل من غير نظر فيه ولا تدبر ليس طريق القوم الذين لهم فسى الامة لسان صدق ، ولهذا وصيتهم بالعلم الشرعى والمحافظة عليه فى الأصول الخيرية ، وفى الاعمال أعظم من أن يذكر .

نعم فيهم من قد تجرد لبعض العبادات كالذكر ، ويوصون بذلك فسى الابتداء ، ليصفى به القلب ، ويثبت على الايمان ، وينقطع عن الالتفات الى غير الله .

هذا ولم أجد تعليقا لابن الوزير على طريقة الصوفية هذه .
أما طريقة المتكلمين ، فيرى أنها مخالفة لطريقة الانبياء - عليهم السلام - الذين جاءوا بتفاصيل الدين التى لم يأت بها أحد من أهل النظر ، بل ولا ادعاه وأن الانبياء كانوا مجانيين لهذه الطريقة بقوله : (إنهم - أى الانبياء - مهملون للأنظار الكلامية ، مجانيون لطرائق المتكلمين المنطقية ، لم يدرسوا على أحد من أهل صناعة الاستدلال كتابا ، ولا سمعوا من واحد كلاما ، يجلس الواحد منهم أربعين سنة لا يخوض فى شىء من الالهيات ، ولا يكسب المطالب النظريات ، ثم يخوض دفعة واحدة فى الاحكام الأزلية ، والنسوت الخفية ، والأمر التى احتجبت عن أنبياء البرية ، بحيث لو اجتمع عليه جميع الفلاسفة وشُغل الذكاء المتقدمة ، من المتقدمين والمتأخرين والفلاسفة والمسلمين ، يوردون عليه الشبه التى تتحير فيها أفهام الفطناء ، وتدحض فى مزالقها أقسام الأنبياء ، ما أصفى إلى كلامهم ، ولا مال إلى مقالاتهم ، ولا قدحت قويات شبيههم نار الشك فى قلبه ، ولا تردد فسى الجزم على اعتقاده (٣) .

(١) مناهج الادلة ص ١٥٠ .

(٢) ج ١ ص ٢٦٣-٢٦٤ .

(٣) البرهان القاطع فى اثبات الصانع لابن الوزير ص ٥١ - ٥٢ .

ثم يمضى ابن الوزير مؤكدا خطأ الطريقة التى سلكها المتكلمون فى إثبات الصانع ، بأن لا نبيا لم يسلكوها ولو كان كذلك لنقل إلينا فيقول : (إنهم لو اشتغلوا بالنظر لنقل إلينا نظرهم ، وكيفية استدلالهم ، وإذن للفتوا أتباعهم المصدقين لهم ، الأدلة التى هى أصول الاسلام ، والتى لولاها لما عرفوا الله تعالى - أى على زعم المتكلمين - لكنهم حرصوا على تعليمهم الشرائع ، والآداب ، حتى كيفية قضاء الحاجة ، وأهملوا تعليمهم الدلائل ، وتعليمهم كيفية حل الشبه ، ولو كان ذلك هو طريق الانبياء إلى معرفة الله - تعالى - لكنت الكتب التى جاءوا بها - كالقرآن الكريم وغيره - مشحونة بذكر الأعراض ، والدليل على أنها أمور ثبوتية حقيقية ، لا خيالية - إضافية (١) .

قلت : قد يقال إنه يستفاد من كلام ابن الوزير السابق انه ينكر النظر ومعظم كتبه مشحونة بالنظر لاسيما (العواصم والقواصم) فما هو الجواب ؟
فالجواب من ثلاثة أوجه :

الوجه الاول : أنه ينكر الاعتماد على النظر العقلى فى الوصول إلى العقائد الإلهية المخالفة لطريقة الرسل عليهم السلام وطريقة السلف .
الوجه الثانى : أنه من يستخدم النظر ولكن فى فهم نصوص الكتاب والسنة ، وفيما للعقل فيه مجال كالتفكر فى الكون ، وما فيه من الآيات المشهودة حيث ندب الشرع إلى ذلك ، بل أثنى على مستخدم العقل فى عجائب المخلوقات لأنها بدورها موصلة إلى الإيمان بوجود صانع حكيم ، ألا وهو الله - سبحانه وتعالى - خالق السموات والارض . وقد رفع القرآن الكريم من شأن العقلاء المفكرين بهذه الطريقة بقوله تعالى : (إن فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولئى الألباب ، الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه ففناء عذاب النار (٢)) . وأمثال ذلك فى القرآن كثير . بخلاف التكفر فى الخالق فانه منهى عنه شرعا لحديث أبى هريرة مرفوعا : (يأتى الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا وكذا حتى يقول له من خلق ربك فاذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته (٣)) .

(١) البرهان القاطع لابن الوزير ص ٥٣-٥٤ .

(٢) سورة ال عمران : ١٩١ .

(٣) مسلم كتاب الإيمان باب بيان الوسوسة ، ج ١ ص ١٢٠ ، البخارى ج ٤ بدء الخلق باب صفة إبليس ص ٩٢ ، مسند أحمد ج ٢ ص ١٦١ .

الوجه الثالث : أن الحكماء والمتكلمين يجعلون النظر أول ما يبدؤون به ، ويكلفون الناس أول ما يكلفونهم بالنظر ، ولذلك يقولون أول واجب على المكلف النظر ، وبعضهم يقول : أول واجب على المكلف الشك .

أما ابن الوزير ومن اقتفى أثرهم فأنهم يقولون أول واجب على المكلف الإيمان بالله ، ثم يأتي النظر في مراحل متأخرة في أمور يحتاج إليها كرد شبه المخالفين ، ونقض أدلتهم .

ويضرب ابن الوزير لهذا بمثلين :
الأول : أنه حين يرشد الطفل ، ويأتي لنبي زمانه ، فإن هذا النبي لا يكلفه بالنظر ، وإنما يلقنه الاعتقاد بوجود الله سبحانه .
المثل الثاني : أنه ما ثبت أن مشركا أتى نبي زمانه ثم كلفه هذا النبي بالنظر ولكن يلقنه الاعتقاد الصحيح .

والتكلمون والحكماء على نقيض هذه الحال .
قال ابن الوزير : (إن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بل الأنبياء كافة ما كانوا يأمرون الصبي إذا بلغ التكليف بالنظر إلى الأدلة ولا الكافر الذي يأتي مصمما على إنكار الله وجميع الشرائع بالنظر قبل تصديق النبي في إثبات الصانع . . .

فان قيل : إنه يجوز أنهم كانوا قد نظروا وأن النبي - صلى الله عليه وسلم - علم ذلك ، وكان ذلك هو الظاهر منهم ، والنبي صلى الله عليه وسلم يحكم بالظاهر ، قلنا الظاهر أنهم كانوا يعرفون الله بمعجز النبي صلى الله عليه وسلم أو قرائن صدقه ، وإنما كانوا يفرغون جميع عقائد هم على تصديق النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بالمعجز فهم أو أكثرهم استفادوا معرفة الله من الأنبياء ، والذي يدل على هذا أن العلم بالله من طريق الاستدلال لا يحصل لأحد ، إلا بعد الإتيان لأدلة المتكلمين ، بل كثير من الناس يغنى عمره في درسها وما يحصل على طائل من تحقيقها ، بل الأقل من العلماء هو الذي يستفيد من هذا الفن . ويمكن من رد الشبه ودفع المناظرين .

ولو أن العاصي المغفل أتى بأدلة المتكلمين وأجوبتهم عن الفلاسفة وإن غير العبارة - من غير أن يأخذ عن شيخ ولا يدرس كتابا لكان ذلك من قبيل المعجز الخارق للعادات (١) .

وقد جمع ابن الوزير - رحمه الله - بين هذه الأنماط في كثير من كلامه .
وقد سبق بيان شيء من ذلك في الكلام على (منهجه في البحث العلمي) .
كما سيأتى شيء أيضا من ذلك في الطريقة التي سلكها في اثبات الصانع
قريبا ان شاء الله تعالى .

ومن هنا أمر الشرع بالاقتصاد في الاعتقاد وغيره من مسائل الدين ، ومن
شدد شدد الله عليه . قال الله تعالى : (فاتقوا الله ما استطعتم (١)) . وفي
الصحيحين عن أبي هريرة مرفوعا : (إن الدين يسر ولن يشاد هذا الدين أحد
إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا . . .) . وفي رواية (سدّدوا وقاربوا وأغسّدوا
وروحوا وشيء من الدلجة والقصد القصد تبلغوا (٢)) . وهذا لفظ البخاري .

وفي سنن البيهقي (٣) بلفظ : (إن هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ،
ولا تبغض الى نفسك عبادة ربك فإن المنبت لاسفرا قطع ولا ظهرا أبقى فاعمل عمل
أمرى . يظن أنه لن يموت أبدا واحذر حذر أمرى يخشى أن يموت غدا) .

وذكره الالباني في سلسلة الضعيفة وقال بعد أن سرد رجاله : (وهذا سند
ضعيف وله علتان : جهالة مولى عمر بن عبد العزيز وضعف أبي صالح . . . ويغنى عنه
رواية الصحيحين (٤)) .

والدليل على ما ذكرته من أن ابن الوزير لا يمنع النظر على الأسلوب المذكور
قوله : (فان قيل فقيم يكون النظر ؟ قلت : في أمرين :

الاول في المخلوقات البديعة الصنعة ، اللطيفة الحكمة ، من سماء ذات أبراج ،
وأرض ذات فجاج ، وحيوانات محكمات ، ذوات آلات وأدوات ، منها آلات النظر
والشم والسمع والطعم ، كالاذن والعين والانف والغم . . . فانك عندما تنظر إلى ذلك
تعلم ضرورة عقيب النظر أن لها صناعا عالما حكما قادرا . . .

(١) سورة التغابن : ١٦ .

(٢) البخاري ج ١ كتاب الإيمان باب الدين يسر ص ١٥ وفي كتاب الرقاق ج ٧ باب
القصد والمداومة على العمل ص ١٨١ ، مسلم كتاب المناقب ج ٤ باب لمن
يدخل أحد الجنة بعمله ص ٢١٧١ والترمذي في تفسير سورة النساء ج ٨ ،
ص ٤٠١ ، مسند أحمد ج ٢ ص ١٦٧ ، كشف الخفا للعجلوني ج ١ ص ٣٠٠ ،
والنهاية لابن الاثير ج ١ ص ٩٢ .

(٣) ج ٣ ص ١٩٠ .

(٤) سلسلة الاحاديث الضعيفة والموضوعة للالباني ج ١ ص ٢١ المكتب الاسلامي .

الامر الثاني مما يفيد النظر فيه العلم هو قصص الأنبياء وأحوالهم . وكذلك لما كان طريقا يفيد العلم ويشرح الصدر ، ويثلج الفؤاد أكثر الله من ذكر أحاديثهم في الكتاب العزيز . وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى : (لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب (١)) ويقول تعالى : (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك (٢)) .

فهذا كله دليل واضح على أن النظر في أحوالهم يفيد العلم (٣) .

قلت : وهل يصح القول بعد هذا أن ابن الوزير يمنع النظر المطلوب شرعا؟ كيف . وقد سلك طريقة القرآن الكريم في إثبات الصانع كما سيأتى بيانه قريبا إن شاء الله تعالى .

والقرآن الكريم قد حث على النظر في آيات الله الكونية والوقائع التاريخية ما يقارب سبع عشرة آية في خمس عشرة سورة من القرآن الكريم . من ذلك قوله تعالى : (أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض (٤)) وقوله (قل انظروا ما ذا في السموات والارض (٥)) وقوله : (افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروع (٦)) وقوله (قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين (٧)) .

كما شدد النكير على المعرضين عن النظر والتفكر في آيات الله ومخلوقاته الدالة على أن لها صانعا حكيما ، كالسموات من كونها منصوبة بغير عمد وما فيها من الكواكب السيارة والثوابت والزينة ، وكذلك في الارض وما فيها من الجبال والبحار والأنهار والحيوان ، كلها شاهدة على صنع الله لها ، وأكثر الناس يمرون على هذه الآيات غير ملتفتين ولا متفكرين فيما تدل عليه من وجود صانعها . قال الله تعالى (وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون (٨)) .

(١) سورة يوسف : ١١١ .

(٢) سورة هود : ١٢٠ .

(٣) البرهان القاطع لابن الوزير ص ٦٧-٦٨ .

(٤) سورة الاعراف : ١٨٥ .

(٥) سورة يونس : ١٠١ .

(٦) سورة ق : ٦ .

(٧) سورة الانعام : ١١ .

(٨) سورة يوسف : ١٠٥ .

(٩) هكذا في النص والظاهر أن الكاف زائدة ويحذفها يستقيم المعنى .

وهؤلاء أشبه بالأنعام التي لا تهتم إلا بطعامها وشرابها وسائر شهواتها، بل هؤلاء أضل من الأنعام بكثير، (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون (١)) .

هذا بالنسبة إلى الأمر الأول الذي ذكره ابن الوزير وهو النظر في المخلوقات . أما بالنسبة للنظر في الأمر الثاني وهو النظر في قصص الانبياء وأحوالهم ، ففي قصصهم عبرة وأى عبرة . إنها عبرة لذوى العقول ، عبرة للطغاة ، عبرة للجبابرة ، عبرة للمكذبين ، عبرة للدعاة إلى الله ، بل وعبرة للانبياء أنفسهم ، عبرة للملاحقين في السابقين .

أما العبرة للطغاة والجبابرة والمكذبين ، فانظر ماذا كان مصير فرعون وقومه بعد ادعاء الربوبية وتجاوز حد الطغيان وتكذيب موسى عليه السلام ، وكيف كان مصير الذي حاج إبراهيم في ربه بعد أن كذب وطفى وادعى أنه قادر على أن يحيى ويميت وقذف بإبراهيم - عليه السلام - في النار فكانت عليه بردا وسلاما ، وكيف كان مصير قارون الذي بفس على موسى وقومه ؟ وكيف كان مصير قوم نوح لما عبدوا الأصنام لأول مرة في الأرض ؟ وكيف كان مصير عاد قوم هود ، لما استكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة وكذبوا هودا عليه السلام ؟ وكيف كان مصير ثمود قوم صالح عليه السلام لما كذبوه وعصوه وعقروا الناقة ؟ وكذلك مدين قوم شعيب وقوم لوط وسائر الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم . وانظر كيف استجاب الله دعاء الانبياء وأهلك أعداءهم ، (فكلما أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (٢)) .

ثم انظر كيف كان مصير سادات الكفر والشرك من قريش الذين آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد الأذى وتآمروا على قتله ، وخيب الله كيدهم ونجاه من شرهم ، فناصره العدا وأخرجوه من بلادهم . (وإن يكرهك الذين كفروا ليسبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) (٣) . كيف كان مصير هؤلاء يسوم

(١) سورة الاعراف : ١٧٩ .

(٢) سورة العنكبوت : ٤٠ .

(٣) سورة الانفال : ٣٠ .

بدر وغيره . انظر كيف ظهر الاسلام وبلغ نوره مشارق الارض ومغاربها على أيدي أولئك المستضعفين المعذبين تحت سياط رؤساء الكفر والضلال عن قریش حينما بدأ الاسلام غربيا، ولكنهم لما حملوا راية الاسلام وعلى رأسهم القائد الأعظم صلى الله عليه وسلم دانت لهم الدنيا بملوكها، وأصبحوا قادة العالم بعد أن كان يقال لبعضهم يارويعى الغنم .

وأما عبرة الأنبياء اللاحقين من قصص السابقين فهي التسلية والعواسة لهم بما حصل لأخوانهم وأن هذه سنة الله في أنبيائه ورسله مع أقوامهم (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل للكلمات الله ولقد جاءك من نبأى المرسلين (١)) (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل (٢)) وغير ذلك من الايات كثير .

وأما عبرة الدعاة الى الله - عز وجل - فعليهم ان يصبروا ويتسلوا بما لحق بالرسول صلى الله عليه وسلم من الاذى والمتاعب والسخرية ، وان يفتنوا وينموا معنوياتهم بدراسة سيرته العطرة ليثبتوا امام قوى الطغيان ولا يهنوا ولا يهولنهم ذلك ، فالعاقبة للمتقين ، وهي احدى الحسنين ، والله لا يخلف الميعاد ، فقد وعد المؤمنين بالاستخلاف فى الارض (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا (٣)) . اكتفى بهذه الاشارة بولولا خوف التطويل والخروج عن موضوع الرسالة لكتبت بحثا مستقلا فى الأمرين الذين ذكرهما ابن الوزير رحمه الله وهما النظر فى المخلوقات ، والنظر فى قصص الانبياء عليهم السلام ، ولكن فى هذه اللحة كفاية ان شاء الله تعالى .

...

(١) سورة الانعام : ٣٤ .

(٢) سورة الاحقاف : ٣٥ .

(٣) سورة النور : ٥٥ .

بعض العلماء يؤيد اعتراض ابن الوزير على طريقة المتكلمين في إثبات الصانع :

سبق قريبا أن قلت : إن من انتقد هذه الطريقة كثير من المفكرين ، منهم ابن رشد وشيخ الاسلام ابن تيمية وغيرهما ، والاعتراضات كثيرة ولكن سأذكر نماذج منها :

أولا : انتقاد ابن تيمية بقوله : (والمقصود هنا أن المبتدعين الذين ابتدعوا كلاما وأصولا تخالف الكتاب وهي أيضا مخالفة للميزان وهو العدل ، فهي مخالفة للسمع والعقل ، كما ابتدعوا في إثبات الصانع إثباته بحدوث الاجسام وأثبتوا حدوث الاجسام بأنها مستلزمة للأعراض^(١) لا تنفك عنها ، قالوا : وما لا يخلو عن الحادث فهو حادث لا متنازع حوادث لا أول لها . فهو لا إذا حقق عليهم ما قالوه لم يوجد واقد أثبتوا العلم بالصانع ولا أثبتوا النبوة ولا أثبتوا المعاد ، وهذه هي أصول الدين والإيمان ، بل كلامهم في الخلق والبعث البعث والمعاد ، وفي إثبات الصانع ليس فيه تحقيق العلم لا عقلا ولا نقلا ، وهم معترفون بذلك كما قال الرازي سنة ٦٠٦ هـ : " لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتم تشفى عليلا ولا تروى غليلا ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ، إقرأ في النفس (ليس كمثله شيء)^(٢) (ولا يحيطون به علما)^(٣) (وإقرأ في الاثبات (الرحمن على العرش استوى)^(٤) (وإليه يصعد الكلم الطيب)^(٥) (أنتم من في السماء)^(٦)) ثم قال : ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي . وكذلك الغزالي سنة ٥٠٥ هـ وابن عقيل سنة ٥١٣ هـ وغيرهما يقولون ما يشبه هذا ، وهو كما قالوا فإن الرازي قد جمع ما جمعه من طرق المتكلمين والفلاسفة ، ومع هذا فليس في كتبه إثباتات الصانع ، وسبب ذلك إعراضهم عن الفطرة العقلية ، والشرعة النبوية ، بما ابتدعه المبتدعون مما أفسدوا به الفطرة والشرعة ، فصاروا يفسطون في العقلية ، ويقرطون في السمعية^(٧) .

(١) الاعراض جمع عرض وهو في اصطلاح المتكلمين ما لا يقوم بنفسه ولا يوجد إلا في محل يقوم به وهو خلاف الجوهر وذلك نحو حمرة الخجل وصفرة الوجع ، مصباح ج ٢ ص ٢٠٥ .

(٢) سورة الشورى : ١١٠ .

(٣) سورة طه : ١١٠ .

(٤) سورة طه : ٥ .

(٥) سورة فاطر : ١٠٠ .

(٦) سورة الملك : ١٦٠ .

ملاحظة : شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله لم يرتب الافكار حسب الوقايات كما هو المتبع في عصرنا الحاضر فتركه كما هو بين القوسين .

(٧) النبوات لابن تيمية ص ١٤٧-١٤٨ وانظر بيان تلبيس الجهمية له ج ١ ص ١٤١ وما بعدها .

ومن قبله ابن رشد نقد طريقة المتكلمين والفلاسفة ، وعلل ذلك بأنها ليست الطريقة الشرعية التي نبه عليها الكتاب العزيز واعتمدتها الصحابة رضوان الله عليهم ، واستدل بطريقتي العناية والاختراع لأنها طريقتا القرآن ، ووصفهما بأنهما الصراط المستقيم التي دعا الله الناس منها إلى معرفة وجوده ، ونبيههم على ذلك بما جعل في فطرهم من إدراك هذا المعنى بقوله : (. . فإن قيل فإن ذن قد تبين أن هذه الطرق كلها ليست واحدة منها هي الطريقة الشرعية التي دعا الشرع منها جميع الناس على اختلاف فطرهم إلى الإقرار بوجود الباري - سبحانه - فما هي الطريقة الشرعية التي نبه الكتاب العزيز عليها واعتمدتها الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين ؟ قلنا الطريق التي نبه الكتاب العزيز ودعا الكل من بابها إذا استقرى الكتاب العزيز وجدت تنحصر في جنسين :

أحدهما طريق الوقوف على العناية بالإنسان ، وخلق جميع الموجودات من أجله ولنسم هذه العناية .

الثانية : ما يظهر من اختراع الأشياء الموجودة مثل اختراع الحياة في الجماد ، والادراكات الحسية والعقل ولنسم هذه دليل الاختراع (١) .

ومن الملاحظ على ابن رشد هو قوله : (. . التي دعا الشرع منها جميع الناس على اختلاف فطرهم إلى الإقرار بالباري سبحانه) ففطرة الناس التي فطرهم الله عليها واحدة لقوله تعالى (فطرت الله التي فطر الناس عليها) (٢) ولم يقل فطر الله المتعددة ولحديث (كل مولود يولد على الفطرة) (٣) وقد سبق الكلام على ذلك .

وقد مثل ابن رشد وابن تيمية للعناية بقوله تعالى : (ألم نجعل الأرض مهاداً والجال أوتاداً وخلقناكم أزواجاً ، وجعلنا نومكم سباتاً وجعلنا الليل لباساً وجعلنا النهار معاشاً وبنينا فوقكم سبْعاً شداداً . . إلى قوله تعالى : وجنات ألفافاً) (٤)

(١) مناهج الأدلة لابن رشد ص ١٥٠ - ١٥٢

(٢) سورة الروم : ٣٠ .

(٣) متفق عليه وقد سبق تخريجه عدة مرات ص ١٢٦ - ٢٥٠ - ٢٧٤

(٤) سورة النبأ : ١٦ .

ويقوله تعالى : (تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا ، وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا (١)) .
ويقوله تعالى : (فلينظر الانسان الى طعامه ، أنا صبينا الماء صبا . . .) الايات (٢) .
ومثلا للاختراع بقوله تعالى : (فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق (٣))
ويقوله تعالى : (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت . وإلى السماء كيف رفعت) الايات (٤)
وغير ذلك من الايات .

ومثلا للجمع بين الداليتين بقوله تعالى : (يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وانتم تعلمون (٥)) .

فالاولى على دلالة الاختراع ، والثانية على العناية ، وأكثر الآيات الواردة فى هذا المعنى يوجد فيها النوعان (٦) .

وقد ذم ابن الوزير الذين يسلكون الطرق الملتوية من علماء الكلام ويعرضون عن كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وعن الفطرة التى فطر الله الناس عليها قائلا : (فتعين حينئذ طلب الطريقة القريبة الممكنة التى هى فطرة الله التى فطر الناس عليها كما نصر على ذلك فى كتابه الكريم ، وسنة رسوله - عليه افضل الصلاة والسلام - ولولا ما وقع فيها من التغيير لما احتاجت الى طلب ولكنه قد وقع فيها التغيير كما اخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث المتفق على صحته عند اهل النقل ، وفيه تفسير الفطرة وتقريرها من المبلغ المبين لما أنزل عليه من الهدى والنور حيث قال : (كل مولود يولد على الفطرة (٧))) .

-
- (١) سورة الفرقان : ٦١-٦٢
(٢) سورة عبس : ٢٤-٣٢
(٣) سورة الطارق : ٥-٦
(٤) سورة الفاشية : ١٧-٢٠
(٥) سورة البقرة : ٢٢
(٦) انظر التفصيل فى بيان تلبس الجهمية لابن تيمية ج ١ ص ١٧٤ ، مناهج الادلة لابن رشد ص ١٥٣-١٥٤
(٧) ايثار الحق لابن الوزير ص ٩ والحديث متفق عليه وقد سبق كاملا مخرجا اكثر من مرة وانظر ص ٢٥٠

ويقرر ابن الوزير أيضا أن الفطرة التي فطر الله الناس عليها متضمنة سبعة أمور وهي كالآتي :

- (١) - إثبات العلوم الضرورية التي يبتنى الاسلام على ثبوتها .
- ٢ - ثبوت الرب عز وجل .
- ٣ - توحيد سبحانه وتعالى .
- ٤ - كماله بأسمائه الحسنی .
- ٥ - ثبوت النبوات وصحتها في الجملة .
- ٦ - الايمان بجميعهم وعدم التفريق بينهم .
- ٧ - ترك الابتداع في دينهم بالزيادة على ما جاءوا به والنقص منه (.

فإذا أُمعنت النظر في هذه الأمور بالفطرة الاولى - السليمة من التغيير بالعادات والطوارئ المفيرات لم تشك أن الخطر المخوف من عقاب الآخرة مأون فيها .

أما الستة الاول فمجموعها هو دين الاسلام الذي فطر الله عباده على معرفته والخلاف في كل واحد منها كفر مجمع عليه ، والأدلة عليه جلية وفاقية بين المسلمين ولا يمكن وجود أحوط منها ولا أولى ولا أخرى كما قال تعالى : (فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً) (١) . أي طلبوا لأنفسهم النجاة ، وأما السابع وهو عدم الزيادة والنقص في الدين فهو العصمة من البدع المفرقة بين المسلمين وهو لاحق بما قبله في ثبوته في الفطرة ، لكن لا يثبت فيه حق التكفير غالبا (٢) . وقد سبق الكلام على التكفير في الفصل الاول من الباب الثاني عند الكلام على حديث افتراق الأمة .

والحاصل أنك إذا عرفت أن الدين أمر فطري في الانسان وأن الانبياء عليهم السلام - قد جاءوا ببيان ذلك - وأن القول بوجود الله عز وجل أمر فطري أيضا لم يشذ بجده من الامم السابقة غير فرعون اللعين والدهريين السابقين والمعاصرين الماديين الملحدين على ما سبق من تناقضهم .

وعرفت معنى الفطرة على ماضي في المناقشة السابقة في معناها وأن استخدام العقل في الآيات الكونية والقرآنية قد حث عليه الشرع إذا عرفت هذا وغيره مما سبق

(١) سورة الجن : ١٤ .

(٢) ايثار الحق مع تصرف بسيط ج ١ ص ١٧-١٨ . وتفسير ابن كثير ج ٨ ص ٢٦٩ .

فى هذا البحث فاعلم أن ابن الوزير قد سلك فى استدلاله على اثبات وجود الله - عز وجل - طريقة الانبياء عليهم السلام - ووصفها بأنها أصح الطرق وأوضحها وأمنها من المهالك ، وأن سالكها سيكون مقصوده مضمونا لأنها على مناهج الرسل والسلف . قال ابن الوزير فى وصفها : (والطرق الى الله - عز وجل - كثيرة جدا ، ولكننا نقتصر على أصحابها وأجلاها وأوضحها وأشفاها ، حتى نأمن بالسلوك فيها من الضلال فى الطرق التى تبعد السائر عن مقصوده ، والعياذ بالله ، وإلى تلك الطرق الإشارة بقوله تعالى : (ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) (١) .

وقد يكون فيها ما يستلزم رد كثير من الشرائع . . فمن نظر فى معرفة الله - عز وجل - من غير هذه الطريق كان كمن ضل الطريق واجتهد فى السير بعد الضلال فلا يزال يزداد بعدا بسيره فى غير طريق (٢) .

وقد صنف ابن الوزير طريقته التى سلكها فى الاستدلال على وجود الله - عز وجل - أربعة أصناف وسماها دلالات وكلها دل عليها القرآن الكريم الذى وصفه الله - سبحانه - بأنه يهدى للتى هى أقوم (٣) وهى الآتى ذكرها :

الطريقة الاولى : دلالة الفطرة :

وقد بدأ بها ابن الوزير لما يرى من ان الطريق الى معرفة الله - عز وجل - لا تحتاج الى هذه الطرق المتوية المعقدة لأن دلالتها من أوضح المعارف التى دلت عليها الفطرة التى خلق الخلق عليها ، ولأنها طريقة القرآن وطريقة الانبياء عليهم السلام .

ولذلك قال كثير من العلماء والعقلاء والاولياء : إنه ضرورى لا يحتاج إلى نظر . وقال آخرون : إنما يحتاج الى تذكر يوقظ من سنة الغفلة كتذكر الموت ، الذى تقع الغفلة عنه وهو ضرورى ، حتى قال الله تعالى - فى مخاطبة العقلاء - : (إنك ميت وإنهم ميتون) (٤) وقال : (ثم إنكم بعد ذلك لميتون) (٥) ونحو ذلك

-
- (١) سورة الانعام : ١٥٣ .
(٢) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ج ١ ص ٤٣ . وانظر مختصر الصواعق المرسلية لابن القيم اختصره محمد الموصلى ج ١ ص ٦٩ ط . بيروت سنة ١٤٠٥ هـ .
(٣) المصدر نفسه ص ٤٣ .
(٤) سورة الزمر : ٣٠ .
(٥) سورة المؤمنون : ١٥ .

ما أشار اليه القرآن الكريم ، حيث حكى الله تعالى - عن الرسل عليهم السلام - قولهم لأقوامهم المكذبين برسالتهم المستلزمة لوجود من أرسلهم على سبيل التقرير والتوبيخ : (أفى الله شك فاطر السموات والارض) (١) .
وفى ذلك يقول أمير المؤمنين على بن ابي طالب رضى الله عنه :
(فهو الذى تشهد له أعلام الوجود ، على إقرار قلب نبي الجحود) (٢) .
وقد سبق الكلام - مستفيضا - على الفطرة التى فطر الله سبحانه وتعالى الناس عليها فلا داعى للإعادة ، وإنما نعرض لطريقة ابن الوزير الثانية التى سماها دلالة النفس .

...

(١) سورة ابراهيم : ١٠

(٢) نهج البلاغة لأشرف الرضى مع شرح الامام محمد عبده ج ١ ص ٩٩ ط . بيروت .

الطريقة الثانية

دلالة الانفـس

إن في كيان الانسان بما فيه من جسد وروح لدلالة واضحة على وجود الله - عز وجل - ذلك لما فيه من لطيف الصنعة وبديع الحكمة ، حتى سبيلى الغائط والبول ، فإن الانسان ياكل ويشرب من مكان واحد ويتميز ذلك من مكانين . كذلك بديع صنع الله - تعالى - وحكمته في عينيهِ اللتين هما قطرة ماء ينظر بهما - من الارض الى السماء - سيرة خمسمائة عام ، وفي أذنيه اللتين يفرق بهما بين الأصوات المختلفة ، وما أكثر الآيات التى تصور نمو الانسان من نطفة الى شيخ يرد الى أرذل العمر ، خلقا من بعد خلق ، وما بينهما من مراحل (١) .

فالقرآن الكريم يخاطب الانسان ذا العقل السليم ليفكر فى تكوينه الجسمى (وفى انفسكم افلا تبصرون) (٢) لذلك يقول ابن الوزير :

(أما دلالة الأنفس فإنها بليغة) (٣) .

قلت : بل فيها ما يشير الى الاعجاز والتحدى لهذا الانسان الذى يملأ الارض ضجيجا ، ويتعالى بنفسه وعلمه . ومع هذا لم يعرف حقيقة نفسه - أروحه التى بها حياته .

إن فى النفس البشرية آيات تدل على أن هنالك صانعا صنعها وأتقنها - وهو الله الخالق المتفرد بالربوبية والألوهية على خلقه اجمعين .

ثم ذكر ابن الوزير - رحمه الله - قوله تعالى : (قتل الانسان ما أكفره ، من أى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره) (٤) . من الذى خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة ، ثم يخرجهم طفلا ذا بصر وسمع وعقل وحواس اخرى ؟ من الذى خلق من الماء المهيىن او من حيوان لا يرى إلا بالمجهر هذا الانسان الذى منه - المفسد فى الارض ومنه المصلح ومنه المتكبر ومنه المتواضع ومنه ومنه . . وكيف يحمل ملامح ولون أبويه .

(١) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ج ١ ص ٤٣ وما بعد ها .

(٢) سورة الذاريات : ٢١

(٣) الايثار لابن الوزير ص ٤٣ .

(٤) سورة عبس : ١٧-١٩ .

(يا ايها الانسان ماغرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى اى صورة
ماشاء ركبك) (١) .

(كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون) (٢)

قال ابن الوزير : (وأبسط آية فى ذلك آية الحج :) يا ايها الناس ان كنتم
فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغ
مخلقة وغير مخلقة ، لنبين لكم ونقر فى الارحام مانشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم
طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم
من بعد علم شيئا ، وترى الارض هامة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت
من كل زوج بهيج * ذلك بان الله هو الحق وأنه يحي الموتى وأنه على كل شئ
قدير، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور (٣) .

فلنا هذه الآيات مسوقة لإثبات البعث ، ولكن الأدلة التى ساقها الله
لإثبات البعث هى نفسها ادلة على وجود الله سبحانه وتعالى ، وإذن فهذه
الآيات ذات غرضين مختلفين :

أحدهما : إثبات وجود الله تعالى .

و ثانيهما : إثبات وجود البعث .

بل إن البعث نفسه بعد أن يثبت بأدلة ، ويصبح حقيقة مسلمة هو نفسه
دليل على وجود الله سبحانه .

وقال تعالى : (ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ، ثم جعلناه نطفة
فى قرارمكين ، ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقه مضغة فخلقنا المضغة عظاما
فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين (٤) .
وقال : (أ ولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين . وضرب لنا
مثلا ونسى خلقه ... (٥)) .

(١) سورة الانفطار : ٦ .

(٢) سورة البقرة : ٢٨ .

(٣) سورة الحج : ٥-٧ .

(٤) سورة المؤمنون : ١٢-١٤ .

(٥) سورة يس : ٢٧-٢٨ .

وبما أن قوله تعالى : (ولقد خلقنا الانسان من سلاله) محط خلاف بين المفسرين وما المراد من الانسان فنذكر نبذة يسيرة عن ذلك ثم الكلام على الاطوار المذكورة في الايات الكريمة فنقول :

قيل المراد بالانسان آدم عليه السلام ، فآدم سل من الطين ، وخلق ذريته من ماء مهين ، والضمير في قوله (ثم جعلناه) عائد على الانسان الذي هو ولد آدم ، والانسان شامل لآدم وولده ، وإن كان لم يذكر لشبهة الأمر ، فان المعنى لا يصلح إلا له نظير ذلك (حتى توارت بالحجاب) (١) وهذا احد الاقوال التي ذكرها القرطبي (٢) .

وقيل المراد : هاهنا بالانسان ولد آدم ، والطين هنا اسم لآدم ، والسلالة هي الاجزاء الطينية المبتوثة في أعضائه التي لما اجتمعت وحصلت في اوعية المنى صارت منيا وقالوا هذا التفسير مطابق لقوله تعالى : (وبدء خلق الانسان من طين ، ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين (٣)) .

وقيل إن الانسان إنما يتولد من النطفة وهي انما تتولد من هضم الاغذية ، وهي إما حيوانية وإما نباتية ، والحيوانية تنتهي الى النباتية ، والنبات انما يتولد من صفو الارض والماء ، فالانسان في الحقيقة يكون متولدا من سلاله من طين ، ثم إن تلك السلالة بعد أن توارت على اطوار الخلقة وأطوار الفطرة صارت منيا ، وهذا ما رجحه الفخر الرازي (٤) .

وقيل المراد بالسلالة ابن آدم ، وعليه فالسلالة صفوة الماء يعني المنى ، وقوله (من طين) أي إن الاصل آدم وهو من طين خالص . فأما ولده فهو من طين ومنى حكى هذا القول القرطبي (٥) عن ابن عباس وغيره .

وفي تفسير ابن كثير : إن المراد بالانسان آدم عليه السلام ، خلقه الله - سبحانه (من صلصال من حماء مسنون) (٦) وفي آية اخرى (من طين لازب) (٧) ،

(١) جزء من اية ٣٢ من سورة ص .

(٢) تفسير القرطبي ج ٥ ص ٤٥٠١ .

(٣) سورة السجدة : ٧-٨ .

(٤) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب للرازي ج ٢ ص ٨٥ دار الفكر بيروت ط ١

سنة ١٤٠١ هـ .

(٥) تفسير القرطبي ج ٥ ص ٤٥٠١ .

(٦) سورة الحجر : ٢٦ .

(٧) سورة الصافات : ١١ .

كما خلقه (من سلاله من طين) و سلاله الطين صفوة الماء .

ورجح أن آدم استل من الطين ، فإنه عليه السلام خلق من طين لازب وهو الصلصال من الحما المسنون وذلك مخلوق من التراب كما قال تعالى : (ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون (١)) .

وعلى هذا فيكون الضمير في قوله (ثم جعلناه) عائدا على جنس الانسان ، كما في الآية الاخرى (وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين) (٢) .

قلت : وما رجحه ابن كثير هو الذي ترجح عندي لما رواه الامام احمد فسي مسنده (٣) وابوداود (٤) والترمذي (٥) عن ابن موسى الاشعري مرفوعا : (ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب) .

هذا ولا حاجة الى مناقشة الاقوال فالحديث هذا فصل في محل النزاع ، لما علم من أن السنة شارحة ومبينة لما أجمل أو تشابه في القرآن الكريم . ووجه الاستدلال من الحديث هو أن المراد بالانسان في الآية التي بصدها الكلام آدم وأن الله خلقه من طين ويكون الضمير عائدا على نسل الانسان فهو وإن لم يذكر فذلك جائز في اللغة العربية كما في قوله تعالى (حتى توارت بالحجاب) (٦) أي الشمس ولم يتقدم لها ذكر ولكن المقام يدل على ذلك . قال الزجاج : (إنما يجوز الإضمار إذا جرى ذكر الشئ أو دليل الذكر وقد جرى هنا دليل الذكر وهو قوله : (بالمشى) وكذلك يقال في ضمير (ثم جعلناه نطفة)^(٧) والله أعلم بالصواب .

(١) سورة الروم : ٢٠ .

(٢) سورة السجدة : ٨ وانظر تفسير ابن كثير ج ٥ ص ٤٦٠ .

(٣) ج ٤ ص ٤٠٠ .

(٤) السنن مع عون المعبود كتاب السنة باب في القدر ج ٢ ص ٤٥٥-٤٥٧ .

(٥) السنن بتحفة الاحوذى تفسير سورة البقرة ج ٨ ص ٢٩٠-٢٩١ وقال الترمذي

هذا حديث حسن صحيح .

(٦) سورة ص : ٣٢ .

(٧) انظر فتح القدير للشوكاني ج ٤ ص ٤٣٠ .

- إشارة الى أطوار الانسان أو مراحلها :

من المستحسن إعادة الايات الكريمة التي تشير الى أن الانسان مر باطوار سلسلة من الطين الى الانسان لينظر فيها القارى عن كذب وهو قوله تعالى : (ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) (١) .

هذا النص يشير الى أطوار النشأة الانسانية ولا يحددها ، فيفيد أن الانسان مر بهذه الأطوار المسلسلة من الطين الى النشأة الاخرى وما بينهما من المراحل .

فالطين هو المصدر الأول أو الطور الأول ، والانسان هو الطور الاخير . وهي حقيقة نعرفها من القرآن ولا نطلب لها مصداقا من النظريات العلمية التي تبحث عن نشأة الانسان او نشأة الاحياء . . . إن القرآن الكريم يقرر هذه الحقيقة ليجعلها مجالا للتدبر في صنع الله ، ولتأمل النقلة البعيدة بين الطين وهذا الانسان المتسلسل في نشأته من ذلك الطين ، ولا يتعرض لتفصيل هذا التسلسل في نشأته من ذلك الطين ولا يتعرض لتفصيل هذا التسلسل لأنه لا يعنيه فسي أهدافه الكبيرة .

أما النظريات العلمية فتحاول إثبات سلم معين للنشوء والارتقاء لوصل حلقات السلسلة من الطين والانسان ، وهي تخطئ وتصيب في هذه المحاولة التي سكت القرآن عن تفصيلها ، وليس لنا أن نخلط بين الحقيقة الثابتة التي يقرها القرآن حقيقة التسلسل وبين المحاولة العلمية من البحث عن حلقات هذا التسلسل وهي المحاولات التي تخطئ وتصيب ، وتثبت اليوم وتنقض غدا كلما تقدمت وسائل البحث وطرائقه في يد الانسان (٢) .

والقرآن الكريم يعبر أحيانا عن تلك الحقيقة باختصار فيقول : (وبدأ خلق الانسان من طين) دون إشارة الى الأطوار التي مر بها . والمرجع في هذا

(١) سورة المؤمنون : ١٤ .

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب بتصريف ج ١٨ ص ٢٤٥٧-٢٤٥٨ وانظر ترجيح اساليب القرآن على اساليب اليونان لابن الوزير ص ١٠٩-١١٠ .

(٣) انظر الظلال لسيد قطب ج ١٨ ص ٢٤٥٨ وانظر ترجيح اساليب القرآن على اساليب اليونان لابن الوزير ص ١٠٩-١١٠ .

الامر الى النص الأكثر تفصيلا وهو الذى يشير إلى أنه (من سلالة من طين ...)
ذلك أصل نشأة الجنس الانسانى من طين .

فأما نشأة الفرد الانسانى بعد ذلك فتضى فى طريق آخر معروف : (ثم
جعلناه نطفة فى قرار مكين (١)) .

لقد نشأ الجنس الانسانى من سلالة من طين ، فأما تكرار افراده بعد
ذلك وتكاثرهم فقد جرت سنة الله أن يكون عن طريق نقطة مائية تخرج من صلب
فتستقر فى رحم امرأة نقطة واحدة مائية ، لا بل خلية واحدة من عشرات
الآلاف من الخلايا الكامنة فى تلك النطفة ، تستقر فى قرار مكين ، ثابتة فسى
الرحم الفائر بين عظام الحوض المخمية بها من التأثير بهتزازات الجسم ، ومن
كثير ما يصيب الظهر والبطن من لكات ورجات وتأثرات .

والتعبير القرآنى يجعل النطفة طورا من أطوار النشأة الانسانية تاليا
فى وجوده لنشأة الطين . وهى حقيقة ولكنها عجيبة تدعو الى التأمل .

فهذا الانسان الضخم يلخص بكل عناصره وخصائصه فى تلك النطفة
ثم يعاد من جديد فى الجنين - وجوده عن طريق ذلك التلخيص العجيب .

ومن النطفة الى العلقه حينما تمتزج خلية الذكر ببويضة الأنثى وتعلق هذه
بجدار الرحم نقطة صغيرة فى أول الامر تتغذى بدم الام (٢) .

ومن العلقه الى المضة حينما تكبر تلك النطفة العالقة وتتحول الى قطعة
من دم غليظ مختلط .

وتضى هذه الخليقة فى ذلك الخط الثابت الذى لا ينحرف ولا يتحول ،
ولا تتوانى حركته المنظمة الرتيبة وبتلك القوة الكامنة فى الخلية المستعدة من
الناموس الماضى فى طريقه بين التدبير والتقدير حتى تجى " مرحلة العظام
(فخلقنا المضة عظاما) فمرحلة كسوة العظام باللحم (فكسونا العظام لحما)
وهنا يقف الانسان مدهوشا أمام ما كشف عنه القرآن من حقيقة فى تكوين الجنين

(١) سورة المؤمنون : ١٣ .

(٢) انظر الظلال لسيد قطب ج ١٨ ص ٢٤٥٨ وانظر ترجيح اساليب القرآن على
اساليب اليونان لابن الوزير ص ١٠٩-١١٠ .

لم تعرف على وجه الدقة الا اخيرا بعد تقدم علم الاجنة التشريحي ، ذلك
أن خلايا العظام غير خلايا اللحم وقد ثبت أن خلايا العظام التي تتكون أولا فـى
الجنين ولا تشاهد خلية واحدة من خلايا اللحم إلا بعد ظهور خلايا العظام وتـمام
الهيكل العظمى للجنين ، وهى الحقيقة التي يسجلها النص القرآنى : (فخلقنا
المضغة عظاما فكسونا العظام لحما) فسبحن العليم الخبير (١) .

قال ابن الوزير: (ومن ثم قيل فكرك فيك يكفيك) (٢) .
فانظر من الذى أنشأ العظام الصلبة وكونها فى ظلمات الأرحام من طعام
يجرى سائلا فى دم الأم ؟
من الحكيم الذى كون مفاصل العظام وجعلها ملساء ؟ وأمدّها بالسائل اللزج
لمنع الاحتكاك والتآكل فى العظام عند حركتها ؟
من الخبير العليم الذى كسا العظام لحما يحرك الجسد فى غاية من الدقة
والإبداع ؟

أهو وثن أصم لا يطك لنفسه ان ينتقل من مكان الى مكان ؟ أم إنها الطبيعة
التي لا تملك تدبيرا ولا تفكيرا ؟ أم إنه العدم الذى لا وجود له ؟ أم إن ذلك الخلق
البديع والتركيب المحكم والتقدير الدقيق يشهد أنه من صنع خالق حكيم عليم خبير
مصور بديع هو الله سبحانه وتعالى (٣) .

وقد جمع الله تعالى كورد لآلى النفوس والافاق فى قوله تعالى : (سنريهم
آياتنا فى الافاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) (٤) وذلك أنا نعلم
بالضرورة وجودنا أحياء قادرين عالمين سامعين مبصرين مدركين بعد أن لم نكن
شيئا وأن أول وجودنا كانت نطفة قدرة مستوية الاجزاء والطبيعة غاية الاستواء ،
بحيث يمتنع فى عقل كل عاقل أن يكون منها بغير صانع حكيم ما يختلف أجناسا
وانواعا وأشخاصا .

(١) ماخوذ من الظلال باختصار ج ١٨ ص ٢٤٥٩ .

(٢) ايثار الحق لابن الوزير ص ٤٤ .

(٣) انظر توحيد الخالق - لعبد المجيد الزندانى ج ٢ ص ٢٦-٢٧ من القسم الاول .

(٤) سورة فصلت : ٥٣ .

ثم يمشى ابن الوزير - رحمه الله - مبينا اختلاف تلك الاجناس والأنواع
والاشخاص قائلا : (أما الاجناس فكما نبه عليه قوله تعالى : (والله خلق
كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من
يمشى على أربع يخلق الله ما يشاء) (١) .

وأما الانواع فنبه عليه بقوله تعالى : (ألم يك نطفة من منى يمشى . ثم كان
علقة فخلق فسوى ، فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى) (٢) . ومنه (ثم سواك
رجلا) (٣) .

وأما الاشخاص فبقوله تعالى : (قتل الانسان ما أكفره ، من أى شىء خلقه
من نطفة خلقه فقدره ، ثم السبيل يسره) (٤) .

ولعل ابن الوزير يريد بالاشخاص من استدلاله بالآية الكريمة ما قيل من
أن المراد بالانسان هنا (عتية بن أبى لهب) أو غيره . والأولى ما قاله الشوكانى :
من (أن المراد به الجنس فيدخل تحته كل كافر شديد الكفر ، ويدخل
تحت من كان سببا لنزول الآية دخولا اوليا) (٥) وعملا بقاعدة : العبرة بعموم
اللفظ لا بخصوص السبب كما تقرر فى علم أصول الفقه .

قلت : فإذا نظر العاقل فى الانسان وجده نوعا من انواع اخرى فى هذه
الارض ، لكنه يشترك معها فى بعض الامور ثم يتميز عنها ، فهو مخلوق من تراب
مثلها فى الاصل (ومن آياته ان خلقكم من تراب) (٦) (والله أنبتكم من الارض
نباتا) (٧) (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى) (٨) ،
(والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين
ومنهم من يمشى على أربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شىء قدير) (٩) (ثم
جعل نسله من سلالة من ماء مهين) (١٠) .

(١) سورة النور : ٤٥ .

(٢) سورة القيامة : ٣٩ .

(٣) سورة الكهف : ٣٧ .

(٤) سورة عبس : ١٧-١٨-١٩-٢٠ .

(٥) فتح القدير ج ٥ ص ٣٨٤ .

(٦) سورة الروم : ٢٠ .

(٧) سورة نوح : ١٧ .

(٨) سورة طه : ٥٥ .

(٩) سورة النور : ٤٥ .

(١٠) سورة السجدة : ٨ .

ثم يزيد ابن الوزير لنوع الاصل الواحد الذى خلق منه الأدميون بيانا فيقول :
(وبيانه أنه خلق من نطفة مقدرة مستوية الطبيعة ، فكيف يكون منها ما يصير ،
ومنها ما يسمع ، ومنها ما يطعم ومنها ما يشم ، ومنها الصلب ، ومنها الرخو ، ومنهم
من يعيش على رجلين ، ومنهم من يعيش على أربع ، كما نبه الله عليه فى كتابه الكريم
(والله خلق كل دابة من ما) .

ونعلم أننا قد تغيرت بنا الأحوال ، وتنقلت بنا الأطوار تنقلا عجيبا ، فكنا
نطفة شعلقا ثم مضغا ثم لحما واما ثم عظاما صلبة متفرقة فى ذلك اللحم والدم تقويهما
وعصبا رابطة بين تلك العظام صالحة لذلك الربط ما فيها من القوة والمتانة ثم
تركب من ذلك آلات وحواس حية موافقة للمصالح مع ضيق ذلك المكان وشدة ظلمته .
والى ذلك الاشارة بقوله تعالى : (يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعدد
خلق فى ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فأنى تصرفون (١)) .

ثم انظر الى موضع العينين بعيدا مما يؤذيها ، مرتفعا للتمكن من إدراك البصرات
فى الوجه الذى لا يحتاج الى تغطية باللباس من الجمال البديع فيها وفى جفونهما
ولو كانا فى الرأس أو فى الظهر أو فى البطن أو غير ذلك ماتت الحكمة ولا النعمة بهما
وكذلك كل عضو فى مكانه (٢) .

وفى خلق الانسان عجائب أخرى يبينها ابن الوزير - رحمه الله - فيما يلى :
وانظر الى ستر القدر فى البطن بالسواتر العظيمة بحيث لا يحس له حس ولا يظهر
له ريح ، ولا يخرج إلا باختيارنا فى موضع خال من الناس .
وابت من عجب صنع الله - تعالى - استسماك البول فى حال الغفلة بل فى
حال النوم حتى نختار خروجه ونرضى به من غير رباط ولا سداد فى مجراه ولا مانع
محسوس (فتبارك الله أحسن الخالقين) (٣) .

والى عجائب أخرى وهى : حياتنا فى بطون الامهات من غير نفس ولو كان ثم
نفس لكان ثم صوت ولو غم أحدنا بعد الخروج ساعة لمات .

(١) سورة الزمر : ٦ .

(٢) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ج ١ ص ٤٥

(٣) سورة المؤمنون : ١٤ .

ثم خروجنا من ذلك الموضع الضيق من غير اختيار من المولود والوالدة ، وهو فعل محكم صعب لا بد له من فاعل مختار ، وعدم الموت لشدة الضغطة عند الخروج وسلامة الولد وأمه من الموت ، في ذلك من آيات الله كما أشار إليه بقوله (وماتحمل من انثى ولا تضع إلا بعلمه) (١) .

ثم إلى عجائب أخرى وهي : إحداث اللبن في ثدى الأم من يومئذ بين فرث ودم .

ثم إلى أخرى وهي : الترقى من حال الطفولة إلى حالة التمييز وتتعاقب عليه الأحوال من الصغر والكبر والضعف والقوة والشباب والشيب والعقل والذكاء ، والبلادة والعرض والصحة والشهوة والعسر واليسر ، والغنى والفقر من غير اختيار منه في شيء من ذلك فلا بد لهذه التغيرات من مغير قادر عالم مدبر حكيم (٢) ، سبحانه وتعالى .

ثم هو لا يكتفى بما يذكر من ذلك على كثرته بل يحيل القارىء إلى كتب والسي مؤلفين في علم التشريح (٣) ، ليقف من أسرار خلق الإنسان على ما يضطره إلى التصديق الجازم بوجود إله خالق قادر عليم حكيم .

وما أبدع ما يقول في الرد على من يزعم أن هذه الآثار التي تحير الالباب وتذهل العقول هي من صنع الطبيعة الصماء البكماء التي لا قدرة لها ولا إرادة ، وفاقد الشيء لا يعطيه فيقول : (فلو جاز أن يكون مثل هذا بغير صانع لجاز أن تصح لنا دور معمورة أو مصاحف مكتوبة أو ثياب محوكة أو حلى مصوغة بغير بان ولا كاتب ولا حائك ولا صائغ) (٤) .

ولا يقف ابن الوزير عند ذلك بل يزيد ذلك بيانا بقوله : (فانظر كيف يمكن أن يتغير المعنى إلى تلك الأمور المختلفة المحكمة البديعة الأحكام العجيبة الصنعة ، وهل ذلك إلا بمنزلة تجوز أن يصير المداد مصحفا معربا لا غلط فيه ولا لحن بطبع المداد من غير كاتب عالم ، بل إحكام الإنسان ابلغ وأعجب .

(١) سورة فاطر : ١١ .

(٢) انظر ايثار الحق لابن الوزير ص ٤٥-٤٦ .

(٣) مثل كتاب لقط المنافع لابن الجوزي .

(٤) ايثار الحق لابن الوزير ص ٤٦ .

وقد رأيت كم جمع في الأنملة الواحدة من الأصابع من الأشياء المختلفة فوضع فيها جلدا ولحما وعصا وشحما وعروقا ودما ومخا ، وعظما وظفرا وشعرا ، وبضعة عشر شيئا غير ذلك ، كل واحد منها يخالف الآخر قدرة وحياة واستواء وارتفاعا وانحدارا ، وخشونة ولينا ، وحرارة وبرودة ، ورطوبة ويوسسة ، وصلابة ورخاوة ، اى جعلها مدركة لهذه الامور . ثم خلق في بعضها الحياة دون بعض كالشعر والظفر وجعلها مدركة لأمر شتى كالحرارة والبرودة واللين والخشونة والقلسة والكثرة ، والرطوبة واليوسسة ، ومن لطيف الحكمة فيها اختلافها في الطول والقصر حتى تستوى عند القبض على الأشياء فتقوى بالاستواء ، وهذا ما تخفى فيه الحكمة جدا ، أعنى كون الاختلاف في ذلك سبب الاستواء عند القبض ، ولذلك خصت بالذكر في قوله تعالى : (بلى قادرين على ان نسوى بنانه (١)) (فتبارك الله احسن الخالقين (٢)) .

ويستمر ابن الوزير في بيان دلالة الانفس بظاهرة الموت والحياة ، وذلك مما يدل على وجود صانع حكيم ومدبر عليم على كل شىء قدير فيقول : (ونبه بقوله سبحانه - على أن الموت دع عنك الحياة ما يستدل به على الله كما أوضح ذلك في قوله : (فلو لا اذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون ، فلو لا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين) (٣) وذلك أن الحى يموت بإذن الله تعالى مع اجتماع اسباب الحياة فهذا العالم الواسع كما يعيش بإذن الله فى بطن أمه بغير نفس يجرى ولا هواً يمد روحه ، فسبحان من هو على كل شىء قدير ، ومنه البدأ وإليه المصير (٤)) .

وبهذا يتبين تعليل ابن الوزير لدلالة الأنفس بأنها بليغة بل ونفيسة يؤيد ذلك ما قرره شيخ الاسلام ابن تيمية بقوله :
(فالاستدلال على الخالق بخلق الانسان فى غاية الحسن والاستقامة وهى طريقة عقلية صحيحة وهى شرعية ، دل القرآن عليها وهدى الناس إليها وبينها وأرشد إليها .

(١) سورة القيامة : ٤٠ .

(٢) سورة المؤمنون : ١٤٠ .

(٣) سورة الواقعة : ٨٣-٨٧ .

(٤) ايثار الحق لابن الوزير ٤٧-٤٩ ، ترجيح اساليب القرآن على اساليب اليونان له

وهى عقلية ، فإن نفس كون الإنسان حادثا بعد أن لم يكن ، ومولودا ومخلوقا من نطفة ، ثم من علقه ، هذا لم يعلم بمجرد خبر الرسول ، بل هذا يعلمه الناس كلهم بعقولهم ، سواء أخبر به الرسول أو لم يخبر، لكن الرسول أمر أن يستدل به ، ودل به وبينه واحتج به ، فهو دليل شرعى لأن الشارع استدل به وأمر أن يستدل به وهو عقلى لأنه بالعقل تعلم صحته (١) .

من أدلة النفس ما فى الإنسان من مميزات :

فى نهاية الكلام على دلالة النفس التى ذكرها ابن الوزير أحب أن أشير الى مميزات الإنسان لما له بهذا من العلاقة كما سبق فى الآيات التى سبق ذكرها ، منها (وفى أنفسكم أفلا تبصرون) (٢) فأقول :

الإنسان نوع متميز عن غيره كما يبدو فى قوله تعالى : (لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم) (٣) وذلك من جهة خلقه وتكوينه الجسمى ، كما تشير الآيات الى تسويته أكثر من مرة (ثم سواء) (٤) (فاذا سويته) (٥) (فسواءك فعدلك) (٦) .

ولا حاجة الى أكثر من الإشارة فى أثر انتصاب قامة الإنسان وانطلاق يديه فى نشوء الحضارة ونموها كذلك من جهة العقل والعلم الناميين بسبب الحواس، كما يشير الى ذلك قوله تعالى : (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون) (٧) .

وقال : (علم الإنسان ما لم يعلم) (٨) وقال : (خلق الإنسان علمه البيان) (٩) علم قابل للنمو والزيادة (وقل رب زدنى علما) (١٠) .

(١) النبوات لابن تيمية ص ٤٨ .

(٢) سورة الذاريات : ٢١ .

(٣) سورة التين : ٣ .

(٤) سورة السجدة : ٩ .

(٥) سورة ص : ٧٢ .

(٦) سورة الانفطار : ٧ .

(٧) سورة النحل : ٧٨ .

(٨) سورة العلق : ٥ .

(٩) سورة الرحمن : ٤ .

(١٠) سورة طه : ١١٤ .

أفضل مميزات الانسان :

وأفضل مميزات هو الجانب الروحي المشار إليه بقوله تعالى : (فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) (١) في موضعين من القرآن الكريم ، وقوله تعالى : (ثم سواه ونفخ فيه من روحي) (٢) . وهذا هو الجانب الذي رفع مكانة الانسان وجعله في مقام التكريم ، فاستحق أن امر الله الملائكة بالسجود له فسجدوا . ذكر ذلك في سبعة (٣) مواضع من القرآن الكريم .

(ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً) (٤) . (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) (٥) .

ويستفاد من هذا أن الكيان الانساني مركب من جزئين ترابى (٦) وروحي سماوى ، ولكل منهما طبيعته في السمو والهبوط ، إذن فهما في صراع دائم . وهذان الجزآن لا ينفصلان عن بعضهما مادام الانسان حيا ، فهل يستطيع أحدهما ان يتصرف دون الآخر ؟

قد يقال : اذا غلب الجانب الروحي صار التصرف روحانيا ، واذا غلبت طبيعة التراب صار حيوانا . وعلى هذا فهل يصلح لعمارة الارض ؟

قد يكون الجواب (لا) لأن الحيوانية لا تصلح للخلافة في الارض ، والرهينة يأبأها الاسلام ، بل ولا تصلح لعمارة الارض وذلك لاعتنائى مع الحكمة التى خلق من أجلها الانسان .

إذن فلابد من التوازن بين الجزئين ، وذلك هو الكمال المنشود (ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقتنا عذاب النار) (٧) ، (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) (٨) .

وكان النبی صلى الله عليه وسلم يدعو بهذا الدعاء : (اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة امرى وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى وأصلح لى آخرتى التى فيها معادى ...) (٩) .

(١) سورة الحجر : ٢٩ سورة ص : ٧٢ .

(٢) سورة السجدة : ٩ .

(٣) سورة البقرة : ٣٤ ، الاعراف : ١١ ، الحجر : ٣٠ ، الاسراء : ٦١ ، ص : ٧٣ ، الكهف : ٥٠ ، طه : ١١٤ .

(٤) سورة الاسراء : ٧٠ . (٥) سورة التين : ٥ .

(٦) فان قيل : إنه من نطفة فهل هى ، إلا من تراب ؟

(٧) سورة البقرة : ٢٠١ وكان اكثر دعاء النبى صلى الله عليه وسلم كما فى مسلم عن انس فى كتاب الذكر والدعاء باب فضل الدعاء ج٤ ص ٢٠٧ .

(٨) سورة القصص : ٧٧ .

(٩) رواه مسلم عن ابى هريرة ج٤ كتاب الذكر والدعاء باب التعوذ من شر ما عمل ص ٢٠٨ .

الطريقة الثالثة

دلالة الأفاق

سبق الكلام على طريقة ابن الوزير فى اثبات الصانع بدلالة الأنفس ، وهى طريقة قرآنية بحتة . والآن نتكلم على طريقته فى دلالة الآفاق التى تكلم عليها الفزائلى سنة ٥٠٥ هـ وابن رشد سنة ٥٩٥ هـ ، وشيخ الاسلام ابن تيمية سنة ٧٢٨ هـ ، وسموها هى ودلالة الأنفس أدلة الاختراع والعناية ، فنقول :

إذا نظر العاقل - الذى يريد الوصول الى معرفة الحق - فى الأعاجيب المختلفة فى الارض والسماء وما فيها من سائر المخلوقات علم أنه لا بد لها من صانع مدبر حكيم .

ولكن هذا النظر لا يستفيد منه صاحبه ويوصله إلى الحق إلا إذا كان صادرا عن قلب سليم من الزيغ والهوى يصحب ذلك إرادة الحق والإنصاف ، طالبا لقيام الحجة ، منتهجا طريقة القرآن الكريم متمسكا به ، ملتصقا للنور والهدى فيه ، وبعد هذا فلن يخيب الله من قصده ، لأن الله ضمن لمن اتبع هداياه ألا يضل فى الدين ولا يشقى فى الآخرة .

وبالمقابل من أعرض عنه فإنه يعيش فى الدنيا عيشة الضنك والنكد ، ويكون يوم الحشر أعمى ، جزاء لإعراضه عن التماس الهدى والنور فى غير القرآن الكريم (فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) (١) .

وابن الوزير - رحمه الله - قد سلك هذه الطريقة ، أعنى طريقة القرآن كما سبق ذكر ذلك فى دلالة الأنفس . وهنا يقول ابن الوزير : (وأما دلالة الآفاق فما يحدث ويتجدد فى العالم من طلوع القمرين والكواكب وغروبها عند دوران الأفلاك الدائرات . . والرياح الذاريات ، والنجوم الثوابت منها والمعالم) (٢) .

ثم ينتقل ابن الوزير الى نوع آخر من الاستدلالات الأفقية ، وهو ما يسمى بلغة عصرنا بالطقس أو الأحوال الجوية فيقول : (وكذلك تغير أحوال الهواء بالغيوم والصواعق والبروق العجيبة المتتابعة المختلطة بالغيوم الثقال الحاملة للماء الكثير ، المطفى بطبعه للنار المضادة له ، وما فى الجمع بينها ، وأنشائها

(١) سورة طه : ١٢٣-١٢٤ .

(٢) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ج ١ ص ٤٩-٥٠ ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان له ص ١١٠ .

وإنزال الأمطار منها بالحكمة البالغة لا تختلط قطرة باخرى ولو اشتدت الرياح العواصف وصغرت القطر ، وكثرت وتقاربت حتى تقع متفرقة غير ضارة ولو اجتمعت لعظم ضررها (١) .

وبمناسبة ذكر الاحوال الجوية رأيت من المستحسن الإشارة الى معاني الرعد والبرق والصواعق لما لها من الأثر فى النفوس المؤمنة والكافرة فنقول :
قد ذكر الله هذه الاشياء فى غير موضع من القرآن الكريم من ذلك قوله تعالى :
(أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت . .) (٢) . وقوله (هو الذى يريك البرق خوفاً وطمعاً وينشئ السحاب الثقال ، ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال) (٣) .

وقد اختلف فى معاني هذه الاشياء فقل : الرعد اسم لصوت الملك الذى يزجر السحاب لما رواه الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : (أقبلت يهود الى النبى - صلى الله عليه وسلم - فقالوا يا ابا القاسم أخبرنا عن الرعد ما هو ؟ قال : ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله . فقالوا : فما هذا الصوت الذى نسمع ؟ فقال : زجرة (٤) بالسحاب اذا زجره حتى ينتهى الى حيث امر ، قالوا : صدقت (٥) . . .) .

قال القرطبى : (وعلى هذا التفسير اكثر العلماء فالرعد اسم الصوت المسموع وقاله على رضى الله عنه ، وهو المعلوم فى لغة العرب) .
وقيل هو اضطراب أجرام السحاب عند نزول المطر منها ، والى هذا ذهب جمع من المفسرين تبعاً للفلاسفة وجهلة المتكلمين . حكى هذا الشوكانى فى تفسيره .

(١) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ج ١ ص ٥٠ وانظر الترجيح له ص ١١٠ .

(٢) سورة البقرة : ١٩

(٣) سورة الرعد : ١٢-١٣ .

(٤) أى هو زجرة كذا فى تحفة الاحوذى للمباركفورى ج ٨ ص ٥٤٣ .

(٥) سنن الترمذى بتحفة الاحوذى ج ٨ ص ٥٤٣-٥٤٤ وقال الترمذى هذا حديث حسن صحيح غريب ، مسند أحمد ج ١ ص ٢٢٤ .

وقيل الرعد ملك من الملائكة اسمه الرعد وهو الذى يسمع صوته .

وقيل الرعد : ريح تختنق تحت السحاب فتصاعد ، فيكون منه ذلك الصوت ،
وقيل غير ذلك .

والبرق مخراق حديد بيد الملك الذى يسوق السحاب . واليه ذهب كثير
من الصحابة وجمهور علماء الشريعة للحديث السابق .
وقال بعض المفسرين تبعا للفلاسفة : إن البرق ما ينقذ من اصطكاك أجرام
السحاب المتراكمة من الأبخرة المتصاعدة المشتعلة على جزء نارى يلتهب عند
الاصطكاك .

قال القرطبي : (وهذا مردود ولا يصح به نقل . والله اعلم) .
والصواعق جمع صاعقة . ويقال لها الصواعق : هى قطعة من نار تنفصل من
مخراق الملك الذى يزجر السحاب عند غضبه وشدة ضربه لها لحديث ابن عباس
السابق ذكره وبه قال كثير من علماء الشريعة .
ومنهم من قال : إنها نار تخرج من فم الملك ، وقال الخليل : هى الواقعة
الشديدة من صوت الرعد يكون معها أحيانا قطعة نار تحرق ما أتت عليه ، وقيل
هى نار تسقط من السماء فى رعد شديد ، والصاعقة صيحة العذاب ومنه (فاخذتهم
صاعقة العذاب الهون (١))

وقال الأكوسى فى معنى الصاعقة : (والمشهور أنها الرعد الشديد معه
قطعة نار لا تعربش إلا أتت عليه ، وقد يكون معه جرم حجرى أو حديدى) (٢) ،
وقيل غير ذلك .

والعجيب أنه فى هذا الهول الشديد من الرعد والبرق والصواعق ، وفى زحمة
تسبيح الرعد بحمد الله والملائكة من خيفته وزمجرة العواصف . . ترتفع أصوات
بشرية بالجدل فى الله صاحب هذه القوى كلها ، وباعث كل هذه الاصوات التى
ترتفع على كل جدال ، وكل محال (وهم يجادلون فى الله) أى يشكون فى الله
وفى عظمتة ، وأنه لا إله إلا هو (وهو شديد المحال) أى شديد الأخذ والقوة .
وهكذا تضع أصوات الباطل فى غمرة هذا الهول المتجاوب من الرعد والبرق
والصواعق الناطقة كلها بوجود الله وبوحدانيته سبحانه وتعالى (٣) .

(١) سورة فصلت : ١٢ .

(٢) انظر تفسير ابن جرير ج ١ ص ١٤٨-١٥٣ ، تفسير القرطبي ج ١٨٧-١٨٩ ،

فتح القدير للشوكانى ج ١ ص ٤٨ ، روح المعاني للأكوسى ج ١ ص ١٢٤ ،
ط . بيروت .

(٣) انظر ظلال القرآن لسيد قطب ج ١٣ ص ٢٥٥ ، تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٦٢
فتح القدير للشوكانى ج ٣ ص ٧٢ .

نكتفى بهذه الإشارة الى ما يتعلق بمعانى البرق والرعد والصواعق ، ثم نرجع الى كلام ابن الوزير فى دلالة الآفاق على إثبات وجود الله سبحانه وتعالى وهو ما يتعلق بالأحوال الجوية فيقول : (ثم نزول البرد القوى الشديد المتحجر فى أوقات الخريف الذى لا يجمد فيه الماء ، مع أنه لا يجمد فى ايام الغيم سواء كانت فى الشتاء او فى غيره ، لرطوبة الغيم ، فمن أين جاء البرد المتحجر ؟ والماء اذا جمد لا يكون على صفة البرد أبداً . فتأتى هذه الأمطار فتعم الارض سهولها ووعورها وشعابها وشعافها لينبت العشب الكثير للأنعام وسائر الهوام وتسقى المزروع وتنبت الاشجار والفواكه والازهار والثمار وتمت البحار والأنهار والآبار . ثم ما فى اختلاف الليل والنهار والفصول والأحوال .

وقد جمع الله تعالى ذلك فى قوله : (إن فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون) (١) .

تلك السموات والارض ، هذه الأبعاد الهائلة والاعرام الضخمة ، هذا التناسق فى مواقعها (واختلاف الليل والنهار) تعاقب النور والظلام ، توالى الإشراف والعممة ، ذلك الفجر وذلك الغروب كم اهتزت لها مشاعر وكم وجفت لها قلوب ، وكما كانت أعجوبة الأعاجيب ، ثم فقد الانسان روعته مع التكرار إلا القلب المؤمن الذى تتجدد فى حسه هذه المشاهد ويظل أبداً يذكر نعم الله فيتلقاها فى كل مرة بروعة الخلق الجديد (٢) .

والسفن الجوارى فى البحر كالجبال آية اخرى من آيات الله آية حاضرة ومشهودة آية تقوم على آيات كلها من صنع الله دون جدال ، هذا البحر من أنشاء من البشر أو غيرهم يدعى هذا الإدعاء ؟ ومن أودعه خصائصه من كثافة وعمق وسعة حتى يحمل السفن الضخام ، وهذه السفن من أنشاء مادتها وأودعها خصائصها فجعلها تطفو على وجه الماء . وهذه الرياح التى تدفع ذلك النوع من السفن التى كانت معلومة

(١) سورة البقرة : ١٦٤ وانظر إشار الحق على الخلق لابن الوزير ج ١ ص ٥٠ .

(٢) انظر فى ظلال القرآن لسيد قطب ج ٢ ص ١٥٢ .

وقتها للمخاطبين - وغير الريح من القوى التى سخرت للانسان فى هذا الزمان من بخار أو ذرة ، أو ما يشاء اللمعد الآن - من جعلها قوة فى هذا الكون تحرك الجوارى فى البحر كالأعلام (١) .

(وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها) من الذى أنشأتك الحياة التى تبعث من الارض حينما ينزل عليها الماء ؟ من أنشأ هذه الحياة المجهولة الكنه اللطيفة الجوهر التى تدب فى لطف ثم تبتدى معلنة قوية ، من أين جاءت هذه الحياة ؟ كانت كامنة فى الحبة والنواة ! ولكن من أين جاءت إليهما ، إنه لا يجدى الهرب من مواجهة هذا السؤال الذى يلح على الفطرة (٢) .

قال سيد قطب : (لقد حاول الملحدون تجاهل هذا السؤال الذى لا جواب عليه ، إلا وجود خالق قادر على إعطاء الحياة للموت ، وحاولوا طويلا أن يوهموا الناس أنهم فى طريقهم إلى إنشاء الحياة - بلا حاجة إلى إله - ثم أخيرا إذا هم .. ينتهون إلى نفض أيديهم والقرار بما يكرهون : استحالة خلق الحياة . وأعلم علماء روسيا الكافرة فى موضوع الحياة هو الذى يقول هذا الآن ..) (٣) .

ثم تلك الرياح المتحولة من وجهة إلى وجهة ، وذلك السحاب المحمول على هوا ، المسخر بين السماء والارض ، الخاضع للناموس الذى أودعه الخالق لهذا الوجود .

هذه الامور هى من أعظم صنعة الصانع الحكيم ، ومعلوم لدى كل عاقل أنه لا يتهيأ لأحد غير الله - سبحانه - أن يأتى بشئ منها ، بل ولا ادعاء عاقل ، فمن نظر فى واحد من هذه الآيات الكريمة نظر عاقل منصف تحتم عليه التصديق بأنه لا صانع له الا الله سبحانه وتعالى (٤) .

فالكون بضخامته الهائلة التى لا تصل إلى مداها العيون ، بل لا تصل إلى مداها الأفكار ، ضخامة لا يمكن أن ينجو من وقعها الحس ، ولو أراد أن ينفلت ولو كابر أمام الناس والكون بدقته المعجزة التى لا يختل فيها شئ قيد شعرة ،

(١) انظر فى ظلال القرآن لسيد قطب ج ٢ ص ٣١٥٩ .

(٢) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٣٥ .

(٣) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٣٥ .

(٤) انظر فتح القدير للشوكاني ج ١ ص ١٦٣ .

هذا الكون لا يتحرك خبط عشواء ، إنه يسير فى حركة دقيقة تبلغ حد الإعجاز .
هذه الملايين بل ملايين الملايين من النجوم فى الكون لا تلتقى اثنان منها ففى
هذا الكون العريض ولا يقع بينهما تصادم إلا أن يشاء الله .

ألا تدل هذه الاشياء المحكمة على أن لها صانعا حكيما صنعها وأتقنها ؟
وهو الله سبحانه وتعالى (هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه) (١) ،
(نلکم الله ربکم لا اله الا هو خالق کل شئ فاعبدوه وهو على کل شئ وكيل) (٢) .
قلو وقف الانسان لحظة واحدة يرقب ما خلق الله فى السموات والارض ويستعرض
هذا الحشد الذى لا يحصى من الاجناس والانواع والهيئات والأحوال والأوضاع
والأشكال . . لو وقف لحظة واحدة لملا وطابه (٣) بما يغنيه حياته كلها ،
ويشغله بالتدبر والتفكر والتأثر ما عاش (٤) .

هذا وقد اورد ابن الوزير فى كتابه (ترجيح أساليب القرآن على أساليب
اليونان) (٥) خمسا وعشرين آية دالة على هذه المعانى السابقة . سنذكر بعضها
قريبا ان شاء الله تعالى .

كما ذكر أنه اختارها من بين خمسمائة آية من القرآن الكريم .
وقد سرد تلك الآيات فى معرض الرد على القائلين بدلالة الأكوان فى إثبات
الصانع من المعتزلة وغيرهم .
كما كانت جوابا لمن سألته عن وجه تجنيه لناهج أهل الكلام ، وخاصة
ما مراده بقوله :

أصول دينى كتاب الله لا العرض *** وليس لى فى اصول بعده غرض (٦)

(١) سورة لقمان : ١١ .

(٢) سورة الانعام : ١٠٢ .

(٣) الوطاب جمع وطب : سقاء اللبن من جلد الجذع فما فوقه كذا فى القاموس ج ١
ص ١٣٧ .

(٤) مقتطفات من دراسات قرآنية لشيخنا محمد قطب ص ٣٣-٣٤ ط . دار الشروق .

(٥) ص ٨١-٨٢-٨٤ .

(٦) الترجيح لابن الوزير ص ٦٨-٨٤ - المعواصم والقواصم له ج ٢ ، الوهم
الخامس عشر ورقة ٢١ .

ويعتق ابن الوزير بهذا أن منهجه في الاستدلال على أصول الدين هو القرآن الكريم بما فيه من الإعجاز وإحكام خلق المخلوقات لجلائها لا العرض الكوني لاستغنائه عنه مع كثرة الشبه فيه (١) .

وأيد منهجه هذا بذكر طريقة قبض أئمة الزيدية في إثبات الصانع ، وعقب عليها بقوله : (والمراد أن هو لا كلهم سلكوا طريق الاستدلال بالأجسام المحكمة المعبر عنها بالصنع ، وحكموا بما تحكم به العقول من دلالة المصنوع المحكم على صانعه الحكيم ، وأن هذه الطريقة هي التي كانت عليها الصمد الأول الذين شهد لهم الرسول الصادق الأمين بأنهم خير القرون بل شهد لهم بذلك كتاب الله تعالى حيث يقول : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) (٢) .

إلا أنه من الملاحظ على ابن الوزير نقله العبارة التالية عن أئمة الزيدية ولم يعلق عليها وهي : (كون القرآن معجزة وضعها لله تعالى) (٣) ومن الآيات التي ذكرها ابن الوزير قوله تعالى : (هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ثم يشجركم فيه تسيمون ، ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ، وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ، وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون) (٤) .

فانظر في تذييل هذه الآيات بجملة مقرة لضمون ما قبلها (إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) في تدبير الله - سبحانه - لهذا الكون ونواميسه العوالمية لحياة البشر ، موافقة لفطرته ، ملبية لحاجاته ، وما هي بالمصادفة العابرة أن يخلق الإنسان في هذه الأرض ، وأن تكون النسب بين هذا الكوكب الأرضي ، وغيره من النجوم والكواكب هي هذه النسب ، وأن تكون الظواهر الجوية والفلكية على ما هي عليه ، ممكنة للإنسان من الحياة ، ملبية لحاجاته على النحو الذي نراه . والذين يتفكرون يدركون حكمة التدبير ودلالاتها على الخالق سبحانه وتعالى .

(١) الترجيح لابن الوزير ص ٧٥ .

(٢) سورة آل عمران : ١١٠ وانظر ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان

لابن الوزير ص ٨٩ .

(٣) سورة النحل : ١٠-١٣ .

(٤) من المعلوم عند ابن الوزير وغيره من أهل السنة أن القرآن كلام الله ، منزل غير مخلوق ، وانظر كلامه ص ٢٤

اما الغافلون فيمرون على مثل هذا في الصباح والمساء في الصيف والشتاء
فلا ينتبهون للبحث عن صاحب هذا النظام الفريد (١) (ان في ذلك لآيات
لقوم يعقلون) .

ومن علامات العقلاء التفكير في الخلق وظواهر النعمة على البشر فان الليل
والنهار والشمس والقمر والنجوم كلها ما يلي حاجة الانسان في الارض بل خلقت
مسخرة لمنفعته .

تصور كيف تكون الحياة اذا كانت ليلا سرمدا او نهارا سرمدا الى يوم القيامة
(ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم
تشكرون) (٢) .

وانظر الى ما أودع الله في الارض للبشر من مختلف المعادن التي تقوم بها
حياتهم في بعض الجهات ، وفي بعض الأزمان . وانظر الى الذخائر المخبوءة في
الارض المودعة للناس كلما قيل إن كنزا منها قد نفذ أعقبه كنز اخر غنى (إن في
ذلك لآية لقوم يذكرون) ولا ينسون أن يد القدرة هي التي خبأت لهم هذه الكنوز (٣)
ومن الايات التي استدل بها ابن الوزير رحمه الله على إثبات الصانع الايات الخمس
المتابعات الملوآت بالاستغفامات التقرعية والتوبيخية والتهكمية لأولئك
الجهال الذين يعدلون عن الحق الى الباطل ، وكيف جعل الله الحاجز المائس
بقدرته - سبحانه - بين البحرين العذب والمالح بحيث لا ينفذ هذا على ذاك .

وكيف استدل الله - سبحانه - على إثبات وجوده بحاجة الانسان الى ربه
على العموم ، لاسيما في أوقات الشدة ، وأن ذلك لا يضطرار الحاصل وقت الشدة
يتسبب عنه الإخلاص وقطع النظر عما سوى الله وهكذا دواليك في سائر الايات
واذا ثبت أنه لا يقدر على ذلك الا الله وحده - اى على ما تضمنته الايات الآتية
فهل إله في الوجود يصنع ذلك الصنع (هل من خالق غير الله) (٤) ومن الايات
التي استدل بها ابن الوزير قوله تعالى : (أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم
من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) له مع

(١) انظر في ظلال القرآن لسيد قطب بتصرف ج ١ ص ٢١٦٢ .

(٢) سورة القصص : ٧٣

(٣) الظلال بتصرف ج ١ ص ٢١٦٣ .

(٤) سورة فاطر : ٣ .

الله بل هم قوم يعدلون، أم من جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا ، ألمه مع الله —————
بـل اكثرهم لا يعلمون . أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ألمه مع الله ؟ قليلا ماتذكرون . أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ، ومن يرسل الرياح بين يدى رحمته ألمه مع الله ؟ تعالى الله عما يشركون .
أمن يبدء الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض ألمه مع الله ؟ قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين (١) .

هاتوا برهانكم : حجتكم على أن ثم صانعا يصنع كهذه الاشياء . قال الشوكاني : (وفى هذا تبكيت لهم وتهكم بهم) (٢) .

ويستمر ابن الوزير فى سرد الآيات المتعلقة بدلالة الآفاق على حد تعبيره - ، وبالاختراع والعناية على حد تعبير الغزالي فى بعض طرقه ، وابن رشد ، وابن تيمية . واستدل على ذلك بأول الآيات التى فى سورة النبأ وغيرها وبالفطرة وآياتها وهى الحجة الخامسة والعشرون عند ابن الوزير . وقد سبق ان ذكرت ذلك مع ذكر المثاليين للدالتين فى آخر مقدمة هذا البحث ، إلا أنى لم اذكر الغزالي هناك لكون المقام مقام انتقاد لطرق المتكلمين فى إثبات الصانع ، والغزالي ذكر طريقة القرآن وطريقة المتكلمين (٣) وسكت . لهذا لم اذكره مع الناقدين .

ويستمر ابن الوزير فى تعداد الحجج الى ان قال : (الحجة الخامسة والعشرون ما ذكره الله تعالى فى أول سورة النبأ وما أعظم الحجة بقوله تعالى فيها :) وبنيينا فوقكم سبعا شدادا ، وجعلنا سراجا وهاجا ، وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا ، لنخرج به حبا ونباتا ، وجنات ألفافا (٤)

لأنها مشاهدة كما نبه عليه فى قوله تعالى : (الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها) (٥) .

ولتعلم أن طريقة ابن الوزير فى إثبات الصانع هى طريقة السلف ، اليك نص كلامه وهو :

(١) سورة النمل : ٦٠-٦٤ وانظر ترجيح أساليب القرآن لابن الوزير ص ٢٨ وما

بعدها والعواصم والقواصم فله ج ٢ وهم ١٥ ورقة ٢١٤ .

(٢) فتح القدير ج ٤ ص ١٤٧ .

(٣) انظر إحياء علوم الدين للغزالي ج ١ ص ١٠٥-١٠٦ .

(٤) سورة النبأ : ١٢-١٦ .

(٥) سورة الرعد : ١

(فالفكر فى هذه الامور هو النظر المأمور به وعلى ذلك درج السلف من غير ترتيب المقدمات على قانون أهل المنطق ، بل قد شهد كتاب الله على أن ذلك يفيد البيان ، حيث قال : (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) ثم تعد من زعم أن ذلك لم يفده بيانا بقوله : (أولم يكف بربك انه على كل شىء شهيد) (١) .

وكيف ينكر هذا ويستبعد ، وقد حكى الله - سبحانه - عن الهدهد وهو من العالم البهيبي - أنه وحد الله ، واحتج على صحة توحيد به هذا الدليل المذكور فى الآفاق ، قال الله تعالى حاكيا عنه (ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والارض) (٢) يعنى المطر والنبات . فاحتج بحدوث هذين الامرين للعجيبين المعلوم حدوشهما مع تكررها بحسب حاجة الجميع اليهما ، وكذا قيل لبعض الأعراب بم عرفت ربك ؟ فقال : البعرة تدل على البعير واثار الخطا تدل على المسير ، فسماء ذات أبراج وارض ذات فجاج كيف لا تدل على العلى الكبير (٣) .

وقد اشارت الرسل - عليهم السلام - الى هذا المعنى فى قوله تعالى : (قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السموات والارض) (٤) . وفى ذلك اشارة إلى استنكار الشك فىمن هذا صنعه وأثره ، والاثر الحقيق يدل على صاحبه ، فكيف لا يدل هذا الامر العظيم بما فيه من الآيات على صانعه ؟

وما استجيد فى هذا المعنى وتناقله السلف الصالح قول زيد بن عمرو بن نفيل رحمه الله تعالى :

رضيت بك اللهم رباً فلن أرى *** أدين إليها غيرك الله ثانياً
وأنت الذى من فضل من ورحة *** بعثت الى موسى رسولا منادياً
فقلت (٥) للموسى اذهب وهارون فادعوا الى الله فرعون الذى كان طاغياً

(١) سورة فصلت : ٥٣ .

(٢) سورة النمل : ٢٥ .

(٣) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ج ١ ص ٥٠ - ٥١ .

(٤) سورة ابراهيم : ١٠ .

(٥) فى سيرة ابن هشام : فقلت له يا اذهب على حذف المنادى كانه قال ألا يا هذا

اذهب ج ١ ص ٢٢٧ .

وقولا له آئتت سويت هذه *** بلا وتد (١) حتى اطمأنت كما هيها
وقولا له آئتت رقت هذه *** بلا عمد أرفق إذن بك بانيسا
وقولا له آئتت سويت وسطها *** منيرا اذا ماجنه الليل هاديها
وقولا له من يرسل الشمس غدوة *** فيصبح مامت من الشمس ضاحيا
وقولا له من ينبت الحب فى الثرى *** فيصبح منه البقل يهتز رايبيا
ويخرج منه حبه فى رؤسه *** وفى ذاك آيات لمن كان واعيا

وله أيضا :

وأسلمت وجهى لمن أسلمت *** له الارض تحمل صخرها ثقالا
وحاها فلما رآها استوت *** على الماء أرسى عليها الجبالا
وأسلمت وجهى لمن أسلمت *** له المزن تحمل عذيبا زلا لا
اذا هى سىقت الى بلدة *** اطاعت فصبت عليها سجالا (٢)

ثم يعود ابن الوزير بالقارى الى التامل فى تباين القمرين فى الحرارة والبرودة ويرد القمر مع استمداده نوره من الشمس ، وحرارة الشمس الشديدة ، ومم استمدت تلك الحرارة الدائمة المتوقدة ، وهى فى أرفع لاجواء الرطوبة الباردة ؟ وكيف لم تحترق وتتلاشى مع شدة حرارتها ، ودوامها ، وعدم ماتحرقه مثل سائر الناريات .

ثم يختم ابن الوزير حديثه عن دلالة الآفاق بقوله تعالى : (ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره) (٣) . وفى آية اخرى أنه سبحانه : (يمسك السموات والارض أن تزولا ولكن زالما إن أمسكهما من أحد من بعده) (٤) . ثم يبين الحجة من ذكر هاتين الآيتين الكريمتين ، وهو أن رفع السموات فى الجو بفير عمد مشاهد باجماع كل العقلاء ، بل العالم كله معلق فى الهواء ويسير فى نظام دقيق لدليل على أنه لا بد من مسك عليم قدير فيقول :

(١) الوتد : بكسر التاء فى لغة الحجاز وهى الفصحى وجمعه أوتاد وفتح التاء لغة اهد. مصباح ج ٢ ص ٣٢١ .

(٢) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٢٧-٢٢٨ ، البداية والنهاية لابن كثير ج ٢ ص ٢٤٢-٢٤٣ ، السير والمغازي لابن اسحق ج ١ ص ١١٧-١١٩ .

(٣) سورة الروم : ٢٥ .

(٤) سورة فاطر : ٤١ .

(وهذه حجة اجمع عليها الكفرة مع المسلمين ، فان الجميع اتفقوا على ان العالم في الهواء ارضه وسماؤه ، وما فيه من البحار والجبال وجميع الاثقال . وقد ثبت بضرورة العقل أن الثقل لا يستمسك في الهواء ، إلا بتمسك ، وأن هذا الإمساك الدائم المتقن لا يكون بما لا يعقل من الرياح كما زعمت الفلاسفة ، عسى أن الرياح تحتاج إلى خالق يخلقها ، ثم إلى مدبر يقدرها مستوى الأنفاس موزونة القوة ، لا يزيد منها شيء على شيء حتى تعتدل اعتدالا أتم من اعتدال الفاعل المختار ، فإن الفاعل المختار لو قصد الاعتدال التام حتى يستوى على رأسه جفنة ملوثة ماء ، لم يستطع تمام الاعتدال الا بريضة شديدة ، فكيف تعتدل عواصف الرياح وتقع موزونة وزن القراريط في الصنجات (١) المعدلة حتى يستوى عليها ثقل الارض والجبال من غير رب عظيم قدير عليم مدبر حكيم) (٢) .

وأنا اختتم الحديث عن دلالة الآفاق بأن الأدلة على وجود الله - سبحانه - لا تحصى كما قال الشاعر .

وفي كل شيء له آية *** تدل على أنه الواحد (=)
وفي تلك الأدلة على وجود الله - سبحانه - أنه يخرج من الأشياء المتفقة كالارض والماء أشياء مختلفة كالثمار المختلفة في اللون والطعم والريح والشكل ، فلا يمكن أن يكون ذلك فعل غير صانع كالطبيعة ونحوها التي تمسك بها من لا يريد الإقرار بالحق الواضح ، وهو وجود الصانع المدبر الحكيم . يشير إلى ذلك قوله تعالى : (وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل ، إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) (٣) .
وفي هذا دليل على أن العقل يدرك أن هذه المختلفة والمتنوعات مع اتحادها في الأصل تدل على وجود صانع حكيم خلافا للطبائعيين الذين يهلون عقولهم ، ولا يتدبرون هذه الأمور حق التدبر .

...

-
- (١) هي كفتا الميزان قال في القاموس المحيط ج ١ ص ١٩٧ وصنجة الميزان معربة وكذلك قال الجوهري في الصحاح ج ١ ص ٣٢٦ .
(٢) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ج ١ ص ٥٢-٥٣ .
(٣) سورة الرعد : ٤ .
(=) ديوان أبي العتاهية ص ١٢٢ بيروت دار صادر للطباعة والنشر سنة ١٣٨٤ هـ .

الطريقة الرابعة : دلالة المعجزات

لما قرأت في مؤلفات ابن الوزير في موضوع إثبات الصانع - سبحانه - وجدت أنه جاء بطريقة من طرق اثبات الصانع غريبة ، فظننت أنها مبتكرة .

وهي طريقة الاستدلال بمعجزات الانبياء - عليهم السلام - على إثبات وجود الله سبحانه وتعالى ، وفي أثناء البحث عثرت على كلام مفاده : أنه مسبوق في ذلك . ومن سبقه البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ هـ في كتاب «الاعتقاد» ، وشيخ الاسلام ابن تيمية وغيرهما ، فقد استدل البيهقي على إثبات الصانع بمقدمات النبوة ومعجزات الرسالة ، كون دلائلها مأخوذة من طريق الحسن والاستفاضة بقوله :

(وقد سلك بعض مشايخنا - رحمنا الله وإياهم - في إثبات الصانع ، وحديث العالم طريق الاستدلال بمقدمات النبوة ومعجزات الرسالة ، لأن دلائلها مأخوذة من طريق الحسن لمن شاهدها ومن طريق استفاضة الخبر لمن غاب عنها ، فلما ثبتت النبوة صارت أصلا في وجوب قبول ما دعا اليه النبي - صلى الله عليه وسلم - وعلى هذا الوجه كان إيمان أكثر المستجيبين للرسول صلوات الله عليهم اجمعين) (١) .

وقد نقل هذا النص ابن القيم وأسنده الى الخطابي ماعدا الجملة الاخيرة التي تحتها خط (٢) .

أما كلام ابن تيمية وابن الوزير فيكاد أن يكون واحدا وسيأتى قريبا ان شاء الله تعالى .

وهذه الطريقة التي سلكها ابن الوزير تدل على إثبات وجود الله - سبحانه - من وجهين :

الوجه الاول : أن اتفاق الانبياء جميعا من لدن أولهم آدم - بفيض النظر عن الخلاف في نبوته - إلى خاتمهم محمد - صلى الله عليه وسلم - على أن لهذا العالم صانعا ومديرا حكما وقادرا على كل شيء .

الوجه الثاني : أن الطعن لا يتأتى في جمع كبير يقدر بمائة الف ونيف وعشرين ألفا ، أزمانهم متباعدة وأوطانهم متفرقة ، وأنسابهم مختلفة ،

(١) كتاب الاعتقاد والهداية الى سبيل الرشاد على مذاهب السلف للحافظ البيهقي

ص ٤٥ - بيروت - ط . اولى سنة ١٤٠١ هـ .

(٢) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم اختصره محمد الموصلي ج ١ ص ١٦٧-١٦٨ .

فإذا اتفق هذا العدد - وهذا حالهم - على القطع بصحة أمر لا مجال للمعقول ففى معرفته ، كالشرعيات المحضة ، او على نظرى كاثبات صانع العالم ، بحيث لو اجتمع عيون النظر وعلماء الاقطار على واحد منهم يشككون عليه فى اعتقاده ويدخلون دقائق الشبه فى ضميره لما رفع اليهم رأساً ، ولا التفت الى قولهم اصلاً ، لعلنا علماء عادياً أنهم ماتوا طئوا على التعمد والمباهته ، والتجربى على المغالطة ، وأنه ما جمع متفرقات أنظارهم ، وألف نوافر طباعهم وعصمهم عن متابعة المنفـسرات والقادحات فى شريف حالهم ، وعزيز مقامهم إلا صدق ما ادعوه من علمهم باستنـاد هذا العالم الى رب عظيم ومدير حكيم (١) .

ويمضى ابن الوزير مؤيداً طريقته فى إثبات الصانع بانها طريقة القرآن وطريقة الانبياء - عليهم السلام - بان النظر فى المعجزات هو ما اختاره الله - تعالى - لخليله ابراهيم عليه السلام - حين طلب أن يطمئن قلبه ولكليمه موسى حين أراد ان يفهم خصمه ، وهو النظر فى المعجزات لأن التواتر فيها يقوم مقام المشاهدة ، وذلك ففى قصة حجاج موسى لفرعون لما اشتد كفره وتفاقم ، فلم يسلم له ما اشار اليه من الاحتجاج بخلق المخلوقات فلجأ فرعون لللمعين الى أسلوب العاجز عن مقارعة الحجة بالحجة الى أسلوب السلطة والتهديد ، إذ قال لموسى : (لئن اتخذت إلهاً غيرى لاجعلنك من المسجونين) فقال موسى : (أو لوجئت بك بشيىء مبین . قال فأنت به إن كنت من الصادقين ، فألقى عصاه فإذا هى شعبان مبین ، ونزع يده فإذا هى بيضاء للناظرين) الى قوله تعالى : (فألقى السحرة ساجدين ، قالوا آمنا برب العالمين ، رب موسى وهارون) (٢) .

ويعقب ابن الوزير على هذه القصة بقوله :
(فهذا موسى - عليه السلام - احتج بالمعجز على صحة عقيدته فى نبوته وغيرها على من صرح له بنفى الرب سبحانه .

(١) انظر البرهان القاطع لابن الوزير ص ٧-٨ ، ايثار الحق له ص ٧٣ .

(٢) سورة الشعراء : الايات ٢٩-٤٨ .

وبهذه الطريقة - اى النظر فى المعجزات الواضحات والخوارق الباهرات - آمن السواد الاعظم من أهل الاسلام وبالمعجز كان ايمان السحرة ان حصل لهم من اليقين فى ساعة واحدة - حتى صبروا على مرارة القتل ، وفراق الحياة - ما لم يحصل من النظر فى الكلام فى عدة أعوام ، وعند غلاة المتكلمين لا يصح ذلك لأنه قبل معرفة الله يجوز أن الله تعالى يظهر المعجزة على يد الكاذب تعالى الله عن ذلك (١) وعند بعضهم لا بد من تقدم المعرفة بثبوت الرب وصفاته التى يعلم بها أنه هو ذكر ذلك ابن تيمية (٢) .

ويستمر ابن الوزير مؤكدا ما قرره من أن الطريقة التى آمن بها السواد الاعظم من أهل الاسلام فى زمن نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - وفى زمن موسى وغيرهما من الانبياء - عليهم السلام - هى المعجزة .

كما يستنكر طريقة غلاة المتكلمين المتهاففة فى استدلالهم بالأكوان والاعراض لانها غير ذوات حقيقه عند المحققين

ومالهم عن دليل المعجزات أما * * فى طلعة الشمس عن نور السهى عوض وفى العواصم بلفظ :

ومالهم عن دليل المعجزات أما * * فى الشمس عن زحل للمهتدى عوض كيف يذهب هؤلاء القوم الى الطرق الوعرة المظلمة التى لا توصل إلى الغرض المنشود وأمامهم الطرق الواضحة وضوح الشمس ، ومنها دلالة المعجزات فى إثبات وجود الله - سبحانه - فالتصديق - فى نظر ابن الوزير - بالنبي كاف لمن حصل له ذلك ، لأنه اذا ثبت الرسالة فلا بد من المرسل ، وهذا أقرب الأدلة وأقواها وأجلها وأقطعها للجاج وأولاها وهذا ما اعتمده ابن الوزير عند إرادته إفحام الخصوم بقوله : (أصول دينى كتاب الله لا العرض) (٣) . الخ .

ويقول ابن الوزير ايضا : (وما يدل على ذلك أيضا أن السحرة حين ألقوا عصيهم ما كانوا قد عرفوا الله تعالى . قال الله تعالى : (فآلقوا حبالهم وعصيهم ، وقالوا

(١) العواصم والقواصم لابن الوزير ج ١ قه ٧ - البرهان القاطع له ص ٣٨ .

(٢) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ج ١١ ص ٣٧٨ .

(٣) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير ص ٧٥ - العواصم والقواصم

له ج ٢ الوهم الخامس عشر قه ٢١٤ .

بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون ، فألقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون ، فألقى السحرة ساجدين ، قالوا آمنا برب العالمين ، رب موسى وهارون (١) .

قلت : وجه الاستدلال من هذه الآيات هو أن السحرة أقسموا بعزة فرعون أنهم هم الغالبون ، لأنهم لم يعرفوا الله في ذلك الحين ، وإنما عرفوه من بعد ما بطل سحرهم ، وعلموا أن المعجزة التي تلقفت ما يأفكون على يد موسى - عليه السلام - خارجة عن العادات ومقدور البشر ، فآمنوا رغم التهديدات الفرعونية والتحديات ، بل تحدوا فرعون بما أخبر الله عنهم بقوله : (قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنا تقضى هذه الحياة الدنيا (٦) . . .) .

ثم يستمر ابن الوزير معددا الأدلة المؤكدة لدلالة المعجزات ، كقوليه تعالى : (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله (٣) ثم يبين وجه الاستدلال بقوله : (فهذا من الله تعليم لما تشهد العقول بصحته ، ولأصح الطرق إلى معرفته ، ولذلك لم يقدح فيه من سمعه من عقلاء الكفرة (٤) .

ثم يحشو ابن الوزير بهذه الحشيات البرهانية في وجوه المعاندين الذين عميت بصائرهم وتمعنت عن معرفة الحق فتعمى أبصارهم أيضا وتشوه وجوههم ، هذه الحشيات هي قوله : (فمن قال إن هذه الأشياء لم تغده قيل له ما قال موسى لفرعون) لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مشبورا (٥) .

(١) سورة الشعراء : الآيات ٤٤-٤٨ وانظر البرهان القاطع له ص ٣٨ .

(٢) سورة طه : ٧٢ .

(٣) سورة البقرة : ٢٣ .

(٤) كعتبة بن ربيعة حينما قرأ عليه النبي صلى الله عليه وسلم أوائل سورة فصلت حتى وصل إلى قوله تعالى (فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) فقال عتبة (حسبك حسبك) وفي رواية أخرى فأمسك على فيه وناشدهم بالرحم . . . فلما رجع إلى قومه قالوا ما وراءك يا أبا الوليد فقال : إني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة . . . وفي رواية والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة وإنه ليحطم ماتحته وإنه ليعلو وما يعلى . . . انظر القصة بكاملها في السيرة لابن هشام ج ١ ص ٢٩٣-٢٩٤ - تفسير ابن كثير ، ج ٨ ص ٢٩٢-٢٩٣ وانظرها مطولة في ج ٧ من تفسيره أيضاً من عدة طرق ص ١٥١-١٥٢ .

(٥) سورة الاسراء : ١٠٢ - وانظر البرهان القاطع لابن الوزير ص ٣٨ .

وابن الوزير سنة ٨٤ هـ قد سلك طريقة شيخ الاسلام ابن تيمية سنة ٧٢٨ هـ في هذه النقطة تماما وليست أدري أهذا من قبيل الموافقة أو اطلع المتأخر على كلام المتقدم فقد ذكر ابن الوزير الآيات التي ذكرها ابن تيمية ذاتها من سورة الشعراء، إلا أن المتقدم استكملها والمتأخر اقتطف الشاهد منها .

وقد أقر شيخ الاسلام هذه الطريقة - دلالة المعجزات - على إثبات الخالق عز وجل - لأن القرآن قد جاء بها في قصة فرعون فإنه كان منكرا للرب سبحانه وتعالى (١) .

كما علق ابن تيمية على تلك الآيات بقوله : (فهنا قد عرض عليه موسى الحجج البينة التي جعلها دليلا على صدقه في كونه رسول رب العالمين ، وفي أن له إلهيا غير فرعون يتخذه ، وكذلك قال تعالى : (فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو) (٢) . فبين ان المعجزة تدل على الوجدانية والرسالة ، لان المعجزة التي هي فعل خارق للعادة - تدل بنفسها على ثبوت الصانع كسائر الحوادث ، بل هي اخص من ذلك لأن الحوادث المعتادة ليست في الدلالة كالحوادث الغريبة ولهذا يسبح الرب عندها ويمجد ويعظم ما لا يكون عند المعتاد ويحصل في النفوس ذلة من ذكر عظمتها ما لا يحصل للمعتاد ، إذ هي آيات جديدة فتعطى حقها وتدل بظهورها على الرسول .

واذا ثبت أنها تدعو الى الاقرار بأنه رسول الله فيتقرر بأنها الربوبية والرسالة (٣) .

قال ابن القيم مؤيدا هذه الطريقة :

(وهذه الطريق من أقوى الطرق وأصحها وأدلىها على الصانع وصفاته وأفعاله فان انقلاب عصا ثقلها اليد شعبا ناظيا يتلع ما يربيه ثم يعود عصا كما كانت من أدل دليل على وجود الصانع وحياته وقدرته ومشئته وإرادته ، وعلمه بالكليات والجزئيات ، وعلى رسالة الرسول وعلى البدا والمعاد (٤) .

...

-
- (١) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ج ١١ ص ٣٧٧-٣٨٠ .
(٢) سورة هود : ١٤ - وسياق هذه الآية في تحدى المشركين ان يأتيوا بشئ من هذا القرآن او بعشر مثله مفتريات وهو قوله تعالى : (ام يقولون افترسناه فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) (١٣ : هود) .
(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ١١ ص ٣٧٧-٣٨٠ .
(٤) مختصر الصواعق المرسله لابن القيم . اختصره محمد الموصلى ج ١ ص ١٦٨ .

- مقارنة بين كلام ابن تيمية وابن الوزير رحمهما الله -

إذا نظرت الى الاستدلال بآيات سورة الشعراء السابقة الذكر - على المعجزات تجد الطريقة واحدة ، بدليل أن افكارهما إن لم تكن واحدة فتكاد أن تكون كذلك ، إلا أن شيخ الاسلام ابن تيمية سرد معظم القصة بما فيها من الحوار كفا في الفتاوى وابن الوزير اكتفى بالشواهد منها .

كذلك إذا نظرت الى تعقيب شيخ الاسلام على تلك الآيات بقوله : (فهنا قد عرض عليه موسى الحجة البينة التي جعلها دليلاً على صدقه في كونه رسول رب العالمين وفي أن له إلهاً غير فرعون يتخذه) (١) . إذا نظرت الى هذا ثم نظرت الى قول ابن الوزير مقدماً لتلك الآيات ذاتها بقوله : (والذي احتج به موسى الكليم - عليه السلام - على فرعون وسماه شيئاً مبيناً ، وفي موضع آخر قال : (فهذا موسى - عليه السلام - احتج بالمعجز على صحة عقيدته في نبوته وغيرها على من صرح له بنفى الرب سبحانه) (٢) . فأنت إذا ما قارنت بين كلام الشيخين فستجد أن هــنـدـه الافكار بعضها من بعض ، وكأن ابن الوزير اطلع على كلام ابن تيمية او تتلمذ له ، ولا غرابة في ذلك فإن الوزير قد تأثر تأثراً شديداً بمؤلفات ابن تيمية وتلميذاته ابن القيم بدليل أنه يختار بل يحشد من كلامهما في القضايا والمسائل المختلف فيها بين الفرق الاسلامية وغيرها ما يبهز لب قارئه وقد أشرت الى ذلك في منهجه في البحث العلمي ولله الحمد والمنة .

فهذه طريقة قرآنية بحتة لا يشوبها شيء من طرق أهل الكلام ومصطلحاتهم ، فليس فيها ذكر الحدوث ولا الجوهر ولا الأكوام ولا غير ذلك .

ولا يكتفى ابن الوزير بما قرره من دلالة المعجزات على صدق الانبياء - عليهم السلام - واتفاقهم فيما أخبروا به من أن لهذا العالم صانعاً ومديراً حكيماً . . . بل يضيف الى ماسبق الكثير من القرائن الدالة على ذلك نلخصها فيما يلي ، وقد نضيف

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ١١ ص ٣٢٩ .

(٢) البرهان القاطع لابن الوزير ص ٣٨ ، المواصف له ج ١ ، رقم ٧ والارشاد له ص ٥٢

• إليها يسيرا •

(١) ماتوا من صفاتهم : - عليهم السلام - من عدل وصدق ووقار وزهد في الجاه والمال ، وصلاية تقوى على المحن ، فقد لبث نوح عليه السلام - ألف سنة ، إلا خمسين عاما بين ظهرائي قومه وعشيرته ، فنبذهم وذلهم وكفرهم حتى كانوا يضربونه ويهينونه ويؤذونه بأنواع الأذى وليس له في ذلك هوى ولا شهوة (١) .

وهذا محمد - صلى الله عليه وسلم - عرضت عليه قریش المال والزوجة والجاه والرياسة مقابل ان يترك تسفيه أحلامهم وسب المهتم ، وتعنيف الأحياء والأموال من عشيرته ، فلم يرفع إلى كلامهم رأسا ولم يلتفت إلى مقاتلتهم أصلا (٢) ، بل حدد موقفه الحاسم المشهور الخالد بقوله : (ما جئت بما جئتمكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الطك عليكم ولكن الله بعثنى إليكم رسولا ، وأنزل على كتابا ، وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فان تقبلوا مني ما جئتمكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علي أصبر لا مر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم) (٣) .

فلماذا لم يتحول النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذه الغنيمة التي سبقت إليه مادام أنها الدافع له من وراء دعوته ؟ وهل ينصت طالب الملك والزعامة لمن سعى يعرضها في مفاوضات طويلة رجاء وتهديدا ، ويقول لهم أخيرا كلمته الفاصلة والمدوية في أرجاء العالم إلى يوم القيامة : ١ والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أوت دونه - ما تركته (٤) .

(١) راجع قصة نوح في القرآن الكريم من ذلك سورة الاعراف وهود والشعراء والقمر والعنكبوت وسورة سميت باسمه عليه السلام وغير ذلك .

(٢) انظر البرهان القاطع في معرفة الصانع لابن الوزير ص ٨-٩ .

(٣) السير والمغازي لابن اسحق ص ١٩٧-١٩٨ ، تفسير ابن كثير ج ٧ ص ١٥٢ ، البداية والنهاية ج ٣ ص ٦٣ . قال الالباني في تخريج احاديث فقه السيرة للغزالي وسنده حسن ان شاء الله ص ١١٢-١١٣ .

(٤) السيرة لابن هشام ج ١ ص ٢٦٦ ومن طريق ابن جرير عن يعقوب بن عتبة ويعقوب لم يدرك احدا من الصحابة فهو من اتباع التابعين فهذا اسناد معضل : ضعيف كذا قال الالباني في تخريج احاديث فقه السيرة للغزالي ص ١١٤ وسكت عنه ابن كثير . قلت : لا يضر الحكم عليه بالضعف فان اصول الكتاب والسنة تؤيده اي في صمود الحق واتباعه امام الباطل وأحزابه من ذلك قوله تعالى : (فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين) ٩٤ من سورة الحجر ، وقوله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) المائدة ٦٧ . واعظم ما أرسل به صلى الله عليه وسلم الا مرا التوحيد والنهي عن الشرك وهذه الكلمة الحاسمة قالها صلى الله عليه وسلم في معرض المساومة بالكف عن سب الآلهة فكانت الجواب الحاسم والكلمة الخالد قابد الدهر فلذلك فادع واستقم كما امرت ولا تتبع أهواءهم) ١٥ من سورة الشورى . . الله اعلم .

(٢) معاداتهم لقربائهم وأرحامهم الذين جبلت الطباع على محبتهم وكذلك ترك مناهج آبائهم التي ولع الطبع باتباعها ومعاداتهم لعشيرتهم الأقربين في سبيل تبليغ دعوتهم .

فهذا نوح - عليه السلام - ترك ابنه وقلدة كبده يفرق مع الفرقى ، واستغفر من دعائه ألا يكون مع الهلكى . وهذا إبراهيم - عليه السلام - تبرأ من أبيه لما تبين انه عدو للموعزم على ذبح ولده الذى هو قرعة عينه وأحب الناس اليه ، وهذا محمد - صلى الله عليه وسلم - الذى شهد العدو والصديق بأنه أبر الخلق بعامة أمته دع عنك خاصة رحامته حتى أن الله عاتبه على كثرة رحمته بقوله : (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) (١) . ترك الثناء على أبيه والذكر لهما والترحم عليهما بعد نزول قوله تعالى : (ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى) (٢) ، وولع بذكر النجاشى وصلى عليه ، وأثنى على سلمان الفارسى وأهدى ثمرات الدعاء الجميل اليه (٣) .

وقد أجمع الأصدقاء والأعداء والكفرة والبررة على أن الانبياء - عليهم السلام - كانوا أعقل الناس وأوقرهم . أما المسلمون فعقائدهم فيهم ظاهرة . . فكيف ترى هؤلاء العقلاء الحذاق يعادون أرحامهم ويصادقون من لم تتصل وشيجة نسب بينه وبينهم ، ويتركون مافى موالاة العشيرة من الانتصار عند الهضم والسلامة من الظلم ، ويتحملون مضارعداوتهم لغير غرض يعود عليهم ولا فائدة ترجع اليهم (٤) .

(٣) وقوفهم - عليهم الصلاة والسلام - وهم فقراء مساكين أمام قوى العالم بلاخوف ولا ملل كوقوف موسى وهارون - عليهما السلام - فى وجه فرعون الذى ادعى الربوبية ، أتياه بأعظم ما يوجب ضرب أعناقهما ، لا ترتعد لهما فريضة ولا يخافان من الدنيا نقيصة .

وهذا محمد - صلى الله عليه وسلم - وقف فى وجه قريش وسائر العرب ، وأنوفهم بالكبر تعطس ، وألسنتهم لا تنطق الا بالفخر ، يرون ان يبيد أولهم وآخرهم

(١) سورة فاطر: ٨ .

(٢) سورة التوبة: ١١٣ وانظر الاثار الشاهدة لذلك فى تفسير ابن كثير،

ج ٤ ص ١٥٨-١٥٩ .

(٣) انظر البرهان القاطع لابن الوزير ص ٩-١٠ .

(٤) المصدر نفسه ص ١٠ .

وأصاغرهم وأكابرهم على أيسر عار يلم بساحتهم أو أهون نقص يدنو من أنسابهم ، فجاء - عليه الصلاة والسلام - من الناصر وحيدا ، ومن المال فقيرا ، يسبب الكهتيم ويلهب أفئدتهم ويسفه احلامهم ، يتيم مكفول ، فبينما هو كذلك ان قام يعيب على كافله دينه ويسفه رأيه ولا يخاف من شجعان العرب المشاهير أن عارضهم جميعا وانفرد بعداوتهم وحيدا (١) .

(٤) حصول أغراضهم كما قال تعالى : (والعاقبة للمتقين) (٢) (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) (٣) (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ، إنهم لهم المنصورون ، وإن جندنا لهم الغالبون) (٤) . (كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز) (٥) .

فهذا نوح - عليه السلام - الفقير ، الذى كان يضرب ويشتم فلا يجد له ملجأ ولا مجيرا ، نبعت له الارض عيونا والسما غيوثا حتى كان من عجيب غرق قوم - ما كان (٦) .

ومن ذلك الخسف بأهل السبب من اليهود قردة ، وذلك مما يحصل به العلم الضرورى لمن شاهده أو تواتر له ، لأن تحول الصورة الى صورة أخرى لا يكون بالطبع ، ولا تدخل فيه شبهة لأهل الكفر ، وذلك من الأدلة الواضحة على وجود الله - سبحانه - وقدرته (٧) .

وفى الحديث : (الرسل تتلى شتهكون لهم العاقبة) (٨) وكذلك وقع والله الحمد ، فإن احدا ممن طلب الدنيا والراحة والملك والرياسة من الفلاسفة والمنجمين -

(١) البرهان القاطع فى اثبات الصانع لابن الوزير ص ١٠ .

(٢) سورة القصص : ٨٣ .

(٣) سورة الروم : ٤٧ .

(٤) سورة الصافات : ١٧١-١٧٣ .

(٥) سورة المجادلة : ٢١ .

(٦) انظر القصة بكاملها فى سورة هود : الايات ٢٥-٤٩ ، الشعراء الايات ١٠٥-١٢٣ وسورة العنكبوت وسورة القمر وسورة كاملة سميت باسم نوح وغير ذلك .

(٧) البرهان القاطع فى معرفة الصانع لابن الوزير ص ١٢ .

(٨) متفق عليه من حديث طويل عن ابن عباس رضى الله عنهما ، البخارى ج ٣ كتاب الجهاد باب قول الله تعالى (قل هل تترصون بنا) ص ٢٠٥ ومسلم ج ٣ كتاب الجهاد باب كتاب النبى صلى الله عليه وسلم الى هرقل ص ١٣٩٥ مسند احمد ج ١ ص ٢٦٣ ج ٤ ص ٢٥-٢٦ .

والمشعورين ، بل من أهل الأموال والعشائر وأرباب الخدم والمساكر من ملوك حمير ، والتبايعه والأكاسرة ، والقياصرة بلغا بلغن ملك محمد - صلى الله عليه وسلم - المعشار ولا استدأما له بعد موته ما استدأما لمحمد - صلى الله عليه وسلم - من ملوك الاقطار .

(٥) زهدهم في الدنيا ، وقلقهم من هول المعاد ، وإطراحهم للأهوى ، وتقطع نياط قلوبهم للعذاب السرمدي ، وهو شئ علم منهم أنه جنة لامزاح فيه ولا هزل ، زفرائهم كانت متصعدة ، ونيار خوفهم لم تزل متوقدة ، ومدامع عيونهم على وجنائهم متدفقة ، كان محمد - صلى الله عليه وسلم - يصلح حتى تورمت قدماءه ، ويسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل ، فقيل له : أليس قد غفر الله لك ماتقدم ممن ذنبك وما تأخر ؟ فقال : أفلا أكون عبدا شكورا ؟ (١) .

(٦) إن جمعا منهم تمكنوا من الدنيا ، واستولوا على ما يحب الناس منها ، فلم تتغير لهم طريقة ، ولم تتحول لهم سجية ملك سليمان - عليه السلام - ملكا لا ينبغى لأحد من بعده (قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب ، فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ، والشياطين كل بناء وغواص ، وآخرين مقرنين في الأصفاد هذا عطاءنا فامنن أو أمسك بغير حساب) (٢) .

(٧) قوة يقينهم بمواعيد الله ، وتسليمهم نفوسهم لأمر الله ، وإن كان فسي ظاهره كالجنانية على النفس والالقاء بها إلى التهلكة ، كقول نوح - عليه السلام - وحده لقومه مع كثرتهم وقوتهم (..) فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون) (٣) .

ونحو ذلك قال هود (٤) ، ومن ذلك إلقاء أم موسى له في البحر (٥) ، ومنه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه عن حراسته بعد قول الله تعالى : (والله

(١) انظر حديث الازيز في سنن النسائي ج ٣ كتاب السهو ص ١٢ وحديث تسورم القدمين الشريفين من طول القيام رواه البخاري ج ٦ ، تفسير سورة الفتح ، باب قول الله تعالى : (ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبكوما تأخر) اية ٢ ص ٤٤ وسلم ج ٤ كتاب المنافقين باب اكار الاعمال والاجتهاد في العبادة ص ٢١٢١ وسنن الترمذي مع تحفة الاحوذى ج ٢ ابواب الصلاة باب ما جاء في الاجتهاد في الصلاة ص ٤٦٠ ، ٤٦١ سنن ابن ماجه كتاب اقامة الصلاة باب ما جاء في طول القيام ص ٤٥٦ ، سند احمد ج ٤ ص ٢٥٥ وانظر البرهان القاطع ص ١٢٠ .

(٢) سورة ص : الايات ٣٥-٣٩ وانظر البرهان القاطع لابن الوزير ص ١٣٠ .

(٣) سورة يونس : ٧١ (٤) انظر سورة يونس : ٥٥ .

(٥) انظر سورة طه : ٣٩ - القصص : ٧ وفي نبوة المرأة خلاف طويل ليس هذا محل تحقيقه وكان ابن الوزير يشير الى صحة ذلك وهو مرجوح .

يعصمك من الناس (١) .

(٨) عجز من عاصرهم عن إظهار كذبة واحدة لواحد منهم في جميع حياته
في جميع الأمور التي ادعاها ، تشهد بصدقهم أنواع المخلوقات ، وتفصح لهم
بالاحتجاج بدائع المصنوعات ، من سماء مرفوعة ، وأرض موضوعة ، ونجوم فسي
منازلها سيارة ، منها مصابيح ، ومنها زينة ، ومنها ثواقب ، ومعالم ، ورواجم ،
وأقمار ، وبحار . . . و (١٦) .

فان قيل : كيف يصح القول بالعجز عن اظهار كذبة واحدة لواحد من
الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - في جميع حياته ، في جميع الأمور التي ادعاها
وقد ثبت في الصحيحين (٣) من حديث أبي هريرة مرفوعا : (لم يكذب ابراهيم - عليه
السلام - إلا ثلاث كذبات ، ثنتين منها في ذات الله - عز وجل - قوله : (إنسى
سقيم) (٤) وقوله ج (بل فعله كبيرهم هذا) (٥) . . . وواحدة في شأن سارة ، قوله :
(هي اختي) .

فالجواب من وجوه :

الوجه الاول : إن هذا لم يكن مما يبلغه عن الله - عز وجل - والانبيا
معصومون من الكذب ، قليله وكثيره في ذلك باجماع السلف .
الوجه الثاني : إن هذا ليس من الكذب الحقيقي الذي يذم فاعله ، حاشا وكلا .
قال الحافظ ابن كثير بعد أن أورد الحديث السابق : (ولكن ليس هذا من
باب الكذب الحقيقي الذي يذم فاعله حاشا وكلا وإنما أطلق الكذب تجوزا ، وإنما
هو من باب المعارض في الكلام لمقصد شرعى ديني) (٦) وايد هذا شيخ الاسلام
ابن تيمية (٧) .

(١) سورة المائدة : ٦٧ .

(٢) البرهان القاطع لابن الوزير ص ١٣-١٤ .

(٣) متفق عليه البخارى ج٤ كتاب الانبياء باب فضائل ابراهيم عليه السلام ص ١١٢
ومسلم ج٤ كتاب الفضائل باب فضائل ابراهيم ص ١٨٤ ، مسند احمد ج٢ ،

ص ٤٠٣-٤٠٤ .

(٤) سورة الصافات : ٨٩ (٥) سورة الانبياء : ٦٣ .

(٦) تفسير ابن كثير ج٢ ص ٢١ .

(٧) انظر معارج الوصول الى أصول الدين وفروعه قد بينها الرسول صلى الله عليه
وسلم لابن تيمية المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٨٧ هـ .

وفي الحديث : (إن في معاريف الكلام لمندوحة عن الكذب) (١) .

الوجه الثالث : انه يتطرق عدة احتمالات لهذه الثلاث الكلمات الواردة في الحديث ، ففي قوله (إني سقيم) يحتمل أنه كان محموماً ، ويحتمل أن الانسان معرض للأسقام ، ويحتمل أن يكون سقيم القلب من عبادتهم الأصنام . وإذا تطرق الاحتمال بطل الاستدلال ، كما تقرر في الاصول .

أما قوله : (بل فعله كبيرهم هذا) (٢) فيحتمل أن يكون هذا من باب الجدل ، تهديداً للاستدلال على أن الاصنام لا تضر ولا تنفع ، بل لا تستطيع الدفاع عن نفسها ، ولو كان لها قدرة لفعلت ، ولكنها لم تفعل بل لم تنطق ، ولذلك أردفها بقوله : (فاسألهم إن كانوا ينطقون) (٣) .

الوجه الرابع : أن شنتين منهن في ذات الله - عز وجل - كما صرح بذلك المعصوم صلى الله عليه وسلم أي ان ابراهيم - عليه السلام - استخدم ذلك الاسلوب في مجال الدعوة حسب اجتهاده فيما يقتضيه المقام ولكل مقام مقال ،

وأما الثالثة التي في شأن سارة ، فقد قرر العلماء أنها في ذات الله أيضاً لأنها سبب دفع كافر ظالم ، عن واقعة فاحشة عظيمة ، ولحديث ابي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في كلمات ابراهيم الثلاث التي قال : (مامن بها كلمة إلا ما خل بهاعن دين الله تعالى ، فقال (إني سقيم) وقال : (بل فعله كبيرهم هذا) وقال للملك حين اراد المرأة (هي أختي) (٣) أي في الاسلام .

وفي رواية : (والله ما فيها كذبة إلا وهو يحايل بها عن الاسلام) (٤) .

(١) رواه البخاري في الادب المفرد انظره مع شرحه فضل الله الصمد لفضل الله الجيلاني ج ٢ ص ٣٣٤ - المطبعة السلفية بالقاهرة ، ط. ثانية ، ورواه ابن جرير الطبري في تهذيب الآثار ج ١ ص ١٢١ تحقيق ناصر بن سعد الرشيد وعبد القويم مطابع الصفا بمكة المكرمة سنة ١٤٠٢ هـ . ورواه ابو الشيخ الاصبهاني في كتاب الأمثال في الحديث النبوي ج ١ ص ١٤٣ تحقيق عبد العلي عبد الحميد طبع الهند ط. أولى سنة ١٤٠٢ هـ . روى هذا الحديث عن عمران بن حصيب وغيره مرفوعاً وموقوفاً وفيه مقال وحسنه العراقي كما في المقاصد الحسنة ص ١١٥-١١٦ وانظر التفاصيل في المراجع المحررة في صفحاتها المذكورة .

(٢) سورة الانبياء : ٦٣ .

(٣) رواه ابن كثير في تفسيره ج ٧ ص ٢١ .

(٤) النهاية في غريب الحديث لابن الاثير ج ٤ ص ٣٠٣ ومعنى يحايل يجادل/من المحال بالكسر وهو الكيد وقيل المكر وقيل القوة والشدة كما في المصدر نفسه .

وقد اطلال الحافظ فى الفتح (١) فى شرح الحديث المذكور وأفاد وأجساد ،
وسبقه النووى (٦) وابن كثير (٣) . والله أعلم بالصواب .

(٩) إن اصل جميع البشر ، وهو آدم عليه السلام ، أول من بعثه الله (٤)
نبيا وسلك هذا السبيل ، ولا حاجة له الى الكذب والتزوير ، ان لا احد معه فيحتال
عليه ويخدعه ليأخذ مما لديه ، الا من هو طوعه وفرعه ومسعده ومتبعه .

(١٠) عدم اختلافهم فيما اخبروا به ، ألا ترى أن لفلاسفة اختلفوا أشد
الاختلاف ، وهو لا الانبياء عليهم السلام - ما كانوا مخالطين لأصحاب الدروس المنطقية
والجدلية ، بل سلكوا سلك المتعبددين من العامة ، ثم أتى كل واحد منهم ففسى
الالهيات بعقائد أصبحت مرجع ومنتهى كل مدقق .

(١١) أن من سلك طريقهم وقبل نصيحتهم ، وصبر صبرهم ظهر عليه .
من الكرامات قريب ما ظهر عليهم وقد يظهر على بعضهم مثل معجزات الانبياء
كما ظهر لمريم عليها السلام وأصحاب الكهف وغيرهم (٥) .

(١٢) وأخيرا نتوصل الى صدق الانبياء - عليهم السلام - فيما اخبروا به
من وجود صانع ومدير حكيم لهذا العالم ، ألا وهو ما أيدهم الله به من المعجزات
وخوارق العادات ، من غير ممارسة لشيء من علوم الطبائعيين والمرتاضين والمتفلسفين
والمنجمين والمتكهنين ، وبما اخبروا عن المغيبات ووقعت كما اخبروا ، وقد وصلوا
فى خرق العادات الى مرتبة قصر عنها اهل الدراية فى هذه الغنون .

فهذا الكليم فعل ما فعل مع السحرة حتى اقرؤا وشهدوا أن الحق معه ، وهم الكوف
يحصل بخبرهم العلم ، ويستحيل تواطؤهم على الكذب ، كيف وسيف فرعون على أعناقهم
مسلول .

وذاك العيسى - عليه السلام - أحبب الموتى وأبرأ الاكثه والأبرص ياذن الله .

(١) فتح البارى ج ٦ ص ٣٨٨-٣٩٤ .

(٢) شرح مسلم ج ٥ ص ١٢٣-١٢٥ .

(٣) فى تفسيره ج ٧ ص ٢١-٢٢ .

(٤) فى نبوة آدم خلاف مشهور وابن الوزير نفسه قد اشار الى هذا الخلاف فى البرهان
القاطع له ص ١٦ .

(٥) البرهان القاطع لابن الوزير ص ١٦-١٧ ويظهر من كلام ابن الوزير هنا نوع من التعارض
لمسبق فى القرينة السابعة حيثان ظاهر كلامه يدل على انه ادخل مريم فى سلك
الانبياء وفى هذه القرينة الحادية عشرة ظاهر كلامه ان مريم ممن ظهرت عليها كرامات
الاولياء وهذا ما يدل على شدة الخلاف فى الموضوع والا لما تعارض كلام ابن الوزير
هنا . . والله اعلم .

وذاك خاتم النبيين - صلى الله عليه وسلم - قد جاء بنوع من الإعجاز - بغض النظر عن سائر المعجزات المشهورة - لا يتصور فيه السحر ، ولا تعقل فيه التعمية ، قرآن اسكت فصحاء العرب وبلغائهم وشعرائهم وخطبائهم (١) .

وفي الصحيحين عن ابي هريرة مرفوعا (مامن الانبياء نبي ، الا أعطى من الايات ماثله أو من أو آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلیّ فأرجسو أنى اكثروهم تابعا يوم القيامة) (٢) .

قال الحافظ : (ومعنى الحصر فى قوله : (إنما كان الذى أوتيته) (٣) ان القرآن أعظم المعجزات وأفيدها وأدومها ، لاشتماله على الدعوة والحجة ، ودوام الانتفاع به إلى آخر الدهر .

فلما كان لاشئ يقاربه فضلا عن أن يساويه ، كان ماعداه بالنسبة اليه كأنث لم يقع (٤) .

هذا مع خرق العادة فى أسلوبه وبلاغته واخباره بالمفنيات ، وعجز الانس والجن عن أن يأتوا بسورة من مثله مجتمعين أو متفرقين فى جميع الاعصار مع اعتنائهم بمعارضته فلم يقدروا (٥) . وهم أفصح العرب ، بل ملوك البيان وأمرء الفصاحة وفطاحل البلاغة ، فاذا عجزوا فغيرهم أعجز عن الاتيان بمثله أو بعشر سور ، أو بسورة (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) (٦) . مع اشتماله على كل ما يحتاج اليه البشر ، وكل ما يسعدهم فى دينهم ودنياهم ، من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر - مقرونا بالبراهين العقلية والفطرية التى لا تترك للعقل السليم مجالا للانكار ، بل تخضعه للتسليم والاقرار - ومن العبادات والمعاملات والاخلاق ، وإصلاح الاسرة ، وصلاحها والسياسة والاجتماع ما لا يدركه البشر ولو اجتمع كل المشرعين منهم - من اول الخليقة الى نهاية الدنيا لما استطاعوا ان يأتوا بتشريع مثله ، فضلا عن أن يأتوا بأحسن منه (٧) .

- (١) البرهان القاطع فى معرفة الصانع لابن الوزير ص ١٤ .
- (٢) متفق عليه البخارى ج ٨ كتاب الاعتصام باب قول النبي صلى الله عليه وسلم بعثت بجوامع الكلم ص ١٣٨-١٣٩ واللفظ له مسلم ج ١ كتاب الايمان باب وجوب الايمان برسالة محمد ص ١٣٤ فالأولى من الأمن والثانية من الايمان .
- (٣) كذا باثبات العائد وحذفه كما فى النسخ التى بين ايدينا .
- (٤) فتح البارى ج ٣ ص ٢٤٨ (٥) شرح مسلم للنووى ج ٢ ص ١٨٨ .
- (٦) سورة الاسراء : ٨٨ .
- (٧) الاسلام والرسول فى نظر منتصف الشرق والغرب ل احمد بن حجر آل بوطامى ص ٢٨ ط .

ط . ثلاثة سنة ١٣٩٨ هـ الناشر مكتبة الثقافة ، قطر .

ومعلوم ان معجزات الانبياء قد انقرضت بانقراض اعصارهم ولم يشاهد هـ
الامن حضرتها لحضرتهم ومعجزة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - القرآن المستمر الى
يوم القيامة (وانا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) (١) .

هذا ولا يزال ابن الوزير مركزا ومهتما بدلالة المعجزات ووصفها بأنها من
اقوى الدلالات وأوضح الآيات وعلل ذلك بقوله (لجمعها بين أمرين واضحين لم يكن
نزاع المبطلين إلا فيهما أو في أحدهما وهما الحدوث الضروري والمخالفة للطبائع
والعادات) (٢) .

ثم استدل على ذلك بقصة ابراهيم - عليه السلام - حين سأل الله - عز وجل -
طمأنينة قلبه ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : (وإن قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي
الموتى ، قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ، قال فخذ أربعة من الطير
فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن ياتينك سعيا واعلم ان الله
عزيز حكيم) (٣) .

ثم أيد ذلك باحتجاج موسى عليه السلام على فرعون بالمعجز ، والقصة
في سورة الشعراء (٤) معروفة ، وقد سبق بيانها .
ويقول ابن الوزير :

(وعلى كل حال فالنبوات وآياتها البينة ، ومعجزاتها الباهرة ، وخوارقها
الدامغة امر كبير ، وبرهان منير ما طرق العالم له معارض ألينة خصوصا مع قدمه
وتواتره ، فان آدم - عليه السلام - أول البشر وابوهم نبي مرسل الى اولاده ، ثم
لم تزل رسل الله عز وجل تترى مبشرين ومنذرين وعاضدين لفطرة الله التي فطر الخلق
عليها) (٥) .

(١) سورة الحجر : ٩٠ .

(٢) انظر ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٥٣ .

(٣) سورة البقرة : ٢٦٠ .

(٤) اقرا القصة بكاملها ٩-٦٨ .

(٥) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٥٣ ، ترجيح اساليب القرآن على اساليب
اليونان له ص ١٠٥-١٠٧ وفي نبوة آدم ورسالته خلاف مشهور بين العلماء ومما يؤيد
ما ذهب اليه ابن الوزير قوله تعالى : (ان الله اصطفى آدم ونوحا) (٣٢) من
سورة ال عمران وما اورده ابن كثير في البداية ج ١ ص ٦٧ من حديث ابى ذر وفيه
قلت : يا رسول الله من كان اولهم ؟ قال : آدم . قلت يا رسول الله نبي مرسل ؟
قال : نعم .

والحاصل أن المعجزات التي ظهرت على أيدي الانبياء - عليهم السلام -
بدون ممارسة لشيء من علوم الفلاسفة والمنجمين والرياضيين تدل على صدقهم ،
وقد أخبروا بوجود الله - سبحانه - كما تدل على وجوده تعالى أيضا من حيث إنها
حادثة ضرورة ، ومخالفة للطبائع ولو لم تكن من الأدلة على وجود الله - سبحانه -
إلا تصديق الانبياء لكان ذلك كافيا لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

...

دلالة الايمان على وجود الله - عز وجل - عند الشدائد :

هذه الطريقة مستفادة من كلام ابن الوزير في تكملة الطرق الاتفة الذكر
بعد نصيحة وجهها لأصحاب الطبائع القاسية بقوله : (... فان من طبائع
النفوس الايمان عند شدة الخوف ، ولذلك آمن قوم يونس لما رأوا العذاب ، وآمن
فرعون حين شاهد الفرق) (١) .

يشير ابن الوزير الى قصة ايمان قوم يونس التي أخبر الله بها في كتابه الكريم
بقوله : (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم
عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين) (٢) .

ولعل هذه القصة هي الفريدة من نوعها في التأريخ ، فان الايمان عند
الشدائد أو في اللحظة الأخيرة من العمر غير مقبول ، فإيمان فرعون عندما أدركه
الفرق لم ينفعه وإنما يستفاد منه أن من طبائع النفوس الايمان عند شدة الخوف ،
لا سيما نفوس الطفافة كفرعون الذي ادعى الربوبية ، وعندما أدركه الفرق قال :
آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل ، فنزلت عليه سياط القرع والتوبيخ
اللاذعة : (الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ، فاليوم ننجيك بيدناك
لتكون لمن خلفك آية) (٣) .

(١) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٥٨ .

(٢) سورة يونس : ٩٨ .

(٣) سورة يونس : ٩٠-٩٢ .

وقد أشار القرآن الكريم الى أمثال هذا في مواضع كثيرة من ذلك قوله تعالى :
(بل هم في شك من ذكرى بل لما يذوقوا عذاب) (١). أى إن قريشا قد علموا
أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يزل صدوقا بينهم وإنما شكوا فيما أنزله الله عليه ،
هل هو من عند الله أم لا ؟ (بل لما يذوقوا عذاب) أى إنما اغتروا بطول الامهال ،
ولو ذاقوا العذاب على الشرك لزال عنهم الشك (٢) وسيذوقونه .

قلت : ومن ذلك توحيد المشركين حينما كانوا يعاينون الامواج المتلاطمة
فى البحر تحيط بهم ويكاد الفرق أن يطبق عليهم فآمنوا حينها ، وأعلنوا الوجدانية
لله وحده ، فلما نجاهم الله من هذه المهلكة وخرجوا الى البر سالين رجعوا عن ذلك ،
قال تعالى : (هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك ، وجرين بهم
بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم
أُحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لكن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ،
فلما أنجاهم إذا هم ييغفون فى الأرض بغير الحق . .) (٣) وأمثال ذلك كثير .

ويعلل ابن الوزير لهذه الفكرة أى الإقرار والإيمان بوجود الله عند الشدائد
بقوله :

(ولذلك يرجع كثير من العقلاء عند الموت عن عقائد وقبائح وشبهات كانوا مصرين
عليها ، وليس ذلك لتجلى برهان حينئذ بل لأن الطبع القاسى كان كالمعارض للبرهان
فلما لان بقى البرهان بلامعارض ، ولو شاهد فرعون وغيره أعظم برهان بغير خوف
ما آمنوا) فما كان دعواهم ان جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين (٤) .

ثم حكى أن ابن سينا - رأس الفلاسفة - لما عرف علة الموت أقبل على القرآن وترك
ما كان عليه واعتق ممالكه وفعل من القرب ما أمكنه وأقبل على التضرع إلى الله تعالى وتلاوة
كتاب الله فاضمحت عنه الوسواس (٥) .

-
- | | |
|-----|---|
| (١) | سورة ص . ٨٠ |
| (٢) | انظر تفسير القرطبي ج ٢ ص ٥٥٩٦ |
| (٣) | سورة يونس : ٢٢-٢٣ . |
| (٤) | سورة الاعراف : ٥٥ . |
| (٥) | اشار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٥٨-٦٢ ، وانظر شذرات الذهب
لابن العماد الحنبلى ج ٣ ص ٢٣٤ وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٢ ص ١٦٠ . |

وكما أن النفس بعيدة (١) الايمان فانها بعيدة الأمان ، وخوفها أعظم الأعوان على الايمان قال تعالى : (وفى نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) (٢) . وقال تعالى : (وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم) (٣) .

ولان النفس تنزل عند التخويف من مرتبة القطع بالتكذيب الذى هو أول ما يروم الشيطان ، فاذ انزلت من ذلك فيجب عليها عقلا تصديق الثقة ، والعمل بالظن ، كيف اذا جاء الثقة مع ظن صدقه بالمعجز ، وعضدته البراهين . وإلى هذه الطريقة الاشارة بقوله تعالى : (قل أرايتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فأمن واستكبرتم إن الله لا يهدى القوم الظالمين) (٤) . وقوله : (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين) (٥) وامثال ذلك كثير .

والآن يظهر لك - إن شاء الله - ما سبق أن اثبات الرب والايمان به هو الحق والأحوط بحيث لا يخاف من هذا الاعتقاد مضره ألبتة فالخوف العظيم والمضار العظيمة فى عكس ذلك .

قال المنجم والطبيب كلاهما *** لا تبعث الأموات قلت إليكما
إن صح قولكما فليس بضائرى *** أو صح قولى فالويل عليكم
وكما قيل :

ورغنى فى الدين أن دليله *** قوى ويخشى كل شر بجحده
وكرهنى للكفر أن فساده *** جلى ويخشى كل شر بقصده (٦)

(١) لعل المعنى عميقة الايمان .

(٢) سورة الاعراف : ١٥٤ .

(٣) سورة الذاريات : ٣٧ .

(٤) سورة الاحقاف : ١٠ وجواب الشرط محذوف تقديره : أستم ظالمين ، دل عليه اخر الآية اهـ . جلالين ص ٤٢٣ .

(٥) سورة غافر : ٨٤ .

(٦) انظر الايثار لابن الزبير ص ٥٩ - ٦٣ .

ومن أحسن ما أشير فيه الى المعجزات المذكورة في القرآن الكريم هذه الأبيات :

هو الله من أعطى هداه وصح من	***	هو اه أراه الخارقات بحكمة
بذاك على الطوفان نوح وقد نجا	***	به من نجا من قومه فى السفينة
وغاض له ما فاض عنه استجابة	***	وجد الى الجوى بها واستقرت
وسار ومتن الريح تحت بساطه	***	سليمان بالجيش فوق البسيطة
وقبل ارتداد الطرف أحضر من سبا	***	له عرش بلقيس بغير مشقة
وأخمد ابراهيم نار عوده	***	ومن نوره عادت له روض جنه
ولما دعا الأطياف من رأس شاهق	***	وقد ذبحت جائته غير عصية
ومن يده موسى عصاه تلقفت	***	من السحرا هو الاعلى النفس شقت
وهى حجر أجرى عيونا بضربة	***	بها دائما سقت وللبحر شقت
ويوسف إذا لقي البشير قميصه	***	على وجه يعقوب عليه بأوبة
رآه بعين قبل مقدمه بكى	***	عليه بها شوقا اليه فكفت
وفى آل اسرائيل مائدة من السما	***	لعيسى أنزلت ثم مسدت
ومن أكمه ابرى ومن وضع غدا	***	شفى وأعاد الطير طيرا بنفخة
وصح باخبار التواتر أنه	***	أمات وأحيا بالدعاء رب ميت
وأبعد من هذا السحر أنه	***	رضيع ينادى باللسان الفصيحة
ينزه عن ريب الظنون عفيفة	***	مراة من كل سوء ورية
وقال لأهل السبت كونوا إلهنا	***	قروا فكانوا عبرة أى عبرة
وصرّع أهل الفيل من دون بيته	***	بطير أبابيل صفار ضعيفة
وأحرق روض الجنتين عقوبة	***	بكهف ونون عبرة للبيرة (١)

ونختم هذا البحث بنصيحة قيمة عامة وجهها ابن الوزير لمن يعتبر ويخشى
ملخصها ما يلى :

والطريق الى مداواة نفوس المؤمنين من الوسواس والشكوك ، الفزع الى الله تعالى
بالتوبة والاستغفار والتضرع والتذلل ، وطلب أسباب الرقة ، والتخويف العظيم للنفس
من الوقوع فى الشقوة الكبرى بعذاب الآخرة ، فان الشك الذى يعرض للنفس - بعد
البراهين الواضحة - قد يكون عقوبة بذنب كما نبه الله - تعالى - على ذلك بقوله : (فما
كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) (٦) . وقوله : (سل
بنى اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله
شديد العقاب) (٣) .

(١) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ج ١ ص ٥٥-٥٦ .

(٢) سورة الاعراف : ١٠١ .

(٣) سورة البقرة : ٢١١ وانظر ايثار الحق لابن الوزير ص ٥٨ .

المبحث الثالث

منهج ابن الوزير

في

اثبات الأسماء والصفات

إن هذا البحث - وإن كان خطيرا - فقد نال حظا وافرا من البحث والجدل لما له من التعلق بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا التي لا سبيل للنجاة من مهالكها إلا باتباع طريق السلف الصالح رحمهم الله تعالى .

فقد اشتهر الخلاف وكثر الجدل وعظم الامر بين الفرق المنتسبة الى الاسلام حتى بلغ السيل الزبى ، ومع ذلك لم يحصلوا على فائدة ولا ألفة بل اشتد التعادى والتباعد والتكفير والتفسيق . وسبب توسيع دائرة الخلاف والمراء والجدل كما قال ابن الوزير : (هو البحث عما لا يعلم والسمى فيما لا يدرك وطول السير والسعى فى الطريق التسمى لا توصل الى المطلوب ، والاقتداء بمن يظن فيه الإصابة وهو مخطئ* ، والاشتغال بالبحث عن الدقائق التى لا طريق إلى معرفتها ولا يوصل البحث عنها إلى اليقين ، ولا إلى الوفاق ، ولا ظهرت للخوض فيه مع طوله ثمرة نافعة لا باليقين صادعة ، ولا لا فتراق جامعة ، ولا روى عن أحد من الانبياء - عليهم الصلاة والسلام - ولا صح عن أحد من السلف الكرام (١) وفى الحديث (إن من العلم جهلا) (٢) .

قيل : هو أن يتعلم ما لا حاجة إليه كالنجوم وعلوم الاوائل ويدع ما يحتاج اليه فى دينه من علم القرآن والسنة . وقيل : هو أن يتكلف العالم القول فيما لا يعلمه فيجهله ذلك (٣) .

فكم من أقدم زلت فى منهج الاستدلال فى الأسماء والصفات - إلى الهاوية ، ولم ينج إلا من سلك طريقة السلف .

إحذر تزل فتحت رجلك هوة *** كم قد هوى فيها على الزمان
من عابد بالجهل زلت رجلاه *** فهوى الى قعر الحضيض الدانى (٤)

(١) ايثار الحق ص ٤-٥ .

(٢) النهاية فى غريب الحديث ج ١ ص ٣٢٢ .

(٣) المرجع نفسه والصفحة نفسها .

(٤) القصيدة النونية لابن قيم الجوزية ص ١٥٢ طبع الهند .

ولما تطلع على كتب الفرق المنتسبة الى الاسلام تجد فرقة تعطل الاسماء والصفات ، وفرقة تؤمن بالاسماء دون الصفات بل تؤولها ، وفرقة تؤمن بالصفات الذاتية وتؤول ماسواها من الخبرية ، وفرقة تشبه صفات الله وأسماءه بصفات وأسماء مخلوقاته ، وفرقة وسطا بين المعطلة والمشبهة كاللبن من بين فرث ودم ، وهم اهل السنة والجماعة .

فهم يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه على مراده ، وبما وصفه به رسوله على مراده ، من غير تشبيه ولا تعطيل ، وعلى ضوء قوله تعالى : (ليس كمثله شئ) وهو السميع البصير (١) . ففي أول الآية رد على المشبهة وفي آخرها رد على المعطلة ، يضاف الى ذلك قوله تعالى : (ولا يحيطون به علما) (٢) .

وهؤلاء قليل ما هم فعليك بمنهجهم ، ولا تستوحش من قلة السالكين ، فقد أثنى الله على القلة السائرين في الطريق السوى في عدة مواضع من القرآن الكريم منها قوله تعالى : (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم) (٣) ، وقوله (وقليل من عبادي الشكور) (٤) وقوله : (وما آمن معه الا قليل) (٥) وغير ذلك من الايات .

كما ذم الكثرة السائرة في الطريق المموج بقوله : (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله) (٦) ويقوله تعالى : (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (٧) وامثال ذلك كثير .

-
- | | |
|-----|---|
| (١) | سورة الشورى : ١١٠ . |
| (٢) | سورة طه : جزء من اية ١١٠ . |
| (٣) | سورة ص : جزء من اية ٢٤ . |
| (٤) | سورة سبأ : جزء من اية ١٣ . |
| (٥) | سورة هود : جزء من اية ٤٠ . |
| (٦) | سورة الانعام : ١١٦ . |
| (٧) | في عدة مواضع من القرآن منها موضعان في سورة الروم : ٦-٣٠ . |

والآن ندع ابن الوزير يصور لنا قبس هذا الاختلاف والتأويل الذى وصل
اليه غلاة المتكلمين بقوله :

(ويدلك على قبس تأويل هذه الأسماء الشريفة فى الفطر كلها أنك تجد
المعتزلى يستقبح تأويل الأشعرية للحكيم غاية الاستقباح (١) والأشعرى يستقبح
تأويل المعتزلة البغدادية للسميع البصير المرید غاية الاستقباح (٢).
والسنى يستقبح تأويل المعتزلة والأشعرية للرحمن الرحيم الحكيم (٣) ، والكل
يستقبحون تأويل القرامطة لجميع الأسماء الحسنی غاية الاستقباح (٤) .
ومتى نظرت بعين الانصاف وجدتهم كما قيل :

وعين الرضا عن كل عيب كليله *** ولكن عين السخط تبدى المساويا (٥)
يؤيد هذا ما قاله شيخ الاسلام ابن تيمية : (المتكلمة والمتفلسفة اكثر خلق الله تناقضا
واختلافا ، وكل فريق يرد على الآخر فيما يدعيه قطعيا) (٦) .

(١) لأن غلاة الأشعرية يذهبون إلى تفى حكمة الله تعالى ، وتقبیح اسم الحكيم فى
الظاهر ، وإيجاب تأويله بالمحكم لصنعه من غير حكمة له فى ذلك الاحكام ، والمعتزلة
أثبتوا الحكمة ولكن سموها غرضا لكن قالوا : الحكمة أمر منفصل عنه لا يقوم به وهذا
يستلزم نفى الصفات الذاتية (*) .

(٢) لأن غلاة المعتزلة يذهبون إلى نفى السميع البصير المرید ، وتقبیحها فى الظاهر ،
وايجاب تأويلها بالعليم لاسواء .

(٣) لأن الجميع من المعتزلة والأشعرية ينفون حقيقة الرحمن الرحيم وما فى معناهما
من الرؤوف والودود وأرحم الراحمين . وحكموا بأنها اسماء قبيحة الظواهر فى
حق الله تعالى لا تليق بجلاله إلا بصرفها عن ظواهرها وتعطيلها إلى المجاز
المحض وذلك بمجرد ظنهم أن الدلالة العقلية دلت على ذلك .

(٤) لأن القرامطة يؤولون الأسماء الحسنی كلها بل ينفونها عن الله - عز وجل - على
سبيل التنزيه . بلغ بهم الأمر إلى أن قالوا إنه لا يقال إنه موجود ولا معدوم
بل قالوا لا يعبر عنه بالحروف وقالوا إن المراد بها كلها إمام الزمان وهو عندهم
المسمى (الله) والمراد بلا إله إلا الله قال ابن الوزير : (وقد تواتر عنهم
وأنا ممن وقف عليه فيما لا يحصى من كتبهم التى فى أيديهم . .) انظر هذه
التعليلات فى إيثار الحق على الخلق ص ١١٩-١٢٩-١٣٠ ومجموع فتاوى
ابن تيمية ج ١ ص ١٤٠-١٨٠ وزاد أن الأشعرية يفسرون الحكمة إما بالقدره
وإما بالعلم وإما بالإرادة .

(٥) الا يثار ص ١٣٥-١٣٦ وقائل هذا البيت عبد الله بن معاوية كما فى شرح نهج
البلاغة للشريف الرضى ج ٧ ص ٢٠٧ .

(٦) وهكى نحو هذا ابن تيمية فى فتاويه ج ٨ ص ٨٩ وأن الحكمة مخلوقة وهى إحسانه إلى
الخلق وفى الأمر تعويض المكلفين بالشواب وفى المسالة تفاصيل كثيرة . ذكرها ابن تيمية
فى المصدر نفسه . (ملاحظه) قال ابن الوزير : (ولا يخفى ما فى تأويل الحكيم -
بالمحكم هنا من التعسف الباطل وما فى التأويل من غير موجب فى فتح ابواب البدع
والمجاهل) . اثار الحق ص ٢١ قلت : والاحكام بمعنى الاتقان لا يصدر إلا من
حكيم ذى حكمة .

(٦) مجموع الفتاوى ج ١١ ص ٣٣٨ .

وكم من محنة ابتلى بها بعض سلفنا الصالح - رحمهم الله - في قضية الاسماء والصفات .

تذكر ما حصل من المحنة في القول بخلق القرآن الكريم للإمام الجليل أحمد بن حنبل (١) نضر اللوم وجهه ورفع درجته وأجل له المشوبة ، فقد أبان الله به الحق ، ودفع به الضلال ، وأوضح به المنهاج ، وقمع به بدع البتدعين ، وزیغ الزائفين ، وشك الشاكين ، فقد ثبت أمام التحديات وألوان العذاب وأعلن كلمته المشهورة الخالدة القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ، فرحمة الله عليه من إمام جليل معظم ، وعلى سائر أئمة المسلمين ، (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) (٢) .

وهذا ابن الوزير طورد وشرذ الى رؤس الجبال ويطون الاودية والكهـوف المظلمة كل ذلك في سبيل الذب عن السنة النبوية ومعتقد أهل الحديث والسلف الصالح ومؤلفاته خير دليل على ذلك .

وقد كثر الكلام في هذه القضية حتى سعى الخوض فيها بعلم الكلام ، واشتهرت فيها الاقوال ، وتناقلها الباحثون جيلا بعد جيل وكان من الافضل عدم التكرار ، ولكن طبيعة البحث تحتم عليّ ذلك ، إذ لا سبيل الى معرفة منهج ابن الوزير واستدلالاته في الاسماء والصفات إلا بعرض آرائه للقارى مع المقارنة باقوال الآخرين فبضدها تتبين الاشياء ، ولكن هيهات هيهات ، بيد أنى سأكتفى باعطاء القارى صورة عامة عن منهج ابن الوزير في هذه المسألة مع مقارنة سريعة لمنهج السلف الصالح أسأل الله العون والتوفيق ، وأن يعصمني من الزلل أو أنسب الى أحد شيئا لا يعتقده أو لا يقوله :

(١) انظر شرح حديث النزول لابن تيمية ص ١٧٠ ورجال الفكر والدعوة للنسبوى ص ١٣٦-١٣٨ والنبلاء للذهبي ج ١ ص ٢٦٣ وما بعدها . وقد صنف المصنفات العديدة في محنة الامام احمد بعضها بهذا العنوان وبعضها ضمن تراجمه وابن الوزير ممن صنف في ذلك مجلدا مستقلا ضمن العواصم والقواصم تحت عنوان الوهم الخامس عشر الفصل الرابع ، وفي الروض الباسم تحت عنوان الوهم التاسع ج ١ ص ١٤١ .

وقد ذكر ابن الوزير ان الامة ما زالت تعتقد أن القرآن كلام الله تعالى ووحيه وتنزيله لا يعرفون غير ذلك حتى نبغ المأمون الى حمل الامة على القول بخلق القرآن وامتحان العلماء فلم يعهل وترك بعده شرا وبلاء في الدين . انظر العواصم ج ٢ وهم ١٥ فصل ٤ ورقة ٨٩ .

(٢) سورة ابراهيم : ٢٤ .

ولما يرجع الباحث الى العواصم والقواصم بفرض التقاط فكرة ما من أفكار ابن الوزير فانه يجد بحرا - فى نظرى - لا ساحل له لكثرة ما يورده فى المسألة الواحدة من الاشكالات والتنبيهات والحجج والبراهين العقلية والعقلية بغض النظر عما يذكره من الأقوال وأدلتها ومناقشتها والمعارضات وشدتها . ولهذا يندهش القارىء فى أثناء البحث وقد يعثره الملل والفتور، ان الكتاب بصورة غير واضحة - من ذلك على سبيل المثال ما نقله ابن الوزير فى العواصم عن كتاب منازل السائرين ^{الى} الله تعالى لناصر السنة أبى اسماعيل عبد الله بن محمد الانصارى الهروى المتوفى سنة ٤٨١ هـ فيما يتعلق بهذا البحث . وكان إيرادى لهذا الكلام سببه أن ابن الوزير استحسنته وعقب عليه بما يؤيده ولا سبيل الى استقصائه فإنه يتطلب بحثا مستقلا ولكن ألخصه فيما يلى :

معرفة العامة التى لا ينعقد شرائط اليقين الا بها ثلاثة :

- ١- اثبات الصفة باسمها من غير تشبيه .
- ٢- نفي التشبيه عنها من غير تعطيل .
- ٣- الا يار من ادراكها ومن ابتغاء تأويلها .

ومذهب السلف أن كل من بلفه حد يثمن أحاديثا لصفات يجب عليه فيه سبعة أمور :

- | | | | |
|------------|------------|--------------------|-----------|
| ١- التقديس | ٢- التصديق | ٣- الاعتراف بالعجز | ٤- السكوت |
| ٥- الامساك | ٦- الكف | ٧- التسليم | |

أما التقديس فبتنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقات جميعها ، وأما التصديق فهو الإيمان بأن ما ذكره حق على الوجه الذى أراده ، وأما الاعتراف بالعجز : فهو أن يقر بأن معرفة مراده عليه الصلاة والسلام ليس من شأنه ، وأما السكوت : فهو الامساك عن معناه ولا يخوض فيه ويعلم أن سؤاله عنه بدعة وأنه فى خوضه فيه مخاطر بدينه لأنه يوشك أن يكفر لو خاض فيه وهو لا يشعر - اى فى البحث فى الكيفية كقول السائل للامام مالك : كيف استوى ؟ واجابته المشهورة : الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة . واما الامساك : فلا يتصرف فى تلك الالفاظ بالتبديل والزيادة والنقصان ، بل لا ينطق إلا بذلك اللفظ ، وأما الكف : فإن يكف باطنه عن البحث والتفكر فيه .

وأما التسليم : فألا يمتد برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه وتابعيهم تهمة لقيام الدليل على صدقه عليه الصلاة والسلام - ومعرفته بما يجوز على الله مما لا يجوز وعدالة الصحابة وتابعيهم ، وثناء الله تعالى عليهم في كتابه العزيز ، وشهادته لهم بأنهم خير القرون ، فهذه سبع وظائف اعتقد السلف وجوبها (١) .

إذا تأملت هذه الأمور السبعة مع الكلام المجمل حولها فستجد أن ابن الوزير يتبنى المنهج الجُملي في العقائد بل في الأسماء والصفات لأنها من الأمور الخيرية المتفق على الاعتقاد الجُملي فيها ، حكى هذا الاتفاق شيخ الاسلام ابن تيمية في أثناء حديثه عن الفرق بين الاختلاف في الأحكام العملية والاعتقادية ، وأن الخوض في تفاصيل العملية جائز بخلاف القولية ، فيكفي فيها الإقرار بالجمل حيث قال : (. . .) بخلاف الأمور الخيرية فإن الاتفاق قد وقع فيها على الجمل ، فإذا فصلت بلا نزاع فحسن ، وإن وقع التنازع في تفاصيلها فهو مفسدة من غير حاجة داعية إلى ذلك ، ولذلك ذم أهل الأهواء والخصومات وذم أهل الجدل في ذلك والخصومة فيه ، لأنه شر وفساد من غير حاجة . . .) (٢) .

(١) انظر العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٢ - الوهم ١٥ - ورقة ٦-٧ وقد رجعت إلى الكتاب الذي ذكر ابن الوزير أنه نقل هذا الكلام منه فلم أجد فيه شيئاً ما ذكره بل ولا علاقة له بذلك ، وكل ما فيه من علم التصوف ومصطلحاته وهو صغير جداً ، وهو الذي نهج ابن القيم - في كتابه مدارج السالكين - على نهجه وقد حاول أن يجعل من كتاب منازل السائرين مناراً يهتدى به فهو كالشرح له ويغلب على الظن أن هذا الكلام الذي نقله ابن الوزير عن ابن اسماعيل الانصاري هو من كتاب (ذم الكلام له) وقد بحثت عنه فلم أجده وإنما أشار إليه ابن تيمية وابن القيم في عدة مواضع وسمعت أنه تحت التحقيق في جامعة الامام محمد بن سعود .

فابن الوزير - رحمه الله - معذور في ذلك - إذا لم يكن ثمة كتاباً آخر بهذا الاسم فإنه صنف العواصم والقواصم في معزل عن المراجع بل في رؤوس الجبال العوالم وبطون الأودية الخوالي وقد يكون هذا من حفظه فوهم في التسمية كما وهم في أسناد حادي الأرواح إلى ابن تيمية ومعلوم أنه لتلميذه ابن القيم ذكر ذلك في كتابه إيثار الحق ص ٢٣-٢٤ . والله أعلم .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٦ ص ٨٥ وقال أيضاً : (فإن القضايا القولية يكفى فيها الإقرار بالجمل وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث . . .) المجموع ج ٦ ص ٥٧ .

وقال الامام الشافعي : (آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله ، وآمنت بما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله) (١) .

وقد استحسّن ابن تيمية هذا وقال : (انه حق يجب على كل مسلم أن يعتقده . ومن اعتقده ولم يأت بما يناقضه فانه سالك سبيل السلامة في الدنيا والاخرة) (٢) .

ويؤكد ابن الوزير هذا المذهب في الاستدلال بآيات الاسماء والصفات بما صرح به في الترجيح (٣) في معرض الرد على خصمه المعتزلي انه يعلم ذات الله وصفاته ، وأن الله لا يعلم من ذلك الا ما يعلمه تعالى عن ذلك علوا كبيرا حيث قال : (لا شك ان الله عز وجل - حقيقة مخالفة لسائر الحقائق مخالفة مطلقة لا يشاركها شيء في ذاتيتها وخصوصيتها ، قال الله تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) (٤) . وقال تعالى : (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد) وقال تعالى : (فاعبدوه واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا) (٥) . وقال تعالى حاكيا عن شبهه بغيره سبحانه (تالله ان كنا لفي ضلال مبين ان نسويكم برب العالمين . وما أضلنا الا المجرمون) (٦) . وفي قوله تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) جمع بين الرد على طوائف المبطلين فأولها رد على المشبهة وآخرها رد على المعطلة ، وفي ترتيبها سر لطيف ، لأنه لو قدم الرد على المعطلة لخيف سبق وهم أو خيال من شبه أهل التشبيه ، فلذا بدأ بما يعصم عن ذلك من غاية التقديس والتنزيه . (ولا يحيطون به علما) (٧) . وقال على عليه السلام (لم يطلع العقول على تحديد صفته ولم يحجبها عن واجب معرفته) (٨) .

(١) انظر كتاب الجوائز والصلاة في جمع الاسامي والصفات للسيد نور الحسن خان

ص ١٥ ط الفاروقى بدهلى ومجمع فتاوى ابن تيمية ج ٦ ص ٢٥٤

(٢) مجموع الفتاوى ج ٦ ص ٣٥٤

(٣) ترجيح اساليب القرآن على اساليب اليونان لابن الوزير ص ١٣١-١٣٧-١٣٨ ،

وانظر بيان تلبيس الجهمية ج ١ ص ٨٨ وفيه : (إن الله لا مثل له وان حقيقته

مخالفة لحقيقة العالم) كذا قال شيخ الاسلام ابن تيمية .

(٤) سورة الشورى : ١١ .

(٥) سورة مريم : جزء من آية ٦٥ .

(٦) سورة الشعراء : ٩٧-٩٩ .

(٧) سورة طه : جزء من آية ١١٠ .

(٨) نهج البلاغة للشريف الرضى ج ١ ص ٩٩ وانظر التفاصيل في الفواصم لابن الوزير

ج ٢ وهم ١٦ ونهج البلاغة بلا سند فكيف يعتمد ؟

ألا ترى أنك إذا قارنت بين منهج ابن الوزير في الاستدلال في قضية الأسماء والصفات وبين كثير من كبار المحدثين والسلفيين تجد أن ابن الوزير سلك منهجاً محدداً واضحاً لإثبات الأسماء والصفات وذلك أنه يستدل بإيراد النصوص التي جاءت بالنفي أو الإثبات بدون تعطيل ولا تشبيه، ومعلوم أن هذا هو منهج السلف الصالح الذي من سلكه نجا ومن تخلف عنه هلك وهوى ، فهذا الإمام الأئمة الحافظ السلفي الكبير ابن خزيمة الشهير المتوفى سنة ٣١١ هـ يقول : (فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر مذهبنا أن نثبت لله ما أثبتته الله لنفسه نقر بذلك بالسنتنا ، ونصدق بذلك بقلوبنا ، فمن غير أن نشبه وجهه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين ، وعز ربنا أن نشبهه بالمخلوقين ، وجل ربنا عن مقالة المعطلين ، وعز أن يكون عدما كما قال البطلون، لأنه ما لصفة له، تعالى الله عما يقول الجهميون الذين ينكرون صفات خالقنا الذي وصف الله بها نفسه فسي محكم تنزيله وعلى لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم) (١) .

وهذا شيخ الاسلام إسماعيل الصابوني المتوفى سنة ٤٤٩ هـ يصور لنا عقيدة السلف فتطابق طريقة ابن الوزير في الأسماء والصفات بقوله : (أصحاب الحديث - حفظ الله أحياءهم ورحم أمواتهم - يشهدون لله بالوحدانية وللرسول بالرسالة والنبوة ، ويعترفون ربهم عز وجل بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله أو شهد له بها رسوله - صلى الله عليه وسلم - على ماوردت الأخبار الصحاح به ، ونقلته العدول الثقات عنه ، ويشبتون له جل جلاله ما أثبت لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله - صلى الله عليه وسلم - ولا يعتقدون تشبيهها لصفاته بصفات خلقه) (٢) .

وهذا معتقد امام المحدثين وقائد السلفيين في عصره احمد بن حنبل واقرانته كما يرويه الامام الشهرستاني بقوله : (فأما احمد بن حنبل وداود بن علي الأصفهاني وجماعة من أئمة السلف، فجزوا على منهاج السلف المتقدمين عليهم، من أصحاب الحديث، مثل مالك بن انس ومقاتل بن سليمان، وسلكوا طريق السلامة فقالوا نؤمن بما ورد به الكتاب والسنة، ولا نتعرض للتأويل بعد أن نعلم قطعاً أن الله عز وجل لا يشبه شيئاً من المخلوقات وان كل ما مثل في الوهم فالله خالقه ومقدره) (٣) .

(١) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل لابن خزيمة ص ١٠-١١ .

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ضمن الرسائل المنيرية للصابوني المجلد الاول ،

ص ١٠٥-١٠٦ .

(٣) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٠٤ .

يؤكد هذا مقاله شيخ الاسلام عن عقيدة الامام احمد بقوله : (قال الامام احمد رضى الله عنه لا يوصف الله إلا بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم - لا يتجاوز القرآن والحديث) (١) .

وقال ابن كثير السلفي الشهير (سنة ٧٧٤ هـ) عند تفسير قوله تعالى : (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) (٢) .
(وقد وردت احاديث كثيرة متعلقة بهذه الاية الكريمة ، والطريق فيها وفى أمثالها مذهب السلف ، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف) (٣) منهم الامام مالك بن أنس (ت سنة ١٧٩ هـ) وسفيان الثوري ^{الشافعي} (أد ١٦٢ هـ) والليث بن سعد (١٥٢ هـ) والأوزاعي وغيرهم من الائمة رحمهم الله ، فقول السلف أمرها كما جاءت يقتضى - كما قاله شيخ الاسلام : (إبقاء دلالتها على ما هي عليه ، فإنها جاءت ألفاظ دالة على معانيها ، فلو كانت دلالتها منتفية لكان الواجب أن يقال : أمروا لفظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد ، أو أمروا لفظها مع اعتقاد أن الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقة ، وحينئذ تكون قد أمرت كما جاءت ولا يقال حينئذ بلا كيف ، إن نفس الكيف عما ليس بثابت لفو من القول) (٤) وهذا تفصيل لما أجمل فيما سبق .

وما يؤيد مذهب ابن الوزير السابق ذكره مقاله الحافظ في الفتح ^{٨٥٤} في شرح باب ما يذكر في الذات والنعوت وأسماء الله عز وجل :
(اتفق المحققون على أن حقيقة الله مخالفة لسائر المخلوقات . . . إلى أن قال : والصواب الارساق عن هذه المباحث والتفويض إلى الله في جميعها ، والاكتفاء بالايمان بكل ما أوجب الله في كتابه أو على لسان نبيه إثباته أو تنزيهه عنه على طريق الإجمال .. ولولم يكن في ترجيح التفويض على التأويل إلا أن صاحب التأويل ليس جازما بتأويله ، بخلاف صاحب التفويض) (٥) .

قلت : وهذا يدل على أن الحافظ يميل إلى التفويض فيحمل على التفويض في علم الكيفية لا في علم المعاني كما سبق قول السلف الذي حكاه وقرره شيخ الاسلام ابن تيمية لان التفويض ^{المطلق} ليس مذهب السلف ، وإنما ذلك في علم الكيفية كما قرر هذا وفق الديار

(١) الفتوى الحموية لابن تيمية ضمن مجموعة نفائس ص ١٠١ .

(٢) سورة الزمر : ٦٧ .

(٣) تفسير ابن كثير ج ٧ ص ١٠٤ والفتوى الحموية ص ١١١ وانظر شرح الطحاوية خرج احاديثها الالباني ص ٩٩ .

(٤) الفتوى الحموية ص ١١٣ .

(٥) فتح الباري ج ١٣ ص ٣٨٣ .

السعودية الشيخ عبدالعزيز بن باز (١) .

هذا ويعض ابن الوزير مؤكداً منهجه في الاسماء والصفات الذي هو امتداد لمعتقد السلف الصالح ، وأن الخروج عنه ^{ذو} في التشابه الذي لا يعلم تأويله الا الله - سبحانه - فيقول : (والذي وضح لي في هذا وضوحاً لا ريب فيه بحسن توفيق الله ... أن الكلام في ذات الله على جهة التصور والتفصيل أو على جهة الإحاطة على حد علم الله ، كلاهما باطل ، بل من التشابه المنوع الذي لا يعلمه ، الا الله لقوله تعالى : (ولا يحيطون به علماً) (٢) ولقوله تعالى : (ليس كمثله شيء) (٣) وإنما تتصور المخلوقات وما هو نحوها ، ولما ورد من النهي (٤) عن التفكير في ذات الله والامر بالتفكير في الآله ، ولما اشتهر عن علي عليه السلام في امتناع معرفة الله - عز وجل - على العقول : امتنع منها بها واليها حاكمها ، أي امتنع من العقول بمعرفة العقول لعجزها عن إدراكه والإحاطة به ، واليها حاكمها أي جعلها محكمة في ذلك لأنه نزلها منزلة الخصم والخصم لا يحكم إلا حيث تتضح الحجة ويقتضح جاحدها فلا يرضى لنفسه بدعوى ما يعلم كل عاقل كذبه فيها) (٥) . لأن التفكير في ذات الله - عز وجل - وأسمائه وصفاته من بدع المشبهة على اختلاف أنواعهم وبدع المعطلة على اختلافهم ايضاً ، ففلاتهم يعطلون الذات والصفات والاسماء الجميع ومنهم الباطنية ودونهم الجهمية ومن الناس من يوافقهم في بعض دون بعض .

وقد قيل في هذا المعنى : من نظر في الخالق ألحد ، ومن نظر في المخلوق وحد ، فالفرقان المشبهة والمعطلة ، إنما أتوا من تعاظم علم ما لا يعلمون ، ولو أنهم سلكوا مسلك السلف في الإيمان بما ورد من غير تشبيه ولا تعطيل لسلموا ، فقد اجمعوا على أن طريقة السلف أسلم ، ولكنهم ادعوا أن طريقة الخلق اعلم ، فطلبوا العلم من غير مظانه ، بل طلبوا علم ما لا يعلم ، فتعارضت أنظارهم العقلية ، فالمشبهة ينسبون خصومهم إلى رد آيات الصفات ، والمعطلة ينسبون خصومهم وسائر أئمة

(١) الفتوى الحموية ١١٢-١١٣ ومجلة البلاغ العدد ٧٣٣ جمادى الآخرة ١٤٠٤ هـ ، وفيها كلام مفيد يتعلق بصفات الله تعالى على مذهب السلف .

(٢) سورة طه : ١١٠ .

(٣) سورة الشورى : ١١ .

(٤) هذا معنى حديث متفق عليه البخاري ج ٤ كتاب بدء الخلق باب صفة ابليس وجنوده ص ٩٢ ج ٨ الاعتصام باب ما يكره من كثرة السؤال ج ٨ ص ١٤٤ ، مسلم ج ١ كتاب الايمان باب بيان الوسوسة ص ١١٩-١٢٠ وهو حديث (ياتى الشيطان احدكم فيقول له من خلق كذا حتى يقول له من خلق ريك فاذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته) .

(٥) المواصم والقواصم لابن الوزير ج ٢ الوهم الخامس عشر والسادس عشر ، وإثار الحق على الخلق له ص ٩٣ ، الترجيح له ص ١٢٩ .

الاسلام جميعا الى التشبيه والكل حرموا طريق الجمع بين الآيات والآثار والاقتداء بالسلف الا خيار والاقتصار على جليات الابصار وصاحح الآثار (١) .

فأنت ترى أن ابن الوزير يقرر إثبات الصفات بلا تشبيه ولا تعطيل وأن إمرارها على ظواهرها هو الحق والأسلم والأحوط في الدين ، على حسب ما تقرر سابقا من مذهب اهل السنة والجماعة الذي قرره ابن تيمية وابن باز .

وما يؤيد طريقة ابن الوزير في إثبات الاسماء والصفات ما قاله شيخنا السلفي حافظ الحكمي المتوفى سنة ١٣٧٧ هـ في كتابه (سلم الوصول الى علم الاصول فسي التوحيد) في الكلام على الاسماء والصفات قوله :

(وكل ما له من الصفات	***	أثبتها في محكم الآيات
أوضح فيما قاله الرسول	***	فحقه التسليم والقبول
نبرها صريحة كما أتت	***	مع اعتقادنا لماله اقتضت
من غير تحريف ولا تعطيل	***	وغير تكيف ولا تمثيل
بل قولنا قول أئمة الهدى	***	طوبى لمن يهديهم قدا هتدى)

وقد شرحها شرحا مطولا في كتابه (معارج القبول) (٢) اشرح سلم الوصول وفي كتابه ايضا (أعلام السنة المنشورة (٣) لا اعتقاد الطائفة الناجية المنصورة) .

وقد ألف الامام الشوكاني ^{١٤٥٠هـ} رسالة سماها التحف في مذهب السلف فلتراجع فانها مفيدة في هذا الموضوع ، ويقول ابن الوزير في الرد على من زعم أن صفة الرحمة لله تعالى مجاز ولغيره حقيقة بقوله :

(قد ثبت أن الرحمن مختص بالله تعالى وحده ويحرم اطلاقه على غيره ، ولو كانت الرحمة له مجازا ولغيره حقيقة كان العكس أوجب وأولى ، وما المانع للمسلم من إثباتها صفة حمد ومدح وثناء كما علمنا ربنا ، مع نفي صفات النقص المتعلقة برحمة المخلوقين عنه تعالى ، كما اثبتنا له الحق العليم الخبير المريد مع نفي نقائص المخلوقين في حياتهم المستمرة (٤) .

(١) انظر الايثار لابن الوزير بتصرف بسيط ص ٩٣-٩٦ .

(٢) ج ١ ص ٣١٠-٣٣٠ .

(٣) ص ٢٢ .

(٤) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٣٥ .

وقد حكى إجماع المسلمين على حسن إطلاق الرحمة على الله من غير قرينة تشعير بالتأويل .

كما ذكر أن الله سبحانه كرر التمدح بالرحمة أكثر من خمسمائة مرة في كتابه الكريم منها باسمه الرحمن أكثر من مائة وسبعين مرة وباسمه الرحيم أكثر من مائتي مرة وجمعها للتأكيد مائة وست عشرة مرة (١) . وما المانع للمسلم من إثباتها صفة حمد ومدح وثناء كما علمنا ربنا مع نفي صفات النقص المتعلقة برحمة المخلوقين عنه تعالى كما أثبتنا له اسم الحى العليم الخبير المريد مع نفي نقائص المخلوقين فى حياتهم المستمرة لجواز التألم بأنواع الآلام ثم للموت الذى لا يد منه لجميع الأحياء من الأنام (٢) .

هذا وقد أورد ابن الوزير كلام الامام النووى فى حكاية مذهب أهل الحديث وغيرهم من جماهير أهل السنة فى الأسماء والصفات ، فهو - وإن كان قصد ابن الوزير من إيراد تنزيه الامام احمد بن حنبل عن التشبيه الذى وصمه به المعتزلى - مناسب لمبحث الاسماء والصفات ، لذلك نذكره هنا .
وهذا نص كلام النووى الذى نقله ابن الوزير :

« اعلم أن لأهل العلم فى أحاديث الصفات ، وآيات الصفات قولين :
أحدهما - وهو مذهب السلف أو كلهم - أنه لا يتكلم فى معناها ، بل يقولون يجب علينا أن نؤمن بها ونعتقد لها معنى يليق بجلال الله ، مع اعتقادنا الجازم أن الله تعالى ليس كمثله شئ ، وأنه منزّه عن التجسيم وعن سائر صفات المخلوق ، وهذا القول هو مذهب جماعة من المتكلمين ، واختاره جماعة من محققهم وهو أسلم والقول الثانى : وهو مذهب معظم المتكلمين أنها تتأول ، وإنما يسوغ تأويلها لعرف بلسان العرب وقواعد الاصول والفروع ، ذى رياضة فى العلم (٣) .

وقد استنتج ابن الوزير من هذا النص تنزيه المحدثين والفقهاء من التجسيم ، والامام احمد - باجماعهم - من أعتهم وجلتهم ، بدليل أنه لو كان مجسما ما كان عندهم بهذه المكانة العلمية ، ألم تر أن النووى لم يعد قول المجسمة فى أقوال أهل العلم ، بل قصر أقوالهم على القولين المذكورين كما ترى ، واحمد عنده من العلماء بغير شك .

(١) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٣٢ - ١٣٤ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٣٥ .

(٣) الروض الباسم فى الذب عن سفة أبى القاسم لابن الوزير ج ١ ص ١٤٤ .

هذا وقد رجعت الى شرح مسلم (١) بقصد المقابلة ، فوجدت مانقله ابن الوزير عن النووي في حديث الرؤية الطويل عن أبي هريرة مرفوعا .

وقد قابلت بين ذلك فوجدت بعض العبارات التي في الاصل ساقطة في الفرع ، وهي كلمة : (والانتقال والتحيز في جهة) سقطت بين كلمة التجسيمين قوله : وعن سائر صفات المخلوق ، كما أنها سقطت عبارة : (على ما يليق به على حسب مواقعها) بين قوله تتأول وبين قوله : وإنما يسوغ تأويلها لعارف ولست أدري هل ذلك السقوط سهوا او عمدا أو قنا أو ما السر في ذلك ؟

- تحقيق الكلام في الجهة والتحيز :-

ثم عثرت على كلام لشيخ الاسلام ابن تيمية كشف عن ذلك ، مضمونه أن هذه الألفاظ وأمثالها قد تنازع المتأخرون في نفيها وإثباتها وأنها ألفاظ مجتمعة تحتاج إلى تفصيل ، ولعل هذا هو السر في حذفها لدى ابن الوزير . والله أعلم .

وقد رأيت أن أنقل كلام ابن تيمية لعظم فائدته حيث قال : (وما تنازع فيه المتأخرون نفيًا وإثباتًا فليس على أحد ، بل ولا له أن يوافق على إثبات لفظه أو نفيه ، حتى يُعرف مراده ، فإن أراد حقا قيل ، وإن أراد باطلا رُكِّ ، وإن اشتمل كلامه على حق وباطل لم يقبل مطلقا ، ولم يرد جميع معناه ، بل يوقف اللفظ ويفسر المعنى ، كما تنازع الناس في الجهة والتحيز وغير ذلك ، فلفظ الجهة قد يراد به شيء موجود غير الله تعالى فيكون مخلوقا كما إذا أُريد بالجهة نفس العرش أو نفس السموات ، وقد يراد به ما ليس بموجود غير الله تعالى ، كما إذا أُريد بالجهة ما فوق العالم ومعلوم أنه ليس في النص - أي آيات الاستواء والعلو الواردة في القرآن الكريم - إثبات لفظ الجهة ولا نفيه كما فيه إثبات العلو والاستواء والفوقية والعروج إليه ونحو ذلك .

وقد علم أن ما ثم موجود الا الخالق والمخلوق ، والخالق سبحانه وتعالى - مباين للمخلوق ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته ، فيقال لمن نفي الجهة : أتريد بالجهة أنها شيء موجود مخلوق ؟ قاله ليس داخلا في المخلوقات ، أم تريد بالجهة ما وراء العالم ؟ فلا ريب أن الله فوق العالم مباين للمخلوقات .

وكذلك يقال لمن قال : الله فى جهة ، أتريد بذلك أن الله فوق العالم ؟
أو تريد به أن الله داخل فى شىء من مخلوقاته . ؟ فإن أردت الاول فهو حقيقى
وان أردت الثانى فهو باطل .

وكذلك لفظ التحيز إن أراد به أن الله تحوزه المخلوقات فالله أعظم وأكبر ،
بل قد وسع كرسيه السموات والارض . وقد قال تعالى : (وما قدروا الله حقيقى
قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) (١) .

وقد ثبت فى الصحاح عن النبى - صلى الله عليه وسلم - انه قال : (يقبض الله
الارض ويطوى السموات بيمينه ثم يقول أنا الملك . أين ملوك الارض ؟) (٢) .
وفى حديث آخر : (وإنه ليدحوها كما يدحو الصبيان بالكرة) (٣) .

وفى حديث ابن عباس : (ما السموات السبع والارضون السبع وما فيهن فى يد
الرحمن الا كخردلة فى يد أحدكم) (٤) . وان أراد به انه منحاز عن المخلوقات
أى مباين لها منفصل عنها ليس حالا فيها فهو سبحانه كما قال أئمة السلف : فوق
سمواته على عرشه بائن من خلقه (٥) .

هذا وما ينبغى التنبيه إليه أن هذه الألفاظ كالتحيز والانتقال وإثبات
الجسم ونفيه من الألفاظ المحدثثة المبتدعة ، لما علم من الشرع أنها لم تنقل عن أحد
من الانبياء - عليهم الصلاة والسلام - ولا عن أحد من الصحابة ولا التابعين ولا عن
أحد من الأئمة والمحدثين ، وإنما كانوا يراعون لفظ القرآن والحديث فى النفى والإثبات
فى الاسماء والصفات ، ولا يأتون بلفظ مبتدع فى النفى والإثبات لأن ذلك ليس له ضابط ،
بل كل قوم يريدون معنى غير المعنى الذى أرادوه أولئك بخلاف ألفاظ الرسول - صلى
الله عليه وسلم - فإنها متضمنة كل معنى صحيح ، سواء علم مراده بها أو لم يعلم ، فانه
يجب التصديق بكل ما أخبر به (٦) .

(١) سورة الزمر : ٦٧ .

(٢) البخارى تفسير سورة الزمر : ج ٦ ص ٣٣ كتاب التوحيد باب إن الله يمسك السموات
والارض أن تزولا ج ٨ ص ١٨٧ ، مسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار ج ٤ ،
ص ٢١٤٧-٢١٤٨ بألفاظ متعددة وسنن الترمذى مع تحفة الاحوذى تفسير سورة
الزمر ج ٩ ص ١١٣-١١٥ مسند احمد ج ١ ص ٤٢٩ ، تفسير ابن كثير ج ٧ ص ١٠٤-١٠٦ .
(٣) لم اجد هذا الحديث الا فى تفسير ابن جرير ج ٢ ص ٢٦ بلفظ : (ثم يقول بهما
- اى السموات والارض - كما يقول الغلام بالكرة)

(٤) بعد البحث الشديد وجدته فى تفسير ابن جرير ج ٢ ص ٢٥ موقوفا على ابن عباس
وليس فيه (وما فيهن) وكذلك فى شرح الطحاوية ص ٣١٤ موقوفا على ابن عباس ايضا
بزيادة وما بينهن وسكت عن الحكم عليه الألبانى فى تخريجه لأحاديث شرح الطحاوية .
(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية ، مجمل اعتقاد السلف ج ٣ ص ٤١-٤٢ وانظر شرح حديث
النزول لابن تيمية ص ٧٩-٨١ .

(٦) انظر شرح حديث النزول لابن تيمية ص ٧٨-٨٠ وانظر مجموع الفتاوى له ج ٣ ص ٨١ .

ولعل هذا يكون مبررا لابن الوزير - اذا لم يكن سقوط الألفاظ المذكورة اتفا سهوا - فإنه يحذر كثيرا من مثل هذه الألفاظ المبتدعة كما يدندن (١) حولها كثيرا . فإنه لا يخفى على أهل الاسلام دين رسولهم الذى بعث إليهم ، وأقام بين أظهرهم بيته لهم حتى تواترت شرائعه وصفاته ، لاتصال الأخبار وكثرة العلماء والرواة .

وقد حصر منشأ معظم البدع فى أمرين باطلين :

أولهما : الزيادة فى الدين بإثبات ما لم يذكره الله تعالى ولا رسوله - صلى الله عليه وسلم - من مهمات الدين الواجبة ، ومن أهمها هذه الألفاظ المبتدعة المتعلقة بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا .

وثانيهما : النقص من الدين بنفى بعض ما ذكره الله ورسوله بالتأويل الباطل (٢) ، إلا أنه كان ينبغى على ابن الوزير مراعاة منهجه فى البحث ثم التعقيب عليه وسيأتى الحديث إن شاء الله عن موقف ابن الوزير فى الابتداع فى فصل خاص .

ويقرر ابن الوزير أن العجز عن المعرفة التفصيلية فى ذات الله - عز وجل - وصفاته أمر ضرورى لأن كل ما لم يشاهد ، ولا مثل له فى المشهودات استحالة تصويره فى ذهن ، وما استحالة تصويره فى الذهن استحالة أن يعرف إلا على سبيل الجملة .

ولابن الوزير أبيات تتعلق بالأسماء والصفات ، والرد على المبتدعة المعتزلة الزيدية ، الزاعمين أن الله - سبحانه - لا يعرف من ذاته إلا ما يعلمونه ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا نختار منها ما يلى :

- | | |
|------------------------------|---------------------------------|
| لى فى القديم مقال غير مبتكر | * سبحانه عن خيال الوهم والفكر |
| أجله أن يحيط الناظرون به | * ذاتا وأين قوى النظر والنظر |
| وإنما علموا أوصافه جملا | * من غير كيف ونفى النقص والصور |
| فإن معرفة الموصوف جمل عن الـ | * إدراك الفكر والتخيل بالبصر |
| والله يعرف قطعا ذاتهموسوا | * ه ليس يعرف الا الوصف بالنظر |
| فإن يقرؤا بهذا فالمراد وإن | * حادوا فقد وقعوا فى أفحش النكر |
| هل جهلوه لتجهيل المعبد أو | * اتبعوا لعرفانه فى مقطع الفكر |
| الله أكبر هذا قاطع ولنا | * عليه أكبر برهان من الزمير |

(١) الدندن كما فى القاموس : العادة ، ج ٤ ص ٢٢٠ .

(٢) انظر ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٨٧ .

تنزه الرب في الذكر المنزل أن * يحيط علما به خلق من البشر
تعدُّحا لم يكن في الذكر مختلفا * قطعاً ولا غلطا من وهم ذي نظر (١)

تحقيق الكلام في (القديم)

هذا ومن الملاحظ على ابن الوزير - رحمه الله - قوله في مطلع هذه الأبيات:
لى في القديم . . . لأنه لا يتفق وما ذكره في الإيثار (٢) في أثناء كلامه على الاسماء
الحسنى بأن ما كان منها منصوصا في كتاب الله وجب الايمان به على الجميع والانكار
على من جحدته أو زعم أن ظاهره اسم ذم لله سبحانه ، وما كان في الحديث وجب
الايمان به على من عرف صحته ، وما نزل عن هذه المرتبة أو كان مختلفا في صحته لم يصح
استعماله ، فان الله أجل من أن يسمى باسم لم يثبت أنه تسمى به ، وفي هذا الاسم
خلاف بين العلماء ، فقد كره بعضهم تسمية الله - عز وجل - بالقديم ، أو وصفه بالقدم ،
لأنه لم يسم به نفسه في كتابه ولا وصفه به رسوله ، وإنما اشتهر هذا على السنة المتكلمين
كالمعتزلة القائلين بأن القدم أخص وصف الله تعالى ، ومتقدمي الأشاعرة القائلين
بأن القديم هو الموجود الذي لا أول له كما قال الجويني ، ثم ذكر ما اختاره شيخه
من أنه المتقدم في الوجود وذكر تفاصيل كثيرة ورجح ما اختاره شيخه (٣) .

ومن أيد كراهة القول بهذا صاحب شرح الطحاوية بقوله : (وقد أدخل المتكلمون
في أسماء الله تعالى - القديم ، وليس هو في الاسماء الحسنى فان القديم في لغة العرب
التي نزل بها القرآن هو المتقدم على غيره ، فيقال هذا " قديم " للمتيق وهذا " حديث "
للجديد .

ولم يستعملوا هذا الاسم إلا في المتقدم على غيره لا فيما لم يسبقه عدم . كما
قال تعالى : (حتى عاد كالعرجون القديم) (٤) والعرجون القديم هو الذي يبقى

(١) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير ص ١٣١-١٣٢ - إيثار
الحق على الخلق له ص ٩٤-٩٥ .

(٢) إيثار الحق ص ١٦٩ .

(٣) الشامل لإمام الحرمين ص ٢٥١-٢٥٢ تحقيق على سامي النشار الناشر منشأة
المعارف بالاسكندرية . والملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٤٤ وانظر
العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية للجويني ص ٢٠ تحقيق احمد حجازي
السقا ، مطبعة دار الشباب ط . اولى ١٣٩٨ هـ ولعم الآلة لابي المعالي
الجويني ص ٨٠ وما بعدها .

(٤) سورة يس : ٣٩ .

الى حين وجود العرجون الثاني ، فاذا وجد الجديد ، قيل للأول القديم
وأما إدخال القديم في أسماء الله تعالى فهو مشهور عند أهل الكلام . وقد أنكر
ذلك كثير من السلف والخلف (١) .

وعليه فهذا من آثار علم الكلام في عقيدة ابن الوزير لكنه أشار في الاشارة (٢)
إلى هذا الاسم مختلف فيه .

قلت : وهو كذلك ، فقد جوزه بعض العلماء لحديث دخول المسجد
مرفوعا : (أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم)
فقد رواه ابوداود في سننه (٣) والنووي في الأذكار (٤) وقال حديث حسن رواه
ابوداود باسناد جيد وأدخله الحاكم (٥) في الاسماء الحسنى ، وابن ماجه
في سننه (٦) باسناد ضعيف (٧) والبيهقي في الاعتقاد (٨) وفي سننه مقبول
والسيد نور الدين خان (٩) . وقد أطال الحافظ في الفتح (١٠) الكلام على حديث
(لله تسعة وتسعون اسما) من ناحية الصحة وعدمها في السرد والادراج وغير
ذلك فراجع ان شئت . كما رواه الترمذي في سننه (١١) وقال ليس له إسناد صحيح .

والحاصل أن إدخال " القديم " في أسماء الله الحسنى لم يثبت كما ترى ،
لعدم صحة الروايات التي فيها سرد الاسماء الحسنى ، وهل هي مرفوعة أو مدرجة ؟
وأما حديث دخول المسجد وفيه (وسلطانه القديم) فقد قال النووي حديث
حسن رواه ابوداود باسناد حسن ، وكفى بهذا الحكم من إمام عظيم في هذا الشأن ،
باعتراح أهل الفن ، وابوداود لا يروى في سننه إلا الأحاديث الصحيحة
أو ما يقاربها أو يشابهها ، وهو الحديث الحسن لذاته ، وما كان فيه وهن شديد بينه ،
ومالم يذكر فيه شيئا فهو صالح للاحتجاج .

(١) انظر شرح الطحاوية ص ١١٤-١١٥ وانظر العقيدة الطحاوية ص ١٩

(٢) اشارة الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٧٤ .

(٣) السنن مع عون المعبود ج ٢ ص ١٣٢ .

(٤) ص ٣٣ .

(٥) المستدرک على الصحيحين للحاكم ج ١ ص ٧ ط . بيروت .

(٦) ج ٢ ص ٧٠١٢ .

(٧) لان في سننه عبد الملك بن محمد الصنعاني - اي في سند إدخال القديم في
الاسماء الحسنى .

(٨) ص ٥١-٥٢ وفي سننه مقال قبال الذهبي : ضعيف لأن في سننه عبد العزيز بن
الحسين بن الترجمان ووثقه الحاكم في المستدرک نفسه وانظر ذيل المستدرک للذهبي
ج ١ ص ١٧٢ .

(٩) انظر كتاب الجوائز والصلاة في جمع الأسامي والصفات ص ٥١ .

(١٠) فتح الباري ج ١١ ص ٢١٤-٢٢٨ .

(١١) سنن الترمذي بتحفة الاحوذى ج ٩ ص ٢٨٨-٢٩٠ .

ومعلوم عند أهل هذا الشأن وغيرهم العمل بالحديث الحسن ، فكم من أحكام مدارها على الأحاديث الحسنة لذاتها ، وهذا منها . والحديث الحسن الصحيح في الاحتجاج به وإن كان دونه في القوة ، ولهذا أدرجته طائفة في نسوع الصحيح قاله النووي في التقريب (١) .

وبناءً على ما سبق فقد زالت رائحة الشبهة التي كانت توجد في كلام ابن الوزير - رحمه الله - من أنها من آثار علم الكلام - بنفحات الطيب الحديشية إذ تبين أنه اسم أوصفه من صفاته تعالى ، وهو يساوى بل يقارب لفظ الاول وهو ثابت في القرآن الكريم والسنة النبوية ضرورة .

ومن تكلم بلفظ " القديم " و " القدم " سلطان العقيدة السلفية ومحبيها ، والذآب عن حياضها دم التعطيل ودنس التشبيه شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله - في عدة مواضع ، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر قوله في سياق رده على غلاة المعتزلة الذين يسلبون عن الله - عز وجل - النقيضين بقولهم : لا موجود ولا معدوم وهذا نص كلامه :

- ١- (. .) وقد علم بالاضطرار أن الوجود لا بد له من موجد واجب بذاته ، غنى عما سواه " قديم " أزلى لا يجوز عليه الحدوث ولا العدم) .
- ٢- وذكره في الرد على المعتزلة في الأصلين في التدمرية بقوله : (. .) " يُبَيِّنُ للمعتزلي أن هذه الصفات التي يتصف بها " القديم " ولا تكون كصفات المحدثات (٦) .
- ٣- وفي موضع آخر قال : (وقد بينا في مواضع أن " القدم " و " وجوب الوجود " متلازمان عند عامة العقلاء الأولين والآخرين ، لم يعرف عن طائفة منهم نزاع في ذلك إلا ما أحدثه هؤلاء) (٣) . يشير إلى ابن سينا والرازي كما هو ظاهر السياق . وفي موضع آخر قال : (. . .) فإن علم الله القديم الأزلى وما يتبعه من محبته ورضاه ويفضه وسخطه . . . لا يتغير (٤) .

(١) تدريب الراوى شرح تقريب النواوى للسيوطى ج ١ ص ١٦٠ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٣ ص ٨-٩ .

(٣) المصدر نفسه ج ١ ص ٤٩ .

(٤) المصدر نفسه ج ١١ ص ٦٣ .

٤ - وفي موضع آخر أيضا قال : (ولفظ "الواجب" و "القديم" يراد به الإله الخالق - سبحانه - "الواجب الوجود القديم" فهذا ليس إلا واحدا ويراد به صفاته الأزلية وهي قديمة واجبة بتقدم الموصوف (١) .

٥ - وفي موضع آخر أيضا في أثناء حديثه على إيمان الفرقة الناجية بالقدر وتقسيمه السي درجات قال : (فالدرجة الأولى الإيمان بأن الله علم ما الخلق عاملون بعلمه "القديم" الذي هو موصوف به أزلا (٢) .

٦ - كما حكاه عن ابن عقيل بقوله : ("والقديم" سبحانه ذات لا يداخله شيء ولا يداخل شيئا ولا يتصل بشيء ولا يفصل عنه شيء لأنه واحد (٣) .

٧ - "والقديم" عند أهل الكلام كما قال ابن تيمية : (عبارة عما لم يزل وعالم يسبقه وجود غيره (٤) .

٨ - وقال الحافظ في الفتح : (قد علم بضرورة العقل أنه لا بد من وجود "قديم" غنى عما سواه (٥) .

ومن قال بالقديم والقدم خلق غير هؤلاء (٦) .
 وإنما أوردت هذا للاستئناس بكلام الناس وإلا إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل ، فقد ثبت حديث دخول المسجد ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : (اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم) . هذا ولترجع إلى المقصود من الكلام على منهج ابن الوزير في الاستدلال على توحيد الأسماء والصفات فيها هو أن يقرر أن معرفة كمال الله - جل وعلا - وما يجب له من أسمائه الحسنی وصفاته العلاء هو من تمام التوحيد الذي لا بد منه : لأن كمال الذات بأسمائها الحسنی ونعوتها الشريفة ، ولا كمال لذات لا اسم لها ولا نعت ، ولذلك عُدَّ مذهب الملاحدة في مدح الرب بنفيها من أعظم مكائدهم للإسلام (والله الأسماء الحسنی فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون (٧) .

-
- (١) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٢ ص ٢٣١ .
 (٢) العقيدة الواسطية ضمن مجموع الفتاوى ج ٣ ص ١٤٨ .
 (٣) بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ج ١ ص ٤٧١ .
 (٤) مجموع الفتاوى ج ١ ص ٢٤٥ .
 (٥) فتح الباري ج ٣ ص ٩ .
 (٦) انظر الفرق بين الفرق للبغدادى ص ١٣ وانظر مقدمة كتاب التوحيد لابن خزيمة ص خ .
 (٧) سورة الاعراف : ١٨٠ .
 (٨) انظر فتح القدير للشوكاني ج ٥ ص ٧٥ .

(قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّا مآ تدعوا فله الاسماء الحسنى) (١) .

ويبين ابن الوزير معتقده في الاسماء الحسنى في هذا التعبير الوجيز : على سبيل الاجمال بقوله : (فما كان منها منصوفا في كتاب الله وجب الايمان به على الجميع ، والانكار على من جرده ، أو زعم أن ظاهره اسم ذم لله سبحانه ، وما كان في الحديث وجب الايمان به على من عرف صحته ، وما نزل عن هذه المرتبة أو كان مختلفا في صحته لم يصح استعماله فان الله أجل من أن يسمى باسم لم يتحقق أنه تسمى به) (٢) .

وهذا عكس منهج المتكلمين الذين يقتصرون على اليسير من الاسماء الحسنى فذلك كالاختصار للقرآن الكريم ، وذلك لا يجوز ، إذ لو كان شئ منها لا ينبغي اعتقاده ولا ذكره لما ذكره الله في كتابه الكريم (٣) .

...

ابن الوزير بصور عقيدة أهل السنة عند اضطراب المتكلمين :

وفي معرض الرد على منهج الزيدية المعتزلة في الصفات بانكار بعضها وتأويل البعض الآخر كالمجى والضحك والرجل والقدم والرؤية فقد أكثر أهل الكلام الجدل والتأويل واشتد الأمر وعظم الخطر، فصور ابن الوزير عقيدة أهل السنة بقوله : (ولما اضطرب الناس في هذا ودق الكلام فيه ، وعظم الخطر ، اعتصم الجماهير من أهل السنة بالاقرار بما ورد في الآيات والأحاديث ، على الوجه الذي أراده الله - تعالى - مدعين للعلم بذلك الوجه لا رادين لما ورد في ذلك من السمع ولا مشبهين لله تعالى بما لحقه من صفات النقص معتقدين أن الله تعالى كما وصف نفسه في قوله (ليس كمثله شئ) منزهين لله تعالى من كل ما يقتضى النقص ، من شبه المخلوقين في أفعالهم وذواتهم وصفاتهم ، وهذه عقيدة صالحة منجية لمن اعتقدها ،

(١) سورة الاسراء : ١٠٨ وانظر إيثار الحق لابن الوزير ص ١٦٨-١٦٩ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٦٩ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٦٩ .

ومن ضلل أهلها لزمه تضليل أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
إلا طائفة المتكلمين ، وذلك يعود إلى الإدغال في الدين ، والقدح على سيد المرسلين ،
نعوذ بالله من تأويل الجاهلين وانتحال المبطلين (١) .

ألا ترى أن ابن الوزير يسخر من المتكلمين الذين يفخرون بأنهم علموا ما لم يعلمه
النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعون ، وادعوا أن طريقة الخلق أعلم ، تالسه
لقد خابوا وخسروا ، بل كذبوا بطريقة السلف أسلم وأعلم . وفي هذا بيان أن ابن الوزير
يتبنّى عقيدة أهل السنة لأنه ذيل ذلك بجملة منطوقها يقرر مضمون ما سبق ، وهى
قوله : (وهذه عقيدة صالحة منجية لمن اعتقدها . . .)
أما مفهوم ذلك فإن الخطر العظيم في مخالفة معتقد أهل السنة والجماعة .
إلا أنه قد يرد هنا سؤال : لماذا لم يكمل ابن الوزير قوله تعالى : (ليس كمثله
شئ * وهو السميع البصير) (٢) . بل اكتفى بالنفى وترك الإثبات ، وذلك يقتضى
أنه ينفى ولا يثبت أو يقال : إن هذه طريقة المتكلمين ، يذكرون النفي مفصلاً
والإثبات مجملاً ، وهذا خلاف مذهب السلف ، وقد تقرر أن ابن الوزير سلفى العقيدة ؟
فالجواب كما يلى :

هذا وارد فى حق من وقف على هذا النص فحسب ، أما من وقف على نصوص ابن
الوزير فى غير هذا الموضع قبله أو بعده فذلك غير وارد ، لأنه قد ذكر الآية كاملة
بشقيها : الأول : رد على المشبهة والثانى : رد على المعطلة ، وقد عقب
على الآية الكريمة بما تطمئن له نفوس أهل السنة والجماعة فى عدة مواضع منها ما سبق
فى أوائل المبحث وفيما نقلته عنه من كتابه الترجيح بلفظه .

ومن ذلك ما ذكره مشيرابه إلى مذهب أهل السنة فى قوله تعالى : (ليس كمثله
شئ * وهو السميع البصير) . أن المراد نفي التشبيه بتعظيم الأسماء الحسنى
وإثباتها لا بنفيها كما قال القرامطة مثاله ، إنه عليم لا يعزب عن علمه شئ * ولا يزول علمه
ولا يتغير ولا تأخذه سنة ولا نوم ، وهذا ما عبر عنه ابن تيمية وغيره من السلف بالنفى
المتضمن للإثبات إذ مجرد النفي لا مدح فيه ولا كمال (٣) .

(١) الروض الباسم لابن الوزير ج ٢ ص ٢٣٥ وانظر ما قبلها وما بعدها وانظر مقدمة
الكافية الشافية لابن قيم الجوزية ص ٦ حبذا لو طالعتها إلى آخرها ففيها ما تطمئن
إليه نفوس السلفيين وتضجر منه نفوس المشبهين والمعطلين وهى المشهورة بالقصيدة
البنونية .

(٢) سورة الشورى : ١١ .

(٣) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٨٧-١٨٨-١٩٢ وانظر مجموع فتاوى ابن تيمية
ج ٣ ص ٨٥ شرح الطحاوية ص ١٠٨ .

أما الاحتمالات فكثيرة :

منها أنه يحتمل أن آخر الآية سقط من بعض النسخ كما في النسخة الخيطيتين بل المصورتين ففيهما الكثير من البياض والاختلاف ، وجدت ذلك أثناء المقابلة .

وستأتى مقارنة - إن شاء الله - بين كلام ابن الوزير وابن تيمية في أواخر هذا البحث .

وها هو ذا ابن الوزير يستدل بكلام على رضى الله عنه : (عليك بما دل عليه القرآن من صفته) لما قيل له صف لنا ربنا .

ويعلق ابن الوزير على ذلك بقوله : (وهذا لا يعارض قوله تعالى : (سبحانه وتعالى عما يصفون) (١) . لأنه لم ينزه ذاته عن الوصف مطلقا حتى يعم الوصف الحسن وإنما ينزه عن وصفهم له بالباطل القبيح) (٢) .

وسياتى أن ابن تيمية قد نهج هذا المنهج في الآية المذكورة وليس في ذلك من التهمة شيء والله الحمد والمنة .

وهذا شيخ الاسلام ابن تيمية - حامل لواء السلفيين - يقرر عقيدتهم ومنهجهم كما سبق فله الحمد والمنة على اتفاق من ذكرنا من السلفيين على منهج واحد ففى توحيد الاسماء والصفات ومنهم ابن الوزير الذى كان الهدف فى هذا البحث هو معرفة عقائده ، إن العقيدة السليمة هى الأساس فى الدين الاسلامى وكان من حق ابن تيمية أن يكتب كلامه - لما له من السبق على ابن الوزير والمكانة العلمية - قبل كلام ابن الوزير - ولكن أخرته لقصد المقارنة ، ولتكون أفكاره حديثة عهد بذهن القارئ وعلى مرآة ، ولأن كلامه قد اطمأننا اليه كثير من النفوس - فهو وإن كان غير معصوم - فإن على كلامه نور الحق والعدل والعرفان ، يعرف ذلك كل من له علاقة بهذا الشأن ، وقد ازاح عن نفسه العصبية والتقليد والبدع الكلامية وغيرها ، وهذا هو نص كلام ابن تيمية من كتاب مجمل اعتقاد السلف بعد ان ذكر انواع التوحيد :

(فأما الاول وهو التوحيد فى الصفات فالاصل فى هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسله نفيًا وإثباتًا فيثبت لله ما اثبتته لنفسه وينفى عنه ما نفاه عن نفسه

(١) سورة الانعام : ١٠٠ .

(٢) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٨٧-١٨٨ .

وقد علم ان طريقة سلف الامة ، وأثبتها إثبات ما أثبتته من الصفات من غير الحاد في أسمائه ولا في آياته ، فان الله تعالى ذم الذين يلحدون في أسمائه وآياته كما قال تعالى : (والله الاسماء الحسنی فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون) (١) . وقال تعالى : (إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خيرا أم يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم) (٢) .

فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات مع نفى مماثلة المخلوقات ، إثباتا بلا تشبيه ، وتنزيها بلا تعطيل كما قال تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) (٣) ففي قوله (ليس كمثله شيء) رد للتشبيه والتشثيل - ، (وهو السميع البصير) رد للإلحاد والتعطيل ، والله سبحانه بعث رسلا بإثبات مفصل ونفسي مجمل فأثبتوا لله الصفات على وجه التفصيل ، ونفوا عنه ما لا يصلح من التشبيه والتشثيل كما قال تعالى : (فاعبدوه واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا) (٤) أي شيئا أو شبيهها . وقال تعالى : (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد) (٥) .

وفي موضع آخر قال : (القول في الصفات كالقول في الذات . . فالذات متصفة بصفات حقيقة لا تماثل سائر الصفات) (٦) .

وفي موضع آخر ايضا قال : (إن الله لا مثل له وإن حقيقته مخالفة لجميع الحقائق) (٧) وفي شرح الاصفهانية (٨) ذكر ما اتفق عليه سلف الامة وأثبتها في هذا الباب واستدل بقوله تعالى : (ليس كمثله شيء) ولم يكمل الآية كما فعل ابن الوزير في الاكتفاء بالجزء الاول منها لما وصف عقيدة اهل السنة عند اضطراب الناس في الصفات مع ذكر بعض الآيات التي ذكرها في مجموع الفتاوى .

(١) سورة الاعراف : ١٨٠ .

(٢) سورة فصلت : ٤٠ .

(٣) سورة الشورى : ١١ .

(٤) سورة مريم : ٦٥ .

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٣ ص ٣-٤ اقتضاء الصراط المستقيم له ص ٤٦٥-٤٦٦ ، وانظر شرح حديث النزول له ص ٧ وانظر شرح الطحاوية ص ٩٩ ومنهج ودراسات لآيات الاسماء والصفات المشنقيطي والكواشف الجلية عن معاني الواسطية للمسلمان

ص ٢٥-٥٥ والجواب الصحيح لابن تيمية ج ١ ص ٧ .

(٦) الرسالة التدبرية . ضمن نفائس لابن تيمية ص ١٩ .

(٧) بيان لبس الجهمية له ج ١ ص ٨٨ .

(٨) ج ٨ ص ٨ ضمن الفتاوى الكبرى مطبعة كردستان العلمية بالقاهرة سنة ١٣٢٩ هـ ،

مقارنة بين طريقة ابن الوزير وابن تيمية وغيرهما :

إذا ما قارنت بين طريقة ابن الوزير في الاستدلال لإثبات الاسماء والصفات، وبين طريقة ابن تيمية الآنفة الذكر فانك تجد الطريقة واحدة سلفية بحتة خالية عن الطرق الكلامية ومصطلحاتها وليس ذلك جهلا منها بالكلام والجدل والمنطوق اليوناني، فابن تيمية في هذه العلوم العقلية - كما هو اشتهر من نار على علم - من البرزين بل اشد هم تعمقا وتفوقا في ذلك بعد ان رأى المجتمع حوله يروج بهذه العلوم، وكان أصحابها ينكون بأهل الحديث تنكيلا منذ محنة القول بخلق القرآن إلى عصر ابن تيمية ، لأنها كانت تطيش كفة أصحاب الحديث في مجالس المناظرات، واحدق الخطر بالاسلام، فكان هذا الشدح ^{حافلا} لابن تيمية في دراسة هذه العلوم العقلية ، بفرض الدفاع عن العقيدة السلفية ، فدرس علم الكلام والمنطق والفلسفة اليونانية بتعمق شديد ، ولما تسلاح بسلاح الخصوم برز الى الميدان ورد على المنطقيين ونقض كلامهم عروة عروة وألزم الجدليين وافحم الخصوم فنكسوا رؤوسهم متحيرين، وارتدوا على أعقابهم خاسرين، ولولا هذا التعمق في هذه العلوم العقلية بعد توفيق الله لما استطاع مقارعة الحجة من جنسها ، ومؤلفاته خير شاهد على ما أقول .

أما العلوم النقلية فهو فيها أشهر من نار على علم، حتى قال بعض العلماء :
إن اى حديث لم يعرفه ابن تيمية فانه غير حديث (١) .

وأما ابن الوزير فهو بخلاف ذلك فدراسته للعلوم العقلية من البداية وكان قد اثنى في تحصيلها معظم شبابه كما قال :

قليت ذا العلم من بعد الرسوخ به * واعتضت بالذكر منه غير مفبون (٢)
وكان مغرما بأفكار أئمة الاعتزال كابن أبي الحديد والجاحظ وغيرهما ، وبأفكار أئمة الاشعرية كالرازي والفزالي وغيرهما والسبب في ذلك كما يقول: (إن أول ما قرع سمع ورسخ في طبعي وجوب النظر ومن قلد في الاعتقاد فقد كفر) (٣) . فاستغرق في ذلك حدة نظره وبأكورة عمره ثم هداه الله الى علوم الكتاب والسنة فانشرح صدره

(١) انظر ذيل طبقات الحنابلة لابن شهاب المصنف ج ٢ ص ٣٩٢-٣٩٣ . ؟

(٢) ترجيح اساليب القرآن لابن الوزير ص ٤٢ .

(٣) انظر مقدمة العواصم لابن الوزير ج ١ ورقة ٦ .

ووجد فيهما الشفاء كله ، لكنه امتحن كغيره من الدعاة الى الحق ووجهت اليه الاعتراضات ، تحمل سهام الجدل والمناظرة ، فبرز الى الميدان ، مدججا بسلاح المنقول والمعقول ، فاستخدم الأسلوب الجدلي ، في الذب عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع من ميدان المعركة وقلمه يقطر دما من اجساد المعتزلة المعطلة ، حاملا لواء الدفاع عن السنة وحملتها ، منصورا مؤزرا بعد أن صرع المعتزلة المعطلة صرعى كأنهم اعجاز نخل خاوية .

وإذا ما قارنت بين طريقة ابن الوزير في الاستدلال لاثبات الاسماء والصفات ، وبين طريقة ابن تيمية الأنفة الذكر أيضا فانك تجد الطريقة واحدة سلفية بحتة ونعود فنقتطف هذا النص من كلام ابن الوزير إذ يقول : (لا شك ان الله - عز وجل - حقيقة مخالفة لسائر الحقائق مخالفة مطلقة لا يشاركها شيء في ذاتيتها وخصوصيتها لقول الله تعالى (ليس كمثله شيء) وهو السميع البصير) (١) . وقوله تعالى (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد) وقوله : (فاعبدوه واصطبر لعبادته هل تعلم لى سميا) (٢) وقوله حاكيا عن شبهه بغيره (تالله إن كنا لفي ضلال مبين ، إذ نسويكم برب العالمين ، وما أضلنا الا المجرمون) (٣) . وفي قوله تعالى : (ليس كمثله شيء) وهو السميع البصير (جمع بين الرد على طوائف المبتلين فأولها : رد على المشبهة وآخرها رد على المعطلة وفي ترتيبها سر لطيف ، لأنه لو قدم الرد على المعطلة لخيف سبق وهم أو خيال من شبه أهل التشبيه ، فلذا بدأ بما يعصم عن ذلك من غاية التقديس والتتزيه (ولا يحيطون به علما) (٤) .

وفي موضع آخر ذكر معنى هذه الطريقة في الأسماء والصفات واستدل بقوله تعالى : (والله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون) (٥) وقوله : (قل ادعوا الله وأدعوا الرحمن أيأما تدعوا فله الاسماء الحسنى) (٦) لأن معرفة كمال الله جل وعلا - وما يجب له من أسمائه الحسنى ونعوتها

(١) سورة الشورى : ١١ .

(٢) سورة مريم : ٦٥ .

(٣) سورة الشعراء : ٩٧-٩٩ .

(٤) سورة طه : ١١٠ .

(٥) سورة الاعراف : ١٨٠ .

(٦) سورة الاسراء : ١١٠ .

الشريفة من كمال التوحيد فلاكمال لذات لاسم لها ولا نعت ، ولذلك عُدَّ مذهب
الملاحدة في مدح الرب بنفيها من أعظم مكائدهم للإسلام (١) .

كذلك اذا نظرت إلى ما حكاه من طريقة الجماهير من أهل السنة عند اضطراب
الناس بالتمسك بما ورد في الآيات والأحاديث إلى أن قال : (وهذه عقيدة صالحة
منجية لمن اعتقدها .) وغير ذلك من كلام ابن الوزير السابق الذكر . فأنت اذا -
قارنت بين كلام الشيخين وغيرهما أيضا من السلف الصالح فتجد طريقة الاستدلال
في مسألة الأسماء والصفات واحدة، فهو وإن اختلف في بعض الألفاظ شيئا ما، فالمعنى
واحد، ألا ترى إلى تعليقهما أي ابن تيمية وابن الوزير على قوله تعالى : (ليس
كمثل شئ* وهو السميع البصير) (٢) فذاك ابن تيمية يقول : (ففي قوله (ليس كمثل
شئ*) رد للتشبيه والتعطيل ، وقوله (وهو السميع البصير) رد للإحاد والتعطيل
وهذا ابن الوزير يقول : (وفي قوله تعالى : (ليس كمثل شئ* وهو السميع البصير)
جمع بين الرد على طوائف المبطلين فأولها رد على المشبهة وآخرها رد على المعطلة .

فأنت ترى أن الآيات القرآنية التي استدل بها ابن تيمية في هذه المسألة
استدل بها ذاتها ابن الوزير ، إلا أن الأخير ذكر قول الله تعالى : (قل ادعوا
الله وأدعوا الرحمن أيّا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى) (٣) ولم يذكرها الأول ففى
هذا الموضع بل ذكر قوله تعالى (إن الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا) (٤) ،
فى حين أن ابن الوزير لم يذكر هذه الآية فى هذا الموضع كما انفرد ابن الوزير بذكر
قوله تعالى (تالله إن كنا لفى ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين) (٥) . أما كون
الله سبحانه حقيقة مخالفة لجميع الحقائق فى تعبير ابن تيمية وكون حقيقة الله
سبحانه - مخالفة لسائر الحقائق فى تعبير ابن الوزير فظاهرهما اتفاق الشيخين
إلا أن كلمة سائر تطلق على الباقي لا الجميع عند بعضهم .

وإذا نظرت إلى تعقيبيهما على قوله تعالى (ليس كمثل شئ* وهو السميع البصير)
فتجد التعبير واحدا لفظا ومعنى ، إلا أن ابن الوزير يمتاز بقوله : (وفى ترتيبها سر
لطيف لأنه لو قدم الرد على المعطلة لخيف سبق وهم أو خيال من شبه أهل التشبيه
فلذلك بدأ بما يعصم عن ذلك من غاية التقديس والتنزیه (ولا يحيطون به علما)

(١) ترجيح اساليب القرآن على اساليب اليونان لابن الوزير ص ١٣٧ - إيثار الحق له ،
ص ١٦٨ وانظر بيان تلبس الجهمية لابن تيمية ج ١ ص ٨٨ وفيه : (إن الله لا مثل له وإن
حقيقته مخالفة لجميع الحقائق) .

(٣) سورة الاسراء : ١١٠

(٢) سورة الشورى : ١١

(٥) سورة الشعراء : ٩٧-٩٩ .

(٤) سورة فصلت : ٤٠

كما يمتاز ابن تيمية بقوله (والله سبحانه - بعث رسله بإثبات مفصل ونفى مجمل فاثبتوا لله الصفات على وجه التفصيل ونفوا عنه ما لا يصلح له من التشبيه والتمثيل ومن المحتمل أن ماسقط على أحد الشيخين هنا موجود في موضع آخر . والله أعلم .

هذا ولو كان ابن الوزير على معتقد الزيدية المعتزلة لما طورد الى بطون الاودية الخوالى ، ورؤوس الجبال العوالى ، وما فائدة التسمية لأعظم كتاب - فى نظرى - عرفه اليمن بعد كتاب الله تعالى - سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - بشهادة كبار علماء - وقد سبق بيان ذلك - ألا وهو ما دل اسمه ب (العواصم والقواصم فى الذب عن سنة أبى القاسم) على مسماه وهو ما حواه من أنواع العلوم التى لا يستغنى عنها طلابها ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل : (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الضالين وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين) (١) . وفى رواية (وتأويل الضالين) يدل الجاهلين . وذكر معنى هذا الحديث احمد بن حنبل إمام السنة فى مقدمة كتابه (الرد على الجهمية والزنادقة) (٢) . وقد حمل هذا العلم ابن الوزير كغيره من حملة الأعلام بل من الأعلام الذين صهرتهم المحنة فى سبيل الدعوة والتجديد . ومن وجد رائحة المبالغة فى كلامى فعليه بإمعان النظر فى مؤلفاته لاسيما (العواصم والقواصم) الذى اختصره فى (الروض الباسم) وليعرف أسلوبه ومنهجه فى الاستدلال ، وقد سبق بيان هذا فى بحث خاص من الباب الأول ، وعندئذ ستنتقع رائحة المبالغة - إن وجدت - ان شاء الله . هذا بالنسبة لخصومهم لم يعرف عنه شيئاً ، أما معارفه وأصدقائه وأحبائه فلا شك أنى - فى نظرهم - لم أوفد المقام حقه ولم أصف ابن الوزير ببعض ما يستحقه ، وأستغفر الله ما لا يرضى الله عز وجل .

وما يدل على ذلك قوله فى أبيات كثيرة اخترت منها ما يلى :

يا لاعمى كف عن لومى ومعتدى *** قول النبى وهى فى تعرفه
فما قفوت سوى آيات منهجه *** ولا تلوت سوى آيات مصحفه

(١) شرف اصحاب الحديث للبغدادى ص ٢٨-٣٠ - الاصابة لابن حجر ج ١ ص ١٩١ -
١٩٢ - الروض الباسم لابن الوزير ج ١ ص ٢١-٢٢ ، العواصم ج ٢ وهم ١٥ فصل ٤
وقد سبق الكلام حول هذا الحديث من حيث الصحة والضعف ص ٢٥

(٢) ص ١٣ تصحيح اسماعيل الانصارى نشر ادارة البحوث العلمية بالمملكة العربية السعودية .

إن كان حبي حديث المصطفى دليلاً * * منى فما الذنب إلا من مصنفه
وإن يكن حبه ديناً لمعتـرف * * فذاك همى ودينى فى تعرفه
ومذهبهى مذهب الحق اليقين فما * * تحوّل الحال إلا من تشوفه
هذا الذى أكثر المعزال فيه فما * * تعجب القلب إلا من معنفه
ما الذنب إلا وقوفى بين أظهرهم * * كالماء ما الأجن إلا من توقفه
وحق حبي له إنى به كلف * * يغنينى الطبع فيه عن تكلفه (١)

هذا ومن الملاحظ على ابن الوزير فى هذا البيت الأخير ما يتنافى مع توحيد الألوهية فإنه أقسم هنا بغير الله وذلك غير لائق بمثل ابن الوزير لحديث ابن عمر مرفوعاً وفيه :
(من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت) (٢) .

وبمناسبة الكلام فى صفات الله تعالى - على ضوء ما سبق ، وعلى ضوء الآية الكريمة
(ليس كمثله شئ وهو السميع البصير) (٣) ، رأيت أن اصل قصة رواها الزندانى فى
كتابه " توحيد الخالق " لما لها من الصلة الوثيقة بهذا الكلام لفظها كما يلى :

(لقد جاءت امرأة انجليزية الى الشيخ الحكيم ، وكان عالماً يمينياً اهتدى على يده
كثير من البريطانيين ، فأرادت هذه المرأة أن تخرج العالم المسلم فقالت : لا أؤمن
بالله أيها الشيخ إلا إذا أخبرتنى كم طول الله وكم عرضه ؟ فأخبرها العالم : إن علمنا
بالله محدود ، وإن الله لا يقاس بمثل هذه المقاييس . (ليس كمثله شئ *) وقال لها :
هل تحبين زوجك ؟ - وكان معها - قالت : نعم . قال : وهل تشعرين بوجود الحب ؟
قالت : نعم قال : أما أنا فساأنكر وجود حب فىك لزوجك ، إلا إذا قلت لى كم رطـلاً
وزن حبك لزوجك ، وكم طول هذا الحب ، وكم عرضه ؟ فعرفت أنها اشترطت لإيمانها
شرطاً سخيفاً (٤) .

-
- (١) العواصم / ج ٢ قه ١٨٨-١٨٧ فى ترجمة ابن الوزير الملحق بهذا الجزء .
(٢) متفق عليه البخارى ج ٧ كتاب الأيمان باب لا تحلفوا بأبائكم ص ٢٢١ مسلم ج ٣ ،
كتاب الأيمان باب النهى عن الحلف بغير الله ص ٢٦٧
(٣) سورة الشورى : ١١ .
(٤) توحيد الخالق لعبد المجيد الزندانى القسم الثانى ج ٣ ص ٩٧ مطبعة السعادة
ط . ثانية سنة ١٣٩٧ هـ .

وبالجملة فان مبحث آيات الاسماء والصفات وأحاد يثا ينبئ - كما هو مذهب السلف - على ثلاثة أسس من جاء بها كاملة فقد وافق الصواب ، ومن أخل بواحد منها فقد ضل ونوى :

١ - تنزيه الله - سبحانه - عن مشابهة المخلوقين لقوله تعالى (ليس كمثله شيء)^(١) (ولم يكن له كفوا أحد) .

٢ - الإيمان بما وصف الله به نفسه لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله (أنتم أعلم أم الله)^(٢) والإيمان بما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لأنه لا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسوله ، لأنه لا ينطق عن الهوى وعلى ضوء قوله تعالى : (وهو السميع البصير)^(٣) .

٣ - قطع الطمع عن إدراك كيفيته - جل وعلا - لقوله : (ولا يحيطون به علما)^(٤) ، (ربنا لا تأخذنا ان نسينا أو أخطأنا)^(٥) (ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن)^(٦) .

...

(١) سورة الشورى جزء من اية ١١٠ .

(٢) سورة البقرة جزء من اية ١٤٠ .

(٣) سورة الشورى : جزء من اية ١١٠ .

(٤) سورة طه : جزء من اية ١١٠ وانظر تفاصيل هذه الاسس الثلاثة (منهج ودراسات لآيات الاسماء والصفات) للشنقيطي ت ١٣٩٣ هـ ص ٣ وما بعدها . وهو موجز ومفيد في هذا الباب .

(٥) سورة البقرة : ٢٨٦ .

(٦) سورة ابراهيم : ٣٨ .

الفصل الثاني

الفبيات

- ١ - تمهيد
- ب - وهم ابن الوزير وغيره في اسناد القول بفناء النار لابن تيمية
- ج - فتوى ابن تيمية بعدم فناء النار
- د - رجوع ابن القيم عن تأييد القول بفناء النار
- هـ - مقتطفات من الاجابة لابن الوزير
- و - كلام جديد في هذه المسألة العظيمة

تمهيد

عرفت مما سبق ، وستعرف مما سيأتى ان معظم مصنفات ابن الوزير رد على شيخه الزيدى المعتزلى ولم أجد جدالا بينهما فى (الغيبيات) ما عدى مصير مرتكب الكبيرة فى الآخرة اذا مات مصرا عليها .

و معلوم أن الحديث عن (الغيبيات) هو الحديث عن القيامة الصغرى من إثبات الثواب والعقاب فى البرزخ ، إلى ما قبل النفخة الأولى . كما ان الحديث عن القيامة الكبرى ، من النفخة الاولى ، إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، وما بين ذلك من الأهوال التى يشيب لهولها الولدان بما فى ذلك من الحساب والميزان والحوض والصراف ، وكل هذا يتضمنه الإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان الستة ، المذكورة فى حديث جبريل الصحيح المشهور .

ولست أعرف أحدا ممن ينتمى إلى الاسلام ، ينكر هذا من حيث الجملة ، غير أن هناك بعض الخلافات فى تفاصيل الحياة البرزخية هل يعذب أو ينعم الجسد فقط أو الروح وحده أو هما معا ، وغير ذلك من التساؤلات التى يكثر منها أهل الكلام تراجع فى مظانها ، وقد أطال الكلام فى هذا شمس الدين ابن قيم الجوزية (١) ، وأتى بما لم يأت به غيره - حسب علمي - والإيمان باليوم الآخر هو كما قال شيخ الاسلام : (مذهب سائر المسلمين ، بل وسائر الملل إثبات القيامة الكبرى وقيام الناس من قبورهم ، والثواب والعقاب هناك ، وإثبات الثواب والعقاب فى البرزخ - ما بين الموت الى يوم القيامة هذا قول السلف قاطبة ، وأهل السنة والجماعة ، وإنما أنكر ذلك فى البرزخ قليل من أهل البدع (٢)) .

ثم ذكر أقوال المتكلمين وغيرهم فى الحياة البرزخية والآيات المتعلقة بذلك وبالقيامة الكبرى (٣) .

لذلك لم أجد نزاعا بين ابن الوزير وخصمه فيما يتعلق بهذا الفصل إلا فى مسألة الوعد والوعيد وما يتعلق بذلك من خروج أهل الكبائر من النار عند أهل السنة والجماعة لأحاديث الشفاعة المتواترة ، وعدم خروجهم عند المعتزلة الزيدية ، ومنهم خصم ابن الوزير وقد سبق ذكر هذا فى موقف ابن الوزير من أصولهم الخمسة عند الكلام على أصل الوعد والوعيد) ولكن لا مانع من الإشارة الى ذلك .

وحاصل كلامهم : القول بخلود أهل الكبائر من المسلمين ، فى النار أبدا ، لا يخرجون منها الى الجنة أبدا ، ولا تنفعهم شفاعة الشافعين ، واستدلوا بقوله تعالى :

(١) انظر الروح لابن القيم ص ١٥ وما بعدها مطبعة صبيح ١٣٨٦ هـ

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٤ ص ٢٦٢

(٣) انظر التفاصيل فى المصدر نفسه ج ٤ ص ٢٤٢-٢٩٨ وانظر رسالة الدكتور الخالدى بعنوان (الحياة البرزخية فى الاسلام) .

(ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) (١) وأمثال ذلك من الآيات وإنما تكون الشفاعة في رفع درجات بعض أهل الجنة (٢).

و حاصل كلام خصم ابن الوزير كما في العواصم والروض الباسم : أن الاحاديث الدالة على خروج العصاة من النار بشفاعة النبي - عليه الصلاة والسلام - وشفاعة الشافعين ، تناقض آيات الوعيد ، الدالة على خلود أهل الكبائر من المسلمين ، لقوله تعالى : (وما هم عنها بغائبين) (٣) وقوله : (وما هم بخارجين من النار) (٤) .

و حاصل رد ابن الوزير : أن هذا جهل مفرط ، فإن العموم والخصوص لا يتناقضان على القطع عند أحد من فرق المسلمين ، والقرآن مشحون بذلك ، كقوله تعالى : (. . . من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة) (٥) فاطلق نفى الخلة ، والشفاعة في هذه الآية ، عن كل أحد ، ثم قيده في قوله : (لا خلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين) (٦) وقال : (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) (٧) فاثبت الخلة والشفاعة لمن ارتضى ، ولمن اتقى ، بعد ان نفاهما مطلقا ، واستشهد ابن الوزير باحاديث الشفاعة المتواترة ، في خروج العصاة من النار (٨) وقد سبق أنها ما يقارب أربعمأة حديث ، وقد ذكر شيخ الاسلام أقسام الشفاعة الثلاثة - للنبي صلى الله عليه وسلم - يوم القيامة المتواترة الصحيحة منها الشفاعة فيمن دخل النار أن يخرج منها ، وفيمن استحق النار ألا يدخلها وهذه الشفاعة كما قال ابن تيمية : (أنكرها كثير من أهل البدع من الخوارج ، والمعتزلة والزيدية) (٩) وهذا خلاف ما عليه الصحابة والتابعون والأئمة الاربعة وغيرهم ، من تواتر الاحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم - أن الله يخرج من النار قوما بعد أن يعذبهم الله ، ما شاء بشفاعة النبي - صلى الله عليه وسلم - وشفاعة غيره ، ويخرج قوما بلا شفاعة (١٠) .

فهل يبقى بعد هذا شبهة لمنكرى الشفاعة في خروج العصاة من المسلمين من النار؟ نعم يبقى ما حكم من كذب بالمتواتر؟ أما ثبوت الشفاعة فلا شبهة ولا إشكال

(١) سورة غافر: ١٨

(٢) مصباح العلوم للراض ص ٢٠ وراجع اصل الوعد والوعيد في فصلي المعتزلة والزيدية

(٣) سورة الانفطار: ١٦

(٤) سورة البقرة: ١٦٧

(٥) سورة البقرة: ٢٥٤

(٦) سورة الزخرف: ٦٧

(٧) سورة الانبياء: ٢٨

(٨) انظر التفاصيل في العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٤ وهم ٢٨ ص ٧٩-٨٠ وما بعدهما والروض الباسم له ج ٢ ص ٢٢٧-٢٢٨

(٩) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٤ ص ١٤٨

(١٠) انظر مجموع الفتاوى ج ٢ ص ١٤٧ وما بعدها ج ١١ ص ١٨٤-١٨٥

فى ذلك عند من له صلة بالدين ، فتواتر الأدلة على ذلك يفيد اليقين كما هو مقرر عند علماء المسلمين، وإنما الإشكال فيما يندرج (١) حوله ابن الوزير - رحمه الله - فى عدة مواضع من كتبه ، ويسنده إلى شيخ الإسلام ابن تيمية ، وأتباعه ، من القول بفناء النار ، لأن القدر فى دوام العذاب عندهم - فى نظره - سهل بعد ورود الاستثناء فى غير آية وحديث ، وأثر ، ومنتهاه تخصيص عموم بما يقتضى زيادة الرحمة والحكمة ، وهذا ما سنتحدث عنه ، ونبطل ما يستحق الإبطال ، ونثبت ما يستحق الإثبات ، بالبراهين الصحيحة الواضحة ان شاء الله تعالى .

هذا وقد كنت وضعت الكلام على هذه المسألة فى فصل (الاشعرية وموقف ابن الوزير منها) فى أثناء الكلام على إثبات حكمة الله تعالى - فى أفعاله وأقواله ، ثم بدا لى ، أن وضعها هنا أنسب ، لأنها من الغيبيات ، وهى التى تحير فيها كثير من أرباب العقول ، وهى عند شيخ الإسلام : مسألة عظيمة كبيرة ، وعند ابن القيم أكبر من الدنيا بأضعاف مضاعفة ، وعند ابن الوزير : هى أم المتشابهات ، وأغمض الخفيات ، ومحارة علماء المعقولات والمنقولات ولذلك قال ابن الوزير فى أثناء حديثه عن المتشابه : (وهذه المسألة - أى الحكمة فى دوام العذاب الأخرى - هى التى ألجأت غلالة الأشعرية إلى القول بنفى الحكمة . . . وهى التى ألجأت ابن تيمية وأسلافه وأتباعه إلى القول بفناء النار ، والتأليف فى ذلك ، وأشار الغزالى إلى نصرة قولهم فى المقصد الأسنى ، فى شرح الرحمن الرحيم ، وجود الاحتجاج لهم فى ذلك ، وفى بعض مباحثه فى ذلك فيه نظر (٢) .)

قلت : الغزالى سماه سرا ، وأن الشرع منع من افشائه ، وأنه يفسد بسببه كثير من الناس وذلك تحت عنوان (سؤال وجوابه) وذكر كلاما يتضمن إثبات الحكمة فى الشر ، وقال فى نهايته ما لفظه : (ولا تشكن أصلا فى أنه تعالى ارحم الراحمين ، وأنه تعالى سبقت رحمته غضبه ، ولا تستريين فى أن مريد الشر للشر - أى لكونه شرا فقط - لا للخير غير مستحق ، اسم الرحمة ، وتحت هذا سر منع الشرع عن افشائه ، فاقنع بالدعاء ، ولا تطمع فى الافشاء ، ولقد نبهت بالإيماء والرمز إن كنت من أهله فتأمل

(١) دندن الرجل اذا اختلف فى مكان واحد مجيئا ونهايا ذكره ابن الاثير فى النهاية ج ٢ ص ١٣٧ عند الكلام على حديث ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل (ما تقول فى الصلاة ؟ قال : أتشهد ثم أسأل الله الجنة ، وأعوز به من النار ، أما والله ما أحسن دندنك ولا دندنة معاذ ، فقال : حولهما دندن) رواه ابن ماجه بهذا اللفظ فى سننه ج ١ ص ٩٥ ، والامام احمد فى مسنده ج ٢ ص ٧٢ قال الهيثمى فى الزوائد اسناده صحيح ورجاله ثقات .

(٢) العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٣ وهم ٢٨ ص ٢٩٩ وإثبات الحق على الخلق له

ارشدك الله (١) . ثم أنشد :

لقد اسمعت لو ناديت حيا - ولكن لا حياة لمن تنادي

و مثل للخير الكامن في الشرور الدنيوية بالقصد والحجامة وقطع العضو المتأكل
والقصاص وأمثال ذلك كثير .

ولعل هذا السر الذي ذكره العزالي وأن الشرع منع من إفشائه هو ما تبادر إلى
ذهن ابن الوزير وعبر عنه : بلعلّه أراد سعة الرجاء لرحمة الله تعالى ، كما جاء عن
علي عليه السلام - لولا أن أخاف أن تتكلموا على العمل لأخبرتكم بما لكم من الأجر في
قتلهم - يعني الخوارج - واستشهد بحديث معاذ رضى الله عنه حينما كان رديف النبي
صلى الله عليه وسلم - قال : (يا معاذ أتدرى ما حق الله على العباد وما حق العباد
على الله ؟ قال : قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فان حق الله على العباد أن يعبدوه
ولا يشركوا به شيئا ، وحق العباد على الله - عز وجل - أن لا يعذب من لا يشرك به
شيئا ، قال : قلت : يا رسول الله أفلا أبشر الناس ؟ قال : لا تبشروهم فيتكلوا) (٢)

وفي البخاري : (وأخبر بها معاذ عند موته تأثما) .

وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ذلك مرارا ، ولم يكتفه دائما ،
واستقر الاجتماع بعد علي تدوينه في دواوين الاسلام .

(١) المقصد الاسنى شرح الاسماء الحسنی ص ٦٧-٦٩ حقه و قدم له الدكتور فضله

شحاته ط بيروت وإيثار الحق لابن الوزير ص ٢٢٣-٢٢٣

(٢) متفق عليه البخاري ج ١ كتاب العلم باب من خص بالعلم قوما دون قوم . . . ص ٤١

مسلم كتاب الايمان باب الدليل على ان من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً
ص ٥٨-٥٩ واللفظه و مسند احمد ج ٥ ص ٢٢٨ وانظر الايثار لابن الوزير ص ٢٢٣

وهم ابن الوزير وغيره في اسناد ، القول بفناء النار إلى ابن تيمية

رحم الله ابن الوزير ، فلقد عانيت في البحث عما أسنده الى شيخ الاسلام ابن تيمية - رحمه الله - من القول بفناء النار ، معاناة شديدة لا يعلمها الا الله سبحانه ، ثم من عاناها ، سنة كاملة ، وأنا أبحث بحث الجاد المهتم بما يعنيه ، بشتى طرق البحث .

وبما أن هذه المسألة من اصعب المسائل ، وأشبه المتشايه ، التي حارت فيها - كما في نظر ابن الوزير - عقول أهل المعقول والمنقول بل من سر القدر الذي لا يعلم حقيقته الا الله - عز وجل - فقد سبق في علم الله - سبحانه - أن ابن الوزير سيخالف منهجه الذي سلكه - غالبا - ومنه إسناد الأقوال الى أصحابها ومصادرهما وأجزاءها وأبوابها ، كما سبق بيانه في (منهجه في البحث العلمي) .

وفي هذه المسألة فاتته ذلك - لما سيأتي بيانه - فأسندها الى شيخ الاسلام بدون إشارة الى أي مرجع ، في أكثر من موضع من كتبه فلقد تعبت وأتعبت في البحث ورب ضارة نافعة (١) .

وما زادني تشجيعا على المضي في البحث عنها ما استفاض عن شيخ الاسلام - رحمه الله - من القول بفناء النار وذلك أثناء سؤالي ومناقشتي لبعض العلماء وبعض الزملاء .

وحاصل جواب معظمهم : أن هذا مستفيض عن ابن تيمية ، فأقول أين المرجع ؟ فيحيلني البعض الى مصادر غير موجود فيها ما ذكرها ، والبعض الآخر ، يقول : بالاستفاضة ، لكن يقول : لا أدري أين المرجع ، ابحت عنه وأخبرنا به ، والبعض الآخر لا يصرح بهذا ، بل يقول : يشم من رائحة كلام ابن تيمية القول بفناء النار .

والبعض الآخر أيضا لا ينفي هذا ولا يشبته ،

ومنهم من حثني على البحث في مجموع فتاويه فلا يخلو منها كلام ابن تيمية - حول هذه المسألة ، وهذا نادر جدا .

وما زادني تشجيعا على البحث أيضا كلام ابن القيم رحمه الله - في (هادي الأرواح) و (مختصر الصواعق) أثناء كلامه على أبدية النار ودوامها ، ولعل ابن الوزير اطلع على ذلك فوهم في إسناده الى ابن تيمية ، كما وهم في إسناد حادي الأرواح الى شيخ الاسلام ابن تيمية ، ومعلوم أنه لتلميذه ابن قيم الجوزية ، فإنه ذكر هذه المسألة وأطال الكلام فيها وأن لشيخ الاسلام فيها قولان وهذا نص كلام ابن القيم :

(١) لو لم يكن لهذه الرسالة من قيمة - في نظري - إلا تحقيق هذه المسألة العظيمة وإمطاة الأذى عن مجد السلفية وتلميذه ابن قيم الجوزية لكفى ولكن لا يقدر هذا الجهد الآثووه .

(وَأما ابدية النار ودوامها فقال فيها شيخ الاسلام : فيها قولان معروفان عن السلف والخلف ، والنزاع فى ذلك معروف عن التابعين^(١) .

ثم علق عليه بقوله : (قلت ها هنا أقوال سبعة)^(٢)

ثم ذكرها وأسندها إلى قائلها ، وناقشها وردّها ، إلا قولين هما الرابع والسابع الآتى ذكرهما ، وفى القول الرابع منها ، أنها تبقى نار على حالها ليس فيها احد يعفب ، وقال : حكاه شيخ الاسلام ، والقول السابع قول من يقول بفنائها أى يغنيها ربها وخالقها - تبارك وتعالى - لأنه جعل لها امدًا تنتهى اليه ، ثم تغنى ويزول عذابها .

وقال ابن القيم : (قال شيخ الاسلام : وقد نقل هذا القول عن عمرو ابن مسعود وأبى هريرة وأبى سعيد وغيرهم)^(٣) .

ثم ذكر الآثار الواردة عن بعض الصحابة منها أثر عمر (لولبت اهل النار فى النار قدر رمل عالج لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه)^(٤) وهو صريح فى الخروج لا فى الغناء وأن قوله تعالى : (... إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد)^(٥) تأتى على كل وعيد فى القرآن الكريم وقد نصر القول بفناء النار ابن القيم وأيده بالأدلة الشرعية والعقلية ، وطول فى الاستدلال على ذلك .

ثم ذكر أقوال الذين قطعوا بدوام النار وأدلتهم السمعية والعقلية من ستة أوجه ، ولم ينصرها كما نصر القول بالفناء مع ان اجماع الصحابة والتابعين - الذى حكاه ابن القيم - من اقوى أدلة القائلين بأبدية النار ، بل حكى عن القائلين بفنائها أن هذا اجماع غير معلوم ، وإنما يظن الاجماع فى هذه المسألة من لم يعرف النزاع ، وقد عرف النزاع فيها قديما وحديثا ، بل لو كلف مدعى الاجماع أن ينقل عن عشرة من الصحابة فما دونهم إلى الواحد انه قال : إن النار لا تغنى لم يجد إلى ذلك سبيلا ، وقد نُقل عنهم التصريح بخلاف ذلك^(٦) .

(١) حاوى الارواح لابن القيم ، ص ٢٨٦ مطابع الرجوى بالقاهرة ط ثانية

(٢) المرجع نفسه ، ص ٢٨٦

(٣) المرجع نفسه ، ص ٢٨٧

(٤) رواه عبد بن حميد وفى سنده مقال بل ضعيف وعلته الحسن البصرى متكلم فيه انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للالبانى ج ٢ ص ٧٣ ط المكتب الاسلامى ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات عن أمانة مرفوعا بلفظ : (يأتى على جهنم يوم ما فيها من بنى آدم واحد تخفق أبوابها كأنها ابواب الموحديين) ج ٣ ص ٢٦٨ نشر السلفية ط اولى ١٣٨٦ هـ .

(٥) سورة هود : ١٠٧

(٦) انظر التفاصيل فى حاوى الأرواح ، ص ٢٨٦-٢٩٥ وفى مختصر الصواعق لابن القيم اختصره الشيخ محمد الموصلى ج ١ ص ٢٢٥-٢٣٦ .

ومن اقوى ادلة القائلين الذين قطعوا بدوام النار، أن عقائد السلف واهل السنة مصرحة بأن الجنة والنار مخلوقتان، وأنهما لا تغنيان بل هما دائمتان، وإنما يذكرون فناءهما عن أهل البدع.

ثم عقد ابن القيم فصلا مستقلا في الفرق بين دوام الجنة والنار شرعا وعقلا، وأيد القول بفناء النار من خمسة وعشرين وجها، شرعية وعقلية، وأسند هذا الى بعض الصحابة السابق ذكرهم.

وفي نهاية هذا الفصل قال: (وليس في الحكمة الإلهية أن الشرور تبقى دائما لا نهاية لها، ولا انقطاع أبدا، فتكون هي والخيرات على حد سواء فهذا نهاية أقدام الفريقين في هذه المسألة، ولعلك لا تظفر به في غير هذا الكتاب، فإن قيل فالى اين انتهت قدمكم في هذه المسألة العظيمة الشأن، التي هي اكبر من الدنيا بأضعاف مضاعفة؟ قيل: الى قوله تعالى: (ان ربك فعال لما يريد) (١) وإلى هنا انتهى قدم امير المؤمنين على بن ابي طالب - رضى الله عنه - فيها حيث ذكر دخول اهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، وما يلقاه هؤلاء وهؤلاء، وقال: ثم يفعل الله بعد ذلك ما يشاء، بل هنا انتهت أقدام الخلائق (٢).

والظاهر من كلام ابن القيم أنه لم يجزم بالقول بفناء النار، وإنما هو الراجح عنده لأنه قوّاه وأيده بما لم يؤيد به القول بدوامها ورجح هذا صاحب (الجنة والنار والآراء فيهما) (٣) لأنه يتفق مع رحمة الله الواسعة وكرمه الشامل وعفوه الفياض وحكمته البالغة. كما يظهر أن ابن القيم حصل له التوفيق عملا بقوله تعالى: (إن ربك فعال لما يريد) ولقول على بن ابي طالب رضى الله عنه السابق ذكره والله اعلم.

هذا وليس في وجود كلام ابن القيم نزاع في هذه المسألة، وإنما النزاع في إسناد القول بفناء النار الى شيخ الاسلام ابن تيمية، وأنه يتبنى هذا القول، وإسناد هذه المسألة العظيمة أو غيرها صغيرة أو كبيرة الى شخص كابن تيمية لم يقلها ولم يعتقدها ليس بالأمر الهين، وليس في كلام ابن القيم ما يصح بهذا بل كل ما فيه إشارات الى أن شيخ الاسلام حكى بعض هذه الأقوال كما حكاها غيره من اهل السنة والجماعة كشارح الطحاوية (٤) فقد حكى ثمانية اقوال عند ذكر الجنة والنار وانهما مخطوقتان لا تغنيان كما هي عقيدة اهل السنة وذكر أن القول السليح القائل بفناء النار هو أحد قولى أهل السنة، لكن فيه نظر، وهذا النظر هو الذى هارت فيه فحول أهل العقول كما حكى الحافظ

(١) سورة هود: ١٠٧

(٢) انظر حادى الارواح، ص ٣١٤

(٣) رسالة ماجستير قدمها فيصل عبد الله ص ٢٢٨ وكنت اظن انى اجد فيها ضالتي المنشودة ولكنه لم يتعرض لما نسب الى شيخ الاسلام ولا لرجوع ابن القيم.

(٤) ص: ٤٨٠-٤٨٣-٤٨٥

فى الفتح الأقوال السبعة التى ذكرها ابن القيم واسندها إلى بعض المتأخرين وأن القول بفناء النار مذهب ردئى مردود على قائله (١).

وحكاية شيخ الاسلام لأقوال الطوائف مشحونة بها كتهبه، ولكن للرد عليها لا لتقريرها، وفى القرآن الكريم الكثير من حكايات الكفار والمشركين والمجرمين والفاسقين، للتنديد بها وتقييحها، وهذا واضح ومعلوم لا يحتاج أكثر من هذا، وإنما الذى يحتاج إلى التوضيح هو ما أثاره ابن الوزير - رحمه الله - من أن ابن تيمية ألجأته مسألة القول بدوام عذاب الأشقياء فى النار، إلى القول بفنائها، وقد سبق نص كلام ابن الوزير فى هذا المعنى، فأقول: إنه قد غلب على ظنى أنما نسبته ابن الوزير إلى شيخ الاسلام فى هذه المسألة، إنما هو اعتماد على كلام ابن القيم أو إنما أخذه من كلامه فى حادى الأرواح الذى سبق أن ذكرت أنه ابن الوزير أسنده خطأ لابن تيمية، ومعلوم أنه لابن القيم، وعليه فيكون ابن الوزير قد وهم فى هذه المسألة، والكمال لله وحده.

ثم ان كلام ابن القيم ليس فيه دلالة على ما نسبته ابن الوزير إلى شيخ الاسلام من القول بفناء النار،

ولهذا فقد ثبت - من خلال البحث - عندى أن شيخ الاسلام لم يقل بهذا، لما سأثبته عنه قريبا ان شاء الله، اللهم إلا أن يوجد كلام له لم أطلع عليه، يصح أو يتضمن التصريح بفناء النار، لكن وجود مثل هذا - ويغلب على ظنى عدم وجوده - يتناقض مع ما سياتى من كلام يصح بنقيض ما أثبته ابن القيم وابن الوزير رحمهما الله تعالى.

فهل يصدق الناس بهذا وقد استفاض عند كثير من الناس أن ابن تيمية يقول بفناء النار وأنا اشهد وأكرر شهادتى بأن الكثير ممن سألتهم عن هذه المسألة يجيب بالاستفاضة وهى قديمة مقررة فى الكتب فهذا الجمل يقول: (وقد نقل ابن تيمية القول بفنائها عن ابن عمر وابن عمرو وابن مسعود وابن سعيد وابن عباس وأنس والحسن البصرى وحماد بن سلمة وغيرهم). ثم ذكر الأثر المروى عن عمر: (لولىث اهل النار فى النار عدد رمل عالج لكان لهم يوم يخرجون فيه)

وقال ايضا (وقد نص هذا القول ابن القيم كشيخه ابن تيمية وهو مذهب متروك). (٢)

وهذا نص معلق مجهول على "حادى الارواح" لابن القيم قال فى الهامش:

(٣)
(القول بفناء النار من فظائع ابن تيمية وابن القيم . . .)

- (١) فتح البارى لابن حجر ج ١١ ص ٤٢١-٤٢٢.
- (٢) الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية لسليمان بن عمر العجلي الشافعى الشهير بالجمل، ج ٢ ص ٤٢٥.
- (٣) انظر هامش حادى الارواح ص ٣١٥.



اما ابن القيم فكلامه موجود ، وأما ابن تيمية فإين هو؟ بل كلامه يناقض ما استفاض عنه وادعى عليه ، بل افترى عليه، وما يدل على استفاضة هذا عن ابن تيمية ما قاله محمد بن عبد الرحمن بن قاسم معلقا على بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية، وهذا نص كلامه: (و هذا مع ما يأتي يكذب ما افتراه عليه أعداؤه من القول بفناء النار) (١) .

و هذا الكلام صا در من خبير مارس لكلام شيخ الاسلام ، ولكنه غير مقنع لمن يطالب بالحجة ، فهو وإن كان في استطاعته أو غيرى الدفاع عن شيخ الاسلام بأن هذه مجرد دعوى مفتقرة الى الدليل ، ومعلوم أنه لا دليل على هذه الدعوى إلا إشارات ابن القيم، بل حكايات، فان قيل، إن عقيدة ابن القيم مأخوذة عن شيخه ابن تيمية - وهو أخص تلامذته - فيقال إن ابن القيم نفسه لم يصرح بنسبة هذا الى شيخه بل حكى أنه حكى عن غيره، ولم يجزم ابن القيم بفناء النار بل توقف في آخر البحث كما سبق بيانه، ومع هذا فابن القيم بشر يخطئ ويصيب، وإذا وجد الأصل بطل الفرع، والقول ما قالت

فتوى ابن تيمية بعدم فناء النار

وقد اطلت في التقديم لكلام ابن تيمية المقتضى لنقيض ما أسند اليه من القول بفناء النار ، والمقتضى أيضا أن المستفيض قد يكون خلاف الواقع وإليك نص كلام ابن تيمية لتكون على علم وأطمئنان ان ليس الخبر كالعيان، إليك هذا النص عفوا، فقد تحمل تبعات البحث عنه من سبقت شكواه من طول ما عناه، وكان هذا النص قد أجاب به شيخ الاسلام وقد سئل عن حديث أنس مرفوعا : (سبعة لا تموت ولا تغنى ولا تذوق الفناء : النار وسكانها ، واللوح ، والقلم ، والكرسى ، والعرش) فهل هذا الحديث صحيح ام لا ؟

فاجاب بما نصه : (هذا الخبر بهذا اللفظ ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وإنما هو من كلام بعض العلماء ،

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها ، وسائر اهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية كالجنة والنار ، والعرش وغير ذلك ، ولم يقل بفناء جميع المخلوقات الا طائفة من أهل الكلام المبتدعين ، كالجهنم بن صفوان، ومن وافقه من المعتزلة ، ونحوهم ، وهذا قول باطل يخالف كتاب الله وسنة رسوله ، وإجماع سلف الأمة وأئمتها . (٢)

(١) انظر هامش بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ج ١ ص ١٥٧

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ١٨ ص ٣٠٧

و قال ايضا فى كتابه (بيان تلبيس الجهمية... (١) اثناء كلامه على العرش بأنه لم يكن داخلا فيما يقبض ويطوى ، ويبدل ويغير قال : (... ثم أخبر ببقاء الجنة والنار بقاء مطلقا) و (الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله) (٢) .

و هذا النص يدل على أن ابن القيم وهم فى قوله : قال شيخ الاسلام : (وقد نقل هذا عن عمرو ...) أورجعه عنه فانه لا يتفق ونص ابن تيمية المذكور فيه اجماع سلف الأمة وأئمتها فتأمل .

فهل يصح القول بعد هذا أن شيخ الاسلام ابن تيمية يقول بفناء النار؟ وهل يطمع الباحث المتعطش الى الوصول للمعین الصافى لىروى غليله؟ هل يطمع بعهد ذلك فى التطلع الى سراب الاستفاضة المفروضة وغير المفروضة؟ وهنا يرد سؤال ، وهو ما الذى استقر عليه ابن القيم فى هذه المسألة العظيمة؟

رجوع ابن القيم عن تأييد القول بفناء النار

لا زال يحزّ فى نفسى كلام ابن القيم - رحمه الله - الذى ذكره فى حادى الارواح ، من الميل الى القول بفناء النار ، إذ كنت متأثر به أثناء القراءة ، لما له من الأسلوب الجذاب ، الجامع بين الادلة النقلية والعقلية ، ومع هذا فانه لم يجزم بما يميل اليه ، ويقويه بالبراهين ، بل حصل له التوقف فى آخر الأمر ، وهو ما ذهب اليه ابن الوزير فى هذه المسألة ، من أنها من أشبه المتشابه ، مع أنه نهج منهج ابن القيم فى تقوية كلامه ، وله فى هذه المسألة مصنف خاص سماه (الاجادة فى الإرادة) تزيد على ألف ومائتى بيت .

وتوقف ابن القيم عند هذه المسألة العظيمة تشم منه رائحة الرجوع عن ذلك ، الأمر الذى حدى به الى البحث فى كتب ابن القيم وشيخه من جديد ، وقد وقفت بتوفيق الله تعالى - على الفاية المنشودة ، وهى اتفاق الشيخين ، وتوحيد القول بعدم فناء النار ، كما هو مذهب السلف ، والسبب فى هذا كثرة البحث عما ينسب به ابن الوزير إليهما لأنه متأثر بهما كثيرا ، وإليك الدليل على رجوع ابن القيم حيث قال بعد أن ذكر أن الجنة دار الطيبين ، لا يدخلها إلا طيب قال بعد ذلك :

(واما النار فانها دار الخبث (٣) فى الاقوال والأعمال ، والمآكل والمشرب ،

(١) جراض ١٥٧

(٢) سورة الاعراف : ٤٣

(٣) الخبث بضمين جمع خبيث كبريد وبرد ، مصباح ج ١ ص ١٧٤

و دار الخبيثين . . . فإله تعالى يجمع الخبيث بعضه الى بعض فيركمه كما يسكرم الشئ المتراكم ، بعضه الى بعض ، ثم يجعله في جهنم مع أهله ، فليس فيها إلا خبيث ، ولما كان الناس على ثلاث طبقات : طيب لا يشينه خبث ، وخبث لا طيب فيه ، وآخرون فيهم خبث و طيب كانت دورهم ثلاثة ، دار الطيب المحض ، و دار الخبيث المحض ، وهاتان الداران لا تغنيان ، و دار لمن معه خبث و طيب ، وهى الدار التى تغنى ، وهى دار العصاة فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد ، فإنهم إذا عذبوا بقدر جرائمهم^(١) أخرجوا من النار ، فأدخلوا الجنة ، ولا يبقى إلا دار الطيب المحض ، و دار الخبيث المحض^(١) .

و (الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله)^(٢)

ما يستنتج من كلام الشيخين

يستنتج من كلام ابن القيم ، القيم ، أن النار قسمان :

قسم يفتنى ، و هو قسم الجهنميين من أهل الاسلام ، بعد أن يستوفوا جزاءهم المقدر لهم ، بعدل الله - تعالى - و حكمته ، و بشفاعه النبى - عليه الصلاة والسلام - و شفاعه الشافعين باذن الله - عز و جل - كما هو عقيدة اهل السنة والجماعة .

و هؤلاء هم الذين جمعوا بين الطيب و الخبيث .

و القسم الآخر هو نار الكفار و المشركين ، الخالدين المخلدين ، أبداء كما دل على ذلك القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، و هؤلاء هم الخبيث المحض .

و هذا هو الذى يليق بابن القيم ، و أمثاله ، لا تفاقه و عقيدة السلف و أتباعهم .

أما الأثر المروى عن عمر بن الخطاب ، الدال على فناء النار فيحمل على عصاة

الموحدين لكنه ضعيف بل موضوع كما سبق بيانه .^(٣)

- (١) الوابل الصيب و رافع الكلم الطيب لابن القيم ص ٩٤ تحقيق اسماعيل الانصارى نشر و توزيع دار الافتاء بالرياض . و انظر زاد المعاد فى هدى خير العباد لابن القيم ج ١ ص ٢٧-٢٨ راجعه و قدم له طه عبد الرؤف ط الحلبي ١٣٩٠ هـ سورة الاعراف ٤٤ .

- (٢) بقى هنا سؤال وارد ، و هو اى الكلامين من كلام ابن القيم المتأخر ليكون ناسخا للأول أو هو ما فى حادى الارواح من تاييد القول بفناء النار ثم التوقف أو ما فى الوابل الصيب من الكلام المخالف لذلك الدال على الرجوع الى عقيدة السلف الجواب هذا يحتاج الى بحث مستقل و من الصعب عندى الجزم بتصنيف احد الكتابين قبل الآخر الا انه يغلب على ظنى ان المتأخر هو الوابل الصيب ، و لست ادرى هل تعرض لهذا من بحث فى ابن القيم ، أعنى أى الكتابين هو المتأخر ؟ أسأل الله جل و علا ان يعيننى على تحقيق ذلك فى بحث مستقل .
(٣) هكذا فى الوابل الصيب ، و لعل الصواب جرائمهم ، و فى نسخة : أعمالهم

واما ابن الوزير ، فلم اقف له - فى هذه المسألة - إلا على ما يسند به السنى شيخ الاسلام ابن تيمية واصحابه ، وما سبق ذكره فى موقفه من اصل " الوعد والوعيد " عند المعتزلة والزيدية ، المتفرع عنه الكلام فى عذاب الأشقياء هل هو دائم ؟ وإجابته بقوله : (من توهمه من المرجوحات الضرورية فى عقول العقلاء ، وحكمة الحكماء رجح الخصوص الذى هو قوله تعالى : (إلا ما شاء ربك) ^(١) على عمومات الوعيد بالخلود ، ومن ذهب الى أنه من المرجوحات الظنية المستندة الى مجرد الاستيعاد رجح العمومات وعضدها بتقرير أكثر السلف لها ، على ما تكرر أن ما لم يتأولوه ، فتأويله بدعة ، ولما كان تأويلهم لذلك فى حق المسلمين متواترا عنهم ، وأدلتهم متواترة عند البعض ، صحيحة شهيرة عند الجميع كان هو المنصور ، وأحوط الأقوال ، والله سبحانه اعلم) ^(٢) فى القول الاول إشارة الى ما أسنده ابن الوزير الى ابن تيمية من عدم الدوام وبعد تحرير هذا وجدت فى (الإجابة) لابن الوزير كلاما أكثر من هذا ساقط بعضا منه فيما بعد ان شاء الله تعالى .

مقارنة بين كلام الشيخين

إذا ما قارنت بين كلام ابن القيم ، من تقسيم النار الى قسمين :

احدهما يفتى ، وهو قسم العصاة من المسلمين

والقسم الآخر الذى لا يفتى ، وهو قسم الكفار ، والمشركين ، إذا ما قارنت بينه وبين اجابة ابن الوزير الآتفة الذكر ، التى تدور على التوهيمات العقلية ، الضرورية منها ، والظنية ، والتى تدور أيضا على القاعدة المقررة فى أصول الفقه ، عند ايها المعارض بين العموم ، والخصوص فى الكتاب والسنة ، فإنك تجد ترجيح الخصوص المقتضى عدم دوام العذاب فى حق الجهنمين من المسلمين المتواتر فى أحاديث الشفاعة ، وهذا يتفق مع القسم الاول من كلام ابن القيم .

وتبقى عمومات الوعيد بالخلود فى النار ، فى حق الكفار والمشركين ، ويتفق هذا مع القسم الثانى من تقسيم ابن القيم ، والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات . إلا أنك إذا أمعنت النظر ، فإنك تجد الأول حرر رأيه الأخير ، وقرره ، وتجد الثانى حكى ولم يبين رأيه ، لكن يفهم منه شئ من الميول الى القول بدوام العذاب لغير المسلمين .

ثم إنه سيأتى أنه حكى فى (الإجابة) ثلاثة أقوال فى المسألة ثم توقف

(١) سورة هود : ١٠٧

(٢) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ، ص ٢٤٦ .

الوهم النادر لا يحط من مكانة العالم

إن وهم ابن الوزير هذا لا ينقص من قدره ، وعلمه ، فقد يقع للشقة ، او للعالم وهم ، او أوهام يسيرة فلا يخرجهم عن كونه ثقة أو عالما ، وكفى بالمرء نبلا أن تعد معاييه ، فالكمال لله وحده .

ورحم الله إمام دار الهجرة ان يقول : (كل يؤخذ من قوله ، ويرد عليه ، الا صاحب الروضة الشريفة صلى الله عليه وآله وسلم) (١)

يالها من كلمة خالدة ، مطابقة لسنة الله في خلقه ، تحمل العزاء الجميل لكل من يعترف بأخطائه البشريه و تقرع ، رأس من لا يخضع لسنة الله تعالى في خلقه . كيف وقد قال عليه الصلاة والسلام : (كل بنى آدم خطأ وخير الخطائين التوابون) (٢)

وكذلك وهم ابن القيم في قوله : قال شيخ الاسلام ، وقد نقل هذا القول عن عمر . . . وقد سبقت الإشارة اليه وليس وهم الشيخين ابن القيم وابن الوزير من الغريب على العلماء المحدثين وغيرهم ،

فقد صنف الامام مسلم ت ٢٦١ هـ كتابا عنوانه : (أوهام المحدثين) وعبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل الشافعى ت ٧٦٩ هـ كتابا بعنوان : (الاوهام الواقعية للنووى وابن الرفعة) وغير ذلك .

وبما أن هذه المسألة حار فيها أرباب المعقول والمنقول ، إن هي اعظم من الدنيا بأضعاف مضاعفة ، فكان ينبغى الاكتفاء بما سبق إن التعمق فيها يؤدى الى الحيرة - لا سيما النظر فى كلام ابن القيم فى حادى الارواح - غير أنى قد وعدت بذكر مقتطفات من (الاجادة) لابن الوزير لما فيها من الافادة والزيادة على ما سبق ، وأسلوبها علمى ، مشحون بالمعاني ، من نمط القصيدة النونية لابن قيم الجوزيه ، إلا أن (الاجادة) فيها من الصعوبة ما ليس فى (النونية) وأنا عازم ان شاء الله تعالى

(١) كشف الخفا للعجلونى ج ٢ ص ١٧٣

(٢) سنن ابن ماجه ج ٢ كتاب الزهد ص ١٤٢٠ مسند الدارمى ج ٢ ص ٢١٣ مسند احمد ج ٣ ص ١٩٨ سنن الترمذى بتحفة الاحوذى ج ٧ كتاب صفة القيامة ص ٢٠٢ وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث على بن مسعدة عن قتادة ، قلت : كل هؤلاء ، رووه عن طريق على بن مسعدة الباهلى هذا قال ابن حجر : صدوق له اوهام ، وقال ابن معين : صالح ، وقال ابو حاتم : لا بأس به . وقال النسائى : ليس بالقوى ، وقال البخارى : فيه نظر . وقال ابن عدى : احاديثه غير محفوظة . انظر تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٧ ص ٣٢٨ والجرح والتعديل لابن ابى حاتم ج ٦ ص ٢٠٤ - ٢٠٥ ، وخلاصة تهذيب الكمال للخيرجى ج ٢ ص ٢٥٦ - ٢٥٧ وحكى العجلونى فى الكشف ج ٢ ص ١٧٦ - الحكم عليه بانه صحيح وسند قوى كما حكى ضعفه ايضا .

على شرح (الارجادة) ارجو الله العون والتوفيق . و اليك مقتطفات منها :

مقتطفات من (الاجادة) لابن الوزير

- | | | |
|----|--|---|
| ١ | تحير أرباب النهى ما المراد بالـ | عصاة من الجن وأولاد آدم |
| ٢ | أخيراً أراد الله بالخلق أولاً | أم الشر مقصود لا حكم حاكم |
| ٣ | فان كان خير اهل يجوز فواته | على مالك ما شاء بالفيب عالم |
| ٤ | وإن كان شراً هل أريد لنفسه | أم الخير مقصود به باللوازم ^(١) |
| ٥ | ولما أتى ذكر الخلود بناره | على جوده في ذكره والجوازم |
| ٦ | تعاطم شأن الخلد في النار كل من | تفكر في أسماء رب العوالم |
| ٧ | فعاد الى التسليم كل محقق | لما قاله في الذكر رب العوالم |
| ٨ | سواء قضى بالخلد بالنار أو قضى | بأن عذاب الأشقياء غير دائم |
| ٩ | ولما أتى استثناءه في كتابه | من الخلد جهراً فلحد التعاطم |
| ١٠ | وعاد مجال القول في ذاك واسعا | وقد كان ضاق الأمر ضيق الخواتم |
| ١١ | فمن قائل بالخلد من اجل كثرة الـ | وعيد به في المستزلات القواصم ^(١) |
| ١٢ | ومن قائل إن الخصوص مقدم | وساعده أسماء أحكم حاكم ^(٢) |
| ١٣ | وثالثها المنصور يري لمسلم | ومن عاند الاسلام ليس بسالم ^(٣) |
| ١٤ | وفي الجنة استثنى وعقبه بما | يدل على خلد الجنان الدوائم |
| ١٥ | على أن وصف الجود لله دائم | ومستلزم قطعاً دوام المكارم |
| ١٦ | وكيف يدوم الملك والجود والشناء | وينقطع المعروف في قول عالم؟ |
| ١٧ | وجاءت أحاديث الصحاح ^(٤) توافق الـ | قول بشنيا الرب أرحم راحم ^(٥) |

- (١) اشارة الى قول الوعيدية من الخوارج والمعتزلة ومن تابعهم بخلود مرتكب الكبيرة
- (٢) اشارة الى ما نسب الى ابن تيمية واتباعه الاتى بيانه
- (٣) اشارة الى مذهب السلف بان الخلود في حق الكفار والمشركين وأما العصاة الموحدون فقد تواترت الأدلة على خر وجهم من النار.
- (٤) اشارة الى حديث ابي هريرة مرفوعاً : (إن رحمتي سبقت غضبي) وفي رواية (غلبت) البخاري ج٨ كتاب التوحيد باب قول الله تعالى (بل هو قرآن مجيد) ص ٢١٦
- ومسلم ج٤ كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله ص ٢١٠٧-٢١٠٨ والى حديث ابي هريرة ايضاً مرفوعاً : (لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته احد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد) رواه مسلم ج٤ كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ص ٢١٠٧ وما في معني هذا من الأحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما ..
- (٥) المراد بشنيا الرب هنا : الاستثناء في قوله تعالى في حق الأشقياء : (فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد) هود : ١٠٦-١٠٧ وهذا القول المشار اليه هنا هو المتضمن لما نسب الى شيخ الاسلام ابن تيمية.
- (٦) راجع ما أشكل من التسميات في هذه الأبواب ص ٢٤٤

- ١٨- اذا وردت بعد الثواب فانها
١٩- وإن وردت بعد الوعيد فانها
٢٠- وطول في الثاني ابن تيمية فلتقف^(٢)
٢١- وأسندة الى ستة نص قولهم
٢٢- فلا تعتقد، إن لم يصح كلامهم^(٣)
لما زاد جودا في ثواب الأكل^(١) لعمو وصفح عن عقاب الجرائم
على علمه في كتبه والتراجم
أكابر من صحب النبي الاكارم
وبان ضعيفا سا قطا كفر عالم

(١) يعني أن أداة الاستثناء اذا وردت في القرآن الكريم من الخير فهي زيادة في الخير لقوله تعالى في حق السعداء: (وَأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ) هود: ١٠٨، وانظر إشار الحق لابن الوزير، ص: ٣٨٨.

وهنا لطيفة: لما اذا استعمل ابن الوزير كلمة (اذا) في البيت رقم ١٨ وفي البيت رقم ١٩ (إن) وكلاهما شرطيتان؟ لعل الجواب واضح وهو أن (إن) تفيد الشك من ناحية المعنى اللغوي ولأن ما بعدها هو محل النزاع، أما (اذا) فانها تفيد اليقين المعنوي لأنه لا خلاف فيما ورد بعدها في حق السعداء.

(٢) المراد بالثاني هنا هو القول المذكور قبل هذا البيت، وهو أن ورود الاستثناء بعد الوعيد هو ما استدل به كما في نظر ابن الوزير- ابن تيمية وأطال الكلام فيه وهو ما سبق ذكره من القول بعدم وام العذاب الأخرى للأشقياء وقد سبق تحقيق الكلام في عدم صحة اسناده اليه.

ثم ان ابن الوزير لم يسند ما اسنده الى شيخ الاسلام - كما ظهر لي من خلال البحث - بقصد التشهير والاستنكار، وإنما يريد بذلك - والله اعلم - الاستشهاد به على خصومه المعتزلة القائلين بتخليد مرتكب الكبيرة في النار من الموحدين، و اذا كانت هذه المعركة في حق الكفار والمشركين فما بالك في حق المذنبين من المسلمين وهذا في معرض الجدل مشهور، وابن الوزير نفسه كما ظهر لي من كلامه - متحير في هذه المسألة والذي حيره هو ما حشده ابن القيم من الأدلة العقلية والنقلية المؤيدة للقول بفناء النار من خمسة وعشرين وجهاً وابن الوزير يظنها من كلام ابن تيمية، ولما له من المكانة العلمية عند المخالف والموافق في المعقول والمنقول بصفة عامة وابن الوزير بصفة خاصة تأثر بذلك فتجده أحيانا يحكي الاقوال ويستحسن القول بفناء النار في حق الموحدين، وأحيانا يحكي الاقوال ويقول هذا القول هو المنصور، والأحوط وهو القول ببقاء عمومات الوعيد في حق غير أهل القبلة، وأحيانا يستحسن التوقف وهذا يدور حول الوعد والوعيد، فالخلف عند جماعة لا يكون إلا في عدم الوفاء بالوعد بالخير، وأما في الوعيد بالشر فقد حكى ابن الوزير الاجماع على انسه يسمى عفواً، كما قال كعب بن زهير: أنبت أن رسول الله أوعدني ولعمري عند رسول الله ما مول و قول بعضهم: وإني وإن أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي ومنجز موعدى. ورجح ابن الوزير أن الله لا يخلف الوعيد إلا أن يكون استثنى فيه ولولا الاستثناء ففي آيات الوعيد لما توقف، انظر الا يشار له ص ٣٨٣-٣٨٩ وورد ابن كثير في تفسيره ج ٢ ص ٢٩ حديث انس مرفوعاً بلفظ: (من وعده الله على عمل ثواباً فهو منجزه له ومن توعد على عمل عقاباً فهو فيه بالخيار) وسكت عنه.

(٣) الضمير عائد الى ابن تيمية ومن تابعه أو على الستة المذكورين - في البيت قبل هذا - من الصحابة رضوان الله عليهم وقد سبق القول بعدم صحة ذلك وتعليقه.

- ٢٣- فما هو إلا حسن ظن فإن يجب
٢٤- وقول خليل^(٢) الله ثم ابن مريم^(٣)
٢٥- وقد كاد جل الخلق يكفر ضلة
٢٦- ألم تر ما أدى الكلام اليه من
٢٧- فوهى فريق عيزاً أقدر قـادر
٢٨- وذا عذرهم فى ذى الأقاويل إنها
٢٩- كأنهم راموا مساعدة النهى
٣٠- فلم يجدوا إلا التأول مخرجاً
٣١- لحكمة رب الخلق أولاً قـتـداره
٣٢- وأحسن من ذا الوقت فيه لقطعنا^(٤)
- فما ينقص الرحمن رجوى المراحم^(١)
دليل على بطالات لوم اللوائم
بذلك لولا فضل أرحم راحم
فريقيه لما لججوا فى الخضارم
ووهى فريق قدس أحكم حاكم
لمنكرة فى قول جـل الأكارم
وثلج نفوس بالغيوب هوائم
لا حدى ثلاث فى العلوم عظام
على اللطف او تخليد اهل الجرائم
جميعاً بحسن الحكم من أحكم حاكم

(١) فى هذا دلالة تؤيد قولى الآنف الذكر من ان ابن الوزير لم يسند القول بفناء النار الى ابن تيمية مستكراً ولو كان كذلك لرد عليه باسلويه المشهور كما استدرك عليه ، وجهاً رابعاً من وجوه تاويل المتشابه الآتى فى ((موقف ابن الوزير من الابتداء)) ولكنه أراد تقوية هذا القول بكلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم لاسيما وأنه يسند الى نفر من الصحابة ، لأن ابن الوزير كثيراً ما يستشهد بكلامهما على تأييد ما ذهب اليه فى معارضة خصومه أياً كانوا، ولكنه وهم فى هذه المسألة كما بينته قريباً .

(٢) اشارة الى قول الخليل عليه السلام فى دعائه ربه أن ينجيهم ذريته عبادة الأصنام فيما اخبر الله به تعالى : (. . . واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام رب إنهم اضللن كثيراً من الناس فمن تبعنى فإنه منى ومن عصانى فإنك غفور رحيم) ٣٦ من سورة ابراهيم اشارة الى قول عيسى - عليه السلام - فيما حكاه الله تعالى عنه بقوله : (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) ١١٨ من المائدة ، عدل عن الغفور الرحيم الى العزيز الحكيم ، لأنه قال ذلك على وجه التسليم لأمر الله والا ليقاد له ، انظر فتح القدير للشوكانى ، ج ٢ ص ٩٥

(٤) الايماء راجع الى كلام اهل الكلام من المعتزلة الذين قدحوا فى قدرة الله عزوجل - على هداية العصاة لأن الله تعالى خلقهم - على حد تعبیرهم - على بنية لا تقبل الهداية ، خابوا وخسروا ، فان الذى خلق فيهم الطبع القاسى ، قادر على تليين تلك القسوة ، بل قادر على أن يخلقهم خلقاً آخر ، فهو على كل شئ قدير ، من الذى هدى ابن الخطاب وابن الوليد وغيرهما وقد كانوا من أعنى الخلق ؟ كما أن الاشارة راجعة الى غلاة الأشعرية الذين قدحوا فى حكمة الله تعالى لصعوبة إدراكها ، وقد سبق الكلام عليها فى فصل (الأشعرية وموقف ابن الوزير منها)

ثم إنك ترى أن ابن الوزير استحسن هنا الوقف ، وعلله بما تراه وقد سبق أن ذكرت لك حيرته ، وموقفه هذا مع موقف ابن القيم فى هذه المسألة فيه دلالة على أنها من محارات العقول ، فكلما تعمق الباحث فيها - لا سيما النظر فى كلام ابن القيم فى حادى الارواح ومختصر الصواعق الذى سبقت الاشارة اليه - كلما تعمق ازداد حيرة ، كالشمس كلما طال النظر اليها كلما ازدادت الظلمة على العيون وربما فقدت حاستها

- ٣٣- وذلك مفن ان سلامة حازم
 ٣٤- وأثن ولا تستثن شيئا من الثنا
 ٣٥- ولا تخش من عجز ولا جهل حكمة
 ٣٦- ولا أنه فى بره غير قـادـر
 ٣٧- ولا أنه فى حكمه غير عادـل
 لدى الخوف أولى من اصابة جازم
 ودع بدعا أضحت كأضفـات حالم
 ولا غيظ مظلوم ، ولا عسف ظالم
 عز يزولا فى عزه غير راحم
 حكيم لما لم يعلم الخلق علـالـم^(١)

كلام جديد فى هذه المسألة العظيمة

بعد تحرير ما سبق بشهور وجدت كتابا للأ مير الصنعانى ١٩٨٢ هـ بعنوان :
 (رفع الأستار لابطال أدلة القائلين بفناء النار) والمراد بهم شيخ الاسلام ابن تيمية ،
 وتلميذه ابن قيم الجوزيه ، وهو جواب عن سؤال كما هو ظاهر كلامه ، وهذا يؤيد ما قلته
 من الاستفاضة فى اسناد القول بفناء النار لابن تيمية وما قاله الصنعانى فى مقدمة كتابه
 هذا ، بعد ان أشار الى ما ذكرته من كلام ابن الوزير ، من أن هذه المسألة قد أفردت
 بمصنفات حاكمة ، منها لابن تيمية ت ٧٢٨ هـ ، ومنها لتلميذه ابن القيم ت ٧٥١ هـ ، ومنها
 للذهبي ت ٧٤٨ هـ ، ومنها لابن الوزير ت ٨٤٠ هـ ، قال الصنعانى بعد ذلك : (إعلم أن
 هذه المسألة أشار اليها الامام الرازى ت ٦٠٤ هـ أو ٦٠٦ هـ فى (مفاتيح الغيب)^(٢) ولم
 يتكلم عليها بدليل نفى ولا إثبات ، ولا نسبها الى قائل معين ، ولكنه استوفى المقال
 فيها العلامة ابن القيم فى كتابه (حادى الارواح الى ديار الافراح) نقلا عن شيخه العلامة
 شيخ الاسلام ابى العباس بن تيمية ، فإنه حامل لوائها ومشيد بنيانها ، وحاشـد

= والحاصل أن ابن الوزير وهم فى اسناد ما اسنده الى شيخ الاسلام ابن تيمية من
 القول بفناء النار، وأن منطوق كلامه يناقض ما اسند اليه، وأن ابن القيم أيد القول
 بفناء النار تأييدا يحير العقول ، إن لم يستلمها، ثم حصل له التوقف ثم الرجوع عن
 ذلك، وحرر رأيه الذى استقر عليه، كما أنه وهم فى اسناد ما نقله عن شيخه ابن تيمية،
 وأن التوقف هو آخر موقف لابن الوزير فى هذه المسألة لأنها من أشبه المتشابهات
 عنده وهذا منهج من مناهج السلف عند المتشابه الذى لا يظهر معناه والأولى بالسلفى
 ترك التعق فى هذه المسألة العظيمة ، واتباع عقيدة أسلافه المتثلة فى كلام مجدد
 السلفية ، شيخ الاسلام ابن تيمية - المفترى عليه أشد الفرية - وفى شرح الطحاوية
 للعقيدة السلفية ، والله الهادى الى سبيل الرشاد ، وهو اعلم بالصواب.

(١) العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٣ وهم ٢٨ ص ٣٠٣-٣٠٤ و ايثار الحق على الخلق
 له ص ٢١٦-٢١٩ مقتطف من الاجادة فى الارادة وهى تزيد على الف ومأتى بيت
 ولم اطلع على هذا العدد وانما ذكره ابن الوزير فى المرجعين السابقين .

(٢) المشهور بالتفسير الكبير لمحمد بن عمر المشهور بالفخر الرازى ج ١٨ ص ٦٤-٦٨

خيل الأدلة فيها ورجلها ، ودقتها وجلها ، وكثيرها وقليلها ، وأقر كلامه تلميذه ابن القيم ، وقال في آخرها : إنها مسألة أكبر من الدنيا وما فيها بأضعاف مضاعفة* . وعند المقارنة بين كلام ابن القيم في (الحادى) وبين كلام الصنعاني هذا تجد أن النصوص التي اقتطفها ، واسندها الى ابن تيمية ورد عليها غير مسلمة أنها من كلام شيخ الاسلام ، بل تلميذه لم يسندها اليه الا في مواضع قليلة ، على سبيل الحكاية عن أصحابها كما سبق ان ذكرت .

أما كون ابن القيم استوفى الكلام في المسألة فلا غبار عليه ، وإنما الغبار على قول الصنعاني الآنف الذكر من أن شيخ الاسلام حاشد خيل الأدلة ورجلها في المسألة لأنه لم يشر الى مصدر فيها لابن تيمية إطلاقاً ، وإنما اعتمد على (الحادى) وهو لابن القيم قطعاً وهو الذى ينطبق عليه وصف الصنعاني لا شيخ الاسلام ، فهل يعد هذا وهماً ؟ ولقد كان المحقق الألبانى منصفاً لما تتبع فقرات (رفع الأستار) للصنعاني ، فقرة فقرة ، وعلق عليها تعليقا علميا دقيقا فحينما يقول الصنعاني مثلاً قال شيخ الاسلام ابن تيمية كذا وكذا ، والواقع أنه ليس من كلامه ، ولا أسنده ، اليه ولا حكاه عنه تلميذه ، علق عليه المحقق بالرد المطابق للواقع ، إلا أنه يستدرك أحيانا ، بأنه لا يبعد أن يكون ابن القيم تلقى الفكرة من شيخه ثم صاغها بأسلوبه الجذاب . ولكن هذا لا يتناسب مع فتوى شيخ الاسلام بعدم فناء النار السابق والآتى ذكره ، وحاصل الرد الموجه من الصنعاني أن مستند شيخ الاسلام الآثار الروية عن بعض الصحابة فى فناء النار ، منهم عمرو ابن مسعود وأن بعضها ضعيف وبعضها موضوع ، وبعضها ليس فى محل النزاع ، وعلى فرض صحتها فهي حق الموحدين كما سبق أن ذكرت ولله الحمد .

وحملها الحافظ على - فرض صحتها - على الموحدين .

وأما حديث أنس مرفوعاً : (ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها وما فيها من أمة محمد أحد) فقد حكم بوضعه الألبانى ، وحديث ابى أمامة مرفوعاً ايضاً : (يأتى على جهنم يوم ما فيها من بنى آدم احد ، تخفق فيه أبوابها يعنى من الموحدين) فموضوعات كما قرر ذلك الألبانى محقق (رفع الأستار) للصنعاني وسبقه ابن الجوزى الى الحكم بالوضع (٢)

(١) أثر عمر وأنس رضى الله عنهما أورده الحافظ فى الفتح ج ١١ ص ٤٢٢ واسنده الى تفسير عبد بن حميد من رواية الحسن وقال منقطع . وهو من الضعيف .

(٢) الموضوعات لابن الجوزى ج ٣ ص ٢٦٨ ورفع الأستار للصنعاني ص ٢٨ وسلسلة

الاحاديث الضعيفة والموضوعة للألبانى رقم ٦٠٦ . * رفع الأستار للصنعاني ص ٣٦ تحقيق الألبانى ، المكتب الاسلامى ط اولى ١٤٠٥ هـ

و حديث أنس معناه صحيح في أمة الاجابة لا في أمة الدعوة ، يدل على ذلك الكلمة التفسيرية في آخر حديث ابى أمامة. وما زال الشك يخالجنى في إسناد القول بفناء النار الى شيخ الاسلام ابن تيمية، لكن المحقق الألبانى ذكر أنه وقف على ثلاث صفحات في مخطوطات المكتب الاسلامى جمعها زهير الشاويش نقلها كاتب مجهول بخط لعله - كما ذكر الألبانى - من خطوط القرن الحادى عشر الهجرى من رسالة لابن تيمية في الرد على من قال بفناء الجنة والنار، وصورتها فى باطن الكتاب المذكور للصنعانى و ما حوته يشبه ما فى (الحادى) لابن القيم، من ذلك حكاية خلاف السلف والخلف حيث قال : (و اما القول بفناء النار ففيها قولان معروفان للسلف والخلف والنزاع فى ذلك معروف عند التابعين ومن بعدهم) (١)

و هذا يدل - إن ثبت أن هذه الصفحات المذكورة من كلام شيخ الاسلام - على ان كثيرا من كلام ابن القيم ، استساغه من أفكار شيخه باسلوبه العذب الجذاب ، بل المحير للعقول ، لكن إسناد هذه الصفحات الثلاث المخطوطات يفتقر الى الشروط المتبعة فى مناهج البحث والتحقيق .

ثم إنى وجدت كلاما لابن القيم فى كتابه (شفاء العليل) يشبه كلامه فى (حادى الارواح) غير أنه أكثر فى (الشفاء) من ذكر الآثار المروية عن الصحابة ، و قلل فيه من الوجوه المؤيدة للقول بفناء النار ، بخلاف (الحادى) فانه ذكر فيه خمسة وعشرين وجها مؤيدة لذلك ، وفى (الشفاء) ذكر اربعة عشر وجها مؤيدة لذلك ايضا . (٢)

وفى النهاية قال : (فهذا ما وصل اليه النظر فى هذه المسألة التى تكع (٣) فيها عقول العقلاء ، وكنت سألت شيخ الاسلام - قدس الله روحه - فقال لى : هذه المسألة عظيمة كبيرة ، ولم يجب فيها بشئ فمضى على ذلك زمن حتى رأيت فى تفسير عبد بن حميد الكشى بعض تلك الآثار التى ذكرت ، فأرسلت اليه الكتاب ، وهو فى مجلسه الأخير ، وعلمت على ذلك الموضوع ، وقلت للرسول : قل له : هذا الموضوع يشكل عليه ، ولا يدرى ما هو ، فكتب مصنفه المشهور - رحمة الله عليه - فمن كان عنده فضل علم فليحدثه ، فإن فوق كل ذى علم عليم) (٤)

-
- (١) انظر الصفحات المصورة فى باطن رفع الاستار للصنعانى ، ص ٥٣-٥٤-٥٥ .
 (٢) شفاء العليل فى مسائل القضا والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم ص ٣١-٥٥١ مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ١٩٧٥ م .
 (٣) تكع بكسر الكاف وضمها قليل أى تجبن وتضعف ١ هـ قاموس المحيط ج ٣ ص ٧٩
 (٤) شفاء العليل لابن القيم ، ص ٥٥١-٥٥٢ .

وهذا السؤال يؤيد ما قلته سابقاً من أن ابن القيم حار و حير العقول بكلامه، ثم توقف في المسألة.

كما يؤيد كلام ابن الوزير السابق من أن هذه المسألة قد افردت بمصنفات حافلة منها لابن تيمية، ومنها لتلميذه ابن القيم، ومنها للذهبي، ومنها لابن الوزير.

ولكن إلى وقت كتابة هذه السطور لم تظهر - حسب علمي - سوى مؤلفات ابن القيم في هذه المسألة وهي غير مستقلة ولكنه استوفى الكلام عليها في (الحادي) وفي (الصواعق المرسله على الجهمية والمعتزلة) و (مختصره) (١) للموصلى اما ما نسبته اليه المحدث الألباني في مقدمة (رفع الأستار) للصنعاني من أنه قال: في (الكافية الشافية):

ثمانية حكم البقاء يعمها
من الخلق والباقون في حيز العدم
هي العرش والكرسى ونار وجنة
وعجب و ارواح كذا اللوح والقلم
فذلك وهم، فان الصواب أن هذين البيتين نسبهما شارح (الكافية الشافية) الى السيوطي (٢) ٩١١ هـ

واما مؤلفات أبي العباس ابن تيمية المعتمدة والمتداولة، والمقرر منها في الجامعات، فقد ذكرت سابقاً - معتقده في المسألة فكيف يمكن القول بأنه يقرر إجماع السلف والخلف على عدم فناء النار، ويصف ما يناقضه؟

اللهم إلا اذا كان يعيل، في أول الأمر، إلى القول بفناء النار فعليه تحمّل شهادة تلميذه ابن القيم، فيما يحكيه عنه كما سبق وفيما صرح بأن شيخه شيخ الاسلام صنف في هذه المسألة مصنفه المشهور لكنه - حسب علمي - لم يصل إلينا، ولو نشر لأقام الدنيا وأقعد ها خصومه - ولما تبخر في العلوم تبين له وجه الصواب فحرره كما سبق أن ذكرته، والرجوع الى الحق فضيلة، والخطأ والنسيان من طبيعة البشر، والعصمة للأنبياء وحدهم.

كما أفتى في أول حياته العلمية - والله اعلم - بحياة الخضر (٣) وفي آخرها أفتى بموته (٤) والامام الشافعي - رحمه الله - له مذهبان، القديم والجديد وبعض الأئمة رحمهم الله تجد له في المسألة أكثر من قول، فان قيل إن هناك معارضة بين شهادة ابن القيم على

(١) مختصر الصواعق لمحمد الموصلى ج ١ ص ٢٢٥-٢٢٦.

(٢) توضيح المقاصد و تصحيح القواعد شرح العقيدة النونية لأحمد بن ابراهيم بن عيسى

ج ١ ص ٩٦ - المكتب الاسلامي، ط ثانية ١٣٩٢.

(٣) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ٤ ص ٣٣٨

(٤) انظر المصدر نفسه ج ١ ص ٢٤٩ - ج ٧ ص ١٠٠

شيخه وشهادة ابن الوزير وبين ما صرح به شيخ الاسلام فيما ذكرته سابقا ، من القول بعدم الفناء فالجواب لا معارضة لأن شهادة الشيخين مجعلة وكلام شيخ الاسلام مبين والمجمل لا يقوى على معارضة المفصل ، وشهادتهما غير صريحة ، وكلام شيخ الاسلام صريح جدا .

بيان ذلك أن شهادة ابن القيم على شيخه لم تبين ما تضمنه المصنف المشهور كما يقول - لا القول بدوام النار ولا القول بفنائها .

عود على فتوى ابن تيمية بعدم فناء النار وتأيدها

والذى ظهر لى ، واطمأنت اليه نفسى هو فتوى شيخ الاسلام بدوام النار المبني على اجماع السلف والخلف لأمر :

الأول : أن تلميذه ابن القيم بل اخى تلاميذه تبعه فى هذا تلميحا وتصريحا .

اما التلميح فما اشار إليه فى آخر مقدمة كتابه العظيم (زاد المعاد) إن قال : (ولما كان المشرك خبيث العنصر خبيث الذات ، لم تظهر النار خبثه ، بل لو خرج منها لعاد خبيثا كما كانت الكلب اذا دخل البحر ثم خرج منه ، فلذلك حرم الله تعالى على المشرك الجنة) (١) .

واما التصريح فما ذكره فى الوابل الصيب ، وقد سبق فى هذا الفصل .

الأمر الثانى : ما ذكره ابن حزم فى كتابه مراتب الاجماع بلفظ : (وان النار حق ، وانها دار عذاب ابدى ، لا تغنى ولا يفنى اهلها أبدا بلا نهاية) (٢) وأقره على ذلك شيخ الاسلام فى كتابه (نقد مراتب الاجماع) (٣) بخلاف غيرها من المسائل التى تعقبه فيها ، وهذا الاجماع الذى حكاه ابن حزم ، وأقره شيخ الاسلام يتفق مع الاجماع الذى حكاه شيخ الاسلام فى هذه المسألة العظيمة .

الأمر الثالث : أن إمام شيخ الاسلام إمام اهل السنة والجماعة والصابر على المحنة الامام احمد بن حنبل ت ٢٤١ هـ رحمه الله تعالى صنف كتابه الجليل (الرد على الزنادقة والجهمية) القائلين بفناء الجنة والنار وقال فى ذكر اهل النار (لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها) (٤) وذكر ايات كثيرة تدل على خلود اهل النار (٥) وابن تيمية

(١) زاد المعاد فى هدى خير العباد لابن القيم ج ١ ص ٢٨

(٢) مراتب الاجماع لابن حزم ص ١٩٣ دار الآفاق الجديدة بيروت ط اولى ١٩٧٨ م

(٣) انظر نقد مراتب الاجماع لابن تيمية مع مراتب الاجماع ، ص ٢٠٣-٢٢٥ .

(٤) سورة فاطر : ٣٤

(٥) الرد على الزنادقة والجهمية للامام احمد بن حنبل ، ص ٤٣ .

كثيرا ما يستشهد بكلام إمامه في محل النزاع.

الأمر الرابع: أن شيخ الاسلام ابن تيمية قائد الدعوة السلفية، وحامل لوائها ومجدها وقامع البدعة وأهلها في عصره وتبعه تلميذه بل أخص تلاميذه ابن القيم في ذلك. ومؤلفاتها خير شاهد على ذلك، وعقيدة السلف القول بدوام النار ومن المستحسن إعادة كلام شيخ الاسلام السابق في هذه المسألة، وقد سئل عن حديث أنس مرفوعا:

(سبعة لا تموت ولا تغنى ولا تدوق الفناء: النار وسكانها واللوح والقلم والكرسى والعرش فهل هذا صحيح أم لا؟ فأجاب بما نصه: (هذا الخبر بهذا اللفظ ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما هو من كلام بعض العلماء وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها، وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يقضى بالكلية كالجنة والنار والعرش وغير ذلك، ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين كالجهنم بن صفوان، ومن وافقه من المعتزلة ونحوهم، وهذا قول باطل يخالف كتاب الله وسنة رسوله وإجماع سلف الأمة وأئمتها) (١)

فهل يصح القول بعد هذا أن شيخ الاسلام ابن تيمية يقول بفناء النار؟ وقد قرر الاجماع على دوامها وأنه لم يخالف في ذلك إلا الجهمية وبعض المعتزلة، وأكد ذلك بأنه قول باطل يخالف كتاب الله وسنة رسوله وإجماع سلف الأمة وأئمتها وما بعد هذا الا القول بأنه - ومعان الله من ذلك - مخالف للكتاب والسنة والاجماع وماذا بعد الحق إلا الضلال والله المستعان وهو أعلم بالصواب.

الفصل الثالث

النسبوات

وفيه النقاط الآتية:

- أ - تمهيد
- ب - مؤيدات النبوة
- ج - حكم التفريق بين الأنبياء
- د - لمحة عن معجزات النبي صلى الله عليه وسلم
- هـ - نماذج من مؤيدات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

تمهيد

إن الايمان بالنبوات ركن من أركان الايمان ، ولا إيمان لمن انكر ركنها .
والتكذيب ببعضها يستلزم التكذيب بجميعها كذلك التكذيب ببعض الرسل ، بل
بواحد منهم يستلزم تكذيب جميعهم كما قال تعالى : (كذبت عاد المرسلين) (كذبت
ثمود المرسلين) (كذبت قوم لوط المرسلين) (كذب اصحاب الأيكة المرسلين) (١)
هذا مع العلم أنهم لم يرسل الى كل من هؤلاء الأقوام إلا رسول واحد ، فالتعبير
يوحى بأن تكذيب الرسول الواحد هو بمثابة تكذيبهم جميعا (٢) لأن دعوتهم باعتبار
التوحيد لم تتغير ، وهذا أوضح من أن تذكر ادلته ، ومعرفة الانبياء يترتب عليها
هداية البشر واستحقاقهم ثواب الله ، بينما الجهل والكفر بهم حال وجودهم وتكذيب
دعوتهم التي امرهم الله بتبليغها ، يترتب عليه بقاء البشرية على ضلالها واستحقاقها
عذاب الله في الدنيا والآخرة .

لذلك كان مهما جدا أن نعرف كيف نهتدى الى الانبياء - عليهم السلام - ، وبدون
معرفة هذا قد يلتبس علينا الأمر ، فنعتبر غير الرسول رسولا ، فنضل ونجهل الرسول
لذلك جعل الله - سبحانه - للانبياء علامات يعرفون بها .

وقد سبق بيان بعض تلك العلامات في دلالة المعجزات .

والكلام في النبوات من أوضح العلوم ، لتطابق دلائل المعجزات الواضحات ، وذلك
هو الأحوط . إذ التكذيب بالنبوات من الكفر المعلوم الموجب للعذاب الأكبر ولذلك يقول
ابن الوزير :

(واما الكلام في النبوات فاعلم أنه من أوضح المعارف ، وقد تطابقت دلائل
المعجزات الباهرات عليه ، ولا شك مع ذلك أنه الأحوط ، لأن التكذيب بها من الكفر
المعلوم الموجب للعذاب الأكبر ، وليس لمنكرى النبوات من الشبه ما يعارض دلائل ثبوتها
ولا ما ينتهز لامثارة الشكوك في هذا المقام البين ، وإنما قدحت البراهمة في الشرائع
بنحو إباحة ذبح البهائم من غير جرائم ، وذلك جهل فاحش ، فان الله الذي خلقها هو
الذي أحلها في دار الفناء التي كتب فيها الموت على كل حي لحكمة بالغة) (٣) .

(١) سورة الشعراء : ١٠٥-١٨٠

(٢) انظر دراسات قرآنية لشيخنا محمد قطب ، ص ٩٩ وما بعدها مجموع فتاوى ابن تيمية

ج ٣ ، ص ٣٦٥

(٣) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٦٤ وانظر الفصل مع الملل والنحل لابن حزم ج ١ ص ٥٥-٥٦
وانظر قدح البراهمة في النبوات في اصول العدل والتوحيد ضمن رسائل العدل والتوحيد
للقاسم الرسي ج ١ ص ٢٣٥ وما بعدها والأساس في عقائد الاكياس ورقة ٢١ للقاسم بن محمد
والروض الباسم ج ٣ ص ٢٥٣ والعواصم والقواصم لابن الوزير ج ٣ وهم ٢٨ ص ١٨٨-١٨٩

و قد ساوى - سبحانه - بيننا وبينها بالموت وان اختلفت الأسباب ، ولا مانع فسى العقل من ان يغذى الحيوان الشريف بالحيوان الخسيس لما فى ذلك من المصلحة له و دفع الضرر عنه .

وعلى تسليم ان العقل لا يستحسن ذلك فما لك الجميع علام الغيوب الذى لا معقب لحكمه يجوز العقل ان يحكم بحسن ذلك .

والبراهمة انفسهم لا ينكرون تطابق العقلاء على سقى المزارع بالماء وان مات بسبب ذلك كثير من الذر ونحوها من الحيوانات ، وعلى اخراج الدود من البطن بالادوية وان مات ألوف كثيرة منها بسبب عافية انسان واحد من ألم لا يخاف منه الموت ، واستعمال المبيدات للحشرات الضارة للانسان ونحو ذلك كثير .

و قد حكى ابن الوزير اجماع اهل العقول على مثل هذا لما فى فطر العقول من ترجيح خير الخيرين واحتمال اهون الشرين عند التعارض كما قيل : حنانيك بعض الشر اهون من بعض . (١)

ومن ذلك استحسان العقلاء تحمل المضار العظيمة فى الحروب لدفع ما هو اضر منها وقالت العرب :

بسفك الدماء يا جارتى تحقن الدماء وبالقتل تنجوا كل نفس من القتل (٢)

و قد جاء القرآن بذلك فى أوجز عبارة وأفصحها فقال تعالى : (ولكم فى القصاص حياة يا اولى الالباب) (٣) وقد بسط ابن الوزير الكلام فى النبوات ومعجزاتها ، والقرائن الدالة على صدق نبوتهم فى كتابه (البرهان القاطع) وقد اقتبست منه ما يناسب المقام فى دلالة المعجزات لاثبات الصانع ، ولا داعى لارعا دته - وان كان مناسبا - خوف التطويل والتكرار .

مؤيدات أمر النبوات

ان انظرت الى المعارضين لأمر النبوة وضعف معارضتهم تجد هم نوعين :

أولهما : أهل التجاهل المتدينون بدين الآباء والأجداد ، ولو كانوا يعبدون الأحجار

(١) هذا من قول طرفة ابن العبد حين أمر النعمان بقتله فقال :

ابا منذر افنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر اهون من بعض ،

و هو مثل يضرب عند ظهور الشرين بينهما تفاوت ، كذا فى مجمع الاثر للميدانى ج ١ ص ٩٤

(٢) ايثار الحق لابن الوزير ، ص ٦٥

(٣) سورة البقرة : ١٧٩

ونحوها فهو لا يلتفت إليهم مميز.

ثانيهما : اهل الفلسفة ، وهم معترفون بأن خوضهم فى الربوبيات - كما يقول ابن الوزير - بالظن ، وأنهم لا يعلمون إلا أحكام المشاهدات والمجربات ، ولولم يقرؤا بذلك ، فالدليل القاطع قائم عليهم باختلافهم وتكاذبهم المتباعد المتفاحش الذى تميز الانبياء بالعصمة منه عن جميع اهل الدعاوى الباطلة والنظر فى هذا نفيس جدا ، كما قرره ابن الوزير ، وعلل ذلك بأن الشئ إنما يزداد شرفا على قدر خساسة ضده وصحة على قدر ضعف معارضه ، واليه الاشارة بقول يوسف عليه السلام - (يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار) (١) وقوله تعالى : (أو من ينشئ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين) (٢) والأمة مجمعة على انقطاع الوحي بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنه لا طريق لأحد من بعده الى معارضة ما جاء به ، فمن ادعى ذلك وجوز تفسير شئ من الشريعة بذلك فكافر بالاجماع كما حكاه ابن الوزير (٣).

حكم التفریق بين الأنبياء

اختلف المثبتون للنبوات فى الإيمان بجميع الأنبياء فبعضهم فرق بين رسل الله فآمن ببعضهم وكذب بالبعض الآخر كاليهود والنصارى ، وقد نص القرآن الكريم على كفر من فرق بين رسول ورسول كائنا من كان بقوله تعالى : (إن الذين يكفرون بآله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ، أولئك هم الكافرون حقا وأعدنا للكافرين عذابا مهينا) (٤) ومنهم من آمن بجميع الرسل ولم يفرق بين أحد منهم كالمسلمين .

وقد مدحهم الله تعالى بقوله : (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله) (٥)

فلا شك أن فى إثبات النبوات - على ما قرره ابن الوزير - اصح دليلا وأحوط (٦) كذلك عدم التفرقة ، وقد سبق أن أشرت إلى ما ذكرته فى دلالة المعجزات ما يدل على صدق الانبياء - عليهم السلام - من المعجزات والقرائن ، ومن المستحسن الرجوع اليه .

(١) سورة يوسف : ٣٩

(٢) سورة الزخرف : ١٨

(٣) ايثار الحق لابن الوزير ص ٧٢ بتصرف وانظر مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٩ ص ١٨٠

(٤) سورة النساء : ١٥٠ - ١٥١

(٥) سورة البقرة : ٢٨٥

(٦) وانظر مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٩ ص ١٥

(٦) ايثار الحق لابن الوزير ، ص ٧٢

لكن لا مانع من أن اذكر شيئا قليلا مما يختص بنبينا محمد - صلى الله عليه وسلم -

وقد صُنف في ذلك المصنفات الخاصة كالشفا للقاضي عياض (٥٤٤ هـ) و دلائل النبوة للبيهقي (٥٤٨ هـ) والوفاء باحوال المصطفى لابن الجوزي (٩٧٠ هـ) والنبوات لابن تيمية (٧٢٨ هـ) وغير ذلك والفرض معرفة رأى ابن الوزير، والتطويل في مثل هذا مما لا تدعوا اليه الحاجة ، ان لا منازع من أهل الاسلام في نبوته ولا شك ولا مشكك وإنما المراد كما قال ابن الوزير : (إرشاد المختلفين من أُمته الى أوضح الطرق وأنصفها واهدائها الى اتباع سنته والسلامة من مخالفته) (١)

لمحة عن معجزات النبي صلى الله عليه وسلم

وقد رأيت أن أعطر البحث بنفحات من مسك معجزاته الباهرة ، لعل ذلك يكون حاديا لى وللقارئ ، ومساعدة على السير حتى نصل الى الفرض المنشود ان شاء الله ، فيذكر الله عز وجل ، ورسوله صلى الله عليه وسلم تطمئن القلوب .

فأقول : قد قسم علماء الاسلام - ومنهم ابن الوزير - معجزاته صلى الله عليه وسلم ، الى قسمين ، حسية وعقلية ، كما في (البرهان القاطع في معرفة الصانع له) وفي (إيثار الحق على الخلق له) ، وقد بسط في الاول وأوجز في الثاني وسنقتطف من ذلك ما يلي : وقد أزيد في بعض المواضع على ما ذكره ابن الوزير كذكر دليل أشار اليه ولم يذكره ونحو ذلك .

القسم الأول : المعجزات الحسية :

وقد قسمها ابن الوزير الى ثلاثة أقسام :

١- الأمور الخارجة عن ذاته

٢- الأمور الذاتية

٣- الأمور الصفاتية

القسم الأول : الأشياء الخارجة عن ذاته مثل انشدق القمر ، وتسليم الحجر ، وحنسيين الجذع ونبع الماء من بين أصابعه ، وإشباع الخلق الكثير من الطعام القليل ، وشهادة الشاة المشوية ، وإظلال السحاب قبل مبعثه ، وحال ابي جهل وصخرته ، وشاة امعبد حين مسح بيده الشريفة على ضرعها .

وهذه الاشارات تغني عن ذكر الطرق واسانيدها ، ومصادرهما لشهرتها .

وقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية من الادلة على صدق نبوته عليه الصلاة والسلام - حقا وافرا كما ذكر حقا وافرا أيضا من المعجزات الخارقة للعادات ، وأنها متواترة النقل ،

(١) ايثار الحق لابن الوزير ، ص ٧٩ .

وذلك ما يقارب ثلثمائة صفحة فى (الجواب الصحيح) (١)

القسم الثانى : وهى الامور الذاتية كالتخاتم بين كتفيه ، وما شوهد من خلقته وصورته التى يحكم بها علم الفراسة بأنها دالة على نبوته .

القسم الثالث : ما يتعلق بصفاته وهى كثيرة نشير الى نماذج منها :

١- لم يسمع منه احد كذبا لا فيما يبلغه عن ربه ، ولا فى الامور الدينية ولا الدنيوية ، ولو صدر عنه شئ من ذلك لا اجتهد اعداؤه فى نشره .

٢- ما فعل قبيحا قط لا قبل النبوة ولا بعدها .

٣- شجاعته ان لم يفر عن أحد من أعدائه لا قبل النبوة ولا بعدها وان اشتد الأمر وعظم الخوف فصموده يوم احد ويوم الاحزاب ويوم حنين لا ينكره أحد ، وهذا يدل على أنه كان قوى القلب بمواعيد الله (٢)، حيث قال تعالى : (والله يعصمك من الناس) (٣) .

٤- أنه كان عظيم الشفقة والرحمة على أمته كما قال تعالى : (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) (٤) وقال تعالى : (فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا) (٥) وقال تعالى : (ولا تحزن عليهم) (٦) وقال تعالى : (عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) (٧) .

٥- انه عليه الصلاة والسلام - كان فى أعظم الدرجات من الكرم والسخاء ، حتى أن الله علمه التوسط فى ذلك حيث قال : (ولا تبسطها كل البسط) (٨)

٦- أنه ما كان فى قلبه للدنيا وقع ، فقد عرضت عليه قريش أنواع المغريات كالمال والزوجة والرياسة - كما سبق بيان ذلك - مقابل أن يترك الدعوة الى الله تعالى ، فلم يعبأ بذلك .

٧- أنه كان فى غاية الفصاحة كما قال : (أوتيت جوامع الكلم) (٩) وفى لفظ : (بعثت)

(١) انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج ٤، ص ٦٧-٣٢٢

(٢) انظر الايثار ص ٧٩-٨٠ ، البرهان القاطع لابن الوزير، ص ١٩

(٣) سورة المائدة : ٦٧

(٤) سورة فاطر : ٨

(٥) سورة الكهف : ٦

(٦) سورة النحل : ١٢٦

(٧) سورة التوبة : ١٢٨

(٨) سورة الاسراء : جزء من آية : ٢٩

(٩) البخارى ، ج ٨ كتاب التعبير باب رؤيا الليل ، ص ٧٢ ، مسلم ج ١ كتاب المساجد

وفى لفظ آخر : (أعطيت) .

٨- انه بقى على منهج واحد - من أول عمره الى آخره - من الصدق والأمانة ، حتى اشتهر قبل النبوة باسم الصادق الأمين . والكذاب المزور لا يمكنه ذلك ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : (قل ما أسئلكم عليه من اجر و ما أنا من المتكلفين) (١) .

٩- أنه كان عليه الصلاة والسلام - مع اهل الغنى والثروة فى غاية البعد عن المطامع والترفع عنها و مع الفقراء والمساكين فى غاية القرب منهم والتواضع لهم واللطف بهم .

١٠- أنه كان عليه الصلاة والسلام فى كل واحدة من هذه الأخلاق الكريمة فى الغاية القصوى من الكمال ، ولا يتفق ذلك لأحد من الخلق غير واحد من أهل العصمة - من الله تعالى ، فكان اجتماع ذلك فى صفاته من أعظم المعجزات . (٢)

القسم الثانى : المعجزات العقلية

واما المعجزات العقلية فقد قسمها ابن الوزير الى ستة أقسام ذكرها فى كتابه (البرهان القاطع فى معرفة الصانع) مطولة إذ كان يستطرد لأدنى مناسبة حتى يوهم القارئ انه خرج عن الموضوع ، كما فعل فى النوع الثانى من هذه الأنواع فقد استطرد لذكر السحر والفرق بينه وبين المعجزة بما لا داعى لذكره هنا .

وسنذكر أقسام المعجزات العقلية باختصار كما يلى :

١- أنه صلى الله عليه وسلم - ظهر من بلدة وبين قبيلة خالية - فى ذلك العصر عن العلم والعلماء ، بل تسود غالبيتهم الجهالة ، ولم يتفق له السفر إلا مرتين فى مدة قليلة ، الى بلد لم يذهب إليها أحد من العلماء أو الحكماء ، حتى يقال إنه تعلم من حكيمها ، وإذا كان كذلك ، ثم بلغ فى معرفة الله تعالى وأسمائه وصفاته وأحكامه هذا المبلغ العظيم الذى عجز عنه أذكى العقلاء ، بل عن القرب منه ، بل أقرا لكل بانه لا يمكن أن يزداد فى تقرير اصول الدلائل ، ومهمات المعارف على ما ورد فى القرآن الكريم ، وما احتواه من قصص الأنبياء ، مع أقوامهم ، وغيرهم من المتقدمين ، حتى عجز الأعداء عن ان يخطئوه فى شئ من ذلك ،

بل بلغ كلامه فى البعد عن الريب الى أن قال عند مجادلتهم إياه : (قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) (٣)

(١) سورة ص : ٨٦

(٢) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير : ٨٠

(٣) سورة ال عمران : ٦١

فحادوا عن ذلك وعرفوا صدقه و اجابة دعوته ولم يقدر احد ان يقول انه طالع كتابا
أو تتلمذ لأستاذ (١)

وكانت هذه الأحوال معلومة للأصدقاء والأعداء وإليه الإشارة بقوله تعالى : (أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون) (٢) وقال تعالى : (وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لا رتاب المبطلون) (٣) .

وقال تعالى : (فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون) (٤)

ويعقب ابن الوزير على هذا بقوله : (وكل من له عقل سليم ، و طبع مستقيم علم أن هذه الأحوال لا تتيسر إلا بالتعليم الإلهي والهداية الربانية) (٥) .

٢- أنه عليه الصلاة والسلام - كان قبل البعثة غير باحث عن الأمور السابقة ، ولا جرى على لسانه حديث النبوة لنفسه ، لأنه لو اتفق له خوض في هذه المطالب لقال الأعداء له : إنك قد أفنيت عمرك في التدبر والتأمل ، وفي جمع القرآن حتى قدرت الآن على إظهار ذلك .

ولما لم يذكر هذا الكلام عن أحد من الأعداء مع شدة حرصهم على الطعن فيه وفي نبوته ، علمنا أنه صلى الله عليه وسلم ما كان ممارسا لشئ من هذه العلوم .

ومعلوم أن من بلغ الأربعين من عمره بدون خوض في شئ من هذه المطالب ، ثم إنه خاض فيها دفعة واحدة ، وأتى بكلام عجز الالون والآخرين عن معارضته ، فصريح العقل يشهد بأن هذا لا يكون إلا على سبيل الوحي من الله تعالى . (٦)

٣- أنه عليه الصلاة والسلام تحمل في سبيل تبليغ الدعوة إلى الله - عز وجل - أنواع المتاعب والمشاق فلم يتغير عن منهجه ألبتة ، ولم يطمع في مال أحد أو جاهه بل صبر على الأذى ، ولم يظهر في عزمه فتور ولا في صبره قصور .

(١) انظر الايثار لابن الوزير ، ص ٨١ و البرهان القاطع لـ ٢١ بتصرف بسيط . وانظر قصة سفره إلى الشام السيرة ابن هشام ج ١ ص ١٨٠-١٨١ ، البداية والنهاية ج ٢ ص ٢٨٤-٢٨٥ ، سنن الترمذي مع تحفة الاحوذى ج ١ ص ٩٠-٩١ ، السير والمغازي لابن اسحق ج ٢ ص ٧٣ ، فقه السيرة لمحمد الغزالي ، ص ٦٨ ، الخصائص الكبرى للسيوطي ، ج ١ ص ٢٠٧-٢٠٨

(٢) سورة المؤمنون : ٦٩

(٣) سورة العنكبوت : ٤٨

(٤) سورة يونس : ١٦

(٥) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ، ص ٨١

(٦) انظر البرهان القاطع لابن الوزير ، ص ٣٠ ايثار الحق على الخلق له ، ص ٧٢

ولما قويت شوكته ووجد الاعداء ، ووجد العسكر العظيم ، والدولة القاهرة القويصة ،
ونفذ أمره فى الأموال والأرواح لم يتغير عن منهجه الأول فى الزهد فى الدنيا والآقبال
على الآخرة ،

وكل من أنصف علم أن المزور - وحاشا له صلى الله عليه وسلم من ذلك - لا يكون
كذلك ، فان المزور إنما يروج الكذب والباطل على الحق ليجد الدنيا ، فإذا وجدها لم
يملك نفسه عن الانتفاع بها ، لكيلا يكون ساعيا فى تضييع مطلوبه ، بل تضييع دنياه وآخرته
وذلك ما لا يفعله أحد من العقلاء (١) .

٤- أنه كان مستجاب الدعوة ، وذلك معلوم بالتواتر الضرورى لمن عرف سيرته وأخباره
وأحواله ، بل لمن طالع كتب معجزاته ودلائل نبواته ، وذلك ثابت فى الكتب الستة
بالأسانيد المعروفة ويدل على ذلك كما قال ابن الوزير : (وجوه : أحدها ان قريشا لما
بالغوا فى إيذائه حتى دعا عليهم فقال : (اللهم أشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم
سنين كسنى يوسف) (٢))

فإن الله منع من إنزال المطر عليهم فبطلت زراعتهم وهلك مواشيهم ، واستولى
عليهم القحط فجاءوا وشفعوا إليه حتى سأل الله إنزال المطر عليهم ، فلما سأل
ذلك جاءهم المطر حتى خافوا الفرق فعادوا وسألوه ان يدعو الله تعالى حتى ينزل
المطر بقدر الحاجة فقال : (اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الجبال وبطون الاودية)
(٣)

(١) البرهان القاطع لابن الوزير ، ٣٠ - ٣١ ، ايثار الحق له ، ص ٧٢

(٢) رواه البخارى ، ج ٢ ، كتاب الاستسقاء باب دعاء النبى اجعلها عليهم

ص ١٥ ، مسلم ج ٤ كتاب صفة القيامة باب الدخان ، ص ٢١٥٥

(٣) رواه البخارى فى عدة مواضع منها ج ٢ كتاب الاستسقاء باب اذا استشفعوا بالامام

ليستسقى لهم وباب الدعاء اذا كثر المطر حوالينا ولا علينا ، ص ١٨-١٩ ، مسلم

ج ٢ كتاب الاستسقاء باب الدعاء فى الاستسقاء ، ص ٦١٢-٦١٤

٥- ورود البشارة به عليه الصلاة والسلام فى التوراة والانجيل بدليل ان ذكره موجود فيهما مصداق ذلك قوله تعالى : (الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه

(١) البرهان القاطع فى معرفة الصانع لابن الوزير ، ص ٣١ هذا ومن الملاحظ انه قد يقال : ان ابن الوزير ، قد ادخل قصة وقعت فى مكة بقصة وقعت فى المدينة ، لأن المشهور أن دعاء النبى عليه الصلاة والسلام ب (اللهم حوالينا ، ولا علينا) طرف من حديث أنس ، ومعلوم أنه لم يخدم النبى صلى الله عليه وسلم - الا فى المدينة وقد صرح أنس راوى الحديث أن رجلا دخل المسجد ، والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر ، ومعلوم أن صلاة الجمعة لم تشرع إلا فى المدينة ثم ان أنسا رضى الله عنه - صرح أن ذلك كان فى المدينة بدليل قوله : (وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار فطلعت من وراءه سحابة مثل الترس . . .) ومقتضى كلام ابن الوزير ان ذلك كان بمكة وما ذكره ابن الوزير هو طرف من حديث ابى هريرة مرفوعا بلفظ : (ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا رفع رأسه من الركعة الأخيرة قال : (اللهم انج عياش بن ابى ربيعة ، اللهم انج سلمة بن هشام اللهم انج الوليد بن الوليد ، اللهم انج المستضعفين من المؤمنين ، اللهم اشد وطأتك على مضر . . .) هكذا فى البخارى ج ٢ كتاب الاستسقاء باب دعاء النبى صلى الله عليه وسلم اجعل لسنين كسنى يوسف ص ١٥ وقصة عياش وصاحبه وارسال الوليد بن الوليد لخلاصهما من قيد مشركى مكة بتوجيه من النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى المدينة كما قرره ابن هشام فى السيرة النبوية ج ١ ص ٤٧٦ . وعياش هذا هو رفيق عمر بن الخطاب فى الهجرة ، ولكن خدعه ابوجهل فرجع من المدينة الى مكة فافتتن وعذب وفى حديث ابن مسعود رضى الله عنه وفيه ذكر الدخان (فجاءه ابوسفيان فقال : يا محمد ، جئت تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم . . .) كما فى البخارى ايضا ج ٦ تفسير سورة الدخان ، ص ٣٩-٤١ وسلم واللفظ له ج ٤ كتاب المنافقين باب الدخان ، ص ٢١٥٥-٢١٥٧ ، فكان ذلك بمكة ، ان لم ينقل ان ابا سفيان قدم المدينة قبل بدر ، وعليه فيحمل ان يكون ابو طالب حاضرا ، لذلك ذكر البخارى شعره : وأبيض يستقى الفمام بوجهه شمال الينا مى عصمة للأرامل بفتح الضاد من ابيض عطفًا على ما قبله ، وشمال بكسر الشاء وتخفيف الميم هو العماد والمجاء ، وعصمة للأرامل جمع أرملة الفقيرة التى لا زوج لها اى يمنعهم مما يضرهم كذا فى الفتح ويؤيد ذلك ذكر قریش فى الحديث ، وافاد الدمياطى ان ابتداء دعاء النبى عليه الصلاة والسلام على قریش بذلك ، كان عقيب وضعهم على ظهره سلاء الجزور بمكة قبل الهجرة ، وقد دعا النبى - صلى الله عليه وسلم - عليهم بذلك بعد ها فى المدينة فى القنوت ، كما سبق فى حديث ابى هريرة رضى الله عنه . قال الحافظ بعد كلام طويل حول هذه المسألة : (فان لم يحمل على التعدد وإلا فهو مشكل جدا والله المستعان) وفى المسألة كلام اكثر من هذا فراجعه فى فتح البارى ، ج ٢ ص ٥١١-٦١١

و حينئذ فالاعتراض غير وارد على ابن الوزير لما سبق ذكره من تعدد القصة (والله اعلم)

* هكذا فى نسختين من صحيح البخارى

(ملاحظة) ما اضيف الى فتح البارى هنا ليس من شرح احاديث سورة الدخان بل من

شرح احاديث الاستسقاء

(ملاحظة اخرى) هجرة عمرو عياش هى قبل هجرة النبى عليه الصلاة والسلام ، وارسال

الوليد لخلاص عياش ورفيقه بعد هجرة النبى صلى الله عليه وسلم كما فى السيرة

النبوية ابن هشام ج ١ ص ٤٧٤-٤٨٠ لأن اهل عياش لحقوه الى المدينة وخدعوه

فعاد معهم فوقع فى التعذيب .

مكتوباً عند هم فى التوراة والا انجيل (١)

وقوله تعالى إخباراً عن عيسى ببشارته بمحمد عليه الصلاة والسلام : (و مبشراً
برسول ياتى من بعدى اسمه احمد) (٢)

و معلوم أنه لو كان غير صادق فى ذلك لكان هذا من أعظم المنفرات لأهل الكتاب عنه
ولا يليق بالعاقل ان يقدم على فعل ما يمنعه من مطلوبه ، ولا نزاع بين العقلاء
أنه كان أوفر الناس عقلاً وأحسنهم تدبيراً ، وأرجحهم علماً .

وقد اخذ الله الميثاق على النبيين من لدن آدم الى عيسى عليهم السلام - لئن
بعث محمد لتؤمنن به ولتنصرنه كما رواه على بن ابي طالب وابن عباس رضى الله عنهم فى
تفسير قوله تعالى : (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم
رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) (٣)

وقد ذكر ما رواه على وابن عباس رضى الله عنهم شيخ الاسلام ابن تيمية (٤) والاخبار
بارسال محمد - صلى الله عليه وسلم - من الأخبار اكثر من ان تحصر ، وقد اخبر الله
عن ذلك بقوله تعالى : (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) (٥)
رسالة محمد عليه الصلاة والسلام - وما جاء به كما يعرفون أبناءهم بما عند هم من الاخبار
عن المرسلين المتقدمين فان الرسل كلهم بشروا ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم وصفته
وبلده ومهاجره وصفة أمته (٥)

كما اخبرت بذلك السنة النبوية الصحيحة عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله
عنهما (... والله انه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن : يا أيها النبى إنا
أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للآمين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ،
ليس يفظ ولا غليظ ، ولا سخاب فى الأسواق ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو
و يصفح - وفى رواية (و يغفر) ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا
لا اله الا الله فيفتح بها أعينا عمياً و آذانا صماً و قلوباً غلفاً) (٦)
(٧)

(١) سورة الاعراف : ١٥٧

(٢) سورة الصف ، جزء من آية : ٦

(٣) سورة آل عمران : ٨١ وانظر تفسير ابن كثير ، ج ٢ ص ٥٦ (٤) انظر الرد على
المنطقيين لابن تيمية ، ص ٤٥١

(٤) سورة الانعام : ٢٠ و

(٥) انظر تفسير ابن كثير ، ج ٣ ص ٢٤٠

(٦) فى رواية ويغفر بدل يصفح .

(٧) فى رواية ويفتح بالواو بدل الفاء وكلاهما فى الصحيح .

(٨) البخارى ج ٣ كتاب البيوع باب كراهية السخب فى السوق ، ص ٢١ ج ٦ تفسير

سورة الفتح ، ص ٤٥ وانظر ايثار الحق على الخلق ، ص ٦٩-٨٣-٨٤

٦- اخباره صلى الله عليه وسلم - عن المغيبات الماضية والمستقبلية ، وهذا واسع جدا ، ومعلوم بالتواتر الضروري لدى أهل المعرفة بالأخبار .

وقد ذكر ابن الوزير شيئا من ذلك في كتابه (البرهان القاطع)^(١) وأشار اليه في كتابه (إيثار الحق على الخلق)^(٢) وسنذكر من ذلك ما يلي :

أ- المغيبات الماضية :

قد أخبر عنها - صلى الله عليه وسلم - من غير قراءة ولا استفادة من أحد ، وفي القرآن الكريم منه الكثير الطيب كقصص الأنبياء مع أقوامهم وغيرهم من الام الماضية كأصحاب الأخدود ، وأصحاب الجنة ، وقصة سبأ وغير ذلك .

ب - المغيبات المستقبلية ، وهي على قسمين :

القسم الاول : ما ورد في القرآن الكريم وهو كثير جدا من ذلك قوله تعالى : (سيهزم الجمع ويولون الدبر)^(٣) . والسين هنا للاستقبال ، والسورة مكية وقد حصل ذلك يوم بدر ، وقوله تعالى : (وإن يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم)^(٤) وقد كانت لهم النفي ، وقوله تعالى : (قل للمخلفين من الأعراب استدعون إلى قوم أولى بأس شديد)^(٥) وهم بنو الحنفية على قول بعضهم ، وقد دعا إلى قتالهم ابوبكر ، وعند آخرين هم فارس وقد دعا لقتالهم عمر ، وقوله تعالى : (ألم ، غلبت الروم ، في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفليون)^(٦) وكان كما أخبر .

وقوله تعالى : (ليظهره على الدين كله)^(٧) وقد أظهره ، أي الدين الذي أرسل به محمد صلى الله عليه وسلم - وقوله تعالى : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا)^(٨) والمراد منه الصحابة بدليل قوله (منكم) وبدليل قوله (وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) كذا ذكره ابن الوزير^(٩) ولكن بشرط : (يعبدونني لا يشركون بي شيئا) .

(١) ص : ٣٢

(٢) ص : ٨٤

(٣) سورة القمر : ٤٥

(٤) سورة الانفال : ٧

(٥) سورة الفتح : جزء من آية : ١٦

(٦) سورة الروم : ٢

(٧) سورة الفتح : جزء من آية : ٢٨

(٨) سورة النور : ٥٥

(٩) البرهان القاطع لابن الوزير ، ص : ٣٣

فقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - واصحابه بمكة ما يقارب ثلاثة عشر عاما يدعون إلى عبادة الله وحده والمستضعفون يعانون أنواع التعذيب من رؤساء الكفر والشرك .

وقد أنجز الله هذا الوعد المترتب على الوفاء بالشرط ، ومكن النبي صلى الله عليه وسلم - والخلفاء الراشدين من بعده في الارض ، وبدلهم بعد الخوف أمنا بعد أن كانوا يمسون ويصبحون في السلاح ، فلما اظهر الله النبي عليه الصلاة والسلام على جزيرة العرب وساثر الفتوحات أمنا ووضعوا السلاح بعد أن دوخوا فارس والروم .

وهكذا أمن المسلمون إلى عهد الخليفة الثالث وقعوا فيما وقعوا فيه ، فأدخل الله عليهم الخوف فاتخذوا الحجة والشرط وغيروا فغير بهم . (١)

القسم الثاني ما ورد من السنة على سبيل المثال:

أ - قوله صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم (لترين الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا إلا الله ، ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى . قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: كسرى بن هرمز . . . قال عدي فرأيت الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله ، وكنت ممن افتتح كنوز كسرى بن هرمز^(٢) .
ب - قوله صلى الله عليه وسلم (إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده)^(٣)

ج - حديث جابر مرفوعا : (لتفتحن عصابة من المسلمين او المؤمنين كنز كسرى الذي فسى الأبيض)^(٤) وقد تم هذا في عهد عمر رضى الله عنه .

د - حديث ثوبان مرفوعا : (إن الله تعالى زوى لى الارض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتى سيلغ ملكها ما زوى لى منها)^(٥) وقد كان هذا في عهد الخلفاء الراشدين فمن بعدهم .

(١) انظر البرهان القاطع لابن الوزير ص ٣٣ و تفسير ابن كثير ج ٦ ص ٨٦-٨٧ وفسى

ظلال القرآن لسيد قطب، ج ١٨ ص ٢٥٢٩

(٢) البخارى ج ٤ كتاب المناقب باب علامات النبوة ص ١٧٥-١٧٦ سنن الترمذى مع

تحفة الاحوذى تفسير سورة الفاتحة ج ٨ ص ٢٨٩ مسند احمد ج ٤ ص ٢٥٧

(٣) البخارى ج ٤ كتاب المناقب باب علامات النبوة ص ٢٨٢ ، مسلم ج ٤ كتاب الفتن

ص ٢٢٣٦-٢٢٣٧

(٤) مسلم ج ٤ كتاب الفتن ص ٢٢٣٧

(٥) مسلم ج ٤ كتاب الفتن باب هلاك هذه الامة بعضهم ببعض ص ٢٢١٥

هـ - قوله عليه الصلاة والسلام (ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار) (١) فقتل مع علي رضي الله عنه في صفين قتله اصحاب معاوية رضي الله عنه وعن الصحابة اجمعين .

قال ابن الوزير : (وهذا يدل على توحيد الله تعالى ونبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وخلافة علي عليه السلام) (٢)

و - قوله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر (لأعطين هذه الراية رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله) (٣) فأعطاهها علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ففتح حصن خيبر ، وأمال ذلك كثير ومعروف لدى أهل هذا الشأن (٤) .

نماذج من المؤكدات لنسبة محمد صلى الله عليه وسلم

المؤكدات كثيرة منها ما يلي :

١ - الرجوع الى درس نشأته وحياته منذ مولده الشريف الى ان اختاره الله - عز وجل - رحمة للعالمين .

٢ - حقيقة دعوته التي جاء بها من توحيد وبعث وجزاء و مع الايمان بجميع رسل الله قبله ، و ما بين دعوتهم من الروابط القوية ، و امتيازها بعالميتها و شمولها للمصالح الدنيوية والأخروية .

٣ - مناوأة الكفار لدعوته لا سيما الاشراف ، كما هي طبيعة الدعوات السابقة مع المرسلين و أقوامهم فذاك نوح عليه السلام حين دعا قومه الى عبادة الله وحده (قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين) و هذه مقالة قوم هود : (قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة و إنا لنظنك من الكاذبين) و هذه مقالة قوم صالح : (قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون ، قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون)

(١) البخارى ج ١ كتاب الصلاة باب التعاون في بناء المسجد ، ص ١١٥ واللفظ له وفي النسخة التركية سقط قوله (تقتله الفئة الباغية) ، مسلم ج ٤ كتاب الفتن باب لا تقوم الساعة حتى ... ص ٢٢٣٥ - ٢٢٣٦ سنن الترمذى مع تحفة الاحوذى ج ١٠ مناقب عمار ص ٣٠١

(٢) البرهان القاطع في اثبات الصانع لابن الوزير ، ص ٣٤

(٣) البخارى ج ٤ فضائل الصحابة باب مناقب علي ص ٢٠٧ مسلم ج ٤ فضائل علي

ص ١٨٧٠ - ١٨٧٢

(٤) انظر البرهان القاطع ، ص ٣٣ - ٣٤ - ٣٥

(٥) انظر التفاصيل في الرسالة المحمدية لمحمود فايد دار الطباعة المحمدية بالأزهر ط اولي

و هذه مقالة قوم شعيب عليه السلام - (قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا) (١) و امثال ذلك كثير .

و هكذا تردد نفس الكلمة من الأشراف حتى وصل الدور إلى خاتم النبيين محمد عليه الصلاة والسلام فقالت أشراف قريش بل أشراف الشرك والوثنية : (أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب) (٢) وغير ذلك من الآيات الدالة على افتراءهم و تعنتهم .

٤- بعض شهادة الكتب السماوية السابقة

جاء في سفر التثنية ما نصه : (جاء الرب من سيناء (٣) و أشرق لهم من ساعه (٤) ، و تلاًلاً من جبال فاران (٥) ، و أتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم (٦) .

كذلك جاءت البشارة بنبوة محمد - عليه الصلاة والسلام - في إنجيل يوحنا ما نصه : (و متى جاء المعزى الذى سأرسله إليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى ، و تشهدون أنتم ايضا لأنكم معى من الابتداء (٧) .

وفيه أيضا : (إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى ، و أنا أطلب من الآب فيعطىكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد ، روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله ، لأنه لا يراه ولا يعرفه ، و أما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم و يكون فيكم) (٨)

و قد أورد ابن القيم هذا النص بعدة ألفاظ ، و فى بعضها الفارقليط (٩) بدل المعزى .

و فى متى ما نصه : (... لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ، و يعطى لأمة تأكل أثماره) (١٠)

(١) سورة الاعراف الآيات ٦٠-٦٦-٧٤-٧٥-٨٨

(٢) سورة ص : ٤-٥

(٣) سيناء هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام تفسير ابن كثير ج ٥ ص ٤٤٥

(٤) ساعير قرية معروفة فى القدس ، و قيل اسم لجبل فى القدس هداية الحيارى لابن القيم ص ٣٥ مؤسسة مكة للطباعة .

(٥) هى مكة كما فى المرجع نفسه .

(٦) سفر التثنية ضمن الكتاب المقدس ص ٢٧٥-٢٧٦ ، ص ٣٣ و انظر هداية الحيارى لابن القيم ص ٣٥

(٧) انجيل يوحنا ص ١٤٦ - ١٤٧ ، ص ١٥٠ ، ص ١٥٢

(٨) المصدر نفسه ص ١٤٤ - ١٤٥ ، ص ١٤٦ ، ص ١٤٧ ، ص ١٤٨

(٩) الفارقليط بلغتهم من ألفاظ الحمد ، إما أحمد أو محمد أو محمود أو حامد هـ هداية الحيارى لابن القيم ، ص ٥٥

(١٠) انجيل متى ص ٣١ - ٣٢ ، ص ٣٣ ، ص ٣٤ ، ص ٣٥ ، ص ٣٦ ، ص ٣٧ ، ص ٣٨ ، ص ٣٩ ، ص ٤٠ ، ص ٤١ ، ص ٤٢ ، ص ٤٣ ، ص ٤٤ ، ص ٤٥ ، ص ٤٦ ، ص ٤٧ ، ص ٤٨ ، ص ٤٩ ، ص ٥٠ ، ص ٥١ ، ص ٥٢ ، ص ٥٣ ، ص ٥٤ ، ص ٥٥ ، ص ٥٦ ، ص ٥٧ ، ص ٥٨ ، ص ٥٩ ، ص ٦٠ ، ص ٦١ ، ص ٦٢ ، ص ٦٣ ، ص ٦٤ ، ص ٦٥ ، ص ٦٦ ، ص ٦٧ ، ص ٦٨ ، ص ٦٩ ، ص ٧٠ ، ص ٧١ ، ص ٧٢ ، ص ٧٣ ، ص ٧٤ ، ص ٧٥ ، ص ٧٦ ، ص ٧٧ ، ص ٧٨ ، ص ٧٩ ، ص ٨٠ ، ص ٨١ ، ص ٨٢ ، ص ٨٣ ، ص ٨٤ ، ص ٨٥ ، ص ٨٦ ، ص ٨٧ ، ص ٨٨ ، ص ٨٩ ، ص ٩٠ ، ص ٩١ ، ص ٩٢ ، ص ٩٣ ، ص ٩٤ ، ص ٩٥ ، ص ٩٦ ، ص ٩٧ ، ص ٩٨ ، ص ٩٩ ، ص ١٠٠

كما جاء في سفر التثنية أيضا ما نصه : (أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك ، وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ويكون الانسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه ، وأما النبي الذي يطفئ فيتكلم باسمي كلاما لم أوصه أن يتكلم به ، أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي) (١)

فاليهود تحمل هذه البشارة على يوشع ، وتحملها النصارى على المسيح ، والصحيح انها تبشر بمحمد صلى الله عليه وسلم . (٢)

• انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم - طعن في الرب سبحانه .

إن من أنكر رسالة محمد - عليه الصلاة والسلام - التي هي الرسالة الخاتمة العامة فقد طعن في الرب ببارك وتعالى ، ونسب إليه الظلم والسفاهة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . بيان ذلك : أنه إن كان محمد عندهم ليس بنبي صادق ، بل ملك ظالم ، فقد تهيأ له أن يفترى على الله ويتقول عليه ، ويستمر حتى يحلل ويحرم ويفرض الفرائض ويشرع الشرائع ، وينسخ الملل ، ويضرب الرقاب ، ويقتل أتباع الرسل ، وهم أهل الحق ويسبى نساءهم ويغنم أموالهم وذراريهم ، وديارهم ، ويتم له ذلك حتى يفتح الأرض ، وينسب ذلك كله إلى أمر الله له به ، ومحبه له ، والرب تبارك وتعالى يشاهده وهو يفعل بأهل الحق ، مستمرا في الافتراء عليه ثلاثا وعشرين سنة . وهو مع ذلك كله يؤيده وينصره ويعلى أمره ، ويمكن له من أسباب النصر الخارجية عن العادة البشرية وطاقاتها .

وأبلغ من ذلك أنه يجيب دعوته ، ويهب لك أعداءه ، ويرفع له ذكراه .

هذا وهو عندهم في غاية الكذب والافتراء والظلم ، فإنه لا أظلم ممن كذب على الله ، وأبطل شرائع أنبيائه وبدلها ، وقتل أوليائه واستمر تنصرته عليهم دائما ، والله تعالى يقره على ذلك ، ولا يأخذ منه باليمين ، ولا يقطع منه الوتين .

فيلزمهم أن يقولوا لا صانع للعالم ولا مدبر ، ولو كان له مدبر قد ير حكيم لأخذ على يديه ، ولقابه أعظم مقابلة ، وجعله نكالا للصالحين إن لا يليق بالملوك غير ذلك ، فكيف بطك الملوك وأحكام الحاكمين (ولو تقول علينا بعض الأقاويل ، لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين) (٣)

(١) سفر التثنية ضمن الكتاب المقدس ص ٢٧٣-١ ، ص ١٨-٢٠

(٢) انظر التفاصيل في هداية الحيارى لابن القيم ص ٥١-٦٤ ، الرسالة المحمدية

لمحمود عبد الوهاب فايد ص ١١٦-١١٧

(٣) سورة الحاقة : ٤٤-٤٥-٤٦

ألا ترى أنه يخبر أن كماله وحكمته وقدرته تأبى أن يقر من تقول عليه بعض الأقاويل -
فضلا عن فعل هذه الأفاعيل - لا بد أن يجعله عبرة لعباده كما جرت بذلك سنة الله
تعالى فيمن يخالف أوامر ونواهيه .

ولا ريب أن الله قد رفع لمحمد - صلى الله عليه وسلم - ذكره وأظهر دعوته والشهادة
له بالنبوة على رؤس الأشهاد في سائر البلاد ونحن لا ننكر أن كثيرا من الكذابين قام
في الوجود ، وظهرت له شوكة ، ولكن لم يتم له أمره ، ولم تطل مدته ، بل سلط الله عليه
رسله وأتباعهم فاستأصلوه كما قضت بذلك سنة الله تعالى . والله اعلم . (١)

(١) انظر شرح الطحاوية ص ١٦٥-١٦٧ تفسير ابن جرير ج ٢٩ ص ٦٦ تفسير ابن كثير
ج ٨ ص ٢٤٥ وزاد المعاد لابن القيم ج ٣ ص ٤٩-٥٠ وانظر التفاصيل في الجواب
الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم ص ١٦٥-١٦٦

الفصل الرابع

المعارك الكلامية في الدفاع عن أصحاب العقيدة
السلفية و ذم الاساليب الكلامية.

وفيه المسائل الآتية:

- أ - تمهيد مع ذكر اسباب تلك المعارك
- ب - المسألة الاولى اتهام الامام احمد بالتشبيه
- ج - المسألة الثانية الكلام في رؤية الله تعالى في الآخرة ودفاع
ابن الوزير عن الامام الشافعى و تاييده اثبات الرؤية.
- د - المسألة الثالثة وصم أئمة الحديث بالبله والجمود لعدم تأويلهم
آيات الصفات و ا حاديثها و دفاع ابن الوزير عنهم وفيه العجب العجيب.

قد وقعت بين ابن الوزير وخصومه معارك كلامية طويلة وقد حواها كتابه (العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم - صلى الله عليه وسلم) - ومختصره (الروض الباسم) .

ولما تطلع على تلك المعارك الكلامية تجد أن ابن الوزير حارب الخصوم بأسلحتهم التي يجيدون استخدامها ، وقد كانوا هم دريؤه عليها فكان يصابولهم ويجادلهم - ويجاوبهم فيقهرهم بالحجة .

وقد بحثت عن نصوص خصماء أو خصم ابن الوزير فلم أعر على شئ من ذلك ، وسأكتفى بما يذكره ابن الوزير في ذلك ، لعدالته وإمامته ، ولشهادة الامام الشوكاني من أن ابن الوزير لما بلغ درجة الاجتهاد ، ورفض التقليد ، وتبحر في المعارف قام عليه شيخه من جملة القائمين عليه ، وترسل (١) عليه برسالة تدل على مزيد تعصبه وعدم انصافه - سامحه الله - وأجاب السيد بالعواصم والقواصم الكتاب المشهور الذي لم يؤلف في الديار اليمنية مثله (٢) .

وقد امتحن ابن الوزير كما قال الشوكاني : (من أهل عصره فان له معهم قلاقل وزلازل ، وكانوا يثورون عليه ثورة بعد ثورة وينظمون في الاعتراض عليه القصائد ، وأفضى ذلك الى أن اعترض عليه شيخه . . .) (٣)

وهو شيخه في التفسير وأصول الفقه السيد علي بن محمد بن أبي القاسم المتوفى ٨٣٧ هـ وفي شهادة الشوكاني كفاية ، وناهيك بها من شهادة إمام لام ، وبخو هذه الشهادة شهد محمد بن عبد الله بن الهادي الوزير في ترجمته لشيخه ابن الوزير ، وكذلك شهادة ابن أبي الرجال في مطلع البدور وفيها : (وكان من حى السيد جمال الدين طرف بن الحيف . . .) (٤)

أسباب تلك المعارك الكلامية :

سبق أن ذكرت كلام الشوكاني من أن ابن الوزير لما بلغ درجة الاجتهاد ورفض التقليد وتبحر في المعارف قام عليه شيخه وهذا أحد الأسباب الواضحة في المعارك الكلامية .

أما ابن الوزير فإنه يصف أسباب المعارك الكلامية بقوله : (. . . وإنى لما تمسكت بعروة السنن الوثيقة ، وسلكت سنن الطريقة العتيقة تناولتنى الألسن البذيئة ، من أعداء

(١) ألقى الكلام تهاونا ١ هـ قاموس ج ٣ ص ٣٨٤

(٢) البدر الطالع ج ١ ص ٤٨٥

(٣) البدر الطالع ج ٢ ص ٩١ وانظر مطلع البدور وجمع البحور لابن أبي الرجال خ صنعاء ترجمة ابن الوزير رقمها ٣٦٧ ، وتاريخ بني الوزير ترجمة ابن الوزير .

(٤) انظر العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٢ ترجمة ابن الوزير ورقة ١٨٧ ومطلع البدور لأحمد بن أبي الرجال ج ٤ ص ٢٧٣

السنة النبوية ، ونسبونى الى دعوى فى العلم كباره ، وامور غير ذلك كثيرة ، حرصا على ألا يتبع ما دعوت اليه من العمل بسنة سيد المرسلين ، والخلفاء الراشدين ، والسلف الصالحين فاعتذرتهم فما عذروا ، بل لا موا وعذلو ، و جاروا وما عدلوا فصبرت على الأذى ، وعلمت ان الناس ما زالوا هكذا

ما سلم الله من ير يتفه ولا نبى الهدى فكيف أنى (١)
ولا منافاة بين الوصفين لاء مكان وقوعهما جميعا .

قال الشوكانى : (وما أحسن قوله فى معاتبته شيخه المتقدم ذكره :

عرفت قدرى ثم أنكرته	فما عدا بالله مما بدأ
وكل يوم لك بى موقف	اسرفت فى القول بسوء البدا
أُس الثناء واليوم سوء الأذى	يا ليت شعرى كيف نضحى غدا
يا شيبة العترة فى وقتفه	و منصب التعليم والاهتدا
قد خلع العلم ردا الهدى	عليك والشيب ردا الردى
فصن ردا عيك وطهرهما	عن دنس الاسراف والاعتدا (٣)

وبما ان هذا الفصل كله من المعارك الكلامية التى دارت بين ابن الوزير وخصومه فالمناسب - حسب نظرى - نقل كلام ابن الوزير بل مقتطفات منه ليعلم أسلوبه ومدى نجاحه وإذا كان الأمر كذلك فأليك وصفه للرسالة التى ترسل بها شيخه المتقدم فكره ، وذلك بعد أن كثر الكلام وطال قال : (جاء تنى رسالة محبرة ، واعتراضات محرره ، مشتتة على الزواجر والعظات ، والتنبيه بالكلم الموقظات ، زعم صاحبها أنه من الناصحين المحبين ، وأنه أدى بها ما عليه لى من حق الأقربين ، وأهلا بمن أبدى النصيحة ، فقد جاء الترغيب الى ذلك فى الأحاديث الصحيحة ، وليس بضائر ان شاء الله ما يعرض فى ذلك من الجدل مهما وزن بميزان الاعتدال ، لأنه حينئذ يدخل فى السنن ويتناوله أمر (و جادلهم بالتي هى أحسن) (٤)

وقد اجاد من قال وأحسن :

و جدال أهل العلم ليس بضائر ما بين غالبهم الى المغلوب

(١) العواصم والقواصم لابن الوزير ورقة ١٠ ، الروض الباسم له ج ١ ص ٩
(٢) اى ما منعك ما ظهر لك أولا : قاله على ابن ابى طالب للزبير بن العوام رضى الله عنهما يوم الجمل ، يريد ما لذى صرفك عما كنت عليه من البيعة ، وهذا متصل بقوله : عرفتني بالحجاز وانكرتني بالعراق فما عدى مما بدا ، ١ هـ مجمع الامثال للميدانى

ج ٢ ص ٢٩٦

(٣) البدر الطالع ، ج ٢ ص ٩٢-٩٣ مطلع البدور و مجمع البحور لابن ابى الرجال

خ صنعا ج ٤ ص ٢٧٤

(٤) سورة النحل : ١٢٥

ويستمر ابن الوزير في نعت الرسالة المذكورة بأنها تتنافى مع النصائح الهادفة الى العدل والانصاف وأن صاحبها ليس من الناصحين المحبين المخلصين لما تحمله من المرح والاختيال فيقول : (بيد أنها لم تضع تاج المرح والاختيال ، وتستعمل ميزان العدل في الاستدلال ، بل خلطت من سيما المختالين بشوب ، ومالت من التعنت في الحجاج الى صوب ، فجاءتني تمشى الخطراء وتميس^(١) في محافل الخطراء ، مفضوضة لم تختم ، مشهورة لم تكتم ، متبرجة قد كشفت حجابها ، وطرحت نقابها وطافت على الأكابر وطاشت إلى الأصاغر ، وترقت الى الإمامة ومحل الزعامة ، حتى مضت^(٢) أيدي الابتدال نضارتها وافتضت أفكار الرجال بكارتها ، وأخير^(٣) النصائح الخفي ، وخير الكتاب المختوم وخير العتاب المكتوم^(٤) .

وبعد أن قطعت الرسالة المذكورة هذه المراحل التي وصفها بها ابن الوزير وصلت إليه .

ولما تأملها وجدها مشتملة على القدح تارة فيما نقل عنه من الكلام ، وتارة في قواعد علماء الاسلام ، وتارة في سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام وعند هاقر ما يلي :

الاعراض عما يخصه شخصيا لأنه غير جدير بصرف العناية إليه ، ولا يستحق الجواب عليه أما ما يختص بالسنن النبوية والقواعد الاسلامية مثل قدح المعترض في صحة الرجوع الى الآيات القرآنية ، والأخبار النبوية والآثار الصحابية ، ونحو ذلك من القواعد الأصولية فإن القدح فيها ليس أمرا هينا ، والذب عنها لازم متعين .

ولما لم يجد ابن الوزير من يتصدى للجواب رأى أن هذا يحتم عليه الرد على ذلك القول القبيح ابتغاء وجه الله فقال : (وقد قصدت وجه الله تعالى في الذب عن السنن النبوية ، والقواعد الدينية ، وليس يضرني وقوف أهل المعرفة على ما لى من التقصير ، ومعرفتهم أن باعى في هذا الميدان قصير ، لاعترافى بأنى لست من نقاد هذا الشأن ، ولا من فرسان هذا الميدان ، لكنى لم أجد من الأصحاب من يتصدى لجواب هذه الرسالة . . . فتصدت لذلك من غير احسان ولا اعجاب ، ومن عدم الماء تيمم بالتراب - فلن يخلو كلامى من الخطاء عند الانتقاد ، ولا يصفوا جوابى من الكدر عند النقاد ، فالكلام الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه هو كلام الله الحكيم ، وكلام من شهد بعصمته

(١) تنبخر ١ هـ قاموس ج ٢ ص ٢٥٣ - الصحاح للجوهري ، ج ٣ ص ٩٨٠

(٢) حكى ١ هـ قاموس ج ٢ ص ٣٤٤

(٣) هذه لغة بنى عامر وكذلك أشرمته ، وسائر العرب تسقط الألف منهما ١ هـ مصباح

للفيومي ج ١ ص ١٩٩
(٤) العواصم والقواصم/ج ١ ورقة ١٠ ، الروض الباسم لج ١ ص ٩

القرآن الكريم ، وكل كلام بعد ذلك فله خطأ وصواب ، وقشر ولباب ، ولو أن العلماء - رضى الله عنهم - تركوا الذب عن الحق خوفا من كلام الخلق لكانوا قد أضاعوا كثيرا وخافوا حقيرا ، وأكثر ما يخاف الخائف فى ذلك أن يكمل حسامه فى معترك المناظرة وينسبوا (١) ويعثر جواده فى مجال المحاجة ويكبو .

فلأمر فى ذلك قريب ، إن اخطأ فمن الذى عصم ، وإن خطئ فمن الذى ما وصم والقاصد لوجه الله تعالى لا يخاف أن ينقد عليه خلل فى كلامه ، ولا يهاب أن يدل على بطلان قوله ، بل يحب الحق من حيث أتاه ، ويقبل الهدى من أهداه ، بل المخاشنة بالحق والنصيحة أحب اليه من المداهنة على الأقوال القبيحة ، و صديقك من صدقك لا من صدقك (٢) .

و يصف ابن الوزير الظروف المحيطة به - حين كتابة هذا الجواب - التى لا تساعده على الفرض المنشود ، فيقول : (ولما أنشأت هذا الجواب فى هذه الجبال العالية ، والبوادي الخالية قصر باعى ، وضائق رباعى (٣) ، فتمصت (٤) من بلبل ما عندى برضا (٥) وما ألقى ذلك وأرضى ، اذا كان طيبا محضا .

فحينما بطود تطر السحب دونه * * اشم منيف بالغمام مؤزر (٦)

ابن الوزير مع خصمه المعتزلى بصدور علم الكلام

إعلم أن نصوص خصم ابن الوزير فى الرسالة التى سبق أن وصفها الشوكانى بأنها تدل على عدم انصافه ومزيد تعصبه ، وهى التى ترسل بها على ابن الوزير لم أعثر على شئ منها ، وسأكتفى بما يذكره ابن الوزير لعدالتة وامامته ، ولشهادة الشوكانى الآنفة الذكر وغيره وقد دارت المعارك الكلامية بين ابن الوزير وخصومه فى عدة قضايا ومساءل حواها كتاب (العواصم والقواصم) ومختصره (الروض الباسم) بعضها يتعلق بالحديث وعلومه وبعضها يتعلق بأصول الفقه وفروعه كمسألة الاجتهاد والتقليد والتأمين ووضع اليدين

(١) نبأت على القوم أنباء نبأ ونبوءا اذا طلعت عليهم والنابى المرتفع اه الصحاح

ج ١ ص ٢٤ قاموس ج ٢ ص ٢٩

(٢) الروض الباسم/ ج ١ ص ١١ - العواصم والقواصم/ ج ١ ورقة ١١

(٣) الرباع بكسر الراء جمع الربع وهى الدار بعينها حيث كانت وتجمع على ربوع ايضا وارباع واربعة والربع المحلة اه الصحاح للجوهري ج ٣ ص ١٢١١

(٤) من التمسص وهو المص فى مهلة ١ ه صحاح ج ٣ ص ١٠٥٦

(٥) البرص يسكون الراء القليل يقال ماء برص اى قليل وبرص الماء من العين برضاى خرج وهو قليل اه الصحاح ج ٣ ص ١٠٦٦

(٦) من أبيات قالها ابن الوزير فى العزلة ، انظر الروض/ ج ١ ص ١٠ وقد سبق ذكرها فى حياته العلمية ص ٤٨

على الصدر والتورك ونحو ذلك من المسائل الفرعية.
وبما أن هذا ليس موضوع بحثنا فسنكتفى بالإشارة إلى بعض ما يتعلق بهذا الفصل من
المعارك الكلامية العقدية والمتعلقة بالقدح في أئمة أهل الحديث والسنة الهادفة إلى
القدح في الحديث النبوي وأهله بإشارات سريعة.
أما الاستقصاء لذلك فهو مما لا يتسع له المقام بل يكون من تحصيل الحاصل لأنه
مستوفى في مؤلفاته ،

وسأحاول الابتعاد عن مسائل الجدل العقيمة ، كالجوهر والأعراض والاكوان ونحو
ذلك اكتفاء بما فيه الجدوى ، والغرض من ذلك بيان بطلان غرض المعتز المعتبرلى ، وهو
كما قال ابن الوزير : (لأن مقصوده القدح في علوم الحديث النبوي وصحتها فان الشافعي
رضي الله عنه من رواتها ، كما قدح فيها بأن احمد بن حنبل والبخاري من رواتها) (١)

المسألة الأولى اتهام الامام احمد بالتشبيه

قال ابن الوزير : (ذكر المعتز ان التشبيه مستفيض عن الامام احمد بن حنبل ، وأنه
روى ذلك عن علماء الزيدية وعلماء المجبرة الأشعرية وأهل الحديث)

وقد أجاب ابن الوزير على هذا الاعتراض في كتابه (العواصم) بما لا سبيل إلى استقصائه
لكثرة ما ذكره من أسلوبيه الجدلي بما فيه من المقدمات والإشكالات والمعارضات ، فضلاً
عن ذكر أقوال الفرق وأدلتها ومناقشتها .

وقد استطرد لذكر نبذة غير قصيرة من سيرة الامام احمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) و
شعائله ، والمحنة التي تعرض لها ، وهي صموده أمام بدعة القول بخلق القرآن الكريم ،
وأعلن بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ، وثبت على ذلك رغم كل أهوال السني
واجهها في سبيل ذلك زمن المأمون وبعده . (٢)

وحاصل إجابة ابن الوزير على ذلك من وجوه :

الوجه الأول : إما أن يقصد المعتز الزيدى المعتزلى بذلك القدح في حديث الامام
أحمد أو تكفيره .

إن كان الأول فانه لم يصح لأمر :

(١) العواصم/ ج ٢ وهم ١٦ - اشكال ١٠
(٢) انظر تفاصيل المحنة في البداية والنهاية لابن كثير ج ١١ ص ٢٧٢ وما بعدها وقد
الفت عدة مؤلفات في محنة الامام احمد بعضها بهذا العنوان والله المستعان وانظر
ملخص المحنة في ص ٣٣١ وثناء الائمة عليه ٣٣٩ من البداية .

١- الاجماع المنهقد على قبوله فى الحديث ، لا لجماع المسلمين على صحة صحيحى البخارى و مسلم ، والا امام أحمد أوثق رواتهما ، بل إمام مصنفيهما ، بل إليه المرجع فى توثيق ثقاتهما (١) فيا هذا ليتك عرفت عن يروى أئمتنا و أئمة المسلمين اجمعين . فان كنت تظن أن جميع رجال أسانيد السادة الزيدية و رجال تفسير المعتز الذى جمع فيه عن كل من د ب و درج أوثق و أحفظ من احمد بن حنبل و الشافعى و البخارى فما أحقك بقول المتنبى :

و مثلك يوتى من بلاد بعيدة ليضحك ربات الحبال البواكيا (٢) !!

٢- الاجماع على الاعتداد بخلافه ، وعدم انعقاد الاجماع بدونه ، و ذلك فرع عن ثقتهم و أمانته .

و كتب الزيدية قد شحنت بمذاهبه ، و اشتغل علماءهم بحفظ أقواله ، و لو كان مجروحا لم يحسن ذلك منهم ، بل قد اشتهرت الرواية لأحاديثه و اختياراته عند جميع اهل السنة و البدعة و الروافض و الشيعة ، و منهم من هو من أعدائه و الفضل ما شهدت به الأعداء ، فلو لا فضله و علمه ما حفظت مذاهبه فى الشرق و الغرب من العجم و العرب . كأنه علم فى رأسه نار ، فهل ذلك لكونه مشبها - كما زعم المعتز - او لكونه إماما جليلا ؟ !

و أما ما بهتته به المتكلمون فدليل علو جرأتهم و جهلهم ، و ما يضر الامام احمد كلام من تكلم عليه و على خير أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخلفاء الراشدين و كبراء المسلمين (٤) .

٣- إن تلك الروايات معارضة باجماع أهل التاريخ من أهل الحديث على براءة الامام احمد من التشبيه .

و أما ان اراد المعتز التوصل بذلك الى تكفير الامام احمد فهذا لا يصح له لأمر منها :

(١) الروض الباسم/ ج ١ ص ١٤١ هدى السارى لابن حجر ص ٢٢٢-٢٢٤ و مقدمة شرح مسلم للنووى ج ١ ص : ب و انظر التفاصيل فى العواصم ج ٢ و هم ١٥ من أوله السقى آخره نقلا عن سير اعلام النبلاء للذهبي ج ١١ ص ١٧٧-٣٨٥ تحقيق شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة ١٤٠٢ هـ

(٢) هكذا فى العواصم لابن الوزير و فى ديوان المتنبى الحداد بدل الحبال و هو الصواب لأنه المتناسب مع الكلام انظر ديوان المتنبى مع شرح ابى البقاء العكبرى ج ٤ ص ٢٩٦ - الناشر دار المعرفة بيروت ١٣٩٧ هـ

(٣) الروض الباسم ج ٢ و هم ١٥ ورقة ٢

(٤) الروض الباسم لابن الوزير ج ١ ص ١٤١ و العواصم له ج ٢ و هم ١٥

أ - عدم انعقاد الاجماع بخلافه كما تقدم
ب - اذا كان التشبيه عند المعترض - مستفيضا عن أحمد فما باله يملأ على طلبه العلم الشريف مذاهبه ، و هلا أملى عليهم مذاهب الباطنية ، و قولهم - إن للانشئ مثل حظ الذكر و نحو ذلك .

ج - معارضة ذلك باستفاضة نزاهته عن ذلك عند اهل السنة و هم أخص به
د - إن التكفير من المسائل القطعية ، و يحتاج مدعيه الى التواتر الصحيح .
و قد سبق ذكر مذهب اهل الحديث و غيرهم من جماهير اهل السنة في مبحث الاسماء والصفات ، كما حكاه النووى ، و هو ظاهر فى تنزيه اهل الحديث والفقهاء من التجسيم ، والا مام احمد باجماعهم من أئمتهم و جلتهم ، فلو كان مجسما ما كان عندهم بهذه المنزلة . (١)

قلت : و عقيدة الامام احمد فى أسماء الله تعالى و صفاته و غير ذلك أشهر من أن تحتاج الى دفاع ، و يكفيه شرفا و نزاهة أنه لقب بامام أهل السنة والحديث و معلو أن عقيدتهم هى عقيدة السلف كما سبق أن ذكرت ذلك فى بابيه ولكن ابن الوزير قصد - والله اعلم - بدفاعه عن الامام احمد الدفاع عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فالقدح فى أحمد يستلزم القدح فى السنة .

و من المعلوم أيضا أن هذا المعترض معتزلى ، و عقيدة المعتزلة من عقيدة الجهمية التى هى التعطيل والتأويل و قد اطلقوا اى المعتزلة - على كل من يثبت اسما لله الحسنى و صفاته العلا من أهل السنة والحديث عدة اطلاقات منها انهم يسمونهم مجسمة و صفاتية و حشوية و مشبهة ، و هذا كذب منهم و افتراء ، حتى أن منهم من غلى و رمى الأنبياء عليهم السلام بذلك (٢) و هذا المعترض هو من أحفاد الامام الهادى المتوفى ٢٩٨ هـ القائل :
(بأن الحشوية لا مذهب لهم منفرد ، و اجمعوا على الجبر والتشبيه و جسموا و صوروا ، و قالوا بالأعضاء ، و قدم ما بين الدفتين من القرآن . . . و منهم احمد بن حنبل ، و اسحق بن راهوية . . . و من متأخريهم ابن خزيمة صنف كتابا فى أعضاء الرب تعالى عن ذلك (٣) .

و معلوم ان التعطيل والتأويل هما عصا المعتزلة العوجاء التى يتوكلون عليها حتى يصلوا الى سندهم المتصل بتلاميذ اليهود الجهمية بالجعد بن درهم ، الذى

(١) - الروض الباسم/ ج ١ ص ١٤٢-١٤٥ - العواصم له ج ٢ و هم ١٥

(٢) - الرسالة الحموية لابن تيمية ، ص ١٦١

(٣) - الملل والنحل للامام المهدى ، ص ٢٤

ليبد بن الأعصم اليهودى الساحر الذى سحر النبى صلى الله عليه وسلم (١)
هذا وإن الرمى بالتجسيم من المعتزلة ليس موجها الى الامام احمد فحسب، فقد رموا
به الامام الشافعى وغيره كما سبق فى كلام الهادى وكما سيأتى فى كلام ابن الوزير وغيره
ان شاء الله تعالى كما حكى ذلك عنهم شيخ الاسلام ابن تيمية (٢).

المسألة الثانية : الكلام فى رؤية الله عز وجل فى الآخرة

قال المعتز المعتزلى المنكر لرؤية الله تعالى فى الآخرة : (وقد نسب الى
الشافعى القول بالرؤية - اى رؤية الله عز وجل يوم القيامة - فطرق عليه الاحتمال ، لأن الرؤية
انما تكون بكيف أو بلا كيف ، والمكيفة تجسم لا محالة .)

وقد أجاب ابن الوزير كعادته بالأسلوب الجدلى، ذكر عدة اشكالات ومقدمات وفصلين
ضمنهما أقوال المثبتين لرؤية الله عز وجل - فى الآخرة من اهل السنة وذكر أدلتهم كما
ذكر اقوال المنكرين لها من الجهمية والمعتزلة وأدلتهم وفندها وقرر إثبات الرؤية
ووقعها فى الآخر وهو طول فى ذلك فى (العواصم) واختصره فى (الروض الباسم) والكلام فى
هذه المسألة كغيرها قد قتل بحثا وكان من الممكن الاستغناء عن الكلام فيها إلا أن ابن
الوزير تعتبره الزيدية من أثمتها ، و معلوم أن عقيدتهم فى اصول الدين مستنقاة من عقيدة
المعتزلة غالبا والمعتزلة - كما هو معلوم أيضا - جهمية فى بعض الصفات ، ونفى الرؤية اجمعت
عليه المعتزلة كما حكاها ابن تيمية (٣) لهذا قد يتوهم البعض ان ابن الوزير يعتقد ما
تعتقد الزيدية المعتزلة بل قد صرح لى بعض العلماء أن فيه شيئا من الاعتزال ، بل كنت
أنا اتهمه بذلك فى بداية البحث من خلال أسلوبه الجدلى الهادف الى إلزام الخصم
والمنبنى على مقدمات سلمة عند الخصمين أو أحدهما أو عند الناس وسواء كانت حقيقة
أو باطلة من غير بيان المختار عنده . وقد سبقت الإشارة الى ذلك فى (منهجه فى البحث
العلمى) .

(١) انظر الحديث بطوله فى البخارى ج ٧ كتاب الطب باب السحر ص ٣٠ وانظر سند
التعطيل مع القصة فى تاريخ المذاهب الاسلامية ج ١ ص ١١٧ وما بعدها وقد ذكر
المهedy طبقات العدلية المعتزلة وسندها وعد من الطبقة الرابعة غيلان بن مسلم
الدمشقى المقتول فى القدر وواصل والطبقة الاولى الخلفاء الاربعة والثانية الحسنان
كذا فى الملل ص ٤٤-٤٥ . قال الذهبى فى الميزان ج ٣ ص ٣٣٨ غيلان بن ابي
غيلان وهو غيلان بن مسلم ضال مسكين قتل فى القدر وانظر التفاصيل فى تاريخ
المذاهب الاسلامية لابي زهرة ج ١ ص ١٢٥ وما بعدها .

(٢) الرسالة الحموية لابن تيمية ص ١٦١

(٣) بيان تلبيس الجهمية ج ١ ص ٤٠٤ وانظر قول الزيدية بنفى الرؤية فى الرسالة الوازنة
للإمام يحيى بن حمزة ص ٣٠-٣١ - اصول العدل والتوحيد للإمام القاسم بن ابراهيم
ص ١٠٥ ضمن مجموعة الرسائل اليمنية .

لذلك رأيت أن أبين هذه المسألة أكثر من غيرها ليتضح مذهب ابن الوزير فيها ليكون القارى على يقين واطمئنان ، ان ليس الخبر كالعيان ولأن هذه المسألة من اشرف المسائل وأجلها ، إن لم تكن اشرفها وأجلها قدرا عند المشتين لها .

ومن ناحية أخرى هى من أشد المسائل خطرا على نفاتها ، لما يترتب على حرمانها من العذاب الأليم .

أما اهل الجنة اذ أروا ربهم نسوا ما هم فيه من النعيم لما يجدون من التمتع بالنظر الى وجه الله الكريم ، فيا قرّة عيون الأبرار بالنظر الى وجه الله الكريم ، ويا ذلة المحرومين من الفجار .

وهى كما قال ابن القيم : (اتفق عليها الأنبياء والمرسلون ، وجميع الصحابة ، والتابعون ، وأئمة الاسلام على تتابع القرون ، وأنكرها اهل البدع المارقون ، والجهمية المتهوكون) (١)

ومنذ ظهر هذا المذهب المخالف لما عليه السلف الصالح ، وأهل السنة والجماعة ودعائه يناظرون عنه ، ويدعون اليه ، وينشرونه حتى وصل اليمن فى القرن الثالث الهجرى وقيل فى الرابع ، وقيل فى السادس (١) والراجح الاول لأن اول من اظهر الاعتزال فى اليمن الامام القاسم بن ابراهيم بن اسماعيل الهاشمى المتوفى ٢٤٤ هـ وتبعه حفيده الامام الهادى (٢) يحيى بن الحسين بن القاسم ت ٢٩٨ هـ لأن هذا قرر الاصول الخمسة المتفق عليها عند المعتزلة ونشرها فى اليمن ، إلا انه لم يذكر المنزلة بين المنزلتين ، بل ذكر مكانها الايمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ثم الايمان بإمامة على رضى الله عنه . أما جده القاسم فإنه ضلل من قال بروية الله تعالى فى الآخرة ووصفهم بالمشبهة الملحدين ، وأن احاديث الرؤية افتعلها الضلال من بغاة الاسلام ورماهم بالكفر والإلحاد لأنهم لم يحسنوا تأويلها ، وقال القاسم بن محمد : (والخبر مقدوح فيه فان صح فمعناه

لشأرى

رأى حشر الدين

(١) انظر تاريخ اليمن الثقافى / ج ٤ ص ١٣٤ غاية الامانى / ج ١ ص ١٥٠ - ١٦٧

(٢) هو احد حكام اليمن - تولى الحكم ٢٨٠ ولد بجبال الرس من الحجاز على مقربة من المدينة ، حضر اليمن بدعوة من اهلها وتركز بصعده ودفن فيها انظر حكام اليمن

المؤلفون المجتهدون للحبش / ص ٢١ غاية الامانى / ج ١ ص ١٦٦ - ١٦٩

(٣) جادى الأرواح لابن القيم ص ٢٢٨ - ٢٢٩

ستعلمون ربكم) (١)

ونفى الرؤية من المسائل المجمع عليها عند المعتزلة كما حكاها ابن تيمية وغيره (٢)

وقد حفظوا هذا المذهب ودنوه ونشروه ودافعوا عنه ، وخلا لهم الجواب —
معارض حتى جاء عصر ابن الوزير في القرن الثامن والتاسع الهجريين ، فعارض هذا المذهب
ودعا الى الرجوع الى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والايمان بما ورد
فيهما من الاسماء والصفات ، من غير تشبيه ولا تعطيل ، كما قال تعالى (ليس كمثله شئ)
وهو السميع البصير (٣)

والياس من الاحاطة والادراك لذات الله تعالى ، كما قال : (ولا يحيطون به علما) (٤)

وقد أجاد الدكتور علي بن ناصر الفقيهي ، في ذكر المثل الذي ضربه الشيخ
الزنداني ، لمن يؤولون صفات الله - عز وجل - بقوله : (إن هؤلاء لم يروا إلا رأس الديك)
وشرح هذا المثل الذي رواه عن الزنداني كالآتي :

يقال : ان رجلا أعمى رد بصره عليه لحظة ، فرأى رأس ديك ، ثم عاد أعمى كما كان ،
فكان اذا قيل له : إن فلانا بنى قصرا عظيما ، قال : كيف هو من رأس الديك ؟ واذا قيل
له وصلت اليوم الميناء سفينة ضخمة ، قال : كيف هي من رأس الديك ؟

وهكذا كلما ذكر له شئ قال : كيف هو من رأس الديك ، لأنه لم يشاهد غيره ، ويريد
ان يقيس كل شئ على الذي شاهده .

وهكذا هؤلاء المؤولون لصفات الله - عز وجل - لم يشاهدوا إلا هذا المخلوق الضعيف
الفاني المتصف بالصفات الفانية بفنائه ، فتوهموا أنهم إن أثبتوا لله - عز وجل - الصفات
التي ذكرها في كتابه وهو أعلم بنفسه من خلقه - أو أثبتوا له رسوله - صلى الله عليه وسلم -
وهو أعلم الخلق وأتقاهم لله تعالى - فقد شبهوه بخلقهم ، والله تعالى أجل وأعظم من
كل ما شاهدته الابصار أو توهمته العقول . (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو
اللطيف الخبير) (٥)

(١) كتاب فيه معرفة الله تعالى للهادي يحيى بن الحسين ضمن رسائل العدل والتوحيد ج ٢
ص ٧٣ والرد على الجبرية له ص ٦٦ و اصول العدل والتوحيد للقاسم ضمن رسائل
العدل والتوحيد ج ١ ص ١٠٥-١٦١ والاساس في عقائد الاكياس ورقة ٨ للقاسم بن
محمد خ

(٢) بيان تلبيس الجهمية ج ١ ص ٤٠٤ ومقالات الاسلاميين للأشعري ج ١ ص ٢٨٩

(٣) سورة الشورى : ١١

(٤) سورة طه : ١١٠

(٥) سورة الانعام : ١٠٣ وانظر مقدمة الرد على الجهمية لابن منده ٣٩٥ هـ حقيقه وعلق
عليه وخرج احاديثه الدكتور علي بن ناصر الفقيهي ص ٢١-٢٢ - ط ثانية ١٤٠٢ هـ

و يومها خرجت على ابن الوزير الزيدية المعتزلة في صنعاء اليمن ، ان هي عاصمة
أئمة الزيدية ، وكانت - ولا تزال - تزخر بشتى العلوم ، وخاصة علم الكلام والجدال ، خرجت
على ابن الوزير تعارض هذه الدعوة المجددة للإسلام الصحيح ، واعترض عليه باعتراضات
كثيرة منها مسألة الرؤية التي سنتحدث عنها بعرض رأى ابن الوزير فيها بإيجاز ، أما من يريد
التفاصيل فعليه بمراجعة كتابه (العواصم والقواصم) فقد أورد في هذه المسألة اقوال
المعتزلة النافية للرؤية وأدلتها ، حاصلها حجتان : عقلية ، وسمعية .

أما العقلية : فاعتقادهم أن ذلك يؤدي الى ثبوت الجهة لله تعالى ، وأن ثبوتها
يؤدي الى التجسم وان الاجسام متماثلة ، وأنه يجب في كل مثليين أن يشتركا في كل ما
يجب ويجوز ويستحيل .

وأما السمعية : فما اتفق الجميع عليه من ورود السمع بنفى التشبيه والتشليل ، وأما
التعرض لتكفير الشافعى صانه الله من ذكر ذلك ، لكون القول بالرؤية روى عنه ، فهذا علة يلزم
المعتل بها تكفير أئمة الاسلام وجلة علمائه ، وهو أرفع من أن ينقصه كلام سفيه رشح ، أناؤه
بما فيه ، وسيأتى إن شاء الله مزيد هذه النقطة في نهاية هذه المسألة . وأما طوائف المخالفين
لهم فان منهم من وافقهم في صحة الحجة العقلية ، ونازعهم في لزومها لنفى الرؤية ، وهم
طائفة من متكلى اهل السنة كالأشعرية فانهم اعتقدوا صحة الجمع بين نفي الجهة وصحة
الرؤية ولهم في ذلك مباحث دقيقة ومعارضات طويلة معروفة في كتب الكلام وقد عجبت
من اثبات رؤية لذات موجودة ليس لها جهة بالنسبة للرأى ، فهل يستطيع أحد أن يفسر
هذه الرؤية غير معتقدها ؟ !

كما ذكر ابن الوزير أقوال اهل السنة ، وقد أكثر من إيراد أدلتهم من الكتاب والسنة
واقوال الصحابة والتابعين ، وأئمة الاسلام وغيرهم سرد سبعة وعشرين حديثا عن سبعة
وعشرين أو ثلاثين صحابيا ، ثابتة في الصحاح والسنن والمسانيد ، غير الآيات القرآنية
الدالة على ثبوت رؤية الله تعالى في الآخرة ، والأحاديث مرفوعة كلها ما عدى حديثين
فيهما موقوفان ، أحدهما على فضالة بن عبيد ، و ثانيهما على عبد الله بن عمرو بن العاص ، وإذا
نظر القارئ اليها فسيجد ها كما وصفها ابن القيم وابن الوزير بالتواتر ، وزاد الأخير في
الروض الباسم أنه متواتر المعنى ، وأن شواهد مروية عن أكثر من ثلاثين صحابيا في أكثر
من ثمانين حديثا (١) ومع هذا فالكلام على المتواتر من تحصيل الحاصل .

ولكن سنشير الى اليسير من ذلك ، نسأل الله تعالى ان يمتعنا بالنظر الى وجهه الكريم

(١) انظر العواصم/ ج ٢ وهم ١٦ ورقة ١١٨ وما بعدها ج ٤ وهم ٢٧ ص ٧٤ - العروض
الباسم له ج ٢ ص ١٤٥-١٤٦ حادى الارواح ص ٣٣٧ وانظر مقدمة الرد على المحمدي للشيخ الفقيه

من ذلك الأدلة على سبيل الاختصار :

أولاً : إن الله قد أخبر عن اعلم الخلق به في زمانه وهو كليمه أنه سأل ربه تعالى النظر اليه فقال له تبارك وتعالى : (لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا)^(١) وبيان الدلالة من هذه الآية عدة وجوه :

- ١- انه لا يظن بالكليم ان يسأل ربه ما لا يجوز عليه
- ٢- ان الله تعالى لم ينكر عليه سؤاله ، ولو كان محالا لأنكر عليه
- ٣- انه تعالى أجابه بقوله : (لن ترانى) ولم يقل لا ترانى ، ولا أنى لست بمـرئى ، وهذا يدل على أنه سبحانه - يُرى ، ولكن قوى موسى لا تحتل رؤيته - سبحانه - فى هذه الدار لضعف قوة البشر فيها ، يوضحه قوله : (ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى) فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت لتجليه سبحانه فكيف بالبشر الضعيف ؟

- ٤- ليس بممتنع فى مقدور الله تعالى أن يجعل الجبل مستقرا مكانه ، بل ممكنا .
- ٥- قوله تعالى : (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) وهذا من أبين الأدلة على جواز رؤيته تعالى ، فانه اذا جاز ان يتجلى للجبل الجماد فكيف يمتنع ان يتجلى لأنبيائه وأوليائه فى دار كرامته ؟

- ٦- ان من جاز عليه التكلم والتكليم بغير واسطة فرويته أولى بالجواز ، فلا يتم انكار الرؤية الا بانكار التكلم ، أما قوله (لن ترانى) فانه لا يدل على دوام النفى ولو قيد بالتأبيد فكيف اذا أطلقت ؟ قال تعالى : (ولن يتمنوه)^(٢) أبدا مع قوله : (و نادوا يا مالِك ليقتل علينا ربك)^(٣)

ثانيا : قوله تعالى : (واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه)^(٤) وقوله تعالى : (تحيتهم يوم يلقونه سلام)^(٥) وامثال ذلك كثير .

وقد اجمع اهل اللسان ، على أن اللقاء متى نسب الى الحق السليم من العمى والمانع ، اقتضى المعاينة والرؤية ، ولا ينتقض هذا بقوله تعالى : (فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه)^(٦) فقد دلت الأحاديث الصحيحة الصريحة على أن المنافقين يـــــــرون

(١) سورة الاعراف : ١٤٣

(٢) سورة البقرة : ٩٥

(٣) سورة الزخرف : ٧٧ وانظر العواصم والقواصم ج ٢ وهم ١٦ - الفصل الثانى ورقة ١٤٢ وما بعدها .

(٤) سورة البقرة : ٢٢٣

(٥) سورة الاحزاب : ٤٤

(٦) سورة التوبة : ٧٧

الله - عز وجل - فى عرصات القيامة ، كما سيأتى وفى الكفار لأهل السنة ثلاثة أقوال

١ - لا يراه الآ المؤمنون ، وعليه جمهور أصحاب الامام احمد وغيرهم للأحاديث الآتية قريبا .

٢ - يراه جميع أهل الموقف ثم يحتجب عن الكفار ، فلا يرونه بعد ذلك لقوله تعالى : (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) (١) وقوله تعالى : (والذين كفروا بآيات الله ولقاءه أولئك يؤتوا من رحمته وأولئك لهم عذاب أليم) واللغات يتضمن المشاهدة والمعينة .

٣ - يراه المنافقون دون الكفار ، لحديث أبى هريرة الآتى وفيه : (وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله تبارك وتعالى . . .) قال ابن القيم : (ولشيخنا فى ذلك مصنف مفرد ، وحكى فيه الاقوال الثلاثة وحجج أصحابها) (٣) وتتبعها يحتاج الى بحث مستقل .

ثالثا : قوله تعالى : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) (٤) فالحسنى الجنة ، والزيادة النظر الى وجه الله الكريم كما روى مسلم فى صحيحه (٥) عن صهيب قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : (إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئا أزيدكم فيقولون ألم تبض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة ؟ و تنجنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئا أحب اليهم من النظر الى ربهم عز وجل) .

وفى رواية أخرى له بزيادة : (ثم تلى هذه الآية (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) روى هذا التفسير جماعة من الصحابة (٦) .

رابعا : قوله تعالى : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) (٧) وجه الاستدلال أنه سبحانه - جعل من اعظم عقوبة الكفار كونهم محجوبين عنه ، وقد احتج بهذه الحجة

(١) سورة الكهف : ١٠٥

(٢) سورة العنكبوت : ٢٣

(٣) حادى الارواح لابن القيم ص ٢٣١ وانظر تفاصيل الاقوال الثلاثة وحجج أصحابها فى مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٦ ص ٤٨٦-٥٠٤

(٤) سورة يونس : ٢٦

(٥) صحيح مسلم ج ١ كتاب الايمان باب إثبات رؤية المؤمنين فى الآخرة ربهم سبحانه وتعالى ص ١٦٣

(٦) المعواصم والقواصم لابن الوزير ج ٢ وهم ١٦ فصل ٢ ورقة ١٤٣ وما بعدها فقد سرد الأفكار وأدلتها بإطناب .

(٧) سورة المطففين : ١٥

الشافعى وغيره من الأئمة ، قال الشافعى : فيها دليل على أن أولياء الله يسرون ربهم يوم القيامة .

خامسا : قوله تعالى : (لا تدركه الابصار و هو يدرك الأبصار) (١) والاستدلال بهذا عجيب فانه من أدلة النفاة .

وقد قرر شيخ الاسلام ابن تيمية وجه الاستدلال احسن تقرير و ألفه بانه لا يحتج مبطل بآية او حديث صحيح على باطله ، الا وفى ذلك الدليل ما يدل على نقيض قوله ، فمنها هذه الآية ، وهى على جواز الرؤية أدل منها على امتناعها ، فان الله تعالى إنما ذكرها فى سياق السمدح ، و معلوم ان المدح انما يكون بالاوصاف الثبوتية ، وأما العدم المحض فليس بكمال ولا بمدح وإنما يمدح الرب - سبحانه بالعدم اذا تضمن أمرا وجوديا كتمدحه بنفى السنة والنوم المتضمن كمال القيومية ، و نفى الموت المتضمن كمال الحياة ، و نفى اللغوب والإغيا المتضمن كمال القدرة ، و نفى الشريك أو صاحبة الولد والظهير المتضمن كمال ربوبيته وإلهيته وقهره ، و نفى الاكل والشرب المتضمن كمال الصمدية و غناه و نفى الشفاعة عنده بدون ان نه المتضمن كمال توحيده و غنا عن خلقه ، و نفى الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه .

فقوله (لا تدركه الابصار) يدل على غاية عظمته ، و انه اكبر من كل شئ ، وأنسه لعظمته لا يدرك بحيث يحاط به ، فان الادراك هو الاحاطة بالشئ ، و هو قدر زائد كما قال تعالى : (فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون . قال كلا) (٢) فلم ينف موسى الرؤية ، ولم يريدوا بقولهم (انا لمدركون) انا لمرئيون ، فان موسى نفى ادراكهم اياهم بقوله : كلا ، كما اخبر الله سبحانه أنه لا يخاف دركهم بقوله : (ولقد اوحينا الى موسى ان أسربعبادى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى) (٣)

فالرؤية والادراك كل منهما يوجد مع الآخر ، وبدونه ، فالرب يرى ولا يُدرك ، كما يُعلم ولا يحاط به .

و هذا فهم الصحابة والأئمة للآية .

سادسا : قوله : وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة (٤) وهذه الآية صريحة فى ان الله

(١) سورة الانعام : ١٠٣

(٢) انظر مجموع فتاويه ج ١٦ ص ٨٦-٨٩

(٣) سورة الشعراء : ٦١-٦٢

(٤) سورة طه : ٧٧

(٥) سورة القيامة : ٢٢-٢٣

سبحانه يرى عيانا بالأبصار يوم القيامة ، وإن أبيت (١) ، إلا تحريفها الذى يسميه المحرفون تأويلا ، فتأويل نصوص المعاد ، والجنة والنار والميزان ، والحساب أسهل على أربابها من تأويلها ، فلا يشاء مبطل على وجه الأرض أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها إلا وجد الى ذلك من السبيل ما وجده متأول مثل هذه النصوص ، وهذا هو الذى افسد الدين والدنيا فالنظر بحسب صلاته و تعديه له عدة معان :

أولا : فإن عدى بنفسه فمعناه التوقف والا انتظار كقوله تعالى : (انظرونا نقتبس من نوركم) (٢) ثانيا : وإن عدى بغيره فمعناه التفكير والاعتبار كقوله تعالى : (أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض) (٣)

ثالثا : وإن عدى بالى فمعناه المعاينة بالأبصار كقوله تعالى : (انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه) (٤) فكيف اذا أضيف الى الوجه الذى هو محل البصر . (٥)

اما الاحاديث الواردة فى إثبات الرؤية فمتواترة ، كما ذكرت سابقا وسند كرمناذج منها :

- ١ - حديث ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه فى الصحيحين (٦) وغيرهما أن ناسا فى زمن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ، قال النبى - صلى الله عليه وسلم - : (نعم ، هل تضارون فى رؤية الشمس بالظهيرة ضوء ليس فيها سحاب ؟ قالوا : لا ، قال : و هل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر ضوء ليس فيها سحاب ؟ قالوا : لا ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : ما تضارون (٧) ففى رؤية الله - عز وجل - يوم القيامة الا كما تضارون فى رؤية أحدهما . . .) وفى موضع آخر بلفظ : (قال : قلنا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال هل

(١) المخاطب النافى للرؤية

(٢) سورة الحديد : جزء من آية : ١٣

(٣) سورة الاعراف : ١٨٥

(٤) سورة الأنعام : جزء من آية : ٩٩

(٥) انظر العواصم والقواصم لابن الوزير ، ج ٢ وهم ١٦ فصل ٢ ورقة ٢٤٦

(٦) متفق عليه البخارى ج ٥ تفسير سورة النساء باب (ان الله لا يظلم شيئا) ص ١٧٩

ج ٨ كتاب التوحيد باب قول الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة ص ١٨١ مسلم ج ١ كتاب

الايمان باب معرفة طريق الرؤية ص ١٦٧ ج ٤ كتاب الزهد ص ٢٢٧٩ مسند احمد

ج ٣ ص ١٦ سنن ابى داود يعون المعبود ج ١٣ كتاب السنة باب الرؤية ، ص : ٥١

(٧) بتشديد الراء وتخفيفها والتاء مضمومة ، ومعنى المشدد لا تضرون غيركم ولا يضركم

لمنازعة او مزاحمة او مخالفة فى الرؤية كما تفعلون اول ليلة من الشهر ومعنى المخفف

لا يلحقكم فى رؤيته ضير وهو الضرر هـ نووى شرح مسلم ج ٣ ص ١٨

تضارون في رؤية الشمس والقمر اذا كانت صحوا؟ قلنا : لا ، قال : فانكم لا تضارون في رؤية ربكم ، الا كما تضارون في رؤيتهما . . .) من حديث الشفاعة الطويل ، واللفظ للبخاري وفي مسلم : (صحوا) بدل ضوء

٢- حديث جرير البجلي رضى الله عنه قال : (كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم ان نظر الى القمر ليلة البدر ، قال : انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته . . .)

وفي لفظ : (انكم سترون ربكم عيانا)

وفي لفظ آخر : (خرج علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليلة البدر فقال : انكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته) (٢)

٣- حديث ابي هريرة رضى الله عنه ان الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (هل تضارون في القمر ليلة البدر؟ قالوا : لا يا رسول الله ، قال : فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا : لا يا رسول الله . قال : فانكم ترونه كذلك ، يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه ، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر . . . و تبقى هذه الأمة فيها شافعوها أو منافقوها) شك ابراهيم هذا لفظ البخاري ولفظ مسلم : (و تبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله تعالى . . .) (٣)

(١) من الانضمام يعنى : انكم لا تختلفون في رؤيته حتى تجتمعوا للنظر وينضم بعضكم الى بعض فيقول واحد هو ذاك ويقول الآخر ليس بذاك و روى بتشديد الميم وتخفيفها فمن شدد ها فتح التاء ومن حففها ضم التاء ومعنى المشدد هل تتضا —ون وتلطفون في التوصل الى رؤيته لأن اصله تتضامون حذف منه احدى التائين ، و معنى المخفف هل يلحقكم ضم وهو المشقة والتعب في رؤيته وقيل إن الروايتين معناهما واحد وقيل غير ذلك ١ هـ معالم السنن للخطابي ج ٧ ص ١١٧-١١٨ شرح مسلم للنووي ج ٣ ص ١٨

ورجح شيخ الاسلام ابن تيمية رواية التخفيف لأنها المشهورة وأن الله تعالى يتجلى تجليا ظاهرا فيرونه كما ترى الشمس والقمر بلا ضيم يلحق احدا في رؤيته . مجموع

الفتاوى ج ١٦ ص ٨٤-٨٥

وما ينبغى التنبيه اليه ان التشبيه في الأحاديث المذكورة تشبيه الرؤية بالرؤية في الوضوح وزوال الشك والمشقة وليس التشبيه في قوله (كما ترون) تشبيه المرئي بالمرئي نبه على ذلك ابن تيمية في الفتاوى نفسها الجزء والصفحة والخطابي المرجع نفسه الجزء والصفحة .

(٢) البخاري ج ٨ كتاب التوحيد باب قول الله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) ص ١٧٩ سنن ابي داود يعون المعبود ج ١٣ ص ٥١ سنن ابن ماجه ج ١ ص ٦٤-٦٣ سنن الترمذي مع تحفة الاحوذى ج ٧ ص ٢٦٠-٢٦١

(٣) البخاري ج ٨ كتاب التوحيد باب وجوه يومئذ ناضرة ص ١٧٩ مسلم ج ١ كتاب الايمان باب معرفة طريق الرؤية ص ١٦٤ سنن ابن ماجه ج ١ المقدمة ص ٦٣-٦٤ سنن ابي داود يعون المعبود ج ٣ ص ٥٤ سنن الترمذي مع تحفة الاحوذى ج ٧ ص ٢٦٠-٢٦١ و كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ١٧٢ وما بعدها .

٤- حديث صهيب الرومي رضى الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (اذا دخل اهل الجنة الجنة قال : يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئا أزيدكم فيقولون : ألم تبفض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب اليهم من النظر الى ربهم عز وجل) (١)

هذا وبعد أن سرد ابن الوزير أسماء الصحابة الذين رووا أحاديث الرؤية البالغ عددها سبعة وعشرين حديثا وأقوال التابعين في إثبات الرؤية ، وأئمة المذاهب الاربعة وغيرهم قال بعد ذلك :

(فكل هؤلاء روى عنهم القول بالرؤية ، فإن كان كل من روى عنه ذلك لزم الشك في إسلامه ، والطرح لمذهبه وروايته ، لزم المعترض التشكيك في عصاية الاسلام ، وركن الايمان الصحابة والتابعين لهم باحسان والذين أطبق السلف واخلف على الاقتداء بهم ، والقبول لقولهم ، والا نفع بمعارفهم ومذاهبهم) (٢)

تعليق على كلام ابن الوزير

فأنت ترى أن ابن الوزير يقرر مذهب السلف في إثبات رؤية الله - عز وجل - في الآخرة ضمن اسلوبه الجدلي الالزامي والمفحم للخصم المعتزلي النافى لتلك الرؤية .

ألم تر . أن التشكيك في إثبات الرؤية المتواترة طعن في حملة راية الاسلام الذين بلغوه الى مشارق الارض ومغاربها رغم ما عانوه في سبيل ذلك من الصعوبات .

وقد تلقت الأمة أحاديثهم وأقوالهم بالقبول لا سيما ما في الصحيحين ، ولم يطعن في ذلك أحد الا الجهمية والمعتزلة المعطلة والمتأولة لأسماء الله تعالى وصفاته .

ومن رد هذه الأحاديث المتواترة التي سردها ابن الوزير وأشرنا الى يسير منها - يلزمه رد سائر الاحكام الشرعية ، متواترها وأحاديثها ، وحينئذ تتعطل الأوامر والنواهي الاعتقادية والشرعية بل يتعطل الاسلام بأسره ، والله المتسعان .

هذا ومن الملاحظ أن ما ذكره ابن الوزير في (العواصم والقواصم) في الفصل الثاني من مسألة الرؤية من حاديى الارواح لابن القيم ، فقد نقل ابن الوزير منه الباب الخامس والستين بأكمله وذلك ما يقارب أربعين صفحة ، وبهذا ثبتت رؤية الله عز وجل - في الآخرة عند السلف واهل السنة والحديث ثبوتا لا يقبل الجدل ، الا عند الجهمية والمعتزلة المعطلة والمتأولة ومن سلك طريقهم مع إلزامهم ما ألزمهم به ابن الوزير ، هذا من الناحية

(١) مسلم ج ١ كتاب الايمان باب اثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى

ص ١٦٣ كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ١٨٠

(٢) الروض الباسم/ ج ١ ص ١٤٦ وانظر التفاصيل في العواصم والقواصم ج ٢ وهم ١٦ -

الفصل الثاني ورقة ١٤٧-١٦٣

الجدلية ، فما موقف السلف فيمن انكر رؤية الله - عز و جل - في الدار الآخرة ؟

قال ابن تيمية : (الذي عليه جمهور السلف أن من جحد رؤية الله في الدار الآخرة فهو كافر ، فان كان ممن لم يبلغه العلم في ذلك ، عُرف ذلك ، كما يُعرف من لم تبلغه شرائع الاسلام ، فإن أُصرَّ على الجحود بعد بلوغ العلم له فهو كافر) (١)

المسألة الثالثة و صم أئمة الحديث بالبله والجمود لعدم تاويلهم آيات الصفات وأحادِيثها

قال ابن الوزير : (وهم المعتز السكينة أن طائفة المعتزلة بالذكاء مخصوصه ، وأجنحة أهل الأثر عن النهوض لهذه الفضيلة مقصودة ، و صرح بوصم الامام مالك بن أنس رضى الله عنه ، وكذلك أهل الحديث ، قال : أى المعتز و ذلك لقولهم بعدم تأويل آيات الصفات ، وأحاديث الصفات قال أى المعتز : وإنما قالوا بذلك لقلّة ممارستهم للعلوم ، واقتصارهم على فن الحديث) (٢)

وهذا الكلام ، ذكره المعتز في رسالته الثانية التى أجاب بها على القصيدة التى نظمها ابن الوزير فى الحث على اتباع السنة النبوية والدعاء اليها ، وهى التى أنشأها ٨٠٨ هـ مطلعها .

و تعيد تعنيف المحب و تبتدى	ظلت عوان له تروح و تغتدى
من منكما فى حب أحمد مسعد	يا صاحبي على الصباة والهوى
شرفا ببردت الجميلة ارتدى	حسبى بأنى قد شهرت بحبه

الى ان قال :

بين الخلائق فى المقام الأحمدي	يا حبذا يوم القيامة شهـرتى
فيها عصيت معنقى و مفنـدى	بمحبتى سنن الشفيـع وأنـتى
و مكان أترابى و موضع مولـدى (٣)	وتركت فيها جيرتى وعشـيرتى

و مما قاله فى الرد على من كره تمسكه بالسنة :

قول النبى وهى فى تعـرفه	يا لائى كف عن لومى و معتدى
ولا تلوت سوى آيات مصحفـه	فما قفوت سوى آيات منهجـه
وفى المحارات أبقى وسط موقـه (٥)	ففى المجازات أمضى نحو معلمـه (٤)

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ٦ ص ٤٨٦

(٢) الروض الباسم/ ج ٢ ص ١٥٧ وانظر العواصم له ج ٢ وهم ١٥ ورقة ٣٤

(٣) الروض ج ١ ص ٨ العواصم ج ٢ فى الترجمة التى فى آخره ورقة ١٨٨

(٤) المعلم الاثر يستدل به على الطريق كما فى الصيـاح للجوهري ج ٥ ص ١٩٩١

(٥) المحارات هى التى تحار فيها عقول الأذكىاء وفى القاموس المحارة المكان الذى يحور أو يحار فيه ج ٢ ص ١٥

و مما قاله ابن الوزير فى الدعوة الى التمسك بالسنة قصيدته المشهورة باللامية التى مطلعها :

عليك بأصحاب الحديث الأفاضل تجد عند هم كل الهدى والفضائل
الى أن قال :

شيوخ حديث المصطفى وعلومه ومتبعوا أقواله فى المسائل
هم القدوة الوسطى و هم خيرة الورى وهم أنجم للدين غير أوافل
شفوا علل الأكباد منه وأصبحوا وقد لبسوا منه نفيس الفلائل
هم نقحوا منه الصحيح وبينوا معارفه فى الممتهات الحوافل
يذّبون عن دين النبى محمد بالسنة مقل السيوف القواصل
دليلهم قول النبى وفعله و ذلك يوم الفصل اقوى الدلائل
ومدرّسهم آى الكتاب وإنه لأقمع برهان لكل مناضل
هما حجة الاسلام لا ما يطيش من دماغ ألد بالخصام مجادل
ولولا هما لم يحى بالرسائل ميت ولا حاز أهل السبق أسنى الفضائل
ولولا هما كان ابن سينا مُنْزَلا من العلم فى أعلى بروج المنازل
وكان ابن مسعود وأعلام عصره من الصحب فى مهوى من الجهل نازل
إلى أن قال :

ألم تر أن المصطفى يوم جاءه اله وليد بقول الاحوذى (١) المجادل
تنكب منهاج المرا وتلا له عن السجدة الآيات ذات الفواصل
كذا فعل الطيار يوم خطابه لأصحة بين الخصوم المقاول
تلا لهم آى الكتاب فايقنوا بها بشهادات الدموع الهواطل
عليكم بقول المصطفى فهو عصمة وما عاقل عما يقول بعادل
سعدت بذب عن حمائه وحبه كما شقيت بالصد عنه عوانلى (٢)

ولنرجع الى دفاع ابن الوزير عما وصم به المعتز المعتزلى أئمة الحديث من البله وجمود الفطنة لعدم نهوضهم بعلم الكلام ، ولعدم قولهم بتاويل آيات الصفات وأحاديشها يريد بذلك القدح فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد اجاب ابن الوزير وأطال كعادته وسألتقط من ذلك التقريعات الآتية :

(١) الاحوذى : الذى حذق الاشياء واتقنها ١ هـ مصباح ج ١ ص ١٦٨
(٢) العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٢ ورقة ١٨٤-١٨٥ الروض الباسم له ج ٢ ص ٢٩٠

١- إن رسالة المعترض منادية عليه صريحا بجمود الغطنة وكثرة البله ، ولو كان من أهل المفاصات الغامضة ، والانهان السائلة ، والقرائح الوقادة لظهر لذلك اثر ففى أساليبه إن لا مخبأ بعد بوؤس ولا عطر بعد عروس (١)

٢- إن المعترض وصم أهل الأثر بالبله وصرح منهم بالامام مالك ، وعلل ذلك بقسلة ممارستهم لعلوم الجدل ، والخوض فى دقيق النظر وأكد ذلك بأن ترك علم الكلام مكيدة للدين والتعليل بهذه العلة كما قال ابن الوزير :

(هفوة كبيرة لأنه قد شا ركهـم فيها خيرة الله من خلقه ، من الأنبياء والمرسلين والصحابـة والتابعين ، والاـولياء والمقربين وسائر الصالحين .

فإن كان هذا المعترض يجعل هذه العلة مؤثرة صحيحة ، ويستلزم ما أدت إليه من الازراء على كل من ترك الخوض فى علم الكلام ، والممارسة لأساليب المتحذلقين من (٢) أهل الجدل ، فقد تعرض للهلاك وارتبك فى البلادة أى ارتباك (٣) ثم ذكر الشبهة التى اغتربها الحسين بن القاسم العيانى (ت ٤٠٤ هـ) أحد ائمة اليمن الزيدية فخرج من المذاهب الإسلامية بما ادعاه من أنه أفضل من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وان كلامه انفع من كلام الله - عز وجل - ، وانه كان يناظر أهل العلم بهاتين المقدمتين : إنه ثبت أن العلم أفضل ، وأن علم الكلام أفضل العلوم ، ويلزم منهما على زعمه أنه أفضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه يقطع أنه أعلم منه بعلم الكلام (٤) ثم يعلق ابن الوزير على هذا الاغترار بقوله : (فإن كان المعترض قد اختار هذا المذهب ، وأراد أن يحيى منه ما مات ، ويستدرك على صاحبه ما فـات ، فليس بمستنكر منه بعد ذلك أن يستهزئ بأهل الحديث ، ويسخر من علماء الأثر .

وإن كان يأبى من إباء المسلمين ، ويأنف من أنفة المؤمنين ، فقد تبين له أن من كان له أسوة فى ترك علوم الأوائل وتحذلق الجدليين - بالأنبياء والمرسلين ، والصحابـة والتابعين ، وسائر الصالحين ، فهو حرى بالتبجيل والتعظيم . .)
ويستمر ابن الوزير فى تسديد التقرير اللاذع الموجه الى خصمه المعتزلى فيقول :

- (١) يضرب مثلا لمن لا يدخر عنه نفيس ١هـ مجمع الأمثال ج ٢ ص ٢١١-٢١٢ وقيل : الاول يضرب للرجل يدخر الشئ ويرفعه عند وقت الحاجة اليه كذا فى كتاب الامثال للقاسم بن سلام تحقيق الدكتور عبد المجيد قطامش ، ص ٣٠٣
- (٢) المتحذلق هو من يظهر الحذق ويدعى أكثر ما عنده ١هـ الصحاح ج ٤ ص ١٤٥٧
- (٣) الروض الباسم/ج ٢ ص ١٥٩ العواصم/ج ٢ وهم ١٥ ورقة ٣٤
- (٤) الروض الباسم ج ٢ ص ١٥٩ العواصم ج ٢ وهم ١٥ ورقة ٣٤

(فيا سيال الذهن ووقاد القريحة من أبله الآن ؟ أم من عليل بهـذا
التعليل العليل ، وقال إن معرفته بالله مثل معرفة جبريل ، بل قال : إن الله لا
يعلم من ذاته أكثر منه بكثير ولا قليل ؟ أم من آمن بالله وكتبه ورسله وتآدب بآداب
التنزيل واقتدى بسيد المرسلين ، فى ترك التعق فى الدين ، والممارات للجاهلين^(١)
أما ما توهمه المعارض فى ترك علم الكلام أنه مكيدة للدين فقد اجاب ابن الوزير
بقوله : (لا والله ما كاد الدين من احتج بالقرآن ، وعقل ما فيه من البرهان ، واقتدى
برسول الله عليه الصلاة والتسليم الذى أقسم أصدق القائلين ؛ إنه على صراط مستقيم
ولو كان ذلك مكيدة للدين لكان سيد المرسلين أول من كاد الدين ، وكذلك
جميع الصحابة والتابعين)^(٢).

اقلوا لجدال فما عنـدكم	جميعا من العلم إلا القليل
وفى قصة الخضر المرتضى	وموسى اعتبار عريض طويل
وفيهـا لأهل النهى والرسوخ	من العارفين عزاء جميـل ^(٣)

٣- إن الفلاسفة يعتقدون أن المتكلمين من المسلمين غير مارسين للعلوم العقلية على ما
ينبغى ، ولا متصفين بمتابعة محض العقل لمراعاتهم فى كثير من المواضع لقواعد
الاسلام ، وتعصبهم لمذاهب الآباء والمشائخ .

وأن الفلاسفة هم المؤسسون لقواعد العلوم العقلية ، والقوانين المنطقية ، وأنهم
المستبدون بذلك لصفاء أن هانهم فى النظر فى الحقائق ، وشدة غوصهم على لطيف
الغوامض ، فكما أن ذلك - وإن صدقوا فى بعضه - لا يدل على صحة ما هم عليه من
الكفر ، فكذلك ما احتج به المعارض على اختصاصه وأصحابه بالذكاء والفطنة ، بسبب
ما استعاروا من علوم الأوائل وشموا من رائحة الحذق فى بعض المسائل ، لا يوجب
له صحة دعواه ، ولا يستحق به الاختصاص بالنجاه ، هذا إن سلم المعارض أن المدق
قد يضل فى تدقيقه ، ويزل عن تحقيقه ، وأما إن لم يسلم فليتخذهم أئمة وينسلخ
عما عليه الأمة .

وفى هذا أكبر دليل على نقض ما توهمه المعارض من تعليل صفاء الأذهان
والرجوع فى صحة الإيمان الى ممارسة علوم اليونان ، فقد ضل سقراط وامشاله ،
واهتدى كثير من الأعراب بدون ممارسة منهم لتلك العلوم .

فمن أكثر ممارسة للعلوم العقلية ، واهدى الى العقائد الاسلامية ؟ خديجة بنت
خويلد ، وأم الدرداء ، وأم سليم - أم ارسطوا ، وافلاطون وابن سينا ؟ !
وانظر بعد هذا أيها المعارض فى ميزانك الذى وزنت به اهل العلم والذكاء
واهل الجمود والبله ، هل تجده مع مراعاة الاسلام عادلا ، أو الى تعظيم الفلاسفة

(١) الروض ج ٢ ص ١٥٩ وانظر التفاصيل فى العواصم ج ٢ وهم ١٥ ورقة ٣٤ وما بعدها

(٢) العواصم ج ٢ وهم ١٥ ورقة ٥٨-٥٩

(٣) من أبيات لابن الوزير فى العواصم ج ٣ وهم ٢٨ ص ٢٩٨

ماثلاً ؟ (١)

٤- كان المسلمون أمة واحدة في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأيام الخلفاء الراشدين ليس بينهم خلاف في أمر العقيدة وعلم أن الذي كانوا عليه في أعصارهم هو منهج الحق ، وطريق السلامة ، حتى مارستم هذه العلوم ، وتركتم الجسود ، وسالت أن هانكم بالحقائق ، وغصتم على خفيات الدقائق ، وضلت من ثلاث وسبعين فرقة اثنتان وسبعون فرقة .

ولم يبق من الأمة - بركة هذه الممارسة على الهدى عشرها ، ولا نصف عشرها بل ولا عشر عشرها .

والمعتزلة تدعى أنها الفرقة الناجية ، وهم مع ذلك مفترقون عشر فرق (٢) ، منهم من يخطئ مخالفه ويفسقه .

و منهم من يصرح بتكفيره ، وهذا الاضطراب ناتج عن دعوى الاختصاص بممارسة العلوم التي عبت على المحدثين الغفلة عنها واستبدادكم بها و بنتائجها : تباغض و افتراق ، وجدال ، وشقاق ، وتكفير ، وتفسيق ، وهوى في الضلال الى مكان سحيق .

فان كان المحدثون ما استحقوا منك السخرية الا لعدم دخولهم معكم في هذه

(١) الروض ^{الزهر} ج ٢ ص ١٥٩-١٦٠ وانظر التفاصيل في العواصم ج ٢ وهم ١٥ ورقة ٣٤ وما بعدها .

(٢) عد هم البغدادي في الفرق بين الفرق اثنتين وعشرين فرقة ، فرقتين من الغلاة فسي الكفر ، وهما الخابضية والحمارية ص ١١٤ وعد هم الشهرستاني في الملل والنحل ج ١ ص ٤٣-٤٧ اثنتي عشرة فرقة ، وعد هم المهدي المرتضى عشرين فرقة ، ورجح ما ذكره الحاكم المحسن بن محمد بن كرامة الجشمي البيهقي المتكلم المعتزلي ثم الزيدي بعد ان كان حنفياً المتوفى ٤٩٤ هـ كذا في الزيدية لأحمد محمود صبحي ص ٢٦٤ ، وقد نوقشت رسالة دكتوراه مقدمة من الدكتور عدنان زرزور بعنوان الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير في دار العلوم بالقاهرة توجد في مكتبة مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى والذي رجحه المهدي أن المعتزلة ثلاث عشرة فرقة بدءاً بالفيلانية وثني بالواصلية ، وختم بالجاحظية ، وصرح بأن كل فرقة من هؤلاء تنفرد بمقالة لم يقل بها غيرها ، كما صرح أن الزيدية هي الفرقة الناجية ، لقولها بالعدل والتوحيد ، وتنزهها عن الجبر والتشبيه ، الملل والنحل له ص ٥١ وهذا مخالف لقوله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الفرقة الناجية قال : (من كان على مثل ما أنا عليه اليوم واصحابي) وفي رواية : (الجماعة) رواه الترمذي بتحفة الاحوذى ج ٨ ص ٤٠٠ تسنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٣٢٢ وفي سنده مقال كما في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٥٨ وقال الترمذي حسن غريب ونظمه الألباني في السلسلة الصحيحة ج ١ رقم الحديث ٢٠٤ وقد سبق الكلام على هذا في الفصل الاول من الباب الثاني من هذه الرسالة

الممارسة ، فلمهم أسوة يعززون بها أنفسهم فيمن فاتته هذه الممارسة من الانبياء والمرسلين والصحابة والتابعين ، والأولياء والصالحين . (١)

٥- يقول ابن الوزير لخصمه أخبرنا ما هذه العقائد التي لا تدرك إلا بعلوم الكلام ، فإننا رأينا أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قد أجمعت الأمة على صحة عقائد هم قبل هذه الممارسة .

فإن قلت : إن هذه العقائد هي اعتقاد وجود الله - عز وجل - وأنه عالم قادر موصوف بصفات الكمال غير مثل بشال ، فقد أمكن الصدر الأول معرفة هذا وأمثاله من الحق من غير ممارسة لعلومكم ،

ولم يصمم أحد بالبله وجمود الفطنة ، ممن هو أذكى منك قلبا ، وأرجح لبسا ، وأصلب دينًا ، وأقوم يقينًا ، وإن كانت العقائد التي لا تدرك إلا بالممارسة هي قول شيوخكم من المعتزلة (٢) : أن الله لا يعلم من نفسه إلا ما يعلمونه (٣) ، فهذه مسألة عظيمة قديمة ، قد طال الخوض فيها ، وكفينا مؤنة التطويل في تحرير أدلتها ، ولكننا نشير إلى نكتتين :

أحدهما : قولنا فيها قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (بها امتنع منها واليها حاكمها) أي امتنع من العقول بمعرفة العقول ، لعجزها عن إدراكه ، والاحاطة به ، واليها حاكمها أي جعلها محكمة في ذلك ، لأنه نزلها منزلة الخصم المدعى ، والخصم لا يحكم إلا حيث تتضح الحجة ، ويفتضح جاحدها ، فلا يرضى لنفسه بدعوى ما يعلم كل عاقل كذبه فيها .

ولم يعلم لعلي عليه السلام مخالف في الصدر الأول ، ولا أنكر عليه كلامه هذا أحد ، بل أخفج به الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة (ت ٧٤٩ هـ) (٤) على ضعف كلام أبي هاشم ، ونصره ابن أبي الحديد (٥) مع اعتزاله ثم أنشد لنصرة هذا القول :

(١) العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٢ وهم ١٥ ورقة ٣٥ وما بعدها والروض الباسم له

ج ٢ ص ١٦٠-١٦١

(٢) إشارة إلى قول أبي هاشم عبد السلام بن محمد الجبائي ت ٣٢١ هـ الفرق بين الفرق

ص ١٨٤ طبقات المعتزلة ص ٩٤-٩٦

(٣) صرح ابن الوزير في الترجيح ص ١٢٩ بأنه سمع خصمه المعتزلي يدعى علمه بالذات ، وإن الله - عز وجل - لا يعلم من ذلك غير ما يعلمه هذا المعتز .

(٤) هو أحد حكام اليمن وعظماهم ولد في صنعاء ٦٦٩ هـ

(٥) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان ص ١٢٩-١٣٠ الروض الباسم له ج ٢ ص ١٦١

تاه الأنام بأســـــــرهم
تالله ما موسى ولا
عرفوا ولا جبريل وهـ
من كنهه ذاتك غير أنه
فاليوم صاح القوم عربـــــــد (١)
عيسى المسيح ولا محمد
وإلى محل القدس يصعد
ك واحد في الذات ســـــــد (٢)
الى قوله :

فلتخسأء الحكماء عن
من أنت يارسطو ومن
ومن ابن سينا حين قر
هل أنتم إلا الفـــــــرا
فدنا فحرق نفسه
حرم له الأملاك تشهد
افلاط قبلك يا مـــــــد
ر ما هذيت به وشيد
ش رأى السراج تتوقد
ولو اهتدى رشدا لأبعد

وما قال في ذلك :

فيك يا اغلوطة الفكر
فلحن الله الالى زعموا
كذبوا إن الذى زعموا
سافرت فيك العقول فما
رجعت حسرى وما وقفت
تاه عقلى وانقضى عمرى
أنك المعلوم بالنظر
خارج عن قوة البشر
ربحت الآ غنا السفر
لا على عين ولا اشر (٣)

قال ابن الوزير : (وكفى بقول الخصم : - ان الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا
لا يعلم من نفسه الا ما يعلمون - شذاعة فاحشة يكفى فى بطلانها سماعها ، ويفضى
الى التعطيل وينبنى عليه امتناعها ، وكفى بامير المؤمنين سلفا وقدة وإماما
وحجة فى هذه المشكلة ، كيف وقد نظرت العقول حتى وقفت خاسئة ورجعت الأَبصار
كرتين فأنقلبت حاسرة ، و تطابق السمع على ذلك قرآنا وأخبارا وآثارا ، وكفى قوله
تعالى فى ذلك (ولا يحيطون به علما) والتطويل فى الجليات يوهم انها خفية
وجدة المعاندين وبله بعض المتكلمين يشكك فى أنها جليلة (٤) ثم انشد :
لى فى القديم مقال غير مبـــــــتكر
وقد سبق ذكر ذلك فى مبحث الأسماء والصفات كما سبق تحقيق الكلام على كلمة (القديم)

(١) كقرشب بتشديد الباء والعريدة سوء الخلق والعرييد بكسر العين مؤذى نديمه فى

سكره ١ هـ قاموس ج ١ ص ٣١٤ - الصحاح ج ٢ ص ٥٠٨

(٢) السرمد : الدائم ١ هـ صحاح ج ٢ ص ٤٨٧

(٣) الترجيح لابن الوزير ص ١٣٠ وإسنده ابن الوزير الى ابن ابى الحديد وبحث عنه

ولم اقف عليه

(٤) الترجيح لابن الوزير ص ١٣١

النكتة الثانية : قول ابن الوزير (لا شك أن الله عزوجل حقيقة مخالفة لسائر الحقائق مخالفة مطلقة ، لا يشا ركبها شئ في ذاتيتها ، وخصوصيتها قال الله تعالى : (ليس كمثل شئ) وهو السميع البصير) (١)

وقد سبق هذا النص بتمامه في الاسماء والصفات فارجع اليه .

ويواصل ابن الوزير تقريعاته المتتالية على رأس المعترض المعتزلي بتعداد فضائح المعتزلة بقولهم :

إن جميع الواجبات وجبت لأنفسها ، وكذلك جميع المحرمات ، بدون ايجاب موجب ، ولا تحريم محرم ،

وأن الله تعالى غير مختار في التحريم والتحليل ، وإنما هو حاكي فقط ، فالله تعالى عندهم في ذلك والمفتى سوا .

وقولهم : إنه يقبح من الله تعالى - أن يتفضل على أحد من خلقه بغفران ذنب واحد ، وأنه لا يغفر الا ما وجب عليه غفرانه وجوبا يقبح خلافه ، حتى لو زادت سيئات المسلم مثقال حبة من خردل قبح من الله تعالى مسامحته في ذلك ، ووجب على الله تعالى - تخليده في النار ، مع فرعون وهامان ، وعبد الصليان .

وأنه لو فعل ذلك لا تصف بصفات الكاذبين ، واستلزم ذلك بطلان هذا الدين وأن من جوز ذلك عليه فانه عند كثير منهم صار من المرجئة (٢) ، وخرج من الفرقة الناجية أي الزيدية المعتزلة ، وأن من لم يعرف الله تعالى بأحد الأدلة التي حرروها فهو كافر ، وهذا يستلزم تكفير السواد الأعظم من المسلمين الأولين والآخرين (٣) وقول شيوخكم : إن أول الواجبات النظر في الله ، وأن النظر لا يتم فيه إلا بالشك فيه فوجب الشك في الله بل كان أول الواجبات ، لأن ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب بحيث يحصل الثواب على الشك في الله والعقاب على تركه ، ويستمر وجوب الشك في مهلة النظر ، ويقبح فيها تعظيم الله لأنه عندهم في تلك الحال لا يؤمن

(١) سورة الشورى : ١١ وانظر الترجيح لابن الوزير ، ص ١٣٧-١٣٨

(٢) فرقة تقول : إن الايمان هو الاقرار والمعرفة ولا يضر مع ذلك معصية و منهم من غالى فزعم أن الايمان اعتقاد بالقلب وإن أعلن الكفر بلسانه وعبد الاوثان وهؤلاء غير الذين ارجئوا الحكم في مرتكب الكبره انظر التفاصيل في تاريخ المذاهب الاسلامية

لأبي زهره ج ١ ص ١٣٢-١٣٥ ^{علامه ابن الوزير}
(٣) الروض الباسم ج ٢ ص ١٦٢ المواصم/ ج ٢ وهم ١٥ ورقة ٣٦-٣٧ وانظر بعض الشواهد لما ذكره ابن الوزير عن المعتزلة وشيوخه ، مصباح العلوم ص ١٥-١٩ وانظر شرح الاصول الخمسة ص ١٣٥-١٣٧ - ٦٤٤-٦٤٥ شرح الطحاوية ص ٥٨٩

ان لا يستحق التعظيم ، فتحرم فيها لذلك الصلوات وسائر العبادات ، وتحلل جميع المحرمات بالشرعيات ، و يجب فيها استحلال جميع الحرام وترك جميع الواجب (١) .

وقول شيوخكم البغدادية إن الله تعالى ليس بسميع ولا بصير ولا مريد حقيقة ، وإنما ذلك مجاز ،

وحقيقته أنه عالم ، وقول البغدادية إنه يقبح عقلا وشرعا العمل بجميع أخبار الثقات من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين ، فليست هذه العقائد من قبيل الإلزام ، بل يذهبون اليها وينظرون عليها . (٢)

ويوالى ابن الوزير تقيعاته الداهية لرأس المعارض المعتزلي بقوله :

(فإن كانت هذه العقائد وأمثالها من الأباطيل هي التي اختصتم بها على المحدثين ، وعسر معرفتها على كثير من بُلّه المسلمين فلعمري إنه لم يصر الى هذه العقائد أحد من المسلمين الا بعد ممارسة علومكم هذه التي سبّلت اذ هانكم الى هذا الحد ، وخلصتم من عار جمود المحدثين والسلف الصالحين من الصحابة والتابعين . (٣)

٦- إن المحدثين هم أهل العناية بحديث رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - من أي فرقة كانوا - كالنحاة والمتكلمين ، وهذه صفة شريفة للمحدثين ، فقول المعارض إن الجمود وترك التأويل مذهب جلة المحدثين ، تعليق للسخرية والنقص بأهل صفة شريفة ، وهذا دليل على أنك متصف بما رميتهم به من البله لأن تعليق الذم على الاوصاف الحميدة تفضيل ، فلا يقول الفطناء متى أرادوا الذم والانتقاص لأحد أنه من بُلّه المؤمنين ، والصالحين ونحو ذلك . (٤)

(١) الروض الباسم/ ج ٢ ص ١٦٢ وانظر ايثار الحق على الخلق له ص ١٢ وفي هذا إشارة إلى مذهب أبي هاشم الجبائي وأتباعه البهشمية واسمه عبد السلام بن محمد من معتزلة البصرة ، ذكره ابن الوزير في المرجع نفسه ص ١٢ وانظر الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٧٨-٧٩

(٢) الروض الباسم ج ٢ ص ١٦٢ وانظر العواصم ج ٢ وهم ١٥ ورقة ٣٧ وانظر الشواهد لما نسبته ابن الوزير الى المعتزلة في الإبانة للأشعري ص ١٦١-١٦٢ ومقالات الاسلاميين له ج ١ ص ٢٤٥-٢٤٦ ، الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٧٨ ، أصول العدل والتوحيد للقاسم الرسي ص ١٠٥

(٣) الروض الباسم لابن الوزير ج ٢ ص ١٦٣ ، العواصم والقواصم له ج ٢ وهم ١٥ ورقة ٣٨

(٤) الروض ج ٢ ص ١٦٤ ، العواصم ج ٢ وهم ١٥ ورقة ٣٨

٧- العجب من المعترض كيف يذمهم ، و هو متحل بفرائد علومهم ، و مرتو من مسوار
تواليهم ، و تفسيره للقرآن مشحون برواياتهم و معرفته بالسير والتواريخ مستفادة
من أئمتهم .

و ما أقبح بالإنسان أن يكون من كفار النعم ، و أشباه النعم ، و إن كنت لا بد ساخرا
و مستهزئا بهم فهلا استغنيت و أغنيت عنهم ، و أنفت أنفة الأحرار عن الحاجة إليهم
أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا (١)

٨- إن جميع أئمة الفنون المبرزين فيها قد شا ركوا المحدثين في عدم ممارسة علم الكلام ،
و إن لم يشاركوهم في كراهية الخوض فيه ، و لكن علة جمودهم ، و رميهم بالبُله هـى
عدم الممارسة ، و الممارسة لا تحصل بمجرد الاعتراف بفضيلة العلوم ، فأخبرنا هـل
مارس علم الكلام جميع أئمة الفقه كمالك و الشافعى و احمد و أبى حنيفة و أئمة العربية
كالخليل و سيوية ، و القرآن و التفسير و سائر أئمة الفنون الاسلامية ؟

فان قلت : كل أهل الفنون قد مارس علم الكلام كانت مياهته ، و إن قلت بعضهم
قد مارس فكذلك المحدثون بعضهم قد مارس ، و لم ينفعهم ذلك عندك من جمود
الفطنة و داء البُله ، فلزم ذلك كل من شاركهم من أئمة العلوم الاسلامية ، و ما أقبح
ما يجر إليه هذا الكلام من الكبر الفاحش ، فان الكبر غمط الناس كما ورد في الصحيح
و هذا غمط أئمة الناس و خواصهم ، يشير ابن الوزير الى حديث ابن مسعود رضى
الله عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم (الكبر بظـر الحق و غمط الناس) (٢)

٩- إن التصريح بوصف إمام دار الهجرة انس بن مالك - رضى الله عنه - بجمود الفطنة
دليل على أن المعترض جامد الفطنة طويل البطنة ، و كأنه لم يعلم أن الأمة اجمعت
على أنه أحد أئمة المسلمين المجتهدين ، و شيخ سنة سيد المرسلين و أنها خضعت
بين يديه كراسى العلماء الذى قال فيه الشافعى : اذا ذكر العلماء فما لك النجم ،
و كيف لم يهتد ذ هـنك السيال الى أنه عار عليك أن تدم من لا تستفيد بدمه الا
كشف الغطاء عن حماقتك و خلع جلباب الحياء عن وجه خلاعتك ، و ما أحسن فسى
جوابك ما قال حسان رضى الله عنه :

اتـهـجـوه و لست له بـكـفو
فشركما لخيركما الفداء (٣)

(١) الروض ج ٢ ص ١٦٤ ، العواصم لج ٢ وهم ١٥ ورقة ٣٨ و ما بعدها .
(٢) مسلم ج ١ كتاب الايمان باب تحريم الكبر ص ٩٣ و بظـر الحق بفتح الطاء هو دفعه
و إنكاره ترفعا و تجبرا ، و غمط الناس احتقارهم ١ هـ حاشية مسلم ص ٩٣

(٣) ديوان حسان ص ٩ ط بيروت

١٠- إن أهل الحديث لم يختصوا بترك تأويل آيات الصفات وأحاديث الصفات، والإيمان بمراد الله تعالى فيها، والنهي عن الخوض في الكلام، بل قد شاركهم في ذلك وفي بعضه كثير من خواص علماء الكلام المشاهير بصفاء الأذهان، ولطافة الأفهام (١) وقد نقل النووي ذلك عن جماعة من المتكلمين، واختاره جماعة من محققهم كما ذكره في شرح مسلم... وقد سبق ذكره في مبحث (الاسماء والصفات).

ابن الوزير يستشهد برجوع المشاهير من أهل الكلام عن علم الكلام :

وقد أكثر ابن الوزير من الاستشهاد بكلام المشاهير من علماء الكلام الدال على حيرتهم فيه، ثم حسرتهم، ثم رجوعهم إلى مذهب أهل الأثر الذين وصمهم المعترض المعتزلي بالبله وجمود الفطنة، لعدم قولهم بتأويل آيات الصفات وأحاديثها بل تمنى البعض أن يكون على دين العجائز وسنشير إلى مقتطفات من ذلك.

١- كان يحيى بن منصور الحسني (٢) من علماء الكلام على مذهب الزيدية فرجع عن ذلك، وكان ينهى عنه، وله في ذلك أشعار حسنة منها قوله :

وما الذي ألجأهم إلى الخطر والخوض في علم الكلام والنظر

وما يقال للمخطئ كفر

وقوله :

و يرون ذلك مذ هيا مستعظما	عن طول أنظار و حسن تفكر
ما ظنهم بالمصطفى في تركه	ما استنبطوه و نهيه المتقرر
أ يكون في دين النبي و صحبه	نقص فكيف به ولما يشعر
أ ليس كان المصطفى بتمامه	و بيانه أولى فليكن لم يخبر
ما باله حتى السواك أبانه	و قواعد الاسلام لم تتقرر
إن كان رب العرش أكمل دينه	فاعجب لمبطن قوله والمظهر
ما كان أحمد بعد منع كاتما	لهداية كلا و رب المشعر
بل كان ينكر كل قول حادث	حتى المات فلا تشك و تكثر (٣)

٢- قول الجويني (٤) أبي المعالي ٤٧٨ هـ: (لقد جربت أهل الاسلام وعلومهم،

(١) الروض الباسم ^{رض الوزير} ج ٢ ص ١٦٥-١٦٦ والعواصم والقواصم له ج ٢ وهم ١٥ ورقة ٤٠

(٢) لم أقف له على ترجمة ويلتقى نسبه في الجد الرابع لابن الوزير فهو من آل الوزير

(٣) الروض الباسم لابن الوزير ج ٢ ص ١٦٦-١٦٧ والترجيح له ص ٣٣ والبرهان القاطع له أيضا ص ٥٦

(٤) عبد الملك بن عبد الله يوسف الشافعي الأشعري المعروف بامام الحرمين فقيه اصولي متكلم مفسر أديب جاور بمكة المكرمة و توفي بنيسابور انظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ج ٥ ص ١٦٥ و معجم المؤلفين لعمر كحاله ج ٦ ص ١٨٤

وركبت البحر الأعظم ، وغصت في الذي نهوا عنه ، كل ذلك في طلب الحق ، والهرب من التقليد ، والآن قد رجعت عن الكل الى كلمة الحق ، عليكم بدين العجائز ، فان لم يدركنى الحق بلطيف بره فأموت على دين العجائز ، ويختم عاقبة أمرى عند الرحيل بكلمة الاخلاص ، فويل لابن الجوينى . (١)

وكان يقول لأصحابه : (لا تشتغلوا بالكلام ، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بى ما بلغ ، ما تشاغلته به) . (١)

وقال في النظامية بعد أن ذكر الخلاف في التأويل : (والذي نرتضيه رأيا و ندين الله به عقلا اتباع سلف الأمة فالأولى الاتباع وترك الابتداع . . .) (٢)

وقد ذكر توبة الجوينى شيخ الاسلام ابن تيمية بنحو ما ذكره ابن الوزير وفيها : وهآ أنا أموت على عقيدة أمة ، وروى على عقيدة عجائز نيسابور ، وعلق على ذلك بقوله : (ولهذا يقول مثل هؤلاء : عليكم بدين العجائز ، فان تلك العقيدة الفطرية التى للعجائز ، خير من هذه الأباطيل ، التى هى من شعب الكفر والنفاق ، وهم يجعلونها من باب التحقيق والتدقيق) . (٣)

٣- قول أبى حامد الغزالى . . هـ وقد ذكر الكلام والخلاف فيه : (فاسمع هذا ممن خبر الكلام ، ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة ، والتفلفل فيه الى درجة المتكلمين ، وجاوز ذلك . . . و تحقق أن الطريق ، الى حقائق المعرفة من هذا الوجه سدود .) (٤) وفى موضع آخر قال : (وإذا تركنا المداينة لصرحنا بان الخوض فى هذا العلم حرام ، لكثرة الآفة فيه) . (٥)

-
- (١) العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٢ وهم ١٥ ورقة ٤٨ وانظر تلبيس ابليس لابن الجوزى ص ٨٤-٨٥ و صوت المنطق للسيوطى ٩١١ هـ ص ١٨٣-١٨٤ علق عليه على سامى الفشار ط بيروت والكواشف الجلية لعبد العزيز السلطان ص ٣٠٦
 - (٢) العقيدة النظامية فى الاركان الاسلامية لابى المعالى الجوينى ص ٣٢-٣٣
 - (٣) بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ج ١ ص ١٢٢ وانظر التنكيل لعبد الرحمن المعلمى اليمانى ج ٢ ص ٢٣٢ ط باكستان ١٤٠١ هـ
 - (٤) احياء علوم الدين للغزالى ج ١ ص ٩٧ وانظر الروض الباسم لابن الوزير ج ٢ ص ١٦٦
 - (٥) فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة للغزالى الذى سماه ابن الوزير التفرقة ص ٩٠ تحقيق استاذنا الدكتور سليمان دنيا ط الحلبي أولى ١٣٨١ هـ وانظر الروض الباسم لابن الوزير ج ٢ ص ١٦٦

٤- قول ابى الوفا ابن عقيل ١٣ هـ (١) لبعض أصحابه : (أنا أقطع أن الصحابة ماتوا وما عرفوا الجوهر والعرض، فإن رأيت أن تكون مثلهم فكن، وإن رأيت أن طريقة المتكلمين أولى، فبئس ما رأيت،... وقد أفضى الكلام بأهله إلى الشكوك، وبيعهم إلى الإلحاد، تشم روائحه من فلتات كلامهم... ولقد بالغت في الأصول طول عمرى ثم رجعت القهقرى إلى مذهب المكتب). (٢)

٥- وقول الشهرستاني ٤٨ هـ في أول نهايته يصف حاله فيما وصل إليه من علم الكلام:

لقد طفت في تلك المعاهد كلها وسيرت طرفى بين تلك المعالم فلم أر إلا واضعا كحائى على ذقن أو قارعا سن نادم

ثم قال : (عليكم بدين العجائز، فانه أسنى الجوائز) (٣)

٦- وما ذكره ابن الوزير عن ابن الجوزى ٩٧ هـ بعد المبالغة في ذم الكلام عن السلف قوله :

(وقد نقل إلينا إقلاع متقدما^(٤) المتكلمين عما كانوا عليه، لما رأوا من قبح غوائله) وروى بسنده أن الوليد بن أبان الكرابيسى^(٥) لما حضرته الوفاة قال لبنىيه : (تعلمون أحدا أعلم بالكلام منى؟ قالوا : لا، قال : فتتهموننى؟ قالوا : لا، قال : فانى أوصيكم، أتقبلون؟ قالوا نعم قال : عليكم بما عليه اصحاب الحديث، فانى رأيت الحق معهم). (٦)

٧- وقال الفخر الرازى (٦٠٦ هـ)

العلم للرحمن جل جلاله وسواه فى جهلاته يتغمغم

وقال أيضا :

نهاية إقدام العقول عقابا وأكثر سعى العالمين ضلالا

(١) هو على بن عقيل بن محمد البغدادي الحنبلى فقيه أصول متكلم واعظ ولد ببغداد من مؤلفاته (الفنون) و (الواضح فى اصول الفقه). طبقات الحنابلة ج ٣ ص ١٤٢، و معجم المؤلفين لعمر كحالة ج ٧ ص ١٧٢ وانظر تفاصيل كلام ابى الوفاء هذا فى درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ج ٨ ص ٦٠ وما بعدها تحقيق محمد رشاد سالم طبع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية.

(٢) العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٢ وهم ١٥ ورقة ٤٨ وانظر تلبيس ابليس لابن الجوزى ص ٨٤-٨٥ و ذيل طبقات الحنابلة لعبد الرحمن بن شهاب الجنبلى، ج ٣ ص ١٥٢ رقم الترجمة ٦٦ ط بيروت دار المعرفة للطباعة والنشر.

(٣) نهاية الأقدام فى علم الكلام للشهرستاني ص ٣-٤ وانظر العواصم لابن الوزير ج ٢ وهم ١٥

(٤) فى تلبيس ابليس لابن الجوزى، إقلاع منطقى المتكلمين.

(٥) نسبة إلى بيع الكرايسر وهى الثياب وهو من معتزلة البصرة له مقالات فى تقوية

مذهب الاعتزال ت ٢١٤ هـ الاعلام للزركلى ج ٨ ص ١١٩

(٦) تلبيس ابليس لابن الجوزى ص ٨٤

و زاد ابن تيمية نقلا عن الرازى :

وأرواحنا فى وحشة من جسوننا
ولم تستفد من بحثنا طول عمرنا
و غاية دنيانا أذى و وبال
سوى أن جمعنا فيه قيل و قال

و قال الرازى أيضا فى وصيته (. . .) ولقد اخترت الطرق الكلامية ، و لم منهاج
الفلسفية ، فما رأيت فيها فائدة تساوى الفائدة التى وجدت بها فى القرآن العظيم ،
لأنه يسعى فى تسليم العظمة والجلال بالكلية ، لله تعالى ، و يمنع من التعمق فى
إيراد المعارضات ، و المناقضات ، و ما ذلك الا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى
و تضمحل ، فى تلك المضائق العميقة و المناهج الخفية (١)

و ذكر فيها أنه يدين الله - عزوجل - بدين محمد - صلى الله عليه و سلم - و سأل
الله أن يقبل منه هذه الجملة ، و لا يطالبه بالتفصيل ، و هى وصية طويلة تصـوـر
مدى حسرته على ما فات كما تدل على صدق توبته (٢) ان شاء الله تعالى .

و ذكر ابن تيمية نحو هذا ، و عقب عليه بقوله : (و مثل هذا كثير عن هؤلاء أئمة
هذه المقالة . . . يعترفون بعدم العلم بها و يرجعون الى ما عليه أهل الفطرة
و ما عليه أهل الظاهر الحشوية عندهم) (٣)

و قد اسند ابن القيم كلام الرازى هذا الى (أقسام اللذات) الذى صنفه فى

(١) العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٢ وهم ١٥ ورقة ٤٨ ج ٣ وهم ٢٨ ص ٢٩٨-٣٤٩
و الروض الباسم له ج ٢ ص ١٦٨ و البرهان القاطع له ص ٥٣ و انظر النبواب لابن تيمية
ص ٨٤ و مجموع الفتاوى له ج ٥ ص ١٠-١١ و بيان تلبيس الجهمية له ايضا ج ١
ص ١٢٢-١٢٣ و الكواشف الجلية عن معانى الواسطية لعبد العزيز المحمد السلطان
ص ٣٠٥

(٢) راجع الوصية بطولها فى العواصم لابن الوزير الجزء و الصفحات السابقة

(٣) بيان تلبيس الجهمية ج ١ ص ١٢٩ و الحشوية كما ذكر ابن الوزير ، انما سموا بذلك
لانهم يحشون الأحاديث التى لا أصل لها فى الأحاديث المروية عن رسول الله
صلى الله عليه و سلم - أى يدخلونها فيها و ليست منها انظر التفاصيل فى الروض
الباسم له ج ١ ص ١١٢ فى معرض ذبه عن المحدثين الذين وصفهم خصمه الزيدى
بأنهم حشوية لاثباتهم الصفات .

و اول من تكلم فى الاسلام بلفظ الحشوية عمرو بن عبيد صاحب واصل بن عطاء
رئيس المعتزلة لما ذكر له عن ابن عمر رضى الله عنهما - شئ يخالف قوله ، فقال :
كان ابن عمر حشويا نسبة الى الحشو ، وهم العامة و الجمهور و كذلك تسميهم الفلاسفة
و المعتزلة تعنى بذلك من أثبت الصفات و القدر ، و القرامطة تعنى بذلك من اعتقد
صحة ظاهر الشريعة ، و قال بوجوب الصلاة و الزكاة و الصوم و الحج ، و تحريم
الفواحش و المظالم و الشرك و نحو ذلك . انظر التفاصيل فى بيان تلبيس الجهمية
لابن تيمية ج ١ ص ٢٤٤-٢٤٥ و انظر البرهان فى اصول الفقه للجوينى امام الحرمين
ج ١ ص ١١٧ حيث اسند الحشو الى الحنابلة لكنه تقرر رجوعه الى مذهب السلف
فى آخر عمره كما سبق .

آخر عمره كما ذكرنا وصفه ابن القيم بأنه كتاب مفيد ، وأنه ختمه بهذا الكلام (١) وقد بحث عنه ولم أجده .

وقال الحافظ ابن حجر ٨٥٢ هـ بعد ان ذكر عقيدته ومنهجه الكلامي : (وأوصى بوصية تدل على أنه حسن اعتقاده) (٢)

كما ذكر هذه الوصية عبد الرحمن المعلمي اليماني (١٣٨٦ هـ) (٣)

٨- وقال ابن أبي الحديد (٤) (٦٥٥ هـ) :

سافرت فيك العقول فما رجعت حسرى وما وقفت
رجحت إلا غنا السفر لاعلى عين ولا أثر

وقال أيضا :

طلبتك جاهدا خمسين عاما فلم أحصل على برد اليقين
فهل بعد الماتيك اتصال فأعلم غامض السر المصنون (٥)

٩- وقال العزبن عبد السلام (٦٦٠ هـ) : (وما أشد طمع الناس في معرفة ما لم يضع الله على معرفته سببا ، كلما نظروا فيه وحرصوا عليه ازدادوا حيرة ، فالحمزم الاضراب عنه ، كما فعل السلف الصالح ، والبصائر كالأبصار ، فمن حرص أن يرى ببصره ما وارته الجبال ، لم ينفعه إطالة تحديق مع قيام الساتر ، وكذلك تحديق البصائر التي ما غيبه الله عنها وستره بالأوهام والظنون ، والاعتقادات الفاسدة ، كم من اعتقاد جزم المرء به ، وبالغ في الإنكار على مخالفة ثم تبين له خطؤه وقبحه بعد الجزم بصوابه وحسنه) (٦)

١٠- ومن ذلك قول الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد القشيري (٧٠٢ هـ) :

- (١) انظر اجتماع الجيوش الاسلامية لابن القيم ص ١٩٤-١٩٥ ط اولي دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٤ هـ
- (٢) لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ج ٤ ص ٤٢٩ صورة عن الطبعة الهندية الناشر مؤسسة الاعلى بيروت ط الثانية ١٣٩٠ هـ
- (٣) انظر التكميل لعبد الرحمن المعلمي ج ٢ ص ٢٣٦
- (٤) هبة الله بن محمد المدائني الاديب الشاعر الشيعي الغالي انظر البداية والنهاية لابن كثير ج ١٣ ص ٩٩ وابن الوزير رحمه الله (الاعتزال كما في ص ٤٨) فيعمل على انه مع سبها .
- (٥) العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٢ وهم ١٥ ورقة ٤٨ والروض الباسم له ج ٢ ص ١٦٧ والترجيح له ايضا ص ١٣١ وقد بحث بحثا شديدا عن مصدر هذه الابيات فسر مصنفات ابن ابي الحديد فلم اعثر على ذلك .
- (٦) العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٢ وهم ١٥ ورقة ٤٩ وانظر النص بلفظه في قواعد الاحكام لابن عبد السلام ج ١ ص ١٦ ط بيروت .

تجاوزت حداً لأكثرين إلى العلاء وسافرت واستبقيتهم في المغاوير
وخضت بحارا ليس يدرك قعرها وسيرت نفس في قسيم المغاوير
ولججت في الأفكار ثم تراجع اخـ تيارى إلى استحسان دين العجائز (١)

١١- وكان الامام المؤيد بالله (٧٤٩ هـ) (٢) ينهى عن علم الكلام ، ويحث على الفقه
وهو كما وصفه ابن الوزير - أجل علماء الزيدية وشيوخ علم النظر (٣) ، وكل هؤلاء
من أمراء المعقول ، وفرسان المشكلات ، وما تركته من كلام ابن الوزير أكثر مما دونه
بالنسبة لهؤلاء الأعلام الذين استشهد ابن الوزير برجوعهم عن الكلام والتأويل لآيات
الصفات وأحاديثها .

التقرير الحادى عشر - إذا عرفت هذا أيها المعترض ، تبين لك أن اختيار أهل الحديث
لترك الكلام ، والتأويل ، ليس يلزمه البله ، وجمود الفطنة ، وأنه ربما ذهب إلى ذلك من
هو ألطف منك طبعاً ، وأحسن فهماً ، وأغزر علماً .

وإنما يلزمهم البله وجمود الفطنة لو كانوا قد بذلوا جهدهم في تفهم علم الكلام
وتعلم أساليب الجدال ، فكل منهم الحد ولم يساعد هم الجد ، وليس الأمر كذلك ، فإنهم
تركوه لما ورد في القرآن الكريم من الأمر بالاعتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك
يقتضى الاقتداء في فعل ما كان يفعله ، وترك ما كان يتركه .

ولما ورد في الحديث من النهى عن البدع كقوله - عليه الصلاة والسلام - (. . . وكل
بدعة ضلالة) (٤)

ولقوله - صلى الله عليه وسلم - (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) .

وفي رواية : (من عمل عملاً ليس عليه امرنا فهو رد) (٥)

ولما ورد من الأمر بالاعتداء بالخلفاء الراشدين لحديث العرياض بن سارية

(١) العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٢ وهم ١٥ ورقة ٤٨ ج ٣ وهم ٢٨ ص ٢٩٨ وانظر
الكواشف الجلية للسلمان ص ٣٠٦

(٢) يحيى بن حمزة من عظماء حكام اليمن ولد بصنعاء ٦٦٩ هـ حفظ القرآن واشتغل
بالمعارف الإسلامية برز في بلاد صعدة وبلاد الشرق وحارب الاسما عليه في همدان
ولما طال القتال ملّ الناس وانزاح الفريقان إلى الصلح فاشتغل بالتأليف حتى توفي
كذا في حكام اليمن للحبشي ص ١٣٣

(٣) انظر ترجيح أساليب القرآن لابن الوزير ص ٣٢ والروض الباسم له ج ٢ ص ١٦٦

(٤) مسلم ج ٢ كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة ص ٥٩٣

(٥) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها البخارى ج ٣ كتاب البيوع باب النجش
ص ٢٤ كتاب الصلح باب اذا اصطلحوا... ص ١٦٧ و مسلم ج ٣ كتاب الأضية باب
نقض الاحكام الباطلة ص ١٣٤٣ و سنن ابن ماجه ج ١ - المقدمة ص ٧ و سنن ابى
داود مع عون المعبود كتاب السنة ص ٣٥٨

-رضى الله عنه - عن النبى - صلى الله عليه وسلم - وفيه (عليكم بسنتى و سنتى
الخلافة الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات
الأمر فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة)(١)

ولما رواه الترمذى(٢) وغيره مرفوعا : (ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا
الجدل) .

ولما فى الصحيحين مرفوعا ايضا : (إن أبغض الرجال الى الله تعالى الألسنة
الخصم) (٣) ويستشهد ابن الوزير على ما يذهب اليه من أن اختيار أهل الحديث لترك
الكلام والجدال ليس من البُله وجمود الفطنة ، بل للنهى الثابت عندهم بما قرره القرطبي
أثناء شرحه لهذا الحديث إن يقول :

(وهذا الخصم المفاوض عند الله هو الذى يقصد بخصومته مدافعة الحق و رده
بالأوجه الفاسده ، و الشبه الموهمة ، وأشد ذلك الخصومة فى أصول الدين كخصومة أكثر
المتكلمين المعرضين عن الطرق التى أرشد إليها كتاب الله - عز وجل - و سنة رسوله
- صلى الله عليه وسلم - و سلف أمته ، إلى طرق مبتدعة و اصطلاحات مخترعة ، و قوانين
جدلية ، و أمور صناعية ، مدار أكثرها على مباحث سوفسطائية (٤) و مناقشات لفظية تترد
بسببها شبه على الآخذ فيها ربما يعجز عنها سالكها ، و شكوك يذهب الايمان معها ،
و أحسنهم انفصالا عنها أجدلهم لا أعلمهم ، فكم من عالم بفساد الشبهة لا يقوى على
حلها ، و كم من منفصل عنها لا يدرك حقيقة علمها . (٥)

ثم ان هؤلاء المتكلمين قد ارتكبوا انواعا من المحال لا يرتضيها البُله ولا الأطفال ،
لما بحثوا عن تحيز الجواهر والأكوان والأحوال (٦) لأنهم أخذوا يبحثون فيما أمسك عن البحث
فيه السلف الصالح ، ولم يؤخذ عنهم فيه بحث واضح (٧) ، و هو كيفية تعلقات صفات الله ،

(١) سنن أبى داود مع عون المعبود ج ١٢ كتاب السنة باب لزوم السنة ص ٣٦٠ سنن
الترمذى بتحفة الأحوذى ج ٧ كتاب العلم باب فى لزوم السنة ص ٤٣٨-٤٤١ و قال
الترمذى : حسن صحيح سنن ابن ماجه ج ١ ، المقدمة ص ١٥-١٦

(٢) سنن الترمذى بتحفة الأحوذى ج ٩ تفسير سورة الزخرف ص ١٣٠ و قال هذا حديث
حسن صحيح و مقدمة ابن ماجه ص ١٩ و مسند احمد ج ٥ ص ٢٥٢

(٣) البخارى ج ٨ كتاب الاحكام باب الالاء الخصم ص ١١٧ ج ٥ كتاب التفسير سورة البقرة
باب ثم افيضوا ص ١٥٩ والخصم الشديد اللد والكثير الخصومه هدفج البارى
ج ٨ ص ١٨٨ و مسلم ج ٤ كتاب العلم باب فى الالاء الخصم ص ٢٠٥ عن
عائشة رضى الله عنها .

(٤) فى الاصل (أو منافسات) والسوفسطائية هم المنكرون للحقائق انظر الفرق بين الفرق
للبغدادى ص ٣٥٤ حيث صنفهم من الكفرة .

(٥) هذه العبارة لا يتفق معناها مع ما معها وهى بهذا اللفظ فى عدة مراجع .

(٦) فى الفهم : ثم إنهم

(٧) حقه ان يزيد : (ولا غامض)

و تعديدها واتحادها في أنفسها ، وأنها هي الذات أو غيرها - بل أمرنا بالكف عن ذلك ، لأنه من علم الغيب^(١) - إلى غير ذلك من الأبحاث المبتدعة التي لم يأمر صاحب الشرع بالبحث عنها ، وسكت أصحابه و من سلك سبيلهم عن الخوض فيها ، لعلمهم أنها بحث عن كيفية ما لم يعلم كيفيته ، فإن العقول لها حد تقف عنده ، وهو العجز عن التكيف لا تتعداه ، ولا فرق بين البحث في كيفية الذات وكيفية الصفات ، ولذلك قال العليم الخبير : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)^(٢) . . . وإذا عجزت عن إدراك كيفية ما بين جنبيك فانت عن إدراك ما ليس كذلك أعجز ،

وغاية علم العلماء ، وإدراك عقول العقلاء أن يقطعوا بوجود فاعل لهذه المصنوعات ، منزّه عن صفاتها ، مقدس عن مشابقتها موصوف بصفات الكمال اللائق به .

ثم مهما أخبرنا الصادقون عنه بشيء من أوصافه ، وأسمائه قبلناه ، واعتقدناه ، وما لم يتعرضوا له سكتنا عنه ، وتركنا الخوض فيه ، هذه طريقة السلف وما سواها مهملات وتلف^(٣) . ومن ذم الكلام والجدال والمقدرات الذهنية الامام ابن القيم بقوله بعد أن أشاد بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم : (ولما بعد العهد بهذا العلم آل الأمر بكثير من الناس إلى أن اتخذوا هواجس الأفكار ، وسوانح الخواطر والآراء علما ، ووضعوا فيها الكتب ، وانفقوا فيها الأنفاس ، فضيعوا فيها الزمان ، وملأوا بها الصحف مصادا والقلوب سوادا حتى صرح كثير منهم أنه ليس في القرآن والسنة علم ، وأن ادلتهاما لفظية لا تغيد يقينا ولا علما . . .)^(٤)

تعليق ابن الوزير على كلام القرطبي

يظهر من السياق أن ابن الوزير يذهب إلى كلام القرطبي هنا ، لأنه عقب عليه بقوله :
(والقصد بإيراد هذا الكلام أن يظهر لك ان القوم لم يتركوا علم الكلام لدقتهم

(١) هذه جملة تفسيرية ليست من النص وهي ما بين الشرطتين مأخوذة من هامش الروض

(٢) سورة الشورى : ١١

(٣) الروض الباسم لابن الوزير ج ٢ ص ١٧٠-١٧١ العواصم والقواصم له ج ٢ وهم ١٥ ورقة ٤٨ وقد عثرت على كلام القرطبي بعد البحث الشديد لأنني كنت أظنه صاحب التفسير وليس كذلك وقد قابلت ما نقله ابن الوزير فوجدت فيه اختصارا بسيطا لا يخل بالمعنى وانظر النصر في المفهم لما اشكل من تلخيص كتاب مسلم لابی العباس احمد بن الشيخ صالح ابي حفص عمر بن ابراهيم الانصاري القرطبي ت ٦٥٦ هـ ، ج ٤ كتاب العلم باب في الألد الخصم ورقة ٢٢٣ يوجد في المكتبة المركزية بجامعة أم القرى قسم المخطوطات رقم ٢٨٠٨ مصور عن دار المأمون للتراث بدمشق وانظر فتح الباري لابن حجر ج ١٣ ص ٣٤٩-٣٥٠

(٤) الفوائد لابن القيم ص ١٠٤ ط الثانية بيروت ١٣٩٣ هـ

وغموضه ، وإنما تركوه لما نصوا عليه من ثبوت النهى عنه عند هم ، وكونه غير مفيد اليقين في الخفيات ولا يحتاج اليه في الجليات^(١) كما ذكر أنه قد خاض في علم الكلام غير واحد من المحدثين كشيخ الاسلام ابن تيمية^(٢) والشيخ تقى الدين فبلغوا في التدقيق وراء مدارك الفطناء من أئمة الكلام ، يعرف ذلك من اطلع على كتبهم ، كما ردوا على المتكلمين ، ودققوا مع المدققين ، ولا سيما ابن تيمية فكان إليه المنتهى في العلوم العقلية والسمعية باتفاق المختلفين ، ولذلك سارت بمؤلفاته الركبان إلى جميع البلدان وهي قدر ثلثمائة مجلد أو أكثر فانظر في كلامه نظر إنصاف ولا تنظر إلى من قال بل إلى ما قال ، وإياك وتقليد الرجال^(٣) .

وإنما أول القرطبي النهى عن الجدال لأن الموجب لتأويله نص القرآن الكريم في قوله تعالى : (وجادلهم بالتى هي أحسن)^(٤) وقوله تعالى عن قوم نوح عليه السلام : (يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا)^(٥) ونحو ذلك ،

ومهما قال القوم عن علم الكلام فإن فيه مكروها وجائزا ، وإنما المكروه منه نوعان :

أحدهما : المراد به اللجاج الذى يعرف صاحبه أنه غير مفيد ، وربما عرف أنه مشير للشر . والفرق بينه وبين الجدال بالتى هي أحسن ، أن يكون المجادل بالتى هي أحسن ، قاصدا لإيضاح الحق ، أو طامعا فى اتباع خصمه له ، فمن ظن أن خصمه لا يقبل ، ولم يكن له مقصدا إلا غلبة الخصم فقد صار مارقا ، وداخلا فى المنهى عنه .

وثانيهما : أن ينتصر للحق بالخوض فى أمور يستلزم الخوض فيها الشكوك والحيرة والبدعة ولا يقتصر فى الانتصار للحق على أساليب القرآن والأنبيا - عليهم السلام - والسلف الصالح رضى الله عنهم .

وإنما كره الانتصار للحق بتلك الطريقة لما أشار اليه كثير من محققى علماء الكلام ، من أنها خوض فى محارات العقول وبحث فى غوامض تلتبس العلوم فيها بالظنون ، وسير فى متغيرات مسالك تزل فيها أقدام الحلوم .

وذلك كالتنظر فى ذات الله وصفاته ، فمن دقق فى ذلك خيف عليه لأن هذا مما لا

-
- (١) الروض الباسم لابن الوزير ج ٢ ص ١٧١
(٢) راجع سبب خوض شيخ الاسلام ابن تيمية فى علم الكلام فى أواخر مبحث الأسماء والصفات من هذه الرسالة .
(٣) العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٢ وهم ١٦ ورقة ١٢١
(٤) سورة النحل : جزء من آية : ١٢٥
(٥) سورة هود : جزء من آية : ٣٢
(٦) الروض الباسم ج ٢ ص ١٧١

طريق الى معرفة كفيته وقد قيل من نظر في الخالق أَلحد ، و من نظر في المخلوق وحد^(١) وقد سبق ذكر الأدلة على النهي عن ذلك .

ألا ترى أن المتكلمين قد خاضوا في الروح مع قول الله تعالى : (ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا)^(٢) مع عدم الحاجة إلى الخوض فيه ، لأن معرفته غير واجبة كمعرفة الله تعالى .

وقد حاولوا تأويل الآية ليتنزهوا عن دعوى ما لا يعلمونه ، فجمعوا بين خطـر تأويل القرآن بغير قاطع ، ولغير موجب ، وبين خطر دعوى علم ما لم يثبت على دعواه برهان قاطع ، وقد قال الله تعالى : (ولا تقف ما ليس لك به علم ، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا)^(٣) .

فهذا وامثاله هو الذي كره أهل الحديث الخوض فيه ، رغبة في الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبأصحابه والتابعين لهم رضى الله عنهم ، وإمساكا عن التهور في مهاوى دعاوى العلوم في مواضع الظنون ، لا لما وصمهم به المعترض من البله وجمود الفطنة^(٤) قال ابن تيمية : (والسلف اذا ذموا أهل الكلام ، وقالوا : علماء الكلام زنادقة وما ارتدى أحد بالكلام فأفلح ، فلم يريدوا به مطلق الكلام ، وإنما هو حقيقة عرفية فيمن يتكلم في الدين بغير طريقة المسلمين)^(٥) كما اشار الى الفرق بين منهج المتقدمين من أهل الكلام ومتأخريهم ، بان المتقدمين يخلطون بأصول من الكتاب والسنة بخلاف أكثر متأخريهم ، فانهم لم يذكروا إلا الأصول المبتدعة وأعرضوا عن الكتاب والسنة ، وجعلوها إما فرعين أو آمنوا بهما مجعلا أو خرج بهم الأمر الى نوع من الزندقة^(٦) .

هذا ولما طلب أحد طلاب العلم من ابن الوزير ان يدرس عليه بعض كتب المنطق أجابه بقصيدة نختارها مايلي :

قلت ذا العلم من بعد الرسوخ به	واعتضت بالذكر منه غير مغبون
ما فيه إلا عبارات مزخرفة	أتى بهن ابن حزم في التباين
كم من فتى منطقي الذهن ما خطرت	بالبال منه اصطلاحات القوانين
وكم فتى منطقي كافر نجس	كالكلب بل هو شر منه في الهـ ^(٧) ون

(١) ترجيح اساليب القرآن لابن الوزير : ٩٦

(٢) سورة الاسراء : ٨٥

(٣) سورة الاسراء : ٣٦

(٤) الروض الباسم ج ٢ ص ١٧١-١٧٢

(٥) مجموع الفتاوى ج ١٢ ص ٤٦٠-٤٦١

(٦) مجموع الفتاوى ج ١٠ ص ٣٦٦-٣٦٧ وانظر رد تعارض العقل والنقل ج ١ ص ٤٤-٤٦

(٧) قد سبق ابن تيمية لمعنى هذين البيتين بأوجز عبارة هي : (ان المنطق اليوناني لا يحتاج اليه الذكي ولا ينتفع به البليد .) الرد على المنطقيين ص ٣

يرى وساوس اهل الكفر منقبضة
كذلك الرسل لم يعنوا بذاك الى
بل اكتفوا بالنى فى العقل مع نظر
مع اعتراض شياطين الخصوم لهم
وربما كان فى التدقيق مفسدة
مثل الغلو بأفعال الجوارح كالم
والله اعلم والرسول الأكابر من
وما قال ايضا فى هذا المعنى :

منطق الأولياء والأديان
ولأهل اللجاج عند التماسى
فإنما ما جمعت علم الفريقين
وإذا ما اكتفيت يوما بعلم
إن علم الحديث علم رجال
جمعوا طرق ما تواتر عنه
وروا بعده حسان الأحاديث
وأبناؤنا نقد الرواة بيانا
فانظروا فى مصنف ابن عدى
تقلعوا أنهم قد اعتمدوا النص
واستدلوا بالمسندات العوالى
عملا بالمظنون منها وقطعا
فإذا جئتهم تريدن أمرا
قد رضوا ما رماهم منطقى
فلقاهم عندى أجل الأمانى

منطق الانبياء والقرآن
منطق الانبياء واليونان
مين فكن مائلا الى الفرقان
كان علم المحدث الربانى
ورثوا هدى ناسخ الأديان
وروا بعده صحيح البيان
ث و هو ما دون شرط الحسان
يكشف الغامضات للعميان
وكتاب التكميل والميزان
صح وصحوا من علة الأذهان
فى تفاريع دينهم والبيان
باعتماد المعلوم فى الأديان
شمت هدى المبعوث من عدنان
بهدى أهل بيعة الرضوان
وهو اهم علامة الايمان (١)

هذا وما يجلب على علم الكلام الذم أن يخوض فيه من لا يحسنه ، ولذلك قال شيخ
الاسلام ابن تيمية : (. . .) وقال بعض الناس أكثر ما يفسد الدنيا نصف متكلم ، ونصف
متفقه ، ونصف مطبب ، ونصف نحوى ، هذا يفسد الأديان ، وهذا يفسد البيوتان
وهذا يفسد الأبدان وهذا يفسد اللسان (٢)

(١) الترجيح ص ٤١-٤٢ الروض الباسم لجلد ٢ ص ٢٩٠ - العواصم لجلد ٢ ورقة ١٥٦

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٥ ص ١١٨-١١٩

الفصل الخامس =====

آراء ابن الوزير في الامامة والسياسة -----

وفيه مباحث الآتية :

- تمهيد : وفيه معنى الامامة والسياسة و طريقة الاختيار
- المبحث الأول : إمامة الجائر والخروج عليه مع ابن الوزير و خصومه
- المبحث الثاني : حكم الولاية - في نظر ابن الوزير - لأئمة الجور
- تعليق على المسألة و تحقيقها .

تمهيد وفيه :

معنى الإمامة والسياسة

الإمامة في اللغة : التقدم ، وفي الاصطلاح رئاسة عامة في الدين والدنيا خلافة
عن النبي صلى الله عليه وسلم باستحقاق شرعي لرجل ، لا يكون فوق يده يد مخلوق .
والإمامة العظمى بمعنى الخلافة ، لأن الخليفة كان يسمى إماما ، ولأن الناس يسرون
وراءه ، كما يصلون وراء من يؤمهم في الصلاة .

والسياسة مأخوذة من سست الرعية سياسة : أمرتها ونهيتها ، وفلان مجرب ،
قد ساس ، و سيس عليه : أدب وأدب ، وسوس الرجل أمور الناس إذا ملك أمرهم .

والسياسة : القيام على الشيء بما يصلحه ^(١) ومنه حديث (كانت بنوا إسرائيل
تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي) ^(٢) أى يتولى أمورهم ، كما تفعل الأمراء
والولاة بالرعية .

وقد قسم ابن خلدون الملك الى ثلاثة أقسام : ملك طبيعي ، و ملك سياسي ،
و ملك نبوى فقال : (إن الملك الطبيعي : هو حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة
والسياسى : هو حمل الكافة على مقتضى النظر العقلى ، فى جلب المصالح الدنيوية ،
ودفع المضار .

والخلافة - أى الملك النبوى - هى حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعى ، ففى
مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها ، إن أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع ،
الى اعتبارها بمصالح الآخرة ، فهى فى الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع فى حراسة
الدين ، وسياسة الدنيا به ^(٣)

والكلام فى السياسة يتهيب منه كثير من العلماء والباحثين المعاصرين وغيرهم
والكتاب والسنة مشحونتان بهاء فسورة الانفال والقوة من أولهما الى اخرهما سياسة ،

(١) القاموس ^{للفيروز آبادى} ج ٢ ص ٢٢٢ الصحاح ^{للرهب} ج ٣ ص ٩٣٨ ، ١ لنهاية لابن الاثير ج ٢ ص ٤٢١
تاريخ المذاهب الاسلامية لآبى زهره ج ١ ص ٢٠ شرح الاصول الخمسة لعبد الجبار
ص ٥٠ . العصمة من الضلال للجلال ص ٢٥

(٢) البخارى ج ٤ كتاب الأنبياء باب ما ذكر عن بنى اسرائيل ص ١٤٤ مسلم ج ٣ كتاب

الإمامة باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء ص ١٤٧١ مسند احمد ج ٣ ص ٢٩٧

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ١٩١ وانظر شرح مسلم للنووى ج ٢ ص ٢٣١ تاريخ الاسلام
السياسى ج ١ ص ٤٣٨ لحزب إرهابيين

فيلزم على قول من يترك الكلام فى السياسة حذفهما، فنحن نتقيد بكلام الله تعالى وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام، وكلام السلف الصالح، وما لنا وللسياسة المعاصرة الثورية فذلك ما لا نعتقد، لما تجر من الويلات والنكبات العامة والخاصة كما سيأتى بيانه، فتأمل موقع الكلام، وقد صنف فى السياسة كثير من العلماء منهم الماورى . ٤٥٠ هـ من الشافعية (الاحكام السلطانية) والقاضى ابو يعلى الحنبلى ٤٥٨ هـ صنف كتابا بهذا العنوان، وشيخ الاسلام ٧٢٨ هـ وتلميذه ابن القيم ٧٥١ هـ، فالأول صنف (السياسة الشرعية بين الراعى والرعية) والثانى صنف (الطرق الحكيمة فى السياسة الشرعية) وغيرهم كثير، والذى يهنا إبراز رأى ابن الوزير فى هذه المسألة مع مقارنته بغيره

أهمية الإمامة

لا شك أن الحياة البشرية لا تتأتى إلا بالاجتماع، وهذا يدعو - بالضرورة - إلى المعاملات وسائر قضاء الحاجات، ولا بد أن تمتد الأيدى لأخذ حاجاتها، ولو من يد الغير، لما فى الطبيعة البشرية من الحيوانية، فيحصل الظلم والعدوان بين الناس، ودفاع الانسان عن نفسه و عما فى يده وعرضه من طبيعة البشر، وهذا يؤدى الى التنازع المؤدى الى القتال، وسفك الدماء، وإزهاق الأرواح المؤدى الى إهلاك الحرث والنسل، وهذا مما اوجب الاسلام الحفاظ عليه.

ثم إن إقامة الجمع والجماعات، و جمع الزكوات من الاغنياء لترد على الفقراء والفصل بين الناس فى الخصومات وإقامة حدود الشريعة، وحماية الثغور من اعداء الاسلام، كل هذا وغيره مما يقيم المدنية التى حث الاسلام عليها، لا يمكن إلا بنصب إمام يقوم بهذه الأمور الهامة وغيرها من مصالح المسلمين، تتوفر فيه الشروط على حسب ما سيأتى من البيان، ولكن ما هى الطريقة فى نصب إمام يقوم بهذه المهمة؟ (١)

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا

الطريقة فى اختيار الامام

من المعلوم أن الخلافات معظمها تدور حول الامامة، وهى السبب فى تفريق وحدة المسلمين، قديما وحديثا، ولما للأمامة من الأهمية والمصالح العامة، بدأ بها الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، قبل تجهيز النبی - عليه الصلاة والسلام ودفنه، الا أنهم

(١) انظر التفاصيل فى مقدمة ابن خلدون ص ١٨٧ وما بعدها و تاريخ المذاهب الاسلامية لابی زهرة ج ١ ص ٨٥ وما بعدها .

اختلفوا في وجهات النظر يوم السقيفة المشهور في التاريخ . (١)

١- فمن قائل : إنها ترجع لرأى الأمة في اختيار الامام القادر ، على حراسة الدين ، وسياسة الدنيا ، لا فرق بين قرشى وغيره ، وهذا هو رأى أغلب الأنصار - رضوان الله عليهم - ان أرادوا سعد بن عباد ، و تبعهم جمهور المعتزلة والخوارج لقول النبى صلى الله عليه وسلم - (اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي ذو زبيتين) هذا لفظ البخارى وفي رواية اخرى عن انس : (كأن رأسه زبيبة) (٢) و لفظ مسلم من حديث أبى ذر رضى الله عنه قال : (إن خذ يلى أوصانى أن أسمع وأطيع ، وإن كان عبدا مجدع الأطراف) (٣)

٢- ومن قائل : هى باختيار الأمة أيضا ، ولكن لا تكون ، إلا فى قريش ، وهذا رأى أغلبية المهاجرين - رضوان الله عليهم - و تبعهم عامة اهل السنة ، وعلى رأسهم الامام احمد بن حنبل لحديث ابن عمر مرفوعا : (لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى منهم اثنان) .

هذا لفظ البخارى ، و لفظ مسلم : (ما بقى من الناس اثنان) (٤)

ولحديث : (الأئمة فى من قريش ما إذا استرحموا رحموا وإذا حكموا عدلوا ، وإذا عاهدوا وفوا) (٥)

٣- ومن قائل : إن الاولى بها قرابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفى مقدمتهم على بن أبى طالب رضى الله عنه لسابقته بالاسلام ، وحسن بلائه فيه ، ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم - له لما خذفه على أهله فى غزوة تبوك : (أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي) (٦)

(١) انظر التفاصيل فى السيرة النبوية ابن هشام ج ٢ ص ٦٥٦ وما بعدها والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٤٨٦ وما بعدها تحقيق مصطفى عبد الواحد بيروت ١٣٩٥ هـ والبداية والنهاية لابن كثير ج ٥ ص ٢٨٥-٢٨٩ بيروت وفتح البارى ج ٧ ص ٣٢ والصواعق لابن حجر المكي ص ١٠١-١٠٢

(٢) البخارى ج ١ كتاب الأذان باب إمارة العبد ص ١٧٠ ج ٨ كتاب الأحكام باب بالسمع والطاعة للامام ١٠٥

(٣) مسلم ج ٣ كتاب الامارة باب وجوب طاعة الامراء ص ١٤٦٧

(٤) متفق عليه البخارى ج ٨ كتاب الاحكام باب الامراء من قريش ص ١٠٥ و مسلم ج ٣ ، كتاب الامارة باب الناس تبع لقريش ص ١٤٥٢

(٥) مسند احمد ج ٣ ص ١٢٩ ج ٤ ص ٤٢١ . قال الحافظ : إنه جمع طرقه عن نحو اربعين صحابيا كذا فى فتح البارى ج ٧ ص ٣٤ ج ١٣ ص ١١٩ وانظر كتاب السنة للامام احمد بن حنبل مع الرد على الجهمية ص ٧١

(٦) البخارى ج ٤ باب مناقب على بن أبى طالب ص ٢٠٨ و مسلم ج ٤ فضائل على ص ١٨٧٣ وسنن الترمذى بتحفة الاحوذى ج ١٠ مناقب على ص ٢٣٥ وابن ماجه ج ١ ، المقدمة ص ٤٥ و مسند احمد ج ١ ص ١٧٠ وتهذيب خصائص الامام على للنسائى ص ٢٤ تحقيق



و هذا رأى الأغلبية من بنى هاشم ومن شايعهم، ومن بعد هم عامة الشيعة، ومنهم الزيدية
وهى فى على ولديه - عندهم - بالنص، وفى ذريتهما من بعدهما، لكن عن طريق
الدعوة، مع عدم المنازع، وبالخروج مع وجوده، فتحصل البيعة من الاكثرية بعد ترشيحه
من ذوى الحل والعقد (١)

والدليل على أن هذا كان رأى على رضى الله عنه وأشياعه قوله لأبى بكر - رضى الله
عنه - أثناء تبادل المعانير والعتاب لما طلب على الاجتماع فى بيته بالصديق وحده، و
بعد وفاة السيدة فاطمة رضى الله عنها بنت النبى عليه الصلاة والسلام، فقال على
لأبى بكر رضى الله عنهما: (. . . وكنا نحن نرى لنا حقا، لقرابتنا من رسول الله - صلى
الله عليه وسلم) (٢) ثم قالها على رضى الله عنه فى اليوم الثانى على المنبر أثناء تجديد
البيعة لأبى بكر رضى الله عنه.

وقد اخرج الشيخان (٣) القصة بكاملها، وفيها: أن كلا منهما اعترف بفضل الآخر
وفيه دلالة على إنصاف كل منهما، وأن قلوبهما متفقة على تبادل الاحترام والمحبة،
وإن كان الطبع البشرى قد يغلب أحيانا، لكن الديانة تأبى ذلك.

قال الحافظ فى الفتح: (وقد تمسك الرافضة بتأخر على عنبيعة أبى بكر، الى
أن ماتت فاطمة، وهذا يانهم فى ذلك مشهور . . . وقد صحح ابن حبان وغيره، من
حديث ابى سعيد الخدرى وغيره، أن عليا بايع أبا بكر فى أول الأمر، وأما ما وقع فى
مسلم عن الزهرى أن رجلا قال له: لم يبايع على أبا بكر حتى ماتت فاطمة قال: لا، ولا
أحد من بنى هاشم، فقد ضعفه البيهقى بأن الزهرى لم يسنده، وأن الرواية الموصولة
عن ابى سعيد أصح، وجمع غيره بأنه بايعه ثانية، مؤكدة للاولى، لازالة ما كان وقع
بسبب الميراث (٤) وفى طريقة اختيار الامام أقوال آخر وتفاصيل ذكرها ابن حزم ٤٥٦ هـ
وابن تيمية، والخضرى، وابو زهرة وغيرهم (٥) لم اذكرها. هذا ولنرجع إلى تكملة الحديث
- باختصار - على نتيجة يوم السقيفة، لما اختطفوا فى اختيار الخليفة بعد رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - فقال الأنصار - وعلى رأسهم سعد بن عباد - مخاطبين المهاجرين

(١) انظر القلائد فى تصحيح العقائد للمهدى المرتضى ضمن مقدمة البحر الزخار ص ٩١-٩٤

(٢) متفق عليه من حديث عائشة رضى الله عنها البخارى ج ٥ كتاب المغازى باب غزوة

خير ص ٨٢-٨٣ و مسلم ج ٣ كتاب الجهاد باب لا نورث ص ١٣٩٠

(٣) انظر المصدرين السابقين الجزء والصفحة بالذات وانظر التفاصيل فى الفصل

لابن حزم ج ٤ ص ١٠٩

(٤) فتح البارى ج ٧ ص ٩٥ وانظر الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمى ص ١٤-١٥

(٥) انظر الفصل لابن حزم ج ٤ ص ١٠٧-١١٠ و مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٣٥ ص ٤٧،

وما بعدها واتمام الوفاء للخضرى ص ٦-٧ و تاريخ المذاهب الاسلامية لأبى زهرة

ج ١ ص ٢٥-٨٩

منا أمير ومنكم أمير، فقال المهاجرون : - وعلى رأسهم ابوبكر الصديق ، منا الأمرء ومنكم الوزراء ، وغير ذلك من الاختلاف ، ثم حسم الصديق هذا الاختلاف بأن العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لقريش ، وأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (الأئمة من قريش) (١) فاذنعت الأنصار ، وعلى رأسهم سعد بن عباد ، وقال ، مخاطبا أبابكر : صدقت ، نحن الوزراء وأنتم الأمرء) (٢)

كما شارك في حسم الموقف عمر بن الخطاب ، لما سبق الى بيعة الصديق ، فتزاحم الناس على البيعة له حتى كاد يهلك بعضهم بعضا ، وتمت البيعة - ولله الحمد - لأبي بكر بالاختيار ، ثم تولى الخلافة بعده عمر ، ثم عثمان ، ثم علي ، ثم ابنه الحسن رضى الله عنهم اجمعين ، وهذه هي الخلافة النبوية ، أما بعدها فملك عضوض ، وإلى ذلك الإشارة بقوله - صلى الله عليه وسلم - (الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك) (٣) وفي رواية (ثم تكون ملكا عاضا) (٤) غير أنها لم تصل الى الرابع إلا وهي مشقة بالجراح ، متطخه بالدماء مثقلة بالاضطرابات فاشتدت المحن وكثرت الفتن وكانت كارثة صفين والجمل وهي الفتن التي اخبر بها الرسول عليه الصلاة والسلام ولكن الفيصل في ذلك حديث أبي سعيد الخدري مرفوعا : (. . . ويح عمار تقتله الفئة الباغية ، يدعوههم الى الجنة ، ويدعونهم الى النار) هذا لفظ البخاري ولفظ مسلم من حديث أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار : (تقتلك الفئة الباغية) وفي سنن الترمذي : (أبشريا عمار تقتلك الفئة الباغية) (٥) وينطبق على الفتنتين قوله تعالى : (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احدهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تنفى الى أمر الله) (٦) فسمى الله الجميع مؤمنين .

ولا حاجة بنا الى مثل هذا الذي يد من القلوب والله المستعان ، أما مروق الخوارج فهو اشهر من أن يحتاج الى دليل .

ثم إنه يستفاد من خلاف الصحابة - رضى الله عنهم اجمعين - في اختيار الخليفة ،

(١) سبق تخريجه قريبا ص ٥٤٧

(٢) انظر التفاصيل في السيرة النبوية ابن هشام ج ٢ ص ٦٥٦ وما بعدها والبدائية والنهاية لابن كثير ج ٥ ص ٢٤٥-٢٤٧

(٣) سنن أبي داود يعون المعبود ج ١٢ ص ٣٩٩ و سنن الترمذي بتحفة الاحوذى ج ٦ ص ٤٧٧ وقال : (وفي الباب عن عمر وعلي قالا : لم يعهد النبي صلى الله عليه وسلم في الخلافة شيئا .) وقال ايضا هذا حديث حسن .

(٤) مسند احمد ج ٤ ص ٢٧٣ ج ٥ ص ٢٢٠-٢٢١

(٥) البخاري ج ١ كتاب الصلاة باب التعاون في بناء المسجد ص ١١٥ ج ٣ كتاب الجهاد باب مسح الغبار عن الناس ص ٢٠٧ و مسلم ج ٤ كتاب الفتن باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل . . . ص ٢٢٣٢ وقد سقط من طبعة استانبول تركيا في ج ١ من كتاب الصلاة قوله : (تقتله الفئة الباغية) ومثبه في ج ٣ كتاب الجهاد وهي ثابتة في فتح الباري ج ١ ص ٥٤١ وانظر سنن الترمذي بتحفة الاحوذى ج ١٠ ص ٣٠١

(٦) سورة الحجرات : ٦

أنه لو كان عند أحد منهم نص من النبي - صلى الله عليه وسلم - على تعيين أحد للخلافة بعينه لما اختلفوا ، ولا تفاوضوا ، فإن الانصار لما سمعوا النص على قريش أذعنوا .

و هذا هو مذهب جمهور اهل السنة والجماعة كما هو المشهور .

حكم الامامة

لا خلاف في وجوبها ، بل أجمعت الصحابة بعد أن لحق الرسول - عليه الصلاة والسلام - بالرفيق الأعلى ، على وجوب إقامة الخليفة قبل تجهيزه - صلى الله عليه وسلم - لأنه لا بد للناس من إمام يخلفه في حمل الكافة على اتباع ما جاء به ، و ليقف الناس كل عند حده فيتساوى أمام الحق ضعفاؤهم ، وأقرباؤهم ، وشرفاؤهم ، ووضعاؤهم .

وقد تابع الصحابة جميع المسلمين ، ولم يشذ عن الا جماع إلا النجدات (١) من الخوارج والأصم من المعتزلة ، وخلافهم هذا لا يعتد به كما قرره ابن حزم وغيره (٢)

وإنما الخلاف هل وجوبها بالشرع او بالعقل؟ ذكر هذا الخلاف الماوردي ، والمرضى الزبيدي وغيرهما .

وقد ذكر الماوردي الأدلة ومناقشتها ، ولم يرجح شيئا .

ومن قال بوجوبها بالشرع أبو يعلى ، وعلل ذلك بأن العقل لا يعلم به فرض شيء ولا إباحته ، ولا تحليل شيء ولا تحريمه . (٣)

اما ابن الوزير فقد ذكر الخلاف وأدلته مستقصاة مع مناقشتها في كتابه (الحسام المشهور في الذب عن الامام المنصور) خ صنعا ، فليراجعه من شاء .

وقد رجح أنها حسنة عقلا ، بل واجبة عقلا ، ولذلك فزع العقل الى الرياسة قبل الشرع ، والصحابة رضوان الله عليهم الى الخلافة بعد وفاة النبي - عليه الصلاة والسلام - من غير نص لما في النظر من الضرورة إليها (٤) ولما في طباع العقلاء من التسليم لزعمهم

(١) فرقة من الخوارج اتباع نجده بن عمير الحنفي القائم باليما م كما في الفصل (١٦) من ص ١٦
(٢) انظر الاحكام السلطانية للماوردي ص ٥١ راجعه دكتور محمد فهمي الناشر المكتبة التوفيقية والأحكام السلطانية لأبي يعلى الحنبلي ص ١٩ تحقيق محمد حامد الفقى بيروت دار الفكر ط الثالثة ١٣٩٤ و مراتب الا جماع لابن حزم ص ١٤٤ بيروت دارالافاق الجديدة ط الاولى ١٩٧٨ م وإتمام الوفاء للخضرى ص ٥١ دارالاتحاد العربى للطباعة بدون تاريخ ، وتاريخ المذاهب الاسلاميه لأبي زهرة ج ١ ص ١٠ وما بعدها والصواعق المحرقة لابن حجر المكي ص ٧ ، والفصل لابن حزم ج ٤ ص ١٠٦ وما بعدها واتحاف السادة المتقين للمرضى الزبيدي ، ج ٢ ص ٢٢٢

(٣) انظر الأحكام السلطانية لأبي يعلى ص ١٩

(٤) انظر التفاصيل في الحسام المشهور لابن الوزير خ مكتبة جامع صنعا الغربية ورقة

١١٣ وما بعدها م ٩٦ - ١١٩

يمنعهم من التظالم ويفصل بينهم في التخاصم ، ولولا الولاة لكانوا فوضى مهملين وقد قال الأفوه وهو شاعر جاهلي :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا (١)

وعند بعض الزيدية واجبة بالسمع ، وعند البعض الآخر بالعقل والسمع ، وكذلك المعتزلة . (٢)

والظاهر أن كفة القائلين بوجوبها بالشرع ثقلية ، بعموم الأوامر ، بطاعة أولى الأمر ، في الكتاب والسنة ، وبالإشارات الواردة في خلافة أبي بكر - رضي الله عنه - ، ولعل كفة الجامعين بين العقل والشرع أثقل ، لأن مبدأ الرياسة في الجاهلية أقره الاسلام على نظامه . والله اعلم .

شروط الإمامة

قد قارنت بين كثير من كلام الفقهاء في شروط الإمامة ، فوجدتها - وإن اختلفت بعض الألفاظ - تكاد تكون متفقة وإليك بعض نصوصهم :

فعند الحنابلة يشترط في الإمام ما يلي :

١- أن يكون قرشيا من الصميم ، قال أبو يعلى (: قال أحمد : لا يكون من غير قريش خليفة)
٢- أن تتوفر فيه شروط من يصلح للقضاء ، وهي الحرية ، والبلوغ ، والعقل ، والعلم والعدالة .

٣- أن يكون قيما بالحرب ، والسياسة ، وإقامة الحدود ، ولا تلحقه رافة في ذلك ، والذب عن الأمة .

٤- أن يكون أفضل الناس في العلم والدين .

٥- أن يكون سليم الحواس . (٣)

وعند القاضي عياض المالكي ، لا يصح نصب الفاسق ابتداء كما في شرح مسلم للنووي (٤)

وعند الشافعية أن يكون مكلفا مسلما عدلا حرا ذكرا عالما ، مجتهدا ، شجاعا ، ذاريا

(١) الاحكام السلطانية للماوردي ص ٥ وانظر البيت المذكور في ديوان الأفوه الاودي ضمن الطرائف الادبية جمع و تصحيح عبدالعزيز العيمن ص ١٠ ط بيروت -

(٢) انظر الارامة في عقائد الزيدية ص ١٩ صورة عن دار الكتب المصرية عقائد تيمور رقم ٢٩٢ واتحاف السادة المتقين للزيدى ج ٢ ص ٢٢٢

(٣) انظر الاحكام السلطانية للقاضي أبي يعلى ص ١٩-٢٠

(٤) شرح مسلم ج ١٢ ص ٢١٩ ومقدمه لابن خلدون ص ١٩٣

وكفاة، سميحاً بصيراً، ناطقاً، قرشياً (١) خلافاً للزيدية من الشيعة، والعترة، فإنهم يشترطون أن يكون الإمام علويًا فاطميًا، مع موافقتهم في سائر الشروط. (٢)
وقد استوفى الكلام على هذا الحافظ في الفتح، (٣) فلا نطيل الكلام فيه.

وقد سبقت الإشارة إلى هذا في فصل (١ لزيدية) دليلهم على إمامة علي رضي الله عنه حديث: (من كنت مولاه فعلى مولاه) (٤) وحديث: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى) إلا أنه لا نبي بعدي (٥)

وجه استدلال الشيعة من الحديث الأول، أن المولى بمعنى المتصرف، وعلى يستحق التصرف في كل ما يستحق الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - التصرف فيه، ومن ذلك أمور المؤمنين فيكون إمامهم،

وأجيب بأنه لا يستقيم أن تحمل الولاية على الإمامة التي هي التصرف في أمور المؤمنين، لأن المتصرف المستقل في حياته - صلى الله عليه وآله وسلم - هو هو لا غيره، فيجب أن تحمل المحبة والولاية في الإسلام (٦) وبالجملة فلإمامة علي - رضي الله عنه - ثابته عند بعض الزيدية بالنص والوصية، وعند بعضهم بالوصف ومن قال بالوصية صاحب الجامع (٧) الكافي المعتمد في فقه الزيدية، والإمام يحيى بن حمزة في الرسالة الوازنة (٨)

أما دليلهم على إمامة الحسين فحديث: (الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا وأبوهما خير منهما) (٩)

وقد ثبت لدى الزيدية كما قال صاحب الزيادات (١٠): (ثبت بالاجماع أن مراعاة المنصب

(١) شرح المذهب للنووي ج ١٧ ص ٥٥٥ والأحكام السلطانية للماوردي ص ٦

(٢) مصباح العلوم المعروف بالثلاثين مسألة للرصاص ص ٢٢-٢٣ والأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٧٥٢

(٣) فتح الباري لابن حجر ج ١٣ ص ١١٨

(٤) سنن الترمذي بتحفة الأحوزي ج ١٠ ص ٢١٥ وقال الترمذي حديث حسن صحيح

(٥) البخاري ج ٤ باب مناقب علي بن أبي طالب ص ٢٠٨ ومسلم ج ٤ باب فضائل علي ص ١٨٧٣ وسنن الترمذي بتحفة الأحوزي ج ١٠ مناقب علي ص ٢٣٥ وسنن ابن ماجه ج ١، المقدمة ص ٤٥ ومسند أحمد ج ١ ص ١٧٠

(٦) انظر تحفة الأحوزي ج ١٠ ص ٢١٥-٢١٦ مصباح العلوم المعروف بالثلاثين مسألة للرصاص ص ٢١-٢٢

(٧) لمحمد بن علي الزيدى العلوى خ يوجد بمكتبة جامع صنعاء الغربية ج ٦ ورقة ٣٢٨ رقم ١٣٠ فقه

(٨) ص ٣٢

(٩) شرح الثلاثين مسألة للسحولي - الإمامة في عقائد الزيدية ولم اجد سنداً لهذا الحديث في كتب الزيدية ولا متنافي غيرها - حسب علي - فتعذر الحكم عليه.

(١٠) للمؤيدى في مكتبة الغربية جامع صنعاء ورقة ١٣٥ رقم ١٣٠ فقه، (ملحوظة) المؤيدى هو أبو القاسم الحسين بن الحسن الهوسبي

شرط في الإمامة وقد ثبت بالدليل أن المنصب يجب أن يكون من أفضل المناصب.

و ثبت أن لا منصب أفضل من منصب الحسن والحسين)

لكن الإمام يحيى بن حمزة ذهب إلى أن الاعتقاد للنص على إمامة الثلاثة على الحسين من المسائل المتفق عليها لدى الزيدية (١)

و هذا موضع خلاف بين الزيدية انفسهم كما عرفت.

والآن وقد طال التمهيد لمسألة الإمامة والسياسة فإنه يجدر بنا الدخول في عرض موجز لأفكار ابن الوزير في هذه المسألة/أما من أراد التفاصيل فعليه بمراجعة كتبه (العواصم والقواصم) ومختصره (الروض الباسم) وكتابه (الحسام المشهور في الذب عن الإمام المنصور) ولكن لسائل أن يقول: هل مسألة الإمامة أصولية اعتقادية فتندرج ضمن الاعتقادات أم فقهية ظنية اجتهادية مرجعها كتب الفقه؟

الجواب: إذا رجعنا إلى المراجع الحافلة للفقه فإننا نجد الفقهاء رحمهم الله تعالى جعلوها ضمن مؤلفاتهم وهذا يدل على أنها مسألة فقهية باعتبار شروط الإمامة وحكم الخروج على أئمة الظلم من حيث الجواز والمنع، وما يترتب على ذلك وما يتعلق به من أحكام البغاة والخارجين وغير ذلك.

كذلك إذا رجعنا إلى كتب أهل الكلام فإننا نجد أنها ضمن مؤلفاتهم العقدية باعتبار ما تعتقده الشيعة على اختلافهم من النص أو الوصف أو الوصية لعلي رضي الله عنه - وما يترتب على ذلك من الموالاة والمعاداة.

والظاهر - والله اعلم - أنها مسألة ذات وجهين، أصولية اعتقادية باعتبار ما سبق ذكره. وفقهية اجتهادية باعتبار ما سبق أيضا، وقد أدخلها المتكلمون أيضا في فقههم لكثرة الكلام فيمن هو الإمام الأعظم بعد النبي عليه الصلاة والسلام وهل هي ثابتة بالنص أو الوصف أو الإشارة وهل هي في قريش أو في العلويين الفاطميين وهل يستحقها الخارج أو القاعد منهم وهل تصح للمفضول مع وجود الأفضل وغير ذلك من التساؤلات حول الإمامة؟

كذلك إذا رجعنا إلى البحث عن الخلاف بين المسلمين في الإمامة فسنجد له مظهرين:

أحدهما على ما وقع من الخارجين على عثمان وعلي رضي الله عنهما، وكالخلافا بين ابن الزبير والأمويين والخوارج أيضا.

وثانيهما علمي وهو الخلاف النظري المتصل بأصول الدين وفروعه ، وهذا الخلاف لم يتجاوز إلى امتشاق الحسام ، وهذا ما ذهب إليه أبو زهرة (١) ويظهر من هذا التقسيم أنه لا علاقة لأحد المظهرين بالآخر ، لأن الخلاف النظري في رأيه لم يتجاوز إلى امتشاق الحسام .

وفي نظري - والله اعلم - أن المظهر العملي هو نتيجة الخلاف النظري الاعتقادي ، وإلا لما حصل الصراع الدموي ، وما الداعي إلى الصراع المسلح إذا ما انغقت الأنظار ؟ !

المبحث الأول : إمامة الجائر والخروج عليه بين ابن الوزير وخصومه

إن ابن الوزير كما دته غالب مصنفاته ردود على خصومه الزيدية المعتزلة ، لا سيما كتابه (العواصم والقواصم) كله ردود على خصومه الزيدية ودفاع عن السنة وحملتها . وقد أفرد مسألة الإمامة والسياسة في الرد على الوهم الثالث والثلاثين من مصنفه المذكور حيث ذكر قول المعتز الزيدي (إن الفقهاء يجوزون إمامة الجائر ، وحكي الإجماع عن ابن بطل أنهم مجمعون أن المتغلب طاعته لا زمة ، ما أقام الجمعات والأعياد والجهاد ، وأنصف المظلوم غالباً ، وأن طاعته خير من الخروج عليه لما في ذلك من تسكين الدهماء وحقن الدماء ، ولذلك قال - صلى الله عليه وآله وسلم - (أطيعوا السلطان ولو عبداً جبشياً) (٢)

ولا يمنع من الصلاة خلفه ، وكذلك المذموم ببدعة أو فسق ، إلى أن قال المعتز : (فإذا كان هذا مذهب القوم عرفت أنهم كانوا مع أئمة الجور الذين قتلوا الأئمة الأطهار وأنهم شيعة الحجاج بن يوسف ، بل شيعة يزيد قاتل الحسين ، لأنهم يعتقدون بغى من خرج على المتغلب الظالم كما صرح به ابن بطل ، ويصوبون قتل الذين يأمرهم بالقسط من الناس لأنهم بغاة على قولهم) (٣)

قلت : وهذا الكلام الأخير هو بيت القصيد عند المعتز

وحاصل رد ابن الوزير في مسألة الإمامة والسياسة يتلخص فيما يلي :

أولاً : بيان أن الفقهاء لا يقولون بأن الخروج على أئمة الجور بغياً ولا إثماً ، كما هو واضح في أقوالهم لوجوه :

الوجه الأول : ما صرح به النووي في الروضه بقوله : (الباغى في اصطلاح العلماء هو

(١) انظر تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة ج ١ ص ١٦-١٧

(٢) هذا معنى حديث رواه البخاري كتاب الأذان باب إمامة العبد ص ١٧٠

(٣) العواصم والقواصم ج ٤ وهم ٣٣ ، الروض الباسم ج ٢ ص ١٨٦

المخالف لإمام العدل ، الخارج عن طاعته ، بامتناعه ، من أدائه^(١) ما وجب عليه أو غيره^(٢) .
والمبتدأ إلى الذهن من لفظ (العلماء) الاستغراق ، وعلما الشافعية ، تدخل
فيه دخولا أوليا ، وهذا نص في موضع النزاع ، فالخارج على إمام الجور ، في اصطلاح
العلماء ، لا ينطبق عليه هذا الكلام ،

قلت : يؤيد هذا ما قاله ابن الهمام الحنفى ٦٨١ هـ : (الباغى في عرف الفقهاء
الخارج عن طاعة إمام الحق) ^(٣)

لكن النووى صرح بخلاف هذا الاصطلاح ، من تحريم الخروج ، على الأئمة ، وإن
كانوا فسقة ظالمين ، بل حكى تحريم ذلك بإجماع المسلمين ، كما حكى إجماع
أهل السنة ، أن السلطان لا ينعزل بالفسق ، وقال :

(وَأما الوجه المذكور في كتب الفقه لبعض أصحابنا ، أنه ينعزل ، وحكى عن
المعتزلة أيضا فغلط من قائله ، مخالف للإجماع .) قال هذا في أثناء شرحه لحديث
عبادة بن الصامت في وجوب طاعة الأمراء ، وفيه (وَأَن لا ننازع الأمر أهله ، قال : إلا
أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان) ^(٤)

فأنت ترى أن ظاهر كلام النووى التعارض بين اصطلاح العلماء الذى ذكره فى
الروضة ، وبين ما ذكره فى شرح مسلم المذكور آنفا من أن الوجه المذكور لبعض
الشافعية ، أن السلطان الفاسق ينعزل هو غلط من قائله ، مخالف للإجماع ولست
أدرى أى المصنفين المتأخر ليكون العمل به ؟

وهذا الإجماع الذى حكاه النووى هو المعتمد عند أهل السنة ، وسيأتى تأكيد
هذا ما سيحكيه الحافظ فى الفتى من إجماع الفقهاء على ذلك ، لكن سيأتى أيضا
ما يخرقه ، أو يخالفه والله المستعان .

الوجه الثانى : أن الكلام ، فى الخروج على أئمة الجور عند الفقهاء من المسائل الظنية
الفرعية التى لا يأتى المخالف فيها ، وللشافعية فى جواز ذلك وجهان معروفان ذكرهما
النووى فى الروضة ^(٥) ؟ ولو كان ذلك حراما قطعا ، كشرب الخمر ، لم يكن لهم فيه

(١) فى الروضة . من أدائه واجب عليه

(٢) روضة الطالبين للنووى ج ١٠ ص ٥٠ . وهذا نص العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٤ ،
الفصل الثانى من الوهم ٣٣ ومختصره الروض الباسم له ج ٢ ص ١٨٦

(٣) شرح فتح القدير على الهداية لابن الهمام ج ٦ ص ٩٩ ط الحلبي ط اولى ١٣٨٩ هـ

(٤) صحيح مسلم مع شرحه للنووى ج ١٢ ص ٢٢٩

(٥) الروضة للنووى ج ١٠ ص ٥٠-٥١ وانظر التفاصيل فى العواصم لابن الوزير ج ٤ وهم
٣٣ ، الفصل الأول .

قولان .

قلت : ولا بى حنيفة قول واحد فى استحباب الخروج ، بل فى وجوبه على أهل الظلم (١)

الوجه الثالث : ان الذهبى صرح فى الكاشف (٢) ، أن الامام زيد بن علي استشهد ، وهذا نص فى موضع النزاع ، فإن الباغي ليس بشهيد اجماعا ، ولم يذكره فى الميزان وعدم ذكره يدل على جلالته ، وعدم القدح فيه .

وقال الذهبى فى الكاشف ايضا : (٣) (الحسين الشهيد عن جده رسول الله - صلى الله عليه وسلم -)

قلت : وقال شيخ الاسلام : (٤) (والحسين رضى الله عنه أكرم الله تعالى ، بالشهادة فى هذا اليوم - أى يوم عاشوراء - وأهان بذلك من قتله أو أعان على قتله ، أو رضى بقتله ، وله أسوة حسنة بمن سبقه من الشهداء ، فإنه وأخوه سيدا شباب أهل الجنة) (٥) وهذا يؤيد ما ذهب إليه ابن الوزير من أن الباغي ليس بشهيد ، فالحسين وزيد ليسا باغيين ، فهما شهيدان ، والقصتان مشهورتان .

وفى موضع آخر قال شيخ الاسلام أيضا : (وأما مقتل الحسين رضى الله عنه ، فلا ريب أنه قتل مظلوما شهيدا ، كما قتل أشباهه من المظلومين الشهداء ، وقتل الحسين معصية لله ولرسوله ، ممن قتله ، أو رضى بذلك ، وهو مصيبة أصيب بها المسلمون ، من أهلهم وغير أهلهم ، وهو فى حقه ، شهادة له ، ورفع درجة ، وعملوا منزلة) (٦)

قلت : وهذا يؤكد ما سبق من أن الحسين ليس باغيا ، بل شهيدا مظلوما ، ومعلوم أنه استشهد فى خروجه على يزيد أمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ، بل بعد إلحاح شديد من أهل العراق ، فلما خرج خذلوه ، بل قتلوه ، فهل فى كلام شيخ الاسلام هذا دلالة على جواز الخروج على أئمة الجور ؟

قد يقال : فيه - على منهج المناطقة دلالة تضمنية ، أو التزامية ، مأخوذة من قوله :

-
- (١) انظر التتكيل لعبد الرحمن المعلمى اليمانى ج ١ ص ٩٣-٩٤ ، تاريخ المذاهب الاسلامية لآبى زهرة ج ١ ص ٤٨
 - (٢) الكاشف فى معرفة من له رواية فى الكتب الستة ج ١ ص ٣٤١ تحقيق عزت على عيسى دارالنصر للطباعة القاهرة ط اولى ١٤٩٢
 - (٣) المرجع نفسه ج ١ ص ١٣٢
 - (٤) ابن تيمية فى مجموع فتاويه ج ٤ ص ٥١١
 - (٥) معنى حديث رواه الترمذى فى السنن مع تحفة الاحوذى وقال حديث صحيح حسن ج ١٠ ص ٢٧٢-٢٧٣
 - (٦) منهاج السنة لابن تيمية ج ٢ ص ٢٤٧

(إنه قتل مظلوما شهيدا) وما فى معناها فى النص الذى قبل هذا ، واذا كان كذلك فسيأتى كلام لشيخ الاسلام يخالف هذا المفهوم إن كان صحيحا - يدل دلالة مطابقة ، وهى مقدمة على التضمنية ، والالتزامية ، كما قرره المناطق .

ثانيا : بيان أن منع الخروج على الظلمة استثنى منه ، من فُحش ظلمه ، وعُظمت المفسدة بولايته مثل يزيد بن معاوية ، والحجاج بن يوسف ، إذ لم يقل أحد ممن يعتد به من الفقهاء بإمامة من هذه حاله ، ومن أشار إلى ذلك ، إمام الحرمين الجوينى ، حيث ذكر ، أن الامام لا يتخلع لنوادير الفسوق بل لمواصلة العصيان ، وظهر العدوان ، والفساد ، وتعطيل الحقوق ، وغير ذلك حيث قال : (وهذا كله فى نوادر الفسوق ، فأما اذا تواصل منه العصيان ، وفشا منه العدوان ، وظهر الفساد ، وزال السداد ، وتعطلت الحقوق ، والحدود ، وارتفعت الصيانة ، وضحت الخيانة ، فلا بد من استدراك هذا الأمر المتفاقم فان أمكن كف يده ، وتولية غيره ، بالصفات المعتمدة ، فالبدار البدار - الى أن قال - وإلا فلا يسوغ التشاغل بالدفع ، بل يتعين الصبر ، والابتهاال إلى الله تعالى) (١).

قلت : وفى هذا الكلام تحفظ واحتياط ، وهو ما يعبر عنه الفقهاء ، بما تقتضيه المصلحة العامة ، فليس هو خروج على إطلاقه ، وإذا كان تغيير المنكر على أئمة الجور يؤدى إلى مفسد عظيمة فتركه أولى ، لما يترتب عليه من سفك دماء وهتك أعراض

أما الامام أحمد بن حنبل فإنه يمنع الخروج على الفسقة مرتكبى المحظورات ، سواء كانت متعلقة بالجوارح أو المعتقدات ، فالمعتصم ، قد دعى الامام احمد ، إلى القول بخلق القرآن ، ومع هذا كان يدعوهم بأمر المؤمنين ، قال أبو يعلى : (ولما اجتمع فقهاء بغداد إليه - أى الى الامام احمد - وقالوا له : هذا أمر قد تفاقم ، وفشا - أى القول بخلق القرآن - فلسنا نرضى بأمرته ، وسلطانه ، فقال : عليكم بالثبوت بقلوبكم ، ولا تخلعوا يدا من طاعة ، ولا تشقوا عصى المسلمين) (٢)

(١) هكذا فى العواصم والقواصم / ج ٤ فى الفصل الثانى من الوهم ٣٣ ، ومختصره الروض الباسم له ج ٢ ص ١٨٧ ، وقد رجعت الى الأصل الذى نقل منه ابن الوزير فوجدته مطولا اختصره ابن الوزير بحذف الجمل الاعتراضية والاستطرادية انظره بكامله فى الغيائى للجوينى ص ١٠٥ - ١١٠ تحقيق عبد العظيم الديب الشئون الاسلامية بقطر ط ١٤٠٠ هـ (٢) الاحكام السلطانية لأبى يعلى ص ٢٠ - ٢١ تحقيق محمد حامد الفقى الحلبي ط ثانية ١٣٨٦ هـ كتاب السنة للامام احمد ص ٧١

و هذا مذهب جماهير أهل السنة من المحدثين والفقهاء وغيرهم ، كما سبق
وستأتى حكاية الاجماع على هذا مع حكاية خرقه او خلافه . وعند احمد بن عيسى بن زيد بن
على ، إن امكن تقويم الظالم لم يخلع ، وإن لم يمكن خلع ، كذا قاله ابن الوزير واستشهد
بجواز الخروج على من فحش ظلمه بخروج الحسين بن على وأصحابه على يزيد ، وبخروج
ابن الأشعث ، ومن معه من كبار التابعين ، والصدر الاول ، على الحجاج ، وابن الزبير ،
وأهل المدينة على بنى أمية ، وزيد بن على على هشام بن عبد الملك ، وأن هؤلاء تأولوا
حديث : (والأ ننازع الأمر أهله) (١) على أئمة العدل ، وأما هؤلاء فقد ملئوا الأرض ظلما
وجورا ، وهذا مذكور فى التاريخ مكشوف ، وقد أيد ابن الوزير استشهاده الآنف الذكر على
جواز الخروج على من فحش جوره بما يلى :

١- ما ذكره صاحب النهاية (٢) من الحديث ولفظه : (فيه أنه ذكر الخلفاء بعده فقال :
أوه لفراخ محمد من خليفة يستخلف عتريف (٣) مترف يقتل خلفى وخلف الخلف .) قال
ابن الوزير : (قال الخطابى : قوله خذ فى يتأول على ما كان من يزيد بن معاوية إلى
الحسين بن على وأولاده الذين قتلوا معه ، وخلف الخلف ما كان منه يوم الحرة
إلى أولاد المهاجرين والانصار) (٤)

هذا وإن ما تتشعر منه الجلود ، وتدمى منه القلوب ، ما وقع بالحسين الشهيد ،
وأصحابه ، وأهله وقعة الحرة ، وما أدراك ما وقعة الحرة ، واستباحة المدينة
ثلاثة أيام بأمر يزيد ، لاجزاه الله خيرا وجالت الخيل فى المسجد النبوى الشريف ،
وراثت وبالت فى الروضة الشريفة ، وترك صلاة الجماعة فيه ، وأكره الناس عقبه بن
مسلم - قائد المعركة - على البيعة ليزيد ، على أنهم عبيد له ، ويحكم فى
دمائهم ، وأموالهم ، وأهلهم ما شاء فلكمه رجل فى البيعة على الكتاب والسنة

(١) طرف من حديث عباده انظر مسلم مع شرحه للنووى ج ١٢ ص ٢٢٨-٢٢٩ وانظر خروج
الحسين وابن الأشعث وابن الزبير وأهل المدينة فى البداية والنهاية لابن كثير
ج ٨ ص ٢٢٠ وما بعدها ج ٩ ص ٣٥ مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٤ ص ٤٩٨ وما بعدها
وهذا أشهر من ان يشار الى مصادره التاريخية .

(٢) النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ج ٣ ص ١٧٨ وانظر مساوى يزيد بن معاوية
فى تهذيب التهذيب لابن حجر ج ١١ ص ٣٦٠-٣٦١ .

(٣) العتريف الغاشم الظالم ، وقيل الداوى الخبيث ، وقيل هو قلب العفريت الشيطان
الخبيث كذا فى نهاية ابن الأثير ج ٣ ص ١٧٨ .

(٤) العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٤ وهم ٣٣ فصل ٢ والروض الباسم له ج ٢ ص ١٨٨

فأمر بقطه ، فضربت عنقه صبرا . (١)

٢- حديث ابى عبيدة مرفوعا : (لا يزال أمر أمتى قائما حتى يثلمه رجل من بنى أمية يقال له يزيد .) (٢)

٣- حديث سفينة مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مرفوعا : (الخلافة فى أمتى ثلاثون سنة ، ثم ملك بعد ذلك . قال سعيد بن جهمان : إن بنى أمية يزعمون أن الخلافة فيهم ، قال : كذبوا بنوا الزرقاء هم ملوك من شر الملوك) (٣)

٤- قول الكيا الهراسى الشافعى ٥٠٤ هـ لما سئل عن يزيد بن معاوية فقال : (إنه لم يكن من الصحابة لأنه ولد فى عهد عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - وأما قول السلف ففيه لأحمد قولان ، تلويح وتصريح ، ولمالك قولان ، تلويح وتصريح ، ولأبى حنيفة قولان تلويح وتصريح ، ولنا قول واحد ، التصريح دون التلويح ، وكيف لا يكون كذلك ، وهو اللاعب بالنزد ، والمتصيد بالفهود ، ومد من الخمر ، وشعره فى الخمر معلوم) (٤)

وذكر ثلاثة أبيات من شعره ، قال ابن خلكان (٦٨١ هـ) : (كتب فصلا طويلا ثم قلب الورقة وكتب اى الهراسى (لو مددت بياض لمددت العنان فى مخازى هذا الرجل) (٥) وقد أفتى أبو حامد الغزالى بما يخالف هذا وهى فتيا مطوله ذكرها ابن خلكان :

(١) انظر التفاصيل المؤلفة فى البداية والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ١٧٢-٢٢٤ فلم تطمئن نفسى فى هذه الوقائع كاطمئنائها لما نقله ابن كثير لما اشتهر به من تحرى الصواب والعدل فالرجل من أئمة الحديث وأهل السلف وانظر جوامع السيرة النبوية لابن حزم ص ٣٥٧-٣٥٨ تحقيق احسان عباسى وناصر الدين مراجعة احمد شاكر ط باكستان والتذكرة فى أحوال الموتى وأمر الآخرة لأبى عبد الله محمد بن احمد بن ابى بكر القرطبى ٦٧١ هـ ج ٢ ص ٧١٠ وما بعدها تحقيق احمد حجازى بيروت دار الكتب العلمية ١٤٠٢ هـ والتنكيل للمعلمى ج ١ ص ٩٤ وسائر كتب التاريخ الاسلامى .

(٢) العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٤ وهم ٣٣ فصل ٢ والروض الباسم له ج ٢ ص ١٨٨ وقال رواء ابو يعلى فى مسنده ، ولم اقف عليه لأنه ما زال مخطوطا ورواه الذهبى فى سير اعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٩ بالسند الذى اوردته ابن الوزير وهو هكذا : روى الوليد بن مسلم عن الازاعى عن مكحول عن ابى عبيدة . والوليد بن مسلم ثقة ومدلس وقد عنعن ثم إن فيه انقطاعا بين مكحول وابى عبيدة فالخبر لا يصح انظر هامش النبلاء . وقال الذهبى : ويرويه صدقه السمين وليس بحجة المرجع ذاته . وقال السيوطى فى تاريخ الخلفاء ص ٩٤ ط بيروت سنده ضعيف ، وقال ابن حجر الهيثمى المكي فى تطهير الجنان مع الصواعق المحرقة له ص ٦٤ شركة الطباعة الفنية القاهرة ١٣٨٥ هـ رجاله رجال الصحيح . وقال ابن الوزير فى العواصم ج ٤ وهم ٣٣ فصل ٢ رجاله متفق على الاحتجاج بهم فى الصحيحين .

(٣) سنن الترمذى بتحفة الاحوذى ج ٦ ص ٤٧٨ وقال الترمذى : هذا حديث حسن ، وسنن ابى داود مع عون المعبود ج ١٢ ص ٣٩٩

(٤) العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٤ وهم ٣٣ فصل ٢ والنص موجود كما اسنده ابن الوزير لصاحبه فى وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ج ٣ ص ٢٨٨ وانظر مروج الذهب للمسعودى ج ٣ ص ٧٧ وما بعدها

(٥) الوفيات ذاتها الجزء والصفحة .

وسياتى دفاع ابن الوزير عن الغزالي ، وفيه ما فيه من التغطية والجدل ، والواقع أنها تخالف كلام الكيا الهراسي تماما ، ولولا التطويل لنقلتها فارجع إليهما إن شئت ، وحاصلها أن يزيد بن معاوية مسلم ، وقتل الحسين لا تعرف حقيقته أصلا ، وإذا كان كذلك وجب إحسان الظن بكل مسلم ، والقتل ليس بكفر ، بل معصية ، وإذا مات القاتل أو الكافر لم تجز لعنته ، ومن لعنه كان فاسقا عاصيا .

هـ- قول الذهبي (٧٤٨ هـ) : (يزيد بن معاوية كان ناصبيا ، فظا غليظا يتناول المسكر ويفعل المنكر ، افتتح دولته بقتل الشهيد الحسين بن علي - رضى الله عنهما - واختتمها بوقعة الحرّة ، فمقتة الناس ، فلم يبارك في عمره ، وخرج عليه غير واحد بعد الحسين - رضى الله عنه - كأهل المدينة وغيرهم) (١)

ثم ذكر الذهبي كلام ابن مطيع أن يزيدا كان يشرب الخمر ، ويترك الصلاة ، ويتعدى حكم الكتاب ، كما ذكر إنكار ابن الحنفية لذلك ، وقال أيضا : (يزيد بن معاوية مقدوح في عدا لته ، ليس بأهل أن يروى عنه ، وقال احمد بن حنبل : لا ينبغي أن يروى عنه) (٢)

والقول بأن الحسين - رضى الله عنه - قتل مظلوما شهيدا ، هو مذهب أهل السنة كما حكاه شيخ الاسلام ابن تيمية ، وعلل تعليقات قيّمة : منها أن الحسين ترك طلب الأمر ، وطلب أن يذهب الى يزيد أو الى الشمر ، أو الى بلده ، فلم يمكنه ، وطلبوا منه ان يستأسر لهم ، وهذا لم يكن واجبا عليه . (٣)

وفى هذا دليل على براءة المحدثين وأهل السنة ، مما افتراه عليهم خصم ابن الوزير من نسبتهم الى التشيع ليزيد وتصويب قتلة الحسين - رضى الله عنه -

قلت : ومن ذلك ما قاله السيوطي : (ولما قتل الحسين وبنو أبيه ، بعث ابن زياد برؤسهم الى يزيد ، فسرققتهم أولا ، ثم ندم لما مقته المسلمون على ذلك ، وأبغضه الناس ، وحق لهم أن يبغضوه) (٤)

وما رماه به المسعودي الشيعي (٣٤٦ هـ) والحافظ السيوطي (٩١١ هـ) من شرب الخمر وإتيانه المنكرات . (٥) والله اعلم .

-
- (١) سير اعلام النبلاء للذهبي ج ٤ ص ٣٧-٣٨ وقد ذكر ابن الوزير كلام الذهبي هذا بحروفه في العواصم ج ٤ وهم ٣٣ فصل ٢
 - (٢) ميزان الاعتدال للذهبي ج ٤ ص ٤٤٠ هذا كلام الذهبي مع انه متهم عند الزيدية بالنصب انظر العلم الشامخ للمقبلي ص ٣٩٥
 - (٣) انظر منهاج السنة لابن تيمية ج ٢ ص ٢٤٨
 - (٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٩٤-١٩٥ وانظر البداية والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ١٩٢
 - (٥) انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٩٥ وانظر مروج الذهب للمسعودي ج ٣ ص ٧٧-٧٩

وما حكاه ابن الوزير عن ابن حزم من أنه عد خروم الاسلام أربعة ، قتل عثمان و قتل الحسين و يوم الحرّة و قتل ابن الزبير في المسجد الحرام ، ولم يعد قتل عمر ولا قتل على منها ، تعظيماً لقتل الحسين ، و اظهار البلوغه في القبح فوق حد الكبائر . (١)

وعلق ابن الوزير على ما سبق بقوله : (واعلم أني لا أعلم لأحد من المسلمين كلاً منا في تحسين قتل الحسين ، و من ادعى ذلك على مسلم لم يصدق ، و من صح ذلك عنده ، فليس من الاسلام في شيء ، وإذا وجد من أحد شيء في هذا فذلك غير بعيد ، ممن لا يعرف بدين ولا علم ، فقد كان مع يزيد جيوش كثيرة ، كلهم على رأيه ، وكذلك جميع الشياطين على كثرتهم يحسنون الفجور والكذب ، وإنما الكلام في نسبة ذلك إلى فقهاء الاسلام وثقات الحفاظ ، كما ادعى الخصم) (٢)

قلت : و مما يؤيد ذلك ما ذكره ابن العماد (٣) الحنبلي (١٠٨٩ هـ) في شذراته من اتفاق العلماء على تحسين خروج الحسين على يزيد و خروج ابن الزبير ، و أهل الحرمين من الصحابة على بنى أمية ، و خروج ابن الأشعث ، و من معه من كبار التابعين ، و خيار المسلمين على الحجاج ، و أن الجمهور رأوا جواز الخروج على من كان مثل يزيد والحجاج و منهم من جاز الخروج على كل ظالم ثم قال بعد ذلك لائماً قتل الحسين : (وعلى الجمة فما نقل عن قتل الحسين والمتحاملين عليه ، يدل على الزندقة ، و انحلال الإيمان ممن قلوبهم ، و تهاونهم بمنصب النبوة ، و ما أعظم ذلك ، ف سبحانه من حفظ الشريعة ، حينئذ ، و شيد أركانها ، حتى انقضت دولتهم ، وعلى فعل الأمويين و أمرائهم حمل قوله - صلى الله عليه وسلم - : (هلاك أمتي على أيدي غلّة من قریش) (٤) قال ابوهريرة : لو شئت ان أقول بنى فلان و بنى فلان لفعلت .)

و قد سبقت الإشارة إلى مراد ابى هريرة هذا في (منهج ابن الوزير العلمي)

و قال التفتازاني في شرح العقائد النسفيه بعد أن حكى الاتفاق على جواز لعن من قتل الحسين أو أمر به ، أو أجازه ، أو رضى به ، قال : (والحق أن رضا يزيد بقتل الحسين ، و استبشاره بذلك ، و إهانته أهل بيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مما تواتر معناه و ان كان تفصيله آحاداً ، فنحن لا نتوقف في شأنه ، و إيمانه لعنة الله عليه وعلى أنصاره و معاونه (٥)

(١) انظر العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٤ وهم ٣٣ فصل ٢ والروض الباسم له ج ٢ ص ١٨٩

(٢) العواصم لابن الوزير ج ٤ وهم ٣٣ فصل ٢ ورقه ٨٠ خ صنعاً

(٣) شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ج ١ ص ٦٨ وما بعدها .

(٤) البخارى ج ٨ كتاب الفتن باب هلاك أمتي ٠٠٠ ص ٨٨ وانظر مراد ابى هريرة في شرح

الحديث نفسه في فتح الباري ج ١٣ ص ٨-٩

(٥) شرح العقائد النسفيه لسعد الدين التفتازاني ج ١ ص ٢٠٢ و ابن العماد الحنبلي نقل

هذا النص عن التفتازاني ، وفيه عبارة (بل في كفره) أي فنحن لا نتوقف في شأنه بل

في كفره و إيمانه) فيحتمل أن تكون في بعض الطباعات ، و يحتمل أن تكون مقحمة على

النص و يحتمل غير هذا والله اعلم بالصواب .

هذا وما قرره ابن العماد الحنبلي من مخالفة إمامه السابق الذكر من صبره على القاتل بخلق القرآن ولم ير الخروج عليه حين طلب منه الفتوى بجوازه ما يدل على ان المسألة اجتهادية ، وبناءً عليه فإنه لا ينبغي لمسلم أن يحط من قدر من خرج من السلف الصالح من أهل البيت وغيرهم على أئمة الجور، فانما فعلوا ذلك باجتهادهم ، ولذلك قال الشوكاني بعد أن رجح عدم الخروج : (ولكنه لا ينبغي لمسلم أن يحط على من خرج من السلف الصالح من العترة وغيرهم على أئمة الجور فانهم فعلوا ذلك باجتهاد منهم وهم أتقى وأطوع لسنة رسول الله من جماعة ممن جاء بعدهم من أهل العلم) (١)

أما ما نسبته خصم ابن الوزير إلى الغزالي من كلام مضمونه : تصويب يزيد في قتل الحسين فقد برأه ابن الوزير من ذلك في كلام طويل في (العواصم والقواصم) ومختصره (الروض الباسم) (٢)

وقد سبقت الإشارة إلى هذا قريباً ، وإنما تكلم - في نظر ابن الوزير - في مسألتين في غير ذلك إحداهما : تحريم اللعن ، ولم يخص يزيد بن معاوية بذلك ، فهو مذنبه في كل فاسق ، وكافر كما في الأذكار (٣) وثانيتهما : القول بأن العلم برضا يزيد ، يقتل الحسين ، متعذر ، وليس في هذا نزاع .

وأما ما ادعاه أبو بكر بن مجاهد المتكلم الطائي ، من الإجماع ، على تحريم الخروج على الظلمة ، فقد رد عليه ابن الوزير بكلام ابن حزم وغيره في جواز الخروج على الظلمة ، بخروج الحسين - عليه السلام - ، وأهل المدينة ، وابن الزبير على يزيد ، وبخروج ابن الأشعث ، ومن معه على الحجاج بن يوسف ، وتا ولو احدث : (الآننازع الأمر أهله) (٤) على أئمة الدين والعدل ، وأن هذا خلاف مشهور ، يعرفه أكثر من الأسواق ، والمخدرات في بيوتهم ، لاشتهاره . وقال القاضي : (قيل إن هذا الخلاف ، كان أولاً ، ثم حصل الإجماع ، على منع الخروج عليهم . . . وحجة الجمهور أن قيامهم على الحجاج ليس لمجرد الفسق ، بل لما غير من الشرع ، وأظهر من الكفر) (٥) وعلق ابن الوزير على هذا بقوله : (وفيه بيان اغتاقهم على تحسين ما فعله

(١) نيل الأوطار للشوكاني ج ٢ ص ١٩٩ ط الحلبي الأخير

(٢) انظر العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٤ الفصل الثاني من الوهم ٣٣ ورقه ٨٠ خ

صنعاء والروض الباسم له ج ٢ ص ١٨٨

(٣) للنووي ص ٣١٥ الحلبي ط رابعة ١٣٧٥ هـ

(٤) متفق عليه البخاري ج ٨ كتاب الفتن ص ٨٧ ، مسلم ج ٢ كتاب الامارة باب وجوب

ملازمة جماعة المسلمين ص ١٤٧٧

(٥) العواصم والقواصم ج ٤ ، الفصل الثاني من الوهم ٣٣ ورقة ٧٩ خ صنعاء والروض

الباسم ج ٢ ص ١٨٨ وانظر تفاصيل حكاية الإجماع والرد عليه في شرح مسلم للنووي

ج ١٢ ص ٢٢٨-٢٢٩ وفيه كلام القاضي عياض بلفظه الا كلمة (أظهر) فهي (ظاهر)

الحسين رضى الله عنه ، وأصحابه مع يزيد وابن الأشعث وأصحابه مع الحجاج ، وأن الجمهور ، قصرُوا جواز الخروج ، على من كان على مثل تلك الصفة ، وأن منهم من جـوَزَ الخروج على كل ظالم . . . ولم يقل مسلم ، منهم ، ولا من غيرهم ، إن يزيد مصيب ، والحسين باغي^(١) ، إلا ما ألقاه الشيطان على السيد - يعنى خصمه - إلى أن قال :

والمقصود أن قتل الحسين ، وأصحابه ، وأهل الحرة ، واستحلال ذلك مما احتج به من كفر يزيد بن معاوية ، لأن حرمة هؤلاء في الاسلام ، كحرمة الزنا ، وسائر الفواحش بل أعظم ، فكما أن من استحل تلك الفواحش يكفر بلا خلاف ، فكذلك هذا^(١)

يؤيد هذا ما ذكره ابن العماد الحنبلى آتفا من أن الجمهور رأوا جواز الخروج على من كان مثل يزيد ، وأنهم استحسنوا خروج الحسين على يزيد ، وخروج ابن الزبير ، وأهل الحرمين على بنى أمية كما سبق قريبا .

ثم إنه ورد في الخبر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : (من أخاف أهل المدينة أخافه الله) .

وفى رواية : (من أخاف أهل المدينة ، فقد أخاف ما بين جنبي)^(٢)

وفى رواية لمسلم : (من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله كما يذوب الطح في الماء)^(٣)

وأورد السيوطى هذا الخبر بلفظ : (من أخاف أهل المدينة أخافه الله ، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) وقال رواه مسلم^(٤) ولم أجده في صحيح مسلم بهذا اللفظ بل هذا اللفظ الذى رواه أحمد في مسنده وزاد فيه : (لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا)^(٥) وأورده ابن كثير من عدة طرق^(٦)

تفصيل الكلام في يزيد بن معاوية

وقد فصل القول في يزيد بن معاوية شيخ الاسلام ابن تيمية حاصله ما يلي :

- (١) العواصم والقواصم ج ٤ ، الفصل الثانى من الوهم ٣٣ ورقة ٧٩ خ صنعاء والروض الباسم ج ٢ ص ١٨٨
- (٢) مصنف عبد الرزاق ج ٩ كتاب الأشربة باب من أخاف أهل المدينة ص ٢٦٥ تحقيق الأعظمى طبع المجلس العلمى ط اولى ١٣٩٢ هـ وصحيح الجامع الصغير للألبانى وجزم بصحته ج ٥ ص ٢٣١ ، المكتب الاسلامى ط الثالثة ١٤٠٢ هـ
- (٣) رواه مسلم في صحيحه عن سعد بن ابى وقاص وغيره ج ٢ كتاب الحج باب من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله ص ١٠٠٧-١٠٠٨
- (٤) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ١٩٥
- (٥) مسند أحمد ج ٤ ص ٥٥-٥٦
- (٦) البداية والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ٢٢٣
- (٧) هكذا فى النص والصواب : باغ كما فى المصباح المنير للفيومى ج ١ ص ٦٤

افترق الناس في يزيد بن معاوية ثلاث فرق ، طرفان ووسط :

أحد الطرفين قالوا : إنه كان كافرا منافقا ، وأنه سعى في قتل الحسين تشفيا وانتقاما من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأخذوا بثأر جده عتبه ، وأخى جده شيبه ، وخاله الوليد بن عتبه ، وغيرهم ممن قتلهم الصحابة رضوان الله عليهم بيد علي - رضي الله عنه - وغيره ، وقالوا تلك أحقاد بدرية ، وآثار جاهلية .

والطرف الثاني : يظنون أنه كان رجلا صالحا ، وإماما عادلا ، وأنه كان من الصحابة الذين ولدوا في عهد النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وحمل على يديه وبرك عليه ، وربما فضله بعض هؤلاء على أبي بكر وعمر وربما جعله بعضهم نبيا ، وهذا قول أهل الضلال ، وكلا القولين ظاهر البطلان .

الطرف الثالث : أنه كان ملكا من ملوك المسلمين ، له حسنات وسيات ، ولم يولد إلا في خلافة عثمان رضي الله عنه - ولم يكن كافرا ، ولكن وقع بسببه ما وقع من مصرع الحسين - رضي الله عنه - وفعل ما فعل باهل الحرّة ، ولم يكن صاحبيا ولا من أولياء الله الصالحين ، وهذا قول عامة اهل العقل والعلم والسنة والجماعة .

ثم افترق هؤلاء ثلاث فرق .

فرقة لعنته ، وفرقة أحبته ، وفرقة لا تسبه ولا تحبه ، وهذا هو المنصوص عن الامام أحمد ، والمقتضيين من أصحابه ، وغيرهم من المسلمين ، واستحسن شيخ الاسلام هذا الأخير .

ولما قيل لشيخ الاسلام أما كان ظالما ؟ أما قتل الحسين ؟ أفلا تلعنونه ؟ أجاب : (نحن إذا ذكر الظالمون كالحجاج بن يوسف وأمثاله نقول كما قال الله تعالى في القرآن (ألا لعنة الله على الظالمين) (١) ولا نحب أن نلعن أحدا بعينه ، وقد لعنه قوم من العلماء ، وهذا مذاهب يسوغ فيه الاجتهاد ، لكن ذلك القول أحب إلينا وأحسن وأما من قتل الحسين ، أو أعان على قتله ، أو رضى بذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا .) (٢)

وفي أثناء كلامه على حمل رأس الحسين إلى يزيد بن معاوية ، وأنه نقل عنه أنه قال : لقد كنت أرى من طاعة أهل العراق بدون قتل الحسين ، وأنه أكرم أهله ، وأنزلهم

(١) سورة هود : ١٨

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٤ ص ٨٧ ومنهاج السنة له ج ٢ ص ٢٤٦-٢٤٧

منزلا حسنا ، قال بعد ذلك :

(لكنه مع هذا لم يُقم حدّ الله على من قتل الحسين - رضى الله عنه - ولا انتصر لسه ، بل قتل أعوانه لا إقامة ملكه وقد نقل عنه أنه تمثل فى قتل الحسين بأبيات تقتضى من قائلها الكفر الصريح كقوله :

لَمَّا بَدَتْ تِلْكَ الْحُمُولُ وَأَشْرَفَتْ تِلْكَ الرُّؤُوسُ إِلَى رَبِّى جَبَّيْرُونَ
نَعَقَ الْغُرَابُ فَقُلْتُ نَحْ أَوْ لَا تَنْحَ فَلَقَدْ قَضَيْتُ مِنَ النَّبِىِّ دِيُونِى

و هذا الشعر كفر^(١)

قلت : وليس فى كلام شيخ الاسلام هذا ما يدل على جواز الخروج على أئمة الظلم ، ولا عدمه ولكن سيأتى رأيه فيما بعد ، والغرض من إيراد كلامه هذا تأييد كلام ابن الوزير ومن معه من العلماء السابق ذكرهم من أن الحسين - رضى الله عنه - لم يكن باغيا ، وأنه قتل مظلوما شهيدا ، ومن كان كذلك فقاتله ظالم ، وهل سجل التاريخ الاسلامى قاتل الحسين غير يزيد ؟ وقد سبق تصريح ابن تيمية وغيره بشهادة الحسين وأن له أسوة بمن سبقه

ثالثا : ان ابن الوزير قال : (إن السيد - يعنى خصمه - جهل موضع الخلاف بيننا وبين الفقهاء فى هذه المسألة فإن الفقهاء لم يخالفوا الزيدية فى شرائط الإمامة كلها ، إلا فى النسب ، فمذهبهم فيه كذهب المعتزلة^(٢))

أى كونهم لا يشترطون فى الامام أن يكون علويا فاطميا ، بل يكفى أن يكون قرشيا كما سبق فى ذكر الشروط وهذا هو السبب فى شق عصى الطاعة ، من جمهور الزيدية ، على مرضعتهم المعتزلة - كما سبق فى المقارنة بينهما - فان قيل أين موضع الخلاف بين الفقهاء والشيعة والمعتزلة ؟ فيقال فى موضعين :

أحدهما : ان الفقهاء ذكروا أنه اذا تغلب الظالم ، وغلب على الظن أن الانكار يؤدى الى منكر اكبر من جوره حرم تحريرا ظنيا اجتهاديا ، مختلفا فى صحته ، فلهذا منعوا الخروج على كثير من الظلمة لأجل ذلك .

وما ذهب اليه المعتزلة والزيدية فى النهى عن المنكر يلزمهم موافقة الفقهاء ، لأن النهى عن المنكر عندهم ، لا يحسن متى كان يؤدى الى وقوع منكر اكبر منه - كما سبق فى اصولهم الخمسة والمسألة واحدة .

و هذا كما قال ابن الوزير : (مما لا ينبغى ان يكون خلاف إجماع العترة^(٣) - عليهم السلام -

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٤ ص ٥٠٥ - ٥٠٦ و منهاج السنة له ج ٢ ص ٢٤٦ - ٢٤٧

(٢) العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٤ وهم ٣٣ فصل ٢ ورقة ٣٤

(٣) هل إجماع العترة حجة يجب اتباعها أولا ؟ فيه خلاف ذكره ابن تيمية فى مجموع

فتاويه ج ٢٨ ص ٩٣ و رجع حجيته كذلك إجماع الخلفاء .

بل هذا هو المنصوص في كتبنا. (١) أى كتب العترة.

قلت : وهذا هو الراجح للأحاديث الآتية الدالة على وجوب طاعة السلطان ، وفى بعضها ولو كان جائراً .

وقد أشار المؤيد بالله فى (الزيادات) كما ذكر ابن الوزير - الى اختلاف أهل البيت فى الخروج على الظلمة فقال فى مسائل الاجتهاد : (وكذلك خروج الأئمة مثل زيد بن على - عليه السلام - كان رأيه أن الخروج أولى ، وكان جعفر بن محمد - عليه السلام - رأيه بخلاف ذلك ، حتى كتب إليه بترك الخروج ، ورأى الحسن بن على تركه ، ورأى الحسين بن على خلافه) (٢)

وهذا يدل على ان المسألة اجتهادية عنده ، ولذلك ذكرها فى مسائل الاجتهاد . وفى (الجامع الكافى) (٣) المعتمد فى فقه الزيدية قال محمد بن منصور : قلت لأحمد بن عيسى : (٥) اذا فعل الامام معصية كبيرة تزول عنه إمامته ؟ قال : تزول عنه إمامة الهدى ، ويبقى العقد الذى يثبت من أحكامه ما وافق الحق .

المبحث الثانى : حكم الولاية لأئمة الجور

هذا هو محل الخلاف الحقيقى ، وهو هل يصح أخذ الولاية من أئمة الجور ، على ما يتعلق بمصالح المسلمين ، من القضاء ونحوه ؟ .

وقد وافق الفقهاء على أخذ الولاية ، من أئمة الجور إمام الزيدية المؤيد بالله (٦) ذكره فى (الزيادات) ، والمسألة ظنية ليس فيها نص معلوم اللفظ ، ولا إجماع قطعى - أى جواز أخذ الولاية من أئمة الجور .

وقد تمسك جمهور الفقهاء فى هذا بظواهر الأحاديث الواردة فى طاعة السلطان ، وفى بعضها وإن كان جائراً .

قلت : وهذه الأحاديث الآتية ذاتها ، هى الدالة على منع الخروج على أئمة الجور

(١) العواصم لابن الوزير ج ٤ وهم ٣٣ فصل ٢ ورقة ٣٤-٣٥ والروض الباسم له ج ٢ ص ١٩٥-١٩٦

(٢) العواصم لابن الوزير ج ٤ وهم ٣٣ فصل ٢ ورقة ٣٤-٣٥

(٣) للسيد محمد بن على الزيدى العلوى يوجد خ صنعا

(٤) المرادى علامة العراق والشيعة بالاتفاق - كما تقول الزيدية المتوفى ٢٥٦ هـ

(٥) بن زيد بن على صاحب كتاب (الأمالى) من مراجع الزيدية فى الحديث ويسمى عندهم (علوم آل محمد) اودع فيه مروياته عن آبائه واجداده - توفى ٢٤٧ هـ

(٦) يحيى بن حمزة أحد حكام اليمن ومجتهد فيها توفى ٦٦٩ هـ

والظلم ، واستدلال ابن الوزير بها على جواز أخذ الولاية منهم له وجهته ، إلا أنه فسى هذه المسألة يميل الى المذهب الزيدى الثورى .

وقد سرد فى (العواصم) من الأحاديث الكثيرة ما يدل على طاعة السلطان منها :

١- حديث ابى هريرة - رضى الله عنه - مرفوعا وفيه : (وإنا الامام جنة ، يقاتل من وراءه ، ويتقى به ، فان أمر بتقوى الله وعدل فان له بذلك أجرا وإن قال بغيره فان عليه منه) (١)

٢- وحديث عبادة بن الصامت مرفوعا وفيه : (وألّا تنازع الأمراء أهله الا أن تروا كبرا بواحا عندكم من الله فيه برهان) (٢)

٣- وحديث حذيفة مرفوعا أيضا وفيه : (تسمع و تطيع للأمر ، وإن ضرب ظهرك ، وأخذ مالك) (٣)

٤- وحديث وائل الحضرمى عن أبيه مرفوعا وفيه : (رأييت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ، ويمنعونا حقنا فما تأمرنا ؟ . . . قال : اسمعوا واطيعوا ، فانما عليهم ما حملوا ، وعليكم ما حملتم) (٤) وغير ذلك من الأحاديث الدالة على طاعة السلطان وإن كان جائرا ، هذه الأدلة التى تمسك بها جمهور الفقهاء .

واما المعتزلة والشيعة فاحتجوا بالسمع والرأى ، معارضين للفقهاء فى هل يصح أخذ الولاية من أئمة الجور ؟

أما السمع فبعمومات كقوله تعالى : (قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين) (٥)

أى من كان ظالما من ذريتك لا يناله استخلافى وعهدى إليه بالامامة ، وانما ينال من كان عادلا بريئا من الظلم ، وفى هذا دليل على أن الفاسق لا يصلح للامامة ، وكيف يصلح لها من لا يجوز حكمه ولا تجب طاعته (٦)

(١) البخارى ج ٦ كتاب الجهاد باب يقاتل من وراء الامام ص ٨ و مسلم ج ٣ كتاب الامارة

باب الامام جنة ص ١٤٧١

(٢) البخارى ج ٨ كتاب الفتن ص ٨٧

(٣) مسلم ج ٣ كتاب الامارة ص ١٤٧٦

(٤) مسلم ج ٣ كتاب الامارة باب فى طاعة الأمراء ص ١٤٧٤-١٤٧٥ و سنن الترمذى

بتحفة الاحوذى ج ٦ ص ٤٤٢-٤٤٣

(٥) سورة البقرة : ١٢٤

(٦) انظر الكشف عن حقائق التنزيل و عيون الاقاويل فى وجوه التأويل لمحمود بن عسر

الزمخشري ٥٣٨ هـ ج ١ ص ٣٠٩ دار المعرفة بيروت .

وللفقهاء ان يجيبوا فى هذه الآيه بأجوبة :

أولها: إن الامامة فى الآيه المذكوره هى النبوة لأن ابراهيم - عليه السلام - سأل لذريته
الامامة التى جعلها الله له وهى النبوة .

ثانيها : إن الامامة التى فى الآيه مجتمعة لاحتمال لامامة النبوة ، وإمامة خلافة النبوة .

وأدلة الفقهاء المتقدمه أخص لأنها نصوص فى خلافة النبوة

ثالثها : إن الآيه من شرع من قبلنا ، وقد ورد فى شرعنا ما يخالفها ، والعمل بذلك غير
جائز إجماعاً .^(١)

وسا ترو أدلة المعتزلة والشيعة من هذا القبيل إما دليل صحيح فى لفظه ، لكنه غير
نص ، أو نص غير صحيح ، وأما الرأى فقالوا : الامام راع منصوب للمصلحة ، فإذا كان مهلكا
للرعية مفسدا فى الارض كان المسترعى له كالمسترعى للذئب على الغنم ، ومطفى مشبوب
النيران بالضرر .

وللفقهاء أن يجيبوا عن ذلك بأنهم لم يخالفوا فى جواز اختيار الامام فقد تقدم كلام
القاضى عياض على أنه لا يصح نصب الفاسق ابتداءً ، ولا حرّموا الخروج عليه إلا اذا غلب
على الظن أن المفسدة فى الخروج عليه أعظم من مفسدة ولايته .

وقد اجمع العقلاء على احتمال المضرة الخفيفة ، متى كانت مؤدية الى ما هو اعظم
منها كقطع العضو المتاكل متى غلب على الظن سريانه الى سائر الجسد .

وبهذا كما قال ابن الوزير ، (بان ان الفقهاء قد تمسكوا فى هذا بالنص السمعى
والرأى العقلى)^(٢)

(رحم الله ابن الوزير ، لست ادرى ان هذا منه ميول لمذهب الزيدية الثورى الموافق
لمذهب المعتزلة والخوارج ام اجتهد منه كما هى عادته فى الدعوة الى الاجتهاد والتفكير
من التقليد والتعصب؟)^(٣)

وللشوكانى (١٢٥٠ هـ) بحث قيم يتعلق بهذه المسألة ، ذكره عند تفسير قول الله
تعالى : (ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار)^(٤) .

حاصله : معنى الركون الميل والسكون ، وحقيقة الركون ، الاستناد ، والاعتماد ،

(١) انظر هذا الخلاف فى تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٤٠-٢٤١ فتح القدير للشوكانى

ج ١ ص ١٣٨ والروض الباسم لابن الوزير ج ٢ ص ١٩٦-١٩٧

(٢) الروض الباسم لابن الوزير ج ٢ ص ١٩٧

(٣) سورة هود : ١١٣

(٤) هذه السطور الثلاثة متخمة

والسكون الى الشيء الرضا به، ثم هل الآية خاصة بالمشركون أو عامة؟ وعلى فرض خصوصها، فالعبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب.

وقد وردت الأدلة الصحيحة البالغة عدد التواتر، الثابتة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بوجوب طاعة الأئمة والسلاطين، وفي بعضها، وإن كان عبدا حبشيا، وفي بعضها ما أقاموا الصلاة، وما لم يظهر منهم الكفر البواح وما لم يأمرُوا بمعصية الله، وظاهرها، وإن بلغوا في الظلم الى أعلى مراتبه، فإن طاعتهم واجبة، على كل من صار تحت أمرهم، ونهيهم، في كل ما يأمرُون مما لم يكن في معصية الله تعالى، كالمناصب الدينية ونحوها، إذا وثق الانسان من نفسه بالقيام بما وكل إليه، فذلك واجب عليه، فضلا عن أن يقال جائز له،

وأما ما ورد من النهي عن الدخول في الامارة، فمقيد بعدم وقوع الأمر من تعجب طاعته من الأئمة، جمعا بين الأدلة، أو مع ضعف الأمور عن القيام بما أمر به، كما ورد التعليل بذلك.

وأما مخالطتهم، والدخول عليهم، لجلب مصلحة عامة، أو خاصة، أو دفع مفسدة عامة أو خاصة، مع كراهية ما هم عليه من الظلم، وعدم ميل النفس اليهم، ومحبتها لهم، وكراهية المواصلة لهم، لولا جلب تلك المصلحة، أو دفع تلك المفسدة، فعلى فرض صدق معنى الركون، فهو مخصص بالأدلة الدالة على مشروعية جلب المصالح، ودفع المفاسد والأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، ولا تخفى على الله خافية.

وبالجملة فمن ابتلى بمخالطة من فيه جور، فعليه أن يزن أقواله، وأفعاله، وما يأتي وما يذر، بميزان الشرع، فإن زاغ عن ذلك (فعلى نفسها تجنى براقش^(١)) ومن قدر على الفرار منهم قبل أن يؤمر من جهتهم بأمر يجب عليه طاعته، فهو الأولى له، والأليق به، ومقتضى التقوى، هو الاجتناب عنهم بالكلية، (أليس الله بكاف عبده)^(٢)

أقول: هذا الكلام صادر من الشوكاني، عن علم وخبرة، فقد تولى رئاسة القضاء العام في اليمن وعمره ما بين الثلاثين والأربعين، وسمى بقاضى قضاة القطر اليمني، ودرس الأمور دراسة كاملة لكن لا أدري، هل كلامه هذا قبل توليه القضاء أو بعده؟ والله اعلم. ثم إن الفقهاء وإن قالوا بصحة اخذ الولاية من أئمة الجور، فلم يجعلوهم مثل أئمة العدل في جميع الأمور لوجوه:

(١) في مجمع الأمثال: على أهلها بدل نفسها وهو مثل يضرب لمن يعمل عملا يرجع ضرره إليه. مجمع الأمثال ج ٢ ص ١٤-١٥

(٢) سورة الزمر: ٣٦ وانظر فتح القدير للشوكاني ج ٢ ص ٣٠-٣١

- ١- إنهم نصوا على اشتراط العداله والعلم فى الامام
- ٢- إنه يحرم نصب الامام الجائر عند هم والرضا باختياره
- ٣- إنه يحرم على الجائر التغلب على الامامة و يَأْثَمُ بِهَا .
- ٤- إن الخارج على الجائر لا يكون باغيا كما سبق .
- ٥- إن بعضهم منع من تسليم بيت المال اليه على سبيل الاختيار .

وبهذا يتبين غلط المعترض على الفقهاء حيث ظن أنهم يصوبون أئمة الجور فى قتلهم الذين يأمرهم بالقسط من الناس، بل نظروا فى المصالح العامة والخاصة، وعلموا بمقتضى قواعد الشريعة فى رعاية المصالح، فانه لا يشك من تأمل أن أكثر الاقطار الاسلامية قد غلب عليها أئمة الجور من بعد انقراض عصر الصحابة، ولا شك أن فى أقطار المملكة الاسلامية من المسلمين عوالم لا يحصون، ولا شك أنهم لو تركوا هملا لا تقام فيهم الحدود ولا يقضى فيهم بحق، ولا يجاهد فيهم الطفافة، ولا يؤدب منهم العصاة، لغشا الفساد وتعطلت الاحكام.

وقد علمنا على الجملة أن الله تعالى أراد باقامة الحدود زجراً لأهل المعاصى، وأراد بالجهد حفظ حوزة الاسلام، وإرغام أعدائه، فمتى توقفت هذه المصالح على شرط وتعذر تحصيله لم يعتبر ذلك الشرط، نظير ذلك نكاح المرأة بغير إذن وليها متى غاب أو بعد مكانه أو جهلت حياته، فقد ترك كثير من العلماء شرط العقد المشروع - وهو رضى الولي - لأجل مصلحة امرأة واحدة وخوف مضرتها، ومن ذلك تزويج امرأة المفقود والا نتفاع باللقطة بعد تعريفها سنة لأن المال خلق للمنفعة غالباً ونظائر ذلك كثير. (١)

ويتوصل ابن الوزير الى ان أخذ الولاية من أئمة الجور فى ممالك الاسلام - وإقامة الحدود واستخراج الحقوق، والقضا بين الخصوم من اعظم المصالح وأكد الفرائض المهمة فان جواز العمل بالمصالح - ما لم تصادم النصوص - مما اتفق عليه الصحابة ومن بعدهم كزيادة حد الخمر الى ثمانين فى خلافة عمر، وذلك ثابت فى الصحيحين وغيرهما. (٢)

ثم ان ابن الوزير قد صنف كتاباً سماه (الحسام المشهور فى الذب عن الامام المنصور) (٣) وكانت بينه وبين الامام المهدي منافسة على عرش الزيدى فى اليمن وكلاهما من معاصري ابن الوزير وقد تضمن هذا الكتاب المذكور الرد على من وصم الامام المنصور بانه

(١) العواصم ج ٤، الوهم ٣٣ والروض الباسم ج ٢ ص ١٩٩ ومن اراد الاطلاع على تفاصيل مصالح الأنام فعليه بمراجعة قواعد الاحكام فى مصالح الأنام لابن عبد السلام

(٢) البخارى ج ٤ كتاب فضائل الصحابة باب مناقب عثمان ص ٢٠٢-٢٠٣ مسلم ج ٣ كتاب الحدود باب حد الخمر ص ١٣٣١-١٣٣٢

(٣) خ يوجد بمكتبة جامع صنعاء الغربية م ٩٦

غير كفاً للإمامة ، لعدم توفر شروط الإمامة فيه عند الزيدية وأهمها الاجتهاد والنسب فهما في النسب سواء إلا أن الامام المهدي يفوق الامام الناصر بغزارة العلم التي أهلتها للاجتهاد، فقد بلغت مصنفاته ٧٠ مصنفاً أو أكثر.

أما الاجتهاد فقد سبق ذكره عن النووي وغيره وأما النسب ففي قرين باتفاق ما عدى جمهور المعتزلة والخوارج كما سبق في أول هذا الفصل .

وأما الشيعة ومنهم الزيدية فلا بد أن يكون الامام عندهم علوية فاطمية كما سبق و حاصل رد ابن الوزير الذي حرره في حسامه المشهور ما يلي :

١- ان الاجتهاد بل أقله - في نظر ابن الوزير - أمر خفي قد اشتد الاختلاف بين علماء الاسلام في تفسيره وتيسيره أو تعسيره .

وقد اطال الكلام في مسألة الاجتهاد في مقدمة كتابه (العواصم والقواصم) بما فيه الكفاية .

٢- لو كان الاجتهاد شرطاً في الإمامة كما أن الوضوء شرط في الصلاة لقضت العادة بذكرهم له عند بيعة الخلفاء ، ولأنكر على الانصار قطعهم بصلاحية سعد بن عبادة لذلك من غير اشتهاره بفقه ، ولا نقل ذلك من وجه صحيح ولا ضعيف ولا شهير ولا غريب (١)

٣- ان المعتبر في الكتاب والسنة - في نظر ابن الوزير - العدل ، وترك الجور ، لما تواتر في الكتاب والسنة ، في الثناء على الامام العادل ، والذم والوعيد للجائر .

ولم يرد في الكتاب ، ولا في السنة الثناء على الامام العالم ، والوعيد للجاهل ، وإن كان العلم محموداً ، والجهل مذموماً فلم يكن الظالم مذموماً من جهة جهل القبح الذي في الظلم ، ولا جهل الحسن الذي في العدل ، فان حسن العدل ، والتمكن منه ، أمر يستوى فيه ، المجتهد ، والمقلد ، ولذلك تمكن كسرى ، من العدل - مع كفره - حتى جرى المثل فيه بالعدل واشتهر اسمه به ، واختص باسم الطك العادل ، فكيف لا يعرفه ، ويتمكن منه أمراء الاسلام ، ولذلك علق الثناء والوعيد بالعدل ، والذم والوعيد بالظلم (٢)

تعليق على مسألة الإمامة ، والسياسة وتحقيقها

إن مسألة الإمامة ، متشعبة الأطراف ، صعبة المسالك ، وشائكاتها كما عرفت فمنذ يوم السقيفة والخلاف فيها مستمر ، مروراً بقتل عثمان ، وفتنة الجمل وصفين ، وتنازل الحسن عنها ومخالفة أخيه الحسين بالخروج على يزيد ، وكذلك ابن الزبير ، وأهل الحرمين

(١) الحسام المشهور لابن الوزير صنعاً ورقة ١١٠-١١١

(٢) انظر الحسام المشهور في الذب عن الامام المنصور صنعاً ورقة ١١٠-١١١

من الصحابة والتابعين، ومخالفة الجماهير لرأيهم ، وما حصل من الفتن والمصائب والمفاسد ، وسفك الدماء حول الكعبة وحرّة المدينة، بل ما حصل في المدينة المنورة ، وداخل المسجد النبوي الشريف ، وخروج زيد بن علي في عهد هشام بن عبد الملك ، ومن تبعه من العلويين في عهد الأمويين والعباسيين ، وما ترتب على ذلك من المفاسد . أما يميننا فقد نال الحظ الاوفر من المصائب والمفاسد الناتجة عن الامامة والسياسة، منذ أسس الامام الهادي يحيى بن الحسين الدولة الزيدية في اليمن كما سبق بيانه في فصل (الزيدية) وفي الحالة السياسية في عصر ابن الوزير ، بل إلى عصرنا الحاضر في اليمن وغيره ، فهذه الوقائع المعقدة ترشح المسألة لما ذكرت من الصعوبة، كما عرفت بعض الوقائع فيما سبق، فأهل السنة يقولون : الامامة في قریش، والشيعة ومنهم الزيدية يقولون في العلويين الفاطميين ، والمعتزلة والخوارج يخالفون هؤلاء وهؤلاء وهكذا . . .

والفقهاء والمتكلمون يتجاذبون فيها بينهم ، وخصم ابن الوزير يلقي باللائمة على الفقهاء كما سبق وابن الوزير يدافع عنهم ، وغيرهما هذا يحكى الاجماع ، على تحريم الخروج ، وهذا يحكى خرقه ، وهذا يحكى الاتفاق ، وذاك يعارضه بالاختلاف المشهور وهؤلاء يستدلون على تحريم الخروج ، وهؤلاء يحملون ويؤولون ، ويستدلون بخروج بعض الصحابة والتابعين، وبخروج الحسين ، وهؤلاء يستدلون بفعل الحسن ، وبما يترتب على الخروج من المفاسد العظيمة وهكذا وكل هؤلاء المختلفين من أئمة المسلمين وكبار العلماء .

وجدال ابن الوزير وخصمه هو حول نسبة القول الى الفقهاء ، بأنهم يجوزون إمامة الجائر ، وأنهم كانوا مع الجورة الذين قتلوا أئمة أهل البيت عليهم السلام - بل شيعتهم ، لأنهم يعتقدون بغى من خرج على الظلمة ، ويصوبون قتل الذين يأمرون بالقسط من الناس ، كونهم بغاة ، ودفاع ابن الوزير عن الفقهاء بأنهم لا يقولون بأن الخروج على من فحش جوره ، بغيا ولا إثمًا، فالباغى في اصطلاحهم ، هو المخالف لامام العدل ، الخارج عن طاعته .

وهذا لا ينطبق على الجورة - في نظر ابن الوزير - وأن جواز الخروج على من فحش ظلمه ، مستثنى ، كيزيد والحجاج ، لما سبق من الشواهد .

وليس هذا - في نظر ابن الوزير - هو موضع الخلاف بين الزيدية والفقهاء ، لا اتفاق الجميع في شروط الامامة ما عدا النسب ، وإنما هو في تغلب الظالم ، وغلب على الظن ، أن الانكار يؤدي الى منكر اعظم منه .

فالفقهاء منعوا الخروج على كثير من الظلمة لأجل ذلك ، وهذا مذهب المعتزلة والزيدية ، المنبثق عن مبدأ الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، فانهم يشترطون شروطا يتفق بعضها مع مذهب الفقهاء - على حد تعبير ابن الوزير - وعلى حد تعبير بعض الفقهاء -

كما عرفت الخلاف سابقا ، وعليه فليس هذا محل الخلاف .

وإنما الخلاف الحقيقي ، هو هل يصح أخذ الولاية من الظلمة أولا ؟

وقد وافق بعض أئمة الزيدية بعض الفقهاء على جوازها .

وقد سبق ذكر الأدلة للفقهاء والمعتزلة والزيدية ، الشرعية منها والعقلية ، ومناقشتها ،

والفقهاء أو بعضهم ، وإن قالوا بجواز أخذ الولاية ، من أئمة الجور ، فعلى التفصيل

السابق .

وبهذا يتبين غلط المعارض على الفقهاء أو بعضهم حيث ظن أنهم يصوبون أئمة

الجور في قتلهم الذين يأمرهم بالقسط من الناس ، وإنما نظروا في المصالح العامة ،

والخاصة ، وعلموا بمقتضى قواعد الشريعة في رعاية المصالح ، وأن أخذ الولاية من أئمة

الجور ، لاستخراج الحقوق ، وإقامة الحدود ، والقضاء بين الخصوم من أعظم المصالح .

أما مسألة شرط الاجتهاد في الإمام ، فذلك مما لا يوافق عليه ابن الوزير ، لما سبق من

التعليل من أنه قد اشتد الاختلاف في تيسيره وتعسيره ، وترجيح ابن الوزير لصحة

إمامة المنصور على بن صلاح يخالف ما عليه الفقهاء أو بعضهم بل الزيدية من أن الاجتهاد

شرط في الإمامة .

فالإمام المهدي - المنافس للإمام المنصور - على عرش الزيدية في اليمن تدل مصنفاته

البالغة ٧٠ مصنفا ، على أنه بلغ درجة الاجتهاد ، بل البحر الزخار يكتبه . أما الإمام

المنصور ، صاحب ابن الوزير ، فلم أقف له على مصنف واحد ، ولم يذكر له الشوكاني كتابا

واحدا أثناء ترجمته ، كذلك الحبيشي ، لم يذكره في (حكام اليمن المؤلفون المجتهدون)

ولكن الله تعالى أمدّه بالعون والتوفيق ، فقمع الظلمة واشتغل بالمعارف العلمية

وقرب العلماء وكانت خلافته خير أو بركة للبلاد والعباد . (١)

وأما ما ذهب إليه ابن الوزير من تقرير كلام الفقهاء أو بعضهم ، على جواز الخروج ،

على من فحش ظلمه من أئمة الجور فيحمل على ما كان عليه الأمر سابقا ، ممن كان يرى

الخروج سائغا ، ثم لما رأى المسلمون عواقبه الوحشية تقرر بل استقر الأمر على عدم الخروج ،

وصاروا يذكرونه في عقائدهم ، ولذلك أشار شيخ الاسلام ابن تيمية في معرض كلامه على

المفاسد التي ترتبت على القول بالفساد الذي يرى الخروج على أئمة الجور والظلم ، كما

حصل من المفاسد العظيمة في فتنة ابن الزبير وفي الحرة أيام يزيد ، وفتنة ابن الأشعث

في عهد عبد الملك بن مروان وغير ذلك فقال : (ولهذا استقر أمر أهل السنة ، على ترك

(١) انظر البدر الطالع للشوكاني ج ١ ص ٤٨٧ ترجمة الامام المنصور .

القتال في الفتنة للأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
وصاروا يذكرون هذا في عقائدهم ، ويأمرون بالصبر على جور الأئمة ، وترك قتالهم ، وإن
كان قد قاتل في الفتنة خلق كثير ، من أهل العلم والدين ، وباب قتال أهل البغى ،
والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر يشتهر بالقتال في الفتنة (١)

لكن ظاهر كلام ابن الوزير السابق ، لا يتفق مع احتمالي هذا لكلام الفقهاء أو بعضهم
من الاستمرار على عدم الخروج ، يُعرف تأييده لجواز الخروج - وإن لم يصرح به - من تلمسه
للأدلة المقوية له ، والاجتهاد في البحث عنها ، وإن لم يصرح بذلك ، كما هو المتبع فسي
الأسلوب الجدلي ، فهو وإن كان ذكر الأحاديث الدالة على طاعة السلطان ، في (العواصم
والقواصم) ، إلا أنه ناقشها على لسان المعارضين بأسلوب جدلي ، وأنها محمولة على طاعة
أهل العدل والدين ، ولكن تصريح الأحاديث الصحيحة في طاعة الأئمة والسلطان لا يساعد
على هذا الاحتمال ، كيف يحمل قوله - صلى الله عليه وسلم - (تسمع و تطيع لأمر و إن
ضرب ظهرك وأخذ مالك ، فاسمع وأطع) (٢)

أما إذا أمر السلطان بمعصية الله تعالى - فلا سمع ولا طاعة - كما هو ظاهر النصوص.
وقد حكى الحافظ إجماع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان وإن كان متغلبا بقوله :
(وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه ، وأن طاعته خير
من الخروج عليه ، لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء ولم يستثنوا من ذلك إلا
إذا وقع من السلطان الكفر الصريح ، فلا تجوز طاعته في ذلك ، بل تجب مجاهدته لمن
قدّر عليها) (٣) لحديث عبادة بن الصامت مرفوعا وفيه : (وَأَلَّا نَنَازِعَ أَمْرَ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ تَرَوْا
كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بَرَهَانٌ) (٤) هذا حجتهم على الكفر أما حجتهم على الصبر على
الجور والظلمة ، فهو حديث ابن عباس مرفوعا : (من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر
عليه ، فإنه من فارق الجماعة شبرا فمات إلا مات ميتة جاهلية) (٥)

وهذا الإجماع هو الذي احتج به خصم ابن الوزير مستنكرا احتجاج الفقهاء به لأن
مذهب الزيدية أو جمهورهم جواز الخروج أو وجوبه على السلطان الجائر وقد ذكر فسي
أوائل هذه المسألة ، وحكام ابن بطال ، ولم أجده عنه ، بل عن الحافظ ابن حجر

(١) منهاج السنة لابن تيمية ج ٢ ص ٢٤١ وانظر العقيدة الطحاوية شرح و تحقيق الألباني

ص ٤٧

(٢) مسلم ج ٢ كتاب الامارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين ص ١٤٧٦

(٣) فتح الباري ج ١٣ ص ٨ نيل الأوطار للشوكاني ج ٧ ص ١٩٩

(٤) البخاري ج ٨ كتاب الفتن ص ٨٧

(٥) متفق عليه البخاري ج ٨ كتاب الفتن ص ٨٧ مسلم ج ٢ كتاب الامارة باب وجوب ملازمة

جماعة المسلمين ص ١٤٧٧

كما بينته قريبا ويمكن أنه نقله عن ابن بطل من شرح البخارى الذى ما زال مخطوطا - حسب ظنى - ولم يسنده الحافظ الى ابن بطل ، والله اعلم. وقد خرق هذا الاجماع ابن حزم ، وإمام الحرمين ، وابن الوزير وابن العماد الحنبلى ، بل حكى اتفاق العلماء على تحسين ما فعله الحسين .

ويظهر - والله اعلم - ان النكتة التى يهدف المعترض والمجيب اليها ، لم يذكرها الحافظ فى حكايته الاجماع ، وقد سبق ذكرها حاصلها : ان المعترض فرع من الاجماع المذكور ، أن الفقهاء كانوا شيعة الحجاج ، بل شيعة يزيد قاتل الحسين لأنهم يعتقدون ببقى من خرج على المتغلب الظالم ، ويصوبون ، قتل الذين يأمرون بالقسط من الناس لأنهم بغاة على قولهم ، واجابة ابن الوزير المتضمنة عكس هذا ، وأن كلام بعض المحدثين والفقهاء صريح ، فى أن الأمر ليس كذلك ، وأن كلامهم يتضمن استنكارهم ، لما فعله يزيد ، والحجاج ، وأن الحسين وزيدا شهيدان لا باغيان .

وقد رأيت من المستحسن أن أختتم هذه المسألة ، بكلام لشيخ الاسلام ، يتفق مع مبادئ الأطراف المتنازعة فى المسألة ، فيتفق مع مبدأ المعتزلة والزيدية فى الأمر المعروف والنهى عن المنكر ، ويتفق ايضا مع اقوال الفقهاء السابق ذكرها ، أو إجماعهم الذى حكاه الحافظ .

أما المعتزلة والزيدية ، فان النهى عن المنكر عندهم ، لا يحسن اذا كان يؤدى الى وقوع منكر اكبر منه بخلاف الخوارج فانهم لم يتحفظوا .

وأما الفقهاء فللاجماع الذى حكاه ابن حجر ، وحاصل كلام ابن تيمية ما يلى :
(السلطان الجائر اذا قيل بوجوب الخروج عليه ، كما يفعله من يرى السيف ، فهذا رأى فاسد ، فان مفسدته اعظم من مصلحته ، وقل من خرج على امام نى سلطان ، الا كان ما تولد على فعله من الشر ، اعظم مما تولد من الخير ، كالذين خرجوا على يزيد بالمدينة وكابن الأشعث الذى خرج على عبد الملك ، بالعراق ، وغيرهم ، فهزموا ، وهزم اصحابهم ، فلا أقاموا دينا ، ولا أبقوا دنيا ، والله تعالى لا يأمر بأمر لا يحصل به صلاح الدين ، ولا صلاح الدنيا ، وإن كان فاعل ذلك من عباد الله المتقين ، ومن اهل الجنة ، فليسوا أفضل من على ، وطلحة ، والزبير ، وعائشة ، وغيرهم ، ومع هذا لم يحمدا ما فعلوه من القتال ، وهم أعظم قدرا عند الله ، وأحسن نية من غيرهم ، وكذلك اهل الحرة كان فيهم من أهل العلم والدين خلق ، وكذلك اصحاب ابن الأشعث كان فيهم خلق من اهل العلم والدين ، والله يغفر لهم كلهم) (١)

قلت : وقد مدح النبي عليه الصلا والسلام الحسن بن علي - رضي الله عنهما - على ترك القتال وتنازله عن الخلافة حقنا لدماء المسلمين وكان في طاعته جيش كبير قال النسبي عليه الصلاة والسلام ما دحا له (إن ابني هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين) هذا لفظ البخاري ، وفي رواية الترمذي (. . . سيصلح الله علي يديه بين فئتين) (١).

وهذه معجزة من معجزاته - صلى الله عليه وسلم - ، ومنقبة من مناقب الحسن رضي الله عنه ، وإلا فما فائدة المدح بدون ترك القتال ، وأن الذين خرجوا من السلف من أهل البيت ، وغيرهم لا يحط ذلك من قدرهم شيئا لأنهم اجتهدوا وحكمهم حكم المجتهد . وأخيرا إن القائلين ، بوجوب الخروج أو جوازه ، على أئمة الجور ، أدلتهم عمومات من الكتاب والسنة ، في وجوب الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، لكن على ما سبق تقريره ، والصواب مع المانعين ، لأن أدلتهم أخص من العمومات ، وصريحة في طاعة الأئمة والسلطان وقد قرر الحافظ - والشوكاني (٢) أنها متواترة مطلقا وهي إلى التواتر المعنوي أقرب ، فلا ينبغي العدول عنها ، لما تقرر في الأصول ، والله اعلم .

(١) البخاري ج ٣ كتاب ١ لصلح باب قول النبي للحسن - ص ١٧٠ سنن الترمذي بتحفة

الاحوزي ج ١٠ ص ٢٧٧ مسند احمد ج ٥ ص ٤٩

(٢) انظر فتح الباري ج ١٣ ص ٨ ونيل الأوطار للشوكاني ج ٧ ص ١٩٩

الفصل السادس

موقف ابن الوزير من الابتداع والتقليد

معنى الابتداع والتقليد :

- أصل مادة الابتداع - بدع - للاختراع على غير مثال سابق ، ومنه قوله تعالى : (بديع السموات والارض) (١) أى مخترعها على غير مثال سابق .
- وأبدعت الشيء ، وابتدعته استخرجته وأحدثته ، ومنه قيل للحالة المخالفة بدعة وهى اسم من الابتداع ، كالرفعة من الارتفاع ثم غلب استعمالها فيما هو نقص من الدين أو زيادة فيه .
- والابتداع هو اسم الفعل أو الترك لما يخالف الشرع ،
- والبدعة : الحدث فى الدين بعد الاكمال (اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً) (٢) .
- والبدعة : ضد السنة ، وفاعل البدعة يسمى مبتدعاً ، والفعل مبتدعاً .
- وفى صحيح مسلم عن جابر مرفوعاً : (. . . وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة) (٣)
- وقد تكلم الشاطبى فى معنى البدعة والابتداع بما لا يسمع المقام تدوينه وهو كلام مفيد فى بابه من أراد فليراجع . كذلك ابن الجوزى سنة ٥٩٤ هـ قد أجاد وأفاد فى ذم البدع والمبتدعين .
- وأما معنى التقليد فهو : قبول قول الغير دون مطالبة بحجة (٤) .
- والكلام على الابتداع والتقليد يشمل اصول الدين وفروعه ، إلا أن كلام ابن الوزير فى هذا الفصل أكثر ما يندرج بالتكلمين أهل الأهواء الضالة والمقلدين لهم من اتباعهم فى اصول الدين كما سيأتى قريباً إن شاء الله تعالى .

(١) سورة الانعام : ١٠١ .

(٢) سورة المائدة : ٣ .

(٣) مسلم ج ٢ كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة ص ٥٩٢ .

(٤) انظر التفاصيل فى الاعتصام للشاطبى ج ١ ص ٣٦ وما بعدها ط . بيروت والقاموس للفيروز آبادى ج ٣ ص ٣-٤ ، والصاحح للجوهري ج ٣ ص ١١٨٣-١١٨٤ والمصباح

المنير للفيومى ج ١ ص ٤٤ وجامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلى ص ٢٥٢-٢٥٤ الحلبي ط . رابعة سنة ١٣٩٣ هـ والسنن والمبتدعات للشقيرى ص ١٨ وما بعدها المطبعة اليوسفية والقول المفيد فى ادلة الاجتهاد والتقليد للشوكانى ص ١٩ ، تحقيق عبدالرحمن عبدالخالق ، دار القلم ، الكويت ط . اولى سنة ١٣٩٦ هـ ، والبدر الطالع له ج ٢ ص ٩٠ ، وتلبيس إبليس لابن الجوزى ص ١١ وما بعدها .

ثم ان الابتداع في الدين قد صنف فيه المصنفات العديدة كالاغتصام للشاطبي
(تلبيس ابليس) لابن الجوزي (السنن والمبتدعات) للشقيري .
وأحسن ما اطلعت عليه فيما يتعلق بالبدع في اصول الدين كتاب (بيان تلبيس
الجهمية) في بدعهم الكلامية لابن تيمية فقد فندها وردّها بالبراهين
النقلية والعقلية كذلك كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم) فيه الكثير الطيب . ومعلوم
شرعا أن كل بدعة ضلالة ومن أحدث في هذا الدين ما ليس منه فهو مردود، لحديث :
(من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) وفي رواية : (من أحدث في أمرنا هذا
ما ليس منه فهو رد) (١) . وما يحسن التنبيه اليه أن يُعلم أنه لا ينبغي أن يخفى على
أهل الاسلام دين رسولهم الذي بعث إليهم وأقام بين أظهرهم بينه لهم حتى
تواتر ، بين كل شيء حتى كيفية قضاء الحاجة والسواك . والعقائد أولى بذلك لأنه
لا يجوز أن يتجدد للخلق ما لم يكن واجبا على السلف بخلاف الفروع فقد تجدد الحوادث
ويقع للمتأخر فيها ما لم يقع للمتقدمين في ذلك قواعد ومناهج مقررة في اصول
الفقه .

ولكن للسلف - لاسيما الصحابة - معرفة بامور السنة وأحوال الرسول صلى الله
عليه وسلم لا يعرفها أكثر المتأخرين - لأنهم شهدوا التنزيل وعايروا الرسول صلى الله
عليه وسلم ثم إنه ينبغي أيضا على كل عاقل له صلة بالعلم أن يصحح النية ويطرح
العصبية ، ويستعمل النظر بالفطرة التي فطر الله الناس عليها ، ولا يقدم عليها
ما لفته أهل مذهبه فإنه كما قال ابن الوزير : (إذا نظر كذلك في أمرين متضادين
فيما يحتاج إليه يجد ترجيح الحق منهما على الباطل بينا لا يدفع مكشوبا لا يُقنع) (٢) .

وقد أفاض ابن الوزير في قضية الابتداع في الدين ومنشئه ومرجعه ، بل فصل القول
فيه بدقة ، بين فيه أن منشأ معظم البدع التي تسربت إلى أهل الاسلام كلها ترجع إلى
أمرين واضح بطلانها :
أحدهما : الزيادة في الدين بإثبات ما لم يذكره الله تعالى ورسوله عليهم السلام
من مهمات الدين الواجبة .

(*) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٣٢ .
(٢) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها - البخاري ج ٣ كتاب البيوع باب النجش
ص ٢٤ كتاب الصلح باب اذا اصطلحوا . ص ١٦٧ ، مسلم ج ٣ كتاب الاقضية
باب نقض الاحكام الباطلة ص ١٣٤٣-١٣٤٤ ، سنن ابن ماجه ج ١ المقدمة ص ٧ ،
سنن ابى داود مع عون المعبود ج ١ كتاب السنة ص ٣٥٨ .

ثانيهما : النقص منه بنفى بعض ما ذكره الله تعالى ورسله بالتأويل الباطل (١) .

ويلحق بهما كما قال ابن الوزير : (التصرف فيه - اى فى الدين - بالعبارات المبتدعة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يسع ابن الوزير إلحاق التصرف فى الدين بالامرين السابقين على سبيل الاطلاق ، بل ينبه على ذلك بأنه ليس بمرثالث ، ولكنه أفرد به الكلام وحده لطول القول فيه ، وعظم المفسدة المتولدة عنه ، وسيأتى الكلام عليه قريباً ان شاء الله تعالى . ولنذكر أولاً :

الامر الاول : الزيادة فى الدين وهى أنواع :

- ١ - رفع المظنون من العقلية أو الشرعيات إلى مرتبة المعلوم ، وهذا حرام بالاجماع ، كما حكاه ابن الوزير - وإنما يختلف الناس فى التفطن لاسبابه (٢) منها :
- أ - هل الأدلة العقلية الموجبة للتأويل قطعية ام لا ؟
- ب - ومنها أنهم أسرفوا فى التقصير فى علم السمع .
- ج - ومنها أن طائفة من أهل السمع أتقنوه ، ثم نازعهم علماء المعقولات المقصرون فى السمع ، فى نفى الشفاعة للموحدين ، ونفى الرجاء للمذنبين ، وإيجاب خلودهم فى النار مع المشركين ، فظن أولئك الذين أتقنوا ما علموا من السمع أن العلوم العقلية معارضة للسمع الحق فى ذلك ، لشبهة أن معارضيتهم يدعون التحقيق فى المعقولات فعادوا علم المعقول وأهله ، وظنوا أن النظر فيه يستلزم البدعة من غير بد ، ولو نظروا بعين التحقيق لعلموا أن خصومهم إنما اتوا من التقصير فى علم السمع ، وإقلال البحث عنه ، وما شابوا بجدالهم من المعقولات ، فإنهم ادعوا على العقل ما هو برى منه . وفى هذا إشارة الى مذهب المعتزلة فى مرتكب الكبيرة - غير الشرك - من أهل القبلة ، وقد سبق الكلام على ذلك فى الفصل الاول من الباب الثانى . وفى موقف ابن الوزير من اصول المعتزلة والزيدية .
- ومعلوم أن العلوم العقلية الصريحة لا تعارض السمعية الصحيحة ، فقد صنف شيخ الاسلام ابن تيمية مصنفات خاصة بهذا ، منها (درء تعارض العقل والنقل) ومنها (موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول) .

(١) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٨٦-٨٧ .
 (٢) راجع تفاصيل الاسباب فى الصور الأربع التى ذكرها ابن الوزير فى كتابه ايثار الحق على الخلق ص ١١٧-١٢٧ .

٢- أن يُدخل فيه ما لم يكن على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعهد أصحابه - رضی اللہ عنہم - مثل القول بأنه لا موجود إلا الله كما هو قول الاتحادية (١) وأنه لا فاعل ولا قادر إلا الله كالجبرية ، وكالقول بأن لله صفة لم ترد في كتاب الله ولا في سنة رسوله ، ولا هي في أسمائه الحسنى ، وأن معرفة هذه الصفة المختصر اسم لها واجبة ، وهي الصفة الاخص عند بعض المعتزلة (٢) ، ويسونها أيضا صفة المخالفة ، وأنها المؤثر في سائر صفات الكمال الذاتية الأربع ، وهي كونه حيا ، قادرا ، قديما ، عالما ، لا يعلم ، وقدرة ، وحياة ، هي صفات قديمة ، ومعان قائمة به ، وعللوا ذلك بأنه لو شاركته الصفات في القدم الذي هو أخص وأصافه لشاركته في الإلهية (٣) .

أما عند أهل السنة فالصفة الاخص مثل كونه تعالى رب العالمين وأنه بكل شيء عليم وأنه على كل شيء قدير وغير ذلك كما لا يجوز أن يتصف به غيره سبحانه وتعالى . كذلك انفردت به الأشعرية من دوام وصف الله تعالى بالسلام ووجود ذلك في القدم والأبد وجعله مثل صفة العلم ، لا يجوز خلوه عنه طرفة عين وهو خلاف ما ورد به الشرع .

فالشرع ورد بأن الله متكلم ، وأنه كلم موسى تكليما ، ونحو ذلك ، فما زاد عن هذا فهو في نظر ابن الوزير سبغة في الدين قد أدت إلى التفرق المنهى عنه (٤) قال ابن تيمية : (إن الكلابية وأصحاب الأشعرية زعموا أن الله كان لم يزل يتكلم بالقرآن) (٥)

والمأثور عن أئمة الحديث والسنة (أن الله تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء) هذا نص شارح الطحاوية (٦) .

٣- الكذب في الدين عدا ، وهذا كما قال ابن الوزير : (يضر من لم يكن من أئمة الحديث والسير والتواريخ ، ولا يتوقف على نقدهم فيه بحيث لا يفرق بين ما يتواتر عندهم التحقيق وبين ما يزوره غيرهم) (٧) .

(١) الاتحادية نسبة إلى القول بالاتحاد وهو القول بوحدة الوجود فالوجود الواجب للمخلوق هو الوجود الممكن للمخلوق كما يقول ذلك أهل الوحدة كابن عربى وابن سبعين وابن الفارض انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٢ ص ٢٩٤ وعند بعضهم أن وجود الكائنات هو عين وجود الله تعالى المرجع نفسه ص ١٤٠ ج ٨ ص ٧٠٣ .

(٢) عند الشهرستاني هذا ما يعم المعتزلة كما في الملل ج ١ ص ٤٣ والبغدادى والأشعرى لم اجد لهما ما يدل على اجماع المعتزلة على هذا وجمهورهم عند ابن تيمية كما فى التدمرية ص ٤٧ لابن الوزير

(٣) انظر إشار الحق على الخلق ص ١٠٣-١٠٤ والفرق بين الفرق للبغدادى ص ١١٤ ، والملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٤٤

(٤) مجموع الفتاوى ج ٦ ص ١٨٤ (٥) إشار الحق على الخلق ص ١٠٥

(٦) إشار الحق على الخلق ص ١٢٨ (٧) ص ١٨٠

ثم يصف العلاج النافع بقوله : أيضا : (وليس له دواء إلا إتقان هذا الفن والرسوخ فيه ، وعدم المعارضة لأهله بمجرد الدعاوى الفارغة وهو علم صعب يحتاج الى طول المدة ومعرفة علوم الحديث . .) (١) .

٤ - اثبات أهل الاتحاد لما يشتهه المعتزلة أو نحوه ، فإنهم يفرقون بين الله تعالى وبين اسمه الأحد ، فيجعلون الأحد مؤثرا في الله الواحد وفي سائر أسمائه ، ويجعلون الأحد سابقا في رتبة الوجود على الله ، ويجعلون الله في الرتبة الثانية ، والاحد في الاولى ، ويسمون الثانية هم والفلاسفة بأسماء مبتدعة ، منها الحضرة المعنوية والواحدية والأحادية ، وكثيرا ما يفرقون بين الحضرة الأحادية والحضرة الواحدية ، ويعنون بالحضرة الأحادية الوجود المطلق وهو عندهم الحق الذي لا نعت له ولا وصف ، فليس للحق وجود أصلا ، كقول الملاحدة سواء في نفي أسمائه (٦) تعالى .

نكتفي بهذه النماذج من البدع الكثيرة التي ذكرها ابن الوزير فما سبب تلك الزيادات في الدين ؟

- أسباب الزيادات في الدين :

لم أقف لابن الوزير إلا على سبب واحد من أسباب الزيادة في الدين وهو قوله : (سببه تجويز خلو كتب الله تعالى وسنن رسله الكرام - عليهم الصلاة والسلام - عن بيان بعض مهمات الدين اكتفاء بدرك العقول لها ، ولو بالنظر الدقيق ، ليكون ثبوتها بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بطريق النظر العقلي ، هذا مذهب أهل الكلام ، ومذهب أهل الأثر أنه ممنوع) (٣) لوجوه ذكرها نلخصها فيما يلي :

١ - قوله تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) (٤) والقول بوجوب ما أوجبه أهل الكلام يلزم منه أنه بقي أهم الدين من تقرير القواعد التي يجب بها تأويل السمع على التفصيل في آيات الصفات وكثير من الاسماء الحسنى ، كالرحمن الرحيم الحكيم .

(١) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٢٨-١٢٩ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٠٤ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٠٧ .

(٤) سورة المائدة : جزء من آية ٣ .

والقول بهذا يتناقض مع مدلول الآية الكريمة الذي هو إكمال الدين ، وإتمام
النعمة ، ورضا الله سبحانه بذلك .

٢ - إنه لا يجوز ان تثبت العقول زيادة في الشريعة لا يدركها العقل بلا نزاع .
وإنما النزاع فيما تدركه العقول ، كنفي الولد عن الله - تعالى - ونفي الثاني ، لكن
الله تعالى قال في نفي الثاني : (لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا) (١) . (ماتخذ
الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلى بعضهم على
بعض سبحانه الله عما يصفون) (٢) . وقال في نفي الولد : (وقالوا اتخذ
الرحمن ولدا سبحانه) (٣) وقال (لم يلد ولم يولد) وقال (وقالوا اتخذ
الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا ، تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر
الجبال هدا ، أن دعوا للرحمن ولدا ، وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا) (٤) .

ففى هذه الآيات دلالة على أنه لا يجوز خلو كتب الله تعالى ورسله عن أمر كبير
من مهمات الدين العقلية ، وكذلك قوله تعالى : (وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين
لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) (٥) . وعلق ابن الوزير على هذه
الآية بقوله (فثبت أن ما خلت عنه كتب الله تعالى فليس من مهمات الدين ، وأن
زيادته فى الدين محرمة ،

الأتى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حذراً منه من فتنة الدجال وعظمها ،
وأخبر عن الانبياء كلهم كذبوا أممهم منها ، مع أن بطلان دعواه معلوم بالعقل ،
لأنه يدعى الربوبية ، وهو بشر يحتاج الى الاكل والشرب . . . الخ بل زاد فى
البيان انه أعور مكتوب بين عينيه كافر) (٦) .

(١) سورة الانبياء : ٢٢ .

(٢) سورة المؤمنون : ٩١ .

(٣) سورة الانبياء : ٢٦ .

(٤) سورة مريم : ٨٨-٩٢ .

(٥) سورة النحل : ٦٤ .

(٦) هذا طرف من معنى حديث الدجال الطويل رواه البخارى ج ٨ كتاب الفتن باب ذكر
الدجال ص ١٠١-١٠٣ ج ٨ كتاب التوحيد باب قول الله تعالى ولتضع على عيسى
ص ١٢١-١٢٢ ، مسلم ج ٤ كتاب الفتن باب ذكر ابن ضياد ص ٢٢٤ بـ
ذكر الدجال ص ٢٢٤٧-٢٢٤٨ ، سنن ابن ماجه ج ٢ كتاب الفتن باب فتنة
الدجال ص ١٣٦٠ ، مسند احمد ج ١ ص ١٧٦-١٨٢ وانظر نص ابن الوزير فى
الايشار ص ١٠٨-١٠٩ .

٣ - قوله تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) (١) (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) (٢) ولا معنى للإرسال كما يقول ابن الوزير (إلا البيان وإلا لصح أن يرسل الله رسولا أبكم غير ناطق . . وقد نص الله تعالى على أنه أرسل كل رسول بلسان قومه ليتم لهم البيان) (٣) . يشير ابن الوزير الى قوله تعالى : (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) (٤) .

٤ - إن الله تعالى وصف القرآن بأنه تبيان لكل شىء فقال : (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء * وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) (٥) . وقال سبحانه : (ما فرطنا في الكتاب من شىء *) ، وفى هذا دلالة على أن القرآن الكريم لم يترك شيئا من مهمات الدين الاعتقادية ، وإن كانت عقلية ويدخل فيه ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) (٦) وقال الله تعالى مخاطبا النبي صلى الله عليه وسلم (لتبين للناس ما نزل إليهم) (٧) وهذا بيان جمل .

ومن ذلك قوله تعالى : (وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها) (٨) وجبه الاستدلال من الآية أن كتابها هو موضع الحجة عليها فى أمور الدين ومهماتسه ، ولولا ذلك ما اختصر بالدعاء اليه ، وأما الفروع العملية فكما قال ابن الوزير : (لا حرج فى الخوض فيها بالظنون بالنص والاجماع) (٩) .

٥ - الاجماع على تحريم البدعة فى الدين ، وما زال الصحابة والتابعون لهم باحسان يحذرون من ذلك وقد قامت الحجة بموافقة المتكلمين والغلاة على ذلك فى الجملة حتى رى بعض المتكلمين بعضا بذلك كما يقول ابن الوزير : (عند الضجر من الخوض فى المباحث الشنيعة) .

(١) سورة الاسراء : ١٥٠ .

(٢) سورة النساء : ١٦٥ .

(٣) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٠٩ .

(٤) سورة ابراهيم : ٤٠ .

(٥) سورة النحل : ٨٩ .

(٦) سورة الحشر : ٧ .

(٧) سورة النحل : ٤٤ .

(٨) سورة الجاثية : ٢٨ .

(٩) إيثار الحق ص ١٠٩-١١١ ، ترجيح أساليب القرآن لابن الوزير ص ١٧ .

(١٠) سورة الانعام : ٣٨ .

- ٦ - قوله صلى الله عليه وسلم - في الصحيحين - (دعوني ماتركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم ، واختلافهم على أنبيائهم) (١) وفي رواية (ذروني) .
وفي هذا المعنى أحاديث جمة مجموعها كما يقول ابن الوزير : (يفيد العلم بان الشرع ورد بحصر الواجبات والمحرمات وان السؤال عما لم يرد به حرام) (٢) .
- ٧ - إن الدين قد جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام ، وفرغنه ولم يبق بعد تصديقه به بدلالة المعجزات الباهرات الاتباع الدين المعلوم الذي جاء به لاستنباطه بدقيق النظر ، كما صنعت الفلاسفة الذين لم يتبعوا الرسل .
وعلى هذا درج السلف ، ولذلك قال مالك : (أوكلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا لجدره ما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم) (٣) . ولو كان الدين مأخوذا من النظر لكنا قبل النظر غير عالمين ما هو دين الاسلام وانما نخترعه نحن ، وهذا باطل ضرورة .
- ٨ - إن العقول بريئة ما ادعوا من معرفة وجوب ما لم يرد به كتاب الله تعالى ومن معرفة صحتها ما يناقض القرآن الكريم ، فقد وضح المحققين من نظار العقلاء وأنبيائهم أنه لا تعارض بين صحيح السمع وصحيح العقل ، وأن أصل البدع كلها يوهم التعارض بينهما (٤) .
- ٩ - إن الله - سبحانه - قد أمر بالتحاكم عند النزاع الى الله ورسوله في عدة مواضع من القرآن ، لا في الأحكام الفرعية العملية فقط بل في جميع المجالات والاعتقادات أولى ، ان الفروع الفقهية مجال الاجتهاد فيها واسع ، ولا يقال للمخطئ فيها كافر ، وإنما سمعنا التكفير في الخطأ بين أهل الكلام الخائضين في أصول الدين . وقد نفى الله - سبحانه - الايمان عن المعارضين عن ذلك بقوله : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) ولم يكتف بذلك بل لا بد من الإذعان والقبول (ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) (٥) .

(١) متفق عليه البخارى ، ج ٨ كتاب الاعتصام باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ص ١٤٢-١٤١ ، مسلم واللفظ له ج ٢ كتاب الحج باب فرض الحج مرة في العمر ص ٩٧٥ ج ٤ كتاب الفضائل باب توقيره صلى الله عليه وسلم ص ١٨٣٠ .
(٢) الايثار لابن الوزير ص ١١٥ .
(٣) المصدر نفسه ص ١١٥ وانظر العواصم له ج ٢ الوهم الخامس عشر ورقة ١٧ .
(٤) المصدر نفسه ص ١١٦-١١٧ .
(٥) سورة النساء : ٦٥ .

يؤكد ذلك قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً) (١) .

ولاشك أن القرآن العظيم أعظم ما قضى به صلى الله عليه وسلم حودعا إليه ، ثم سنته التى هى تفسير القرآن الكريم وبيانه ، كما اجمعت عليه الامة فى تفاصيل الصلاة والزكاة وسائر أركان الاسلام ، وفى الموارث وغيرها . قال تعالى : (ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون) (٢) .

قال ابن الوزير : (وما أبلغ قوله : (فصلناه على علم) وأعظم موقعه عند المتأملين ، لأن العلوم ثقل وتتلاشى فى جنب علم الله تعالى بما ينفع ويصلح مسن البراهين والأساليب ، وما يضر ويفسد فى ذلك بل قد جاء فى الحديث الصحيح : إن علم الخلائق فى علم الله تعالى كما يأخذ الطائر من لبحر بمنقاره (٣) .

ومما جاء فى ذلك من طريق أمير المؤمنين على بن ابي طالب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال فى القرآن الكريم (. . فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم ، من ابتغى الهدى من غيره أضله الله ، من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن دعى إليه هدى الى صراط مستقيم) (٤) . وله شاهد من حديث زيد بن ارقم مرفوعا فى صحيح مسلم (٥) وفيه : (ألا وإنى تارك فيكم ثقلين أحدهما كتاب الله - عز وجل - هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة)

(١) سورة النساء : ٥٩ .

(٢) سورة الاعراف : ٥٢ .

(٣) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١١٤-١١٥ وانظر الترجيح له ص ٣٣-٣٧ ، والحديث الذى اشار اليه ابن الوزير فى الصحيحين متفق عليه من حديث ابن عباس الطويل وهذا معنى طرف منه البخارى ج ٥ كتاب التفسير سورة الكهف ص ٢٣٠-٢٣٥ ومسلم ج ٤ كتاب الفضائل باب من فضائل الخضر ص ١٨٤٨-١٨٥٣ سنن الترمذى مع تحفة الاحوذى ج ٨ تفسير سورة الكهف ص ٥٨٨-٥٩٦ .

(٤) سنن الترمذى بتحفة الاحوذى ج ٨ ص ٢١٨-٢٢١ ، سنن الداريمى ج ٢ ص ٣٠٩ ، تحقيق عبد الله هاشم اليماني دار المحاسن للطباعة وقال الترمذى هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات وإسناده مجهول وفى حديث الحارث مقال كذبه الشعبي ورمى بالرفض وفى حديثه ضعف كذا فى التحفة ج ٨ ص ٢٢١ وقال ابن الوزير مشهور كما فى الايثار ص ٩٦ . قلت : ومعناه صحيح لأنه يتفق مع اصول الشريعة وفروعها بل القرآن أصلها الأصل ومنبعها المعين وله شواهد فى القرآن الكريم كثيرة كقوله تعالى (إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم) الاسراء : ٧ ومنها الوجوه التسعة السابقة قريبا وفيها أدلة على ذلك ومنها حديث زيد المذكور .

(٥) ج ٤ كتاب فضائل الصحابة باب فضائل على ص ١٨٧٤ .

قلت : وفي الوجوه السابقة قريبا - ما يدحض شبهة المتكلمين من تجويز خلو كتاب الله تعالى عن بيان بعض مهمات الدين اكتفاءً بدرك العقول لها ، وإذا لم تكن هذه الوجوه براهين مقنعة فما بعد الحق إلا الضلال ، ولم يبق للمتكلمين الغلاة إلا التشبث بزعمهم الذي فات ابن الوزير ذكره - حسب اطلاعي - في كتابه (إيثار الحق على الخلق) ، لأنه من أواخر مؤلفاته ، وقد يكون فيه أوفى غيره ولم أهتمد إليه . وقد نبه على هذا التشبث المزعوم شيخ الاسلام ابن تيمية في معرض الرد على المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والاشعرية الزاعمين أن الصحابة لم يبينوا أصول الدين ، بل ولا الرسول عليه الصلاة والسلام - إما لاشتغالهم بالجهاد أو بغيره حيث رد عليهم بقوله : (. . .) قد بينها - أي أصول الدين - الرسول صلى الله عليه وسلم أحسن بيان وأنه دل الناس وهداهم إلى الأدلة العقلية والبراهين اليقينية التي بها يعلمون المطالب الإلهية ، وبها يعلمون إثبات ربوبية الله تعالى ووحدانيته وصفاته وصدق رسوله ، وغير ذلك مما يحتاج إلى معرفته بالأدلة العقلية بل وما يمكن بيانه بالأدلة العقلية ، وإن كان لا يحتاج إليها فإن كثيرا من الأمور يعرف بالخبر الصادق ومع هذا فالرسول - صلى الله عليه وسلم - بين الأدلة العقلية الدالة عليها ، فجمع بين الطريقين السمعى والعقلى (١) .

هذا وليس في كلام شيخ الاسلام هذا رد على تشبث غلاة المتكلمين فحسب ، بل ضمنه أن الاسلام لا يمنع استخدام العقل للبراهين التي يتوصل إلى معرفة مدلولاتها اليقينية بواسطة العقل في المسائل الإلهية وغيرها . والله أعلم .

...

الامر الثاني : النقص من الدين وأسبابه :

وأما الامر الثاني وهو النقص من الدين فقد وضعه ابن الوزير بقوله : (بأنه رد حقائق النصوص والظواهر إلى المجاز من غير طريق قاطعة تدل على ثبوت الموجب للتأويل إلا مجرد التقليد لبعض أهل الكلام في قواعد لم يتفقوا عليها . . .) (٢) .

(١) معارج الوصول لابن تيمية ص ٦٥ - ٦٠ .

(٢) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٢٩ .

وقد اطلال وأجاد الكلام في هذا وأفاد بما لا يتسع المقام لذكره ، ولكن سنقتطف نماذج من ذلك على سبيل الاختصار :

١- مذهب القرامطة في تأويل الاسماء الحسنى كلها ونفيها عن الله - تعالى - كما يزعمون - على سبيل التنزيه له عنها ، وتحقيق التوحيد بذلك ، وزعموا أن إطلاقها عليه يقتضى التشبيه ، وهذا غلو شديد ، بل بالغوا حتى قالوا إنه لا يقال : إنه موجود ولا معدوم ، وأن المراد بها إمام الزمان عندهم ، وهذا متواتر عنهم كما قال ابن الوزير (وقد تواتر هذا عنهم وأنا ممن وقف عليه فيما لا يحصى ممن كتبهم التي في أيديهم وخزائنهم ، ومعاملهم التي دخلت عليهم عنوة ، أو فتحت بعد طول محاصرة ، وأخذ بعضها عليهم من بعض الطرقات ، وقد هربوا به ، ووُجد بعضها في مواضع خفية قد أخفوه فيها) (١) .

وكل مسلم يعلم أن هذا كفر صريح وأنه ليس من التأويل المسمى بحذف المضاف المذكور في قوله تعالى : (واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها) (٢) أي أهل القرية وأهل العير كذا قرره ابن الوزير (٣) .

٢ - طريقة بعض المتكلمين في تأويل بعض أسماء الله الحسنى وصفاته العلا ، وردها إلى المجاز ، كالرحمن ، والرحيم ، والسميع والبصير والحكيم ، فقد عظمست الشناعة في انكار حقيقتها والتمدح بها ، حين وافق ذلك مذهب القرامطة الباطنية ومذهب أسلافهم المشركين في إنكار الرحمن .

فقد أخبر الله عنهم قولهم : (وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا) بقوله : (السذى خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا ، وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا) (٤) وقال تعالى : (وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا اله الا هو) (٥) وقال : (وهم بذكر الرحمن هم كافرون) (٦) .

(١) ايشار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٢٩ - ١٣٠ .

(٢) سورة يوسف : ٨٢ .

(٣) ايشار الحق على الخلق ص ٣٠ .

(٤) سورة الفرقان : ٥٩ - ٦٠ .

(٥) سورة الرعد : ٣٠ .

(٦) سورة الانبياء : ٣٦ .

وقد عظم الله - تعالى - هذا الاسم الشريف وبالغ في تعظيمه حيث قال :
(قل ادعوا الله وادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الاسماء الحسنی) (١) . وقد
جاءت الصواعق القرآنية مادحة لله تعالى بأعظم صيغ المبالغات في هذه الصفة
الشريفة الحميدة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم (٢) .

- أما السنة الصحيحة ففيها ما لا يتسع له المقام ، وسنورد من ذلك شيئاً يسيراً :

١- حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : (إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة ، فأمسك عنده تسعاً وتسعين
رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله
من الرحمة لم ييأس من الجنة ، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب
لم يأمن من النار) (٣) . وعند ابن ماجه (٤) وآخر تسعة وتسعين رحمة
يرحم بها عباده يوم القيامة) .

٢- حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
(إن لله مائة رحمة فمنها رحمة بها يتراحم الخلق بينهم ، وتسعة وتسعون
ليوم القيامة) . (٥) .

٣- وفي رواية عنه مرفوعاً : (إن الله خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة كل
رحمة طباق ما بين السماء والأرض فجعل منها في الأرض رحمة ، فيها تعطف
الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض ، فإذا كان يوم القيامة
أكملها بهذه الرحمة) (٦) .

(١) سورة الاسراء : ١١٠ .

(٢) إيشار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٣١-١٣٢ .

(٣) البخاري ج ٧ كتاب الرقاق باب الرجاء مع الخوف ص ١٨٣ ، مسلم ج ٤ كتاب
التوبة باب في سعة رحمة الله عز وجل ص ١٠٩ واللفظ للبخاري . وانظر

مسند أحمد ج ٢ ص ٣٣٤ .

(٤) في كتاب الزهد ص ١٤٣٥ .

(٥) مسلم ج ٤ كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله . ص ٢١٠٨-٢١٠٩ ، سنن

ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري ج ٢ ص ١٤٣٥ .

(٦) مسلم ج ٤ كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله ص ٢١٠٩ .

٤ - حديث أبي هريرة أيضا مرفوعا : (إن رحمتي تغلب غضبي) وفي رواية
(سبقت غضبي) (١)

٥ - حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبي ، فإذا امرأة من السبي تبتغي (٢) إذا وجدت صبيا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أتتون هذه المرأة طارحة ولدها في النار ؟) قلنا : لا والله . وهى تقدر على أن لا تطرحه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لله أرحم بعباده من هذه بولدها) (٣) .

- الامر الثالث : التصرف فى عبارات الكتاب والسنة بالعبارات المعتدعة :

إذا نظرت فى هذا الامر وقارنته بالأمرين السابقين ، اللذين هما الزيادة فى الدين والنقص منه ، تجد أن هذا الأمر يرجع الى الأمر الأول وهو الزيادة فى الدين . وقد بسط ابن الوزير الكلام فى هذا الأمر لعظم المغسدة المترتبة عليه ، ومضرتها لأن ذلك يؤدى إلى التفرق وقد نهى الله - عز وجل - عن التفرق فوجب تحريم ما أدى اليه (٤) .

وبما ان بعض كلام ابن الوزير هنا يتعلق بعلوم الحديث ، واصل الفقه فسنتطف منه أهمه :

يقرر ابن الوزير أنه قد تفاحش الامر فى التصرف فى عبارات الكتاب والسنة ، بظن الترايف واعتقاده من غير يقين .

- (١) متفق عليه البخارى ج ٨ كتاب التوحيد باب قول الله تعالى : (بل هو قرآن مجيد) ص ٢١٦ - مسلم ج ٤ كتاب التوبة باب فى سعة رحمة الله عز وجل ص ٢١٠٧-٢١٠٨ ، سنن ابن ماجه ج ٢ كتاب الزهد ص ١٤٣٥ .
- (٢) هكذا فى نسخ صحيح مسلم تبتغى من الابتغاء وهو الطلب قال القاضى عياض وهو وهم والصواب ما فى رواية البخارى تسعى ولم اجد لفظ تسعى فى البخارى بسط تسقى أى الحليب من ثديها والسعى والطلب والابتغاء معان متقاربة . انظر فتح البارى ج ١ ص ٤٣٠ وانظر شرح مسلم للنووى ج ١ ص ٧٠ .
- (٣) مسلم ج ٤ كتاب التوبة باب فى سعة رحمة الله عز وجل ص ٢١٠٩ - البخارى ج ٧ كتاب الادب باب رحمة الولد وتقبيله ص ٧٤ واللفظ لمسلم .
- (٤) ايثار الحق لابن الوزير ص ١٤١ .

والاختلاف في معاني كتاب الله تعالى - ورواية ما قال الله عز وجل - ورسوله - صلى الله عليه وسلم - بالمعنى ، قد أدى ذلك إلى الحرام المنصوص، ومن هنا تدخل أكثر البدع على السنن بخلاف الأمرين الأولين فقلما تدخل عليه منهما .

ولم يكن من الانصاف القول بأن الحق منحصر في عبارات بعض الفرق الإسلامية دون بعض .

والعدل أن تترك كل عبارة مبتدعة من عبارات فرق الاسلام كلها ، سواء علمنا بالعقل أنها حق أو باطل ، ان لا يجب الاشتغال بكل حق كعلم التاريخ ، وعجائب أخبار البلدان ، وقد يكون من الحق ما هو حرام بالاجماع والنص كالغيبة والنميمة ، فالاشتغال بذلك حرام لما تضمنه من المفساد ، وكذلك ما كان من أمور الدين التي لم ينص على وجوب معرفتها في كتاب الله ، ولا السنة النبوية المتفق على صحتها (١) .
ويمنع ابن الوزير التعبير بغير ما عبر به الكتاب والسنة لجواز الخطأ على العلماء في فهم المعنى والتعبير عنه أو فيهما معا والدليل على جوازه من وجوه :

١- قوله صلى الله عليه وسلم (نضر الله امرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه) (٢) .

٢- إن الفتنة التي وقعت بين الصحابة سببها اختلافهم في الفهم .

٣- قصة عدى بن حاتم في معنى قوله تعالى (حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر) (٣) .

٤- إن النبي صلى الله عليه وسلم ، شرط التعمد فقال : (من كذب على متعمدا فليتبوء مقعده من النار) (٤) فلو لا جواز الخطأ ما كان لذلك فائدة .

٥- ثبت أن عمر بن الخطاب شك في حديث فاطمة بنت قيس في المطلقة ثلاثا، وفيه: فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم (ليس لك عليه نفقة) (٥) .

وجه الاستدلال هو شك عمر رضي الله عنه في ضمن قوله : (لا نترك كتاب الله وسنة نبينا لقول امرأة لا ندري لعلمها حفظت أو نسيت لها السكبي والنفقة (٦) .

(١) ايثار الحق لابن الوزير ص ١٤١ .

(٢) هذا الحديث روى بعدة ألفاظ وهذا لفظ الترمذي بتحفة الاحوزي ج ٦ كتاب العلم ص ٤١٦-٤١٧ ، سنن أبي داود مع عون المعبود ج ١ كتاب العلم ص ٩٤-٩٥ ، سنن ابن ماجه المقدمة ص ٨٤-٨٦ سنن الدارمي ج ١ المقدمة ص ٩٥-٩٦ .

(٣) سورة البقرة: ١٨٧ والقصة في صحيح البخاري ج ٥ تفسير سورة البقرة - باب قوله تعالى (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض) ص ١٥٦ .

(٤) هذا الحديث متواتر من رواه البخاري ج ١ كتاب العلم باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم ص ٣٥ مسلم ج ٤ كتاب الزهد باب التثبت في الحديث ص ٢٢٩

(٥) مسلم ج ٢ كتاب الطلاق باب المطلقة ثلاثا لا نفقة لها ص ١١١٤ .

(٦) مسلم ج ٢ كتاب الطلاق باب المطلقة ثلاثا ص ١١١٩ وانظر نيل الأوطار ج ٦ ص ٣٤٠-٣٤١

بل شك في حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه في التيمم لما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنما يكفيك أن تضرب بيديك الأرض ، ثم تنفخ ثم تمسح بهما وجهك وكفيك) فقال عمر اتق الله يا عمار قال : إن شئت لم أحدث به .^(١) وهذا من عمر رضي الله عنه لخوفه لوهم فان عمارا لا يتهم بتعمد الكذب ولذلك اذن له في روايته مع شكه في صحته (٢) .

٦- ثبت عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه أنه قال : (ما عندنا إلا كتاب الله تعالى وما في هذه الصحيفة أو فهم أوتيه رجل) (٣) . فدل على التفاوت في الفهم .

٧- حديث ابن عمر مرفوعا : (أرأيتم ليلىكم هذه فان رأس (٤) مائة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد) فوهل (٥) الناس في مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ما يتحدثون في هذه الأحاديث عن مائة سنة ، وإنما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض يريد بذلك أن ينخسرم ذلك القرن (٦) .

٨- قوله تعالى : (ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما) (٧) .

٩- شدة اختلاف العلماء في رواية الحديث بالمعنى حيث يستيقن الترادف والاستواء المحقق في العموم والخصوص والخفاء والجلأ ، وألا تنقل لفظة مشتركة إلى لفظة غير مشتركة ولا العكس ، ولا لفظة لها مجاز إلى لفظة لا مجاز لها ، ولا العكس ، ولا يعبر بالحقيقة عن المجاز ولا العكس ولا بالمنطوق عن المفهوم ولا العكس ، ولا المطابقة عن التضمن والالتزام ولا العكس (٨) وامثال ذلك .

-
- (١) مسلم ج ١ كتاب الحيض باب التيمم ص ٢٨١ .
 (٢) ايثار الحق لابن الوزير ص ١٤٣ .
 (٣) البخاري ج ١ كتاب العلم باب كتابة العلم ص ٣٦ مسند احمد ج ١ ص ٧٩ .
 (٤) وللأصلي فان علي راس أي عند انتهاء مائة سنة كذا في فتح الباري ج ١ ص ٢١٢ .
 (٥) وهل بالفتح والكسر بمعنى وهم وقيل بالفتح غلط كذا في الفتح ج ٢ ص ٧٥ قال ابن الوزير حسبوه اراد القيامة الا يثار له ص ١٤٢ والبروز له ج ٢ ص ١١٧-١١٨ .
 (٦) متفق عليه البخاري ج ١ كتاب العلم باب السر في العلم ص ٣٧ كتاب المواقيت باب السر في الفقه ص ١٤٩ مسلم ج ٤ كتاب فضائل الصحابة باب لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس ص ١٩٦٥-١٩٦٧ مسند احمد ج ٢ ص ٨٨-٢١١ جامع الأصول لابن الاثير وقال : الوَهْلُ الفزع وَهَلَتْ أَهْلٌ وَهَلًا إذا فاجأك امر لم تعرفه فارتفعت له وَوَهْلٌ وَهْلًا إذا ذهب وهمه إليه ج ١ ص ٣٨٩ .
 (٧) سورة الانبياء : ٧٩ .
 (٨) ايثار الحق لابن الوزير ص ١٤٢-١٤٣ .

فإذا اجتمعت هذه الشروط وعلم اجتماعها فهو محل الاختلاف الشديد في الرواية بالمعنى فمنهم من أجاز ذلك ومنهم من منع خوفا من المفسدة ، ومنهم من فصل فقال : إن كان اللفظ النبوي محفوظا لم يجز سواه ، ومنهم من عكس وقال : إن كان محفوظا جاز ، إن معنى اللفظ المحفوظ معروف يتمكن من تبديله بمثلـه ، ومعنى اللفظ العنسي غير معروف ، إلى غير ذلك من الأقوال (١) .

قلت : وهذا التشدد من ابن الوزير المخالف لما عليه جمهور المحدثين والأصوليين والفقهاء من جواز الرواية بالمعنى للعالم بدلالات الألفاظ ومقاصدها خبيرا بما يحيل معانيها جازما بأداء المعنى (٢) ، هذا التشدد المخالف لجمهور السلف والخلق يحمل على قاعدته المعروفة وهي الأخذ بالأحوط في الدين وهذه القاعدة التي التزمها ابن الوزير لاشك أنها مأونة الخطر الناتج عن التصرف في عبارات الكتاب والسنة الواضحة لاسيما إذا كانت في باب الأسماء والصفات التي لم يؤثر الخوض فيها عن السلف الصالح لا بطريقة التأويل المؤدى إلى التعطيل ولا بالتشبيه المؤدى إلى مماثلة المخلوق ولا بطريقة المقدمات والنتائج .

كذلك لم يؤثر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يكلف أحدا ممن دخل في الإسلام بمعرفة دلالة الأكوان أو النظر، ومن جهة أخرى فإن ابن الوزير إمام مجتهد بشهادة الأصغر والأكبر، ممن يعرفونه بل مؤلفاته شاهد عدل على ذلك .
فان قيل : إن مذهب ابن الوزير هذا يتعارض مع ما عليه العمل في تفسير كتاب الله تعالى ، وشرح سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وكيف السبيل إلى المنع من التعبير بغير الكتاب والسنة ؟ لانه لا بد من تفسير الكتاب والسنة بغير ألفاظهما ؟ فيقال : إن ابن الوزير قد أجاب عن هذا بقوله : (لم نمنع من ذلك مطلقا ، إنما منعنا منه حيث يضر ، ويستغنى عنه بعبارات الكتاب والسنة الجليلة التي لا تحتاج إلى تفسير .

وأما التفسير فما كان من المعلومات بالضرورة من أركان الاسلام وأسماء الله تعالى منعنا من تفسيره لانه جلي صحيح المعنى وإنما يفسره من يريد تحريفه

(١) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٤٣ .

(٢) انظر تفاصيل الخلاف في تدريب الراوي للبيهقي ج ٢ ص ٩٨ - ١٠٥ ، علوم الحديث

لابن الصلاح ص ١٩٠ - ١٩٣ .

كالباطنية الملاحدة ، ومالم يكن معلوما ودخلته الدقة والغموض ، فان دخله
بعد ذلك الخطر وخوف الإثم في الخطأ مما يتعلق بالعقائد تركنا العبارات
المتدعة وسلكنا طريق الوقف والاحتياط إن لاعمل يوجب معرفة معناه المعين ،
وان لم يدخل فيه الخطر علمنا فيه بالظن المعتبر المجمع على وجوب العمل به أو جوازه
والله الهادي (١) .

فأنت ترى أن ابن الوزير إنما منع تبديل ألفاظ الكتاب والسنة في مهمات
الدين التي لا تحتاج الى تفسير ، حيث لم يكن ثمة ضرورة تلجئ الى التفسير، والنكته
في ذلك كما اشار اليها ابن الوزير ، هي منع ما يؤدي الى الاختلاف المحرم ، وتمييز
ما يجب قبوله ، وهو ألفاظ الكتاب والسنة عما لا يجب قبوله على الجميع ، وهو
ألفاظ من ليس بمعصوم ، والغلط في تبديلها غير مأمون ، لاسيما ما يتعلق بالعقائد
، إذ ليس هناك عمل يوجب معرفة معناه المعين .

فان قيل ، إن منهج ابن الوزير في مؤلفاته لاسيما المعاصم والقواصم والروض الباسم
فإنه قد خاض في التأويل بتبديل عبارات الكتاب والسنة في حديث الشفاعة الطويل
وفيه ذكر المجى والرجل والقدم والرؤية وغير ذلك ،

ومانهجه من القول هنا بعدم تبديل ألفاظ الكتاب والسنة ، إما أن يكون أحد
المنهجين صحيح والآخر باطل ، وإما أن يكونا متناقضين . فنقول سلماً بأنه خاس
في التأويل في (المعاصم) والروض الباسم ولا يضر تسليمه ، فالواقع يشهد بذلك ، ولكن
ليس ذلك إلا من باب الجدل العننى على مقدمات مشهورة او مسلمة عند الناس او الخصم ،
والفرض منه - كما هو معروف - إلزام الخصم إفحامه ، وإقناع القاصر عن درجة
البرهان سواء كانت المقدمات والنتائج حقة ام باطلة بخلاف ما قرره ابن الوزير هنا ففى
كتابه (ايشار الحق على الخلق) فإنه المختار عنده بدليل أنه شدد التكير على من يخالف
هذا المنهج .

وقد اعتمدت هذا الكتاب لكونه ألفه قبل وفاته بثلاث سنين كما أشار الى ذلك
ابن الوزير نفسه ، وحيث فلا تعارض ولا مناقضة إلا عند من لم يدرس كلامه ويعمن النظر
كما وقع لى أول الامر .

(١) ايشار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٥٥ .

(٢) ايشار الحق على الخلق ص ١٥٠-١٥٢ .

أما عند من يمعن النظر في أسلوبه الجدلي لاسيما لما يقف مؤيدا أو حاكيا أقوال أهل السنة فإنك تجده يسدد سهام البراهين العقلية والنقلية إلى نحو المخالفين لمذهبهم أيا كانوا، كما فعل في إثبات رؤية الله تعالى يوم القيامة فقد ذكر عدة أدلة من القرآن العظيم، والسنة النبوية الصحيحة، بلغت الأحاديث سبعة وعشرين حديثا، عن سبعة وعشرين صحابيا، بل بلغت التواتر ونقل أربعين صفحة تقريبا عن ابن القيم من حادي الأرواح في مسألة الرؤية في (العواصم والقواصم) (١).

- طريقة ابن الوزير في تفسير القرآن الكريم :

قد عقد ابن الوزير في كتابه (إيثار الحق) فصلا خاصا ، بين فيه منهجه في تفسير كتاب الله تعالى :

كما ركز على الفرق بين التفسير والتحريف والتأويل ، والتبديل ، وحذر من عبارات أهل الأهواء والابتداع . وهذا هو السبب في إعادة منهج ابن الوزير هنا لتفسير القرآن الكريم، وإلا فقد سبق الكلام عليه في (منهجه في البحث العلمي) . ويبدو اهتمام ابن الوزير بالقرآن الكريم واضحا في منهجه الآتي :

أولا : التعريف بمراتب المفسرين وهما عنده مرتبتان :

الاولى : مرتبة الصحابة ، وعلى رأسهم ابن عباس وابن مسعود

- رض الله عن الجميع - لما ثبت من الثناء عليهم في القرآن الكريم .

الثانية : مرتبة التابعين ومن أشهرهم مجاهد بن جبر المكي ، وعطاء بن

أبي رباح وقتادة بن دعامة وغيرهم ممن خُرج عنهم في دواوين الاسلام الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها .

ثانيا : التعريف بمراتب التفسير فيما يرجع فيه إلى الدراية ، وهي عنده سبعة

أنواع :

الاول : تفسير المتكررات تكريرا كثيرا، مثل آيات الاسماء الربانية والصفات

والمشيئة ، والاسماء الدينية وهي الاسلام ، والايمان ، والاحسان ، والمسلمون ،

(١) انظر العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٢ الوهم السادس عشر الفصل الثاني

والمؤمنون ، والمحسنون ، وكذلك أسماء الظالمين والفاسقين والكافرين ، وسائر ما يتعلق بالاعتقاد .

وهذا النوع - في نظر ابن الوزير - ينبغي أن يكون مفردا في مقدمة التفسير ، حتى يشبع فيه الكلام من غير تكرير فان اشتبه الصواب على أحد ففى هذا القسم ، أو خاف وقوع فتنة من الخوض والبحث عنه والمناظرة ترك ذلك ، وكفاه الايمان الجمل ، لما ثبت في حديث جندب بن عبد الله مرفوعا : (إقرأ القرآن ما اتلفت قلوبكم فاذا اختلفتم فيه فقوموا) (١) . والمراد عند ابن الوزير الاختلاف مع التعادى ، والتفرق ، دون الاختلاف مع التوالى والتصويب ، لما فى حديث عمر مع هشام بن حكيم ، فى اختلافهما فى القراءة ، وتقدير النبى - صلى الله عليه وسلم - لهما على الاختلاف فى القراءة ونهييهما عن الاختلاف فى التخطئة والمناكرة .^(٢)

النوع الثانى : تفسير القرآن بالقرآن ، حيث يتكرر ذكر الشئ فى كتاب الله تعالى - وتكون بعض الآيات أكثر بيانا وتفصيلا ومنه تفسير قوله تعالى : (ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما) (٦) بأهل الكتاب ، كقول مجاهد لقوله تعالى : (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل ..) (٣) .

النوع الثالث : التفسير النبوى ، وهو مقبول بالنص والاجماع (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) (٤) . ومنه تخصيص العمومات ، مثل تحريم الصلاة على الحائض وتفصيل أحكام الصلاة والزكاة والصوم والحج وشروط قطع يد السارق ، ويلحق بذلك أسباب النزول .

النوع الرابع : الآثار الصحابية الموقوفة عليهم وأجودها ما لا تمكن معرفته بالرأى سواء رجعنا بالرأى الى العقل أو الى الاستنباط من اللفظة وقد كانت عادتهم الإشعار بالرأى فى ذلك ، كما ذكره أبو بكر رضى الله عنه حين فسر الكلاله برأيه (٥) . أما اذا جزموا بالتحريم ونحوه ، كان دليلا على رفعه ، وهذا

(١) متفق عليه البخارى ج٦ كتاب فضائل القرآن باب اقرأوا القرآن ما اتلفت قلوبكم

ص ١١٥ ، مسلم ج٤ كتاب العلم باب النهى عن اتباع مشابه القرآن ص ٢٠٥٣

سنن الدارمى ج٢ ص ٣١٨ وانظر ايثار الحق على الخلق ص ١٥٦ وما بعدها .

(٢) سورة النساء : ٢٧ . (٣) سورة النساء : ٤٤ .

(٤) سورة الحشر : ٧

(٥) انظر تفسير ابن كثير ج٢ ص ٢٠٠ ، تفسير ابن جرير ج٤ ص ٢٨٥-٢٨٥ .

(٦) انظر القصة فى البخارى ج٦ كتاب فضائل القرآن باب من لم ير بأسا ص ١١١ .

يحتاج الى معرفة الاسناد إليهم .

النوع الخامس : ما يتعلق باللغة العربية على الحقيقة ، وتؤخذ من مصادرها الاصلية ، مع مراعاة تقديم الحقيقة الشرعية ، ثم العرفية ، ثم اللغوية ، كحقيقة الصلاة في الشرع بأنها أقوال وأفعال مخصوصة ، مبتدأة بالتكبير مختتمة بالتسليم (١) ، على اللغوية التي هي الدعاء مأخوذة من قوله تعالى : (وصل عليهم) (٢) اي ادع لهم ، وكالدابة في اللغة اسم لكل ما يدب ، خصصها العرف بالبهايم (٣) ، ومعرفة تفسير المشترك كالقرء بالاطهار والحيض (٤) .

النوع السادس : المجاز ، وهذا النوع والذي بعده هو بيت القصيد ، لما يترتب على ذلك من تأويل بعض أسماء الله الحسنی وصفاته العلا ووردها الى المجاز ، وهذا من البدع التي تسربت الى أهل الاسلام ، ولذلك اشترط ابن الوزير في اعتبار المجاز القرائن الثلاث الآتية :

الاولى : العقلية التي يعرفها المخاطب والمخاطب ، كقوله تعالى : (واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها) (٥) اي اهلها . وقيل ليس هذا من المجاز بل من باب حذف المضاف وهو من اللغة العربية ، كما قرره ابن قدامة (٦) قال ابن تيمية (والصواب أن المراد بالقرية نفس الناس المشتركين الساكنين في ذلك المكان فلفظ القرية هنا أريد به هو لا كقوله تعالى (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذها أليم شديد) (٧) .

الثانية : العرفية : مثل (يا هاهنا ابن لي صرحا) (٨) اي مر من بين ، لأن مثله في العرف لا يبنى .

-
- (١) كشف القناع لمنصور بن يونس البهوتي ج ١ ص ٢٥٥ تسهيل الوصول الى فهم علم الاصول ص ١٩٠ .
- (٢) سورة التوبة : جز ١ من اية ١٠٣ .
- (٣) الصحاح للجوهري ج ٦ ص ٢٤٠٢ والمصباح المنير ج ١ ص ٣٧١ ، تفسير القرطبي ج ١ ص ١٤٨ ، روضة الناظر لابن قدامة ص ٨٩ ط . بيروت .
- (٤) انظر ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٦١ وما بعدها .
- (٥) سورة يوسف : ٨٢ .
- (٦) روضة الناظر ص ٩٠ .
- (٧) سورة غافر : ٣٦ .
- (٨) مجموع الفتاوى ج ٢٠ ص ٤٦٣ والاية في سورة هود : ١٠٢ وقال في قوله (تجرى من تحتها الانهار) النهر كالقرية والميزاب ونحو ذلك يراد به الحال ويراد به المحل فاذا قيل حفر النهر أريد به المحل وإذا قيل جرى النهر أريد به الحال (المرجع نفسه ص ٤٦٤ ج ٢٠ .

الثالثة : اللفظية كدلالة لفظ الاسد على الرجل الشجاع ، فإنها استعملت

في غير ما وضعت له أولاً ، إذ الوضع الاول الحيوان المفترس .

قلت : ومن المعلوم أن القول بالمجاز من المسائل المختلف فيها ، فبعض

العلماء منع هذا التقسيم ، ومنهم شيخ الاسلام ابن تيمية ، وبعضهم يمنعهم

في القرآن الكريم ويجيزه في غيره ، وبعضهم يجيزه مطلقاً ، ومنهم السيوطي وغيره

من علماء الاصول والبلاغة (١) وكتبهم مشحونة بالقول به . والأولى تركه في القرآن

الكريم والحديث ، فإنه العصا العوجاء التي يتوكأ عليها أهل الكلام المؤولون للاسماء

والصفات . والله أعلم .

النوع السابع : ما لم يصح فيه شيء من جميع ما تقدم ، ويختلف فيه أهل

التفسير كتفسير الحروف التي في أوائل السور ، وتفسير الروح ونحو ذلك ما لم يصح

دليل على تفسيره ، وليس معنا ضرورة تلجئ إلى وجوب البحث عنه ، وهذا النوع

قسمان : قسم فيه مخاطرة كبيرة ، وخوف البدعة والعذاب وهو ما يتعلق بذات الله تعالى

ونحو ذلك من التشابهات ، وقسم دونه ، مثل تعيين الشجرة التي أكل منها

آدم واسمها وأسماء أهل الكهف ، وأسماء سائر البهائم ، وتطويل القصص

والحكايات . فهذا - في رأى ابن الوزير - لا بأس بنقله مع بيان أنه لم يصح فيه

شيء وعدم تعلق مفسدة به ولا دخول شبهة في تحليل أو تحريم (٢) . والله أعلم .

وأما الدعوى الباطلة تجردها عن إحدى هذه القرائن الثلاث ، وهذا خلاف

لشيخ الاسلام ابن تيمية فإنه لا يقول بالمجاز وأما ما يدعيه أهل الكلام من الأدلة

التي لم يتفقوا على صحة دليل واحد منها ، فلا يجوز تقليدهم في ذلك لا عندهم

ولا عند غيرهم بل يجب البحث التام أو الامساك عن التأويل حتى يقع الارجماع .

ومثل للقرينة العقلية أيضاً تخصيص قوله تعالى : (وأوتيت من كل شيء) (٣) ،

على ما يناسب ملوك البشر المعتاد في الدنيا دون العالم العلوي ، وأمور الآخرة

(١) انظر التفاصيل في الإيمان لابن تيمية ص ٢٥ وما بعدها ، والإتقان للسيوطي

ج ٢ ص ٣٦ وما بعدها . وقد أجاد وأفاد ابن تيمية في الكلام على الحقيقة

والمجاز في مجموع الفتاوى ج ٢٠ ص ٤٥١-٤٩٢ .

(٢) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٦٦ وما بعدها ، والروض الباسم له ج ٢ ،

ص ٢٠٥ وانظر تسهيل الوصول إلى فهم علم الاصول لعطية سالم ص ١٩ .

(٣) سورة النمل : ٢٣ .

والملائكة والنبوة وغير ذلك وأن هذا التخصيص جلي ومجمع عليه (١) .

وبما أنه قد تبين لنا أن معظم الابتداع في الدين هو ناشئ عن الأمرين السابقين اللذين هما : الزيادة في الدين والنقص منه ، القائمان على تجويز خلسو كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . . .

كذلك الأمر الملحق بأولهما وهو التصرف في عبارات الكتاب والسنة بالعبارات المبتدعة كما تبين فساد ذلك وحرمة ما أدى إليه بالأدلة السمدعية والعقلية ، فلم يبق إلا الكلام عن أصل أو مستند الأمرين الباطلين السابقين إذا صح التعبير بأنهما يقومان على أساس أو أسس سوا^١ كان هذا مبنيا على جرف هار او العكس فنقول :

- الاصول التي تقوم عليها الأمران السابقان :

إذا نظرنا إلى الأمرين السابقين ، وهما الزيادة في الدين ، والنقص منه ، والملحق بأولهما ، وهو التصرف في عبارات الكتاب والسنة بالعبارات المبتدعة ، فانك تجد هما يقومان - بغض النظر عن الصحة والفساد - على أصلين - قررهما ابن الوزير ، أحدهما سمعى والاخر عقلى :

أما السمعى فهو اختلاف المتكلمين في أمرين :

أحدهما : معرفة المحكم والمتشابه أنفسهما ، والتمييز بينهما حتى يُرد المتشابه الى المحكم .

ثانيهما : اختلافهم هل يعلمون تأويل المتشابه ؟ ثم اختلافهم في تأويله على تسليم أنهم قد عرفوا المتشابه ؟ فما سبب وقوع المتشابه على العقول من حيث الحكمة والدقة في كتاب الله تعالى ؟

وقد أجاب ابن الوزير عن هذا بقوله : (والمشهور أن سببه الابتلاء بالزيادة في مشقة التكليف لتعظيم الثواب ، وهذا أنسب بالمتشابه من حيث اللفظ) وبما أن ابن الوزير لموافق على هذا المشهور فقد عقب عليه بقوله :

(١) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٦٧ .

(وأما أنا فوقع لى أن سببه زيادة علم الله على علم الخلاق)
وعلى ذلك بقوله : (فإن العوائد التجريبية والأدلة السمعية دلت على
امتناع الاتفاق فى تفاصيل الحكم وتفاصيل التحسين والتقيح ، ولذلك وقع الاختلاف
بين أهل العصمة من الملائكة والأنبياء كما قال تعالى حاكيا عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم (ما كان لى من علم بالملاء الأعلى إذ يختصمون) (١) وحكى الله
تعالى اختلاف سليمان وداود وموسى والخضر (٢) . كما صح فى الحديث
اختلاف آدم وموسى ، واختلاف الملائكة فى قاتل المائة نفس (٣) وغير ذلك .

وأما الأصل الثانى وهو العقلى ، فانه عرض للمبتدعة بسبب الخوض فيما لا تدركه
العقول من الخفيات التى أعرض عنها السلف نحو ما عرض للبراهمة الذين قالوا بسرد
النبوات من إيجاب أمور سكنت الشرع عن بعضها ونهى عن بعضها ، واستقبح
أمر ورد الشرع بتحسينها لكنهم خالفوا البراهمة بتهديقهم الشرع فى الجملة ،
وصدقوا هذه القوادح فى تفاصيل الشرع - كما سبقت الإشارة الى ذلك فى النبوات -
وراموا الجمع بينهما فوقعوا لذلك فى أشياء واهية ، ولزمهم أن رسل الله - عليهم
السلام - قد قصرُوا فى البيان عمدا امتحانا للمكلفين وتعريضا للعلماء الراسخين
للثواب العظيم ، وهذا باطل .

- الرد على هذا الزعم :

قد سبقت الإشارة الى هذا قريبا .
وقد أفصح القرآن بأن الرسل إنما أرسلت ليبينوا للناس ما نزل إليهم
من العقائد والشرائع ، ولئلا تكون لهم حجة يوم القيامة بعد التبليغ ، وذلك
على لسان من أكمل الله برسالته الدين وختم به النبيين (اليوم أكملت لكم دينكم
وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً) (٤) (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون
للناس على الله حجة بعد الرسل) (٥) وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى
اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) (٦) .

(١) سورة ص : ٦٩ واختصاص الملاء الأعلى قيل فى شان آدم امتناع إبليس من السجود
وقيل فى نقل الاقدام الى الجماعات والجلوس فى المساجد بعد الطلوات واسباغ

الوضوء عند الكريهات انظر تفسير ابن كثير ج ٧ ص ٧١-٧٢ .

(٢) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٨٨-٨٩ .

(٣) انظر البخارى ج ٨ كتاب التوحيد باب قوله وكلم الله موسى تكليما ص ٢٠٣ ومسلم

ج ٤ كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى ص ٢٠٤ .

(٤) سورة المائدة : ٣ (٥) سورة النساء : ١٦٥ .

(٦) سورة النحل : ٦٤ .

والتحذير من البدع أوضح من أن يحتاج إلى ذكر الأدلة . فما للسبيل إلى سد هذا الباب من الابتداع ؟ الجواب هو ما قرره ابن الوزير من أنه يجب علينا أن نصنع في القوادح في تفاصيل الاسلام التي عرضت لبعضها هل الكلام ، مثل ما صنعنا معنا في الرد على البراهمة في القوادح التي قدحت في جملة الاسلام (١) ، وذلك أن نعتقد أن الحق في تلك القوادح التفصيلية هو فيما جاء من عند الله تعالى ، بدليل المعجزات الباهرات ، ونعلم ان للبصائر أوهاما في الخفيات من الأحكام مثل ما ثبت للأبصار في الخفيات من الأوهام ، فلا نشبع في الخفيات وهم البصائر ، ولا وهم الأبصار ، والجلو من المنقول والمعقول هو أولى بالاتباع ورد ما خفى على المعقول اليه ، ونتفح بالجلو ونقف فيما دق وخفى ونصنع في الانتفاع بالبصائر كما صنعنا في الانتفاع بالأبصار ، ولا نقف الجلي على الخفى ، ولا نرجحه على الجلي وبهذه الطريقة نكون قد أغلقنا منافذ يتسرب منها الاختلاف والابتداع في الدين (٢) . والله أعلم .

ومن هذه المنافذ التي يتسرب منها الاختلاف والابتداع في الدين تأويل المتشابه وهذا هو الذي لا يرضاه ابن الوزير ، فقد أكثر من الكلام على قوله تعالى (وما يعلم تأويله الا الله) . وقرر الوقف على لفظ الجلالة كما قرر أن قوله تعالى (والراسخون في العلم يقولون آمنا به) جملة مستأنفة لا معطوفة كما يقول البعض ذكر ذلك في معرض الرد على المعتزلة الذين ادعوا العلم بتأويل المتشابه ، واستدل بأقوال بعض الصحابة رض الله عنهم أجمعين وبعض التابعين وبعض القراء وبعض أئمة المعتزلة على ما ذهب إليه .

كما استدل بكلام ابن تيمية في القاعدة الخامسة من التدمرية في وجوه التأويل الثلاثة التي ذكرها قريبا ، ان شاء الله تعالى . كما ذكر أدلة القائلين أيضا بانهم يعلمون تأويل المتشابه ثمرد عليهم بأن الراسخين لا يعلمون تأويل المتشابه

(١) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٨٧-٨٨ .

(٢) راجع التفاصيل في ترجيح اساليب القرآن على اساليب اليونان لابن الوزير ص ١٤١-١٦٧ ، ايثار الحق له ص ٨٨-٨٩-٩١ ، كتب التفسير الايسرة ٧ من سورة ال عمران .

الذى هو مذهبه بل معتقده من ستة أوجه أيدها باثني عشر دليلا (١) معظمها غير موجود - حسب اطلاعى - فى كتب التفسير ، وإن وجد فمفترق ، لكنى أظنه غير موجود . والله أعلم .

ومن أيد رأى ابن الوزير هذا من أت الراسخين لا يعلمون تأويل المتشابه ابن ابى زيد القيروانى حيث قال : (والله يعلم تأويل المتشابه من كتابه ، والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) (٢) .

- لمحة سريعة عن المحكم والمتشابه فى القرآن الكريم عند ابن الوزير :

قد وصف الله - تعالى - القرآن العظيم بأنه محكم كله بقوله تعالى : (كتاب أحكمت آياته) (٣) وبأنه متشابه بقول الله تعالى : (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثنى) (٤) وفى آية إن بعضه محكم وبعضه متشابه بقوله تعالى : (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) (٥) . فالأحكام الذى يعمه هو الاتقان ، وهو تمييز الصدق من الكذب فى أخباره والغى من الرشاد فى أوامره ، والتشابه الذى يعمه هو ضد الاختلاف ، المنفى عنه فى قوله تعالى : (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) (٦) وهو الاختلاف المذكور فى قوله تعالى : (إنكم لفى قول مختلف ، يؤفك عنه من أفك) (٧) .

(١) راجع التفاصيل فى ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير ، ص ١٤١-١٦٧ ، إيثار الحق له ص ٨٨-٨٩-٩١ ، كتب التفسير الايسنة ٧ من سورة ال عمران .

(٢) كتاب الجامع فى السنن والاداب لعبدالله بن ابى زيد القيروانى ص ١١٤ .

(٣) سورة هود : ٢ .

(٤) سورة الزمر : ٢٣ ومعنى قوله تعالى (مثنى) مردد كذكر الانبياء وثنى الوعد والوعيد (إن الأبرار لفى نعم) وإن الفجار لفى جحيم) سورة الانفطار ، تفسير ابن كثير .

(٥) سورة ال عمران : ٧ .

(٦) سورة النساء : ٨٢ .

(٧) سورة الذاريات : ٨ - ٩ .

فالتشابه في قوله (كتابا متشابها) هو تماثل الكلام وتناسبه بحيث يصدق بعضه بعضا ، والاحكام العام في معنى التشابه العام ، بخلاف الاحكام الخاص والتشابه الخاص ، فانهما متنافيان .

والتشابه الخاص مشابهة الشئ لغيره من وجه ، ومخالفته من وجه آخر ،
بحيث يشبهه على بعض الناس أنه هو أو مثله ، وليس كذلك . والاحكام الخاص هو الفصل بينهما بحيث لا يشبهه أحد هما بالآخر ، على من عرف ذلك الفصل .

وهذا التشابه الخاص إنما يكون بقدر مشترك بين الشيئين مع وجود الفاصل بينهما ثم من الناس من لا يهتدى إلى ذلك الفاصل فيكون مشتبهاعليه ، ومنهم من يهتدى له فيكون محكما في حقه ، فحينئذ يكون التشابه من الامور الاضافية فاذا تمسك النصراني بقوله تعالى : (انا نحن نزلنا الذكر) (١) ونحوه على تعدد الالهة كان المحكم قوله تعالى : (واللهم إله واحد) (٢) ونحو ذلك مما لا يحتمل إلا معنى واحدا ، يزيل ما هنالك من الاشتباه (٣) .

وقبل الدخول في الكلام على تأويل التشابه نشير إلى معنى التشابه في قوله تعالى : (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات ، هن أم الكتاب ، وأخر متشابها) فما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله ، والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الالباب (٤) .

فقل التشابه هو ما احتل أكثر من معنى ، وقيل هو ما لا سبيل إلى معرفته بحال كقيام الساعة ، والحكمة في عدد حملة العرش ، وخزنة النار ، ومن الناس من قصر التشابه على آيات مخصوصة ثم اختلفوا فمنهم من قال : هي الحروف المقطعة في أوائل السور ، ومنهم من قال : آيات الشقاوة والسعادة ، ومنهم من قصره على آيات الصفات ومنهم من قال المنسوخ ، وغير ذلك من الأقوال التي شحنت بها كتب التفسير والاصول (٥) .

(١) سورة الحجر : ٩٠ .

(٢) سورة البقرة : ١٦٣ .

(٣) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٩٢ والترجيح له ص ١٤٤ والتدمرية لابن تيمية ضمن مجموعة نفائس ص ٤٠-٤١ وانظر التفاصيل في العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٢ وهم ١٥ والاتقان في علوم القرآن للسيوطي ج ٢ ص ٢ وما بعدها .

(٤) سورة عمران : ٧٠ .

(٥) انظر ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٩٠ والروض الباسم له ج ٢ ص ٢٠٤ ، والاتقان في علوم القرآن للسيوطي ج ٢ ص ٢ وما بعدها وكتب التفسير لاية ٧ من سورة عمران منها تفسير الطبري ج ٣ ص ١٧٠-١٨٤ وتفسير القرطبي ج ٢ ص ١٥١-١٦٦ - وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥-٦ .

أما ابن الوزير فالمتشابه عنده : هو ما لا تدرك العقول معرفته وسياتي بيانه
تحت عنوان : العلاج الذي وصفه ابن الوزير وفي اقسام التأويل أيضا .

وأما المحكم فهو البين الواضح الدلالة ، لا التباس فيها على أحد من
الناس ، فمن رد ما اشتبه عليه الى الواضح منه فقد اهتدى ومن عكس انعكس ،
كذا قرره ابن كثير (١) السلفي الشهير .

هذا وقد قسم ابن الوزير التأويل الى ثلاثة وجوه ، نقلا عن شيخ الاسلام ابن
تيمية كما صرح بذلك ، وبناء على ذلك فلامانع من توضيح كلام ابن الوزير حيث ان
اختصره من التدرية لابن تيمية وهذا أغنى شيخ الاسلام اوجزه في مواضع وبسطه في
مواضع وذلك كالآتي :

الوجه الاول : (كلام الاصوليين وهو ترجيح المرجوح لدليل) وعبارة شيخ
الاسلام : (هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى الاحتمال المرجوح لدليل
يقترن به) وهو مذهب طائفة من المتأخرين من أهل الكلام وأصول الفقه .
وفي موضع آخر : (صرف اللفظ عن ظاهره الذي يدل عليه ظاهره الى ما يخالف
ذلك لدليل منفصل يوجب ذلك ، وهذا التأويل لا يكون إلا مخالفا لما يدل عليه اللفظ ،
وبيينه وتسمية هذا لم يكن في عرف السلف) .

وعلى هذا الاصطلاح فلا يكون معنى اللفظ الموافق لدلالة ظاهره تأويلا .
وهذا التأويل في نظر شيخ الاسلام - في كثير من المواضع او عامتها من باب
تحريف الكلم عن مواضعه وهو من جنس تاويلات الباطنية وهو التأويل الذي ذمه سلف
الامة وأئمتها بالاتفاق ، بل صاحبا بأهله من اقطار الارض ، ورموا في آثارهم بالشبه .

وهذا القسم من اقسام التأويل هو الذي صنف في الرد على أهل الامام أحمد بن
حنبل رحمه الله - كتابه المشهور ب (الرد على الزنادقة والجهمية فيما شككت فيه من
متشابه القرآن ، وتأولته على غير تأويله) .

(١) انظر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤٠٤ .

الوجه الثاني : ان التأويل هو التفسير ، وهو اصطلاح المفسرين وفى تعبير ابن تيمية : وهذا هو الغالب على اصطلاح المفسرين للقران كابن جرير ومثاله ، وهذا مما يعلمه الراسخون فى العلم . قلت : ومنه دعا النبى صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضى الله عنهما بقوله : (اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل) (١) أى التفسير .

الوجه الثالث : أن التأويل هو الحقيقة التى يؤول إليها الكلام ، لقوله تعالى : (هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق) (٢) فتأويل أخبار المعاد وقوعها يوم القيامة كما قال فى قصة يوسف لما سجد أبواه وإخوته (هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربي حقا) (٣) فجعل عين ما وجد فى الخارج هو تأويل الرؤيا ، ومنه قول عائشة رضى الله عنها كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى ركوعه وسجوده (سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي) (٤) يتأول القرآن تعنى قوله تعالى : (فسبح بحمد ربك واستغفره) أى يفعل ما أمر به فى القرآن ومنه قول ابن عيينه : السنة : (هى تأويل الامر والنهي فإن نفس الفعل المأمور به هو تأويل الأمر به ، ونفس الموجود المخبر به هو تأويل الخبر ، ولهذا يقول أبو عبيدة وغيره : الفقهاء أعلم بالتأويل من أهل اللغة) (٥) .

وعليه فتأويل ما أخبر به الله تعالى عن ذاته المقدسة بما لها من الأسماء والصفات ، هو حقيقة ذاته المقدسة .

وتأويل ما أخبر به الله - تعالى - من الوعد والوعيد ، هو نفس الثواب والعقاب ، وليس شئ منه مثل المسميات بأسمائه فى الدنيا فكيف بمعانى أسماء الله تعالى وصفاته ، لكن الإخبار عن الغائب لا يفهم وإن لم يعبر عنه بالأسماء المعلومة معانيها فى الشاهد ، ويُعلم بها ما فى الغائب بواسطة العلم بما فى الشاهد مع الفارق المميز .

(١) مسند أحمد ج ١ ص ٢٦٦-٣١٤ واصله فى الصحيحين البخارى ج ١ كتاب الوضوء باب وضع الماء عند الخلا ص ٤٥ ومسلم ج ٤ فضائل الصحابة باب فضائل ابن عباس ص ١٩٢٧ قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ج ٥ ص ٢٧٦ ولاحمد طريقان رجالهما رجال الصحيح .

(٢) سورة الاعراف : ٥٢ (٣) سورة يوسف : ١٠٠

(٤) البخارى ج ٦ تفسير (اذا جاء نصر الله والفتح) ص ٩٣ .

(٥) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٩١ وترجيح اساليب القرآن له ص ١٤٢-١٤٣ ،

والتدمرية لابن تيمية ضمن مجموع نفائس ٧٧-٣٨ ومجموع فتاوى ابن تيمية ج ٤ ص ٦٨ - ٦٩ - ج ٥ ص ٣٥-٣٦ وانظر فتح البارى لابن حجر ج ٣ ص ٢٩٩ .

وفى الغائب ما لعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، كما ورد فى
صفة الجنة ، كيف بالذات المقدسة . . فنحن إذا أخبرنا الله تعالى بالغيب الذى اختص
به - من الدارين وما فيهما - علمنا معنى ذلك الذى أريد منا فهمه وفسرناه . وأما
نفس الحقيقة المخبر عنها التى لم تكن بعد ، وإنما تكون يوم القيامة ، فذلك من
التأويل الذى لا يعلمه الا الله - سبحانه - ولذلك لما سئل مالك وغيره من
السلف عن تأويل قوله تعالى : (الرحمن على العرش استوى) (١) قالوا الاستواء
معلوم ، والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ، وبمثل هذا
قال ربيعة شيخ مالك : الاستواء معلوم والكيف مجهول وعلى الله البيان ، وعلى
الرسول البلاغ ، وعلينا الإيمان ، ومثل هذا كثير يوجد فى كلام السلف فى نفي كيفية
علم العباد بصفات الله تعالى (٢) .

هذا وقد صرح ابن الوزير بأنه نقل هذا من التدمرية لابن تيمية .
وقد قابلت كلام ابن الوزير هذا بكلام ابن تيمية فوجدته كاملاً فى (المواصم) فقد
نقل الأصلين اللذين أحدهما : إن القول فى بعض الصفات كالقول فى البعض الآخر ،
وثانيهما : إن القول فى الصفات كالقول فى الذات كما نقل المثليين والخاتمة الجامعة
بما فيها من القواعد الست المتضمنة لمنهج السلف فى الاسماء والصفات ، وذلك أربع
وثلاثون صفحة (٣) على التوالى ، واختصره فى (الترجيح) والإيثار (٤) ، واستدرك على
شيخ الاسلام ابن تيمية وجهاً رابعاً فى تأويل التشابه ، لا مانع من ذكره ، ليعرف مدى
صوابه من عدمه ، حيث قال : بهذا الأدب والاحكام : (وقد ترك الشيخ والامام وجهها
من وجوه التأويل ما لا يعلمه إلا الله على الصحيح ، وذلك هو وجه الحكم (٥) فيما لا تعرف
العقول وجه حسنه ، مثل خلق أهل النار ، وترجيح عذابهم على العفو عنهم ، مع سبق
العلم وسعة الرحمة ، وكما ل القدرة على كل شئ ، والدليل على أن الحكمة

(١) سورة طه : ٥

(٢) إيثار الحق لابن الوزير ص ٩١-٩٢ والترجيح له ص ١٤٣-١٤٤ التدمرية

لابن تيمية ص ٣٨-٣٩ والكتاب الجامع فى السنن والأدب والمغازى والتاريخ

لابن ابى زيد القيروانى سنة ٣٨٦ هـ ص ١٢٣ .

(٣) وفى طبعة أخرى ص ٧٠ تقريباً .

(٤) انظر المواصم والقواصم ج ٢ الوهم الخامس عشر والرسالة التدمرية لابن تيمية ص ١٥-

٩٤ وإيثار الحق على الخلق ص ٩١-٩٢ ، الترجيح ص ٢٤١ وما بعدها .

(٥) فى الترجيح بالافراد وفى الإيثار بالجمع وهذا نصه . وفى نسخة أخرى منه : الحكمة
المعينة وهو المناسب للسياق الاتى والله أعلم .

الخفية فيه تسمى تأويلا، ما ذكره الله تعالى في قصة موسى والخضر ، فإن قوله : (سأنبئك بتأويل (١) ما لم تستطع عليه صبرا) (٢) صريح في ذلك . وهذا مراد في الآية لأن الله وصف الذين في قلوبهم زيغ بابتغاء تأويله و منهم بذلك وهم لا يبتغون علم العاقبة عاقبة الخبر عن الوعد والوعيد ، وما يؤول إليه على ما فسرهُ الشيخ ، فهم لا يبتغون الجنة والنار والقيامة وذات الرب - سبحانه - كما يبغونها طالب البعوان إنما يستقبحون شيئا من الظواهر يقولون فيتكلفون لها معاني كثيرة يختلفون فيها - وكل منهم ينفرد بمعنى من غير حجة صحيحة الا مجرد الاحتمال ، وربما خالف ذلك التأويل المعلوم من الشرع ، فتأولوه ، وربما استلزم الوقوع في أعظم ما فروا منه (٣) .

وهذه المسألة هي أم المتشابهات ، وأغض الخفيات ومحارة علماء المعقولات والمنقولات عند ابن الوزير ، فكيف يتعرض لمعرفة حكيم ، بعد قوله تعالى (ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) (٤) والجهل بها من جملة قدر الله تعالى السابق . (ومن الناس من يسعى فيما لا ينفعه - بل يضره - من العلوم والاعمال كما قال تعالى : (ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم) (٥) .

(١) قال الطبري في تفسيره ج ١٦ ص ٢٩١ : (أى بما يؤول إليه عاقبة أفعالهم التي فعلتها فلم تستطع على ترك المسألة عنها وعن التكثير على فيها صبرا) ، وفي القاموس ج ٣ ص ٣٣١ أول الكلام تأويلا وتأوله دبره وقدره وفسره .

(٢) سورة الكهف : جزء من اية ٢٨ .

(٣) العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٢ وهم ١٥ ج ٣ وهم ٢٨ ص ٩٧-٢٩٩ ، ترجيح اساليب القرآن على اساليب اليونان له ص ١٤٥ وإيثار الحق على الخلق له ص ٩٢-٩٣ وهذا نصه والروض الباسم له ج ٢ ص ٤٠٤ .

(٤) سورة البقرة : ١١٩ وفيها ثلاث قراءات وتوجيهات راجعها في كتب التفسير منها تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٣٣-٢٣٤ وفتح القدير للشوكاني ج ١ ص ١٣٥ .

(٥) سورة البقرة : جزء من اية ١٠٢ . وانظر العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٣ ، وهم ٢٨ ص ٢٩٩ .

ثم ان ابن الوزير لم يكتف بهذا ، بل يوجه نصيحته للسنى بقوله : (والأولسى بالسنى الوقوف على ما أوقف الله عليه ملائكته الكرام ، حيث أجاب عليهم أنه يعلم ما لا يعلمون ، وترك التكليف فيما لم يؤمر به ، والتأدب بمثل قوله تعالى : (ولا تقف ما ليس لك به علم) (١) والحذر من الشذوذ عن الجماعة والنفرة عن كل بدعة وشناعة) (٢) .

قلت : وجه الدلالة من الآية على منهج ابن الوزير - ان الخوض في تأويل المتشابه الذي لا يعلمه الا الله - عز وجل - من القول على الله بلا علم ، بل من الظنون والاهام ، وقد ورد النهي عن هذا النوع في الكتاب والسنة ، وهو الاولسى والاخوط من التكلف بلا تكليف ،

- العلاج الذى وصفه ابن الوزير للابتداع والتقليد :

سبق أن ذكرت أن الزيادة في الدين والنقص منه وما يلحق بهما من التصرف في عبارات الكتاب والسنة من العبارات المبتدعة وأنها - مع بطلانها - تقوم على أصليين : سمعى وعقلى ، وأن السمعى هو اختلافهم في معرفة المحكم والمتشابه ، وهل يعلمون تأويل المتشابه ثم ما سبب وقوع المتشابه - على العقول من حيث الحكمة والدقة - في كتاب الله تعالى ، وذكرت أن المشهور هو الابتلاء بالزيادة في مشقة التكليف لتعظيم الثواب ومخالفة ابن الوزير ، لذلك المشهور ، بأن سببه زيادة علم الله تعالى على علم الخلق ، مع ذكر التعليل كما ذكرت أن العقلى ، إنه إنما عرض للمبتدعة بسبب الخوض فيما لا تدركه العقول ^{من الخفيات} التى اعرض عنها السلف ، ثم ذكرت الكلام على وجوه تأويل المتشابه الثلاثة التى نقلها ابن الوزير عن ابن تيمية ، والاستدراك بوجه رابع .

وبعد هذا كله لا يسع ابن الوزير السكوت على مثل هذه الامور ، التى لا ينبغى السكوت عنها بل نبه بأمر أربعة هي :

- ١- الكلام في ذات الله - تبارك وتعالى - على جهة التفصيل أو الاحاطة .
- ٢- النظر في سر القدر السابق في الشرور ، معظم رحمة الله - تعالى - وقدرته على ما يشاء .

(١) سورة الاسراء : ٣٦ .

(٢) العواصم والقواصم ج ٣ وهم ٢٨ ص ٢٩٩ .

٣ - البحث في فواتح بعض السور لمعرفة المراد منها .

٤ - البحث في المجل الذي لا يظهر معناه بعلم ولا ظن . وإليك بيانها :

أولاً : إن الكلام في ذات الله - جل وعلا - على جهة التفصيل والتصوير والاحاطة ، على حد علم الله تعالى باطل ، بل من التشابه الممنوع الذي لا يعلمه إلا الله تعالى ، لقوله - عز وجل - (ولا يحيطون به علماً) (١) ، ولقوله تعالى : (ليس كمثله شيء) (٢) . وإنما تتصور المخلوقات وما هو نحوها ، للنهي عن التفكير في ذات الله (٣) - عز وجل - ولما اشتهر عن علي رضي الله عنه في امتناع معرفة الله عز وجل على العقول (امتنع منها بها واليها حاكمها) (٤) .

ومن التفكير في الله - سبحانه وتعالى - والدعوى الباطلة على العقول ، وتكليفها ما لا تطيقه ولا تعرفه ، حدثت البدع المتعلقة بذات الله تعالى وأسمائه وصفاته .

وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله ، والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب) (٥) قالت فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم (إذا رايتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين ساء لهم الله فاحذروهم) (٦) فمن أكبر البدع ؟

قول البهاشمة من المعتزلة إن الله تعالى عن قولهم (لا يعلم من ذاته غير ما يعلمونه) (٧) .

(١) سورة طه : ١١٠ .

(٢) سورة الشورى : ١١٠ .

(٣) معنى حديث متفق عليه البخاري ج ٤ كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده ص ٩٢ مسلم ج ١ كتاب الإيمان باب الوسوسة ص ١١٩-١٢٠ .

(٤) المعاصم والقواصم لابن الوزير الوهم الخامس عشر والسادس عشر وإيثار الحق على الخلق له ص ٩٣ والترجيح له أيضا ص ١٢٩ .

(٥) سورة عمران : ٧ .

(٦) سنن أبي داود مع عون المعبود ج ٢ كتاب السنة باب النهي عن الجدال واتباع التشابه من القرآن ص ٤٣-٤٥-٤٣ والبخاري ج ٣ تفسير سورة آل عمران ص ١٢٦ بلفظ : (إذا رايتم ...)

(٧) انظر المعاصم ج ٢ وهم ١٦ ، إيثار الحق ص ٩٣-٩٤ ، الترجيح ص ١٣١ .

قال ابن الوزير : (والمبتدعة يرون تصانيفهم اهدى من القران لبيانهم فيها - على زعمهم - المحكم والمتشابه ، فمنهم من صرح بذلك وقال : إن كلامه أنفع من كلام الله تعالى ، وكتبه أهدى من كتب الله تعالى ، وهم الحسينيين أصحاب الحسين بن القاسم العياني ^(١) سنة ٤٠٤ هـ وقد حمله الامام المظهر ابن يحيى على الجنون ، وقيل لم يصح عنه ، ومنهم من يلزمه ذلك ، وإتلم يصرح به) (٢) .

وقد صرح ابن الوزير في الروض الباسم أنه خرج من المذاهب الاسلامية ، وادعى أنه افضل من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأن كلامه أنفع من كلام الله عز وجل ، لأنه كان يناظر أهل العلم بهاتين المقدمتين : إنه قد ثبت أن الاعلم أفضل ، وأن علم الكلام أفضل العلوم ، فيلزم منهما أنه أفضل من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأنه يقطع أنه أعلم منه بعلم الكلام (٣) !!

وحاصل هذا الامر أنه من التحكم بالنظر في ذات الله - سبحانه - وهو من المتشابه ، والخوض في ذلك من البدع المحرمة ، فالعلم بكيفية الصفات غير حاصل لنا ، ان العلم بكيفية الصفة فرع عن العلم بكيفية الموصوف ، فاذا امتنع العلم بكيفية الموصوف فكذلك كيفية الصفة (٤) .

وما قاله ابن الوزير في الرد على المبتدعين وعدم التمسك بسنة سيد المرسلين :
 ماورث المختار غير حديثه * * * فينا وذاك متاعه وأثاثه
 فلنا الحديث وراثته نبوية * * * ولكل محدث بدعة احداثه (٥)

(١) احد حكام اليمن الزيدية المعتزلة ، والحسينية أتباعه فرقة من الزيدية قد انقرضت بعد الانتشار والخذلان وقد خالف ابن الوزير في هذا المؤرخ احمد بن محمد الشرفي سنة ١٠٥٥ هـ والله اعلم ، الروض الباسم ج ١ ص ١٥٨ ، حكام اليمن للحبشي ص ٦١ .

(٢) الروض الباسم لابن الوزير ج ١ ص ١٥٨ .

(٣) المصدر نفسه ج ١ ص ١٥٨ .

(٤) هكذا قرره شيخ الاسلام في مجموع فتاويه ج ٦ ص ٣٩٩ .

(٥) الروض الباسم لابن الوزير ج ١ ص ٨ .

ثانياً : النظر في سر القدر السابق في الشرور مع عظم رحمة الله تعالى ، وقدرته على ما يشاء ، وهذا من المتشابه الواضح تشابهه ومنعه ، فقد تحير الملائكة الكرام عليهم السلام مع قريبهم من الله - عز وجل - واستفسروا (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) فكان الجواب الجملي (إني أعلم ما لا تعلمون) (١) ، فاعترفوا بما قرره عليهم من قصور علمهم وقالوا : (لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم) (٢) وإذا كفى الملائكة العلم الجملي كفى كثيرا من المسلمين (٣) .

ثم ساق تعليم آدم الاسماء وتفضيله بالعلم عليهم الى قوله تعالى : (ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبذرون وما كنتم تكتمون) (٣) . فهل قول الملائكة هذا من باب الاعتراض او الاستفسار والاستكشاف عن الحكمة في ذلك كما هو مضمون كلام ابن الوزير ؟

قال ابن كثير : (وقول الملائكة هذا ليس على وجه الاعتراض على الله ، ولا على وجه الحسد لبني آدم كما قد يتوهمه بعض المفسرين ، وإنما هو استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك يقولون يا ربنا ما الحكمة في خلق هؤلاء مع ان منهم من يفسد في الارض ويسفك الدماء ، فإن كان المراد عبادتك فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك أي نصلي لك ولا يصدر منا شيء من ذلك وهؤلاء وقع الاقتصار علينا ؟ قال الله تعالى مجيبا لهم عن هذا السؤال : (إني أعلم ما لا تعلمون) أي إني أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هذا الصنف على المفاسد التي ذكرتموها ما لا تعلمون أنتم فإنني سأجعل فيهم الأنبياء ، وأرسل فيهم الرسل ، ويوجد فيهم الصديقون والشهداء والصالحون والعباد ، والزهاد والاولياء ، والابرار والمقربون ، والعلماء العاملون والخاصعون والمحبون له تبارك وتعالى المتبعون رسله صلوات الله وسلامه عليهم) (٤) .

(١) سورة البقرة : ٣٠ .

(٢) الروض الباسم لابن الوزير ج ٢ ص ٢١٩ .

(٣) سورة البقرة : ٣٣ .

(٤) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٩٩-١٠٠ .

(٥) سورة البقرة : ٣٢ .

وهذا يؤيد ما اشار اليه ابن الوزير من استفسار الملائكة وجواب الله تعالى -
الجملى فى تحييرهم لما خفيت الحكمة عليهم فى ذلك ولهذا يقول ابن الوزير -
(وفى ذلك إشارة واضحة أن مراد الله تعالى بالخلق هم اهل الخير فالخلق
كلهم كالشجرة وأهل الخير ثمرة تلك الشجرة وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى :
(وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) (١) .

ويستمر ابن الوزير مبينا أن الله تعالى - لم يخلق الشر لكونه شرا محضا ،
بل فيه من الخير الكامن ما لا يعلمه الا الله عز وجل بل لا يريد لكونه شرا قطعاً ،
ومثل بأم الصبي التى ترى الحجامه شرا محضاً ، وبالغبي الذى يرى القصاص شرا
محضاً فيقول : (والسرفى ذلك أن الله تعالى لا يريد الشر لكونه شرا قطعاً ، وإنما
يريده وسيلة الى الخير الراجح كما قال تعالى : (ولكم فى القصاص حياة يا أولئى
الالباب (٢)) .

وكما صح فى الحدود والمصائب - بغض النظر عن الخلاف فى الحدود هل
هى كفارات ام لا (٣) - أنها كفارات ، فهذا سر القدر فى الجملة ، وإنما الذى خفى
تفصيله ومعرفته فى عذاب الآخرة ، وشقاوة الاشقياء .

فمن الناس من كبر ذلك عليه وأداه الى الحكم بنفى التحسين والتقيح ، فقد حوا
بنفى حكمة الله تعالى ، وهم غلاة الاشعرية ، الا بمعنى احكام المصنوعات فى تصورهما
لا سواء .

ومن الناس من جعل الوجه فى تحسين ذلك من الله عدم قدرته سبحانه على
هدايتهم وهم جمهور المعتزلة ، لكنهم يعتذرون عن تسميته عجزاً ، ويسمونسه
غير مقدور .

ومنهم من جعل العذر فى ذلك ان الله لا يعلم الغيب ، وهم غلاة القدرية
نفاة الاقدار .

ومن الناس من اداه ذلك الى القول بالجبر ونفى قدرة العباد واختيارهم (٤) .

(١) سورة الذاريات - ٥٦ ، الايثار ص ٩٧-٩٨ ، وانظر كلام ابن الوزير هذا فى

العواصم والقواصم ج ٣ الوهم الثامن والعشرون .

(٢) سورة البقرة : ١٥٢ .

(٣) انظر الخلاف فى فتح البارى ج ١ ص ٦٥-٦٦ .

(٤) ايثار الحق لابن الوزير ص ١٩٨-١٩٩ ، الترجيح له ص ١٥٦ ، وانظر التفاصيل

فى العواصم له ج ٣ وهم ٢٨ .

وقد جمع ابن الوزير في العواصم والقواصم ما هب ودب في مسألة القدر، كما قال : (جمعت في ذلك ما لم أسبق إليه ولا إلى قريب منه في علمي) . وكان ينبغي عدم التعمق إلى هذا الحد في القدر الذي هو سر الله تعالى ولكن طبيعة الجدل وشدته فرضت عليه بأن جمع جزءاً كاملاً في القدر يزيد عن ٤٠٠ ص رداً على الوهم الثامن والعشرين ، أن أهل السنة ينكرون أفعال العباد، وتدعي الجدل إلى جميع متعلقات القدر من الأفعال إلى الإرادة والمشية والحكمة وغير ذلك .

وقد تقصى البراهين في الرد على المعتز المعتزلي ، وغيره حتى بلغت أحاديث وجوب الإيمان بالقدر اثنين وسبعين حديثاً ، وأحاديث صحته مائة وخمسة وخمسون حديثاً ، الجحلة سبعة وعشرون حديثاً ومائتا حديث ، من غير الأيسات القرآنية (١) . ولم يكتفِ ابن الوزير بهذا فقد أشار إلى مصنفات ابن تيمية (٢) وتلميذه ابن قيم الجوزية (٣) في بيان الحكمة في العذاب الأخرى ويقول ابن الوزير إنه أفرد ذلك في جزء لطيف وزاد عليه ، وإلى كتابة هذه الأحرف لم أطلع عليه .

ومضمون كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم مؤكد لمضمون كلام ابن الوزير من أنه لا يجوز اعتقاد أن الله لا يريد الشر لكونه شراً ، بل لا بد من خير راجح يكون ذلك الشر وسيلة إليه ، وذلك الخير هو تأويل ذلك الشر السابق له ، على نحو تأويل الخضر لموسى ، وأن ذلك مطرد في شرور الدارين معا ، وأشار إلى ذلك الغزالي في شرح الرحمن الرحيم (٤) .

هذا ومن العجيب أن ابن الوزير يتقضى الأدلة في النهي عن الخوض في القدر ثم يسترسل فيه .

-
- (١) انظر العواصم لابن الوزير ج ٣ وهم ٢٨-٢٩-٣٠ ، الايثار له ص ٩٩ .
(٢) انظر كلام ابن تيمية على سبيل المثال في كتاب القدر ج ٨ من مجموع الفتاوى ص ٩٣ - ٩٥ - ١٢٣ - ١٢٥ - ٢٠٧ - ٢١٢ وغير ذلك .
(٣) انظر شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، الباب الثالث والعشرين منه .
(٤) المقصد الأسنى شرح الأسماء الحسنى للغزالي ص ٦٧-٦٨ ط . بيروت .

وقد قرر شيخ الاسلام ابن تيمية أن السيئة إنما يخلقها الله بحكمة ، وهي باعتبار تلك الحكمة من إحسانه ، فإن الله لا يفعل سيئة قط ، بل فعله كله حسن وحسنات وفعله كله خير ، واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم في دعا الاستفتاح : (والخير بيديك والشر ليس إليك) (١) وقال معلقا على هذا الحديث ما لفظه : (فأنه لا يخلق شرا محضا بل كل ما يخلقه ففيه حكمة هو باعتبارها خير ، ولكن قد يكون فيه شر لبعض الناس ، وهو شر جزئي اضافي ، فأما شر كل أو شر مطلق ، فالشر بمنزله عنه ، وهذا هو الشر الذي ليس إليه ،

وأما الشر الجزئي الإضافي فهو خير باعتبار حكمته ، ولهذا لا يضاف الشر إليه مفردا قط بل إما أن يدخل في عموم المخلوقات كقوله : (وخلق كل شيء فقدره تقديرا) (٢) .

وإما أن يضاف إلى السبب كقوله : (من شر ما خلق)
وإما أن يحذف فاعله كقول الجن : (وأنا لاندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا) (٣) .

قلت : وهذا ما يقوى قولى بأن مضمون كلام شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم مؤكد لمضمون كلام ابن الوزير من أنه لا يجوز اعتقاد أن الله لا يريد الشر لكونه شرا ، بل لابد من خير راجح ^{يكون} ذلك الشر وسيلة إليه الخ . فله الحمد والمنة وكان هذا الكلام بعضه من بعض ولا غرابة في ذلك فالحق واحد ، وإن اختلفت الأساليب والطرق الموصلة إليه ، وأيضا فابن تيمية يعتبر من شيوخ ابن الوزير - وإن كان بينهما أكثر من قرن - لكثرة ما ينقل عنه ويستشهد بأفكاره لاسيما في معترك الانظار .

- ثالثا : فواتح بعض السور ، إذ لو كانت معلومة لأهل العلم لجاز أن تنزل سورة كبيرة يكلف العلماء معرفة المراد منها وتفصيل مدلولاتها من وعد ووعيد ، وأوامر ونواهي ، بل كان يلزم تجويز أن يكون القرآن كله كذلك .

(١) مسلم ج ١ كتاب صلاة المسافرين باب الدعاء في صلاة الليل ص ٥٣٥ .

(٢) سورة الفرقان جزء من آية : ٢ .

(٣) سورة الجن : ١٠ وانظر نص ابن تيمية في مجموع فتاويه ج ٤ قسم التفسير ص ٢٦٦ وانظر ما يتعلق بهذا فيما قبلها وما بعدها . وانظر مختصر الصواعق اختصره محمد الموصلى ج ١ ص ٢٢١-٢٢٢ .

وكذلك كتب الله الى جميع الرسل ، كما يستلزم أن يفهم مثل هذا عن غير الله - تعالى - فيتخاطب العقلاء بذلك ، ولا ينكر على من دخل على قوم أن يكون أول كلامه لهم كذلك ولا يلام في ذلك .

وهذا هو اختيار الامام زيد بن علي سنة ٢١١ هـ (١) والقاسم سنة ٢٤٤ هـ والهادي سنة ٢٩٨ هـ والامام يحيى سنة ٢٤٩ هـ كما حكاه ابن الوزير . وأما قول أهل التأويل إنا مخاطبون بها فيجب أن نفهمها هو مقلوب ، صوابه : أنا لا نفهمها فيجب ألا نكون مخاطبين بفهمها ، وإن لم يرد يا أيها الذين آمنوا إلّا كما ورد (يا أيها الذين آمنوا اقيموا الصلاة) (٢) فدل على أنها كلام لا خطاب .

وقد ذكر ابن الوزير في ترجيح اساليب القرآن اثنتين وعشرين حجة على أن فواتح بعض السور بالحروف المقطعة غير معلومة (٣) وأنها من المتشابه . والكلام على هذا لا يحتاج الى أكثر من هذا فقد شحنت به كتب التفسير فأرجع إليها .

رابعاً : المجل الذي لا يظهر معناه بعلم ولا ظن سواء كان بسبب الاشتراك في معناه أو لغرابته ، أو عدم صحة تفسيره في اللغة والشرع وغير ذلك .

وقد وقع الوهم في المجل لنوح عليه السلام - كيف لغيره وذلك فيما أخبر الله تعالى عنه بقوله : (إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين ، قال يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم ، إنسى أعظك أن تكون من الجاهلين) (٤) .

-
- (١) مقاتل الطالبين لابی الفرج الاصفهاني ص ١٤٤ .
 - (٢) هكذا في ترجيح اساليب القرآن لابن الوزير ص ١٦٥ ولم أجد آية في القرآن الكريم بهذا اللفظ وفي موضع آخر قال : لم يرد في آية أخرى قط يا أيها الذين آمنوا (الم) ص ١٤٧ .
 - (٣) انظر ترجيح اساليب القرآن على اساليب اليونان لابن الوزير ص ١٦٤-١٦٧ - ايثار الحق له ص ١٠١ ، عون المعبود ج ١٢ ص ٣٤٣-٣٤٥ .
 - (٤) سورة هود : ٤٥-٤٦ وانظر ايثار الحق لابن الوزير ص ١٠١ .

- تعليق على ماسبق :

قلت : اذا تأملت هذه الامور الاربعة التى اختارها ابن الوزير ونبه عليها أنها من المتشابه ، وذلك بعد ذكره لوجوه التشابه الثلاثة التى نقلها عن ابن تيمية وإضافة رابع إليها ، اذا تأملت ذلك تجده موفقا من حيث الجملة للقاعدة التى نهجها فى اصول الدين ، بل فى كتابه (اىثار الحق) الذى هو - كما يبدو - آخر مؤلفاته وهى الأخذ بالاحوط ، وهو كذلك لانه مأمون الخطر على من اعتقد هذا من الزلل فى الدنيا ومن العذاب فى الآخرة .

أما من ناحية التفصيل فالأمران الأولان اللذان أحدهما عدم الخوض فى ذات الله تعالى على جهة التفصيل أو الإحاطة فلا شك أن هذا من البدع فى الدين وليس النجاة من ذلك إلا اتباع الرسول - صلى الله عليه وسلم - وترك الوسوس والتخيلات المؤدية الى تشبيه الله - سبحانه - بمخلوقاته ، وعدم الخوض فى هذا هو مذهب السلف والخروج عنه يعتبر بدعة ان لم يؤثر عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من الصحابة الخوض فى ذلك .

وثانيهما النظر فى سر القدر ، وخفا الحكمة فى خلق الشرور ، مع عظم رحمة الله تعالى .

وأصعب من ذلك عدم معرفتها فى خلق الاشقياء وترجيح عذابهم على العفو مع سبق علم الله وسعة رحمته ، وكمال قدرته ، فخفا الحكمة فى الشرور الدنيوية قد تعرف ، كالفصاد والحجامة وقطع عضو المريض وسائر العمليات الجراحية والقصاص ونحو ذلك ، وقد لا تعرف ، فان عرفت ، والا آمننا بأن هذا الشرفية حكمة كامنة يعلمها الله - عز وجل - كما قال تعالى : (وعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) (١) وقوله : (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم) (٢) .

أما خلق اهل النار فقد وردت بعض أدلة تشير الى شىء من الحكمة فى ذلك . منها أنهم فدا* للمسلمين ، لحديث ابن موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا كان يوم القيامة دفع الله - عز وجل - الى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا فكاكك (٣) من النار (٤)) .

(١) سورة النساء : ١٩ .

(٢) سورة البقرة : ٢١٦ .

(٣) فكاكك يفتح الفاء وكسرهما والفتح افصح واشهر وهو الخلاص والفدا ، انظر شرح

مسلم ج ١٧ ص ٨٥ .

(٤) مسلم ج ٤ كتاب التوبة باب قبول توبة القاتل ص ٢١١٩ .

ولكن الاحوط والاسلم أن نكل علمها الى الله - تعالى - لأننا لسنا مكلفين بمعرفتها فنرتاح ونريح والعكس بالعكس .

أما الامران الثالث والرابع اللذان أحدهما عدم معرفة الحروف المقطعة في أوائل السور ^{بعض} ففي هذا خلاف مشهور بين العلماء قد شحنت به كتب التفسير فليراجع فيها ، ولكن الاحوط والاسلم عدم الخوض فيه ، إذا كان على سبيل التعليم والحكاية لأقوال العلماء لا على سبيل الجزم بمعرفة المراد منه ، وهذا هو المعمول به عند بعض الناس - ولا مانع من ذلك إذ لا خوف على من وكل علمه الى الله تعالى .

فان قيل : هو كلام يجب أن نفهمه ، قلنا نعم هو كلام وليس بخطاب ، والخطاب مكلفون به لما فيه من الأوامر والنواهي ، والكلام الذي لا يتضمن خطابا ، ولا وعيدا ولا وعيدا ، لسنا مكلفين به .

أما ثانيهما الذي هو المجل الذي لا يظهر معناه بعلم ولا ظن و هو فهذا معظمه في علم أصول الفقه ، ومنه الألفاظ المشتركة كالقرء والعين فهذه لها أكثر من معنى ، وهذا ليس هو موضوع بحثنا وإنما هو في ماله علاقة بأصول الديـن غالباً ، وإذا وجد منه شيء في العقائد كلفظ السماء ، فان لها عدة معان . فان ظهر المعنى المراد للمجل بمعنى شرعي أو لغوي فيها ونعمت ، مالم ، فالأولى عدم الخوض فيه . وهي القاعدة السليمة لأننا لسنا مكلفين بمعرفة ما هو خارج عن طاقتنا (لا يكلف الله نفساً الا وسعها) (١) .

وقد رأيت من المستحسن أن أختتم هذا الفصل بنصيحة قيمة أهداها ابن الوزير لطلاب العلم تتعلق بهذا الفصل ، خلاصتها كالآتي :

العلوم قسمان :

قسم مستحسن باتفاق ، مثل النصوص في الحديث والاجماع من تفسير الاسلام والايمان الواجب على الجميع دون ماعداء ، وعلم الزهد بما اشتملت عليه كتبه ما اجمع عليه دون ما اختلف فيه .

ومن أنفس كتبه (رياض الصالحين) للنووي لاقتصاره على الحديث القوى ، وأنفس منه (الترغيب والترهيب) للمنذرى ونحوهما من الكتب الخالية عن البدع .

القسم الثاني : المختلف فيه اختلافا تخاف مضرته في الآخرة ، فما كان الخوض فيه ليس بواجب شرعا مع عظم الخطر في الخوض فيه فاضرب عنه وطالب من دعاك اليه بالدليل الواضح على الوجوب ، وأعرض ما أورد عليك فيه من الأدلة على النصحاء والأذكىاء من العلماء حتى تعرف الوجوب يقينا من غير تقليد ، ثم حرر النية الصحيحة بعد ذلك في معرفة الحق .

ومن القواعد المقررة إلى النجاة : كل قولين مختلفين يخاف الكفر والعذاب الاخرى في أحدهما دون الآخر ، فابعد عنه واحذره ، ألا تراك تخاف الكفر فسى جحد العلوم لا في ثبوتها ، وفي جحد الرب لا في الايمان به ، وفي جحد النبوات لا في اثباتها ، وفي التفريق بين الرسل لا في الايمان بجميعهم ، وفي عدم الايمان بما جاء به القرآن والسنة ، لأن خلاف السمع المعلوم كفر إجماعا ، لا في خلاف العقل المعلوم ، لانه ليس بكفر إجماعا ، وبالفطرة تدرك القوى من الضعيف ، في تلك المباحث إلا مادي وغمض فاتركه لاسيما مع دقة الشبه المعارضة كما تتترك مادي على بصرك من المراثيات (١) . والله أعلم .

...

(١) ايثار الحق لابن الوزير ص ٣٣-٣٤ .

الخاتمة : وفيها النتائج

بعد هذا العرض المستفيض لآراء ابن الوزير الاعتقادية ، لا أدعى أنى قد أحطت بها ، أو استقصيتها .

وإنما هذه كعالم يهتدى بها الباحثون الى منهجه المتمم بقوة الحجة ، وشدة المعارضة ، فى سبيل الذب عن السنة النبوية الصحيحة وحملتها ، و الى ميزات الفسدة المتسمة بوضوح الفكرة - عنده - لما منحه الله - تعالى - من المعرفة التامة بأقوال الطوائف الاسلامية ، واختلافاتهم ، وحسن عرض أدلتهم بدقة وأمانة مع الحافظة النادرة لنصوص الكتاب والسنة ، وأقوال أهل العلم ، وغير ذلك مما سبق ذكره فى ميزات .

إن ابن الوزير من ظلمهم أهل بلد هم ، بغمط محاسنهم ، و دفن آثارهم ، ان معظم مؤلفاته مطمورة فى زوايا مكتبتى جامع صنعاء ، الشرقية والغربية ، الفاصتين بالمخطوطات اليمنية وغيرها .

إن ثناء العلماء على ابن الوزير بل مؤلفاته لتوهله وتسمو به الى أن يلقب بعلامة اليمن ، والمجتهد المطلق ، إلا أنه من الملاحظ عليه الخطأ أو النسيان فى بعض المسائل التى أشرت إليها فى مواضعها .

وهذا من المسلمات التى لا ينكرها المنصفون ، ولا يسلم منها أحد ، وإن عاند المعاندون ، فالكمال لله - عز وجل - وحده ، والعصمة للأنبياء وحدهم .

و ابن الوزير من قرر هذا وكرره فى مصنفاته .

ولكن هذه الملاحظات لا تعد شيئاً عند المنصف إذا غرها فى بحر علمه الزخار ، بشتى الفنون .

وملاحظات تعد بأصابع اليدين تدل على سمو مكانة صاحبها ابن الوزير أو غيره و اتفاق العلماء فى كل المسائل - لا سيما فى الاجتهاديات - يكاد ان يكون مستحيلاً ، للتفاوت فى العلوم والأفكار ، تلك سنة الله تعالى فى خلقه .

فالخلاف كائن - لا محالة - قديماً وحديثاً ، منذ خلق الله آدم عليه السلام - وأسجد له ملائكته ، وجعله خليفة فى الأرض ، فاختلاف الملاء الأعلى واختصاصهم ، واختلاف ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فى قاتل المائة نفس ، وبين الأنبياء كاختلاف موسى والخضر - و داود وسليمان عليهم السلام ، والاختلاف بين كبار الصحابة - رضوان الله عليهم - وبين الأئمة وغيرهم من العلماء ، هذا الخلاف غير خاف على أهل العلم ، مع اتفاق الجميع على الأصول المعلومة من الدين بالضرورة ، التى يعتبر الخلاف فيها - عند الجميع - خروج عن الطة .

إن ملاحظات لا تجاوز أصابع اليدين بعد التمس الشديد وبعد تقرير ما سبق من أن الخطأ والنسيان من طبيعة البشر، لتعد مفخرة من مفاخر ابن الوزير، وقد يما قيل : كفى بالمرء نبلا أن تعد معاييه.

وقد قسمت النتائج الى قسمين :

القسم الأول : الملاحظات

القسم الثانى : النتائج التى توصلت اليها من خلال البحث

أولاً، الملاحظات : وهى مرتبة حسب ترتيب الرسالة.

١- ما صرح به ابن الوزير من أنه وقع القلب عند مسلم فيما تفرد به من حديث أبى هريرة فى السبعة الذين يظلمهم الله - عز وجل - بظل عرشه يوم القيامة ، وذلك أثناء مناقشته للحديث الذى استدل به نفاة الحكمة ، وذكر مسلم فى صحيحه منهم : (رجلا تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شهاله)

قال ابن الوزير بعد إيراده لهذا اللفظ المقلوب : (و صوابه ما خرجاه معا عن أبى هريرة فى هذا الحديث بعينه وفيه : (ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه) (١))

وأنا أقول : إن الصواب أنهما لم يخرجاه معا بهذا اللفظ ، لأن هذا اللفظ ليس بموجود فى صحيح مسلم وإنما هذا لفظ البخارى فيما تفرد به ، وهو الصواب ، لأن اليمين هى المنفقة ،

ولم أجد فى (صحيح مسلم) الا المقلوب لا غير ، إذ قابلته على أكثر من نسخة .
وتبع ابن الوزير فى هذا الوهم الحافظ بن حجر ٨٥٢ هـ (فى النزهة) لما مثل بحديث أبى هريرة المقلوب عند مسلم ، ثم ذكر رواية البخارى باللفظ السابق الصواب ، وقال : (كما فى الصحيحين) لكنه قرر فى الفتح عكس هذا ، ولم يبحث عن أيهما المتأخر ؟

وتبعهما فى الوهم صاحب (اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان)

فقد ذكر هذا الحديث المقلوب فى المتفق عليه .

وقد بينت أن الصواب ما تفرد به البخارى كما سبق فى (مميزات ابن الوزير) (٢)

٢- قدح ابن الوزير فى زيادة حديث افتراق الأمة الى ثلاث وسبعين ملة والزيادة هى : (كلها فى النار إلا ملة) قدح فيها من ناحية النقل والمعنى حيث قال : (وإياك

(١) انظر ص : ٦٣ من الرسالة

(٢) انظر ص : ١٦٧-١٦٨ من الرسالة

والاغترار بـ (كلها هالكة إلا واحدة) فإنها زيادة فاسدة غير صحيحة القاعدة ، ولا يؤمن أن تكون من دسيس الملاحدة ، وعن ابن حزم أنها موضوعة) وليس هذا القدح في هذه الزيادة من ابن الوزير وحده بل القدح فيها من قبله ومن بعده كما بيته في موضعه (١)

وقد تتبعت كلام أهل هذا الشأن - حسب طاقتي - سنداً ومتناً فوجدت هذه الزيادة مروية عن جماعة من الصحابة من عدة طرق كلها واهية إلا واحدة ، وهي التي رواها ابن ماجه بسنده عن أنس مرفوعاً فسنداً صحيح تحقيقاً لا تقليداً ، فهي وإن كان فيها الوليد بن مسلم ثقة مدلس ، فقد صرح بالتحديث ، فارتفع التدليس حسب قواعد المحدثين ، وأقل درجته يكون حسناً ، لكن كثرة طرقة يقوى بعضها بعضاً ، وبانضمامها إلى الطريق الصحيحة عن أنس بما فيها الزيادة المذكورة يرتقى الحديث إلى درجة الصحة (٢) إن شاء الله تعالى .

وأما قول ابن الوزير : (لا يبعد أن تكون هذه الزيادة من دسيس الملاحدة) فأنا أقول : لا يبعد أن تكون هذه الزيادة من دسيس حساده وخصومه لما سبق في المعارك الكلامية من الشدة والحدة .

وأما من ناحية المعنى ، فقد وفقت بتوفيق الله - تعالى - بين الأدلة والقواعد التي صرح ابن الوزير أنها تصادم هذه الزيادة ، منها الأحاديث الواردة في فضائل الأمة المرحومة ، وأنهم أكثر أهل الجنة ، وأنه يدخل الجنة منهم سبعون ألفاً بغير حساب . . . مع أنهم كالشجرة البيضاء بالنسبة لسائر الأمم - في الثور الأسود فلا معارضة لعدة وجوه ذكرتها في الفصل الأول من الباب الثاني من هذه الرسالة (٣)

٣- اسناد ابن الوزير كلاماً ، إلى ناصر السنة أبي اسمعيل عبد الله بن محمد الانصارى الهروى ٤٨١ هـ يتعلق بالأسماء والصفات وأسنده إلى كتاب (منازل السائرين) للهروى المذكور ، وقد رجعت إليه وقرأته أكثر من مرة ولم أجد فيه شيئاً مما أسنده إليه ابن الوزير ، وكل ما فيه يتعلق بالتصوف ومصطلحاته وهو الذي شرحه ابن القيم بمدارج السالكين ، ويبدولى - والله اعلم - أن الكلام الذي أشار إليه ابن الوزير هنا هو للهروى المذكور في كتابه (نزهة الكلام) وبحث عنه في المخطوطات والمصورات - لأنه إلى حين كتابة هذه السطور لم يطبع ، - ولم أقف عليه . (٤)

(١) انظر ص ١٨٠ وما بعدها من الرسالة

(٢) هذا من باب التطفل لأنى لست من أهل هذا الشأن ولا من فرسان هذا الميدان ولكنى بذلت جهداً غير قصير .

(٣) راجع ص ٢٠٩ - ٢١٤ من هذه الرسالة

(٤) سمعت أنه يحقق في جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية .

٤- اسناد ابن الوزير أيضا كلاما للبغوى (١٦ هـ) فى تفسيره أثناء كلامه السابق على الفطرة، ولم اجد عند تفسير الآية المشار اليها، ولا فى شرح السنة عند حديث الفطرة أيضا، كما بيته فى الكلام على معانى الفطرة (١).

٥- قول ابن الوزير ايضا فى أبيات من (الاجادة) له فى مطلعها :

لى فى القديم مقال غير مبتكر

وهذا لا يتفق وما ذكره فى كتابه (ايثار الحق على الخلق) أثناء كلامه على الأسماء الحسنى، بأن ما كان فى الحديث وجب الايمان به على من عرف صحته، وما نزل عن هذه المرتبة، او كان مختلفا فى صحته لم يصح استعماله، وفى ثبوت هذا الاسم خلاف كما بينته فى (الاسماء والصفات) بل حققت الكلام فيه والله الحمد والمنه (٢)

٦- قول ابن الوزير ايضا فى مبحث (الاسماء والصفات) فى أبيات يروىها على اللائمين له باتباع السنة ومحبة للحديث من تلك الأبيات:

و حق حبى له انى به كلف يكفينى الطبع فيه عن تكلفه
وهذا يتنافى مع توحيد الألوهية للتدليل والتعليل الذى اشرت اليه هناك (٣).

٧- إسناد ابن الوزير (حادى الارواح) أحيانا الى شيخ الاسلام ابن تيمية (٧٢٨ هـ) وأحيانا الى تلميذه ابن القيم (٧٥١ هـ) (٤)، وعلى هذا الوهم ترتب الوهم الآتى

٨- اسناده وغيره القول بفناء النار الى شيخ الاسلام ابن تيمية، وقد سبق تحقيق ذلك فى فصل (الغيبات) (٥) وستأتى الإشارة الى ذلك فى النتائج الآتية.

وابن الوزير معذور فى هذا كله، لأنه كثير ما يكتب من حفظه، وهو فى رؤس الجبال، و بطون الأودية للظروف القاسية التى عانىها من خصومه كما سبق مقرا ومكررا فى (حياته العلمية) و (فى ميزاته الفكرية) وغير ذلك.

ثانيا : النتائج التى توصلت اليها من خلال البحث، وهى :

١- إن ابن الوزير - رحمه الله - يتصل نسبه الى ريحانة الرسول - عليه الصلاة والسلام - الحسن بن على بن ابي طالب - رضى الله عنهم - اجمعين، وكفى بذلك شرفا، كيف لا وهو من اغصان تلك الدوحة المتصلة بالنبي عليه الصلاة والسلام وأنه نشأ فى أسرته آل الوزير، المشهورة بالعلم، والجاه والحسب والنسب.

(١) راجع ص ٣٧٠ وما بعدها من هذه الرسالة

(٢) راجع ص ٤٥٠ وما بعدها من هذه الرسالة

(٣) راجع ص ٤٦٣ وما بعدها من هذه الرسالة

(٤) راجع ص ٤٧٠ من هذه الرسالة

(٥) راجع ص ٤٧٤ وما بعدها من هذه الرسالة

٢- لم يزل ابن الوزير منذ عرف شماله من يمينه مشغرا في طلب العلم ، وبنانه للطائف المعارف قواطف ، يتنقل بين أيدي الشيوخ من درجة الى درجة ، حتى بلغ درجة الاجتهاد .

٣- قضى معظم شبابه في البحث عن العلوم العقلية الجدلية ، ولما علم أنها لا توصل إلى المطلوب رجع الى علوم الكتاب والسنة ، فوجد في ذلك الفناء والهدى والنور ، وما يثلج الصدور ، فأناخ وألقى رحله ، واستقر به المقام في تلك الرياض النضرة ، فاقتطف من شتى ثمارها الحلوة الدانية ، وارتوى من أنهارها العذبة الصافية فطاب له المقام ، وحق له أن يطيب ، وما ألد الراحة عقب التعب الطويل .
فقد عانى تلك المعاناة الشديدة ، وما أدراك ما تلك المعاناة الشديدة ، ففى البحث عن الأساليب اليونانية المقيمة .

٤- لما بلغ درجة الاجتهاد ، أعلن رجوعه الى الصواب ، فحسده أهل عصره ، وعلى رأسهم أحد شيوخه في التفسير وأصول الفقه ، فجرت بينهم خصومات ، وقلقل ، ومعارك جدلية ، كان النصر فيها حليفه ، لنصرة سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وذب عنه وعن حملتها ، وأئمة الاسلام والمسلمين ، لأنه استخدم سلاحهم العقلى فى الميدان الجدلى ، الذى يعتبر التبريز فيه - عندهم - مئة الذكاء والنجاسة ، فقهرهم بالحجج السمعية التى يعتبر الاقتصار فى البحث عنها - فى نظرهم - علامة البله والبلادة .

٥- إن ابن الوزير اشتغل بالذب عن السنة النبوية ، تدريسا ، وتصنيفا ، ومناظرة ، ومناضلة لأهل البدع ، واستطاع أن ينشر علم الحديث ، وسائر العلوم الشرعية ، فى أرض لم يألّف أهلها ذلك لا سيما فى عصره ، صرح بذلك الامام الشوكانى (١٢٥٠هـ) وأن مدرسة ابن الوزير ، لا زالت تشع بأنوار السنة النبوية الصحيحة ، منذ عصره إلى عصر الشوكانى مرورا بالمقبلى (١٠٨٠هـ) والصنعانى (١١٨٢هـ) .

٦- كانت نتيجة الصراعات المذهبية الدينية عداوة وبغضاء ، وتفسيقا وتكفيرا ، نتج عنه الصراع المسلح ، الذى كانت نتيجته الخراب والدمار ، والنهب والقتل بين صفوف الولايات ، التى جرّت الولايات ، على أبناء اليمن ، منذ تأسيس المذهب الزيدى

(١) كادت أن تنطفئ ، فقيض الله - تعالى - لها من يبعثر مقبورها ، ويجدد ما انطمس من معالمها ، من الباحثين والدارسين والمحققين ، فها هو ذا (العواصم والقواصم فى الذب عن سنة ابي القاسم) ظهر منه الجزء الأول ، يمس فى حله الخضراء ، وقد زفه الى المكتبة الاسلامية الشيخ المحقق شعيب الأرنؤوط ، طبع دارالبشير عمان جزا الله الجميع خيرا .

و دولته ، على أيدي الامامين القاسم بن ابراهيم الرسى (٢٤٤ هـ) وحفيده الهادى يحيى بن الحسين بن القاسم (٢٩٨ هـ) العلويين .

صراع مسلح مستمر ، بين أئمة الزيدية فى (صعدة) و (صنعاء) وبين سلاطين اليمن السافل ، بسواحل و جنوبه من جهة ، والباطنية ملأ الله بيوتهم و قبورهم نارا من جهة أخرى ، وكان الحرب سجالا ، وأحيانا يتصاعد ، حتى يكون بين أصحاب المذهب الواحد والأسرة الواحدة كما حصل بين الامامين المهدي (٨٤٠ هـ) والمنصور (٨٤٠ هـ) على عرش (صنعاء) فى عهد ابن الوزير (٨٤٠ هـ) وقد يكون الصراع بين الآباء والأبناء على عرش (صنعاء) كما حصل بين الامام شرف الدين يحيى بن شمس الدين (٩٦٥ هـ) وابنه المطهر (٩٨٠ هـ) الصراع نفسه على عرش (صنعاء) وكان لسان حال بعض الأئمة يقول ، على لسان أحد شعراء اليمن :

ولأضربن قبيلة بقبيلة
ولأملأن بيوتهم نياحا

٧- إن مميزات ابن الوزير الفكرية لتبهر لب من يطلع عليها فى كتابه (العواصم والقواصم فى الذب عن سنة ابي القاسم) - الذى صنفه فى رؤس الجبال العوالى و بطون الاودية الخوالى - لكثرة ما يسرده فى المسألة الواحدة من الاشكالات المحيرة ، والتنبيهات اللاذعة والبراهين المقنعة ، العقلية منها والنقلية ، بحيث أن الباحث فيه عن مسألة ما لا يحتاج الى النظر فى غيره - غالبا - وأن كلامه من نمط كلام ابن حزم وابن تيمية وابن القيم .

وقد يأتى فى كثير من المباحث بفوائد لم يأت بها غيره ، و مصنفاته شاهد عدل على ذلك و توكيد . لذلك ثناء العلماء المشار اليه فى موضعه . (١)

٨- توفى - رحمه الله - فى العزلة الأخيرة التى صنف فيها (ايثار الحق على الخلق) الذى صانه عن الاساليب الجدلية ، وإن ألقى الاسلوب الجدلى ، واستخدم أسلوب العاطفة الدينية ، والغيرة الاسلامية لما رآه من الاختلاف المؤدى الى التباعد والتقاطع ، والتغسيق ، والتكفير ، بين طوائف المسلمين - والمحاولة الى رد الخلافات الى المذهب الحق ، والدعوة الى الائتلاف والتأخى بين طوائف المسلمين .

٩- إن ما قرره ابن الوزير ، و ذهب اليه من التوقف ، وعدم التكفير للمتأولين المخطئين من أهل القبلة ، هو الصواب للوجوه التى ذكرها ابن الوزير ، وللوجوه التى اضافتها اليها وأكدها بها فى أواخر الفصل الاول من الباب الثانى (٢) منها :

أ- إن ذلك يتمشى مع القواعد العامة ، لأهل السنة والجماعة من عدم التكفير لأحد

(١) انظر ص ١٠١ وما بعدها ١٤٧ وما بعدها من الرسالة

(٢) انظر ص ١٩٠ وما بعدها ٢٠٩-٢١٤ من الرسالة

من المصلين ، بذنب ، ما لم يستحله ولأنه الأحوط ، لما يترتب على التكفير من
الخطر العظيم ، والوعيد الشديد ، وما يترتب على ذلك من العداوة والتقاطع ،
فهل الشرارة الأولى للصراع الدموي ، في الماضي والحاضر بين طوائف المسلمين
غير الصراع العقدي ؟ ! وهل هناك شئ من هذا النمط بين المسلمين وأعدائهم
الحقيقيين ؟ ! أم طوائف المسلمين قلبوا ظهر المجن لـ ^(١)أخوانهم المسلمين أم هؤلاء
تستروا باسم الاسلام ليكيدوا له كيذا بتدبير المسلمين الحقيقيين ؟ !
آه آه واحسرتاه . . .

ب- إن الله - عز وجل - قد صنف الأمة المحمدية - من فوق سبع سموات - ثلاثة أصناف ،
و ميزهم واصطفاهم من عباده ، لوراثة كتابه بقوله : (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا
من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات) ^(٢) فالظالم
لنفسه بترك بعض الواجبات ، وفعل بعض المحرمات ، من هذه الأمة ، وقد سبق
التدليل والتعليل وافيًا شافيًا ^(٣) ولله الحمد والمِنَّه .

١- من كذب بشئ من الكتاب أو السنة الصحيحة ، أو كذب أحدا من الرسل ، أو جحد
أمرًا معلوما من الدين بالضرورة ولو تستر باسم التأويل - كائنا من كان - كتأويل
الباطنية الملحدة ، الذين انكروا البعث والجزاء ، وتأولوا الرب جل جلاله ، وأسماءه
بإمام الزمان ، وحرفوا نصوص القرآن ، وأباحوا المحرمات ، فهذا التكفير لا غبار عليه
عند ابن الوزير وغيره من علماء الاسلام والمسلمين أجمعين .
ويستثنى ممن جحد أمرًا معلوما من الدين بالضرورة من لم يبلغه الخطاب كمن
هو حديث عهد بالاسلام ، أو نشأ ببادية بعيدة لم تبلغه الدعوة فهذا لا يحكم
بكفره كما قرره شيخ الاسلام ابن تيمية - للتعليلات السابقة في موضعها ^(٤) .
وأما تكفير شخص معين من أهل القبلة ، فهذا أشد خطرا ، لعدم توفر الشروط ،
وجود المانع .

١١- اطلاق القول بتكفير من يقول كذا وكذا ، فهو كذا مأثور عن بعض السلف كنفى الصفات ،
والتكذيب بأن الله - عز وجل - يرى في الآخرة ، أو أنه على العرش ، أو أن القرآن
كلام الله - عز وجل - ، أو أن الله كلم موسى تكليما ، أو اتخذ إبراهيم خليلا ، كل ذلك
كفر ، إن اصدر من مكلف عاقل مختار عامد ، بلفظه شرائع الاسلام ، وأصر على ذلك ،

(١) مثل يضرب لمن كان لصاحبه على مودة ورعاية ثم حال عن العهد ، ولفظه : (قلب له

ظهر المجن) مجمع الامثال للميداني ج ٢ ص ١٠١

(٢) سورة فاطر : ٣٢

(٣) انظر ص ٢١٨ وما بعدها من هذه الرسالة

(٤) انظر ص ١٩٠ وما بعدها ٢٠٤ وما بعدها من هذه الرسالة

لأن هذه الأمور ثابتة ومتواترة في الكتاب والسنة، فسعادة الدارين فيهما، وفي العمل بهما (١).

١٢- إن الفرقة الناجية - وإن تنازعتهما طوائف المسلمين - هي التي ترد التشابه إلى المحكم، والمجمل إلى المبين، من الكتاب والسنة، وتجعل ما فيهما هو الأصل الذي تعتقده، لا تنصب مقالة، وتجعلها من أصول دينها وترد ما اختلف فيه إليها، والفصل في هذا قوله - عليه الصلاة والسلام -: (ما أنا عليه وأصحابي) (٢).

١٣- إن علامة أهل الأهواء والضلال ترك المحكم وتتبع المتشابه، بقصد التضليل والتشكيك، للمسلمين في عقائدهم والتحريف للدين عن طريق أساليب اليونان.

وهؤلاء هم الذين وصفهم الله بقوله: (.... فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) (٣).

١٤- إن زيدية اليمن من الشيعة، وأن مؤسس المذهب الزيدي ودولته في اليمن هو الإمام القاسم الرسي (٢٤٤هـ) وقيل ٢٤٦هـ وحفيده الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم العلوي (٢٩٨هـ).

وبين المعتزلة والزيدية ارتباط قوي، فالأولى هي الأم المفذية بالأفكار، والأخرى هي التي تبنت واحتفظت بالتراث وافتخرت به، فالزيدية في اليمن معتزلة في الأصول الخمسة ما عدا مسألة الإمامة - وخلاف لبعض أئمة الزيدية في حكم مرتكب الكبيرة - فقد تبني غالب الزيدية أصولاً أربعة من أصول المعتزلة، واستبدلوا المنزلة بين المنزلتين بمسألة الإمامة التي هي الشغل الشاغل لهم، وهي امتداد لبدء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن أجلها حصل الانشقاق بين بعض الزيدية والمعتزلة، ومذهب الزيدية في الإمامة النص على علي وولديه رضي الله عنهم، وفي الدعوة والخروج لمن بعدهم من أولادهم، وعليه فعقيدتهم خليط من المعتزلة والشيعة.

أما في الفروع فهم هادوية - غالباً - مع ما فيهم من الأئمة المجتهدين المشهورين (٤).

وموقف ابن الوزير من المعتزلة والزيدية خصومات وقلقل ومحن ومعارك جدلية وموقفه من أصولهم الخمسة موقف أهل السنة من أهل البدعة، إلا أنه فرغ سؤالاً عن مصير مرتكب الكبيرة إذا مات مصراً عليها - بعد أن قرر مذهب السلف فيها وأيده

(١) انظر ص ٢٢٠ وما بعدها من الرسالة

(٢) سبق تخريجه ص ١٧٧

(٣) سورة آل عمران: ٧

(٤) راجع ص ٢٧٩ وما بعدها - ٢٧٢ وما بعدها من الرسالة

بآية النساء المخصصة لعموم آية الزمر، فرّع استفهاما هو : هل عذاب الأشرقياء دائم؟ (١)
وهذا الاستفهام ناتج عن مدى تأثيره بكلام العلامة ابن القيم، و مناقشته للأقوال
المتعلقة بهذا الاستفهام، المحير لعقول النظار، وستأتي الاجابة في نتائج فصل
(الغيبات) ان شاء الله تعالى .

١٥- ان للامام أبي الحسن الأشعري ثلاثة أطوار : الأول : كان يعتقد عقيدة المعتزلة
استمر عليها أربعين سنة، والأخير استقر على العقيدة السلفية، وما بينهما كان على
ما عليه الأشعرية من الإيمان بالصفات الذاتية وتأويل ما سواها من الخبرية وثبت أن (الابانة)
من مؤلفاته، وأن من كان على مذهب في طوره الثاني فهو أشعري، ومن كان على مذهب
في طوره الأخير فهو سلفي، وعليه فالأشعرية غير الأشعري .

وأن المذهب الأشعري في اليمن هو مذهب الأشعري في طوره الثاني .
وموقف ابن الوزير من الأشعرية - عموما - متعدد :

فأحيانا يكون كالحكم بينهم وبين خصومهم المعتزلة، وأحيانا يكون كالخصم
للأشعرية بل لغلاتهم نفاة الحكمة، إذ أثبت ابن الوزير، كما أثبت السلف من قبله
بالأدلة العقلية والنقلية، حتى أنه أثبت الحكمة في الشرور، وفي خلق الأشرقياء
واستشهد بكلام أبي حامد الغزالي كما بينته في موضعه. (٢)

أما أشعرية اليمن فلم أقف له على مراسلات او مناظرات معهم .

١٦- إن إثبات حكمة الله - تعالى - في أقواله وأفعاله كثيرة، شا هدة له - سبحانه -

بالحكمة البالغة، والنعمة السابغة والحجة الدامغة، ومنزهة له عن العبث والظلم،
وذلك واضح في الكتاب والسنة، كالأسماء الحسنى، وقصة آدم والملائكة في سورة
البقرة، وقصة موسى والخضر، وغير ذلك مما سبقت الإشارة الى بعضه .

وأن الشر الذي يضج به العالم، فيه من الخير الكامن ما لا يحصى، إلا الله -
عز وجل - وخاصة ما يضج به عالمنا الحاضر، من الشرور والمجاعات، والحروب الطاحنة
بين المسلمين وأعدائهم، وبين المسلمين انفسهم، (ليميز الله الخبيث من الطيب
ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم) (٣) (ولولا دفع
الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين) (٤) (ولو
بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض، ولكن ينزل بقدر ما يشاء، إنه بعباده خبير بصير) (٥)

(١) انظر ص ٢٦٩ من الرسالة

(٢) انظر ص ٢٩٩-٣٠٠ وما بعدها ٣٢٢ وما بعدها ص ٤٦٨-٤٦٩ وما بعدها من الرسالة

(٣) سورة الانفال : ٣٧

(٤) سورة البقرة : ٢٥١

(٥) سورة الشورى : ٥٧

سنة الله في خلقه (ولن تجد لسنة الله تبديلا) (١) وصدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - القائل : (إني سألت الله ثلاثا فأعطاني اثنتين و منعني واحدة ، سألته ألا يهلك أمتي بسنة فأعطانيها ، وسألته ألا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فأعطانيها وسألته ألا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها) (٢) والقائل : (يوشك الأمم أن تداعى عليكم ، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغشاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن ، فقال قائل : يا رسول الله ، وما الوهن؟ قال : حب الدنيا و كراهية الموت) (٣)

مع الاعتقاد أن هذا كله قد تضمنه القدر ، ومنه علم الله السابق - في خلقه قبل أن يبرأ البرية - وإرادته بقسميها (٤) (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها ، إن ذلك على الله يسير) (٥)

١٧- ان تسرب الباطنية إلى اليمن كان عن طريق العراق ، من جوار قبر الحسين بن علي رضي الله عنهما بتوجيهات ميمون القداح - المجوسى او اليهودى - لعلى بن الفضل

(١) سورة الاحزاب : ٦٢

(٢) سنن الترمذى بتحفة الاحوذى ج ٦ ص ٣٩٧-٣٩٨ وقال الترمذى : هذا حديث صحيح و مسند احمد ج ٥ ص ١٠٨-١٠٩

(٣) سنن ابى داود مع عون المعبود ج ١١ ص ٤٠٤-٤٠٥ وفى سنده ابو عبد السلام قال الحافظ المنذرى فى مختصر سنن ابى داود ج ٦ ص ١٦٥ ، هو صالح بن رستم الهاشمى . . . سئل عنه ابو حاتم الرازى فقال : مجهول لا نعرفه ، ورواه احمد فى مسنده ج ٢ ص ٣٥٩ من طريق آخر عن ابى هريرة مرفوعا .

(٤) الارادة فى كتاب الله تعالى نوعان : ارادة قدرية كونية خُلقية ، وهى الشاملة لجميع الموجودات من الخير والشر (إنا كل شئ خلقناه بقدر) القمر ٢٩ و قول المسلمين : ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، ومن ذلك قوله تعالى : (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء) الانعام : ١٢٥ وقوله تعالى عن نوح عليه السلام (ولا ينفعكم نصحتى إن أردت أن أنصح لكم ، إن كان الله يريد أن يغويكم) هود : ٣٤

وارادة دينية شرعية أمرية كقوله تعالى : (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) ١٨٥ من سورة البقرة وقوله تعالى : (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم) ٢٦ من سورة النساء والفرق بين الارادتين أن الدينية الشرعية تستلزم المحبة إذ هى متعلقة بالامور التى يحبها الله تعالى ويشيب اصحابها ويدخلهم الجنة وينصرهم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة بخلاف الكونية القدرية المتعلقة بالحوادث التى يشترك فيها المؤمن والكافر والبر والفاجر والكفر والفسوق والعصيان فالله عزوجل - وإن قدر الكفر فإنه لا يرضاه ولا يحبه (ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم) ٧١ من سورة الزمر انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٨ ص ٨٥ وما بعدها و شرح الطحاوية ص ١١٦ وما بعدها .

(٥) سورة الحديد : ٢٢

الحميرى (٣٠٣هـ) اثناء زيارته قبر الحسين ، وأرسل معه رجلا من كبار الشيعة يُدعى الحسن بن فرج الكوفى، ثم اشتهر بمنصور اليمن ، وكلفهما القداح بنشـر الدعوة باسم ابنه عبيد الله المهدي، مع التظاهر بالزهد ، وكثرة التعبد، والاعتزال عن الناس، بفرض المكيدة للإسلام ، وذلك فى ٢٦٧هـ وقيل ٢٦٨هـ وقيل غير ذلك واستمرت إلى تاريخ وفاة على بن الفضل وظاهر الدعوة إلى الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام ، واختصاص على رضى الله عنه بالامامة ، والطعن فى جميع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

وقد نجح فى دعوتها باستمالة العامة باسم الدين ، واستولى كل منهما على البلاد التى استقر بها .

وكان اشد هما على بن الفضل الحميرى وكانت الحرب سجالا بين أئمة الزيدية والباطنية فى جهة المناطق الجبلية الشمالية وبينها وبين الأمراء من آل يُعـفـر الحوالبى وغيرهم من جهة أخرى حتى سيطرت الباطنية على معظم البلاد اليمنية فى عهد على بن الفضل الحميرى .

أما فى عهد الصليحي الباطنى (٤٥٧هـ) فقد سيطرت على جميع اليمن من سنة ٤٣٩ - إلى سنة ٤٥٧ - أو ٤٥٩ هـ .

وفى العهدين المذكورين أزدهت الباطنية الأرواح وسفكت الدماء وأباحـت المحرمات ، وقد وقف منهم أئمة الزيدية موقفا حازما سياسيا وعسكريا وثقافيا حتى كادت أن تخمد نار فتنتهم ، ولكنها تخمد مرة وتذكو مرات .
ومن المؤسف أن بقاياهم لا زالت فى اليمن وغيره من سائر بلاد الاسلام .
وأنهم تركوا آثارا سيئة فى الاعتقاد والأخلاق ، ولا تزال باقية إلى يوم الناس هذا مقررة ومدرسة بينهم .

وأخطر من هذا الاتصال المباشر بينهم من بلد إلى بلد للتريض بالاسلام والمسلمين ، مع تغافل العلماء والحكام عن حركاتهم الانقلابية فى بلاد المسلمين .
وموقف ابن الوزير منهم هو موقف كل مسلم غيور على دينه وأمته كما بينته فى موضعه (١)

١٨- إن الأصل فى الانسان التدين الفطرى ، وأن الوثنية أمر طارئ (. . .) وإنى خلقت عبادة حنفاء كلهم فاجتالتم الشياطين عن دينهم (٢)

والفطرة تتضمن الاقرار بوجود الله عزوجل .

وأن إنكار الصانع أمر غريب لم يذكر إلا عن فرعون ، ونعروذ ابراهيم على خلاف

(١) انظر ص ٣٢٨-٣٤٧ من هذه الرسالة

(٢) سبق تخريجه فى ص ٣٥٣-٣٥٩-٣٦٠-٣٧١ من هذه الرسالة

فى الأخير .

وأن الاسلام قسمان : فطرى : وهو التهيؤ والاستعداد للاسلام الشرعى ، لأن الفطرى موجود فى كل انسان حتى فى الكفار (فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم . . .) (١) و(كل مولود يولد على الفطرة) (٢) وقسم شرعى مكتسب بالارادة والتعلم والعمل ، بعد توفيق الله - عزوجل . وبناء عليه فان الفطرة هى الاسلام فيما قبل البلوغ .

أما بعده فلا بد من أمرين :

١- الاستمرار فى الاسلام الفطرى الموصل الى الاسلام الشرعى ، وينطبق على ذلك حديث : (كل مولود يولد على الفطرة) وطبقا لما سبق فى علم الله السابق من السعادة .

٢- وإما الخروج عن الفطرة بكل معانيها ، باتباع شياطين الجن والانس بما فيهم الأبنوان (وإنى خلقت عبادة حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم) (فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه) (٣) وطبقا أيضا لما سبق فى علم الله من الشقاوة . (٤)

١٩- ان الطريقة التى سلكها ابن الوزير فى اثبات وجود الله - عزوجل - هى طريقة السلف الصالح ، طريقة القرآن الكريم البحتة وهى :

دلالة الفطرة - دلالة الأنفس - دلالة الآفاق - دلالة المعجزات

وأنه ينكر الاعتماد على النظر العقلى فى الوصول الى العقائد الالهية المخالفة لطريقة الرسل ، وإنما يستخدم العقل فى فهم النصوص ، وفيما للعقل فيه مجال ، كالتيقن فى المصنوع لا فى الصانع .

وأن أول واجب على المكلف - فى نظره - الايمان بالله تعالى - بدون نظر ولا استدلال ، لأن الأنبياء كافة ، ما كانوا يأمرون الصبى ، اذا بلغ التكليف ، بالنظر ولا الكافر اذا أراد الدخول فى الاسلام .

وأن الطريق الى معرفة الله - تعالى - لا تحتاج الى الطرق اليونانية المبتوية المعقدة ، ولذلك قال كثير من العلماء والعقلاء إنه أمر ضرورى ، لا يحتاج الى نظر ، وإنما يحتاج الى تذكر يوقظ من سنة الغفلة ، كتذكر الموت الذى تقع الغفلة منه

(١) سورة الروم : ٣٠

(٢) سبق تخريجه فى ص ٣٥٠ من هذه الرسالة

(٣) سبق تخريجه فى ص ٣٥٠ من هذه الرسالة

(٤) انظر ص ٣٧٢ - ٣٧٣ من هذه الرسالة .

و هو ضرورى (إنك ميت وإنهم ميتون) (١)

٢٠- ان ابن الوزير نهج منهج السلف فى الاستدلال على اثبات الاسماء والصفات، لكن على الطريقة الاجمالية لأنها الطريقة المتفق عليها، وهذا مطابق لما قرره شيخ الاسلام ابن تيمية وغيره من السلف وقد بينته فى ذلك المبحث (٢)

وأن أفكار ابن الوزير هنا مستقاة من أفكار أئمة السلف بدليل المقارنة بين الأفكار، وأنه برئ مما قيل فيه إنه معتزلى أو توجد رائحة الاعتزال فى كلامه. وقد تبين لى أنه برئ مما اتهم به، براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام. ولو كان معتزليا فما فائدة الجدل والخصومة والمناظرات والمراسلات بينه وبين المعتزلة والزيدية التى كانت تتيجتها كتابه (العواصم والقواصم فى الذب عن سنة أبى القاسم) ومختصره (الروض الباسم) وغير ذلك من مؤلفاته القيمة.

٢١- الاستفاضة عن شيخ الاسلام ابن تيمية بالقول بفناء النار غير صحيحة، ومن هذا تبين أن المستفيض من كلام الناس قد يكون غير مطابق للواقع. وما أشاره ابن الوزير والصنعانى وغيرهما عن ابن تيمية فى المسألة ذاتها، فعمدتهم فيه (حادى الارواح) وهو لابن القيم لا لشيخه ابن تيمية. وأن ابن القيم له فى هذه المسألة ثلاث مراحل:

الاولى: الميل الى القول بفناء النار لكثرة الوجوه والأدلة المحيرة للعقول التى أوردها مؤيدة لذلك، وزاد ابن الوزير الطين بلة

الثانية: التوقف كما هو صريح كلامه فى (الحادى) وقد سبق ذلك.

الثالثة: الرجوع عن هذا والجزم بعدم فناء النار صرح بذلك فى (الوابل الصيب) (٣)

اما ابن الوزير فقد تأثر بكلام ابن القيم فى (الحادى) واستماله الى القول بفنائها أحيانا يشم ذلك من كلامه، وفى النهاية تحير فتوقف لأن هذه المسألة فى نظره - بعد أن حير عقله كلام ابن القيم - من أشبه المتشابهات، والتوقف عند المتشابه الذى لا يعلم تأويله إلا الله سبحانه - من مذهب أهل السنة والجماعة، ولا بن الوزير مؤلف خاص بهذه المسألة سماه (الاجادة فى الإرادة) وقد اقتطفت أبياتا منها فى (الغيبات)

وأما ابن تيمية، وإن شهد أخص تلاميذه بمصنفه المشهور - الذى لم يبين ابن القيم فيه نفي ولا اثبات - فلم يصل اليها شئ من مؤلفاته فى هذه المسألة

(١) سورة الزمر: ٣٠

(٢) انظر مبحث الاسماء والصفات بكامله من هذه الرسالة

(٣) انظر ص ٤٧٥-٤٧٦ من هذه الرسالة

العظيمة ، سوى العرقات الثلاث - على فرض صحتها انها من كلام ابن تيمية - وقد تضمنها كلام ابن القيم فى (حادى الارواح) على سبيل الحكاية لأقوال الناس .
والموجود فى فتاواه المعتمدة يناقض ما نسب اليه ، لذلك لم استطع الحكم عليه غيبيا .

ولا يسعنى إلا أن أقول كما قال يوسف عليه السلام (معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا اذا لظالمون) (١)

وقد سبق بيان فتواه بدوام النار ، وعدم فنائها كما حكى الاجماع عن سلف الأمة وأئمتها ، وسائر اهل السنة والجماعة على ذلك وأن القول بفنائها قول طائفة من أهل الكلام المبتدعين ، كالجهمية ومن وافقهم ، وهو قول باطل يخالف الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة (٢) فماذا بعد الحق الا الضلال .

٢٢- ان دفاع ابن الوزير عن السنة يدل على أنه من أهلها ونزبه عن أهل الحديث وأئمة الاسلام يدل أيضا على أنه منهم ، وإلا فما فائدة تلك المعارك الجدلية بينه وبين المعتزلة والزيدية ، وأن زمه للكلام يهدف الى حدوثه ، وعدم الحاجة اليه لا الى تقبيحه مطلقا كما يهدف أيضا الى ترك الخوض فيما لا تمس الحاجة الى معرفته من الكلام ، وخاصة التعمق فيما يتعلق بذات الله - عزوجل - وصفاته لما ورد من النهى عن ذلك .

وهذا ما عليه العقلاء الحازمون من الاشتغال بالأهم فالهم ، ولجواز أن ترد شبهة على دقائق الكلام تحير المبرز فيه وتبيل المعجب به ، ويكون الناظر فيه كالباحث عن حفته بظلفه .

وأن المتعرضين للشبه المجهولة بتقديم النظر فى الدلائل ، كمن يتعرض للسموم القاتلة بشرب الأدوية الحادة ، التى ربما قتلت شاربها حين لا يجد ضدا يدفع طبيعتها ، ويستحيل تقديم التداوى من داء لم يتعين ولم يعرف .

وقد أثبت ابن الوزير بالأدلة النقلية الصحيحة الدالة على حيرة فحول المتكلمين ثم حسرتهم ثم رجوعهم الى مذهب أهل الأثر بل تمنى البعض ان يكون على دين العجائز (٣) السلف لم يذموا جنس الكلام ، ولا ذموا الاستدلال والنظر ، والجدل الذى أمر الله به رسوله ، بل ولا ذموا كلاما هو حق ، بل ذموا الكلام المخالف للكتاب والسنة والعقل ، فالجدال قد يكون فى ابتداء الدعوة ، كما كان النبى - صلى الله عليه وسلم - يجاهد الكفار بالقرآن وقد يكون لبيان الحق ، وشفاء القلوب من الشبه ، مع من يطلب

(١) سورة يوسف : ٧٩

(٢) انظر ص ٤٧٤-٤٨٧ من هذه الرسالة

(٣) انظر ص ٣٣ من هذه الرسالة وانظر ترجيح اساليب القرآن لابن الوزير ص ٤٥

الاستهداء والبيان ، وقد يكون الجدال مع من لا يجوز قتالهم من اهل الذممة ، والهدنة والأمان ، كما فعل الامام احمد بن حنبل (٢٤١ هـ) فى الرد على الزنادقة والجهمية . ومخاطبة أهل الاصطلاح باصطلاحهم ليس بمكروه ، اذا احتيج اليه وكانت المعانى صحيحة (١)

وحينئذ ينقسم الجدال الى قسمين جائز ومكروه .
أما المكروه فكما يلى :

أ- ما يقصد به صاحبه مدافعة الحق باثارة الشكوك ، والشبه الموهمة بالطـرـق المبتدعة .

ب- اللجاج الذى يعرف صاحبه أنه غير مفيد ، وقد يكون مشيراً للشر .

ج- عدم الاقتصار فى الانتصار للحق على أسس لىبالقرآن الكريم ، والأنبياء عليهم السلام - والسلف الصالح - رضى الله عنهم أجمعين -
وأما الجائز فكما يلى أيضا :

أ- ان تكون المجادلة بقصد إيضاح الحق ، أو طمعا فى اتباع الخصم .

ب- ان يكون على نمط الجدال الذى أمر الله - تعالى - به رسوله عليه الصلاة والسلام بقوله : (وجادلهم بالتى هى احسن) (٢) أى بالطريق التى هى أحسن طرق المجادلة ، كما قال تعالى : (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن) (٣)

٢٤- ان ابن الوزير قد بيض وجوه المحدثين على بياضها ، فزاد نورا على نورها ، وأما طعنهم كل ما وصمهم به خصمه المعترض من القدح الهادف الى القدح فى السنة النبوية ، كما زاد وجوه المعتزلة المعطلة والمؤولة سوادا على سوادها ، فشاهت الوجوه ، كما أن نتيجة هذه الخصومات والمعارك الكلامية أضافت الى التراث الاسلامى ثروة لا يستهان بها ، ألا وهو كتاب (العواصم والقواصم فى الذب عن سنة ابي القاسم) ، ومختصره (الروض الباسم) الذى لم تعرف البلاد اليمنية مثله ، ولم تقدره حق قدره ، لأنه مفخرة من مفاخر اليمن وأهله ، بل مفخرة من مفاخر علماء الاسلام والمسلمين .

٢٥- مسألة الامامة تجاذبها الفقهاء والمتكلمون فهى ذات وجوه .

أصولية أدخلها المتكلمون فى أصول الدين من جهة الخلافة بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لمن هى ، ومن الأحق بها ، وما طريقها ؟ وما يتعلق بذلك ، والصواب فى هذا ما عليه أهل السنة من أنها فى قريش ، ومن ترتيب الخلفاء الاربعة فى

(١) مقتبس من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية النبوات ص ١٤٦-١٤٧ ومجموع الفتاوى ج ٣ ص ٦

(٢) سورة النحل : ١٢٥

(٣) سورة العنكبوت : ٤٦

الخلافة والفضل على خلاف فى التفاضل بين الثالث والرابع ، خلافا للشيعة ومنهم الزيدية القائلون بأنها فى العلويين الفاطميين وأفضلية الرابع ، وأحقية بالامامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

واجتهادية فقهية من جهة شروط الامامة وما يتعلق بذلك .
ومشتركة بين الفقهاء والمتكلمين من جهة جواز الخروج على أئمة الجور وعدمه ، وما يتعلق بذلك .

وهذا الوجه - فى نظرى - من المسائل الاجتهادية ، كما قرره ابن الوزير وغيره للخلاف المشهور السابق ذكره .

ولكن باعتبار القاعدة التى تقضى بأن الخروج على الجائر ، متى كان يؤدى إلى مفسدة أعظم ، أو أن إنكار المنكر يؤدى إلى منكر أعظم منه ، فالصبر أولى من الخروج والآنكار ، بل هو الصواب ، للأدلة الراجحة والصرحة فى طاعة الأئمة . وأن من خرج على أئمة الجور متأولا مجتهدا ، كما فعل الحسين بن على ، وأهل المدينة ، من كبار الصحابة ، وكبار التابعين وابن الزبير ، وزيد بن على مع بنى أمية من فعل ذلك ليس باغيا وقد سبق التدليل والتعليل (١) وحساب الجميع على الله عزوجل - أما أئمة العدل المتوفرة فيهم شروط الامامة ، فلا يجوز الخروج عليهم قولا واحدا ، والخارج عليهم باغيا .

وأما هل يصح أخذ الولاية من أهل الجور أولا ؟ فالراجح عندى جواز ذلك لمن وثق من نفسه بالقيام بما وكل إليه للأدلة الواردة فى طاعة السلطان ، وفى بعضها وإن كان جائرا ، وهذا ما ذهب إليه جمهور الفقهاء ، إلا أنهم لم يجعلوا طاعة أهل الجور مثل طاعة أهل العدل ، وأن المعارض على ابن الوزير وأهم فيما ظنه من أن الفقهاء يصوبون أئمة الجور ، فى قتلهم الذين يأمرهم بالقسط من الناس كما بينته فى موضعه (٢) وإنما نظروا إلى المصالح العامة والخاصة ، وعملوا بمقتضى قواعد الشريعة ، فى رعاية المصالح .

وأما كون الاجتهاد شرطا فى الامام فقد خالف ابن الوزير جمهور الفقهاء ، بل خالف آباءه وأجداده من أئمة العترة ، لشدة الاختلاف - عنده - فى تيسيره وتعسيره ، كما رجح صحة إمامة المنصور الذى لم يبلغ درجة الاجتهاد ، على إمامة المهدي الذى بلغ درجة الاجتهاد ، وفى هذا دلالة على أن مسألة الامامة ومتعلقاتها الفقهية اجتهادية ، وابن الوزير له اجتهاده ، أما جواز الخروج على من فحش جوره فالمفهوم من كلامه أنه يؤيد ذلك ، وهو مذهب الجمهور من آباءه وأجداده ، خلافا للحسن

(١) انظر ص ٥٧١ وما بعدها من هذه الرسالة

(٢) انظر ص ٥٧١ وما بعدها من هذه الرسالة

بن علي بن ابي طالب و محمد الباقر بن زين العابدين رضى الله عنهم ، و من معهم ، و ان الذين خرجوا من السلف من اهل البيت وغيرهم لا يحط ذلك من قدرهم شيئا و حكمهم حكم المجتهد ، و لكن الاولى بل الصواب عدم الخروج لما يترتب عليه من المفساد العظيمة والقائلون بالخروج ينبغي لهم أن يعتبروا باستباحة المدينة المنورة ثلاثة ايام بعد قتل كبار الصحابة والتابعين ، و بعد أن رآنت الخيل و جالت في المسجد النبوي الشريف و منعت الصلاة فيه ، و بايع من بقى من أهل المدينة أنهم خول ليزيد بن معاوية .

و ليعتبروا قبل هذا بقتل الحسين بن علي رضى الله عنهما ريحانة النسبى عليه الصلاة والسلام و بقتل أصحابه ، و من معه من الاطفال من أهل البيت عليهم السلام و حمل رأس الحسين و صلبه و إرساله الى يزيد و ما الى ذلك من الويلات . و إذا لم يعتبر القائلون بالخروج بهذه النكبات و المفساد العظيمة فأدلتهم مرجوحة لأنها عمومات من الكتاب و السنة في وجوب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر لكن على القاعدة المتفق عليها عند الفقهاء و الشيعة و المعتزلة من أن إنكار المنكر متى كان يؤدي الى منكر أعظم منه فالترك أولى ، و الصواب مع المانعين ان أدلتهم مخصصة للعمومات ، و صريحة في طاعة الأئمة و السلطان و هي متواترة فلا ينبغي العدول عنها لما تقرر في الاصول . والله اعلم .

٢٦- التحذير من البدع أوضح من أن يحتاج إلى دليل ، و إنما الذي ينبغي أن ينسب

اليه هو سد المنافذ التي يتسرب منها الابتداء و هي :

أ- الخوض فيما لا تدركه العقول من الخفيات التي أعرض عنها السلف ، لا سيما في ذات الله - تعالى - و صفاته لورود النهي عن ذلك .

ب- النظر في سر القدر السابق في الشرور - لخفاء الحكمة في ذلك - مع عظم رحمة الله تعالى و قدرته و لورود النهي عن ذلك .

ج- البحث عن أشياء سكنت عنها الشرع لورود النهي عن ذلك .

د- الزيادة في الدين بإثبات ما لم يذكره الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وسلم من مهمات الدين الواجبة بزعم المتكلمين .

هـ- تجويز خلق كتب الله تعالى و رسله عليهم السلام عن بيان بعض مهمات الدين اكتفاء بذكر العقول لها ، ولو بالنظر الدقيق .

و- عدم التحاكم - عند النزاع - الى الكتاب و السنة ، كيف وفيهما تبيان أصول الدين احسن تبيان ، خلافا لتشيت أهل الكلام الزاعمين بأن الصحابة لم يبينوا أصول الدين ، بل ولا الرسول عليه الصلاة والسلام - لاشتغالهم بالجهاد أو غيره و هذه فرية عظيمة ، فقد دل الناس عليه الصلاة والسلام ، و هداهم الى

الأدلة العقلية ، والبراهين اليقينية التى بها يعلمون المطالب الإلهية ، وبها يعلمون إثبات ربوبية الله - تعالى - و وحدانيته ، وصفاته و صدق رسوله ، ومع هذا فالإسلام لا يمنع استخدام العقل فى البراهين السمعية التى يتوصل الى معرفة مدلولاتها اليقينية بواسطة العقل ، من المطالب الإلهية وغيرها ، و هل يُتدبر القرآن ، إلا بالعقل ؟ و هل يكلف غير العاقل ؟

ز - إن التأويل والقول بالمجاز بدون ، إحدى القرائن الثلاث ، العقلية واللفظية والعرفية - كما فى نظر ابن الوزير - هى العصا العوجاء التى يتوكؤ عليها أهل الكلام لتحريف الكلم عن مواضعه ، فيتكلفون لها معانى كثيرة ، يختلفون فيها ، وكل منهم ينفر بمعنى من غير حجة إلا مجرد الاحتمال ، وقد يخالف ذلك التأويل المعلوم من الشرع ، وقد يستلزم الوقوع ما فرط منه كتأويل آيات وأحاديث الصفات والرؤية .

٢٧- أن نعلم أن للبصائر أوهاما فى الخفيات من الأحكام ، مثل ما ثبت للأبصار فى الخفيات من الأوهام ، فلا نثب فى الخفيات وهم البصائر ، ولا وهم الأبصار ، وأن الجلى من المنقول والمعقول أولى بالاتباع ، ورد ما خفى على العقول إليه ، ولا نقف الجلى على الخفى ، ولا نرجحه عليه ، وأن نقف عند المتشابه الذى لا يعلمه إلا الله عز وجل - ٢٨- وأخيرا هذه النصيحة القيمة الموجهة من ابن الوزير الى طلاب العلم ، حاصلها ما يلى :

الابتعاد عن المختلف فيه اختلافا تخاف مضرته فى الآخرة ، لعظم الخطر فى الخوض فيه ، ولعدم وجوبه شرعا ، ومطالبة من دعاك إليه بالدليل الواضح على الوجوب ، مع عرض تلك الأدلة على العلماء النصحاء الأذكياء ، حتى تعرف الوجوب يقينا من غير تقليد ، ثم حرر النية الصحيحة بعد ذلك فى معرفة الحق .

و كل قولين مختلفين يخاف الكفر والعذاب الأخرى فى أحدهما دون الآخر ، فابعد عنه واحذره أى المخوف وأن خلاف السمع المعلوم كفر بالاجماع ، وخلاف العقل المعلوم ليس بكفر إجماعا ، وبالفطرة تدرك القوى من الضعيف فى تلك المباحث إلا ما دق و غرض فاتركه ، لا سيما مع دقة الشبه المعارضة ، كما تترك ما دق على بصرك فى المرثيات .

(ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطانا) (١) (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما

توفيقى الا بالله عليه توكلت وإليه أنيب (١) (وفوق كل ذى علم عليهم) (٢) حتى ينتهى إلى علام الغيوب ، المنزه عن النقائص والعيوب والمتصف بالكمال المطلق فى الوجود.

هذا وإنى وأنا أختتم هذا البحث عن كدات أن أغرق فى بحر علمه ، لولا أن تداركنى الله - عزوجل - بلطفه ، وأمدنى - من فوق سبع سموات - بعونه ، لما ظهر هذا البحث ، على ما هو عليه ، فله الحمد والمنة .

ومع بذلى المضنى لما فى وسعى لا أقول ، إنى قد أوفيت الموضوع حقه ، ولكن حسبى أنى مهدت الطريق ، ووضعت المعالم وأرست السفينة على الساحل ، وفتحت الباب لمن يريد البحث عن النفائس ، والتعمق لالتقاط الفوائد والفرائد من بحر علم ابن الوزير . وقد اثبتت التجارب أن الباحث القوى ، يكتب بحثا اليوم ، ثم يراجعه غدا ، فإذا هو يقول : لو أننى قد مت هذا لكان أحسن ، ولو أخرت هذا لكان يستحسن ، ولو أضفت ذلك لكان أكمل ، ولو حذفته لكان أجمل ، وإذا كان الأمر كذلك ، فما بالك بباحث ضعيف كاد أن يثنيه الجهد عن بلوغ القصد .

ولكن حسبى أنى حاولت - جاهدا - إخراج الموضوع على هذه الصورة ، فما كان من الإصا بات ، فبتوفيق الله - تعالى - وله الحمد والمنة ، وما كان من قصور أو خطأ أو نسيان ، فعزائى أنى من البشر ، ومن فقد الماء تيمم بالتراب .

وقد ثبت أن الله تعالى أجاب هذا الدعاء : (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطانا) (٣) فلك الحمد ربنا ، أنت كما أثبتت على نفسك ، وسبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه والتابعين ، ومن دعا بدعوتيه ، وتمسك بسنته إلى يوم الدين .

بعون الله - جل وعلا - تم هذا البحث عصر يوم الثلاثاء

الموافق ٢٤ من شهر محرم مطلع العام الهجرى ١٤٠٦ هـ

ستة وأربعمئة وألف هجرية

(١) سورة هود : ٨٨

(٢) سورة يوسف : ٧٦

(٣) سورة البقرة : ٢٨٦ وانظر ثبوت اجابة هذا الدعاء صحيح مسلم ج ١ كتاب الايمان باب بيان أنه سبحانه لا يكلف الا ما يطاق ص ١١٥-١١٦

فهرس الاحاديث والاثار على ترتيب الحروف
الهجائية كما وردت في الرسالسة

لفظ الحديث أو الاثر	رقم الصفحة
الاثمة من قريش ..	٥٤٧
ابشر يا عمار ..	٥٤٩
اتاكم اهل اليمن ..	٢٣٠
اترون هذه المرأة طارحسة ..	٥٩٠
اتق الله يا عمار ، قال : إن شئت ، .. (عربن الخطاب)	٥٩٢
اختصمت الجنة والنار ..	١٦٢
إذا رأيت الذين يتبعون ماتشابه ..	٦٠٩-١٧٣
إذا بويح لا مامين فاقتلوا ..	٧٧
إذا أدخل اهل الجنة الجنة ..	٥٢٢
إذا كان يوم القيامة ..	٣٢٣
إذا كان يوم القيامة دفع الله عز وجل ..	٦١٦
إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ..	٥٠٠
أربعة يحتجون يوم القيامة ..	٣٦٦
أرأيتكم ليلتكم هذه ..	٥٩٢
أسرف رجل على نفسه ..	١٩٤-١٩٣
اسمعوا وأطيعوا وان ..	٥٤٧
اسمعوا وأطيعوا فانما ..	٥٧٤
اعتزل تلك الفرق ..	١١٧
أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم ..	٤٥٢
أقبلت يهود الى النبي صلى الله عليه وسلم ..	٤٠٥
اقرأوا القرآن ما اتلفت ..	٥٩٦-١٤٢-١٤١
الزم بيتك ..	١١٧
ألا انها ستكون فتن ..	٤٦
الا انى أوتيت ..	٢٣٥
الا وانى تارك فيكم ثقلين ..	٥٨٦
اللهم حوالينا ولا علينا ..	٤٩٦
اللهم اشد وطأتك على ..	٤٩٦
اللهم فقهه فى الدين ..	٦٠٥

رقم الصفحة	لفظ الحديث أو الاثر
١٩٩	اللهم ماصليت من صلاة ..
٥٤٩-٥٤٧	أما ترضى أن تكون منى بمنزلة ..
٥٥٢	أنت منى بمنزلة هارون من ..
٥٢١	انكم سترون ربكم كما ..
٢٧٣	انا دار الحكمة وعلى بابها ..
٥٣٩	ان أبغض الرجال الى الله عز وجل ..
٥٧٦	إن ابني هذا سيد ..
٥٤٧	إن خليلي أوصاني أن ..
٣٧٩	إن الدين يسر ..
٩٤	إن الله لا ينسام ..
١٨٢	ان الله وضع عن أمتي ..
٢٣٦	ان الله يبعث ..
٣٥٢	ان الله أخذ الميثاق ..
٣٥٢	ان الله خلق آدم ..
١٨٢	ان الله تجاوز ..
٣٥٣	ان الله يقول لأهل النار ..
٢٩٣	ان الله خلق آدم من قبضة ..
٥٠٠	ان الله تعالى زوى الى الارض ..
٥٨٩	ان الله خلق الارض يوم خلقها ..
٥٨٩	ان الله خلق يوم خلق السموات ..
٥٩٠	ان رحمتي تغلب غضبي ..
٥٩٠	ان رحمتي سبقت غضبي ..
١٢٧	ان شر الناس منزلة ..
٤٢٧	ان في معاريف الكلام لمندوحة ..
٥٨٩	ان لله مائة رحمة فمنها ..
٤٣٦	ان من العلم جهلا ..
٧٠	ان من البيان سحرا ..
٥٦٧	انما الامام جنة ..
٥٩٢	انما يكفيك ان تضرب ..

لفظ الحديث أو الاثر	رقم الصفحة
ان هذا الدين متين ..	٣٧٩
أوليس خياركم الا ..	٣٦٣
أيما رجل قال لأخيه يا ..	١٩٢
اثتمروا بينكم بالمعروف ..	١١٧
((ب))	
بشرا ويسرا ..	٢٣٣
بعث رسول الله ..	٢٣٣
بلى انهم حرموا عليهم الحلال ..	٣٥٤
((ت))	
تحتاج الجنة والنار ..	٣١٥-١٧٤
تسمع وتطيع للأمير وان ضرب ظهرك ..	٥٧٤-٥٦٧
تفرقت اليهود ..	١٧٧
((ث))	
ثلاث من أصل الايمان ..	١٩٣-١٩٢
((ح))	
الحسن والحسين امامان ..	٥٥٢
((خ))	
الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ..	٥٥٩-٥٤٩
خلقت عبادي حنفاء كلهم ..	٣٥٣-٣٥٩-٣٦٠
((د))	٣٧١
دعوني ما تركتكم فانما ..	٥٨٥
((ذ))	
ذروني ما تركتكم ..	٥٥٥
((ر))	
رأى النبي صلى الله عليه وسلم الخليل في الجنة وحوله ..	٣٦٢
الرسول تبطل ثم تكون لهم العقابة ..	٢٢٤

رقم الصفحة	لفظ الحديث أو الأثر
	((س))
٢٠٧-١٩٨	سباب المسلم فسوق ..
٦٠٥	سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ..
٣٧٩	سدّدوا وقاربوا ..
	((ص))
٥٤٩	صدقتم نحن الوزراء وأنتم الأمراء .. (سعد بن عباد)
	((ع))
٣٦٤	عجب الله من أقوام يدخلون ..
	((ف))
٢١٩	فأما الذين سبقوا ..
٥٨٦	فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم ..
	((ق))
٢٤٣	القدرة مجوس هذه الأمة ..
٢٢٧-٢٢١-٢٠٨	قد تركتكم على البيضاء ..
٤٣٠	قلت يا رسول الله من كان أولهم قال آدم ..
	((ك))
٤٠٢	كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو بهذا الدعاء ..
٥٤٥	كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء ..
٥٣٢	الكبر بطر الحق وغطت الناس ..
٢٢٠	كتب الله مقادير ..
٥٥٩	كذبوا بنوا الزرقاء (سعيد بن جهمان)
١٧٤	كل بني آدم خطاء ..
٣٧٠-٣٥٠-١٣٦	كل مولود يولد على ..
٣٦١	كما تنتج البهيمة بهيمة ..
	((ل))
٥٠١	لأعطين هذه الراية رجلاً ..
٢٤١	لا تنزل طائفة من أمتي ..
٢٠٧-١٩٨	لا تصدقوهم ولا تكذبوهم ..
٥٩٢	لا نترك كتاب الله وسنة .. (عمر بن الخطاب)
٣١٠	لا نستعين بمشرك ...

رقم الصفحة	لفظ الحديث أو الأثر
١٩٢	لا يرمى رجل رجلا بالفسوق ..
٥٤٧	لا يزال هذا الامر في قريش ما ..
٢٠٧	لا يزنى الزاني حين .. لا يحبك الا مؤ من ..
٣٠٩	لا يموت لاحد من المسلمين ..
٥٠٠	لترين الضعيفة ترحل من ..
٥٠٠	لتفتحن عصاة من المسلمين كنز ..
٥٩١	ليس لك عليه نفقة ..
١١٧	ليسعك بيتك ..
٤٧١	لو لبث أهل النار في النار ..
((م))	
٤٤٩	ما السموات السبع والارضون ..
٤٢٢	ما جئت بما جئكم به ..
٥٣٩	ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا ..
٥٩٢	ما عندنا الا كتاب الله تعالى وما ..
١٦٢	مالي لا يدخلني ..
٤٢٩	ما من الأنبياء نبي الا أعطى ..
٣٠٩	ما من مسلم يصيه أذى ..
٣٠٩	ما من مسلم يصيه أذى شوكة ..
٣٥٩-٣٥٠	ما من مولود الا ..
٣٧٢	ما من مولود يولد ..
٥٤٩	ما من الامراء ومنكم الوزراء ..
٥٤٩-٥٤٨	ما من امير ومنكم امير ..
٥٣٨	من أحدث في أمرنا هذا ..
٥٦٣	من أراد أهل المدينة بسوء ..
٥٦٣	من أخاف أهل المدينة أخافه الله ..
٥٧٦	من رأى من أميره شيئا يكرهه ..
١٩١	من شهد أن لا اله الا الله ..

لفظ الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
من عمل عملاً ليس عليه أمرنا . . .	٥٧٩-٥٣٨
من أحدث في أمرنا هذا ما . . .	٥٧٩
من كان حالفاً فليحلف بالله . .	٤٦٣
من كذب على متعمداً . .	٥٩١-١٨٢
من كنت مولاه فعلي مولاه . .	٥٥٢
من لا يشكر الناس لا . .	٣٣
من يرد الله به خيراً يصب منه . .	٣٠٩
((ن))	
نضر الله امرأ سمع منا . .	٥٩١
نعم هل تضارون في رؤية الشمس . .	٥٢١-٥٢٠
((و))	
وأن لا تنازع الأمر أهله . .	٥٥٥-٥٥٨-٥٦٢
وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل . .	٥٧٤-٥٦٧
وانه ليدحوها كما . .	٣٠٩
وادعوا الناس وبشرا . .	٤٤٩
والله انه لموصوف في التوراة . .	٢٣٣
والله ما فيها كذبة الا . .	٤٩٨
والله لو وضعوا الشمس في يميني . .	٤٢٧
ورجل تصدق بصدقة فأخفاها . .	٤٢٢
والخير بيديك والشر ليس اليك . .	١٦٣
وكل بدعة ضلالة . .	٦١٤
وكنانحن نرى لنا حقاً لقربتنا . .	٥٣٨
وهل خياركم الا أولا المشركين . .	٥٤٨
ويح عمار تقتله الفئة الباغية . .	٣٦٣
وشر الامور محدثاتها . .	٥٤٩-٥٠١
((ه))	٥٧٨
هلاك أمتي على يد غلظة من قريش . .	٥٦١
هم مع آبائهم . .	٣٦٢

لفظ الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
((ي))	
يأتى الشيطان أحدكم ..	٣٧٧
يأتى على جهنم يوم مافيه ..	٤٧١
يحمل هذا العلم من كل خلف ..	٤٦٢-٢٣٥
يسرا ولا تعسرا ..	٢٣٢
يقبض الله الارض ويطوى ..	٤٤٩
يقول الله تعالى " مالعبدى المؤمن .. "	٣٠٩
يكشف ربنا عن ساقه ..	٣٦٨
يمرقون من الاسلام ..	٢١٨-٢٠٧-٢٠١
يؤتى يوم القيامة بمن مات فى ..	٣٦٦
يود أهل العافية ..	٣٠٩
يوشك أن يكون ..	١١٦

ملاحظة :

بعض الاحاديث كان يذكرها ابن الوزير بالمعنى ، وبعضها بالاشارة ،
وقد خرجتها جميعا فى الحاشية من هذه الرسالة .
ولله الحمد والمنة .(((

الباحث

المراجع

أولا : المخطوطات والمصورات :

- ١ - الإرشاد الهادى الى عقائد الزيدية ،
للهاذى بن ابراهيم الوزير سنة ٨٢٢ هـ ، صورة عن دار الكتب
المصرية رقم ٥٨٧ عقائد تيمور .
- ٢ - الأساس فى عقائد الاكياس ،
للامام القاسم بن محمد بن على سنة ١٠٢٩ هـ (خ) يوجد فى قسم
المخطوطات بالمكتبة المركزية بجامعة ام القرى رقم ٣٠٧ .
- ٣ - الأمر بالعزلة فى آخر الزمان ،
لابن الوزير (خ) صنعاء ، مكتبة الجامع الغربية رقم ٥٨-٩١-٩٦ مجاميع
- ٤ - البدر المنير فى تخريج احاديث الرافعى الكبير ،
لابن الملتن النحوى الشافعى سنة ٨٠٤ هـ ، توجد نسخة كاملة
مصورة فى قسم المخطوطات بمكتبة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة
رقم ٢٩٢٩ ، والجزء الاول والثانى (خ) فى مكتبة الملك عبدالعزيز
بالمدينة المنورة رقم ٥٠٤
- ٥ - بهجة الزمن فى تاريخ اليمن ،
لعبد الباقي بن عبد المجيد اليماني (خ) يوجد بمكتبة مركز البحث
العلمى بجامعة ام القرى . وقد طبع سنة ١٩٦٥ م بتحقيق مصطفى
حجازى .
- ٦ - تاريخ بنى الوزير ،
لاحمد بن عبدالله بن احمد الوزير سنة
مصور قن ميكروفيلم
رقم ٦ بمعهد المخطوطات العربية . يوجد فى مكتبتى الخاصة نسخة
كاملة .
- ٧ - تاريخ بنى الوزير ،
للهاذى بن صارم الدين الوزير سنة ٩٢٣ هـ (خ) صنعاء ، مكتبة
الجامع الغربية رقم ٤١ مجاميع . ويوجد فى مكتبتى الخاصة نسخة
كاملة مصورة .
- ٨ - ترجمة ابن الوزير ، فى اواخر المجلد الثانى من (العواصم والقواصم) ،
لمحمد بن عبدالله بن الهادى الوزير الاتى رقمه فى (العواصم)
- ٩ - ترجمة محمد بن ابراهيم الوزير (خ) صنعاء ، المكتبة الغربية
رقم ٥٢ مجاميع من ورقة ١٢٦-١٤٤٠ .
- ١٠ - التحفة المنيرة فى المجددين من أبناء خير البرية ،
لمحمد بن عبدالله أبى علامة سنة ١١٤٤ هـ (خ) صنعاء ، المكتبة الغربية
رقم ٥٦-٥٧ تاريخ .

- ١١ - تهذيب الكمال ،
للمحافظ يوسف بن الزكي المزي سنة ٧٤٩ هـ توجد نسخة بالمكتبة
المركزية بجامعة أم القرى قسم المخطوطات ، صورة عن دار المأمون
للتراث .
- ١٢ - تحفة الزمن بذكر سادات اليمن ،
لعبد الرحمن بن حسن الأهدل سنة ٨٥٥ هـ (خ) صنعاء ، المكتبة
الغربية رقم ٥٥ تاريخ .
- ١٣ - الجامع الكافي في فقه الزيدية ،
لمحمد بن علي بن الحسن العلوي (خ) صنعاء ، المكتبة الغربية
رقم ١٠٦ فقه .
- ١٤ - الحسام المشهور في الذب عن الامام المنصور ،
لمحمد بن ابراهيم الوزير سنة ٨٤٠ هـ (خ) صنعاء ، مكتبة الجامع
الغربية رقم ٩٦-١١٩ مجاميع .
- ١٥ - ديوان المرتضى ،
لمحمد بن ابراهيم الوزير سنة ٨٤٠ هـ (خ) صنعاء ، المكتبة الغربية
رقم ١٢٠-١٣٠ مجاميع .
- ١٦ - رياض الأبصار في ذكر الائمة الاقمار والعلماء الابرار ،
للهادي بن ابراهيم الوزير سنة ٨٢٢ هـ (خ) صنعاء مكتبة الجامع
الغربية رقم ١٩٧ مجاميع .
- ١٧ - الزيادات ،
لابي القاسم الحسين بن الحسن الهوسني المؤيدي ، (خ) صنعاء
المكتبة الغربية رقم ١٣٠ فقه .
- ١٨ - السلوك في طبقات العلماء والملوك ،
لمحمد بن يعقوب الشهير ببها الدين الجندي ، يوجد بمكتبة
مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى ميكروفيلم رقم ٣٠٨ تراجم
وتاريخ اليمن الى سنة ٧٢٤ هـ .
- ١٩ - شرح الثلاثين مسألة ،
لابراهيم بن يحيى السحولي (خ) صنعاء ، مكتبة الجامع الغربية ،
رقم ١٦٧ .

- ٢٠- طبقات الزيدية ،
لابراهيم بن محمد بن القاسم الشهاري ، فرغ من تأليفه سنة ١١٣٤ هـ
(خ) صنعاء المكتبة الغربية رقم ٢٦٤ تاريخ .
- ٢١- العواصم والقواصم في الذب عن سنة ابي القاسم ،
لمحمد بن ابراهيم الوزير سنة ٨٤٠ هـ (خ) صنعاء ، المكتبة الغربية
رقم ٢٢٦ ونسخة أخرى رقم ٧٦ وأخرى رقم ٤٣٥ كلام . وتوجد نسخة
في مكتبة مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى ميكروفيلم رقم
٣٢-٢١٠-٢٤٤ وهو تحت الطبع والتحقيق . وقد ظهر منه الجزء
الاول تحقيق شعيب الارتؤوط دار البشير ، عمان سنة ١٤٠٥ هـ .
- ٢٢- المسجد المصبوك فيمن تولى اليمن من الملوك ،
لابي الحسن علي بن الحسن بن ابي بكر الخزرجي سنة ٨١٢ هـ ، توجد
منه نسخة في مكتبة مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى رقم ٧٠ صورة ،
عن مخطوطة تركيا .
- ٢٣- كتاب البالغ المذكور ، بحث فيما يجب على العاقل اذا دخل بلاد الكفر ، فييردت
للامام الهادي يحيى بن الحسين العلوي سنة ٢٩٨ هـ ، وقد طبع / سنة
١٤٠٤ هـ (خ) صنعاء ، المكتبة الغربية رقم ١٧٦ مجاميع .
- ٢٤- الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي ،
مصور يوجد في قسم المخطوطات بالمكتبة المركزية بجامعة أم القرى
تحت رقم ٣٩٧ .
- ٢٥- كتاب العزلة ،
لمحمد بن ابراهيم الوزير سنة ٨٤٠ هـ (خ) صنعاء ، المكتبة الغربية ،
رقم ٢٨-٧١ مجاميع .
- ٢٦- مآثر الابرار في تفصيل مجملات جواهر الاخبار ،
لمحمد بن علي الزحيف ، توفي في القرن العاشر الهجري (خ) صنعاء ،
مكتبة الجامع الغربية رقم ١٦٥ - الشرقية ١٤ .
- ٢٧- مطلع البدور ومجمع البحور ،
لاحمد بن صالح بن ابي الرجال سنة ١٠٩٢ هـ (خ) صنعاء ، مكتبة
الجامع الشرقية رقم ١١٢ وتوجد نسخة منه في مكتبة مركز البحث العلمي
بجامعة أم القرى ميكروفيلم ، وعندى منه صورة خاصة بترجمة ابن الوزير
رقمها ٣٦٧ .

- ٢٨ - المفهم لما اشكل من تلخيص كتاب مسلم ،
لابي العباس احمد بن الشيخ صالح الانصارى القرطبى سنة ٦٥٦ هـ ،
يوجد فى المكتبة المركزية بجامعة ام القرى قسم المخطوطات رقم
٢٨٠٨ مصور عن مخطوطة دار المامون للتراث بدمشق .

...

ثانيا : المطبوعات :

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - الابانة عن اصول الديانة ،
للامام ابى الحسن على بن اسماعيل الاشعري سنة ٣٣٠ هـ ، وقيل
سنة ٣٢٤ هـ ، حققه وخرج احاديثه عبدالقادر الارنؤوط ، مكتبة
دار البيان ، دمشق ط . اولى سنة ١٤٠١ هـ .
- ٣ - أبجد العلوم المسمى بالرحيق المختوم من تراجم أئمة العلوم ،
لصديق حسن خان القنوجى الهندى سنة ١٣٠٧ هـ ط . بيروت ،
دار الكتب العلمية .
- ٤ - إتحاف السادة المتقين بشرح اسرار احياء علوم الدين ،
لمحمد بن محمد الحسينى الشهير بمرتضى الزيدى سنة ١٢٠٥ هـ ، دار
الفكر بيروت .
- ٥ - الاتقان فى علوم القرآن ،
لجلال الدين عبدالرحمن بن ابى بكر السيوطى سنة ٩١١ هـ ، مطبعة
حجازى بالقاهرة .
- ٦ - إتمام الوفاء فى سيرة الخلفاء ،
للشيخ محمد النقضرى ، دار الاتحاد العربى للطباعة ، بدون تاريخ .
- ٧ - اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية ،
للامام محمد بن ابى بكر بن ايوب الشهير بابن قيم الجوزية سنة ٧٥١ هـ ،
بيروت ، دار الكتب العلمية ط . اولى سنة ١٤٠٤ هـ .
- ٨ - إحكام الاحكام شرح عمدة الاحكام
للمحافظ تقى الدين بن دقيق العيد سنة ٧٠٢ هـ ، تحقيق طه ساعد
وزميله مطابع دار الشعب بالقاهرة سنة ١٣٩٦ هـ .

- ٩ - الأحكام السلطانية
لابي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي سنة ٤٥٠ هـ
راجعه الدكتور محمد فهمي الناشر ، المكتبة التوفيقية .
- ١٠ - الأحكام السلطانية
لابي يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي سنة ٤٥٨ هـ ، صححه
وعلق عليه محمد حامد الفقي ، دار الفكر ، بيروت ، ط. الثالثة ،
سنة ١٣٩٤ هـ .
- ١١ - إحياء علوم الدين
لابي حامد محمد بن محمد الغزالي سنة ٥٠٥ هـ ، ط. بيروت ،
دار المعرفة .
- ١٢ - أخبار القرامطة ،
للدكتور سهيل زكار ، نشر دار حسان ، ط. ثانية سنة ١٤٠٢ هـ .
- ١٣ - الأدب المفرد ،
للامام الحافظ ابي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري سنة ٢٥٦ هـ ،
مع شرحه فضل الله الصمد ، لفضل الله الجيلاني ، المطبعة
السلفية بالقاهرة ، ط. الثالثة .
- ١٤ - الأديان والفرق ،
لعبدالقادر شية الحمد ، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر ،
جدة .
- ١٥ - الاذكار المنتخبة من كلام سيدالابرار ،
للحافظ ابي زكريا يحيى بن شرف النووي سنة ٦٧٦ هـ ، الحلبي
ط. رابعة سنة ١٣٧٥ هـ .
- ١٦ - الاربعين في أصول الدين ،
لابي حامد محمد بن محمد الغزالي سنة ٥٠٥ هـ ، الناشر المكتبة
التجارية بمصر ، بدون تاريخ .
- ١٧ - الاربعين النووية ،
لابي زكريا محي الدين النووي سنة ٦٧٦ هـ مع شرحها لعبد الرحمن بن
شهاب الدين ، الشهير بابن رجب الحنبلي من علماء القرن الثامن
الهجري ط. الحلبي ط. رابعة سنة ١٣٩٣ هـ .

- ١٨ - الاسئلة والاجوبة الاصولية
للشيخ عبدالعزيز بن محمد السلطان ، ط. سادسة ،
سنة ١٣٩٧ هـ .
- ١٩ - أساس البلاغة ،
لمحمود بن عمر الزمخشري ، دار ومطابع الشعب بالقاهرة ،
سنة ١٩٦٠ م .
- ٢٠ - أساس التقديس ،
لمحمد بن عمر الشهير بالفخر الرازي سنة ٦٠٦ هـ ، ط. كردستان
العلمية سنة ١٣٢٨ هـ .
- ٢١ - الاسلام والرسول في نظر منصفى الشرق والغرب ،
لاحمد بن حجر آل ابوطامى ، الناشر مكتبة الثقافة قطر، ط. ثالثة ،
سنة ١٣٩٨ هـ .
- ٢٢ - الإصابة في تمييز الصحابة ،
للمحافظ احمد بن حجر العسقلانى سنة ٨٥٢ هـ ، تحقيق
طه الزيني الناشر مكتبة الكليات الازهرية .
- ٢٣ - اصول العدل والتوحيد
للامام القاسم بن ابراهيم الرسى سنة ٢٤٤ هـ وقيل سنة ٢٤٦ هـ ضمن
رسائل العدل والتوحيد تحقيق محمد عمارة طبع دار الهلال .
- ٢٤ - اصول الدين ،
لعبدالقاهر البغدادي سنة ٤٢٩ هـ طبع استانبول ، تركيا ،
ط . اولى سنة ١٣٤٦ هـ .
- ٢٥ - اضاءة الدجنة في اعتقاد اهل السنة
لاحمد المغربي المالكى الاشعري مع الشرح لمحمد بن احمد الملقب
بالداه الشنقيطى ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،
بدون تاريخ .
- ٢٦ - الاعتصام ،
لابى اسحق ابراهيم بن موسى الشاطبى الغرناطى سنة ٧٩٠ هـ ،
دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، بدون تاريخ .
- ٢٧ - الاعتقاد والهداية الى سبيل الرشاد على مذهب السلف واصحاب الحديث ،
للمحافظ ابى بكر احمد بن الحسين البيهقي سنة ٤٥٨ هـ ، تحقيق
احمد عصام الكاتب ، بيروت ، ط. اولى سنة ١٤٠١ هـ .

- ٢٨ - أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة المنصورة
لشيخنا حافظ بن أحمد الحكيم سنة ١٣٧٧ هـ ط. الافتتاح
ط. ثلاثة سنة ١٣٩٩ هـ .
- ٢٩ - الإعلان والتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ
للامام محمد بن عبد الرحمن السخاوي سنة ٩٠٢ هـ ضمن مجموعة
من كتب التاريخ بعنوان (علم التاريخ عند المسلمين) لفرانز روزنتشال
ترجمة الدكتور صالح أحمد العلي مؤسسة الرسالة ، بيروت ط. ثانية
سنة ١٤٠٣ هـ .
- ٣٠ - الأعلام
لخير الدين الزركلي ، بيروت ، ط. رابعة سنة ١٩٧٩ م .
- ٣١ - اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ،
لشيخ الاسلام أحمد بن تيمية سنة ٧٢٨ هـ .
- ٣٢ - الأكليل
لابن محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني سنة ٣٥٠ هـ ،
حققه وعلق حواشيه محمد بن علي الكوع الحوالي بدون ذكر
المطبعة والتأريخ .
- ٣٣ - الله جل جلاله ،
لسعيد حوى ، بيروت ، ط. أولى سنة ١٣٨٩ هـ .
- ٣٤ - أنباء الغمر بابنا العمر ،
لحافظ أحمد بن حجر العسقلاني سنة ٨٥٢ هـ ، تحقيق عاشور
وزميله ط. دار الشعب بمصر .
- ٣٥ - إنجيل يوحنا ،
ط. بيروت .
- ٣٦ - إنجيل متى ،
ط. بيروت .
- ٣٧ - إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات الى المذهب الحق من أصول التوحيد ،
للامام المجتهد محمد بن ابراهيم الوزير سنة ٨٤٠ هـ ، ط. بيروت ،

- ٣٨ - الايمان ،
لشيخ الاسلام ابي العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية ،
سنة ٧٢٨ هـ ، صححه وعلق عليه محمد خليل هراس ، دار الطباعة
المحمدية بالازهر .
- ٣٩ - أئمة اليمين
للمؤرخ محمد بن محمد بن يحيى زبارة الصنعاني ، المطبعة السلفية
بالقاهرة سنة ١٣٧٦ هـ .
- ٤٠ - الايمان
للمحافظ محمد بن اسحق بن يحيى الشهير بابن منده سنة ٣٩٥ هـ ،
تحقيق الدكتور على بن ناصر الفقيهي ط . الجامعة الاسلامية
بالمدينة المنورة . ط . اولى سنة ١٤٠١ هـ .
- ٤١ - الايمان ، أركانه ، حقيقته ، نواقضه .
للدكتور محمد نعيم ياسين ، جمعية عمال المطابع . ط . اولى سنة
١٣٩٨ هـ .
- ((ب))
- ٤٢ - البداية والنهاية
للمحافظ ابي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي سنة ٧٢٤ هـ . ط . بيروت .
- ٤٣ - البدر الطالع في محاسن من بعد القرن السابع
للامام محمد بن علي الشوكاني سنة ١٢٥٠ هـ مطبعة السعادة
بالقاهرة ط . اولى سنة ١٣٤٨ هـ .
- ٤٤ - البرهان في اصول الفقه ،
لامام الحرمين ابي المعالي عبد الملك الجويني تحقيق عبد العظيم
الديب قطر ، ط . اولى سنة ١٣٩٩ هـ .
- ٤٥ - البرهان القاطع في معرفة اثبات الصانع وجميع ما جاء به الشرائع
لمحمد بن ابراهيم الوزير سنة ٨٤٠ هـ ، المطبعة السلفية بالقاهرة ،
سنة ١٣٤٩ هـ .

- ٤٦ - بلوغ العرام في شرح مسك الختام فيمن تولى اليمن من ملك وامام
للقاضى حسين بن احمد العرشى ط. البريتري بالقاهرة سنة ١٩٣٩ م.
- ٤٧ - بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية
لشيخ الاسلام احمد بن تيمية سنة ٧٢٨ هـ ، تصحيح وتكميل
وتعليق محمد بن عبدالرحمن بن قاسم ، مطبعة الحكومة السعودية
مكة المكرمة ط. اولى سنة ١٣٩٢ هـ.

((ت))

- ٤٨ - التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الاخر والاول
للشيخ صديق حسن خان القنوجى الهندى سنة ١٣٠٧ هـ ، المطبعة
الهندية العربية ، بومباي ، ط. ثانية سنة ١٣٨٣ هـ.
- ٤٩ - تاريخ اليمن الثقافى ،
لاحمد حسين شرف الدين اليماني ، مطبعة الكيلاني الصغير .
في حواشي
- ٥٠ - تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن/وتاريخ اليمن ،
لعبد الواسع بن يحيى الواسع ، الدار اليمنية للنشر والتوزيع ،
ط. رابعة سنة ١٤٠٤ هـ .
- ٥١ - تاريخ حضرموت السياسى ،
لصلاح عبدالقادر البكرى الحلبي ، ط. ثالثة سنة ١٣٧٥ هـ.
- ٥٢ - تاريخ المخلاف السليماني ،
لمحمد بن احمد العقيلي ، راجعه واشرف على طبعه حمد الجاسر ،
ط. ثانية سنة ١٤٠٢ هـ ، منشورات اليمامة ، الرياض .
- ٥٣ - تاريخ شغرعدن
لابا مخرمه ، مطبعة بريل في مدينة ليدين سنة ١٩٣٦ م .
- ٥٤ - تاريخ الفكر العربى الاسلامى في اليمن ،
لاحمد حسين شرف الدين ، مطبعة الكيلاني .

- ٥٥ - تاريخ مدينة صنعاء ،
لاحمد بن عبدالله الرازي الصنعاني سنة ٤٦٠ هـ ، تحقيق حسين
العمري وعبد الجبار زكار ط . اولى سنة ١٩٧٤ م .
- ٥٦ - تاريخ المذاهب الاسلامية ،
لمحمد أبوزهرة ، مطبعة السعادة .
- ٥٧ - تاريخ الاسلام السياسي والثقافي والديني والاجتماعي ،
لحسن ابراهيم حسن الناشر ، مكتبة النهضة المصرية ، ط . ثانية ،
سنة ١٩٧٤ م .
- ٥٨ - تاريخ الفرق الاسلامية ،
لعلي الغرابي ، مطبعة محمد علي صبيح .
- ٥٩ - تاريخ اليمن السياسي ،
لمحمد بن يحيى الحداد ، دار الهناء للطباعة سنة ١٣٩٦ هـ .
- ٦٠ - التاريخ الكبير ،
للامام محمد بن اسماعيل البخاري سنة ٢٥٦ هـ ، تصوير لبنان
عن طبعة المكتبة الاسلامية ، تركيا .
- ٦١ - تاريخ بغداد ،
للمحافظ ابن بكر احمد بن علي البغدادي ، سنة ٤٦٢ هـ ، ط . المكتبة
السلفية بالمدينة المنورة .
- ٦٢ - تاريخ ابن خلدون المسمى بالبتدأ والخبر
بدون تاريخ ولا ذكر للطبعة .
- ٦٣ - تاريخ اليمن المسمى الفيد باخبار صنعاء وزبيد
لنجم الدين عمارة بن علي اليمني سنة ٥٦٩ هـ ، حققه وعلق عليه
محمد الاكوع ، مطبعة السعادة ، ط . ثانية سنة ١٣٩٦ هـ .
- ٦٤ - تاريخ الخلفاء ،
لجلال الدين السيوطي ، سنة ٩١١ هـ ط . بيروت .
- ٦٥ - تبين كذب المفترى فيما نسب الى الامام ابي الحسن الاشعري
لابي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشهير بابن عساكر
الدمشقي سنة ٥٧١ هـ . الناشر دار الكتاب العربي ، بيروت ،
سنة ١٣٩٩ هـ .

- ٦٦ - تحفة الا حوزى شرح جامع الترمذى ،
للامام الحافظ محمد بن عبدالرحمن المباركفورى سنة ١٣٥٣ هـ ،
اشرف على مراجعة اصوله وتصحيحه عبدالرحمن محمد عثمان ، الناشر
محمد عبدالمحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .
- ٦٧ - تدريب الراوى
لجلال الدين السيوطى سنة ٩١١ هـ ، تحقيق عبدالوهاب
عبداللطيف ، مطبعة السعادة بمصر ، ط. ثانية سنة ١٣٨٥ هـ .
- ٦٨ - تذكرة الحفاظ
للحافظ محمد بن احمد بن عثمان الذهبى سنة ٧٤٨ هـ .
- ٦٩ - ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان
لمحمد بن ابراهيم الوزير ، مطبعة المعاهد بمصر ، بدون تاريخ .
- ٧٠ - تسهيل الوصول الى فهم علم الاصول
للشيخ عطيه محمد سالم ، مطبعة المدنى .
- ٧١ - تطهير الجنان مع الصواعق المعرفه
للمحدث الشهير احمد بن حجر الهيتمى المكي سنة ٩٧٤ هـ ، خرج
احاديثه وعلق حواشيه وقدم له عبدالوهاب عبداللطيف شركة الطباعة
الفنية المتحدة ط. ثانية سنة ١٣٨٥ هـ .
- ٧٢ - تفسير القرآن العظيم ،
لابى الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقى سنة ٧٧٤ هـ تحقيق البنات
وزميله ط. دار الشعب بالقاهرة .
- ٧٣ - تفسير القرطبى الجامع لاحكام القرآن
لابى عبدالله محمد بن احمد الانصارى القرطبى سنة ٦٧١ هـ ، دار
الشعب بالقاهرة .
- ٧٤ - تفسير البغوى مع الخازن ،
للحسين بن مسعود الفراء سنة ٥١٦ هـ ، الحلبي ط. ثانية
سنة ١٣٧٥ هـ .

- ٧٥ - التفسير الكبير ، ومفاتيح الغيب
لمحمد بن عمر الشهير بالفخر الرازي سنة ٦٠٦ هـ ، دار الفكر للطباعة
والنشر والتوزيع ، بيروت ط.١ أولى سنة ١٤٠١ هـ.
- ٧٦ - تقريب التهذيب ،
للحافظ بن حجر العسقلاني سنة ٨٥٢ هـ ، الناشر مكتبة
النمكاني بالمدينة المنورة .
- ٧٧ - تلخيص ابليس
للامام ابن الفرج عبدالرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي سنة ٥٩٦ هـ
عنى بنشره وقدم له وخرج احاديثه محمود مهدي الاستانبولي ط.١ أولى
سنة ١٤٠١ هـ.
- ٧٨ - تلخيص الحبير في تخريج احاديث الرافعي الكبير
للحافظ احمد بن حجر العسقلاني سنة ٨٥٢ هـ تصحيح عبدالله
هاشم اليماني ، شركة الطباعة الفنية بالقاهرة سنة ١٣٨٤ هـ.
- ٧٩ - تنقيح الانظار في علوم الاثار ،
لابن الوزير مع شرحه توضيح الافكار للصنعاني . الناشر مكتبة الخانجي
ط.١ أولى سنة ١٣٦٦ هـ .
- ٨٠ - التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الاباطيل
لعبدالرحمن بن يحيى المعلى اليماني ، حققه وعلق عليه محمد ناصر
الدين الالباني لاهور ، باكستان ، ط.١ أولى سنة ١٤٠١ هـ.
- ٨١ - توحيد الخالق
للشيخ عبدالمجيد الزنداني ، ط.١ ثالثة بقطر سنة ١٣٩٧ هـ.
- ٨٢ - توضيح الافكار
لمحمد بن اسماعيل الامير الصنعاني سنة ١١٨٢ هـ ، شرح تنقيح
الانظار لابن الوزير تحقيق محمد محي الدين ط.١ السعادة ط.١ أولى
سنة ١٣٦٦ هـ .
- ٨٣ - توضيح المقاصد وتصحيح القواعد ، شرح القصيدة النونية ،
لاحمد بن ابراهيم بن عيسى ، المكتب الاسلامي ، ط.١ ثانية
سنة ١٣٩٢ هـ.

- ٨٤ - تهذيب الاثار ^{٢١٠هـ}
للامام محمد بن جرير الطبري سنة تحقيق د . ناصر بن سعد الرشيد
وزميله ، مطابع الصفا بمكة المكرمة سنة ١٤٠٢ هـ .
- ٨٥ - تهذيب التهذيب
للحافظ بن حجر العسقلاني سنة ٨٥٢ هـ ، الهند ط . اولسى ،
سنة ١٣٢٧ هـ .
- ٨٦ - تهذيب خصائص الامام على
للحافظ احمد بن شعيب المعروف بالنسائي سنة ٣٠٣ هـ تحقيق
حجازي محمد ، بيروت ، دار الكتب العلمية ط . اولى سنة ١٤٠٥ هـ .
- ٨٧ - تهذيب معالم السنن
لابن قيم الجوزيه مع مختصر السنن للحافظ المنذرى ، تحقيق محمد
حامد الفقى مطبعة السنة المحمدية .
- ((ج))
- ٨٨ - جامع الاصول فى احاديث الرسول
لمجد الدين المبارك بن محمد بن الاثير سنة ٦٠٦ هـ ، حققه وخرج
احاديثه عبدالقادر الارنؤوط مطبعة الملاح سنة ١٣٨٩ هـ .
- ٨٩ - جامع البيان عن تاويل آي القران ^{٢١٠هـ}
لابام المفسرين محمد بن جرير الطبري طبعة مصطفى الحلبي
ط . ثالثة سنة ١٣٨٨ هـ .
- ٩٠ - جامع العلوم والحكم لابي الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين الشهير بابن رجب
الحنبلى سنة ٧٩٥ هـ ط . الحلبي ط . رابعة سنة ١٣٩٣ هـ .
- ٩١ - الجرح والتعديل
للامام الحافظ عبدالرحمن بن ابي حاتم الرازي سنة ٣٢٧ هـ .
- ٩٢ - جلاء الافهام فى الصلاة والسلام على خير الانام
للامام ابن قيم الجوزية سنة ٧٥١ هـ المطبعة السلفية ط . ثالثة
سنة ١٤٠٠ هـ .
- ٩٣ - جواهر البلاغة
لاحمد الهاشمي ، بيروت ط . الثانية عشرة .

- ٩٤ - جوهرة التوحيد مع حاشية البيجورى
طبع العامرية الشرفية سنة ١٣١٤ هـ .
- ٩٥ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح
لشيخ الاسلام احمد بن تيمية سنة ٧٢٨ هـ مطابع المجد التجارية .
- ٩٦ - الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى
للامام محمد بن ابى بكر الشهير بابن القيم سنة ٧٥١ هـ ، المطبعة
السلفية ط . ثالثة سنة ١٤٠٠ هـ .
- ((ح))
- ٩٧ - حادى الارواح الى بلاد الافراح
للامام ابن قيم الجوزية مطابع الرجوى بالقاهرة .
- ٩٨ - حكام اليمن المؤلفون المجتهدون
لعبدالله بن محمد الحيشى تقديم زيد بن على الوزير ، بيروت ،
ط . دار القرآن ط . اولى سنة ١٣٩٩ هـ .
- ٩٩ - الحكمة فى مخلوقات الله تعالى
لابى حامد محمد بن محمد الغزالى سنة ٥٠٥ هـ تحقيق محمد رشيد
رضا قباني . بيروت ط . ثانية سنة ١٤٠٤ هـ .
- ((خ))
- ١٠٠ - الخصائص الكبرى او كفاية الطالب اللبيب فى خصائص الحبيب
لجلال الدين السيوطى سنة ٩١١ هـ تحقيق محمد خليل هراس مطبعة
المدنى بدون تاريخ .
- ١٠١ - الخطوط العريضة للاسس التى قام عليها دين الشيعة الامامية الاثنى عشرية
لمجد الدين الخطيب ، مؤسسة مكة للطباعة .
- ١٠٢ - خلق افعال العباد
للامام محمد بن اسماعيل البخارى تحقيق عبدالرحمن عميره ، الناشر
دار عكاظ ط . ثانية .
- ((د))
- ١٠٣ - دراسات قرآنية
لشيخنا محمد قطب ، دار الشروق .

- ١٠٤ - دراسات عن المجدد الاسلامي محمد بن ابراهيم الوزير
لابراهيم بن علي الوزير
- ١٠٥ - دراسات في التراث اليمني
لعبدالله بن محمد الحبشي ، ط . بيروت .
- ١٠٦ - درء تعارض العقل والنقل
لشيخ الاسلام احمد بن تيمية تحقيق محمد رشاد سالم ، طبع
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ط . اولى سنة ١٤٠٣ هـ .
- ١٠٧ - ديوان المتنبي شرح ابي البقاء العكبري
الناشر دار المعرفة . بيروت . سنة ١٣٩٧ هـ .
- ١٠٨ - ديوان ابي العتاهية
بيروت ، دار صادر للطباعة والنشر سنة ١٣٨٤ هـ .
- ١٠٩ - الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة
للمحافظ احمد بن حجر العسقلاني سنة ٨٥٢ هـ حققه محمد سيد
جاد المولى مطبعة المدني بدون تاريخ .
- ١١٠ - الدر المنثور في التفسير بالماثور
لجلال الدين السيوطي سنة ٩١١ هـ الناشر محمد امين دمج ط . بيروت .
- ١١١ - الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب
لابن فرحون المالكي سنة ٧٩٩ هـ تحقيق محمد ابوالنور الناشر
دار التراث للطبع والنشر - القاهرة .
- ١١٢ - ديوان الأتوة الأودى ضمن الطرائف الادبية
محمّد عبدالعزيز الميمنى ط . بيروت . دار الكتب العلمية .
- ((ن))
- ١١٣ - الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الاسلام
للدكتور بشار معروف بشار ط . الحلبي ط . اولى سنة ١٣٨٦ هـ .
- ١١٤ - ذيل المستدرک ويسمى التلخيص
للإمام محمد بن احمد بن عثمان الشهير بالذهبي سنة ٧٤٨ هـ ،
ط . بيروت .

- ١١٥ - ذيل طبقات الحنابلة
لعبد الرحمن بن شهاب الحنبلي سنة ٧٩٥ هـ ، ط . بيروت .
- ١١٦ - الذيل على كشف الظنون
لاسماعيل باشا البغدادي - ط . بيروت .
- ((ر))
- ١١٧ - رجال الفكر والدعوة في الاسلام
لابي الحسن الندوي ، الناشر دار القلم ، الكويت سنة ١٣٩٤ هـ .
- ١١٨ - الرد على المنطقيين
لشيخ الاسلام احمد بن تيمية ، مطبعة معارف لاهور ، باكستان
سنة ١٣٩٦ هـ .
- ١١٩ - الرد على الجهمية والزنادقة
للامام احمد بن حنبل سنة ٢٤١ هـ تصحيح اسماعيل الانصاري
توزيع الافتاء .
- ١٢٠ - رسالة الحور العين ،
لنشوان الحميري سنة ٥٧٣ هـ ، تحقيق كمال مصطفى ، ط . السعادة
بمصر سنة ١٣٤٨ هـ .
- ١٢١ - الرسالة التدميرية ضمن مجموعة نفائس
لشيخ الاسلام احمد بن تيمية سنة ٧٢٨ هـ .
- ١٢٢ - الرسالة الحموية ضمن مجموعة نفائس
لابن تيمية .
- ١٢٣ - الرسالة الوازنة للمعتدين عن سب صحابة سيد المرسلين
للامام يحيى بن حمزه سنة ٧٤٩ هـ ادارة الطباعة المنيرية سنة ١٣٤٨ هـ .
- ١٢٤ - الرسالة التاسعة ضمن الرسائل المنيرية ،
عنيت بنشرها للمرة الاولى ادارة الطباعة المنيرية سنة ١٣٤٦ هـ .
- ١٢٥ - الرسالة المحمدية
لمحمود عبد الوهاب فايد ، دار الطباعة المحمدية بالازهر الشريف ،
ط . اولى سنة ١٣٨٩ هـ .
- ١٢٦ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ،
لابي الفضل محمود الالوسي ط . بيروت .

- ١٢٧ - روضة الناظر وجنة المناظر في اصول الفقه
لعبدالله بن احمد بن قدامه المقدسى سنة ٦٢٠ هـ . بيروت ،
ط . اولى سنة ١٤٠١ هـ .
- ١٢٨ - الروض النظرير شرح مجموع الفقه الكبير
للقاضى شرف الدين الحسين بن احمد السياغى سنة ١٢٢١ هـ ، دار
البيان دمشق ط . ثالثة سنة ١٣٨٨ هـ .
- ١٢٩ - الروح
لابن قيم الجوزية ، مطبعة صبيح ، سنة ١٣٨٦ هـ .
- ١٣٠ - رفع الاستار لا، بطل أدلة القائلين بفناء النار
لمحمد بن اسماعيل الشهير بالامير الصنعاني سنة ١١٨٢ هـ تحقيق
الالباني ط . المكتب الاسلامى ط . اولى سنة ١٤٠٥ هـ .
- ١٣١ - روضة الطالبين
للامام ابن زكريا يحيى بن شرف النووي . ط . المكتب الاسلامى .
- ١٣٢ - الروض الباسم فى الذب عن سنة ابن القاسم
لابن الوزير سنة ٨٤٠ هـ ، المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٨٥ هـ .
- ١٣٣ - رياح التغيير فى اليمن
لاحمد محمد الشامى ط . اولى سنة ١٤٠٥ هـ .
((ز))
- ١٣٤ - زاد المعارف فى هدى خير العباد ،
لشمس الدين بن قيم الجوزية راجعه وقدم له طه عبدالرؤف . ط . الحلبي ،
سنة ١٣٩٠ هـ .
- ١٣٥ - مكرر الزيدية
لاحمد محمود صبحى ، الناشر مكتبة المعارف بالاسكندرية ، ١٩٨٠ م .
((س))
- ١٣٦ - سفر التثنية ضمن الكتاب المقدس
ط . بيروت سنة ١٨٧٠ م .
- ١٣٧ - سلسلة الاحاديث الصحيحة
للشيخ محمد ناصر الدين الالباني ، الناشر المكتب الاسلامى ١٣٩٢ هـ .
- ١٣٨ - سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة واثرها السى * فى الامة
للالباني ، الناشر المكتب الاسلامى .

- ١٣٩ - سنن البيهقي الكبرى ،
للحافظ ابي بكر احمد بن الحسين البيهقي سنة ٤٥٨ هـ ط. الهند .
- ١٤٠ - سنن ابي داود مع عون المعبود
للحافظ سليمان بن الاشعث بن اسحق سنة ٢٧٥ هـ ، الناشر
المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ط. ثانية سنة ١٣٨٨ هـ .
- ١٤١ - سنن الدارمي
للحافظ ابي عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي سنة ٢٥٥ هـ مع تخريج
الدارمي وتصحيحه للسيد عبدالله هاشم يماني ، دار المحاسن للطباعة
- ١٤٢ - سنن الترمذي بتحفة الاحوذى ،
للحافظ ابي عيسى محمد بن عيسى الترمذي سنة ٢٧٩ هـ ، الناشر
المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ط. ثانية سنة ١٣٨٤ هـ .
- ١٤٣ - سنن النسائي ،
للحافظ احمد بن شعيب بن علي الشهير بالنسائي سنة ٣٠٣ هـ ،
ط. الحلبي ط. اولى سنة ١٣٨٣ هـ .
- ١٤٤ - سنن ابن ماجه ،
للحافظ ابي عبدالله محمد بن يزيد القزويني الشهير بابن ماجه
سنة ٢٧٥ هـ تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ط. الحلبي .
- ١٤٥ - السنة ومكانتها
لمصطفى السباعي ، المكتب الاسلامي . ط. ثانية .
- ١٤٦ - السنن والابتدعات ،
لمحمد عبدالسلام الشقيري ، المطبعة اليوسفية .
- ١٤٧ - سير اعلام النبلاء
للحافظ ابي عبدالله محمد بن احمد بن عثمان الذهبي سنة ٧٤٨ هـ
تحقيق شعيب الارنؤوط مؤسسة الرسالة سنة ١٤٠٢ هـ .
- ١٤٨ - السير والمغازي
لمحمد بن اسحق المطلبي سنة ١٥١ هـ تحقيق د . سهيل زكار ، بيروت
ط. اولى سنة ١٣٩٨ هـ .
- ١٤٩ - السيرة النبوية
لابن هشام ^{١٤١٨}تحقيق شلبي وزميليه ط. الحلبي ، ط. ثانية ١٣٧٥ هـ .

- ١٥٠ - السيرة النبوية
لابي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي سنة ٧٧٤ هـ ، الناشر
دار المعرفة ، بيروت سنة ١٣٩٥ هـ .
- ((ش))
- ١٥١ - الشامل في اصول الفقه
لامام الحرمين ابي المعالي عبد الملك الجويني ، تحقيق على سامي النشار
الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية .
- ١٥٢ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب
لعبدالحق بن العماد الحنبلي سنة ١٠٨٩ هـ ط . بيروت ، دار صادر .
- ١٥٣ - شرح مسلم
للامام ابي زكريا يحيى بن شرف النووي سنة ٦٧٦ هـ ، الناشر المطبعة
المصرية ومكتبتها .
- ١٥٤ - شرف اصحاب الحديث ،
للامام احمد بن علي الخطيب البغدادي سنة ٤٦٣ هـ ، تحقيق
د . محمد سعيد خطيب ، نشرته دار احياء السنة النبوية .
- ١٥٥ - شرح الاصول الخمسة
للقاضي عبد الجبار بن احمد سنة ٤١٥ هـ ، حققه عبد الكريم عثمان
مطبعة الاستقلال ط . اولى سنة ١٣٨٤ هـ .
- ١٥٦ - شرح اصول اعتقاد اهل السنة
للمحافظ هبة الله بن الحسن الطبري اللالكائي سنة ٤١٨ هـ ، تحقيق
د . احمد سعد حمدان دار طيبة للنشر والتوزيع بالرياض .
- ١٥٧ - الشريعة
للامام ابي بكر محمد بن الحسين الاجري سنة ٣٦٠ هـ ، تحقيق
محمد حامد الفقي ، الناشر انصار السنة المحمدية ط . لاهور ،
باكستان .
- ١٥٨ - شرح العقيدة الواسطية ،
لمحمد خليل هراس ، راجعه الاستاذ الكبير عبد الرزاق عفيفي ، مؤسسة
مكة للطباعة والاعلام . ط . خامسة .
- ١٥٩ - شرح السنة
للحسين بن مسعود الفراء الشهير بالبغوي سنة ١٦٥ هـ حققه وعلّق
عليه وخرج احاديثه شعيب الارناؤوط وزهير الشاويش ، المكتب
الاسلامي ، ط . اولى سنة ١٣٩٠ هـ .

- ١٦٠ - شرح حديث النزول
لشيخ الاسلام احمد بن تيمية ، منشورات المكتب الاسلامي
ط . رابعة سنة ٨٩ ١٣ هـ .
- ١٦١ - شرح الاصفهانية
لشيخ الاسلام احمد بن تيمية سنة ٧٢٨ هـ ، مطبعة كردستان العلمية
بالقاهرة سنة ٢٩ ١٣ هـ .
- ١٦٢ - شرح فتح القدير على الهداية
للامام محمد بن عبد الواحد السكندري المعروف بابن الهمام الحنفى
سنة ٦٨١ هـ ، مصطفى الحلبي ط . اولى سنة ٨٩ ١٣ هـ .
- ١٦٣ - شرح العقيدة الطحاوية
لابن ابن العز الحنفى حققها وراجعها جماعة من العلماء وخرج
احاديثها محمد ناصر الدين الالباني ط . المكتبة الاسلامي ط . رابعة سنة ١٢٩١ هـ .
- ١٦٤ - شرح العقائد النسفية
لسعد الدين التفتازاني ، مطبعة كردستان العلمية بمصر المحمية
سنة ٢٩ ١٣ هـ .
- ١٦٥ - الشوكاني مفسرا
لمحمد بن حسن الغماري ، دار الشروق للنشر والتوزيع ط . اولى سنة ١٤٠١ هـ .
- ١٦٦ - شفاء العليل في مسائل القضا والقدر والحكمة والتعليل
للامام الشهير بابن قيم الجوزية سنة ٧٥١ مطبعة السنة المحمدية
بالقاهرة سنة ١٩٧٥ م .
- ((ص))
- ١٦٧ - الصحاح
لإسماعيل بن حماد الجوهري سنة ٣٩٣ هـ وقيل سنة ٤٠٠ هـ تحقيق
عبد الغفور العطار ط . ثانية ، القاهرة سنة ١٤٠٢ هـ .
- ١٦٨ - صحيح البخاري
لامام المحدثين الحافظ ابن عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ،
سنة ٢٥٦ هـ ، طبع استانبول تركيا سنة ١٩٧٩ م مرقم الكتب والابواب .
- ١٦٩ - صحيح مسلم
للامام الحافظ ابن الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ،
سنة ٢٦١ هـ تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي توزيع الافتاء سنة
١٤٠٠ هـ .

- ١٢٠ - صحيح ابن حبان
للمحافظ أبي حاتم بن حبان بن أحمد التميمي سنة ٣٥٤ هـ ، ترتيب
الامير علاء الدين الفارس سنة ٧٣٩ هـ ضبط وتحقيق عبدالرحمن
محمد عثمان مطبعة المجد ط. اولى سنة ١٣٩٠ هـ.
- ١٢١ - صحيح الجامع الصغير وزيادته
للشيخ محمد بن ناصر الدين الالباني طبع المكتب الاسلامي ،
ط. ثلاثة سنة ١٤٠٢ هـ.
- ١٢٢ - الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن
لحسين بن فيض الله الهمداني الحرازي دار المختار للطباعة والنشر
دمشق .
- ١٢٣ - الصواعق المحرقة في الرد على اهل البدع والزندقة
للمحدث الشهير احمد بن حجر الهيتمي المكي سنة ٩٧٤ هـ خرج
احاديثه وعلق حواشيه وقدم له عبدالوهاب عبداللطيف شركة الطباعة
الفنية المتحدة ، ط. ثانية سنة ١٣٨٥ هـ.
- ١٢٤ - صوت المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام
لجلال الدين السيوطي سنة ٩١١ هـ علق عليه على سامي النشار ،
دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ((ض))
- ١٢٥ - ضحى الاسلام
لاحمد أمين مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ط. سابعة
سنة ١٩٦٤ م.
- ١٢٦ - الضعفاء والمتروكين
للإمام محمد بن اسماعيل البخاري سنة ٢٥٦ هـ ، تحقيق محمود ابراهيم
زايد ، دار الوعي بحلب ط. اولى سنة ١٣٩٦ هـ .
- ١٢٧ - الضوء اللامع لاهل القرن التاسع
لشمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي سنة ٩٠٢ هـ ط. بيروت .
- ((ط))
- ١٢٨ - الطبقات الكبرى
لمحمد بن سعد سنة ٢٣٠ هـ الشهير بابن سعد تقديم احسان
عباس ط. بيروت دار صادر .
- ١٢٩ - طبقات الخواص اهل الصدق والاخلاص
لاحمد بن احمد بن عبداللطيف الزبيدي الحنفي سنة ٧٩٣ هـ طبع
الميمنية بمصر بدون تاريخ .

- ١٨٠ - طبقات الحنابلة
للقاضى ابن الحسين محمد بن ابي يعلى سنة ٤٥٨ هـ ط. بيروت.
- ١٨١ - طبقات الشافعية الكبرى
لعبد الوهاب السبكي سنة ٧٧١ هـ تحقيق الطناحى وزميله
ط. الحلبي ط. اولى سنة ١٣٨٤ هـ.
- ١٨٢ - طبقات صلحاء اليمن ، المعروف بتاريخ البريهي سنة ٩٠٤ هـ
لعبد الوهاب بن عبد الرحمن السكسكى اليماني تحقيق عبداللـ
محمد الحبشى ، مركز الدراسات والبحوث باليمن ، صنعاء .
- ١٨٣ - طبقات فقهاء اليمن
لعمر بن على بن سمره الجعدى الفه عام ٥٨٦ هـ تحقيق فؤاد سيد
بيروت ط. ثانية سنة ١٤٠١ هـ .
- ١٨٤ - طريق الهجرتين وباب السعادتين
لابن قيم الجوزية ، تحقيق عبدالله ابراهيم الانصارى ، مطابع الدوحة
الحديثة ، قطر.
- ((ع))
- ١٨٥ - العرف الطيب شرح ديوان ابي الطيب المتنبى
للشيخ ناصف اليازجى ، بيروت ط. ثانية .
- ١٨٦ - العصمة من الضلال
للحسن بن احمد الجلال الصنعاني سنة ١٠٨٤ هـ .
- ١٨٧ - العقد الثمين تاريخ البلد الامين
لتقى الدين محمد بن احمد بن على الحسنى الشهير بالفاسى سنة ٨٣٢ هـ
تحقيق فؤاد سيد طبع القاهرة سنة ١٣٨٦ هـ.
- ١٨٨ - العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية
لعلى بن الحسن الخزرجى سنة ٨١٢ هـ ، عنى بتصحيحه محمد بسيونى ،
مطبعة الهلال بمصر سنة ١٣٢٩ هـ .
- ١٨٩ - اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ،
لمحمد فؤاد عبد الباقي ، ط. الحلبي .
- ١٩٠ - العقيدة الطحاوية
للامام ابن جعفر احمد بن محمد الازدى الطحاوى سنة ٣٢١ هـ ، شرح
وتعليق الالبانى ، المكتب الاسلامى ، بيروت ، ط. اولى سنة ١٣٩٨ هـ .

- ١٩١ - العقيدة الواسطية
لشيخ الاسلام احمد بن تيمية سنة ٧٢٨ هـ مع شرحها لمحمد خليل
هراس مراجعة الاستاذ الكبير عبدالرزاق عفيفي ، مؤسسة مكة للطباعة
والاعلام ، ط. خامسة .
- ١٩٢ - العقيدة النظامية في الاركان الاسلامية
لابي المعالي عبدالملك الجويني سنة ٤٧٨ هـ ، تحقيق احمد حجازي
مطبعة دار الشباب بمصر ط. اولى سنة ١٣٩٨ هـ.
- ١٩٣ - عقيدة السلف وأصحاب الحديث
لشيخ الاسلام اسماعيل الصابوني سنة ٤٤٩ هـ ، ضمن الرسائل
المنيرة بيروت سنة ١٩٧٠ م.
- ١٩٤ - العلل المتناهية في الاحاديث الواهية ،
للامام ابي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي سنة ٥٩٦ هـ ، حققه وعلق
عليه ارشاد الحق الاثرى ، الناشر ادارة ترجمان السنة ، لاهور .
- ١٩٥ - العلم الشامخ في تفضيل الحق على الالباء والمشايخ
لصالح بن مهدي القبلي اليماني سنة ١١٠٨ هـ ط. اولى بمصر
واخرى طبع دار البيان ، دمشق ، تحقيق عبدالرحمن الارياني .
- ١٩٦ - العلو للعلی الغفار
للمحافظ ابي عبدالله محمد بن احمد بن عثمان الذهبي سنة ٧٤٨ هـ ،
قدم له وصححه وراجع اصوله عبدالرحمن محمد عثمان ، الناشر المكتبة
السلفية بالمدينة المنورة ط. ثانية سنة ١٣٨٨ هـ.
- ١٩٧ - علوم الحديث ،
للامام ابي عمرو عثمان بن عبدالرحمن الشهرزوري المعروف بابن الصلاح
سنة ٦٤٣ هـ ، تحقيق نورالدين عتر مطبعة الاصيل حلب سنة
١٣٨٤ هـ .
- ١٩٨ - عون المعبود شرح سنن ابي داود
لابي الطيب محمد شمس الحق ابادي تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان ،
الناشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ط. ثانية سنة ١٣٨٨ هـ .
- ((غ))
- ١٩٩ - غاية الاماني في اخبار القطر اليماني
ليحي بن الحسين بن محمد بن القاسم الشهاري الزيدي ، سنة ١٠٩٠ هـ
تحقيق عاشور ، دار الكتاب العربي بالقاهرة سنة ١٣٨٨ هـ .
- ٢٠٠ - غاية المرام في علم الكلام
لسيف الدين الامدي سنة ٦٣١ هـ تحقيق حسن محمود عبداللطيف ،
المجلس الاعلى للشئون الاسلامية المصرية واخرى نشر المكتبة الكبرى بمصر .

- ٢٠١ - الفياثسى
لعبد الملك الجوينى امام الحرمين سنة ٤٧٨ هـ تحقيق عبدالعظيم
الديب ، الشئون الاسلامية بقطر ط . اولى سنة ١٤٠٠ هـ .
- ((ف))
- ٢٠٢ - فتح البارى شرح صحيح البخارى
للمحافظ احمد بن حجر العسقلانى سنة ٨٥٢ هـ ، اشرف على
مقابلة نسخه وتحقيقها الشيخ عبدالعزيز بن باز ، رقم كتبه وابوابه
واحاديثه محمد فؤاد عبدالباقي ، اشرف على طبعه محب الدين
الخطيب المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٨٠ هـ .
- ٢٠٣ - فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية فى علم التفسير
للامام محمد بن على الشوكانى سنة ١٢٥٠ هـ ط . الحلبي .
- ٣٠٤ - الفتح العثمانى الاول
لمصطفى سالم ، معهد البحوث والدراسات العربية ط . ثانية ، ١٩٧٤ م .
- ٢٠٥ - فتح المغيث شرح ألفية الحديث للعراقى
تأليف محمد بن عبدالرحمن السخاوى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،
ط . اولى سنة ١٤٠٣ هـ .
- ٢٠٦ - الفتوى الحموية الكبرى ضمن مجموعة نفائس
لشيخ الاسلام ابن تيمية سنة ٧٢٨ هـ .
- ٢٠٧ - الفتوحات الالهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية
لسليمان بن عمر العجيلى الشهير بالجلل سنة ١٢٠٤ هـ ط . عيسى الحلبي .
- ٢٠٨ - فجر الاسلام
لاحمد امين ، مطبعة النهضة المصرية سنة ١٩٧٥ م .
- ٢٠٩ - الفرق بين الفرق
لعبد القاهر بن طاهر البغدادى سنة ٤٢٩ هـ ، تحقيق محمد محى الدين
عبد الحميد ، مطبعة المدنى بالقاهرة .
- ٢١٠ - فصل الخطاب بنقد كتاب المغنى عن الحفظ والكتاب
لابن اسحق حجازى بن محمد بن شريف الحوينى ، بيروت ط . اولى ،
١٤٠٥ هـ .

- ٢١١ - الفصل في الملل والاهواء والنحل
لابي محمد علي بن سعيد بن احمد الشهير بابن حزم الاندلسي
الظاهرى سنة ٤٥٦ هـ مع الملل والنحل للشهرستاني ، مطبعة
صبيح بالقاهرة .
- ٢١٢ - فضائح الباطنية
لابي حامد محمد بن محمد الغزالي سنة ٥٠٥ هـ ، حققه وقدم له
عبدالرحمن بدوى ، مؤسسة دار الكتب الثقافية ، الكويت .
- ٢١٣ - فقه السيرة
للشيخ محمد الغزالي مع تخريج احاديثها وتصحيحها للالبانسي
الناشر دار الكتب الحديثة بمصر ، ط . سابعة سنة ١٩٧٦ م .
- ٢١٤ - الفقه الاكبر
للامام ابي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي^{١٥٠} هـ مع شرحه للملا علي القاري
الحنفي صححه جماعة من العلماء باشراف الناشر ، دار الكتب
العلمية ، بيروت ط . اولى سنة ١٤٠٤ هـ .
- ٢١٥ - الفوائد المجموعة في الاحاديث الضعيفة والموضوعة
لشيخ الاسلام محمد بن علي الشوكاني تحقيق عبدالرحمن المعلمسي
اليمني ، بيروت ط . ثانية سنة ١٣٩٢ هـ .
- ٢١٦ - فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة
لابي حامد الغزالي ، تحقيق شيخنا سليمان دنيا ط . الحلبي
ط . اولى سنة ١٣٨١ هـ .
- ٢١٧ - الفوائد
لابن قيم الجوزية ، بيروت ، ط . ثانية سنة ١٣٩٣ هـ .
- ٢١٨ - الفهرست
لابن النديم ، الناشر ، دار المعرفة ، بيروت .
- ٢١٩ - في ظلال القرآن
للشهيد سيد قطب ، دار الشروق ، الطبعة الشرعية الرابعة ،
سنة ١٣٩٧ هـ .
- ٢٢٠ - فيض القدير شرح الجامع الصغير
لعبدالرؤف المناوي على الجامع الصغير للسيوطي سنة ٩١١ هـ ، بيروت ،
دار المعرفة ، ط . ثانية سنة ١٣٩١ هـ .

((ق))

- ٢٢١ - القاموس المحيط
لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادى سنة ٨١٧ هـ ، الناشر مؤسسه
الحلى بالقاهرة .
- ٢٢٢ - قراءة فى فكر الزيدية
لعبد العزيز المقالح ، ط. بيروت سنة ١٩٨٢ م.
- ٢٢٣ - القرامطة
للامام عبدالرحمن بن الجوزى سنة ٥٩٧ هـ ، تحقيق محمد الصباغ
المكتب الاسلامى ط. رابعة سنة ١٣٩٧ هـ.
- ٢٢٤ - قطر الندى وبل الصدى
لعبد الله جمال الدين المعروف بابن هشام الانصارى سنة ٧٦١ هـ ،
تحقيق محمد محي الدين ، مطبعة السعادة ، ط. الحادية عشرة ،
سنة ١٣٨٣ هـ.
- ٢٢٥ - القلائد فى تصحيح العقائد ضمن مقدمة البحر الزخار
للامام المهدي احمد بن يحيى العرتضى سنة ٨٤٠ هـ ط. بيروت .
- ٢٢٦ - قواعد الاحكام فى مصالح الانام
للامام عبدالعزيز بن عبد السلام سنة ٦٦٠ هـ ، ط. بيروت ، دار الكتب
العلمية .
- ٢٢٧ - قواعد عقائد آل محمد (قسم الباطنية)
لمحمد بن الحسن الديلمى اليماني احد علماء القرن الثامن الهجرى ،
تحقيق الكثرى ، مطبعة السعادة سنة ١٩٥٠ م.
- ٢٢٨ - القول المفيد فى أدلة الاجتهاد والتقليد
للامام محمد بن على الشوكانى سنة ١٢٥٠ هـ تحقيق عبدالرحمن
عبدالخالق ، دار القلم ، ط. اولى ، الكويت سنة ١٣٩٦ هـ .

((ك))

- ٢٢٩ - الكاشف فى معرفة من له رواية فى الكتب الستة
للمحافظ محمد بن احمد بن عثمان المعروف بالذهبي ، تحقيق عزت على
عيد ، دار النصر للطباعة بالقاهرة ، ط. اولى سنة ١٣٩٢ هـ.
- ٢٣٠ - كتاب الاشمال
للامام الحافظ ابى عبيد القاسم بن سلام سنة ٢٢٤ هـ ، حققه الدكتور
عبدالمجيد قطامش ، دار المأمون للتراث ط. اولى سنة ١٤٠٠ هـ .

- ٢٣١ - كتاب الامثال في الحديث النبوى
لابى محمد عبدالله بن محمد بن جعفر بن حبان المعروف
بابى الشيخ الاصبهاني سنة ٣٦٩ هـ ، تحقيق عبدالعلـى
عبد الحميد ط. دار السلفية بالهند ط. اولى سنة ١٤٠٢ هـ .
- ٢٣٢ - كتاب الزيدية
د. احمد محمود صبحى ، الناشر مكتبة المعارف بالاسكندرية ،
سنة ١٩٨٠ م .
- ٢٣٣ - كتاب الموضوعات
للامام عبدالرحمن بن على المعروف بان الجوزى سنة ٥٩٧ هـ تحقيق
عبدالرحمن محمد عثمان ، مطبعة المجد ط. اولى سنة ١٣٨٦ هـ .
- ٢٣٤ - كتاب التوحيد واثبات صفات الرب
للمحافظ محمد بن اسحق المعروف بابن خزيمة سنة ٣١١ هـ راجعه
وعلق عليه محمد خليل هراس ، الناشر مكتبة الكليات الازهرية
سنة ١٣٨٧ هـ .
- ٢٣٥ - كتاب الجوائز والصلاة فى جمع الاسامى والصفات
للسيد نور الحسن خان ط. الفارقى بدلهى .
- ٢٣٦ - الكتاب الجامع فى السنن والاداب والمغازى والتاريخ
لابن ابرزيد القيروانى سنة ٣٨٦ هـ تحقيق ابوالاجفاف ط. بيروت ،
ط. مؤسسة الرسالة .
- ٢٣٧ - كتاب السنة مع الرد على الجهمية
للامام احمد بن حنبل ، تحقيق الانصارى .
- ٢٣٨ - كتاب فيه معرفة الله من العدل والتوحيد ضمن رسائل العدل والتوحيد ،
للامام الهادى يحيى بن الحسين سنة ٢٩٨ هـ ، تحقيق محمد عمارة ،
ط. دار الهلال .
- ٢٣٩ - الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل فى وجوه التأويل
لمحمود بن عمر الزمخشري سنة ٥٣٨ هـ دار المعرفة ، بيروت .
- ٢٤٠ - كشف اسرار الباطنية واخبار القرامطة
لمحمد بن مالك الحمادى اليماني من علماء القرن الخامس الهجرى ،
تحقيق الكوثري مطبعة الانوار سنة ١٣٥٧ هـ .
- ٢٤١ - كشف الشبهات فى التوحيد
للمجدد محمد بن عبد الوهاب سنة ١٢٠٦ هـ .

- ٢٤٢- كشف القناع
لمنصور بن يونس البهوتي سنة ١٠٥١ هـ ، راجعه وعلق عليه
الشيخ هلال مصلح الناشر مكتبة النصر الحديثة ، الرياض .
- ٢٤٣- كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على السنة الناس
للمحدث اسماعيل بن محمد العجلوني سنة ١١٦٢ هـ اشرفه على
طبعه وتصحيحه احمد القلاسي مطبعة الفنون ، حلب .
- ٢٤٤- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون
للمؤلف الحاجي خليفة ، ط . بيروت .
- ٢٤٥- الكواشف الجليلة عن معاني الواسطية
لعبد العزيز بن محمد السلامان مؤسسه مكة للطباعة ، ط . رابعة .
- ((ل))
- ٢٤٦- اللالكى المصنوعة في الاحاديث الموضوعية
لجلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر السيوطي سنة ٩١١ هـ ، ط . ثانية
سنة ١٣٩٥ هـ .
- ٢٤٧- لسان الميزان
للحافظ احمد بن حجر العسقلاني سنة ٨٥٢ هـ ، صورة عن الطبعة
الهندية ، الناشر مؤسسة الاعلى بيروت ، ط . ثانية سنة ١٣٩٠ هـ .
- ٢٤٨- لمع الادلة في قواعد عقائد اهل السنة والجماعة
لامام الحرمين عبد الملك الجويني سنة ٤٧٨ هـ ، تحقيق فؤاد حسين
محمود ، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، ط . اول سنة
١٣٨٥ هـ .
- ((م))
- ٢٤٩- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد
للحافظ نور الدين علي بن ابي بكر الهيتمي سنة ٨٠٧ هـ منشورات
دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط . ثالثة سنة ١٤٠٢ هـ .
- ٢٥٠- مجمع الاشغال
لابي الفضل احمد بن محمد الميداني سنة ٥١٨ هـ ، مطبعة السنة
المحمدية سنة ١٣٧٤ هـ .

- ٢٥١ - مجموع زيد بن علي ويسمى مسند الامام زيد
جمعه عبدالعزیز بن اسحق البغدادي ط. بيروت ، دار الكتب
العلمية ط. اولى سنة ١٤٠١ هـ .
- ٢٥٢ - المجددون في الاسلام
لعبدالمتعال الصعیدی دار الحماس للطباعة .
- ٢٥٣ - مجموعة الرسائل والمسائل
لشيخ الاسلام احمد بن تيمية سنة ٧٢٨ هـ علق عليها وصحها
جماعة من العلماء باشراف الناشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،
ط. اولى سنة ١٤٠٣ هـ .
- ٢٥٤ - المجموع شرح المہذب
للإمام محي الدين يحيى بن شرف النووي ، حققه وعلق عليه واكمل
محمد نجيب المطيعي ، الناشر مكتبة الارشاد ، جدة .
- ٢٥٥ - المحيط بالتكليف في العقائد
لعبدالجبار بن أحمد سنة ٤١٥ هـ ، حققه عمر السيد وراجع
احمد فؤاد الالهواني المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر .
- ٢٥٦ - مجموع فتاوى ابن تيمية ،
جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم النجدي لمساعدة ابنه محمد ، صورة
عن الطبعة الاولى سنة ١٣٩٨ هـ ، توزيع الافتاء .
- ٢٥٧ - المحلى
لابي محمد علي بن سعيد بن احمد المعروف بابن حزم الاندلسي
الظاهرى سنة ٤٥٦ هـ ، تحقيق وتصحيح احمد شاكر وزميليه ،
دار الاتحاد العربى للطباعة سنة ١٣٨٧ هـ .
- ٢٥٨ - المحدث الفاصل بين الراوى والواعى
للقاضى الحسن بن عبدالرحمن الراهرمزى سنة ٣٦٠ هـ تحقيق محمد
عجاج الخطيب ، بيروت ط. اولى سنة ١٣٩١ هـ .
- ٢٥٩ - مختصر سنن ابي داود
للمحافظ زكى الدين عبدالعظيم بن عبدالقوى المنذرى سنة ٦٥٦ هـ ،
تحقيق محمد حامد الفقى ، مطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٦٨ هـ .
- ٢٦٠ - مختصر الصواعق المرسله لابن القيم
اخره محمد الموصلى ، بيروت ، دار الندوة الجديدة سنة ١٤٠٥ هـ .

- ٢٦١ - مذكرة اصول الفقه
للشيخ محمد الامين الشنقيطى سنة ١٣٩٣ هـ ، من مطبوعات الجامعة
الاسلامية بالمدينة المنورة .
- ٢٦٢ - مراتب الاجماع
لابن حزم الظاهرى سنة ٤٥٦ هـ ، دار الافاق الجديدة ، بيروت،
ط . اولى سنة ١٣٧٨ هـ .
- ٢٦٣ - مروج الذهب ومعادن الجوهر
لابى الحسن على بن الحسين السعوى سنة ٣٦٤ هـ ، تحقيق محمد محيى
الدين مطبعة السعادة بمصر ط . رابعة ، سنة ١٣٨٥ هـ .
- ٢٦٤ - مسند الامام احمد بن حنبل سنة ٢٤١ هـ
ط . المكتب الاسلامى .
- ٢٦٥ - المستدرک على الصحيحين
لابى عبدالله محمد بن عبدالله النيسابورى سنة ٤٠٥ هـ ط . بيروت .
- ٢٦٦ - مصادر تاريخ اليمن فى العصر الاسلامى
لأيمن فؤاد سيد ط . المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية
بالقاهرة بدون تاريخ .
- ٢٦٧ - مصادر الفكر العربى الاسلامى فى اليمن
لعبدالله محمد الحبشى .
- ٢٦٨ - المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى
تأليف العلامة احمد بن محمد الفيومى سنة ٧٧٠ هـ ط . الحلبي .
- ٢٦٩ - مصباح العلوم المعروف بالثلاثين مسألة
لاحمد بن الحسن الرصاص سنة ٦٥٦ هـ وقيل ٦٠٠ هـ ط . بيروت،
١٩٧١ م .
- ٢٧٠ - مصنف عبدالرزاق الصنعانى له سنة ٢١١ هـ
تحقيق الاعظمى الناشر المجلس العلمى ط . اولى سنة ١٣٩٢ هـ .
- ٢٧١ - المصنوع فى معرفة الحديث الموضوع
للإمام المحدث على القارى الهروى سنة ١٠١٤ هـ ، تحقيق ابوغيدة ،
بيروت ، ط . رابعة سنة ١٤٠٤ هـ .
- ٢٧٢ - معارج القبول شرح سلم الوصول
لشيخنا حافظ بن احمد الحكيم سنة ١٣٧٧ هـ من منشورات دار الافتاء .

- ٢٧٣ - معالم السنن
لابي سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم الخطابي سنة ٣٨٨ هـ مع
مختصر سنن ابي داود للمنذرى تحقيق الفقى مطبعة السنة المحمدية
سنة ١٩٦٨م .
- ٢٧٤ - معارج الوصول الى ان اصول الدين وفروعه قد بينها الرسول
لشيخ الاسلام احمد بن تيمية الحراني ، المطبعة السلفية بالقاهرة ، ١٣٨٧ هـ .
- ٢٧٥ - معجم المؤلفين
لعمر رضا كحالة ، ط . بيروت .
- ٢٧٦ - المغنى عن الحفظ والكتاب فيما لم يصح فيه شيء من الاحاديث
للمحافظ عمر بن بدر الدين الموصلى الحنفى سنة ٦٢٣ هـ ط . السلفية ،
سنة ١٣٤٢ هـ .
- ٢٧٧ - مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين
لل امام ابي الحسن على بن اسماعيل الاشعري سنة ٣٣٠ هـ ، تحقيق
محمد محي الدين ، مطبعة السعادة ط . ثانية سنة ١٣٨٩ هـ .
- ٢٧٨ - مقاتل الطالبين
لابي الفرج على بن الحسين بن محمد الاصفهاني سنة ٣٥٦ هـ ، شرح
وتحقيق السيد احمد صقر الناشر دار المعرفة بيروت .
- ٢٧٩ - المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الاحاديث المشتهرة على الالسنه
للسخاوى سنة ٩٠٢ هـ صححه وعلق حواشيه محمد الصديق . بيروت ،
ط . اولى سنة ١٣٩٩ هـ .
- ٢٨٠ - المقصد الاسنى شرح الاسماء الحسنى
لابي حامد محمد بن محمد الغزالى سنة ٥٠٥ هـ . ط . بيروت .
- ٢٨١ - مقدمة ابن خلدون
للعامة عبدالرحمن بن خلدون المغربى . الناشر المكتبة التجارية بمصر .
- ٢٨٢ - مقدمة توضيح الافكار
للمصنعانى ، تقديم المحقق محمد محي الدين عبدالحميد ، ط . بيروت .
- ٢٨٣ - مقدمة السيل الجرار
للمحققين قاسم غالب وزملائه ، مطابع الالهام التجارية بالقاهرة سنة ١٣٩٠ هـ .
- ٢٨٤ - مقدمة ايثار الحق على الخلق
لابن الوزير تحقيق احمد مصطفى حسين ، الدار اليمنية للنشر والتوزيع ،
سنة ١٤٠٥ هـ .
- ٢٨٥ - مقدمة ترجيح اساليب القرآن على اساليب اليونان
لمحمد بن محمد زيارة الحسنى مطبعة المعاهد المصرية .
- ٢٨٦ - طلق البدر الطالع
لمحمد بن محمد زيارة ، مطبعة السعادة بالقاهرة ط . اولى سنة ١٣٤٨ هـ .

- ٢٨٧ - الملل والنحل
للامام المهدي احمد بن يحيى المرتضى سنة ٨٤٠ هـ ، ضمن مقدمة
البحر الزخار له ط . بيروت .
- ٢٨٨ - الملل والنحل
لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني سنة ٥٤٨ هـ ط . بيروت ،
ط . ثانية سنة ١٣٩٥ هـ .
- ٢٨٩ - مناهج الادلة
لابن رشد ، تحقيق الدكتور محمود قاسم .
- ٢٩٠ - المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام اهل الرض والاعتزال مختصر منهاج السنة
لابن تيمية ، اختصره الحافظ الذهبي سنة ٧٤٨ هـ ، حققه وعلق
حواشيه محب الدين الخطيب .
- ٢٩١ - منهج ودراسات لآيات الاسماء والصفات
للشيخ محمد الامين الشنقيطي سنة ١٣٩٣ هـ ، مؤسسة مكة للطباعة
والاعلام .
- ٢٩٢ - المواقف
للايجي ، تحقيق د . احمد المهدي ، دار الحامي للطباعة .
- ٢٩٣ - الموطأ
للامام مالك بن انس ^{٨٣٩ هـ} ، ط . الحلبي .
- ٢٩٤ - المذهب في اختصار السنن
للحافظ محمد بن احمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق حامد ابراهيم
وزميله ، مطبعة الامام بمصر .
- ٢٩٥ - ميزان الاعتدال في نقد الرجال
للحافظ الذهبي تحقيق الجاوي دار المعرفة ، بيروت ، ط . اولي ،
سنة ١٣٨٢ هـ .
- ((ن))
- ٢٩٦ - النبوات
لشيخ الاسلام ابن تيمية سنة ٧٢٨ هـ ، الناشر مكتبة الرياض الحديثة .
- ٢٩٧ - نزهة النظر شرح نخبة الفكر
للحافظ ابن حجر العسقلاني سنة ٨٥٢ هـ تقديم اسحاق عزوز ، الناشر
المكتبة العلمية .

- ٢٩٨- نهج البلاغة ، وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضى من كلام امير المؤمنين على بن ابي طالب رضى الله عنه مع شرح الامام محمد عبده ، مؤسسة الاعلى للمطبوعات . بيروت .
- ٢٩٩- نهاية الأقدام فى علم الكلام لمحمد بن عبد الكريم الشهرستانى سنة ٥٤٨ هـ ، حرره وصححه الفرجيوم .
- ٣٠٠- النهاية فى غريب الحديث لابي السعادات المبارك محمد الجزرى المعروف بابن الاثير^{٥٦٦} ، تحقيق الطناحى ط . الحلبي .
- ٣٠١- نيل الاوطار شرح منتقى الاخبار لقاضى قضاة القطر اليماني محمد بن على الشوكاني سنة ١٢٥٠ هـ ، ط . الحلبي الاخيرة .
- ٣٠٢- نوادر المخطوطات جمع وتحقيق عبدالسلام هارون الحلبي ط . ثانية سنة ١٣٩٢ هـ .
- ((و))
- ٣٠٣- الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب للامام ابي عبدالله محمد بن بكر بن ايوب الشهير بابن قيم الجوزية ، سنة ٧٥١ هـ ، تحقيق اسماعيل الانصارى ، توزيع الافتاء .
- ٣٠٤- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان لشمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر المعروف بابن خلكان ، سنة ٦٨١ هـ ، حققه احسان عباس ، ط . بيروت ، دار صادر .
- ((ه))
- ٣٠٥- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لاسماعيل باشا البغدادي ، استانبول سنة ١٩٨١ م ، أعادت طبعه بالافسيت دار العلوم الحديثة ، بيروت .
- ٣٠٦- هدية الزمن فى أخبار ملوك لحج وعدن لاحمد مقل العبدلى ، ط . السلفية بالقاهرة سنة ١٣٥١ هـ .
- ٣٠٧- هدى السارى مقدمة فتح البارى للحافظ ابن حجر المسقلانى سنة ٨٥٢ هـ ، تصحيح محب الدين الخطيب ، ط . المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

- ٣٠٨- هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى
للامام ابن قيم الجوزية ، الناشر مؤسسة مكة للطباعة والاعلام .

((ى))

- ٣٠٩- اليمن عبر التاريخ
لاحمد حسين شرف الدين ، ط . ثانية سنة ١٤٠٠ هـ .
- ٣١٠- اليمن فى ظل الاسلام منذ فجره الى قيام دولة بنى رسول
لعصام الدين عبدالرؤوف الفقى ، الناشر دار الفكر العربى ،
ط . اولى سنة ١٩٨٢ م .

ثالثا : الدوريات :

- ١ - مجلة البلاغ ، عدد ٧٣٣ ، جمادى الثانية سنة ١٤٠٤ هـ .
- ٢ - مجلة الحوادث ، عدد ١٣١٤ ، ١٣ يناير سنة ١٩٨٢ م .
- ٣ - مجلة اليمن الجديد ، العدد الخامس سنة ١٣٩٢ هـ ، اغسطس ١٩٧٢ م ،
تصدرها وزارة الاعلام اليمنية .

...

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٣٤-١
<u>الباب الاول</u> : ترجمة ابن الوزير	١٦٧-٣٥
مولده	٣٦
اسمه - نسبه - كنيته - لقبه	٣٧-٣٦
مكانة أسرته العلمية	٣٨
مكانة أسرته السياسية	٤١
نشأته	٤٢
طلبه العلم - حياته العلمية	٤٩-٤٤
الحالة الدينية والثقافية في عصره	٧٠-٥٠
النزاعات بين الطوائف	٥١
انهماك المعتزلة الزيدية في العلوم العقلية ...	٥٥
ابن الوزير يدعو الناس الى الكتاب والسنة ...	٥٦
ابن الوزير يصف التيارات المنحرفة	٥٧
حركة التأليف في عصر ابن الوزير	٥٨
العلماء المؤلفون في عصر ابن الوزير	٥٩
مكانة العلم والعلماء في عصر ابن الوزير	٦٣
الحالة الخاصة بابن الوزير	٦٥
الحالة السياسية في عصر ابن الوزير	٨٠-٧٠
الصراع الدموي على السلطة ونتائجه	٧١
أهم الاحداث في عصر ابن الوزير	٧٥
شيوخه	٨٤-٨٠
من ترجم له	٨٥
تلاميذه	٨٧
مؤلفاته	١٠١-٨٨
ثناء العلماء عليه ومكانته العلمية	١١٤-١٠١
عزلته الاخيرة	١٢٢-١١٥
وفاته	١٢٣
منهج ابن الوزير في البحث العلمي	١٢٥

	منهج ابن الوزير كما ورد في (العواصم) ومختصره
١٢٨	(الروض الباسم)
١٢٩	المذهب الاول من مذاهب اهل الجدل
١٣٠	المذهب الثاني من مذاهب اهل الجدل
١٣٣	منهج ابن الوزير في كتابه (ايثار الحق على الخلق) ..
١٣٦	ابن الوزير يقرر مذهب السلف
١٤٠	القرآن الكريم مصدر أدلة التوحيد
١٤١	اختصاص القرآن بنوع من الاحتياط
١٤٧	مميزات ابن الوزير الفكرية
١٤٨	نماذج من (العواصم والقواصم)
١٥٧	الامانة العلمية في النقل
١٥٩	التصنيف من حفظه
١٦٢	ثقتة بنفسه
	تعقيب ابن الوزير على الحديث الذي احتج به نفاسة
١٦٣	الحكمة من ناحية الرواية
١٦٦	تعقيقه على الحديث من ناحية الدراية
١٦٧	تعقيب على كلام ابن الوزير
١٦٩	<u>الباب الثاني : الفرق الدينية في عصر ابن الوزير</u>
٢٢٨-١٧٠	<u>الفصل الاول : التفرق وأخطاره المؤدية الى التفسيق والتكفير</u>
١٧١	لمحة عن التفرق وأسبابه في نظر ابن الوزير
١٧٥	العوامل الرئيسية للابتداع في نظر ابن الوزير ...
١٧٧	حديث افتراق الامة والكلام عليه
١٧٩	استدراك
١٨٣	ما حكم اصحاب البدع ؟
١٨٥	ذكر اصلين في المسألة لابن تيمية
١٨٧	تقسيم المقلبي لاصحاب البدع
١٩٠	مسألة التكفير وموقف ابن الوزير منها
١٩٩	تأييد مذهب اليه ابن الوزير من عدم التكفير ..
٢٠٠	الاطراف المتنازعة في المسألة

رقم الصفحة

الموضوع

٢٠٤	تفصيل شيخ الاسلام ابن تيمية في مسألة التكفير
٢٠٦	خلاصة كلام شارح الطحاوية في اهل الابتداع
٢٠٨	مسألة التكفير وخطرها
٢٠٩	تحقيق الكلام في مسألة التكفير
٢١٤	التوفيق بين الادلة في المسألة
٢٢٠	من يستحق التكفير
٢٢٢	تنازع الفرق على الفرقة الناجية
٢٢٤	مقارنة بين منهج أهل السنة وأهل الكلام
٢٢٥	ضوابط تميز بين الطوائف الاسلامية
٢٢٧	فصل النزاع بين الطوائف
٢٢٧	كلام ابن تيمية على حديث افتراق الامة
٢٤٠-٢٢٩	<u>الفصل الثاني : السلفية في اليمن وموقف ابن الوزير منها ..</u>
٢٣٢	رواية الحديث
٢٣٤	موقف ابن الوزير من الانحراف عن منهج السلف
٢٣٧	ابن الوزير المجدد
٢٤٠	بعض الادلة على انتصار ابن الوزير
٢٥٢-٢٤٢	<u>الفصل الثالث : المعتزلة ..</u>
٢٤٣	تمهيد
٢٤٥	ظهور المعتزلة
٢٤٦	ظهور المعتزلة في اليمن
٢٤٩	اصول المعتزلة
٢٥٢	خلاصة مذهب المعتزلة في الخلفاء الاربعة
٢٨٤-٢٥٤	<u>الفصل الرابع : الزيدية في اليمن ..</u>
٢٥٥	تمهيد
٢٥٧	الزيدية في اليمن ودولتها
٢٦٠	فرق الزيدية
٢٦٢	اصول الزيدية وموقف ابن الوزير منها
٢٦٢	الاصل الاول : التوحيد

رقم الصفحة

الموضوع

٢٦٣	موقف ابن الوزير من هذا الاصل
٢٦٥	الاصل الثانى : العدل
٢٦٥	موقف ابن الوزير من الاصل الثانى
٢٦٦	الاصل الثالث : الوعد والوعيد
٢٦٧	موقف ابن الوزير من هذا الاصل
	الاصل الرابع : المختلف فيه بين المعتزلة والزيدية
٢٧٠	وموقف ابن الوزير منه
٢٧١	الاصل الخامس : الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ...
٢٧١	موقف ابن الوزير منه
٢٧٢	مقارنة بين المعتزلة والزيدية
٢٧٩	الارتباط بين المعتزلة والزيدية
٣٣٢-٢٨٥	<u>الفصل الخامس</u> : الاشعرية وموقف ابن الوزير منها :
٢٨٦	تمهيد وفيه اطوار الامام ابن الحسن الاشعرى
٢٨٦	الطور الاول
٢٨٧	الطور الثانى
٢٩١	الطور الثالث
٢٩٢	اسناد الابانة للامام ابن الحسن الاشعرى
٢٩٥	المذهب الاشعرى وظهوره فى اليمن
٢٩٧	موقف ابن الوزير من الاشعرية فى اليمن
٢٩٨	موقف ابن الوزير العام من الاشعرية
٢٩٩	الكلام على حكمة الله تعالى
٣٠٤	منهج ابن الوزير فى اثبات حكمة الله تعالى
٣٠٦	ادلة ابن الوزير على الحكمة
٣١٠	ابن الوزير يقوى ما ذهب اليه بكلام العلماء
٣١٢	مناقشة ابن الوزير حجج نفاة الحكمة
٣١٩	مناظرة الاشعرى والجباى فى افتراض شبهة الاخوة الثلاثة
٣٢٠	نقد ابن الوزير لهذه الافتراضات
٣٢١	الدواء لهذه الامراض كما وصفه ابن الوزير
٣٢٢	ما الحكمة فى خلق الاشقياء

رقم الصفحة

الموضوع

الفصل السادس : الباطنية في اليمن وموقف ابن الوزير منها . .

٣٤٧-٣٢٥

٣٢٦

٣٢٨

٣٣٠

٣٣٢

٣٣٣

٣٣٤

٣٣٤

٣٣٦

٣٣٨

٣٣٩

٣٣٩

٣٤٠

٣٤١

٣٤٣

٣٤٤

تمهيد

ابتداءً أمر الباطنية في اليمن وتعاليمها السيئة

على بن الفضل وآثاره السيئة

انموذج من كلام على بن الفضل الباطني

موت ابن الفضل مسموماً

اعلان الدعوة الباطنية في حراز

مجلد تعاليم الباطنية وأثرها السيئ *

مقتطفات من كلام الحمادي اليماني وآثارها السيئة . .

المرحلة الاولى من تعاليم الباطنية

المرحلة الثانية

المرحلة الثالثة

المرحلة الرابعة

المرحلة الخامسة

موقف أئمة الزيدية وغيرهم من الباطنية

موقف ابن الوزير من الباطنية

٦١٨-٣٤٨

الباب الثالث : آراء ابن الوزير الاعتقادية

٤٦٤-٣٤٩

الفصل الاول : الالهيات

٣٥٠

تمهيد لمعاني الفطرة احدى الدلالات على اثبات الصانع

٣٥٨

المبحث الاول : في معاني الفطرة

٣٥٩

اختلاف العلماء في معاني الفطرة

٣٥٩

القول الاول

٣٥٩

القول الثاني

٣٦٠

القول الثالث

٣٦١

القول الرابع

٣٦٢

هل اولاد المشركين من أهل الجنة ؟

لم يصح حديث عند ابن الوزير في تعذيب اطفال

٣٦٤

المشركين

٣٦٥	مسألة الامتحان في عرصات القيامة والكلام عليها . . .
	منشأ الخلاف في مسألة الامتحان في عرصات
٣٦٧	القيامة
٣٦٨	القول الخامس لمعاني الفطرة
٣٧٢	محاولة للجمع بين الاقوال لمعاني الفطرة
	<u>المبحث الثاني : طريقة ابن الوزير في اثبات الصانع</u>
٣٧٤	عز وجل
	تمهيد وفيه طريقة الصوفية والمتكلمين في اثباتات
٣٧٥	الصانع واعتراض ابن الوزير
	بعض العلماء يؤيد اعتراض ابن الوزير على طريقة
٣٨٣	المتكلمين في اثبات الصانع
	الطريقة الاولى في اثبات الصانع عند ابن الوزير :
٣٨٧	دلالة الفطرة
٣٨٩	الطريقة الثانية : دلالة الانفس
٣٩٤	اشارة الى اطوار الانسان او مراحل
٤٠١	من ادلة الانفس ما في الانسان من مميزات
٤٠٢	افضل مميزات الانسان
٤٠٣	الطريقة الثالثة دلالة الافاق
٤١٦	الطريقة الرابعة دلالة المعجزات
٤٢١	مقارنة بين كلام ابن تيمية وابن الوزير
٤٣١	دلالة الايمان على وجود الله - عز وجل - عند الشدائد
٤٣٥	<u>المبحث الثالث : منهج ابن الوزير في اثبات الاسماء والصفات</u>
٤٤٨	تحقيق الكلام في الجهة والتحيز
٤٥١	تحقيق الكلام في القديم
	ابن الوزير يصور عقيدة اهل السنة عند اضطراب
٤٥٥	المتكلمين
٤٥٩	مقارنة بين طريقة ابن الوزير وابن تيمية وغيرها . . .

٤٨٧-٤٦٥

الفصل الثاني : الغيبيات

- ٤٦٦ تمهيد
 ٤٧٠ وهم ابن الوزير وغيره في اسناد القول بفناء النار الى ابن تيمية
 ٤٧٥ رجوع ابن القيم عن تأييد القول بفناء النار
 ٤٧٦ ما يستنتج من كلام الشيخين ابن القيم وابن الوزير
 ٤٧٧ مقارنة بين كلام الشيخين
 ٤٧٨ الوهم النادر لا يحط من مكانة العالم
 ٤٧٩ مقتطفات من (الاجادة) لابن الوزير
 ٤٨٢ كلام جديد في هذه المسألة العظيمة
 ٤٨٦ عود على فتوى ابن تيمية بعدم فناء النار وتأيدها

٥٠٤-٤٨٨

الفصل الثالث : النبوات

- ٤٨٩ تمهيد
 ٤٩٠ مؤيدات أمر النبوة
 ٤٩١ حكم التفريق بين الأنبياء
 لمحة عن معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وتقسيمها
 ٤٩٢ عند ابن الوزير وغيره
 ٤٩٢ القسم الاول المعجزات الحسية مع الاشارة الى بعض الادلة
 ٤٩٤ القسم الثاني المعجزات العقلية مع ذكر بعض الادلة
 ٥٠١ نماذج من المؤكيدات لنبوة محمد عليه الصلاة والسلام
 ٥٠٢ بعض شهادة الكتب السماوية السابقة
 ٥٠٣ انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم طعن في الرب سبحانه

الفصل الرابع : المعارك الكلامية في الدفاع عن اصحاب العقيدة السلفية

- ٥٤٣-٥٠٥ وذا الاساليب الكلامية
 ٥٠٦ اسباب تلك المعارك
 ٥٠٩ ابن الوزير مع خصمه المعتزلى بصد دعوى الكلام
 ٥١٠ المسألة الاولى : اتهام الامام احمد بالتشبيه
 ٥١٣ المسألة الثانية : الكلام في رؤية الله - عز وجل - في الآخرة
 ٥٢٢ تعليق على كلام ابن الوزير
 ٥٢٣ المسألة الثالثة وصم أئمة الحديث بالبطلان والجمود
 ٥٢٥ مقتطفات من تقريرات ابن الوزير لخصمه

٥٣٣	ابن الوزير يستشهد برجوع اهل الكلام عن علم الكلام
	ابن الوزير يذم غلاة المنطقيين اليونانيين ويشيد بمنطق
٥٤٢ الانبياء والقرآن
٥٤٤ - ٥٧٦	<u>الفصل الخامس</u> : اراء ابن الوزير في الامامة والسياسة
٥٤٥	تمهيد وفيه معنى الامامة والسياسة
٥٤٦ اهمية الامامة
٥٤٦ الطريقة في اختيار الامام
٥٥٠ حكم الامامة
٥٥١ شروط الامامة
	<u>المبحث الاول</u> : امامة الجائر والخروج عليه بين ابن الوزير
٥٥٤ وخصومه
٥٥٤ قول المعترض الزيدى ان الفقهاء يجوزون
 حاصل رد ابن الوزير :
٥٥٤ أولا : ان الفقهاء لا يقولون بوجوه
٥٥٤ الوجه الاول : ما صرح به النووي
 الوجه الثاني : ان الخروج على ائمة الجور عند
٥٥٥ الفقهاء من الظنيات
 الوجه الثالث : ان الذهبي صرح باستشهاد الامام
٥٥٦ زيد بن علي
٥٥٧ ثانيا : بيان ان منع الخروج على الظلمة استثنى منه الجورة
٥٥٨ استشهاد ابن الوزير على ذلك
٥٦٣ تفصيل الكلام في يزيد بن معاوية
٥٦٥ ثالثا : ان خصم ابن الوزير جهل موضع الخلاف
٥٦٦	<u>المبحث الثاني</u> : حكم الولاية لائمة الجور
٥٧١ تعليق على مسألة الامامة والسياسة وتحقيقها ..
٥٧٧	<u>الفصل السادس</u> : موقف ابن الوزير من الابتداع
٥٧٨ معنى الابتداع والتقليد
٥٨٠ الامر الاول الزيادة في الدين
٥٨٢ أسباب الزيادة في الدين
٥٨٧ الامر الثاني النقص من الدين وأسبابه
٥٩٠ الامر الثالث التصرف في عبارات الكتاب والسنة

٥٩٥	طريقة ابن الوزير في تفسير القرآن الكريم
٥٩٩	الاصول التي تقوم عليها الامران السابقان
٦٠٠	الرد على هذا الزعم
٦٠٢	لمحة سريعة عن المحكم والمتشابه في القرآن عند ابن الوزير ..
٦٠٨	العلاج الذي وصفه ابن الوزير للابتداع والتقليد
٦١٦	تعليق على ماسبق
٦١٩	الخاتمة وفيها النتائج
٦٣٨	فهرس الاحاديث والاشار
٦٤٥	فهرس المراجع
٦٧٩	فهرس الموضوعات